



كتاب
تاريخ الخلفاء الراشدين

تأليف
أبي عبد الله محمد بن جرير الطبري

دار الأمانة

الطبعة
دار الأمانة للطباعة

کتاب

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن قتيبة الدينوري

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الأول

كتاب السلطان - كتاب الحرب - كتاب السؤدد

المشاهد
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

اعادة طبعه
دار الكتاب العربى
طبعه مصوره عن طبعه
دار الكتب المصرىة
لسنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م

فہرست

المجلد الأول من کتاب عیون الأخبار

لابن قتیبة

صفحة	
(ط)	مقدمة الكتاب
الجزء الأول - کتاب السلطان	
١	محل السلطان وسيرته وسياسته
١٤	اختيار العمال
١٩	باب صحة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلوّنه
٢٧	المشاورة والرأى
٣٤	الإصابة بالظن والرأى
٣٧	اتباع الهوى
٣٨	السروكتمانہ وإعلانه
٤٢	الكتاب والكتابة
٥٢	خانات العمال
٦٠	القضاء

صفحة	
٦٨	في الشهادات
٧٢	باب الأحكام
٧٤	الظلم
٧٩	قولهم في الحبس
٨٢	المحجّاب
٩٢	التلطف في مخاطبة السلطان وإلقاء النصيحة إليه
٩٢	الخفوت في طاعته
٩٣	التلطف في مدحه
٩٨	التلطف في مسألة العفو

الجزء الثاني - كتاب الحرب

١٠٧	آداب الحرب ومكايدها
١٢٢	الأوقات التي تُختار للسفر والحرب
١٢٣	الدعاء عند اللقاء
١٢٤	الصبر وحض الناس يوم اللقاء عليه
١٢٧	ذكر الحرب
١٢٨	في العدة والسلاح
١٣٢	آداب الفروسة
١٣٤	المسير في الغزو والسفر

صفحة	
١٤٢	التفويذ
١٤٤	في الطيرة والفأل
١٥١	مذاهب العجم في العيافة والاستدلال بها
١٥٣	باب في الخيل
١٦٠	باب البغال والحمير
١٦١	باب في الإبل
١٦٣	أخبار الجبناء
١٧٢	باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم
١٩٤	باب الخيل في الحروب وغيرها
٢٠٤	باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين
٢١٣	ذكر الأمصار

الجزء الثالث - كتاب السؤدد

٢٢٣	مخايل السؤدد وأسبابه ومخايل السوء
٢٢٧	الكمال والتناهي في السؤدد
٢٢٩	السيادة والكمال في الحدائفة
٢٣١	الهمة والخطار بالنفس
٢٣٩	الشرف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب
٢٤٦	ذم الغنى ومدح الفقر

صفحة	
٢٤٩	التجارة والبيع والشراء
٢٥٤	الدين
٢٥٨	اختلاف الهمم والشهوات والأمانى
٢٦٤	التواضع
٢٦٩	باب الكبر والعجب
٢٧٥	باب مدح الرجل نفسه وغيره
٢٧٦	قول المدوح عند المدحة
٢٧٨	باب الحياء
٢٧٩	باب العقل
٢٨٢	باب الحلم والغضب
٢٩١	باب العز والذل والهيبة
٢٩٥	باب المروءة
٢٩٦	باب اللباس
٣٠٢	التختم
٣٠٣	باب الطيب
٣٠٥	باب المجالس والجلساء والمحادثة
٣٠٩	باب الثقلاء
٣١١	باب البناء والمنازل

(ز)

فهرس المجلد الأول

صفحة	
٣١٥	باب المزاح والرخص فيه
٣٢٥	التوسط في الأشياء وما يكره من التقصير فيها والغلو (باب التوسط في الدين)
٣٢٨	باب التوسط في المداراة والحلم
٣٢٩	باب التوسط في العقل والرأى
٣٣٠	باب ذم فضل الأدب والقول
٣٣١	باب التوسط في الحدة
٣٣١	باب الاقتصاد في الإنفاق والإعطاء
٣٣٢	أفعال من أفعال السادة والأشراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلی اللہ علی سیدنا محمد وعلی آلہ وصحبہ وسلم .

قال الامام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رضى الله عنه : الحمد لله الذى يُعجز بِلَاؤُهُ صفة الواصفين وتفوت آلاؤُهُ عددَ العادين وتسع رحمته ذنوب المسرفين ، والحمد لله الذى لا تُحجَب عنه دعوة ولا تُحيب لديه طلبية ولا يضل عنده سعى ، الذى رضى عن عظيم النعم بقليل الشكر وغفر بعقد الندم كبير الذنوب ومحا بتوبة الساعة خطايا السنين ، والحمد لله الذى آبتعث فينا البشير النذير السراج المنير هاديا الى رضاه وداعيا الى محابته ^(١) ودآلا على سبيل جنته ففتح لنا باب رحمته وأغلق عنا باب سخطه . صلى الله وملائكته المقربون عليه وعلى آلہ وصحبہ أبدا ما ظلم البحر وذُرَّ شارق وعلى جميع النبيين والمرسلين .

١٠ أما بعد فان لله فى كل نعمة أنعم بها حقا وعلى كل بلاء أبلاه زكاة : فزكاة المال الصدقة ، وزكاة الشرف التواضع ، وزكاة الجاه بذله ، وزكاة العلم نشره ، وخير العلوم أنفعها ، وأنفعها أحدها مقبلة ، وأحدها مقبلة ما تُعلم وعُلمَ لله وأريد به وجه الله تعالى . ونحن نسأل الله تعالى جل وعلا أن يجعلنا بما علمنا عاملين وبأحسنه آخذين ولوجهه الكريم بما نستفيد ونفيد ومريدين ولحسن بلائه عندنا عارفين وبشكره آتاء الليل والنهار عارفين إنه أقرب المدعوين وأجود المسئولين .

وإني كنت تكلفت لمُغفلٍ التاديب من الكُتَابِ كِتَابًا فى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد حين تبيئتُ شمول النقص ودروس العلم وشغل السلطان عن إقامة سوق الأدب

(١) فى النسخة الفتوغرافية : « محابته » .

حتى عفا ودرّس ، بلغتُ به فيه همّة النفس وتلجّ الفؤاد وقيدتُ عليه به ما أطرفني^(١) الآلة ليوم الإدالة ، وشرطتُ عليه مع تعلم ذلك تحفُّظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف سطورهِ^(٢) متمثلاً إذا كاتب ، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن إذا حاور . ولما تقلدت له القيام ببعض آله دعيتُ الهمة الى كفايته وخشيت إن وكتُّه فيما بقي الى نفسه وعولتُ له على اختياره أن تستمرّ مَريرته على التهاون ويستوطئ مركبه من العجز فيضرب صفحا عن الآخر كما ضرب صفحا عن الأول ، أو يزاول ذلك بضعف من النية وكلال من الحد فيلحقه خور الطباع وسامة الكلفة . فأكلت له ما ابتدأت وشيدت ما أسست وعملت له في ذلك عمل من طب لمن حبّ بل عمل الوالد الشفيق للولد البرّ ورضيت منه بعاجل الشكر وعولت على الله في الجزاء والأجر .

فان هذا الكتاب . وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام ، دالٌّ على معالي الأمور ومرشد لكريم الأخلاق زاجر عن الدناءة ناهٍ عن القبيح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعمارة الأرض وليس الطريق الى الله واحدا ولا كل الخير مجتمعا في تهجد الليل وسرد الصيام وعلم الحلال والحرام ، بل الطرق اليه كثيرة وأبواب الخير واسعة وصلاح الدين بصلاح الزمان ، وصلاح الزمان بصلاح السلطان ، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير . وهذه عيون الأخبار نظمها لمفعل التأديب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ولسان الناس ومسوسهم مؤدبا وللوك مستراحا [من كد الحد والتعب^(٣)] وصنفتها أبوابا وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها

(١) في النسخة الألمانية : « ما أضل من الآلة ليوم الإدالة » .

(٢) في النسخة الفتوغرافية : « النظر » . (٣) زيادة في النسخة الألمانية .

- وعلى الناشد طلبها، وهي لقّاح عقول العلماء وتنتاج^(١) أفكار الحكماء وزبدة المنحّض
 وحلية الأدب وأثمار طول النظر والمتخير من كلام البلغاء وفطن الشعراء وسير الملوك
 وآثار السلف . جمعت لك منها ما جمعت في هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها
 وتقومها بثقافتها وتخلصها من مساوى الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها،
 وتروضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمه وأدب كريم وخلق عظيم،
 وتصل بها كلامك إذا حاورت وبلاغتك إذا كتبت، وتستنجح بها حاجتك إذا
 سألت، وتتلطّف في القول إن شفعت، وتخرج من اللوم بأحسن العذر إذا اعتذرت،
 فإن الكلام مصايد القلوب والسحر الحلال، وتستعمل آدابها في صحبة سلطانك
 وتسديد ولايته ورفق سياسته وتدير حروبه، وتعمّر بها مجلسك إذا جدّدت
 وأهزّلت وتوضح بأمثالها حججك وتبّد باعتبارها خصمك حتى يظهر الحق في أحسن
 صورة وتبلغ الإرادة بأخف مآونة، وتستولى على الأمد وأنت وادع^(٢) [وتلحق الطريدة
 ثانيا من عنائك وتمشى رويدا وتكون أولا] هذا إذا كانت الغريزة مؤاتية والطبيعة
 قابلة والحس منقادا، فإن لم يكن كذلك ففي هذا الكتاب، لمن أراه عقله نقص
 نفسه فأحسن سياستها وستر بالأناة والرؤية عيوبها ووضع من دواء هذا الكتاب على
 داء غريزته وسقاها بمائه وقدهح فيها بضياته، ما نعش منها العليل وشخذ الكليل
 وبعث الوَسنان وأيقظ الهاجع حتى يقارب بعون الله ربّ المطبوعين .

- ولم أر صوابا أن يكون كتابي هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على
 خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سُوقتهم، فوقيت كل فريق منهم
 قِسْمه ووقرت عليه سهمه وأودعته طرفا من محاسن كلام الزهاد في الدنيا وذكر
 بفنائمها والزوال والانتقال وما يتلاقون به إذا اجتمعوا ويتكاتبون به إذا افترقوا،

(١) في النسخة الفترغرافية: «رنتاج». (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشباه ذلك لعل الله يعطف به صادقا،
ويأطر على التوبة متجانفا، ويردع ظلما ويلين برقائقه قسوة القلوب . ولم أخله مع
ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة مُعجبة وأخرى مضحكة لثلا يخرج عن
الكتاب مذهب سلكه السالكون وعروض أخذ فيها القائلون ، ولأرواح بذلك عن
القارئ من كد الجِدِّ وإتاعاب الحق فإن الأذن مجاجة وللنفس حمضة^(١)، والمزح إذا كان
حقا أو مقاربا ولأحايينه وأوقاته وأسباب أوجبه [مشاكلا]^(٢) ليس من القبيح ولا
من المنكرولا من الكجائر ولا من الصغائر إن شاء الله .

وسيتهى بك كتابنا هذا الى باب المزاح والفكاهة وما روى عن الأشراف والأئمة
فيهما، فاذا مر بك أيها المترمت حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك
له فأعرف المذهب فيه وما أردنا به .

وأعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه بتسكك فان غيرك ممن يترخص فيما تشددت
فيه محتاج اليه ، وإن الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فبيها على ظاهر محبتك ،
ولو وقع فيه توقي المترمتين لذهب شطر بهائه وشرط مائه ولأعرض عنه من أحبنا
أن يقبل اليه معك .

وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف
شهوات الآكلين ، وإذا مر بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف
فاحشة فلا يجلتك الخشوع أو التخاشع على أن تُصعّر خدك وتعرض بوجهك فان
أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل
لحوم الناس بالغيب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ تَعَزَّى بَعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ

(١) في النسخة الفئورغرافية «الجهد» . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

فَأَعِضُوهُ بَيْنَ أَبِيهِ وَلَا تَكُنُوا». وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لبديل بن ورقاء،
— حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن هؤلاء لو قد مسهم حُرُّ السلاح لأساموك —
«اعضض بيظر الآلات، أمنح نسلمه!» . وقال علي بن أبي طالب صلوات
الله عليه: «من يطل^(١) أيرأبيه ينتطق به» . وقال الشاعر في هذا المعنى بعينه

٥ فلو شاء ربِّي كان أيرأبيكم * طويلا كأير الحارث بن سدوس

قال الأصمعي: كان للحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكرا، وقيل للشعبي: إن
هذا لا يجيء في القياس، فقال: أير في القياس، الولد ذكر . وليس هذا من شكل
ما تراه في شعر جرير والفرزدق لأن ذلك تعبير وأبتها في الأخوات والأمهات وقذف
للحصنات الغافلات، فتفهم الأمرين وأفرق بين الجنسين، ولم أترخص لك في إرسال
اللسان بالرَّفْث على أن تجعله هجيراك على كل حال وديدك^(٢) في كل مقال، بل الترخص
١٠ متى فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها، تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها
التعريض، وأحببت أن تجرى في القليل من هذا على عادة السلف الصالح في إرسال
النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع . ولا تستشعر أن القوم قارفوا
وتزهدت وتلموا أديانهم وتوزعت . وكذلك اللحن إن مر بك في حديث من النوادر

١٥ فلا يذهبن عليك أنا تعمدهنا وأردنا منك أن تتعمده لأن الإعراب ربما سلب بعض
الحديث حسنه وشاطر النادرة حلاوتها، وسامثل لك مثلا: قيل لمزيد المديني — وقد
أكل طعاما كظله: — في فقال: ما أقي، أقي نقا ولم جدى! صرتي طالق لو وجدت

(١) كذا بالأصل ولسان العرب معزوا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وورد في جمع الأمثال ليداني
«من يطل من أبيه ينتطق به» . (٢) في النسخة الألمانية «ودينك» .

٢٠ (٣) ورد في النسخة المطبوعة بألمانيا هكذا (لمزيد) وكذلك ورد في الأغاني ج ١٣ ص ١١٧ من
غير ضبط وورد في كتاب الجلاء لملاحظ المطبوع بأوروبا ص ٩ هكذا (مزيد) . وورد في الأصل
الفتوغرافي الذي بين أيدينا هكذا (لازيد) . وفي تاج العروس في مادة (زيد) : ومزيد كحدث اسم رجل
صاحب النوادر وضبط كعظم ووجد بخط الذهبي ساكن الزاي مكسور الموحدة .

هذا قياً لا كونه . ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وقيت بالإعراب والهمز حقوقها
لذهبت طُلاوتها ولاستبشعها ساءعها وكان أحسن أحوالها أن يكافئ لطف معناها
نقل ألفاظها فيكون مثل المخبر عنها ما قال الأول

اضرب ندى طلحة الخيرات إن نفروا * بجعل أشعث واستنبت وكن حكا
تخرج خراعة من لوم ومن كرم * فلا تعد لها لوما ولا كراما
ولمثل هذا قال مالك بن أسماء في جارية له

أمغطى منى على بصري للـحـب أم أنتِ أكل الناس حسنا
وحديث الله هو مما * يشتهى الناعتون يوزن وزنا
منطق بارع وتلحن أحياء * نا وأحلى الحديث ما كان لحنا^(١)

وإن مرة بك خبر أو شعر يتضع عن قدر الكتاب وما بُني عليه فاعلم أن لذلك
سببين : أحدهما قلة ما جاء في ذلك المعنى مع الحاجة إليه ، والسبب الآخر أن
الحسن إذا وُصل بمثله نقص نوراهما ولم يتبين فاضل بمفضول . وإذا وُصل بما هو
دونه أراك نقصان أحدهما من الآخر الرجحان ، ومدار الأمر وقوامه على واحدة
تحتاج إلى أن تأخذ نفسك بها وهي أن تُحضر الكلمة موضعها وتصلها بسببها
ولا ترى غيباً أن يتكلم الناس وأنت ممسك ، فإذا رأيت جالا تساكلك ما حضر
من القول أحضرته وفرصة تخاف فوتها انتهزتها ، وكان يقال : انتهزوا فرص القول فإن
للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب ، وقالوا : رب كلمة تقول : دعني .

(١) قال أبو بكر بن دريد : يريد أنها تعوض في حديثها فتزيله عن جهته لئلا يفهمه الحاضرون ، ثم قال
« وخير الحديث ما كان لحنا » أي خير الحديث ما فهمه صاحبك الذي تحب إفهامه وحده وخفى على غيره اه
نقلا عن أمالي الأقال . وقيل تلحن أحيانا أي تخطئ في الإعراب ، وذلك أنه يستلجج من الجوارى ذلك إذا
كان خفيفا ويستقل منه لزوم حاق الإعراب ، وهذا المعنى الأخير أورده صاحب اللسان وسباق الكلام
بألف مه . ولعله عني بالحن في المصراع الأول الخطأ في الإعراب وبالحن في المصراع الثاني المعنى الذي
ذهب إليه ابن دريد أو الحن بمعنى التوقيع . (٢) في النسخة الفتوغرافية : «توارها» .

وإن وقفت على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مُشبعًا فلا تقض علينا بالإغفال حتى تتصفح الكتب كلها، فانه ربّ معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع فنقسم ما جاء فيه على مواضعه، كاللطف في القول يقع في كتاب السلطان ويقع في كتاب الحوائج ويقع في باب البيان، وكالاعتذار يقع في كتاب السلطان وفي كتاب الاخوان، وكالبخل يقع في كتاب الطبائع وفي كتاب الطعام، وكالكبر والمشيب يقع في كتاب الزهد ويقع في كتاب النساء .

واعلم أننا لم نزل نتلقط هذه الأحاديث في الحداثة والاكتحال عمن هو فوقنا في السن والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا ومن كتب الأعاجم وسيرهم وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم وعمن هو دوننا غير مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سنًا لحداثته ولا عن الصغير قدرًا لحساسته ولا عن الأمة الوثقاء لجهلها فضلًا عن غيرها، فان العلم ضالة المؤمن من حيث أخذه نفعه، ولن يُزرى بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تستنبط من الكاشحين، ولا تضير الحسنة أضرارها ولا بنات الأصداف أصدافها ولا الذهب الإبريز مخرجه من كفا . ومن ترك أخذ الحسن من موضعه أضاع الفرصة، والفرص تمر مرة السحاب .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن سليمان بن معاذ عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : « خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه، فانه قد يقول الحكمة غير الحكيم وتكون الرمية من غير الرامي » . وهذا يكون في مثل كتابنا لأنه في آداب ومحاسن أقوام ومقابح أقوام والحسن لا يلبس بالقبيح ولا يخفى على من سمعه من حيث كان . فاما علم الدين والحلال والحرام فانما هو استعباد وتقليد ولا يجوز أن تأخذه

(١) في النسخة الألمانية : "لموضعه" ، وربما عيبه السياق .

إلا عمن تراه لك حجة ولا تقدر في صدرك منه الشكوك، وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين إذا كان متخير اللفظ لطيف المعنى لم يُزر به عندنا تأخر قائله كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدمه فكل قديم حديث في عصره وكل شرف فأوله خارجي^(*)، ومن شأن عوام الناس رفع المعدوم ووضع الموجود ورفض المبدول وحب الممنوع وتعظيم المتقدم وغفران زلته ونجس المتأخر والتجني عليه. والعامل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم.

وإني حين قدمت هذه الأخبار والأشعار وصنفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع في عشرة كتب بعد الذي رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميزة، كل كتاب منها مفرد على حدته، كتاب الشراب، وكتاب المعارف، وكتاب الشعر، وكتاب تأويل الرؤيا.

فالكتاب الأول من الكتب العشرة المجموعة "كتاب السلطان" وفيه الأخبار عن محل السلطان واختلاف أحواله وعن سيرته وعمما يحتاج صاحبه إلى استعماله من الآداب في صحبته وفي مخاطبته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن يأخذ به في اختيار عماله وقضائه وتجابه وكتابه وعلى الحكام أن يمتثلوه في أحكامهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب الثاني "كتاب الحرب" وهذا الكتاب مشا كل لكتاب السلطان فضمته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكايدها ووصايا الجيوش

(*) في اللسان «الخارجي» الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم.

وعن العدد والسلاح والكراع وما جاء في السفر والمسير والطيرة والقأل وما يؤمر به الغزاة والمسافرون ، وأخبار الجبناء والشجعاء وحبل الحرب وغيرها وشيء من أخبار الدولة والطلبيين وأخبار الأمصار وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

٥. والكتاب الثالث "كتاب السؤدد" وفيه الأخبار عن تحايل السؤدد في الحدث وأسبابه في الكبر وعن الهمة السامية والحطار بالنفس لطلب المعالي واختلاف الإرادات والأمانى والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والغضب والعز والهيبة والذل والمروءة واللباس والطيب والمجالسة والمحادثة والبناء والمزاح وترك التصنع والتوسط في الأشياء وما يكره من الغلو والتقصير واليسار والفقير والتجارة والبيع والشراء والمدائنة والشريف من أفعال الأشراف والسيادة وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

١٠. والكتاب الرابع "كتاب الطبائع والأخلاق" وهذا الكتاب مقارب لكتاب السؤدد فضمته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن تشابه الناس في الطبائع وذمهم وعن مساوى الأخلاق من الحسد والغيبة والسعاية والكذب والقحة وسوء الخلق وسوء الجوار والسباب والبخل والحمق ونوادير الحمقى وطبائع الحيوان من الناس والجن والأنعام والسباع والطيور والحشرات وصغار الحيوان والنبات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

١٥. والكتاب الخامس "كتاب العلم" وفيه الأخبار عن العلم والعلماء والمتعلمين وعن الكتب والحفظ والقرآن والآثر والكلام في الدين ووصايا المؤدبين والبيان والبلاغة

والتلطف في الجواب والكلام وحسن التعريض والخُطب والمقامات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السادس "كتاب الزهد" وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضمته إليه وجعلتها جزءا واحدا وفيه الأخبار عن صفات الزهاد وكلامهم في الزهد والدعاء والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكبر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب السابع "كتاب الإخوان" وفيه الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم والأخبار عن المودة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالفة الناس وحسن محاورتهم والتلاقي والزيارة والمعانقة والوداع والتهادي والعبادة والتعازي والتهاني وذكر شرار الإخوان وذكر القرابات والولد والاعتذار وعتب الإخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثامن "كتاب الحوائج" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الإخوان فضمته إليه وجعلتها جزءا واحدا وفيه الأخبار عن استنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والحذر والهدية والرشوة ولطيف الكلام ومن يعتمد في الحاجة ومن يستسعى لها والإجابة إلى الحاجة والرد عنها والمواعيد وتجزؤها وأحوال المسئولين عند السؤال في الطلاقة والعبوس والعادة من المعروف تُقَطَّع والشكر والثناء والتلطف فيهما والترغيب في قضاء الحوائج واصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستعفاف وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

(١) في النسخة الفلوجرافية : «المقالات» .

(٢) في الأصل الفلوجرافي «وعب الإخوان ، مغاديرهم وتعاديهم ..» الخ .

والكتاب التاسع "كتاب الطعام"، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والحلواء
والسويق واللبن والتمر والحباث منها التي يأكلها فقراء الأعراب، ونازلة الفقر وأدب
الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأكلة والمنهيين والدعاء إلى المأدب والضيافة
وأخبار البخلاء بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحمية وشرب الدواء
ومضار الأطعمة ومنافعها ومصالحها وتنف من طب العرب والعجم وما جاء في ذلك
من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب العاشر "كتاب النساء" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام، والعرب
تدعو الأكل والنكاح الأطيبين فتقول: قد ذهب منه الأطيبان. تريدهما، فضمته
إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن اختلاف النساء في أخلاقهن وخلقهن
وما يُختار منهن للنكاح وما يُكره واختلاف الرجال في ذلك والحسن والجمال والقبح
والدمامة والسواد والعاهاث والعجز والمشايخ والمهور وخطب النكاح ووصايا الأولياء
عند الهداء وسياسة النساء ومعاشرتهن والدخول بهن والجماع والولادات ومساويهن
خلا أخبار عشاق العرب فأتى رأيت كتاب الشعراء أولى بها فلم أودع هذا الكتاب
منها إلا شيئا يسيرا، وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك
الأخبار .

فهذه أبواب الكتب جمعها لك في صدر أولها لأعفيك من كد الطلب وتعب
التصفح وطول النظر عند حدوث الحاجة إلى بعض ما أودعتها ولتقصده فيما تريد حين
تريد إلى موضعه فتستخرجه بعينه أو ما ينوب عنه ويكفيك منه، فإن هذه الأخبار
والأشعار وإن كانت عيونا مختارة أكثر من أن يحاط بها أو يُوقف من ورائها
أو تنتهي حتى ينتهي عنها .

والتلطف في الجواب والكلام وحسن التعريض والخطب والمقامات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السادس "كتاب الزهد" وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضمته إليه وجعلتها جزءا واحدا وفيه الأخبار عن صفات الزهاد وكلامهم في الزهد والدعاء والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكبر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب السابع "كتاب الإخوان" وفيه الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم والأخبار عن المودة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالفة الناس وحسن محاورتهم والتلاقي والزيارة والمعانقة والوداع والتهادي والعبادة والتعازي والتهاني وذكر شرار الإخوان وذكر القرابات والولد والاعتذار وعقب الإخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثامن "كتاب الحوائج" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الإخوان فضمته إليه وجعلتها جزءا واحدا وفيه الأخبار عن استنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والحذر والهدية والرشوة ولطيف الكلام ومن يعتمد في الحاجة ومن يستسعى لها والإجابة إلى الحاجة والرد عنها والمواعيد وتجزؤها وأحوال المسؤولين عند السؤال في الطلاقة والعبوس والعادة من المعروف تقطع والشكر والثناء والتلطف فيهما والترغيب في قضاء الحوائج واصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستعفاف وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

(١) في النسخة الفوتوغرافية : «المقالات» .

(٢) في الأصل الفوتوغرافي «وعقب الإخوان ومعاوهم وتعاديهم ..» الخ

والكتاب التاسع "كتاب الطعام"، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والحلواء
والسويق واللبن والتمر والحبات منها التي يأكلها فقراء الأعراب، ونازلة الفقر وأدب
الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأكلة والمنهيين والدعاء إلى المآذب والضيافة
وأخبار البخلاء بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحمية وشرب الدواء
ومضار الأطعمة ومنافعها ومصالحها وتنف من طب العرب والعجم وما جاء في ذلك
من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب العاشر "كتاب النساء" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام، والعرب
تدعو الأكل والنكاح الأطيبين فتقول: قد ذهب منه الأطيبان. تريدهما، فضمته
إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن اختلاف النساء في أخلاقهن وخلقهن
وما يُختار منهن للنكاح وما يُكره واختلاف الرجال في ذلك والحسن والجمال والقيح
والدمامة والسواد والعاهاة والعجز والمشايخ والمهور وخطب النكاح ووصايا الأولياء
عند الهداء وسياسة النساء ومعاشرتهن والدخول بهن والجماع والولادات ومساويهن
خلا أخبار عشاق العرب فإني رأيت كتاب الشعراء أولى بها فلم أودع هذا الكتاب
منها إلا شيئا يسيرا، وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك
الأخبار.

١٥

فهذه أبواب الكتب جمعتها لك في صدر أولها لأعفيك من كد الطلب وتعب
التصفح وطول النظر عند حدوث الحاجة إلى بعض ما أودعتها ولتقصده فيما تريد حين
تريد إلى موضعه فتستخرجه بعينه أو ما ينوب عنه ويكفيك منه، فإن هذه الأخبار
والأشعار وإن كانت عيونا مختارة أكثر من أن يحاط بها أو يُوقف من ورائها
أو تنتهي حتى ينتهي عنها.

٢٠

وقد خففتُ وإن كنتُ أكثرُ ، وأختصرتُ وإن كنتُ أطلتُ ، وتوقيتُ
في هذه النوادر والمضاحك ما يتوقاه من رضى من الغنيمة فيها بالسلامة ومن بعد
الشقة بالإياب ، ولم أجدُ بداً من مقدار ما أودعته الكتاب منها لتتم به الأبواب ،
ونحن نسأل الله أن يحو ببعض بعضا ويغفر بغير شرأ ويجد هنزلاً ثم يعود علينا بعد
ذلك بفضله ويتعمدنا بعفوه ويعيدنا بعد طول الأمل فيه وحسن الظن به والرجاء له
من الحبية والحرمات .

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدثنا محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدثنا سلم بن قتيبة عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ستحريصون على الإمارة ثم تكون حسرةً وندامة يوم القيامة فتعمت المرصعة وبئست الفاطمة" .

حدثني محمد بن زياد الزيادي قال حدثنا عبد العزيز الداروردي قال حدثنا شريك عن عطاء بن يسار أن رجلاً قال عند النبي صلى الله عليه وسلم : بئس الشيء الإمارة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها" .

حدثني زيد بن أنحزم الطائي قال حدثنا ابن قتيبة^(*) قال حدثنا أبو المنهال عن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه قال : لما مات كسرى قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : «من استخلفوا؟» فقالوا : آبنته بوران ، قال : "لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة" .

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت أيوب يحدث عن عكرمة عن ابن عباس أنه قدم المدينة زمن الحرة فقال : من استعمل القوم؟ قالوا : على قريش عبد الله بن مطيع ، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن الراهب فقال : أميران ! هلك والله القوم .

(*) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفوتوغرافية : أبو قتيبة ، وليس عندنا ما يرجح أحدهما لوجودهما معاً في كتب الأنساب .

حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن هشام بن حسان قال كان الحسن يقول : « أربعة من الاسلام إلى السلطان الحكم والنبي والجمعة والجهاد » . وحدثني محمد قال حدثنا أبو سلمة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة قال قال كعب : « مثل الاسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والأطناب والأوتاد ، فالفسطاط الاسلام ، والعمود السلطان ، والأطناب والأوتاد الناس ، لا يصلح بعضه إلا ببعض » .

حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال : قال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك : « السلطان سوقٌ فما نَفَقَ عنده أتى به » . وقرأت في كتاب لأبن المقفع : « الناس على دين السلطان إلا القليل فليكن للبر والمروءة عنده نفاقٌ فسيسكد^(١) بذلك الفجور والدناءة في آفاق الأرض » . وقرأت فيه أيضا : « الملك ثلاثة^(٢) ملك دين وملك حزم وملك هوى ، فأما ملك الدين فانه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم ويلحق بهم ما عليهم ، أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضى في الإقرار والتسليم . وأما ملك الحزم فانه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضره طعن الضعيف مع حزم القوى . وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر .

حدثني يزيد بن عمرو عن عصمة بن صقير الباهلي قال حدثنا اسحق بن نجیح عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله حُرَّاسًا يحتراسه في السماء الملائكة وحراسه في الأرض الذين يأخذون الديوان » .

(١) في الأدب الكبير : فيسكد .

(٢) في الأصل الفتوغرافي : الملوك .

حدثنی أحمد بن الخلیل قال حدثنی سعید بن سلم الباهلی قال أخبرنی شعبة عن شرفی عن عكرمة في قول الله عز وجل ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال : « الجلاوزة يحفظون الأمراء » .

[وقال الشاعر^(*)

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * خلياً من اسم الله والبركات

يعنى باسم الله، وفيه قول الله ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أى بأمر الله] .

وقرأت في كتاب من كتب الهند : « شر المال ما لا يُنْفَقُ منه وشر الاخوان

انخاذ وشر السلطان من خافه البرىء وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن » .

وقرأت فيه : « خير السلطان من أشبه النسر حوله الحيف لا من أشبه الحيفة حولها

النسور » وهذا معنى لطيف وأشبه الأشياء به قول بعضهم : « سلطان تحافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها » .

حدثنى شيخ لنا عن أبي الأحوص عن ابن عم لأبي وائل عن أبي وائل قال ،

قال عبد الله ابن مسعود : « إذا كان الامام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا

كان جائراً فعليه الوزر وعليك الصبر » .

وأخبرنى أيضاً عن أبي قدامة عن علي بن زيد قال ، قال عمر بن الخطاب رضى

الله عنه : « ثلاثٌ من الفواقير : جارٌ مُقَامَةٌ إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة

أذاعها ، وأمرأة إن دخلت عليها لسنك وإن غبت عنها لم تأمنها ، وسلطان إن

أحسنتم لم يحمدك وإن أسأت قتلك » .

وقرأت في البيهقي : « مثلٌ قليل مضار السلطان في جنب منفعه مثل الغيث الذى

هو سُقْيَا الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السفر

(*) زيادة في النسخة الفلوجرافية .

ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتدبر سيوله فيهلك الناس والدواب وتموج
له البحار فتشتد البلية منه على أهله فلا يمنع الناس، إذا نظروا إلى آثار رحمة الله
في الأرض التي أحيا والنبات الذي أخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر،
أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويُلغوا ذكر خواص البلايا التي دخلت على
خواص الخلق. ومثل الرياح التي يرسلها الله نُشرا بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب
ويجعلها لقاحا للثمرات وأرواحا للعباد يتنسمون منها ويتقلبون فيها وتجري بها
مياههم وتقد بها نيرانهم وتسير بها أفلاكهم وقد تضرّ بكثير من الناس في برهم
وبجرهم ويخلص ذلك إلى أنفسهم وأموالهم فيشكوها منهم الشاكون ويتأذى بها
المتأذون ولا يُزيلها ذلك عن منزلتها التي جعلها الله بها وأمرها الذي سخرها له من قوام
عباده وتمام نعمته. ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا للحرث
والنسل ونتاجا للحب والثمر، يجمعها البرد باذن الله [ويجعلها] ويخرجها الحر باذن الله
ويُنضجها مع سائر ما يعرف من منافعها وقد يكون الأذى والضرر في حرهما وبردهما
وسمائمهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا إلى الخير والصلاح. ومن ذلك
الليل الذي جعله الله سكا ولباسا وقد يستوحش له أخو القفر وينازع فيه ذو البلية
والرّيبة وتعدو فيه السباع وتُنساب فيه الهوام ويغتنمه أهل السرقة والسلة ولا يُزرى
صغير ضرره بكثير نفعه ولا يلحق به ذمّا ولا يضع عن الناس الحق في الشكر لله على
ما منّ به عليهم منه. ومثل النهار الذي جعله الله ضياء ونُشورا وقد يكون على الناس
أذى الحر في قيظهم وتصبّحهم فيه الحروب والغارات ويكون فيه النصب والشحوص
وكثير مما يشكوه الناس ويستريحون فيه إلى الليل وسكونه. ولو أن الدنيا كان شيء
من سرّاها يعم عامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت نعاؤها بغير كدر وميسورها من

(*) في النسخة الفتوغرافية : رواحا.

غير معسور كانت الدنيا إذا هي الجنة التي لا يشوب مسرتها مكروء ولا فرحها ترحٌ
والتي ليس فيها نصب ولا نُفُوب، فكل جسم من أمر الدنيا يكون ضره خاصة فهو
نعمة عامة وكل شيء منه يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام .

وكان يقال : « السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر » .

وقرأت في التاج لبعض الملوك : « هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب
الملوك مشغولة بكل شيء يجلُّ وألباب السُّوق مشغولة بأيسر الشيء ، فالجاهل منهم
يعذر نفسه بدعة ما هو عليه من الرِّسالة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو فيه من المؤونة ،
ومن هناك يعزر الله سلطانه ويرشده وينصره » .

سمع زياد رجلا يسب الزمان فقال : « لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ، إنما الزمان

هو السلطان » .

وكانت الحكماء تقول : « عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان » .

وروى الميِّم عن ابن عباس عن الشعبي قال : « أقبل معاوية ذات يوم على
بني هاشم فقال : يا بني هاشم ، ألا تحذثوني عن أدعائكم الخلافة دون قريش بم تكون
لكم أبالرضا بكم أم بالاجتماع عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعا؟
فإن كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبت حقا ولا أسست
ملكاء، وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما منع العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
ووارثه وساقى الحجيج وضامن الأيتام أن يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بن عبد مناف،
وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعا فإن القرابة خصلة من خصال الامامة
لا تكون الامامة بها وحدها وأتم تدعونها بها وحدها، ولكنا نقول : أحق قريش بها
من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عليها ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة وطارت إليه أهواؤهم

(*)
 للثقة وقاتل عنها بحقها فأدركها من وجهها . إن أمركم لأمرٌ تضيق به الصدور، إذا
 سئتم عن أجمع عليه من غيركم فاتم حق . فان كانوا اجتمعوا على حق فقد أخرجكم
 الحق من دعواكم . انظروا : فان كان القوم أخذوا حقكم فاطابوهم ، وإن كانوا أخذوا
 حقهم فسئلوهم إليه فانه لا ينفعكم أن تروا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم . فقال ابن عباس
 ندعى هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تقعد مقعدك هذا ، ونقول كان ترك الناس أن
 يرضوا بنا ويحتجوا علينا حقاً ضيعوه وحظاً حرّموه ، وقد اجتمعوا على ذى فضل
 لم يخطئ الورد والصدر ، ولا ينقص فضل ذى فضل غيره عليه . قال الله
 عز وجل ﴿ وَبُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ فاما الذى منعنا من طلب هذا الأمر بعد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم نعهد منه إلينا قبلنا فيه قوله ودأ بتأويله ولو أمرنا أن
 نأخذ على الوجه الذى نهانا عنه لأخذناه أو أعذرنا فيه ، ولا يعاب أحد على ترك
 حقه إنما المعيب من يطاب ما ليس له ، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضاراً .
 انتهت القضية إلى داود وسليمان فلم يفهمها داود وفهمها سليمان ولم يضر داود . فاما
 القرابة فقد نفعت المشرك وهى للؤمن أنفع ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « أنت عمى وصنو أبى ومن أبغض العباس فقد أبغضنى وهجرتك آخر الحجرة كما أن
 نبوتى آخر النبوة » . وقال لأبى طالب عند موته : يا عم قل لا إله إلا الله أشفع لك
 بها غدا وليس ذاك لأحد من الناس . قال الله تعالى ﴿ وَأَسْتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
 السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ آلَانَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ
 كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيماً ﴾ .

حدثنا الرياشى عن أحمد بن سلام مولى دؤيب عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ
 له قال ، قال كسرى : « لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء : سلطان قاهر ، وقاض
 عادل ، وسوق قائمة ، وطبيب عالم ، ونهر جار » .

(*) فى الأصل الفنوغرافى : عليها .

وحدثنا الرياشي قال حدثنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا القاسم بن الفضل قال حدثنا ابن أخت العجاج عن العجاج قال : « قال لي أبو هريرة ممن أنت؟ قال قلت من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك بقعان الشام^(١) فيأخذوا صدقتك فإذا أتوك فتلقهم بها فإذا دخلوها فكن في أقاصيها واخل عنهم وعنهما ، وإياك وأن تسبهم فانك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك وإن صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة » .
وفي رواية أخرى أنه قال : « إذا أتاك المصدق فقل : خذ الحق ودع الباطل ، فإن أبا فلا تمنعه إذا أقبل ولا تلغنه إذا أدبر فتكون عاصيا ختف عن ظالم » .
وكان يقال : « طاعة السلطان على أربعة أوجه : على الرغبة ، والرغبة . والمحبة ، والديانة » .

وقرأت في بعض كتب العجم كتابا لأردشير بن بابك إلى الرعية ، نسخته :
« من أردشير الموبد ذي البهاء ملك الملوك ووارث العظماء ، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين ، والأماورة الذين هم حفظة البيضة ، والحناب الذين هم زينة المملكة ، وذوى الحرث الذين هم عمرة البلاد . السلام عليكم ، فانا بحمد الله صالحون وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا إتاوتها الموظفة عليها . ونحن مع ذلك كاتبون اليكم بوصية : لاتستشعروا الحقد فيدتهكم العدو ، ولا تحتكروا فيشملكم الفحط ، وترؤجوا في القرابين فانه أمس للرحم وأثبت للنسب ، ولا تعدوا هذه الدنيا شيئا فانها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال إلا بها » .

(١) بقعان الشام خدمهم وعبيدهم . شبههم لبياضهم وسوادهم بالقراب الأبقع وهو ما خالط مسواده بياض . يعنى بذلك الروم والسودان .

(٢) في النسخة الألمانية : الموبد ، والموبد كالموبدان فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٣) في النسخة الألمانية : عمود .

وقرأت كتاباً من أرسطاطاليس إلى ألكسندر وفيه : « املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها فان طلبك ذلك منها باحسانك هو أدوم بقاء منه باعتسافك، وأعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها الى القلوب بالمعروف، وأعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول، قدرت على أن تفعل، فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل » .

وقرأت في كتاب الآيين^(١) أن بعض ملوك العجم قال في خطبة له : « إني إنما أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر » . ونحوه قول العجم : « أسوس الملوك من قاد أبدان الرعية الى طاعته بقلوبها » . وقالوا : « لا ينبغي للوالى أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة [كرهاً]^(٢) ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر وصواب الرأي والتدبير » .

حدثنا الرياشي عن أحمد بن سلام عن شيخ له قال : « كان أنوشروان إذا ولى رجلاً امر الكاتب أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوقع فيه بخطه فإذا أتى بالعهد وقع فيه : سُس خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سَفلة الناس بالإخافة » .

قال المدائني : « قدم قادم على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية : هل من مَغْرَبَة خبر؟ قال نعم، نزلت بماء من مياه الأعراب فبينما أنا عليه إذ أورد أعرابي إبله فلما شربت ضرب على جنوبها وقال عليك زياداً. فقالت له : ما أردت بهذا؟ قال : هي سُدَى ، ما قام لي بها رابع مذ ولى زياد. فسر ذلك معاوية وكتب به الى زياد » .

(١) الآيين كلمة فارسية عربيها العرب واستعملوها ومعناها القانون والعادة، ولاين المقفع تأليف بيذا

الاسم ذكره صاحب الفهرست (ملخص مما كتبه حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكي باشا

عن هذه الكلمة في كتاب التاج ص ١٩) ولعل الذي نقل عنه المؤلف هو آيين ابن المقفع .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

قال عبد الملك بن مروان : « أنصفونا يا معشر الرعية ، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ! ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر ! نسأل الله أن يعين كلاً على كل » .

قال عمر بن الخطاب : « إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوى في غير عنف » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « إني لأجمع أن أخرج للمسلمين امراً من العدل فأخاف أن لا تحمله قلوبهم فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا ، فان نقرت القلوب من هذا سكنت الى هذا » .

قال معاوية : « لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما آتتقطعت . قيل : وكيف ذلك؟ قال : كنت اذا مدها خلتها واذا خلّوها مددتها » .

ونحو هذا قول الشعبي فيه : « كان معاوية كالجمل الطّب ، اذا سُكت عنه تقدّم واذا رُدّ تأخر » . والجمل الطّب الحاذق بالمشى وهو الذي لا يضع يديه إلا حيث يبصر . وقول عمر فيه : « احذروا آدم قريش وابن كريمها ، من لا ينسام إلا على الرضا ويضحك في الغضب ويأخذ ما فوقه من نخته » .

وأغلظ له رجل فحلم عنه فقيل له : أتحملم عن هذا؟ فقال : « إني لا أحوّل بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ساطننا » .

كان يقال : « لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة » .

(*) في الأصل الفتوغرافي : من

قال زياد : « أحسنوا الى المزارعين فانكم لا تزالون سمانا ما سمينا » .
 وكتب الوليد الى الحجاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه : « إني أبتقت رأيي وأتممت هواي ، فأدريتُ السيد المطاع في قومه ، ووليت الحرب الحازم في أمره .
 وقلدت الخراج الموفر لأمانته ، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظاً من نظري ولطيف عياني . وصرفت السيف الى النظيف المسىء ، والثواب الى المحسن البريء نخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب » .
 وكان يقول لأهل الشام : « [إنما] أنا لكم كالظلم الرائخ عن فراخه : ينفي عنها القدر ويباعد عنها الحجر ويكثرها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب .
 يا أهل الشام أتم الجنة والرداء وأتم العدة والحذاء » .
 نخر سأم مولى زياد زياد عند معاوية فقال معاوية : « اسكت ما أدرك صاحبك شيئاً قط بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني » .
 وقال الوليد لعبد الملك : يا أبت ما انسياسة ؟ قال : « هيبة الخاصة مع صدق مودتها وأقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنائع » .
 وفي كتب العجم : « قلوب الرعية خزائن ملوكها فما أودعها من شيء فتلعه أنه فيها » .
 ووصف بعض الملوك سياسته فقال : « لم أهزل في وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولا عاقبت للغضب وأستكفيت على الجزاء وأثبت على العناء لا للهوى .
 وأودعت القلوب هيبة لم يشبها مقت وودا لم تشبهه جرة وعممت بالقوت ومنعت الفضول » .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية .

(٢) في الأصل الفتوغراي : قلوب الرعية خزائن ملكها فما أودعها من شيء . فليعلم أنه فيها .

(٣) في الأصل الفتوغراي : القلوب .

- وقرأت في كتاب التاج : قال أبو يزيد لابنه شيرويه وهو في حبسه : « لا توسعن على جنديك فيستغنوا عنك ولا تضيقن عليهم فيضجوا منك ، أعطهم عطاء قسداً وأمنهم منعا جميلا ووسع عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء» . ونحوه قول المنصور في مجلسه لقواده : صدق الأعرابي حيث يقول : أجمع كالك يتبعك . فقام أبو العباس الطوسي فقال : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك .
- وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : « أما بعد ، فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا فأثر نصيبك من الله فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وأخيفوا الفساق وأجعلوهم يدا يدا ورجلا رجلا ، وعد مرضى المسلمين وأشهد جنائزهم واتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك فانما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا ، وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بوادٍ خصيب فلم يكن لها هم إلا السمن وإنما حثفها في السمن ، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيتُهُ ، وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام» .
- ١٥ هشام بن عروة قال : « صلى يوما عبد الله بن الزبير فوجم بعد الصلاة ساعة فقال الناس : لقد حدث نفسه . ثم التفت إلينا فقال : لا يبعدن ابن هند ! إن كانت فيه لمخارج لا نجد لها في أحد بعده أبدا ، والله إن كنا لنفرقه وما الليث الحربُ على برائه بأجراً منه فيتفارق لنا . وإن كنا لخدعه وما ابن ليلةٍ من أهل الأرض بأدهى منه

(*) ضبط في الأصل الفتوغرافي هكذا (مرض) ويظهر أنه من عمل النسخ ، وفي الأصل الألماني :

فَتَتَّخَذُ لَنَا ، والله لو ددت أنا مُتَعَنًا به ما دام في هذا حجر (وأشار إلى أبي نيس) لا يُتَخَوَّنُ له عقل ولا تَنْتَقِصُ له قُوَّةٌ ، قلنا : أَوْحَشَ والله الرجلُ . قال : وكان يَصُلُّ بهذا الحديث : كان والله كما قال العُدْرِي

رَكُوبُ الْمَنَابِرِ وَتَأْبَاهَا * مَعْنُ بِمُخَطَّبَتِهِ مَجْهَرٌ
تُرِيحُ إِلَيْهِ هَوَادِي الْكَلَامِ * إِذَا خَطِلَ النَّثْرُ الْمَهْمَرُ^(١)

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا جدُّ سُرَانِ^(٢) وَسُرَانُ عَمُّ الْأَصْمَعِيِّ قال : « كَلِمَةُ النَّاسِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنْ يَكْلِمَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي أَنْ يَلِينَ لَهُمْ فَانَهُ قَدْ أَخَافَهُمْ حَتَّى إِنَّهُ قَدْ أَخَافَ الْأَبْكَارَ فِي خَدُورِهِمْ . فَقَالَ عَمْرُ : إِنِّي لَا أَجِدُ لَهُمْ إِلَّا ذَلِكَ ، إِنَّهُمْ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ عِنْدِي لِأَخَذُوا ثَوْبِي عَنْ عَاتِقِي^(٣) » .

قال وتقدمت إليه امرأة فقالت : « يَا أَبَا عَمْرٍ حَفْصُ ، اللَّهُ لَكَ ، فَقَالَ : مَا لَكَ أَعْقِرْتِ ؟ أَيْ دُهِنْتَ فَقَالَتْ صَلَعْتُ فَرَقْتَكِ^(٤) » .

قال أشجع السلمي في إبراهيم بن عثمان

لَا يُصْلِحُ السُّلْطَانَ إِلَّا شِدَّةٌ * تَغْشَى الْبِرِيءَ بِفَضْلِ ذَنْبِ الْمَجْرِمِ
وَمِنَ الْوَلَاةِ مَقْحَمٌ لَا يُتَّقَى * وَالسِّيفُ تَقَطَّرَ شَفْرَتَاهُ مِنَ الدَّمِ
مَنْعَتْ مَهَابَتُكَ النُّفُوسَ حَدِيثَهَا * بِالْأَمْرِ تَكْرَهُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ

(١) في التاج مادة هم ر: وخطيب مهمر: مكثر. وأورد هذا البيت. وفي الأصل الفتوغرافي "مهمر" ولم نجده في القاموس ولا في اللسان.

(٢) كذا بالأصل الفتوغرافي عاريا عن الضبط، وضبط في النسخة الألمانية بضم أوله وقد بجناعه فلم يند إليه.

(٣) في الأصل الألماني: من على.

(٤) كذا بالأصلين الفتوغرافي والألماني ولعله محرف عن "عمر" وكأنها أرادت أن تناديه بقولها يا أبا حفص عمر، فقالت من دهشتها يا أبا عمر حفص كما قالت في آخر الحكاية صلت فرقتك وكأنها أرادت أن تقول فرقت صلتك.

(٥) في الأصل الألماني هلمت وهو تحريف.

كان يقال : « شر الأمراء أبعدهم من القرأء وشر القرأء أقربهم من الأمراء » .
 كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حصص الى عمر : « إن مدينة حصص قد تهتم
 حصنها^(١) ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى إصلاحه » فكتب اليه عمر « أما بعد ،
 فحصنها بالعدل ، والسلام » .

- ٥ ذكر أعرابى أميرا فقال : « كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون
 على عيونته ، فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالمحسن راج والمسىء خائف » .
 كان جعفر بن يحيى يقول : « الخراج عمود الملك وما استغزير بمثل العدل ولا استنزر
 بمثل الظلم » .

- وفى كتاب من كتب العجم أن أردشير قال لابنه : « يا بنى ، إن الملك والدين
 ١٠ أخوان لاغنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أس والملك حارس ، وما لم يكن له أس
 فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع . يا بنى ، اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك
 لأهل الجهاد وبشرك لأهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول » .
 وكان يقال : « مهما كان فى الملك فلا ينبغى أن تكون فيه خصال خمس : لا ينبغى
 أن يكون كذابا فانه إذا كان كذابا فوعد خيرا لم يرج أو وعد بشر لم يخف ،
 ١٥ ولا ينبغى أن يكون بخيلا فانه إذا كان بخيلا لم ينصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا
 بالمناصحة [ولا ينبغى أن يكون حديدا فانه إذا كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية]
 ولا ينبغى أن يكون حسودا فانه إذا كان حسودا لم يشرف أحدا ولا يصلح الناس
 إلا على أشرافهم ، ولا ينبغى أن يكون جبانا فانه إذا كان جبانا ضاعت ثغوره وأجترأ
 عليه عدوه » .

٢٠ (١) فى الأصل الفتوغرافى سورها وكتب فوقها كالنفسير لها : حصنها .
 (٢) هذه الجملة سقطت فى الأصل الفتوغرافى من سهو الناسخ .

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان: وأبتاه، وبكت .
فقال معاوية: « يا أبنة أختي إن الناس أعطونا طاعة وأعطيتناهم أمانا وأظهرنا لهم
حلما تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان
أنصاره فإن نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعليتنا تكون أم لنا، ولأن تكوني بنت عم
أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين » .

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي: « إن المسلمين ولوك أمرهم بعد علي
فشمّر للحرب وجاهد عدوك ودار أصحابك وأشتر من الضنين دينه بما لا يثلم دينك
وول أهل البيوتات والشرف تستصلح بهم عشائهم حتى تكون الجماعة فان بعض
ما يكره الناس، ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدي الى ظهور العدل وعز الدين، خير
من كثير مما يحبون إذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور ووهن الدين » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأعمش عن إبراهيم
قال: « كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألم عن حالهم وأسعارهم وعن يعرف من أهل
البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف؟ وهل يعود المريض؟ فان قالوا نعم،
حمد الله تعالى، وإن قالوا لا، كتب اليه: أقبل » .

اختيار العمال

رُوي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة كتب عهدا فيه:
« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله عند آخر عهده
بالدنيا وأقول عهده بالآخرة، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر: اني
استعملت عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك علمي به، وإن جار وبذل فلا علم

لی بالقیب ، والخیر أردتُ ، ولكل امرئ ما اكتسب (وسیعلم الذین ظالموا آیةً
مُنْقَلَبٌ یَنْقَلِبُونَ) .

وفی التاج أن أبْرُويزَ كَتَبَ إلى ابنه نِشِرويه من الحبس : « لیکن من تختاره
لولايتك أمراً [كان] في ضعة فرفته ، أو ذا شرف وجدته مهتضاً فأصطنعته ،
ولا تجعله أمراً أصبته بعقوبة فأتضع عنها ولا أمراً أطاعك بعد ما أذللته ولا أحداً
من يقع في خلدك أن إزالة سلطانك أحب له من ثبوته ، وإياك أن تستعمله ضرعاً
عُمراً كثر إعجابه بنفسه وقلت تجاربه في غيره ، ولا كبيراً مديراً قد أخذ الدهر من عقله
كما أخذت السن من جسمه » .

وقال لقيط في هذا المعنى

فقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا إن رضاء العيش ساعده * ولا إذا عض مكروه به خشعا^(۳)
ما زال يجلب درّ الدهر أشطره * يكون متبعا يوماً ومتبعا
حتى استمرت على شزير مريرته * مستحكماً السن لا نخما^(۴) ولا ضرعاً

ويقال في مثل : « رأى الشيخ خير من مشهد الغلام » ومن أمثال العرب أيضاً
في المجرب « العوان لا تعلم الحجرة » .

۱۵

(۱) زيادة عن النسخة الألمانية . (۲) في النسخة الألمانية : خير .

(۳) في النسخة الألمانية : خضعا .

(۴) هكذا في النسخة الألمانية وفي الأصل الفنوغرافي " فخما " وكتب تحتها كالتفسير له " كيرا "

والصواب " فخما " ومعناه كبير السن جداً ونظيره من شعر العرب قوله

له حركات الدهر من غير كبرة * تشين فلا فان ولا ترع عُمر

۲۰

قال بعض الخلفاء : دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهنتي . قالوا : كيف تريده؟ قال : « إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم » قالوا : لا نعلمه إلا الربيع بن زياد [الحارثي] . قال : صدقم ، هو لها .

وروى الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال ، قال المجاج : دلوني على رجل للشرط فقيل : أي الرجال تريد؟ فقال : « أريده دائم العُبوس طويل الجلوس سمين الأمانة أعجف الخيانة لا يخفق^(٢) في الحق على جرة يهون عليه سبب الأشراف في الشفاعة » فقيل له : عليك بعبد الرحمن بن عبيد التيمي . فأرسل اليه يستعمله ، فقال له : لست أقبلها إلا أن تكفيني عيالك وولدك وحاشيتك . قال : يا غلام ، ناد في الناس : من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة . قال الشعبي : فوالله ما رأيت صاحب شرطة قط مثله ، كان لا يجلس إلا في دين ، وكان إذا أتى برجل قد نقب على قوم وضع منقبته في بطنه حتى تخرج من ظهره ، وإذا أتى بنبأش حنم له قبرا فدفنه فيه ، وإذا أتى برجل قاتل بحديدة أو شهر سلاحا قطع يده ، وإذا أتى برجل قد أحرق على قوم منزلم أحرقه ، وإذا أتى برجل يشك فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شيء ضربه ثلاثمائة سوط . قال : فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يؤتى بأحد فضم اليه المجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة .

(١) زيادة عن النسخة الألمانية .

(٢) كذا بالأصلين الفسوي والالمانى وهو تحريف والصواب لا يفتق في الحق على جرة ، يقال ما يفتق فلان على جرة وما يكظم على جرة اذا لم ينطو على حقد ودغل ومنه حديث عمر رضى الله عنه : « لا يصلح هذا الأمر إلا لمن لا يفتق على جرة » اه . انظر اللسان في مادة حتى .

وقرأت فی کتاب ابرویزالی ابنه شیرویه : « انتخب لخراجك احد ثلاثة :
 اما رجلا یظهر زهدا فی المال ویدعی ورعا فی الدین فان كان كذلك عدل
 علی الضعیف وأنصف من الشریف ووفر الخراج وأجتهد فی العیارة، فان هو لم یرع
 ولم یعف إبقاء علی دینه ونظرا لأمانته كان حریاً أن یخون قلیلاً ویوفر کثیراً استسراً
 بالریاء واكتتاما بالخیانة ، فان ظهرت علی ذلك منه عاقبتہ علی ماخان ولم تحمده علی
 ماوفر، وإن هو جألح فی الخیانة وبارز بالریاء نككت به فی العذاب واستنظفت ماله
 مع الحبس . أوجلا عالماً بالخراج غنيا فی المال مأمونا فی العقل فیدعوه علمه
 بالخراج الی الاقتصاد فی الحلب والعیارة للأرضین والرفق بالرعیة، ویدعوه غناه الی العفة
 ویدعوه عقله الی الرغبة فیما ینفعه والرهبه مما یضره . أوجلا عالماً بالخراج مأمونا
 بالأمانة مُقْتراً من المال فتوسع علیہ فی الرزق فیغتم لحاجته الرزق ویستکثر لفاقته
 الیسیر، ویزجی بعلمه الخراج، ویعف بأمانته عن الخیانة . »

استشار عمر بن عبد العزیز فی قوم یستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : علیک
 بأهل العُدْر . قال : ومن هم ؟ قال : الذین إن عدلوا فهو ما رجوت منهم وإن
 قصروا قال الناس : قد اجتهد عمر .

قال عدی بن أرطاة لإیاس بن معاویة : دلنی علی قوم من القراء أولهم . فقال له :
 القراء ضربان : فضرِب يعملون للآخرة ولا يعملون لك، وضرِب يعملون للدنیا،
 فما ظنك بهم إذا أنت ولیتهم فكنتهم منها ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : علیك بأهل
 البیوتات الذین یستحیون لأحسابهم فوهم .

أحضر الرشید رجلاً لیولیة القضاء فقال له : إنی لا أحسن القضاء ولا أنا فقیه .
 قال الرشید : فیک ثلاث خلال : لك شرف والشرف ینع صاحبه من الدناءة .

ولك حلم يمنعك من العجلة ، ومن لم يعجل قل خطؤه . وأنت رجل تشاور
في أمرك ومن شاور أكثر صوابه . وأما الفقه فسينضم اليك من نتفقه به . فولي فإ
وجدوا فيه مطعنا .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثني صالح بن رستم أبو عامر
الخرّاز قال قال لي إياس بن معاوية المزني : أرسل إلى عمر بن هبيرة فأتيته فساكتني
فسكت ، فلما أطلت قال : إيه . قلت : سل عما بدا لك . قال : أتقرأ القرآن ؟ قلت
نعم . قال : هل تفرض الفرائض ؟ قلت نعم . قال : فهل تعرف من أيام العرب
شيئا ؟ قلت نعم . قال : فهل تعرف من أيام العجم شيئا ؟ قلت : أنا بها أعلم .
قال : إني أريد أن أستعين بك . قلت : إن في ثلاثا لا أصلح معهن للعمل .
قال : ما هن ؟ قلت : أنا دميم كما ترى ، وأنا حديد ، وأنا عي . قال : أما الدمامة
فإني لا أريد أن أحاسن بك الناس ، وأما العي فإني أراك تعبر عن نفسك ، وأما سوء
الخلق فيقومك السوط . قم ، قد وليتك . قال : فولاني [وأعطاني^(*) ألفي درهم
فهما أول مال تمولته .

قرأت في كتاب للهند : « السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه وأطرحه
مخافة ضره ، فعّل الذي تلسع الحية إصبغه فيقطعها لئلا ينتشر سمها في جسده ، وربما
أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغناء يجده عنده كتكأره المرء على الدواء
البشع لنفعه » .

حدثني المعلّى بن أيوب قال سمعت المأمون يقول : « من مدح لنا رجلا فقد

تضمن عيبه » .

(*) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

باب صحبة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلونه

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن الشعبي عن عبد الله بن عباس قال : قال لي أبي : « يا بُنيَّ إني أرى أمير المؤمنين يستخلك ويستشيرك ويقدمك على الأكارم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإني أوصيك بخلال أربع : لا تفشين له سرا ، ولا يجربن عليك كذبا ، ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا تطو عنه نصيحة » قال الشعبي قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف . قال : إي والله ومن عشرة آلاف .

كان يقال : « إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا ، وإن زادك فزده » .

قال زياد لابنه : « إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له ثم أصفح صفحا جميلا ، ولا يرين منك تهالكا عليه ولا انقباضا عنه » .

قال مسلم بن عمرو : « ينبغي لمن خدم السلطان ألا يفتربهم إذا رضوا عنه ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه ولا يستثقل ما حملوه ولا يلحف في مسئلتهم » .

وقرأت في كتاب للهند : « صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطار ، وإنما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية ، فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد ، وليس يتكافأ خير السلطان وشره لأن خير السلطان لا يعدو مزيد الحال ، وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفوس التي لها طلب المزيد ، ولا خير في الشيء الذي في سلامته مال وجاه وفي نكته الجائحة والتلف » .

وقرأت فيه : « من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغیظ وأطراح للأنفة ، وصل الى حاجته » .

وقرأت فيه : «السلطان لا يتونى بكرامته الأفضل فالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كالكرم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه» .

وكانت العرب تقول : «إذا لم تكن من قُربان الأمير فكن من بُعدانه» .

وقرأت في آداب ابن المقفع : « لا تكونن صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فان كنت حافظا إذا ولّوك ، حذرا إذا قربوك ، أمينا إذا آتمنوك ، تعلمهم وكأنك تتعلم منهم ، وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم ، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر ، ذليلا إن صرّموك^(١) ، راضيا إن أسخطوك ، وإلا فالبعد منهم كلّ البعد والحذر منهم كلّ الحذر . وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فانه من يخدم^(٢) السلطان بحقه يحلّ بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل^(٣) الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة» .

وقال : «إذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة في غير طول المعاتبة ، وإذا نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثرن له في الدعاء إلا أن تكلمه على رءوس الناس ولا يكونن طلبك ما عنده بالمسئلة ولا تستبطئنه إن أبطأ . اطلبه بالاستحقاق ولا تخبرنه أن لك عليه حقا وأنت تعتد عليه ببلاء . وإن استطعت ألا ينسى حقك وبلاءك بتجديد النصيح والاجتهاد فافعل . ولا تعطينه المجهود كله في أول صحبتك له فلا تجد موضعا للزيد ولكن دع للزيد موضعا . وإذا سأل غيرك فلا تكن المجيب . وأعلم أن استلابك للكلام خفة بك واستخفاف منك بالسائل والمسئول ،

(١) في الادب الكبير : ضاموك ، وفي نسخة منه ظلموك . (٢) في الادب الكبير : ومن لا يأخذه بحقه .

(٣) في الادب الكبير : من يأخذ عمل . (٤) في الأصل الفئوغرافي : وإن .

فما أنت قائل إن قال لك السائل : ما إياك سألت ، وقال لك المسئول : اجب أيها المعجَّب بنفسه المستخفِّ بسلطانه ؟ » .

وقال : « مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب » .

وقال عبد الملك بن صالح لمؤدب ولده بعد أن أختصه لمجالسته ومحدثه : « كن

٥ على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فانهم قالوا : إذا اعجبك الكلام فاصمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم . [يا عبد الرحمن (*) لا تساعدني

على ما يقبح بي ولا تردن على الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت والتمنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى . وكلمني بقدر

ما استنطقتك واجعل بدل التقريظ لي حسن الاستماع مني . واعلم أن صواب

١٠ الاستماع أقل من صواب القول . وإذا سمعتني أتحدث فأرني فهمك في طرفك وتوقفك ولا تجهد نفسك في نظرية صوابي ولا تستدع الزيادة من كلامي بما تظهر من

استحسان ما يكون مني ، فمن أسوأ حالا ممن يستكده الملوكة بالباطل فيدل على تهاونه ،

وما ظنك بالملك وقد أحلك محل المعجَّب بما تسمع منه وقد أحلته محل من لا يسمع

منه؟ واقل من هذا يُحيط إحسانك ويُسقط حق حرمته إن كانت لك . إني جعلتك

١٥ مؤدبا بعد أن كنت معلما وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباحدا .

ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه ، ومن لم يعرف

سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يبلى » .

دخل أبو مسلم على أبي العباس وعنده أبو جعفر فسلم على أبي العباس فقال له :

يا أبا مسلم ، هذا أبو جعفر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا موضع لا يقضى فيه

إلا حقك .

٢٠

(*) زيادة عن النسخة الألمانية .

قال الفضل بن الربيع : « مسألة الملوك عن أحوالهم من تحيات النواحي ، فاذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ، فقل : أصبح الله الأمير بالكرامة . وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه ، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ، فان المسئلة توجب الجواب فان لم يجيبك اشتد عليك وإن أجابك اشتد عليه » .

وقرأت في آداب ابن المقفع : « جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان ولا يجعنك وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تُثني عليه عند أحد ، فاذا رأيتَه قد بلغ في الانتقام ما ترجو أن يلين بعده فاعمل في رضاه عنك برفق وتلطّف ، ولا تُسار في مجلس السلطان أحدا ولا تومئ اليه بجفك وعينك فان السّرار ينجّل الى كل من رآه من ذى سلطان وغيره أنه المراد به ، وإذا كلمك فاصغ الى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس » .

وقرأت في كتاب للهند أنه أهدى لملك الهند ثياب وحلّى فدعا بامرأتين له وخير أحظاهما عنده بين اللباس والحلية ، وكان وزيره حاضرا ، فنظرت المرأة اليه كالمستشيرة له فغمزها باللباس تفضيلاً بعينه ، ولحظه الملك ، فاخترت الحلية لئلا يظن للغمزة ، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه لئلا تقرّ تلك في نفس الملك وليظن أنها عادة أو خلقة وصار اللباس للآخرى [فلما حضرت الملك الوفاة قال لولده : توصّ بالوزير خيرا فإنه اعتذر من شيء يسير أربعين سنة] .

قال شبيب بن شيبه : « ينبغي لمن سائر خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لم يحتج الى أن يلتفت : ويكون من ناحية إن

(١) في الأدب الكبير « من الإعتاب مما سحق عليه فيه ما ترجو أن يلين له به قلب الوالي » والإعتاب الجوع عن الاساءة .

(٢) في الأدب الكبير : عه . (٣) زيادة عن الأصل الفوتوغرافي .

التفت لم تستقبله الشمس ، وإن سار بين يديه أن يجيد عن سنن الريح التي تؤدى الغبار الى وجهه » .

قال رجل من النساك لآخر : « إن آبتليت بأن تدخل الى السلطان مع الناس فأخذوا في الثناء فعليك بالدعاء » .

قال ثُمَامَة : كان يحيى بن أكرم يمشى المأمون يوماً في بستان موسى^(١) والشمس عن يسار يحيى والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحدان حتى بلغ حيث أراد ثم كر راجعاً في الطريق التي بدأ فيها فقال ليحيى : كانت الشمس عليك لأنك كنت عن يسارى وقد نالت منك فكن الآن حيث كنت وأتحول أنا إلى حيث كنت . فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين لو أمكننى أن أفيك هؤل المطع بنفسى لفعلت . فقال المأمون : لا والله ما بُدُّ من أن تأخذ الشمس منى مثل ما أخذت منك . فتحول يحيى وأخذ من الظل مثل الذى أخذ منه المأمون .

وقال المأمون : « أول العدل أن يعدل الرجل على بطأته ثم على الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى » .

المدائنى قال ، قال الأحنف : « لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فانه من أشرف للسلطان أذراه ومن تضرع له أحظاه »^(٢) .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني محمد بن عمرو الرومى [قال حدثنا زهير بن معاوية]^(٣) عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع قال ، قال حذيفة بن اليمان : « ما مشى قوم قط الى سلطان الله فى الأرض ليدلوه إلا أذلم الله قبل أن يموتوا » .

(١) كذا بالأصل ، وفى العقد الفريد : مؤنسة بنت المهدي .

(٢) هكذا فى الألمانية ، وفى الفتوغرافية أخطاه . وفى العقد الفريد : ومن تطامن له تخطاه ، قال : شهبوا السلطان بالريح الشديدة التي لا تضر بما لان وتمايل معها من الشجر والحشيش ، وما استهدف لها نصه . (٣) زيادة عن النسخة الألمانية .

وفي أخبار خالد بن صفوان أنه قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدنانى حتى كنت أقرب الناس منه فتنفس ثم قال : يا خالد، لرب خالدٍ قعد مقعدك هذا أشهى الى حديثنا منك . فعلمت أنه يعنى خالد بن عبد الله . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أفلا تعيده؟ فقال : إن خالدًا أدلَّ فأملَّ وأوجف فأعجف ولم يدع لراجع مرجعا ، على أنه ما سألتى حاجة . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ذاك أحرى . فقال : هيات إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكن ^(١) * إليه بوجهٍ آخر الدهر تُقبل

حدثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هذا الحديث ، وبيعه نبيك : اعتل ^(٢) يحيى بن خالد فبعث الى منكه الهندى فقال له : ما ترى فى هذه العلة؟ فقال منكه : داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر، وكان متفنا ^(٣) . فقال له يحيى : ربما ثقل على السمع خطرة الحق به ، فاذا كان ذلك كانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه . قال منكه : صدقت ولكنى أرى فى الطوالع أثرا والأمد فيه قريب وأنت قسيم فى المعرفة وقد نُهيت ، وربما كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتاج ولكن الأخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين . قال يحيى : للأمر منصرف الى العواقب وما حتم لا بد من أن يقع ، والمنعة ^(٤) بمسألة الأيام نُهزة فاقصد لما دعوتك له من هذا الأثر الموجود بالمزاج . قال منكه : هى الصنفاء مازجتها مائة من البلغم فحدث لها بذلك

(١) الرواية المشهورة فى هذا البيت : لم تكن .

(٢) ورد هذا الاسم فى النسخة الألمانية مضبوطا بضم النون وفتح الهاء . وفى تقريب التهذيب لابن حجر : «نبيك» بوزن عظيم ابن يريم . وفى تحفة ذكرى الأرب فى مشكل الاسماء والنسب لابن خطيب الدهشة : «نبيك» ككريم آخره كاف حيث وقع اسما وكنية .

(٣) كذا بالعقد الفريد وفى النسخة الفتوغرافية : «متعقا» وفى النسخة الألمانية : «منعيا» وكلاهما من تحريف النساخ .

(٤) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافية : «المنعة» وفى الألمانية : «المنعة» وكلاهما محرف .

- ما يحدث للهب عند مماسته رطوبة المادة من الاشتعال نخذ ماء رمانين فدقهما^(۱) بإهليلجة سوداء^(۲) تُهضك^(۳) مجلسا [أو مجلسين] وتسكن ذلك التوقد الذي تجد إن شاء الله . فلما كان من حديثهم الذي كان ، تلطف منك حتى دخل على يحيى فى الحبس فوجده جالسا على ليد ووجد الفضل بين يديه يمهن^(۴) أى يخدم فاستعبر منك وقال : قد كنت ناديت لو أعرت^(۵) الإجابة . قال له يحيى : أترك علمت من ذلك شيئا جهلته؟ كلا ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشفق وكان مزايلة القدر الخطير عبئا قلما تنهض به الهمة . وبعد فقد كانت نعم أرجو أن يكون أولها شكرا وآخرها اجرا . فما تقول فى هذا الداء؟ قال له منك : ما أرى له دواء أنجع من الصبر ، ولو كان يندى بمال أو مفارقة عضو كان ذلك مما يجب لك . قال يحيى : قد شكرت لك ما ذكرت فان أممك تعهدنا فافعل . قال منك : لو أممكتنى تخليف الروح عندك ما بنحت بذلك ، فانما كانت الأيام تحسن لى بسلامتك . قال الفضل كان يحيى يقول : دخلنا فى الدنيا دخولا أخرجنا منها .

- وقرأت فى كتاب للهند : « إنما مثل السلطان فى قلة وفائه للاصحاب ومخاء نفسه عن قعد منهم مثل البغى والمكتب ، كلما ذهب واحد جاء آخر » .
والعرب تقول : « السلطان ذو عدوان وذو بدوان وذو تدرا » يريدون أنه سريع الانصراف كثير البدوات هجوم على الأمور .

- (۱) كذا بالأصل الفتوغرافى وفى العقد الفريد : نخذ ماء الرمان فدق فيه إهليلجة الخ .
(۲) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافية هكذا "تنفضك" . وفى الألمانية : "تنفصك" وكلاما متحرىف .
(۳) الزيادة عن العقد الفريد .
(۴) فى الأصل الفتوغرافى كتب تحتها كالتفسير لها "يخدم" . وزيد فى النسخة الألمانية كأنه من الأصل
(۵) فى العقد الفريد "أسرعت" وفى الأصلين الفتوغرافى والألماني هكذا "أعرب" ونقل فى هامش النسخة الألمانية أ : "أعرت" ولعله الصواب .

قال معاذ ابن مسلم : رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة فترع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال : يا عبد الرحمن ، هات نعلي . بقاء بها ، فقال : يا معاذ ضعها في رجلي . فالبسته إياها فحقد ذلك أبو مسلم ، ووجه أبو جعفر يَقْطِين بن موسى الى أبي مسلم لاحصاء الأموال فقال أبو مسلم أفعَلَهَا ابنُ سلامةَ الفاعلة؟ لا يَكْنَى . فقال يَقْطِين : عَجَلتَ أيها الأمير، قال وكيف ؟ قال : أمرني أن أحصى الأموال ثم أسلمتها اليك لتعمل فيها برأيك . ثم قدم يَقْطِين على المنصور فأخبره . فلما قدم أبو مسلم المدائن في اليوم الذي قتل فيه جعل يضرب بالسوط مَعْرِفَةَ رِذْوَنه ويقول بالفارسية كلاما معناه : ما تُغْنِي المَعْرِفَةُ اذا لم يُقَدَّر على دفع المحتوم . ثم قال : جازة ذيلها ، تدعو يا ويلها ، بدجلة أو حولها . كأننا بعد ساعة ، قد صرنا في دجلة .

قال المنصور : « ثلاث كتن في صدري شفى الله منها : كتاب أبي مسلم إلى وأنا خليفة : عافانا الله وإياك من سوء . ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم ابن الحارثية؟ . وضرب سليمان بن حبيب ظهري بالسياط . »

قال المنصور لسلم ابن قتيبة : ماترى في قتل أبي مسلم ؟ فقال سلم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فقال : حسبك يا أبا أمية .

قال أبو دلّامة

أبا مجرم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد
أفي دولة المهدي حاولت غدره * ألا إن أهل الغدر آباؤك الكُرد
أبا مجرم خوفني القتل فاتمحي * عليك بما خوفني الأسد الورد

قال مروان بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه : « قد احتجت إلى أن تصير مع عدوى وتظهر الغدري ، فان إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تنفعي في حياتي وإلا لم تعجز عن حفظ . »

حُرمتي بعد وفاتي» فقال عبد الحميد: إن الذي أمرتني به انفع الأمرين لك وأقبحهما
بي وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله لك أو أقتل معك . وقال
أسيرٌ وفاء ثم أظهر غدره * فن لي بعدر يوسع الناس ظاهره

المشاوره والرأى

- ٥ حثنا الزيادةى قال حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال: « كان النبي
صلى الله عليه وسلم يستشير حتى المرأة فتشير عليه بالشيء فيأخذ به » .
وقرأت فى التاج أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه ، فقال أحدهم :
« لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحدا إلا خالبا به ، فانه أموت للسرو وأحزم للرأى
وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض ، فان إفشاء السرا الى رجل واحد
١٠ أوثق من إفشائه الى اثنين ، وإفشائه الى ثلاث كإفشائه الى العاقمة لأن الواحد رهن
بما أفشى اليه والثانى يطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فيه ، وإذا كان سر الرجل
عند واحد كان أحرى ألا يظهره رهبة منه ورغبة إليه ، وإذا كان عند اثنين
دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاريض ، فان عاقبهما عاقب اثنين
بذنب واحد ، وإن آتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن
أحدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه » .
١٥ وقرأت فى كتاب للهند أن ملكا استشار وزراء له ، فقال أحدهم : « الملك
الحازم يزداد برأى الوزراء الحزمية كما يزداد البحر بمواده من الأتهار ، وينال بالحزم
والرأى مالا يناله بالقوة والجنود ، وللأسرار منازل : منها ما يدخل الرهط فيه ، ومنها
ما يستعان فيه بقوم ، ومنها ما يستغنى فيه بواحد . وفى تحصين السر الظفر بالحاجة
٢٠ والسلامة من الخلل . والمستشير وإن كان أفضل رأيا من المشير ، فانه يزداد برأيه

(*) فى النسخة الفتوغرافية : إلا الصبر معك .

رأيا كما تزداد النار بالسليط ضرها . وإذا كان الملك محصّنا لسره بعيدا من ان يُعرف ما في نفسه متخيّرًا للوزراء مهيبا في أنفوس العامة كافيا بحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يامنه المريب متقدرا لما يُفقد وينفق ، كان خليقا لبقاء ملكه . ولا يصلح لسرنا هذا إلا لسانان وأربع آذان . ثم خلا به . »

قال أبو محمد : كتبت الى بعض السلاطين كتابا وفي فصل منه : « لم يزل حزمة^(*) الرجال يستحلون مرارة قول النصحاء ويستهدون العيوب ويستثيرون صواب الرأي من كلّ حتى الأمة الوكحاء ، ومن احتاج الى إقامة دليل على ما يدعيه من مودته وتقاء طويته فقد أغناني الله عن ذلك بما أوجبه الاضطراب إذ كنت أرجو بدوام نعمتك وارتفاع درجتك وانبساط جاهك ويدك زيادة الحال . »

وفي فصل آخر : « وقد تجلّت في هذا الكتاب بعض العتب وخالفت ما أعلم إذ عرضت بالرأي ولم أستشر وأحللت نفسي محل الخواص ولم أُحلّ ونزعت بي النفس ، حين جاشت وضافت بما تسمع ، عن طريق الصواب لها الى طريق الصواب لك ، وحين رأيت لسان عدوك منبسطا بما يدعيه عليك وسهامه نافذة فيك ، ورأيت وليك معكوما عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر ورأيت عوام الناس يخوضون بضروب الأقاويل في أمرك ، ولا شيء أضرّ على السلطان في حال ولا أنفع في حال منهم . وبما يُجرّيه الله على ألسنتهم تسير الركبان وتبقى الأخبار ويخلد الذكر على الدهر وتشرف الأعقاب ، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العدول الثقات . »

وفي فصل منه : « وسائس الناس ومدبر أمورهم يحتاج الى سعة الصدر واستشعار الصبر واحتمال سوء أدب العامة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والمنوع مما

(*) في الأصل الفتوغرافي : كتب الى بعض أصحاب السلطان الخ ، ولكن الحكاية تؤيد رواية النسخة

یسأل بتعريفه من أين منع ، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جمع لهم كل أسباب الرضا فكيف إذا منعوا بعضها ، ولا يعذرون بالعدر الواضح فكيف بالعدر الملتبس ، وأخوك من صدقك وأرتض لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك .

قال زياد لرجل يشاوره : « لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع ، وإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان : إضاعة السر ، وإحراج النصيحة . وليس موضع السر إلا أحد رجلين : رجل آخره يرجو ثواب الله ، أو رجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه ، وقد عجمتهما لك . »

وكتب بعض الكتاب : « اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ، ومثل لك الأحوال المخوفة عليك ، وخلط لك الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفتا لرجائك وشكرك إزاء النعمة عليك . وأن الغاش لك الحاطب عليك من مد لك في الاغترار ووطأ لك مهاد الظلم وجرى معك في عنانك منقادا لهواك . »

وفي فصل : « إني وإن كنت ظنينا عندك في هذه الحال ففي تدبرك صفحات هذه المشورة ما ذلك على أن تخرجها عن صدق وإخلاص . »

إبراهيم بن المنذر قال : استشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله ابن عمر في أخيه أبي بكر أن يولي القضاء ، فأشار عليه به ، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه ، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر ، فقال أبو بكر لعبيد الله : أنشدك بالله أترى لي أن ألي القضاء ؟ قال : اللهم لا . قال زياد : سبحان الله ! استشرتك فأشرت علي به ثم أسمعك تنهاه ! قال : أيها الأمير استشرني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك ، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحتنه .

كان نصر ابن مالك على شرط أبي مسلم . فلما جاءه إذنُ أبي جعفر في القدوم عليه استشاره فنهاه عن ذلك وقال : لا آمنه عليك ، قال له أبو جعفر لما صار إليه : استشارك أبو مسلم في القدوم على فنيته؟ قال نعم : قال وكيف ذلك؟ قال : سمعت أخاك إبراهيم الإمام يحدث عن أبيه محمد ابن علي قال « لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصح لمن استشاره » وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له .

قال معاوية : « لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه على ضغنا فاستشيره ، فيشير إلى منه بقدر ما يجده في نفسه فلا يزال يوسعني شتما وأوسعهُ حلما حتى يرجع صديقا أستعين به فيعتني وأستنجده فيُنجدني » .

وقرأت في كتاب إبرويزالي ابنه شيرويه وهو في حبسه : « عليك بالمشاورة فانك واجد في الرجال من ينضح لك الكي^(٢) ويحسم عنك الداء ويخرج لك المستكين ولا يدع لك في عدوك فرصة إلا انتهزها ولا لعدوك فيك فرصة إلا حصنها ، ولا يمنعك شدة رأيك في ظنك ولا علو مكانك في نفسك من أن تجمع إلى رأيك رأي غيرك فان أخذت اجتنيت وإن ذمت نفيت ، فان في ذلك خصالا : منها أنه إن وافق رأيك ازداد رأيك شدة عندك ، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك ، فان رأيت معتليا لما رأيت قيلت ، وإن رأيت متضعا عنه استغنيت ، ومنها أنه يجتد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ ويحض لك مودته وإن قصر » .

وفي كتاب للهند : « من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة ، أخطأ الرأي وازداد مرضا وحل الوزر » .

(١) نقل بهامش النسخة الألمانية عن نسخة "فيثور" الخ .

(٢) في الأصل "ينضح" وهو تحريف .

(٣) هكذا في النسخة الألمانية والفتوغرافية . والمناسب لما قبله "أذمت" يقال أذمته أي وجدته ذميا .

وفي آداب ابن المقفع: « لا يُقذفن في رُوعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك ، فيقطعك ذاك عن المشاورة ، فانك لا تريد الرأى للفخر به ولكن للانتفاع به . ولو أنك أردت الذكركان أحسن الذكرك عند الألباء أن يقال : لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه » .

قال عمر بن الخطاب: «الرأى الفرد كالخيط السَّحِيل، والرأيان كالخيطين المبرمين،
والثلاثة مِرَارٌ لا يكاد ينتقض» . وقال أشجع

رأى سرى وعيونُ الناس هاجعةٌ * ما أتحرا الحزم رأى قدم الحذرا

كتب الحجاج الى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة، فكتب اليه المهلب: «إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره» . وقيل لعبد الله ابن وهب الراسبي يوم عقدت له الخوارج: تكلم . فقال: ما أنا والرأى الفطير والكلام القضيبي .
وقال أيضا: نحير الرأى خير من فطيره ، ورب شىء غابته خير من طريته ، وتأخيره خير من تقديمه . وقيل لآخر: تكلم . فقال: ما أشتهى الخبز إلا باثنا .

كان ابن هبيرة يقول: « اللهم إني أعوذ بك من صحبة من غايته خاصة نفسه والانحطاط في هوى مستشيره ، ومن لا يلتمس خالص مودتك إلا بالتأتى لموافقة شهوتك ، ومن يساعدك على سرور ساعتك ولا يفكر في حوادث غدك » . وكان يقال: «من أعطى أربعا لم يُمنع أربعا: من أعطى الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أعطى التوبة لم يُمنع القبول، ومن أعطى المشورة لم يُمنع الصواب، ومن أعطى الاستخارة لم يُمنع الخيرة» . وكان يقال: لا تستشر معلمي ولا راعي الغنم ولا كثير القعود مع النساء . وكان يقال: لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جانعا ولا حاقن بول .

(*) في النسخة الألمانية مرار . والمرار: الحبل الذى أجيد فته .

وقالوا « لا رأى لحاقن ولا لحازق » وهو الذى ضغطه الخلف « ولا لحاقب » وهو الذى يجد رزًا فى بطنه . وقالوا أيضا : لا تشاور من لا دقيق عنده .

وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مرآزبته فقصرُوا فى الرأى دعا الموكِّين بأرزاقهم فعاقبهم ، فيقولون : تخطئ مرآزبتك وتعاقبننا ! فيقول : نعم ، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطئوا . وكان يقال : إن النفس إذا أحرزت [قوتها] ورزقها اطمأنت .

وقال كعب : لا تستشيروا الحاكة فان الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كسبهم .
قال الشاعر

وأنتع من شاورت من كان ناصحا * شفيقا فأبصر بعدها من تشاور
وليس بشافيك الشفيق ورأيه * غريب ولا ذوالرأى والصدرواغر

ويقال : علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة . وقال آخر

إذا بلغ الرأى النصيحة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة * فان الخوافى رافدات القوادم
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن * تؤوما فان الحزم ليس بنائم
وأدن من القربى المقرب نفسه * ولا تُشهد الشورى أمرا غير كاتم
وما خير كف أمسك الغل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم
فانك لن تستطرد الهمة بالمنى * ولن تبلغ العليا بغير المكارم

قال أعرابي : ما عُيِّنْتُ قط حتى يُعَبَّن قومي . قيل : وكيف ذلك ؟ قال :
لا أفعل شيئا حتى أشاورهم . وقيل لرجل من بنى عبس : ما أكثر صوابكم ! فقال :

نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه، فكأننا ألف حازم . ويقال : « ليس بين الملك وبين أن يملك رعيته أو تملكه إلا حزم أو توائن » .

وقال القطامي في معصية الناصح

ومعصية الشفيق عليك مما * يزيدك مرة منه استماعا
وخير الأمر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه اتباعا
كذلك وما رأيت الناس إلا * إلى ما جرّ غاويهم سراعا
تراهم يغمزون من آسرتكوا * ويحتنّبون من صدق المصاعا

وقال آخر، أنشدنيہ الرياشي

ومولّى عصاني وأسند برأيه * كما لم يطع بالبقّتين قصير
فلما رأى أن غبّ أمرى وأمره * ووات بأعجاز الأمور صدور
تمنى بئيسا أن يكون أطاعني * وقد حدثت بعد الأمور أمور

وقال سبيع لأهل الإمامة « يا بني حنيفة بعدا كما بعدت عاد وثمود، أما والله لقد أنباتكم بالأمر قبل وقوعه كأني أسمع جرسه وأبصر غيبه ولكنكم أبيتهم النصيحة فاجتنتم الندم، وأصبحتم وفي أيديكم من تكذبي التصديق ومن تهمتي الندامة، وأصبح في يدي من هلاككم البكاء ومن ذلكم الجزع، وأصبح ما فات غير مردود وما بقي غير مأمون، وإني لما رأيتكم تهمون النصيح وتسفّهون الحليم استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غرّة ولقد أمهلكم حتى ملّ الواعظ وهن الموعوظ وكنتم كأنما يُعنى بما أنتم فيه غيركم » .

وأشار رجل على صديق له برأى، فقال له : « قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذي

يخلط حلو كلامه بمرّه وحرّنه بسهله ويحرك الأشفاق منه ما هو ساكن من غيره » .

وقد وعبتُ النصح فيه وقبلته إذ كان مصدره من عند من لا يُشكُّ في مودته وصافي غيبه ، وما زلتُ بحمد الله الى كل خير طريقاً منهاجاً ومهيئاً واضحاً .

وكتب عثمان الى علي حين أحيط به : «أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبي وبلغ الحزام الطيبين وقد تجاوز الأمر بي قدره .

فان كنتُ ما كولا فكن خيراً آكل * وإلا فأدركني ولماً أمرق»

وقال أوس بن حجر

وقد أُعيبَ ابنَ العم إن كنتُ ظالماً * وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلاً

وإن قال لي ماذا ترى ؟ يستشيرني * يحدني ابن عمي مخلط الأمر مزيجاً

أقيم بدار الحزم ما دام حزمها . وأحر إذا حالت بأن أتحولاً

وأستبدل الأمر القوى بغيره * إذا عقَّد ماؤون الرجال تحللاً

وكان يقال : «أناة في عواقبها درك ، خير من معاجلة في عواقبها قوت» .

وأشدني الرياشي

وعاجزُ الرأي مضباع لفرصته * حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

وكان يقال : «روّ بحزم فاذا استوضحت فاعزم» .

الإصابة بالظن والرأي

كان ابن الزبير يقول : « لا تاش بخير من لم يربأيه ما لم يربعيه » . وسئل

بعض الحكماء : ما العقل ؟ فقال : «الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان» .

وكان يقال : «كفى مُخيراً عما مضى ما بقى . وكفى عبراً لأولى الألباب ما جربوا» . وكان

يقال : «كل شيء محتاج الى العقل . والعقل محتاج الى التجارب» . ويقال : «من لم

ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه» . وقال أوس بن حجر

الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعاً

وقال آخر

وأبغى صوابَ الظنِّ أعلمُ أنه * إذا طاش ظنُّ المرءِ طاشت مَقادِرُهُ

وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في عبد الله بن عباس : «إنه لينظر الى

الغيب من ستر رقيق» . ويقال : «ظنُّ الرجل قطعةً من عقله» . ويقال : «الظنون

مفاتيح اليقين» . وقال بعض الكتاب

أصونك أن أظنَّ عليك ظنا * لأن الظن مفتاح اليقين

وقال الكهيت

مثلُ التدبر في الأمر آتتأفكهُ * والمرء يعجز في الأقوام لا الحيل^(١)

وقال آخر

وكنت متى شهز لخطب أغشّه * ضرائب أمضى من رفاق المضارب

تجلَّته بالرأى حتى أريتَه * به ملء عيذه مكان العواقب

وقال آخر يصف عاقلا

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يرى بصواب الرأى ما هو واقع

وقال آخر في مثله

عالم بأعقاب الأمور برأيه * كان له في اليوم عيناً على الغد

وقال آخر يصف عاقلا

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال جثامة بن قيس^(٢) يهجو قوما

أنتم أناس عظام لا قلوب لكم * لا تعلمون أجراء الرشد أم غابا

(١) هكذا في النسخة الألمانية والفتوغرافية ، ولعله تحريف عن الاقدام .

(٢) في النسخة الفتوغرافية : وقال آخر .

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلة * ولا ترون وقد ولين أذنا
وقلما يفجا المكروه صاحبه * إذا رأى لوجوه الشر أسبابا
وقال آخر (*)

فلا يحذرون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر إلا تدبرا

ويقال : «ظن العاقل كهانة» . وفي كتاب للهند : «الناس حازمان وعاجز، فاحد
الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم ييطر وتلقاه بجيلته ورأيه حتى يخرج منه، وأحزم
منه العارف بالأمر إذا أقبل فیده قبل وقوعه ، والعاجز في تردد وتثن حائر بائر
لا ياتمر رشدا ولا يطيع مرشدا» .

وقال الشاعر

واني لأرجو الله حتى كأني * أرى بجميل الظن ما الله صانع

وقال آخر

وغير مرة من فعل غير * وغير مرتين فعال موق
فلا تفرح بأمر قد تدنى * ولا تأيس من الأمر السحيق
فان القرب يبعد بعد قرب * ويدنو البعد بالقدر المسوق
ومن لم يتق الضحاضح زلت * به قدماه في البحر العميق
وما آكتسب المحامد طالبوها * بمثل البشر وأوجه الطليق

وقال مروان بن الحكم لحبيش بن دبلجة : أظنك أحق . قال : «أحق ما يكون
الشيخ إذا عمل بظنه» . ونقش رجل على خاتمه : «الخاتم خير من الظن» . ومثله :
«طينة خير من ظنة» .

(*) في النسخة الفلنوغرافية وقال جثامة بن قيس . والبيت لجرير كما في اللسان .

اتباع الهوى

- كان يقال : الهوى شريك العمى . وقال عامر بن الظرب : الرأى نائم والهوى يقظان ، ولذلك يغلب الرأى الهوى . وقال ابن عباس : « الهوى إله معبود » وقرأ (أَفَرَأَيْتَ مَنْ آتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) . وقال هشام بن عبد الملك ، ولم يقل غيره
- إذا أنت لم تعص الهوى فادك الهوى * إلى بعض ما فيه عليك مقال
- وقال بزرجمهر : « إذا أشبه عليك أمران فلم تدري في أيهما الصواب ، فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه » .
- كان عمرو بن العاص صاحب عمارة بن الوليد إلى بلاد الحبشة ومع عمرو أمراته فوقعت في نفس عمارة فدفع عمرا في البحر فتعلق بالسفينة وخرج ، فلما ورد بلاد الحبشة سعى عمرو بعمارة إلى النجاشي وأخبره أنه يخالف إلى بعض نساءه فدعا النجاشي بالسواحر فنفضن في إحاليه فهام مع الوحش ، وقال عمرو في ذلك
- تعلم عمارة أن من شر شيمة * لملك أن يدعى ابن عم له أبنا
وإن كنت ذابردين أحوى مرجلا * فليست براء لابن عمك محرما
إذا المرء لم يترك طعاما يحببه * ولم يعص قلبا غاويا حيث يمتما
قضى وطرا منه يسيرا وأصبحت * إذا ذكرت أمثاله تملأ الفها
- وقال حاتم طي في مثله
- وإنك إن أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا
- وقال آخر
- جار الجنيده على محتجكما * جهلا ولست بموضع الظلم
أكل الهوى حجبي ورب هوى * مما سيأكل حجة الخصم
- قال امرأبي : « الهوى هوان ، ولكن غايط باسمه » .

وقال الزبير بن عبد المطلب

وأجتنب المقاذع حيث كانت * وأترك ما هويتُ لما خشيت

وقال البريق الهذلي

أين لي ما ترى والمرء تأتي * عزيزته ويغلبه هواه

فيعمى ما يرى فيه عليه * ويحسب ما يراه لا يراه

وكان يقال : «أخوك من صدقك وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك» .

السِّر وكتمانُه وإعلانه

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا محمد بن الحُصيب قال حدثني أوس بن

عبد الله بن بريدة عن أخيه سهل عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«استعينوا على الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود». وكانت الحكماء تقول :

«سرك من دمك» . والعرب تقول : «من ارتاد لسره موضعاً فقد أذاعه» .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب عن عمه الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا

قال : دخل ابن أبي محجن الثمني على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذي يقول

إذا متُّ فادفني إلى أصل كَرْمَةٍ * تُروى عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفني في الفلاة فاني * أخاف وراء الموت أن لا أذوقها

فقال ابن أبي محجن : لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره . فقال معاوية :

وما ذاك؟ قال قوله

لا تسأل القوم ما مالي وما حسبي * وسألت القوم ما حرمي وما خلقتي

القوم أعلم أني من سرّاتهم * إذا تطيش يد الرعيدة الفرق

أعطى السنان غداة الرّوع حصته * وعامل الرّيح أرويه من العلق

قد أركب الهول مسدولاً عساكره * وأكتم السرفيه ضربة العنق

وَأُنشِدُنِي لِلصَّلَاتَانِ الْعَبْدِي

وَسُرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ * وَسُرُّ الثَّلَاثَةَ غَيْرَ الْخَفِيِّ

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يمثّل بهذين البيتين

وَلَا تُبْفِسْ سُرُّكَ إِلَّا إِلَيْكَ * فَانْ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

فَإِنِّي رَأَيْتُ غُرُوءَةَ الرَّجَاءِ * لِئَلَّا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا

وقال الشاعر

وَمُرَاقِبِينَ نَكَامًا بِهَوَاهِمَا * جَعَلَا الْقُلُوبَ لِمَا تُجَنُّ قُبُورًا

يَتَلَحَّظَانِ تَلَحُّظًا فَكَاثِمًا * يَتَنَاسَخَانِ مِنَ الْخَفُونَ سَطُورًا

وقال مسكين الدارمي

أُوَانِحِي رِجَالًا لَسْتُ أُطَلِّعُ بَعْضَهُمْ * عَلَي سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهَا

يَظَلُّونَ شَتِي فِي الْبِلَادِ وَسُرُّهُمْ * إِلَى صَخْرَةِ أَعْيَا الرِّجَالِ انْصِدَاعُهَا

وقال (*)

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ مَا أَشْتَمَلْتُ * مِنْ الضُّلُوعِ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْخَبْرِ

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّاتِهِ * إِذْ كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرٍ

أسر رجل الى صديق له حديثا فلما استقصاه قال له : أفهمت ؟ قال : لا ، بل نسيت .

قيل لأعرابي : كيف كتابتك للسري ؟ قال : « ما قلبي له إلا قبر » . وقيل لمزبد :

أَيُّ شَيْءٍ تَحْتَ حَضْنِكَ ؟ فَقَالَ : يَا أَحْمَقُ لِمَ خَبَأْتَهُ . وقال الشاعر

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ * فَافْشِئْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ

إِذَا عَاتَبْتُ مِنْ أَفْشَى حَدِيثِي * وَسَرِي عِنْدَهُ فَأَنَا الظُّلُومُ

وإني حين أسأم حمل سري * وقد ضمته صدري سؤوم

(*) في النسخة الألمانية : وقال آخر . على أنا لم نثر على هذا الشعر لمسكين الدارمي .

قيل لرجل : كيف كتانك للسر؟ قال : «أحمد الخبير وأحيف للمستخبر» . وكان
يقال : «من وهى الأمر إعلانه قبل إحكامه» . وقال الشاعر
إذا أنت حملت الخؤون أمانة * فانك قد أسندتها شرُّ مُسند

وقال عمرو بن العاص : «ما أستودعتُ رجلاً سراً فأفشاه فلمته ، لأنى كنت أضيح

صدرا حين أستودعته» . وقال

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها * فسرك عند الناس أفشى وأضح

وكان يقال : «من ضاق قلبه اتسع لسانه» .

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسرا الى حديثا ولا أراه يطوى
عنك ما يبسطه لغيرك ، أفلا أحدثك به؟ قال : لا يا بني «إنه من كتم سره كان الخيار
له ، ومن أفشاه كان الخيار عليه ، فلا تكونن مملوكا بعد أن كنت مالكا» قال قلت :
وإن هذا ليجرى بين الرجل وأبيه؟ قال : لا ، ولكنى أكره أن تذلل لسانك بأحاديث
السر . فحدثت به معاوية فقال : يا وليد ؟ أعتقك أنى من رقى الخطأ .

وفى كتب العجم أن بعض ملوك فارس قال : «صونوا أسراركم فانه لا سر لكم
إلا فى ثلاثة مواضع : مكيدة تُحاول أو منزلة تُراول أو سريرة مدخولة تُكتم ،
ولا حاجة بأحد منكم فى ظهور شىء منها عنه» . وكان يقال : «ما كنت كاتم من
عدوك فلا تظهر عليه صديقك» .

وقال جميل بن معمر

أموت وألقى الله يابئن لم أبح * بسرِّك والمستخبرون كثير

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومي

ولما تلاقينا عرفتُ الذى بها * كمثل الذى بي حدوك النعل بالنعل

فقلت وأرخت جانب السّتر إنما * معي فتكلم غير ذى رُقبة أهلى
فقلت لها ما بى لهم من ترُقب * ولكن سرى ليس يحمله مثلى
يريد أنه ليس يحمله أحد مثلى فى صيانتة وسّتره، أى فلا أبديه لأحد . وقال زهير
السّترُ دون الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من سِتر

وقال آخر

فسرى كإعلاني وتلك خَلِيقتى * وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا
وقال آخر لأخ له وحّدته بحديث : اجعل هذا فى وعاء غير سِرب . والسِرب السائل .
وكان يقال : «للقائل على السامع جمعُ البال والكتمان وبسطُ العذر» . وكان يقال :
«الرعاية خير من الاستعاء» .

١٠ أتى رجل عبيد الله بن زياد فأخبره : أن عبد الله بن همام السلولى سبه . فأرسل
إليه فاتاه فقال : يا بن همام إن هذا يزعم أنك قلت : كذا وكذا . فقال ابن همام
فانت أمرؤ إتما ائتمتكَ خالبا * نخنت ، وإما قلت قولاً بلا علم
وإنك فى الأمر الذى قد أتيتَه * لفى منزل بين الحيانة والإثم

وقال آخر

١٥ اخفِضِ الصّوت إن نطقتَ بديل * والتفّتِ بالنهار قبل الكلام

وقال بعض الأعراب

ولا أكنم الأسرارَ لكنْ أُنمُّها * ولا أدع الأسرارَ تغلي على قلبى
وإن قليل العقل من بات ليلَه * تُقلِّبه الأسرارُ جنباً إلى جنب

وقال أبو الشيبص

٢٠ لا تأمننَّ على سِرى وسركم * غيرى وغيرك أوطى القراطيس
أو طائرٍ سألَّبه وأنعتَه * ما زال صاحبٌ تنقير وتأسيس

سُودِ بَرَاثَتُهُ مِثْلَ ذَوَابِتِهِ * صُفْرِ حَمَالِقِهِ فِي الْحَسَنِ مَعْمُوسٍ
 قَدْ كَانَ هَمَّ سَلِيحَانٍ لِيَذْبَحَهُ * لَوْلَا سَعَايَتُهُ يَوْمًا يَلْقَيْسُ

وقال أيضا

أَفْضَى إِلَيْكَ بِسْرَهُ قَلَمٌ * لَوْ كَانَ يَعْرِفُهُ بَكِي قَلَمُهُ

وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي الْكِتَابِ يَأْتِيكَ فِيهِ السَّرُّ
 الْحَزْمُ تَحْرِيقُهُ إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَرٍ * وَإِنَّمَا الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ
 إِذَا أَنَاكَ وَقَدْ أَدَى أَمَانَتَهُ * فَاجْعَلْ صِيَانَتَهُ فِي بَطْنِ أَرْمَاسِ

وقال آخر

سَأَكْتُمُهُ سَرِّي وَأَحْفَظُ سَرَّهُ * وَلَا غَرَّنِي أَنِي عَلَيْهِ كَرِيمٌ
 حَلِيمٌ فَيَنْسَى أَوْ جَهُولٌ يُسْبِعُهُ * وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ

الْكُتَابُ وَالكِتَابَةُ

(١) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ عَنْ وَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَيْدٍ
 عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عَمْرٍو بْنِ ثَعْلَبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "مَنْ أَشْرَاطُ
 السَّاعَةِ أَنْ يَفِيضَ الْمَالُ وَيُظْهِرَ الْقَلَمَ وَتَفْشُو التَّجَارُ" قَالَ عَمْرٍو : إِنْ كُنَّا لَنَلْتَمِسُ
 فِي الْحَوَاءِ الْعَظِيمِ الْكَاتِبَ ، وَيَبِيعُ الرَّجُلُ الْبَيْعَ فَيَقُولُ : حَتَّى أَسْتَأْمِنَ بِتَاجِرِ بَنِي فُلَانٍ .
 حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ عَنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ أَبَانَ عَنْ عَنبَسَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَادَانَ عَنْ أُمِّ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُمَلِّي فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ فَقَالَ "ضَعْ الْقَلَمَ عَلَى أُذُنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكَرٌ لِلْمَلْمُوعِ بِهِ".

(١) كذا بالقول جرافة . وفي الألمانية « عبيد الله » ولعله يونس بن عبيد بن دينار العبدي راوي الحديث

كثيرا عن الحسن البصري وغيره . (٢) الحواء مجتمع بيوت الحى اذا تداخت .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال: «كان إدریس النبیّ علیه السلام أوّل من خطّ بالقلم وأوّل من خاط الثياب ولبسها وكان من قبله يلبسون الجلود» .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال : أخبرنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عياض ابن أبي موسى أن عمر بن الخطاب قال لأبي موسى : أدع لي كاتبك ليقرا لنا صُحُفاً جاءت من الشام . فقال أبو موسى : إنه لا يدخل المسجد . قال عمر : أيه جنابة؟ قال : لا، ولكنه نصراني . قال : فرفع يده فضرب نغذه حتى كاد يكسرها ثم قال مالك ! قاتلك الله ! أما سمعت قول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) ! ألا اتخذت رجلاً حنيفياً ! فقال أبو موسى : له دينه ولى كتابته . فقال عمر : « لا أكرههم إذ أهانهم الله ولا أعزهم إذ أذلم الله ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله » .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا عيسى بن يونس قال حدثنا أبو حيان التميمي عن أبي زنباع عن أبي الدهقانة قال : ذكر لعمر ابن الخطاب غلام كاتب حافظ من أهل الحيرة وكان نصرانياً، فقيل له : لو اتخذته كاتباً . فقال « لقد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين » .

حدثني أبو حاتم قال : مرّ امرئ بن مروّة من أهل الأنبار وهو الذي وضع كتابه العربية ، ومن الأنبار انتشرت في الناس .

(*) هكذا في النسخة الفتوغرافية والالمانية . والذي في القاموس : ومرامر بن مرة بضمهما أول من وضع الخط العربي . ونقل صاحب اللسان عن ابن القطامي ما يوافق عبارة صاحب القاموس ثم قال : قال ابن بري : الذي ذكره ابن النجاس وغيره عن المدائني أنه مرامر بن مروّة .

حدثني أبو سهل عن الطنّافسي عن المنكدر بن محمد عن أبيه محمد بن المنكدر قال جاء الزبير بن العوام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت ؟ جعلني الله فداك ! قال " ما تركت أعرايتك بعد " .

قال عبد الملك ابن مراون لأخيه عبد العزيز حين وجهه الى مصر : « تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك ، فان الغائب يخبره عنك كاتبك ، والمتوسم يعرفك بحاجبك ، والداخل عليك يعرفك بجليسك » .

ابن أبي الزناد عن أبيه قال : كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز فكان يكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعه ، فكتب اليه : « إنه ليخيل الى أني لو كتبتُ اليك أن تُعطي رجلاً شاة لكتبتَ الي : أضأن أم ماعز ، ولو كتبتُ اليك بأحدهما لكتبتَ : أذكر أم أنثى ، ولو كتبتُ اليك بأحدهما لكتبتَ : أصغير أم كبير . فاذا أتاك كتابي هذا فلا تُراجعي في مظلمة » .

وكتب أبو جعفر الى سلم بن قتيبة يأمره بهدم دُورٍ من خرج مع إبراهيم وعقر نخلهم . فكتب اليه : باي ذلك نبداً أبالنخل أم بالدور ؟ فكتب اليه أبو جعفر . « أما بعد ، فاني لو أمرتُك بافساد ثمرهم لكتبتَ الي تستأذن في أيه تبدأ أبالبرني أم بالشهريز ؟ » وعزله ، وولى محمد بن سليمان . وكان يقول : « للكاتب على الملك ثلاثة ، رفع الحجاب عنه ، وإتهام الوشاة عليه ، وإفشاء السر إليه » .

كانت العجم تقول : « من لم يكن عالماً بأجراء المياه وبحفر فُرض الماء والمسارب وردم المهاوى وتجاري الأيام في الزيادة والنقصان واستهلال القمر وأفعاله ووزن الموازين

(١) في الفتوغرافية : سلام وهو تحريف .

(٢) في الفتوغرافية فرض المشارب .

وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا ونصب القناطر والجسور والدوالي والنواعير على المياه وحال أدوات الصناعات ودقائق الحساب كان ناقصا في حال كتابته .
قال ميمون بن ميمون « إذا كانت لك الى كاتب حاجة فليكن رسولك اليه الطمع » .
وقال : « إذا آخيت الوزير فلا تخش الأمير » .

وفي كتاب للهند : « إذا كان الوزير يساوي الملك في المال والهيبة والطاعة من الناس فليصرعه الملك ، وإن لم يفعل فليعلم أنه هو المصروع » .

المدايني قال : خلا زياد يوما في أمر ينظر فيه وعنده كاتب له يكتب وابنه عبيد الله ، فنفس زياد فقال لعبيد الله : تعهد هذا لا يكتب شيئا . ونام ، فوجد عبيد الله مسام من البول فكره أن يوقظ أباه وكره أن يخجل الكاتب فشد إبهاميه بنحيط وختمه وقام لحاجته .

١٠

قال أبو عباد الكاتب : ما جلس أحد قط بين يدي إلا تخيل إلى أني جالس بين يديه .
وقرأت في التاج أن أبرويز قال لكاتبه : « أكرم السر واصدق الحديث واجتهد في النصيحة واحترس بالحذر ، فان لك على أن لا أعجل بك حتى أستأني لك ولا أقبل عليك قولا حتى أستيقن ولا أطمع فيك أحدا فيغتا لك . واعلم أنك بمنجاة رفعة فلا تحطنها وفي ظل مملكة فلا تستريلنه ، وقارب الناس مجاملة عن نفسك وابعده الناس مشايحة^(*) من عدوك واقصد إلى الجميل أدراعا لعدك وتحصن بالعفاف صوتنا لمروءتك وتحسن عندي بما قدرت عليه من حسن ولا تشرعن الألسنة فيك ولا تقبحن الأحدثه عنك وضمن نفسك صون الدرزة الصافية وأخلصها إخلاص الفضة البيضاء وعاتبها معاتبه الحذر المشفق وحصنها تحصين المدينة المنيعه . لا تدعن أن ترفع إلى الصغير ، فانه يدل على الكبير ولا تكتمن الكبير فانه ليس شاغلي عن

١٥

٢٠

(*) مشايحة : محاذرة .

الصغير . هذب أمورك ثم آلفني بها وأحكم لسانك ثم راجعني به ولا تجترئن علي
فأمتعض ولا تنقبض مني فأتهم ولا تمرضن ما تلقاني به ولا تُحِدِجَنَّهُ . وإذا فكرت
فلا تعجل وإذا كتبت فلا تُعْذِرْ ، ولا تستعين بالفضول فانها علاوة على الكفاية
ولا تُقصرن عن التحقيق فانها هجنة بالمقالة ولا تليسن كلاما بكلام ولا تباعدن معنى
عن معنى . أكرم كتابك عن ثلاث : خضوع يستخفه ، وانتشار يُبْجِجُه ، ومعانٍ تفعد
به . وأجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول ، وليكن بسطة كتابك على السوق كبسطة
ملك الملوك على الملوك ، ولا يكن ماتمك عظيما وما تقول صغيرا فانما كلام الكاتب
على مقدار الملك فاجعله عاليا كعلوه وفائقا كفقوه . واعلم أن جماع الكلام كله
خصال أربع : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، وخبرك عن
الشيء فهذه الخلال دعائم المقالات إن آلمس لها خامس لم يوجد وإن نقص منها رابع
لم تتم . فاذا أمرت فأحكم وإذا سألت فأوضح وإذا طلبت فأشجع وإذا أخبرت فحقق
فانك اذا فعلت ذلك أخذت بحزامير القول كله فلم يشتبه عليك وارده ولم يُعْجِزْكَ
منه صادرة . أثبت في دواوينك ما أدخلت وأحص فيها ما أخرجت وتيقظ
لما تأخذ وتجرد لما تعطى ولا يغلبنك النسيان عن الإحصاء ولا الأناة عن التقدم
ولا تُخرجن وزن قيراط في غير حق ولا تعظمن إخراج الكثير في الحق ، وليكن ذلك
كله عن مؤامرتي » .

قال رجل لبيته : « يا بني تزيوا بزى الكتاب فان فيهم أدب الملوك وتواضع
السوقة » .

قال الكسائي : « لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف وعن
الشيء بعد الشيء أقرنه بغيره فقال : يا لله ! ما رأيت رجلا أقدر ، على كلمة الى جنب
كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها ، منك ! » .

وقال ابن الأعرابي: «رأى أعرابي وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من الفاظه فقال إنك لحنف الكلمة الشرود» .

وقال رجل من أهل المدينة: «جلست الى قوم ببغداد فما رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطيش من أقلامهم» .

وكتب بعض الكتاب الى صديق له: «وصل الى كتابك فما رأيت كتابا أسهل فنونا ولا أملس متونا ولا أكثر عيوننا ولا أحسن مقاطع ومطالع ولا أشد على كل مفصل حرا منه. أنجزت فيه عدة الرأي وبشرى الفراسة وعاد الظن بك يقينا والأمل فيك مبلوغا» .

ويقال: «عقول الرجال في أطراف أقلامها» .

ويقال: «القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتعجيل اليأس أحد الظفرين وإملاك العجين أحد الرعيين وحسن التقدير أحد الكاسين واللبن أحد اللحمين» . وقد يقال: المرق أخذ اللحمين .

قيل لبعضهم: إن فلانا لا يكتب . فقال: تلك الزمانة الخنية . وقرأت في بعض كتب العجم أن موبذات موبذ وصف الكتاب فقال: «كتاب الملوك عيبتهم المصونة عندهم وآذانهم الواعية وألسنتهم الشاهدة، لأنه ليس أحد أعظم سعادة من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك، ولا أقرب هلكة من وزراء الملوك إذا هلكت الملوك، فترقع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم . وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهادهم للملوك اجتهادهم لأنفسهم فلا يهتم روح على جسده ولا يهتم جسده على روحه لأن زوال ألفتها زوال نعمتها، وأن التثام ألفتها صلاح خاصتهما» .

وقال

لئن ذهبْتُ الى المَجَّاجِ يَقتلني * إني لأحمق من تَحْدِي به العيرُ
مستحقبا صُحُفا تُدْمِي طوابِعُها * وفي الصعائف حَيَات مَنَّا كيرُ

وقال بعض الشعراء في القلم

عجبت لذي سِنين في الماء نبتُهُ * له أثر في كَل مِصرٍ ومَعْمِرِ

وقال بعض المحدثين في القلم

ضئيل الرِّواء كَبير الغناء * من البحر في المنصبِ الأَخْضِرِ
كمثل أنحى العشق في شخصه * وفي لونه من بني الأصفرِ
يمرُّ كهَيْئَةَ مَرِّ الشجَا * ع في دِعْص مَحْنِيَّةِ أَعْفِرِ
إذا رَأُسُه صَحَّح لم يَنْبَعث * وجاز السبيلَ ولم يبصرِ
وإن مُدِيهٌ صَدَعَتْ رَأْسُه * جرى جرى لا هائب مُقْصِرِ
يقضى ما رَبَّه مَقْبَلًا * وَيَحْسِمها هَيْئَةُ المَدِيرِ
تَجُود بِكُفِّ فتي كُفُّه * تسوق الثراء إلى المعسرِ

وقال حبيب الطائي يصف القلم

لك القلم الأعلى الذي بَشَبَاتِه * يصابُ من الأمر الكُلِّي والمفاصلُ
لعابُ الأَفَاعِي القاتلاتِ لعابُه * وأزى الجَنَى أَشْتارُته أيدِ عواسلُ
له ريقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنْ وَقَعها * بأثاره في الشرق والغربِ وإبلُ
فصيح إذا استنطقته وهو رَاكِبٌ * وأعجمُ إنْ خاطبته وهو راجلُ
إذا ما أمتطى الخمسَ اللطافِ وأُفْرِغَتْ * عليه شِعابُ الفكرِ وهي حوافلُ
أطاعته أطرافُ القنا ونقوضت * لنجواه تقويضُ الخيامِ الجحافلُ
تراه جليلاً شأنه وهو مرهَفٌ * ضُنِّي وسمينا خطبُه وهو ناحلُ

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي يصف القلم

وأسمر طاوى الكشح أنحس ناطق * له ذمالاتٌ في بطون المَهَارِقِ
إذا استعجلته الكف أمطر خاله * بلاصوت إرعادٍ ولا ضوءٍ بارق
كأن الآلى والزرجد نطفه * ونور الخزامى في بطون الحدائق

وقال بعض المحذنين يمدح كاتباً

وإذا تآلق في النديّ كلامه آلٌ منظوم خلت لسانه من عضبه
وإذا دجت أقلامه ثم آتجت * برقت مصابيح الدجى في كتبه
باللفظ يقرب فهمه في بعده * منا ويبعد نياله في قربه
حكم فسأحها خلال بنانه * متدفق وقليبها في قلبه
كالروض مؤتلف بحمرة نوره * وبياض زهرته وخضرة عشبته

وقال سعيد بن حميد يصف العود

وناطق بلسان لا ضميره * كأنه نخذ نيطت الى قدم
يُبدى ضمير سواه في الكلام كما * يُبدى ضمير سواه منطق القلم

بعث الطائي الى الحسن بن وهب بدواة ابنوس وكتب اليه

قد بعثنا إليك أم المنايا * والعطايا زنجية الأحساب
في حشاها من غير حرب حراب * هي أمضى من مرهفات الحراب

وقال ابن أبي كريمة يصف الدواة والقلم

ومسوذة الأرجاء قد خضت ماءها * ورويت من قعر لها غير مُنبط
نحيص الحشا يروى على كل مشرب * أمينا على سر الأمير المسلط

وقال بعض أهل الأدب : إنما قيل "ديوان" لموضع الكتبة والحساب لأنه يقال : للكتاب بالفارسية "ديوان" أى شياطين، لخدقهم بالأمور ولطفهم فسمى موضعهم باسمهم .

وقال آخر : إنما قيل لمدير الأمور عن الملك "وزير" من الوزر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهى الأحمال ، قال الله عز وجل (وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى أحمالاً من حلبيهم ، ولهذا قيل للإثم : وزر، شبهً بالحمل على الظهر، قال الله تبارك وتعالى (وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ) .

وكان الناس يستحسنون لأبى نواس قوله

يا كاتباً كتب الغداة يسبني * من ذا يطيق براعة الكتاب
لم ترض بالإعجام حين سببتني * حتى شككت عليه بالإعراب
وأردت إفهامي فقد أفهمتني * وصدقت فيما قلت غير محابي

وقال آخر

يا كاتباً تثر أعلامه * من كفه دُرّاً على الأسطر

وقال عدي بن الرقاع

صلى الاله على امرئ ودعته * وأتم نعمته عليه وزادها

ومنه أخذ الكتاب : وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك .

وقال حاتم طي في معنى قولهم مُتُّ قبلك

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا * بموت فكن أنت الذى نتأخر

وقال جرير في معناه

رُدّي فؤادى وكونى لى بمنزلتى * يا قبل نفسك لاقى نفسى التلّف

كتب بعض الملوك الى بعض الكُتَّاب كتابا دعا له فيه بأمتع الله بك ، فكتب
اليه ذلك الكاتب

أَحَلَّتْ عَمَّا عَاهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ * أَمْ نَلَّتْ مُلْكَاهِمْ فِي كَتَبِكَ
أَمْ هَلْ تَرَى أَنْفَ فِي التَّوَاضِعِ لِلْأَخْوَانِ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي حَسَبِكَ
أَمْ كَانَ مَا كَانَ مِنْكَ عَنْ غَضَبٍ * فَأَيُّ شَيْءٍ أَدْنَاكَ مِنْ غَضَبِكَ
إِنَّ جَفَاءَ كِتَابِ ذِي مِقَّةٍ * يُكْتَبُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعْ بِكَ

وقال الأصمعي في البرامكة

إِذَا ذُكِرَ الشَّرْكَ فِي مَجْلِسٍ * أَنْارَتْ وَجْوهَ بَنِي بَرْمَكٍ
وَإِنَّ تُلَيْتَ عَنْدهُمْ آيَةً * أَنْوَا بِالْأَحَادِيثِ عَنْ مَرْوَكٍ^(٢)

وقال آخر

إِنَّ الفَرَاغَ دَعَانِي * إِلَى آبَتِئَاءِ المَسَاجِدِ
وَإِنَّ رَأْيِي فِيهَا * كَرَأْيِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ

مرّة عبد الله بن المقفع بيت النار، فقال

يَا بَيْتَ عَانِكَةِ الذِي أَنْعَزَلْ * حَذَرَ العَدَا وَبِهِ الفُؤَادَ مَوْكَلْ

وقال دَعِبِلٌ فِي أَبِي عِبَادٍ

أَوْلَى الأُمُورِ بَضِيعَةٌ وَفَسَادٌ * أَمْرٌ يَدْبِرُهُ أَبُو عِبَادٍ
حَنِيقٌ عَلَى جَلِيسَاتِهِ بَدَوَاتِهِ * قَمْرَمَلٌ وَمُضْمَخٌ بِمَدَادٍ
وَكَانَهُ مِنْ دَيْرِهِ قَلٌّ مُفْلَتٌ * حَرْدٌ يَجْتَزُّ سِلَاسِلَ الأَقْيَادِ

(١) هذا ما كتبه عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم . أنظر هذا الشعر ورد

ابن الزيات عليه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٤

(٢) كذا بالأصابع الفتنوغرافي والألماني وهو محرف عن " مزدك " واليه ينسب المزدكية ، وقد خرج في أيام قباذ بن فيروز فبذل شريفة زرادشت واستحل المحارم وسوى بين الناس في الأموال والنساء والعييد فكثرت أتباعه وعظم شأنه وتبعه قباذ نفسه ولم يزل كذلك حتى ولي كسرى أنوشروان فقتله وأباد أتباعه . باختصار عن ابن الأثير . وقد ورد البيتان في البيان والتبيين للمجاط .

خيانة العمال

حدثنا إسحاق بن راهويه قال: ذُكر لنا أن امرأة من قريش كان بينها وبين رجل خصومة فأراد أن يخاصمها إلى عمر فأهدت المرأة إلى عمر فخذ جزور ثم خاصمته إليه فوجه القضاء عليها، فقالت: يا أمير المؤمنين، أفصل القضاء بيننا كما يفصل فخذ الجزور. ف قضى عليها عمر وقال: إياكم والهدايا. وذكر القصة.

قال إسحاق: كان الحجاج استعمل المغيرة بن عبيد الله الثقفي على الكوفة فكان يقضى بين الناس، فأهدى إليه رجل سراجا من شبيه^(١) وبلغ ذلك خصمه فبعث إليه ببغلة. فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول: إن أمرى أضوأ من السراج. فلما أكثر عليه قال: ويحك إن البغلة رحمت السراج فكسرتة.

حدثنا إسحاق قال حدثنا رَوْح بن عُبادة قال حدثنا حماد بن سلمة عن الحريري عن أبي بصرة عن الربيع بن زياد الحارثي أنه وفد إلى عمر فأعجبته هيئته ونحوه، فشكا عمر طعاما غليظا يأكله. فقال الربيع: يا أمير المؤمنين، إن أحق الناس بمطعم طيب وملبس لين ومركب وطىء، لأنت. فضرب رأسه بجريدة وقال: والله ما أردت بهذا إلا مقاربتى، وإن كنت لأحسب أن فيك خيرا. ألا أخبرك بمثل هؤلاء، إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم وقالوا أنفقها علينا. فهل له أن يستأثر عليهم بشيء؟ قال الربيع: لا.

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا مغيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال: لما أتى عمر تاج كسرى وسواريه جعل يقلبه بعود في يده ويقول: والله إن الذي أدى

(١) النحاس الأصفر. (٢) كذا بالأصل غير مضبوط، ولعله الحريري بصيغة التصغير وهو سعيد ابن إياس الحريري، فقد جاء في تهذيب التهذيب وفي الأنساب للسمعاني أن من جملة من روى عنه الحمادان: حماد بن سلمة وحماد بن زيد.

الينا هذا لأمين . فقال رجل : يا امير المؤمنين أنت أمين الله يؤدون اليك ما أدت الى الله فاذا رتعت رتّعوا . قال : صدقت .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : لما أتى على عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزن والنقاد فكنوم كومة من ذهب وكومة من فضة وقال : يا حمراء ويا بيضاء حمزى وبيضى وغزرى غيرى . وأنشد

هذا جنائى وخياره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أبي خالد عن عاصم قال : كان عمر بن الخطاب اذا بعث عاملا يشترط عليه أربعة : ألا يركب البراذين ، ولا يلبس الرقيق ، ولا يأكل النقي ، ولا يتخذ بوابا . ومر ببناء يبنى بحجارة وجص فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملا له على البحرين فقال : «أبت الدراهم إلا أن تُخرج أعناقها» وشاطره ماله . وكان يقول : «لى على كل خائن أمينان الماء والطين» .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا قريش بن أنس عن سعيد عن قتادة قال : جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى واليه : أن دَعُ لِأهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به الذهب ويلبسون الطيالة ويركبون البراذين وخذ التَّمْضِل .

حدثنا محمد بن عبيد عن هُوذة عن عوف عن ابن سيرين [وإسحاق عن النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين] بمعناه قال : لما قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر : يا عدو الله وعدو كتابه ، أسرفت مال الله ؟ قال أبو هريرة لست بعدو الله

(١) فى النسخة الفتوغرافية : "حميد" والاسمان واردان معا فى تهذيب الكمال فى أسماء الرجال . وليس

فى ترجمة أحدهما من يروى عن هُوذة هذا ، ولعل رواية الألمانية هى الصواب حيث تقدم كثيرا أن ابن قتيبة يروى عن محمد بن عبيد هذا . (٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

ولا عدو كتابه ولكني عدو من عاداهما ولم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خيلي تناسلت وعطائي تلاحق وسهامي لتابعت فقبضتها منه . قال أبو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين ثم قال لي عمر بعد ذلك : ألا تعمل ؟ فقلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف . فقلت يوسف نبي ابن نبي وأنا ابن أمية^(١) أخشى ثلاثا واثنتين . قال فهلا قلت نحسا ؟ قلت : أخشى أن أقول بغير علم ، وأحكم بغير حلم ، وأخشى أن يضرب ظهري ، ويشتم عرضي ، وينزع مالي .

حدثنا محمد بن داود عن نصر بن قديد عن إبراهيم بن المبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبي بردة وهو أمير البصرة فقال : أيها الأمير ، إني قرأت في بعض الكتب : « من أحق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني ومن أعز^(٢) ممن أعزني . أيا راعي السوء دفعت إليك غنا سمانا سحاحا فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن وابست الصوف وتركتها عظاما لتقعقع » .

حدثني محمد بن شبابة عن القاسم بن الحكم العرني القاضي قال حدثني اسماعيل ابن عياش عن أبي محمد القرشي عن رجاء بن حيوة عن ابن محزمة قال : إني لتحت منبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية حين قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، اقرءوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله . إنه لن يبلغ ذو حق في حتمه أن يطاع في معصية الله . ألا إنه لن يبعد من رزق الله ولن يقرب من أجل أن يقول المرء حتما وأن يذكر به عظيم . ألا وإني ما وجدت صلاح ما ولاني الله إلا بثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله . ألا وإني ما وجدت

(١) اسم أم أبي هريرة . (٢) في النسخة الألمانية : ومن أغر من اغترني .

(٣) في الألمانية : "مخرمة" ولعل الصواب ما في الفتوغرافية حيث ذكر في ترجمة رجاء بن حيوة ان من شيوخه المسورين مخرمة .

صلاح هذا المال إلا بثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطى في حق ، ويمنع من باطل . ألا وإنما أنا في مالكم هذا كوالى اليتيم إن استغنيت استعفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تقرم البهمة .

بلغنى عن محمد بن صالح عن بكر بن خنيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : « كان زياد إذا ولى رجلا قل له : خذ عهدك وسرالى عملك واعلم أنك مصروف رأس سنتك وأنتك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتكم من معرتنا أمانتك ، وإن وجدناك خائنا قويا استهنا بقوتك وأحسننا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك ، وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين ، وإن وجدناك أمينا قويا زدناك في عملك ورفعنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك » .

قال العتيبي : بعث الى عمر بجمل فقسمها فأصاب كل رجل ثوب فصعد المنبر وعليه حلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون . فقال سليمان : لا نسمع . قال : ولم يا أبا عبد الله ؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلة . قال : لا تعجل يا أبا عبد الله . ثم نادى يا عبد الله فلم يجبه أحد ، فقال : يا عبد الله بن عمر . قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : نشدتك بالله ، الثوب الذى آترت به هو ثوبك ؟ قال : اللهم نعم . فقال سليمان رضى الله عنه : أما الآن فقل نسمع .

بلغنى عن حفص بن عمران الرازى عن الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو قال : قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس : قم فاذا كر عليا فتنقصه فقام شداد فقال : « الحمد لله

(*) كذا بالأصل ، وفي القاموس : واتتربه وتآزر به ولا تقل اتزر وقد جاء في بعض الأحاديث ولعله من تحريف الرواة اه . وفي النهاية لابن الاثير انه خطأ لان الهمزة لا تدغم فى التاء . وفي التاج : وقال المطرزي انه لغة عامية ثم نقل عن الصاغاني انه يجوز أن تقول اتزر بالمتر أيضا فيمن يدغم الهمزة فى التاء كما يقال اتئم والأصل اتئمته .

- الذي افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضا غيره . على ذلك مضى أولهم وعليه يمضى آخرهم . أيها الناس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن السامع المطيع لاجبة عليه وإن السامع العاصي لا حجة له . وإن الله جل وعز إذا أراد بالناس صلاحا عمل عليهم صلحاءهم وقضى بينهم فقهاءهم وجعل المال في شمعاتهم ، وإذا أراد بالعباد شرا عمل عليهم سفهاءهم وقضى بينهم جهلاءهم وجعل المال عند بخلائهم . وإن من صلاح الولاية أن يصلح قرناؤها . نصحك يا معاوية من أسخطك بالحق وغشك من أرضاك بالباطل » فقال له معاوية : اجلس . وأمر له بمال ، وقال : ألسنتُ من السمحاء ؟ فقال : إن كان مالك دون مال المسلمين تعمدت جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالا وأنفقته إفضالا ، فنعمة . وإن كان مما شارك فيه المسلمون فاحتجته دونهم ، أصبته اقترافا وأنفقته إسرافا ، فإن الله عز وجل يقول (إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .
- مرّ عمرو بن عبّيد بجماعة عكوف ، فقال ما هذا؟ قالوا : سارق يقطع . فقال : لا إله إلا الله ، سارق السر يقطعه سارق العلانية ! .
- ومر طارق صاحب شرطة خالد القسري بابن شبرمة ، وطارق في موكبه فقال ابن شبرمة أراها وإن كانت تُحِبُّ كأنها * سخابةٌ صيف عن قريب تقشعُ
- اللهم لي ديني ولهم دنياهم . فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء ، فقال له ابنه : أتذكر يوم مرّ بك طارق في موكبه وقلت ما قلت ؟ فقال : يا بُني ، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلهم أبوك . إن أباك أكل من حلواتهم وحط في أهوائهم .
- ولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة ستين فأحسن السيرة وعف عن أموال الناس ثم عزل فاجتمعوا إليه فأنشد لدراج الضبابي .

فلا السجن أبكاني ولا القيد شقني * ولا أني من خشية الموت أجزع
ولكن أقواما أخاف عليهم * إذامت أن يُعطوا الذي كنت أُمْنَع
ثم قال : والله ما أسفت على هذه الولاية ولكني أخشى أن يلى هذه الوجوه
من لا يرعى لها حقها .

- ٥ وجدت في كتاب لعل بن أبي طالب كرم الله وجهه الى ابن عباس حين أخذ
من مال البصرة ما أخذ : « إني أشركك في أمانتي ولم يكن رجل من أهلي أوثق
منك في نفسي ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب ، والعدو قد حرب قلبت
لابن عمك ظهر المحن بفراقه مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين وأختطفت ما قدرت
عليه من أموال الأمة اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى » وفي الكتاب : « صحَّ
١٠ رويدا فكان قد بلغت المدى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي به ينادي المغتر
بالحسرة ويتمنى المضيع التوبة والظالم الرجعة » .

وفي كتاب لعمر بن عبد العزيز الى عدي بن أرطاة : « غرتني منك مجالستك القراء
وعمامتك السوداء فلما بلوناك وجدناك على خلاف ما أملناك ، قاتلكم الله ! أما تمشون
بين القبور! » .

- ١٥ قال ابن أحمريذ كرم عمل الصدقة
إن العياب التي يُخفون مُشْرِجة * فيها البيان ويلوى عندك الخبر
فابعث اليهم فحاسبهم محاسبة * لا تخف عين على عين ولا أثر
هل في الثمانى من السبعين مظلمة * وربها بكتاب الله مصطبر
وقال عبد الله بن همام السلولى

٢٠ أقبلى على اللوم يا أم مالك * وذمى زهانا ساد فيه الفلّاقسُ

(*) صحَّ من ضحيت الغنم اذا رعيها في الضحى ، أى اربع نفسك على مهل فإما أنت على شرف الموت .

وسأج مع السلطان ليس بناصح * و"محتس من مثله وهو حارس" (*)

قدم بعض عمال السلطان من عمل فدعا قوما فأطعمهم وجعل يحدثهم بالكذب ، فقال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل (سَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ) . قال بعض الشعراء

ما ظنكم بأناس خير كسبهم * مصرح السحت سموه الإصابات

وقال أبو نواس في إسماعيل بن صبيح

بنيت بما خنت الامام سقاية * فلا شربوا إلا أمر من الصبر
فما كنت إلا مثل بائعة آستها * تعود على المرضي به طلب الأجر

يريد معنى الحديث أن امرأة كانت في بني إسرائيل ترفى بحب الرمان وتصدق به على المرضى .

وقال فيه أيضا لمحمد الأمين

ألست أمين الله سيفك نعمة * اذا ماق يوما في خلافاك مائق
فكيف باسماعيل يسلم مثله * عليك ولم يسلم عليك منافق
أعيدك بالرحمن من شركاتب * له قلم زان وآحر سارق

وقال فيه أيضا

ألا قل لاسماعيل إنك شارب * بكأس بنى ما هان ضربة لازم
أئسمن أولاد الطريد ورهطه * بإهزال آل الله من نسل هاشم
وتخبر من لا قيت أنك صائم * وتغدو بفرج مفطر غير صائم
فإن يسر إسماعيل في جفاته * فليس أمير المؤمنين بنائم

ولى حارثة بن بدر "سرق" فكتب إليه أنس الدؤلى

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكن جردا فيها تخون وتسرق

(*) مثل يضرب للرجل يؤتمن على حفظ شيء لا يؤمن أن يخون فيه ، كما في لسان العرب .

وبار تمي بالغنى إن للغنى * لسانا به المرء الهَيُوبَةُ ينطق
فان جميع الناس إما مكذَّب * يقول بما يهوى وإما مصدِّق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها * وإن قيل هاتوا حَقَّقُوا لم يحَقَّقُوا
ولا تَحَقَّرْنَ يا حارِ شينا أصبته * فحظُّك من مُلك العراقين سُرُقُ

فلما بلغت حارثة قال : لا يعنى عليك الرشد .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء قال ، قال فلان : « إن الرجل
ليكون أمينا فاذا رأى الضياع خان » .

قرأت في كتاب أبرويز الى ابنه شيرويه : « اجعل عقوبتك على اليسير من
الخيانة كعقوبتك على الكثير منها ، فاذا لم يُطمع منك في الصغير لم يُحترا عليك
في الكبير . وأبرِد البريد في الدرهم ينقص من الخراج ، ولا تعاقبن على شيء كعقوبتك
على كسره ولا ترزقن على شيء كرزقك على إزجائه ، واجعل أعظم رزقك فيه وأحسن
ثوابك عليه حقن دم المزجي وتوفير ماله من غير أن يعلم انك أحمدت أمره حين
عف واعتصم من أن يهلك » .

وقرأت في التاج أن أبرويز قال لصاحب بيت المال : « إني لا أحتملك على
خيانة درهم ولا أحمك على حفظ ألف ألف درهم ، لأنك إنما تحقن بذلك دمك
وتعمر به أمانتك فانك إن خنت قايلا خنت كثيرا . واحترس من خصميتين :
النقصان فيما تأخذ ، والزيادة فيما تعطى . واعلم أني لم أجعل أحدا على ذخائر الملك وعمارة
المملكة والعدة على العدو إلا وأنت آمن عندى من موضعه الذى هو فيه وخواتمه
التي هى عليها ، فحقق ظنى فى اختيارى إياك أحقق ظنك فى رجائك لى ، ولا نتعوض
بغير شر ولا برفعة ضعة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة » . وكان يقال : « كفى بالمرء
خيانة أن يكون أمينا للثونة » .

قدم معاذ من اليمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضى الله عنه فقال له : ارفع حسابك . فقال : أحسابان ، حساب من الله وحساب منكم ؟ لا والله لا ألي لكم عملاً أبدا .

ذكر أعرابي رجلاً خائفاً فقال : إن الناس يأكلون أماناتهم لُقماً وإن فلانا يَحْسُوهَا حَسُوا .

قال بعض السلاطين لعامل له : « كل قليلاً تعمل طويلاً وألزم العفاف يلزمك العمل ، وإياك والرُشا يشتد ظهرك عند الخصام » .

القضاء

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا يشر بن المفضل بن لاحق قال حدثنا المغيرة ابن محمد عن عمر بن عبد العزيز قال : « لا ينبغي للرجل أن يكون قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالماً قبل أن يستعمل ، مستشيراً لأهل العلم ، ملقياً للرشع^(١) ، منصفاً للخصم ، محتسماً للأئمة^(٢) » .

حدثني علي بن محمد قال حدثنا اسماعيل بن اسحاق الأنصاري عن عبد الله بن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن علي عليه السلام أنه قال : « ذمتي رهينة وأنا به زعيم لمن صرحت له العبر^(٣) ألا يهلك على التقوى زرع قوم ولا يظلم على التقوى سنخ أصل . ألا وإن أبغض خلق الله إلى الله رجل قمس جهلاً غاراً بأغباش الفتنة عمياً بما في عقد الهدنة سماه أشباهه من الناس عالماً ولم يُغن في العلم يوماً سالماً . بكر^(٤) »

(١) الحرص والطمع . (٢) كذا بالنسخين الألمانية والفتوغرافية وصوابه « مقتدياً بالأئمة » وقد ورد هذا الأثر في العقد الفريد وفي البيان والتبيين بما نصه : إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كل : علم ما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأي . (٣) في النسخين الألمانية والفتوغرافية ، « يهيج » والتصويب عن نهج البلاغة . (٤) في الأصلين « صيب » والتصويب عن نهج البلاغة .

فاستكثر ، ما قل منه فهو خير مما كثر حتى اذا ما ارتوى من آجن واكثر من غير طائل قعد بين الناس قاضيا لتخليص ما التبس على غيره ، إن نزلت به إحدى المهمات هيا حشوا رثا من رأيه ، فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت . لا يعلم اذا أخطأ ، لأنه لا يعلم أخطأ أم أصاب . خباط عثوات ركاب جهالات . لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعرض في العلم بضرر قاطع . يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم ، تبكى منه الدماء وتصرخ منه المواريث ويستحل بقضائه الفرج الحرام . لا ملئ والله باصدار ما ورد عليه ولا أهل لما قرظ به »

قال ابن شبرمة

ما في القضاء شفاعة لمخاصم * عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
 ١٠ أهون على اذا قضيت بسنة * أو بالكاتب برغم أنف الراغم
 وقضيت فيما لم أجد أثرا به * بنظائر معروفة ومعالم

الهشيم عن ابن عياش عن الشعبي قال : كان اول قاض قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلي ، ثم شهد القادسية وكان قاضيا بها ، ثم قضى بالمدائن ، ثم عزله عمر واستقضى شرحبيل على المدائن ، ثم عزله واستقضى أبا قرّة الكندي وهو اسم فاختط الناس الكوفة وقاضيهم أبوقرة . ثم استقضى شريح بن الحارث الكندي
 ١٥ فقضى نحسا وسبعين سنة إلا أن زيادا أخرجه مرة الى البصرة واستقضى مكانه مسروق بن الأجدع سنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضيا حتى أدرك الفتنة في زمن ابن الزبير فقعد ولم يقض في الفتنة . فاستقضى عبدالله بن الزبير رجلا مكانه ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شريح على القضاء فلقى رجلا شريحا في الطريق فقال : يا أبا أمية قضيت والله يجور ، قال : وكيف ذلك ؟ ويحك ! قال : كبرت

(*) في الأصلين « رأيا » والتصويب عن نهج البلاغة .

سُكُّ واختلط عقلك وارتشى ابنك، فقال [شريح لا جرم] لا يقولها أحد بعدك .
 فأتى المجاج فقال : والله لا أقضى بين اثنين . قال : والله لا أعفك أو تبغيني رجلاً .
 فقال شريح : عليك بالعفيف الشريف أبي بردة بن أبي موسى . فاستقضاه المجاج
 وألزمه سعيد بن جبيرة كاتباً ووزيراً .

وروى الثوري عن علقمة بن مرثد أنه لقي محارب بن دثار وكان على القضاء
 فقال له : يا محارب، الى كم تردّد الخصوم؟ فقال له : إني والخصوم كما قال الأعشى
 أرقّت وما هذا السهاد المورق * وما بي من سقم وما بي معشوق
 ولكن أراني لا أزال بجادث * أغادى بما لم يمسّ عندي وأطرق

حدثني إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب
 ابن الشهيد قال : كنت جالسا عند إياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسألة
 فطوّل فيها ، فقال إياس : إن كنت تريد الفُتيا فعليك بالحسن معلّمى ومعلم أبي ،
 وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يعلى - وكان على قضاء البصرة
 يومئذ - وإن كنت تريد الصلح فعليك بجميد الطويل ، وتدرى ما يقول لك ؟
 يقول لك : حط شيئا ، ويقول لصاحبك : زده شيئا حتى نصلح بينكما ، وإن
 كنت تريد الشغب فعليك بصلح السدوسي ، وتدرى ما يقول لك ؟ يقول لك :
 اجمد ما عليك . ويقول لصاحبك : ادع ما ليس لك وادع بينة غيباً .

قرأت في الآيين : « ينبغي للحاكم أن يعرف القضاء الحق العدل والقضاء العدل غير
 الحق والقضاء الحق غير العدل ويقايس بثبوت وروية ويتحفّظ من الشبهة » . والقضاء
 الحق العدل عندهم قتل النفس بالنفس ، والقضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد ،
 والقضاء الحق غير العدل الدية على العاقلة .

(*) زيادة عن النسخة الألمانية .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أنحى الأصمعي قال حدثني عمي الأصمعي قال قال أعرابي لقوم يتنازعون : هل لكم في الحق أو فيما هو خير من الحق ؟ فقيل : وما يكون خيرا من الحق ؟ قال : التحاط والهضم فإن أخذ الحق كله مرة .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : اختلف رجلان في شيء فحكما رجلا له في المخطئ هوى ، فقال للمخطئ : من يقول بقولك أكثر .

المهيم بن عدي قال : تقدمت كلم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد الى عبد الملك بن عمير وهو قاضي الكوفة ، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يرمي بها فقضى لها ، فقال هذيل الأشجعي

أناه رفيق بالشهود يسوقهم * على ما ادعت من صامت المال والحول

فأدلى وليد عند ذاك بحقه * وكان وليد ذا مرأى وذا جدل

ففتنت القبطى حتى قضى لها * بغير قضاء الله في السور الطول

فلو كان من في القصر يعلم علمه * لما استعمل القبطى فينا على عمل

له حين يقضى للنساء تحاوص * وكان وما منه التخاص والحول

إذا ذات دل كلمته لحاجة * فهم بأن يقضى تتنح أو سعل

[وبرق عينيه ولاك لسانه * يرى كل شيء ما خلا شخصا جلل^(١)]

فكان عبد الملك بن عمير يقول : والله لربما جاءتنى السعلة أو التنح وأنا في المتوضأ

فأكف عن ذلك .

(٢)

وقال ابن منذر في خالد بن طليق وكان قد ولي قضاء البصرة :

قل لأمير المؤمنين الذى * من هاشم فى سرها واللباب

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٢) فى القاموس : وابن منذر ويضم فىصرف شاعر بصرى لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر . وفى الأغاني أنه إذا قيل له ابن منذر يفتح الميم ينضب ثم يقول أماذر الصغرى أم منذر الكبرى وهما كورنان من كور الأهواز . إنما هو منذر على وزن مفاعل من ناذر فهو منذر مثل ضارب فهو مضارب وقاتل فهو مقاتل .

إن كنت للسَّخْطَةِ عاقبتنا * بخالد فهو أشدَّ العقاب
كان قضاةُ الناسِ فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذاب
ياعجباً من خالد كيف لا * يخطئُ فتياً مرةً بالصواب

وقال فيه

جُعل الحاكم يا للناس من آل طَلِيقِ
صُحَّكَ يُحْكَمُ في الناسِ * سِ برأى الجائِلِيقِ^(١)
أى قاض أنت في النقْصِ وتعطيل الحقوق
يا أبا الهيم ما أنمت لهذا بخليقي
لا ولا أنت لما حُمَّت منه بمطِيقِ

أراد عدِيُّ بن أرطاة بكر بن عبد الله المزني على القضاء فقال له بكر: والله ما أحسن
القضاء، فإن كنت كاذباً أو صادقاً فما يجعل لك أن توليني .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : لما عُزل ابن شبرمة عن القضاء قال له
والى اليمن : اختر لنا رجلاً نوليّه القضاء . فقال له ابن شبرمة : ما اعرفه .
فذكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل إليه بفاء ، فقال له ابن شبرمة : هل تدري
لم دُعيت؟ قال : لا . قال : إنك قد دعيت لأمر عظيم ، للقضاء . قال : ما أيسر
القضاء ! فقال له ابن شبرمة : فنسئلك عن شيء يسير منه ، قال : سل . قال له
ابن شبرمة : ماتقول في رجل ضرب بطنَ شاةٍ حاملٍ فألقت ما في بطنها؟ فسكت
الرجل ، فقال له ابن شبرمة : [إنا بلوناًك^(٢) فما وجدنا عندك شيئاً . فقيل له : ما القضاء
فيها؟ قال ابن شبرمة] تُقَوِّمُ حاملاً وتُقَوِّمُ حائلاً ويفرم قدر ما بينهما .

(١) في القاموس : الجائليق بفتح الاء المثلثة رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام . قال صاحب
التاج وهو المعروف الآن بالقتل كقنفذ . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(*) حدثني عبد الله بن محمد الخَلنجي قال : كان يحيى بن أكثم يمتحن من يريدهم للقضاء ، فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه فولد لكل واحد من امرأته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه .

- ٥ ودخل رجل من أهل الشام على عبد الملك بن مروان فقال : إني تزوجت امرأة وزوجت ابني أمها ولا غنى بنا عن رِفدك . فقال له عبد الملك : إن أخبرتني ما قرابة ما بين أولادكما إذا أولدتما ، فعلت . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا حميد بن بحدل قد قلده سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها ، فإن أصاب لزمني الحرمان ، وإن أخطأ آتسع لي العذر . فدعا بالبحدل فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ما قدمتنى على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالزماح ، أحدهما عم الآخر والآخر خاله .

- ١٠ قال ابن سيرين : كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبة له وبين يديه كانون له فيه نار فجاءه رجل بفلس معه على فراشه فسأره بشيء لا ندري ما هو ، فقال له أبو عبيدة : ضع لي إصبعك في هذه النار . فقال له الرجل : سبحان الله ! تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار ! فقال له أبو عبيدة : أتبخل علي بأصبع من أصابعك في نار الدنيا وتسئلني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم ! قال : فظننا أنه دعاه إلى القضاء .

كان يقال : « ثلاث إذا كن في القاضى فليس بكامل : إذا كره اللوائم ، وأحب المحامد ، وكره العزل . وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وإن كان عالماً ، ولا يسمع شكية من أحد حتى يكون معه خصمه ، ويقضى إذا علم » .

- ٢٠ (*) في النسخة الفئوغرافية : « عبد الرحمن » وفي أنساب السهامي ما يؤيد رواية الألمانية .

قالوا : « ويحتاج القاضي الى العدل في لحظة ولفظه وعود الخصوم بين يديه
وألا يقضى وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفعه على الآخر » .
قال الشعبي : حضرت شريحا ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم زوجها فأرسلت
عينها فبكت فقلت : يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : يا شعبي ، إن إخوة يوسف
جاءوا أباهم عشاء يبكون .

بلغني عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال : كتب عمر بن الخطاب رضي
الله عنه الى أبي موسى الأشعري كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله
عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس . سلام عليك ، أما بعد فإن القضاء فريضة
محكمة وسنة متبعة . فافهم اذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له . آس بين
الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا بيأس ضعيف من
عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا
أحل حراما أو حرم حلالا . ولا يمنعتك قضاء قضيتته بالأمس فراجعت فيه نفسك
وهديت لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق لا يبطله شيء . واعلم أن مراجعة الحق
خير من التماذي في الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن
ولا سنة ، وأعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عند ذلك ثم اعمد لأحبها الى
الله وأشبهها بالحق فيما ترى . اجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهي اليه فان أحضر
بينة أخذ بحقه وإلا استحللت عليه القضاء . والمسلمون عدول في الشهادة إلا مجلودا
في حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو قرابة . إن الله تولى منكم السرائر
ودرأ عنكم بالبينات . وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي
يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر ، فانه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله أصلح
الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شأنه الله ، والسلام » .

وقال سامة بن الخرشب لسبيع التغلبي في شأن الرهن التي وضعت على يديه في قتلى
عبس وذبيان .

أبلغ سبيعا وأنت سيدنا * قدما وأوفى رجالنا ذمما
أن بفيضاً وأن إخوتها * ذبيان قد ضرموا الذي اضطرما
نبتت أن حكوك بينهم * فلا تقولن بئس ما حكما
إن كنت ذا عرفة بشأنهم * تعرف ذا حقهم ومن ظلمنا
وتنزل الأمر في منازله * حكما وعلمنا وتحضر الفههما
فاحكم فانت الحكيم بينهم * لن يعدموا الحق باردا صمما
وأصدع أديم السواء بينهم * على رضا من رضى ومن رغما
إن كان مالا فمثل عدته * مالٌ بمال وإن دما فدما
هذا وإن لم تطق حكومتهم * فانبذ اليهم أمورهم سلما
وأشد عمر بن الخطاب شعر زهير بن أبي سلمى ، فلما بلغ قوله
فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفاراً أو جلاء

جعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ويقول : لا يخرج الحق من
إحدى ثلاث إما يمين أو محاربة أو حجة .

وقال ابن أبي ليلى الفقيه في عبد الله بن شبرمة
وكيف ترجى لفصل القضاء * ولم تصب الحكم في نفسك
وتزعم أنك لابن الجلاح * وهيات دعواك من أصلكا

عبد الله بن صالح العجلي قال : خرج شريك وهو على القضاء يتلقى الخيزران وقد
أقبلت تريد الحج ، فأتى ، " شاهی " فأقام بها ثلاثاً ولم تُوافِ نخف زاده وما كان
معه من الخبز جعل يبئله بالماء وياكله بالملح ، فقال العلاء بن المنهال الغنوي

فان كان الذي قد قلت حقا * بان قد أكرهوك على القضاء
فالك موضعاً في كل يوم * تلقى من يحج من النساء
مقيماً في قرى شامى ثلاثاً * بلا زاد سوى كسير وماء
يزيد الناس خيراً كل يوم * فترجع ياشريك الى وراء

وقال فيه أيضاً

فليت أبا شريك كان حياً * فيقصر حين يبصره شريك
ويترك من تدريه علينا * اذا قلنا له هذا أبوك^(١)

وأشدد لبعض الشعراء في بعض الحكم

أبكي وأندب بهجة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكم
إن الحوادث ما علمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الأيام

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني القاسم بن الفضل قال حدثني رجل من بني
جرير أن رجلاً منهم خاصم رجلاً الى سوار بن عبد الله فقضى على الجريري، فر
سوار بنى جرير فقام اليه الجريري فصرعه وخنقه وجعل يقول

رأيت أحلاماً فعبثتها * وكنت للأحلام عبّاراً
رأيتني أختق ضباً على * بجحر وكان الضب سواراً

في الشهادات

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال لي أيوب^(٢) : إن من أصحابي من أرجو
دعوته ولا أجز شهادته . قال وقال سوار : ما أعلم أحداً أفضل من عطاء السلمي ،
ولو شهد عندي على فلّسين لم أجز شهادته . يذهب الى أنه ضعيف الرأي ليس بالحازم ،

(١) في هذا الشعر الإقواء . وهو المخالفة بين القوافي في حركة الإعراب ، وقد أورد صاحب اللسان هذين

ليتين في جملة النواهد المسوقة عليه . (٢) في النسخة الألمانية « أبو أيوب » .

- لأنه يطعن عليه في دينه وأمانته . قال : وشهد أبو عمرو بن العلاء عند سوار على نسب فقال سوار : وما يدريك أنه ابنه ؟ قال : كما أعلم أنك سوار بن عبد الله ابن عزة بن ثقب . قال : وشهد رجل عند سوار في دار قد ادعاه رجل قال : أشهد أنها له من الماء الى السماء . وشهد آخر فقال للكاتب : اكتب شهادتهما . فقال : أي شيء أكتب ؟ فقال : كل شيء يُخرج الدار من يد هذا ويجعلها في ملك هذا فاكتبه . [قال أبو حاتم بلغنى أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه] قال وشهد رجل عند سوار، فقال له : ما صناعتك ؟ قال : أنا مؤدب . قال : فانا لا نجز شهادتك . قال ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا . قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا . قال : إني أكرهت على القضاء . قال : يا هذا، القضاء أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق ؟ قال : هلم شهادتك . فأجازها . قال : وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال : قد أجزنا شهادة أبي فراس ، وزيدونا . فقيل له حين انصرف : إنه والله ما أجاز شهادتك . قال : وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف مُحَصَّنَة . وجاء أبو دلامة ليشهد عند ابن أبي ليلى فقال في مجلسه ذلك
- ١٠
- إِنَّ الْقَوْمَ غَطَّوْنِي تَغْطِيَتْ دُونَهُمْ * وَإِنْ بَحِثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ
وَأِنْ حَفَرُوا بِرِي حَفَرَتْ بِئَارَهُمْ * لِيُعْلَمَ مَا تَخْفِيهِ تِلْكَ النَّبَائِثُ
- ١٥
- فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشيء .

٢١
أتى رجل ابن شبرمة بقوم يشهدون له على قراح فيه نخل ، فشهدوا وكانوا عدولا فسألهم : كم في القراح من نخلة ؟ قالوا : لا نعلم . فردت شهادتهم . فقال له رجل منهم : أنت تقضى في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، فأعلمنا : كم فيه من أسطوانة ؟ فأجازهم .

- ٢٠ (١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفلورنسية أنه ابن سيرين والأول أقرب اذ لم تقف في ترجمة ابن سيرين على توليه القضاء .

وقال بعض الشعراء

والخصم لا يرتجى النجاة له • يوما إذا كان خصمه القاضي

قدم رجل خصما له الى زياد في حق له عليه ، فقال : إن هذا الرجل يُدلى بخاصة
ذكر أنها له منك . قال : نعم . وسأخبرك بما ينفعه عندي من خاصته : إن
يكن الحق له عليك آخذك أخذا عنيفا ، وأن يكن الحق لك عليه أقض عليه ثم
أقض عنه .

وقال أبو اليقظان : كان عبيد الله بن أبي بكر قاضيا وكان يميل في الحكم الى إخوانه .
ف قيل له في ذلك . فقال : وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه ؟ .

قال المدائني : كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مداراة في واد بالمدينة . قال
فقالا : نجعل بيننا عمرو بن العاص ، فأتياه فقال لهما : أنتم في فضلكما وقديم سوابقكما
ونعمة الله عليكما تختلفان ! وقد سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سمعت
وحضرتما من قوله مثل الذي حضرت فيمن اقتطع شبرا من أرض أخيه بغير حق
أنه يُطوّقه من سبع أرضين ! والحكم أحوج الى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن
الحكم إذا جار رزى دينه والمحكوم عليه إذا جبر عليه رزى عرض الدنيا [إن شئتما
فأدليا بججتكما^(١) و] إن شئتما فأصلحا ذات بينكما . فاصطلحا وأعطى كل واحد منهما
صاحبه الرضا .

وكان السندي ابن شَاهِك لا يستعطف المكارى ولا الحائك ولا الملاح
ويجعل القول قول المدعى مع يمينه ، ويقول : اللهم إني أستخيرك في الجمال ومعلم
الصبيان .

٢٠ (١) زيادة في النسخة الألمانية .

وقال أبو البيداء سمعت شيخا من الأعراب يقول : نحن بالبادية لا نقبل شهادة العبد ولا شهادة العذيوط ولا المغدئى ببوله . قال أبو البيداء : فضحكت والله حتى كدت أبول في ثوبي .

وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبري : أتجيز شهادة رجل عفيف تقيّ أحمق؟ قال : لا ، وسأريكم . ادعوا لي أبا مودود^(١) حاجبي ، فلما جاء قال له : انخرج حتى تنظر ما الريح؟ نخرج ثم رجع فقال : شمال يشوبها شيء من الجنوب . فقال : أتروني كنت مجيزا شهادة مثل هذا؟

قال الأعمش قال لي محارب بن دينار : وليت القضاء فبكي أهلي وعزيت عنه فبكوا ، فما أدري مم ذاك؟ فقلت له : وليت القضاء فكرهته وجزعت منه فبكي أهلك ، وعزيت عنه فككرهت العزل وجزعت منه فبكي أهلك . فقال : إنه لكما قلت .

قدم إياس بن معاوية الشام وهو غلام فققدم خصما له الى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا كبيرا . فقال له القاضي : أتقدم شيخا كبيرا؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه . قال : اسكت . قال : فمن ينطق بحجتي؟ قال : ما أظنك تقول حقا حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقض حاجته وأخرجه من الشام لا يفسد على^(٢) الناس .

قال أعرابي لخصم له : « والله لئن هملجت إلى الباطل إنك عن الحق لقطوف» .

(١) في النسخة الفتيوغرافية : مورد . (٢) في الأصل "عليك" والتصويب عن البيان والتبيين . ٢٠

باب الأحكام

حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت الزبير بن الحارث يحدث عن عكرمة عن أبي هريرة قال : « قضى رسول الله عليه وسلم إذا اختلف الناس في الطرق أنها سبع أذرع » .

حدثني يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن إبراهيم بن حنم عن غزال بن مالك الغفاري عن أبيه عن جده قال : « كفل النبي عليه السلام رجلا في تهمة » .

قال وحدثني أيضا عن إبراهيم بن حنم عن غزال بن مالك عن أبيه عن جده قال قال أبو هريرة : « حبس النبي صلى الله عليه وسلم في التهمة حبسا يسيرا حتى استبرأ » .

حدثني يزيد قال حدثني الوليد^(١) عن جرير بن حازم عن الحسن : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له : رباب » وقال لي رجل بالمدينة : هو ذورباب .

حدثني أحمد بن الخليل عن سليمان بن حرب عن جرير عن يعلى بن حكيم عن أبيه عن ابن عباس قال : « أتى ماعز بن مالك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني زنيت يا رسول الله . فقال : لعلك مسست أو لمست أو غمزت . فقال : لا ، بل زنيت . فأعادها عليه ثلاثا ، فلما كان في الرابعة رجمه » .

حدثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن الثوري عن علي بن الأقرع عن يزيد بن أبي كبشة أن أبا الدرداء أتى بامرأة سرقته ، فقال : أسرفت؟ قولي : لا .

(١) في النسخة الألمانية : "خيم" ولم نثر على ما يرجح إحدى الروايتين .

(٢) في النسخة الفتوغرافية "أبو الوليد" .

- حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال : جاءوا زيادا بلص وعنده جماعة فيهم الأحنف ، فأنتهروه وقالوا : اصدق الأمير . فقال الأحنف : إن الصدق أحيانا معجزة . فأعجب ذلك زيادا وقال : جزاك الله خيرا .
- حدثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن حدثه عن ابن عباس قال « جز الرأس واللمحة لا يصلح في العقوبة لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نُسْكَاً لمرضاته » .
- حدثني شبابة عن القاسم عن الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال « إياكم والمثلة في العقوبة جز الرأس واللمحة » .
- حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا يونس عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال : كان مروان بن الحكم أمير المدينة فقضى في رجل فزَع رجلا فضِط بأربعمائة درهم .
- حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق عن جوير عن الضحاك عن ابن مسعود قال « لا يحمل في هذه الأمة غُلٌّ ولا صَفْدٌ ولا تجريدٌ ولا مدٌّ » .
- حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : كان عامر بن الظرب العدواني حَكَمَ العرب ، فقتل به قوم يستفتونه في خنثى وله جارية يقال لها خُصِيلَةٌ . وربما لامها في الإبطاء في الرعي وفي الشيء يجده عليها . فقال : يا خصيلة لقد حبست هؤلاء القوم ورئتهم حتى أسرع في غنمي . قالت وما يكن عليك من ذلك ؟ أتبعه مباله . فقال لها : « مَسَى خُصِيلٌ بعدها أوروحي » .

(۱) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية « جميلة » وهو تحريف . وقد أورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب خصيلة هذه في حكايات العرب قال ولعلها هي التي كان أبوها عامر يقول لها « مَسَى خُصِيلٌ بعدها أوروحي » بناء على أنها كانت تسمى سخيلاً أيضاً . وقد ذكر الميداني أنها جارية عامر بن الظرب وأورد المثل هكذا وذكر القصة .

- قال: وأتى ابن زياد بانسان له قُبُلٌ وذَكَرٌ ولا يُدري كيف يُورث. فقال: من لهذا؟ فقالوا: أرسل الى جابر بن زيد. فأرسل اليه، فجاء يرسف في قيوده فقال: ما تقول: في هذا؟ فقال: ألزقه بالحدار فان بال عليه فهو ذَكَرٌ، وإن بال في رجله فهو أنثى.
- حدثني محمد بن خالد بن خَدَّاش قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا قيس بن الربيع عن أبي حصين أن رجلا كسر طنبورا لرجل نخاصمه الى شريح، فقال شريح: لا أفضى في الطنبور بشيء.
- [حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال: قال لي أبو العجاج: يا ابن أصمع والله لئن أقررت لألزمك. أي لا تقر.]
- حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه عن معمر قال: رد رجل على رجل جارية اشتراها منه، نخاصمه الى إياس بن معاوية، فقال له: بم تردها؟ قال له: بالحق. فقال لها إياس: أي رجلك أطول؟ فقالت: هذه. فقال: أتذكرين ليلة وُلِدت؟ قالت: نعم. فقال إياس: رد رد.
- حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن قيس عن أبي حصين قال: رأيت الشَّعبيّ يقضي على جلد أسد.

الظلم

- حدثني عبد الرحمن [بن عبد الله بن قُريب قال حدثني الأصمعي] قال أخبرنا بعض أشياخ البصرة أن رجلا وأمرأته اختصما الى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المتنقب فيبحة المسفر، وكان لها لسان فكان العامل مال معها فقال: يعمد أحدكم الى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسىء اليها! فأهوى زوجها الى النقب فالتقاها

(*) زيادة في النسخة الألمانية.

عن وجهها فقال العامل : عليك اللعنة ! كلامٌ مظلومٌ ووجهٌ ظالمٌ . وأنشد الرياشيَ في نحو هذا

رأيتُ أبا المجنَّاءِ في الناسِ جائراً * ولونُ أبي المجنَّاءِ لونُ البهائمِ
تراه على ما لاحهُ من سواده * وإن كان مظلوماً له وجهٌ ظالمٌ

أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان رجل من العرب في الجاهلية إذا رأى رجلاً يظلم ويعتدى يقول : فلان لا يموت سويًا . فيرون ذلك حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه فقيل له : مات فلان سويًا . فلم يقبل حتى نتابعت الاخبار . فقال : إن كنتم صادقين إن لكم داراً سوى هذه تجازون فيها .

كتب رجل من الكتاب إلى سلطان : « أعيذك بالله من أن تكون لاهياً عن الشكر محجوباً بالنعم صارقاً فضلاً ما أوتيت من السلطان إلى ما تقل عائدته وتعظم تبعته من الظلم والعدوان ، وأن يسترلك الشيطان بخدعه وغروره وتسويله فيزيل عاجل الغيبة وينسيك مذموم العاقبة ، فإن الحازم من يذكر في يومه المخوف من عواقب غده ولم يفره طول الأمل وتراخي الغاية ولم يضرب في غمرة من الباطل ولا يدري ما تنجى به مغبتها . هذا إلى ما يتبع الظالم من سوء المنقلب وقبيح الذكر الذي لا يفنيه كثر الحديدین واختلاف العصرین » .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إبراهيم السقاء عن ليث عن مجاهد قال : « يؤتى بمعلم الصبيان يوم القيامة فان كان عدل بين الغلمان ^(٢) وإلا أقيم مع الظلمة » . وكان معاوية يقول : إني لأستحي أن أظلم [من لا يجد ^(٣)

(١) كذا بالأصل ولعل الغاء سقطت من النسخ . (٢) في الفنوغرافية : الكتاب .

(٣) زيادة في النسخة الألمانية .

على ناصرا إلا الله . وقال بلال : « إني لأستحي ان أظلم [وأخرج أن أظلم » .
وكان يقال : اذا أراد الله ان يُخف عبدا قيص له من يظلمه .

كتب رجل الى سلطان : «أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم
بالانصاف من بسطت بالقدرة يده» .

ذكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب : إني لا أجد في كتاب الله المنزل أن
الظلم يُحرب الديار . فقال ابن عباس أنا أوجدك في القرآن ، قال الله عز وجل
(فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا) .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان قُرْعَان وهو من بني تميم لا يزال يُغير
على إبل الناس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها الى أن أغار على رجل فأصاب له جملا ،
بفاء الرجل فأخذ بشعره بغذبه فبرك ، فقال الناس : كبرت والله يا قُرْعَان . فقال : لا والله
ولكن جذبي جذبة مُحِقَّ . وكان سُديف بن ميمون مولى اللهبين يقول : اللهم قد
صار فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميرانا بعد الاختيار
للأمة . واشتريت الملاحى والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحكم في أبشار المسلمين
أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محامه . اللهم وقد استحصد زرع الباطل
وبلغ نهايته واجتمع طريده . اللهم فأتخ له يدا من الحق حاصدة تبدد شمله وتفرق
أمره ليظهر الحق في أحسن صورته وأتم نوره .

ولى أعرابي بعض النواحي بجمع اليهود في عمله وسألم عن المسيح فقالوا : قتلناه
وصلبناه . فقال : فهل أدبتم ديتيه؟ قالوا : لا . قال : فوالله لا تخرجون أو تؤدوها .
فلم يبرحوا حتى أدوها .

٢٠ (١) في النسخة الفنوغرافية : وهو مولى لبني تميم .

كان أبو العَاجِ على جَوَالِي البصرة فَأَتَى برجل من النصارى : فقال ما آسَمَك ؟
فقال : بنداذ شهر بنداذ . فقال : اسمُ ثلاثةٍ وجزيةٌ واحدٍ ! لا والله العظيم . قال :
فأخذ منه ثلاثَ حَزِي .

ولى أعرابيٌ "تَبَّالَةً" فصعد المنبرَ فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال : إن الأمير
أعزنا الله وإياه ولآنى بلادكم هذه ، وإنى والله ما أعرف من الحق موضع سوطى ،
ولن أوتى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضرباً ، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم
ولا يرتفعون إليه . قال بعض الشعراء

بنى عمنا لا تذكروا الشعر بعد ما * دفتم بصحراء الغمير القوافيا^(١)
فلسنا كمن كنتم تصيبون سلة * فنقبل ضياءً أو نحكم قاضياً
ولكن حكم السيف فيكم مسأط * ففرضى إذا ما أصبح السيف راضياً
فان قلم إنا ظلمنا فلم نكن * ظلمنا ولكننا أسانا ألتقاضياً
[وقال آخر^(٢)

تفرح أن تغلبنى ظالماً * والغالبُ المظلومُ لو تعلم]
وكانوا يتوقون ظلم السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا : « بسم الله إني أعوذ
بالرحمن منك إن كنت تقياً . آخسثوا فيها ولا تكلمون . أخذتُ سمعك وبصرك بسمع
الله وبصره . أخذت قوتك بقوة الله . بينى وبينك ستر النبوة الذى كانت الانبياء
تستتر به من سَطَوَات الفراعنة . جبريلُ عن يمينك وميكائيل عن يسارك ومجد
أمامك والله مطلع عليك ويحجزك عنى ويمعنى منك » .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية . وقد ورد كذلك فى الحماسة منسوباً للشميد الخارنق . والغمير موضع بين
ذات عرق والبستان وقبله بميلين قبر أبى رغال كما فى ياقوت ثم ذكر أنه اسم لموضع آخر . وقد ورد
فى الفتوغرافية هكذا « العبيط » محرفاً عن « الغبيط » وفى اللسان والمعجم أنه اسم واد ومنه صحراء الغبيط
وقد ورد فى شعر امرئ القيس

فألقى بصحراء الغبيط بعاة * كصرع اليماني ذى العياب المحمل
(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال بعض الشعراء

ونستعدى الأمير إذا ظلمنا * فمن يُعدي إذا ظلم الأمير

(١)
[وقال آخر

إذا كان الأمير عليك خصما * فلا تُكثِرْ قَمَدَ غَلَبِ الأميرِ]

وكتب رجل الى صديق له : قد كنت أستعديك طالبا على غيرك فتحكم لي وقد

استعديتك عليك مظلوما فضاق عنى عدلك ، وذكري قول القائل

كنت من كُرتي أقر اليهم * فهم كُرتي فأين الفرار

(١)
[ونحوه

والخصم لا يُرتجى النجاح له * يوما إذا كان خصمه القاضي]

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان يقال : ما أُعطي أحد قط النصف

فأباه إلا أخذ شرا منه . قال : وقال الأحنف : ما عُرِضت النصف قط على أحد

فقبلها إلا دخلتني له هيبَةٌ ولا ردها إلا اختبأتها في عقله .

وقال البعيث

وإني لأعطي النصف من لوظلمته * أقر وطابت نفسه لي بالظلم

وقال الطائي

يرى العلقم المأدوم بالعر أرية * يمانية والأرى بالضم علما

إذا فرشوه النصف نامت شدائته * وإن رتعوأ في ظلمه كان أظلما

[وقال العباس بن عبد المطلب

أبي قومنا أن يُنصفونا فأنصفت * قواطع في أيماننا تقطر الدما

تركاهم لا يستحلون بعدها * لذي رحم يوما من الدهر محرما]

(١) زيادة في النسخة الألمانية . وقد تقدم البيت الثاني في صحيفة ٧٠

بلغنا عن صُمرة عن ثور بن يزيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عمّاله :
أما بعد فاذا دعّتك قدرتك على الناس الى ظلمهم فاذا كر قدرة الله عليك وفناء ما تُؤتي
اليهم وبقاء ما يؤتون اليك ، والسلام .

سمع ابن سيرين رجلا يدعو على من ظلمه ، فقال : أقصر يا هذا ، لا يربح عليك
ظالمك .

قولهم في الحبس

[في الحديث المرفوع^(١) : «شكا يوسف عليه السلام الى الله عز وجل طول الحبس
فأوحى الله إليه : مَنْ حَبَسَكَ يَا يُوسُفُ ، أَنْتَ حَبَسْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ قَلْتَ ﴿ رَبِّ
السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾) ولو قلت : العافية أحب الى لعوفيت» .]

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : «إن يوسف عليه
السلام دعا لأهل السجن دعوة لم تزل تُعرف لهم الى اليوم ، قال : اللهم اعطف
عليهم قلوب الأخيار ولا تُعم عليهم الأخبار» . فيقال : إنهم أعلم الناس بكل خبر
في كل بلد .

وكتب علي باب السجن : «هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وتجربة الصديق
وشماتة الأعداء» .

١٥

أنشدني الرياشي

ما يدخل السجن إنسانُ فسأله : ما بال سجنك إلا قال مظلومُ

وقال أعرابي

ولما دخلت السجن كبر أهله * وقالوا أبوليلي الغداة حزينُ

٢٠

وفي الباب مكتوبٌ على صفحاته * بأنك تزوُّمٌ سوف تلين

(١) زيادة في السعة الألمانية .

ويقال : إن قولهم « تزو وتلين » رُوى مكتوبا على باب حبس فضر به الناس

مثلا .

وقال بعض المسجونين

وبتُّ بأحصنها منزلا * ثقيلًا على عتق السالكِ
ولستُ بضيف ولا في كِرا * ولا مُستعير ولا مالكِ
ولستُ بفصيح ولا كالرُّهون * ولا يشبه الوقف عن هالكِ
ولى مُسمعات فادناهما * بغنى ويسمع في الحالكِ
وأقصاهما ناظرٌ في السما * عمدا وأوسخ من عاركِ

المُسمع الاقول قيده والثاني صاحب الحرس ، ونحوه قول الآخر
ولى مُسمعات وزقارة * وظلٌ مديد وحصن أمق

الزقارة الغل ، وأصل الزقارة السَّاجور .

قال أبو عبيدة : اختص خالد بن صفوان مع رجل الى بلال بن أبي بردة ، فقضى

للرجل على خالد ، فقام خالد وهو يقول

* سحابة سيف عن قليل تَقشَع *

فقال بلال : أما إنها لا تَقشَع حتى يصيبك منها سُؤبُوبُ برد . وأمر به الى
الحبس ، فقال خالد : علام تحبسنى ؟ فوائده ما جنيت جناية ولا خنت خيانة .
فقال بلال : يخبرك عن ذلك بابٌ مُصمّت وأقيادٌ تُقال وقيمٌ يقال له حَفص .

قال المجاج للفضبان بن القُبَيْرِى وراه سميئا : ما أسمنك؟ قال : القيدُ والرَّتعةُ ،

ومن كان في ضيافة الأمير سمن .

كان خالد بن عبد الله حبس الكيمت الشاعر فزارته امرأته في السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يُعرف فقال

ولما أحلوني بصلعاء صليم * بإحدى زبي ذى اللبتين أبي الشبل
خرجتُ خروج القدح قدح ابن مقبل * على رغم أناف النواج والمشلى
على ثياب الغانيات وتحتها * عزيمة مرءٍ أشبهت سلة النصل

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال

وأنى لأرجو خالدا أن يفكني * ويطلق عني مقفلات الحدائد
فإن يك قيدي رد همتي فربما * تناولت أطراف الهموم الأبعاد
وما من بلاء غير كل عشيبة * وكل صباح زائر غير عائد
يقول لى الحداد هل أنت قائم * وما أنا إلا مثل آخر قاعد

وقال بعض الشعراء في خالد بن عبد الله القسرى حين حبس

لعمرى لقد أعمرتم السجن خالدا * وأوطأتموه وطأة المتناقل
فان تحبسوا القسرى لا تحبسوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه في القبائل

وقال بعض المسجنين^(١)

أسجنٌ وقيد واعتراب وعسرة * وفقد حبيب! إن ذا العظيم
وإن امرأتى تبق موثيق عهده * على كل هذا، إنه لكريم

وقال آخر مثله

الى الله أشكو إنه موضع الشكوى * وفي يده كشف المصيبة والبلوى
نرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

(١) كذا بالنسخين الفتوغرافية والألمانية وفي هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى «المسجونين»
نجد التضعيف لا في القاموس ولا في اللسان .

إذا جاءنا السجّات يوماً لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
وتعجبنا الرؤيا بجلّ حديثنا * إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت لم تأت عجلي وأبطأت * وإن قبحت لم تحتيس وأنت عجلي
وقال يزيد بن المهلب وهو في الحبس : يا لهفي على طلبة بمائة الف وفرج في جبهة
أسد . ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال

أصبح في قيدك السباحة والتجود وحمل لمضلع الأتقال
فقال له : أتمدحني على هذه الحال؟ فقال : أصبتك رخيصة فاشتريتك .^(١)

وحبس الرشيد أبا العنابية فكتب إليه من الحبس بأبيات منها
تفديك نفسي من كل ما كرهت * تفسك إن كنت مذنباً فاغفر
يا ليت قلبي مصور لك ما * فيه لتستيقن الذي أضمر

فوقع الرشيد في رقعة : لا بأس عليك . فأعاد عليه رقعة أخرى فيها
كأن الخلق ركب فيه روح : له جسد وأنت عليه رأس
أمين الله إن الحبس بأس * وقد وقعت «ليس عليك بأس»
فامر باطلاقه

الحجاب

أبو حاتم عن العتيبي عن أبيه أن عبد العزيز بن زُرارة الكلابي وقف على باب
معاوية فقال : من يستأذن لي اليوم فأدخله غدا؟ وهو في شمتين، فلما دخل على
معاوية قال : هزرت ذوائب الرجال اليك إذ لم أجد معولا إلا عليك . أمتطى الليل
بعد النهار وأسم المجاهل بالآثار . يقودني نحوك رجاء وتسوقني إليك بلوى ، والنفس
مستبطئة والاجتهاد عاذر . فأكرمه وقربه . فقال في ذلك

(١) في الأصل : «فاملفناك» والتصويب عن المقد الفريد . (٢) في الفتوغرافية : الرجا .

دخلتُ على معاويةَ بنِ حربٍ * وذلك إذِ يُستُ من الدخولِ
وما نلتُ الدخولَ عليه حتى * حلتُ محمَّلةً الرجلِ الذليلِ
وأغضبتُ الجفونَ على قذاها * ولم أسمعِ الي قالٍ وقيلِ
فأدركتُ الذي أملتُ فيه * بمكثٍ والخَطَا زادُ العَجولِ

٥. وقال غير العتيبي: لما دخل عبد العزيز بن زُرارة على معاوية قال له: «إني رحلتُ اليك بالأمل واحتملتُ جفوتك بالصبر، ورأيت بياك أقواما قدمهم الخطُّ، وآخرين باعدهم الحرمانُ . وليس ينبغي للتقدم أن يأمن ولا للتأخر أن يياس . وأول المعرفة الاختبار فابُلِّ وأختبر» وفي حجاب معاوية إياه يقول شاعر مضر
- من يأذن اليوم لعبد العزيز * يأذن له عبدُ عزيزِ غدا

١٠. قال أبو اليقظان: كان عبد العزيز بن زُرارة قتي العرب .
- استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه . فقيل له: حجبتك أمير المؤمنين؟ فقال لا عدمتُ من قومي من إذا شاء حجبتني . وحجب معاوية أبا الدرداء فقال أبو الدرداء: من يَفَشَّ سُدَّ السلطان يَقم ويقعد ومن صادف بابا عنه مغلقا وجد الى جانبه بابا قُتِحا، إن دعا أُجيب وإذا سأل أُعطي .

١٥. قال رجل لحاجبه: إنك عين أنظرُ بها وجنة أستنيم اليها ، وقد وليتكَ بابي ، فما تراك صانعا برعيتي؟ قال: أنظرُ اليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندك وأضعهم في إبطائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم وأرتبهم حيث وضعهم ترتيبك وأحسنُ إبلاغك عنهم وإبلاغهم عنك . قال: قد وقيتَ مالك وما عليك إن صدقته بفعل . وكان يقال: حاجبُ الرجل حارس عِرْضه .

وقرأت في التاج أن أبرويز قال لحاجبه : « لا تقدمن مستغيثا ولا تضعن ذاشرف بصعوبة حجاب ولا ترفعن ذا ضعة بسهولة . وضع الرجال مواضع أخطارهم ، فمن كان مقدما له الشرف من أزدرعته ولم يهدمه من بعد بنائه فقدمه على شرفه الأول وحسن رأيه الآخر ، ومن كان له شرف مقدم فلم يصن ذلك إبلاغا به ولم يزدرعته تميرا له فألحق بابائه مهلة سبقهم في خواصهم ، وألحق به في خاصته ما ألحق بنفسه . لا تأذن له إلا دبرا ولا تأذن له إلا سرا . وإذا ورد عليك كتاب عامل من عمالي فلا تحبسه عنى طرفة عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول الى فيها ، وإن أتاك مدع لنصيحة فاستكتبها سرا ثم أدخله بعد أن تستأذن له . حتى إذا كان منى بحيث أراه فادفع الى كتابه ، فإن أهدت قبلت وإن كرهت رفضت ، ولا ترفعن الى طلبة طالب إن منعه بتلنى وإن أعطيته أزدرانى ، إلا بمؤامرة منى من غير أن تعلمه أنك قد أعلمتني وإن أتاك عالم يستأذن على لعلم يزعم أنه عنده فاسأله : ما علمه ذلك ؟ ثم استأذن له فإن العلم كاسمه ، ولا تحجب سخطه ولا تأذن رضا ، اخصص بذلك الملك ولا تخص به نفسك » .

الهيثم قال : قال خالد بن عبدالله لحاجبه : « لا تحجب عنى أحدا إذا أخذت مجلسي ، فإن الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث : عى يكره أن يطلع عليه منه ، أوربية ، أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله » . ومنه أخذ ذلك محمود الوراق فقال

إذا اعتصم الوالى باغلاق بابيه * ورد ذوى الحاجات دون حجابيه
ظننت به إحدى ثلاث وربما * نزعت بظن واقع بصوابيه
فقلت به مس من العى ظاهر * ففى إذنه للناس إظهار ما به
فان لم يكن عى اللسان فغالبا * من البخل يحى ما له عن طلابيه
فان لم يكن هذا ولا ذا فريبة * بصرت عليها عند إغلاق بابيه

وقال بعض الشعراء

إعلمن إن كنت تعلمه * أن عِرْضُ الْمَلِكِ حَاجِبُهُ
فَبِهِ تَبْدُو مَحَاسِنُهُ * وَبِهِ تَبْدُو مَعَايِبُهُ

وقال آخر

كَمْ مِنْ فِتْيٍ تُحَمَّدُ أَخْلَاقَهُ * وَتَسْكُنُ الْأَحْرَارَ فِي ذَمَّتِهِ
قَدْ كَثُرَ الْحَاجِبُ أَعْدَاءَهُ * وَسَلَّطَ الذَّمُّ عَلَى نِعْمَتِهِ

۵

حضر بابَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه جماعةٌ منهم سهيل بن عمرو وعُيُوبَةُ
ابنِ حِصْنِ وَالْأَقْرَعُ بنِ حَابِسٍ نَخْرَجَ الْأَذْنَ فَقَالَ : أَيْنَ صُهَيْبُ ؟ أَيْنَ عِمَارُ ؟ أَيْنَ
سَلْمَانَ ؟ فَتَمَعَّرَتْ وَجُوهُ الْقَوْمِ . فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : لِمَ تَمَعَّرْتُمْ وَجُوهَكُمْ ؟ دُعُوا وَدَعِينَا
فَأَسْرَعُوا وَأَبْطَأْنَا ، وَلِئِنْ حَسَدْتُمُوهُمْ عَلَى بَابِ عَمْرٍَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرَ .

۱۰

وقال بعض الشعراء

سَأَتْرِكُ هَذَا الْبَابَ مَا دَامَ إِذْنُهُ * عَلَى مَا أَرَى حَتَّى يَخْفَ قَلِيلًا
إِذَا لَمْ يَجِدْ لِلْأَذْنِ عِنْدَكَ مَوْضِعًا * وَجَدْنَا إِلَى تَرْكِ الْمَجْبِيِّ سَبِيلًا

وقال آخر للحاجب

سَأَتْرِكُ بَابَا أَنْتَ تَمْلِكُ إِذْنَهُ * وَإِنْ كُنْتُ أَعْمَى عَنْ جَمِيعِ الْمَسَالِكِ
فَلَوْ كُنْتُ بِقَوَابِ الْجِنَانِ تَرْكُهَا * وَحَوَّلْتُ رِجْلِي مُسْرَعًا نَحْوَ مَالِكِ

۱۵

وكتب أبو العتاهية الى أحمد بن يوسف

لِئِنْ عَدْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنِّي لظَالِمٌ * سَأَصْرَفُ وَجْهِي حَيْثُ تُبْغَى الْمَكَارِمُ
مَتَى يَنْجِحُ الْفَادَى إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ * وَنَصْفُكَ مَحْجُوبٌ وَنَصْفُكَ نَائِمٌ ؟

۲۰

وقال آخر

وَلَمَسْتُ بِمُتَّخِذِ صَاحِبِيَا * يُقِيمُ عَلَى بَابِهِ حَاجِبِيَا

إذا جئتُ قال له حاجةٌ * وإن عدتُ ألقينه غائباً
ويُلزم إخوانه حقّه * وليس يرى حقهم واجبا
فلستُ بلاقيه حتى المماتِ * إذ أنا لم ألقه راكبا

وقال عبد الله بن سعيد في حاجب الحجاج وكان يحجبه دائماً
ألا رُبَّ نصح يُغلق البابُ دونه * وغشٍّ إلى جنب السرير يُقرب

وقال آخر

ما ضاقت الأرض على راغب * يَطْلُبُ الرزق ولا هارب
بل ضاقت الأرض على طالب * أصبح يشكو جفوة الحاجب

وحجّب رجل عن باب سلطان فكتب اليه: «نحن نعوذ بالله من المطامع الدنية
والهمم القصيرة وابتذال الحزبية، فان نفسى والحمد لله آبية ما سقطت وراء همّة
ولا خذلها صبر عند نازلة ولا استرقها طمع ولا طبعيت على طبع وقد رأيتك وليت
عرضك من لا يصونه ووصلت ببابك من يشينه وجعلت ترجحان عقلك من يكثر من
اعدائك وينقص من أوليائك [ويسىء العبارة عنك ويوجه وفد الذم اليك] ويضغن
قلوب إخوانك عليك إذ كان لا يعرف لشريف قدرا ولا لصديق منزلة، ويزيل
المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحطّ العلى الى مرتبة الوضيع ويرفع الدنى الى مرتبة
الرفيع ويحتقر الضعيف لضعفه وتنبو عينه عن ذى البذاذة ويميل الى ذى اللباس
والزينة ويقدم على الهوى ويقبل الرشا» .

وقال بشار، وقيل هو لغيره

تأبى خلائق خالد وفعاله * إلا تجنّب كل أمر عائب
فاذا أتيت الباب وقت غدائه * أذن الغداء برغم أنف الحاجب

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وهذا ضد قول الآخر

إذا تغذى فتربوا به * وأرتد من غير يدٍ بابه
ومات من شهوة ما يُختدى * عباله طراً وأصحابه

وقال آخر

يا أميرا على جريب من الأر * ض له تسعة من الحجاب
قاعداء في الخراب يُحجب عنه * ما سمعنا بحاجب في خراب!

وقال آخر

على أي باب أطلب الاذن بعد ما * نُحبت عن الباب الذي أنا حاجبه

وقال الطائي

يا أيها الملك النائي برؤيته * وجوده لمُراعى جوده كُتب
ليس الحجاب بمُقص عنك لي أملا * إن السماء ترجى حين تحتجب

وقال أيضا

ومحجّب حاولته فوجدته * نجما عن الركب العفاة شسوعا
أعدمته لما عدمت نواله * شكرى فرحنا معدمين جميعا

وقال آخر

قد أطلنا بالباب أمس القعودا * وجفينا به جفاء شديدا
وذمنا العبيد حتى إذا نحن * بلونا المولى عذرنا العبيدا

ومحجّب رجل فكتب

أبا جعفر إن الولاية إن تكن * منبلة قوما فانت لها نبل
فلا ترتفع عنا لشيء وليته * كما لم يصغر عندنا شأنك العزل

وكتب رجل من الكتاب في هذا المعنى الى صديق له : « إن كان ذهولك عنا لدنيا
أَخْضَلَتْ عَلَيْكَ سَمَاوَهَا وَأَرْتَبَتْ بِكَ دِيَمَهَا ^(١) إن أكثر ما يجرى في الظن بك بل في اليقين
منك أنك أملك ما تكون لعنانك أن يجمع بك ولنفسك أن تستعلي عليك اذا لانت لك
أَكْأُفْهَا] وَأَنْقَادٌ فِي كَفِّكَ زَمَامُهَا لَانِكَ لَمْ تَنْلِ مَا نَلَّتْ خَلْسًا وَلَا خَطْفًا، وَلَا عَن مَقْدَارِ
بَرَفِ الْيَكِّ غَيْرِ حَقِّكَ وَأَمَالِ نَحْوِكَ سِوَى نَصِيْبِكَ . فَإِنَّ ذَهَبْتَ إِلَى أَنْ حَقِّكَ
قد يحتمل في قوته وسعته أن تضم اليه الجفوة والنبوة فيتضاءل في جنبه ويصغر عن
كبيره فغير مدفوع عن ذلك . وآيم الله لولا ما بليت به النفس من لظن بك وأن مكانك
منها لا يستده غيرك نسخت عنك وذهلت عن إقبالك وإدبارك وكان في جفائك ما يرد
من غيرتها ويرد من غلتها ، ولكنه لما تكاملت النعمة لك تكاملت الرغبة فيك . »

أبو حاتم عن العنبي قال : قال معاوية لحُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ
فِي أَحْرِيَاتِ النَّاسِ : يَا أَبَا سَاسَانَ كَأَنَّهُ لَا يُحْسِنُ إِذْنُكَ . فَأَنشَأَ يَقُولُ

كُلُّ خَفِيفِ الشَّأْنِ يَسْعَى مَشْمَرًا * إِذَا فَتَحَ الْبُؤَابَ بَابِكَ إِصْبَعًا
وَنَحْنُ الْجُلُوسُ الْمَاكُثُونَ رِزَانَةً * وَحَلَمْنَا إِلَى أَنْ يَفْتَحَ الْبَابَ أَجْمَعًا

وقال بعض الشعراء في بشر بن مروان

بَعِيدٌ مَرْدٌ الْعَيْنِ مَارِدٌ طَرْفَهُ * حِدَارَ الْغَوَاشِي بَابُ دَارٍ وَلَا يَسْتَرُّ
وَلَوْ شَاءَ بَشْرُكَانَ مِنْ دُونَ بَابِهِ * طَاطِمٌ سُودٌ أَوْ صَقَالِبَةٌ حَمْرٌ
وَلَكِنْ بَشْرًا يَسَّرَ الْبَابَ لِاتِي * يَكُونُ لَهُ فِي غَيْبِهَا الْحَمْدُ وَالْأَجْرُ

وقال بشر

فَلَا تَجْعَلَا بِجَلِّ بْنِ قَرْعَةَ إِنَّهُ * مَخَافَةَ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينٌ

(١) كذا بالأصول التي بين أيدينا ولعل الفاء سقطت من قلم الناصح .
(٢) كل ما بين هذين القوسين المرعين غير موجود بالنسخة الفوتوغرافية وقد نقلناه عن النسخة الألمانية .

إذا جئته في العُرف اغلق بابه * فلم تلقه إلا وأنت كمين
فقل لأبي يحيى متى تدرك العلاء * وفي كل معروف عليك يمين

وقال ابن هرمة يمدح

هش إذا نزل الوفود بيباه * سهل الحجاب مؤدب الخدام

وإذا رأيت شقيقه وصديقه * لم تدرا أيهما أخو الأرحام

وكتب رجل إلى بعض الملوك

إذا كان الجواد له حجاب * فما فضل الجواد على البخيل

فكتب إليه الآخر

إذا كان الجواد قليل مال * ولم يُعذر تعلل بالحجاب

وقال عبيد الله بن عكراش [

وإني لأرثي للكريم إذا غدا * على طمع عند اللئيم يطالبه

وأرثي له من مجلس عند بابه * كمرثيتي للطرف والعليج راكمه

وكتب عبد الله بن أبي عيينة إلى صديق له

أتيتك زائراً لقضاء حق * فخال السُّر دونك والحجاب

ولست بساقطٍ في قدر قوم * وإن كرهوا كما يقع الذباب

أبو حاتم عن عبد الله بن مصعب الزبيري قال: كنا بباب الفضل بن الربيع وهم يأذنون

لذوى الهيئات والشارات وأعرابي يدنو فكلما دنا طرح . فقام ناحية وأنشأ يقول

رأيت آذنا يعتام بزتنا * وليس للحسب الزاكي بمُعْتام

ولو دُعينا على الأحساب قدمي * مجدُّ تليد وجدِّ راجح نامي

متى رأيت الصقور الجُدَل يقدُّمها * خلطان من رخيم قُرْع ومن هام

دخل شريك الحارثي على معاوية فقال له معاوية : من أنت ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين
 ما رأيت لك هفوة قبل هذه . مثلك ينكر مثلي من رعيته ! فقال له معاوية : إن معرفتك
 متفرقة ، أعرف وجهك إذا حضرت في الوجود ، وأعرف اسمك في الأسماء إذا
 ذكرت ، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه . فاذكر لي اسمك تجتمع معرفتك .
 استأذن رجلاً على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر ، ثم أذن
 للآخر فدخل عليه بجلس فوق صاحبه . فقال معاوية : إن الله قد ألزمتنا تاديبكم
 كما ألزمتنا رعائكم ، وإن لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك . فقم لا أقام
 الله لك وزناً .

دخل أبو مجلز على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان ، فلم يقبل عليه .
 فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس : هذا أبو مجلز ، فردده واعتذر إليه وقال :
 إنى لم أعرفك . قال : يا أمير المؤمنين فهلا أنكرتني .

قال أشجع السلمي يذكر باب المنصور بن زياد^(١)

على باب ابن منصور . علامات من البذل

جماعات وحسب الباء بفضلا كثرة الأهل

وكانت العرب تتعوذ بالله من قرع الفناء ومن قرع المراح . وقال بعض الشعراء

مالي أرى أبوابهم مهجورة * وكأن بابك نجح الأسواق

أرجوك أم خافوك أم شاموا الحيا * بحراك^(٢) فانتجعوا من الآفاق

وقال آخر

يزدحم الناس على بابه * والمشرع العذب كثير الزحام

(١) هكذا في النسخة الألمانية . وفي الفتوغرافية منصور . والصواب محمد بن منصور كما في الكامل
 لبرد وهو المطابق لقوله « ابن منصور » في البيهقي . (٢) الحرا والحراة الناجية .

وقال آخر * إن الندى حيث ترى الضغاطا *

يعنى الزحام

وقال بشار

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو * ف ولكن يلدُ طعمَ العطاء

يسقط الطيرُ حيث ينثرُ الحبُّ * وتُفشى منازل الكرماء

دق رجل على عمر بن عبد العزيز الباب فقال عمر: من هذا؟ قال أنا. قال عمر: ما نعرف أحدا من إخواننا يسمى أنا.

خرج شبيب بن شيبه من دار الخلافة يوما فقال له قائل: كيف رأيت الناس؟ فقال: رأيت الداخل راجيا ورأيت الخارج راضيا.

قال أبو العتاهية

إذا أشتد دوني حجابُ امرئ * كفتُ المؤونة حجابَه

حجب أعرابي على باب السلطان فقال

أهين لهم نفسى لأكرمها بهم * ولا يكريم النفس الذى لا يُبينها

وقال جرير

قوم إذا حضر الملوك وفودهم * تُتفت شواربهم على الأبواب

وقال آخر

فلما وردت البابَ أيقنتُ أننا * على الله والسلطان غيرُ كرام

وقال أبو القمقام الأسدي^(٢)

أبلغُ أبا مالك عنى مُغلغلة * وفي العتاب حياةٌ بين أقوام

٢٠ (١) فى النسخة الفتوغرافية عمرو بن عبيد .

(٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وقد أورد الجاحظ هذا الشعر فى البيان والتبيين ونسبه لهمام الرقاشى ونسبه المرتضى فى التاج لعصام بن عبيد الزماني .

(٣) كذا بالأصل ويوافق لسان العرب وفى البيان للجاحظ والتاج للمرتضى : أبا مسع

أَدْخَلْتَ قَبْلِي قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ . . . مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْجُوا الْبُيُوتَ قَدَامِي
لَوْ عُدَّ بَيْتٌ وَبَيْتٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ . . . بَيْتًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ
فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ * بِيَابِ دَارِكَ أَدْلُوهَا بِأَفْوَامِ

التلطف في مخاطبة السلطان

وإلقاء النصيحة إليه

العنبي قال قال عمرو بن عتبة للوليد حين تنكر له الناس : يا أمير المؤمنين إنك تنطقني
بالأنس بك وأنا أكفيت ذلك بالهبة لك . وأراك تأمن أشياء أخافها عليك . أفوسكت
مطيعاً أم أقول مشفقاً؟ فقال : كلّ مقبول منك . والله فينا علم غيب نحن صائرون
إليه . ونعود فنقول : فقتل بعد أيام .

وفي إلقاء النصيحة إليه : قرأت في كتاب للهند أن رجلاً دخل على بعض
ملوكهم فقال له : أيها الملك نصيحتك واجبة في الحقير الصغير بله الجليل الخضير
ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يسوء موقعه من الأسماع والقلوب في جنب
صلاح العاقبة وتلافي الحادث قبل تفاقمه لكان خرقاً مني أن أقول . وإن كنا إذ رجعنا
إلى أن بقاءنا [موصول ^(١)] ببقائك وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجد بداً من أداء الحق
إليك وإن أنت لم تسألني [أو خفت ^(١) ألا تقبل مني] ، فانه يقال : من كتم السلطان
نصحه والأطباء مرضه والإخوان بثه فقد خان نفسه .

الخفوت في طاعته

قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد : إني قد أعددتك لأمر . قال : يا أمير المؤمنين ،
إن الله قد أعد لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك ويدها مبسوطة بطاعتك وسيفاً مشحوناً
على عدوك فإذا شئت فقل .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وفي مثله : قال إسحاق بن إبراهيم قال لي جعفر بن يحيى آغدُ على غدا لكذا .
فقلت : أنا والصبح كفرنسي رهان . وفي مثله : أمر بعض الأمراء رجلا بأمر فقال
له : أنا أطوع لك من اليد وأذل لك من النعل . وقال آخر : أنا أطوع لك من الرداء
وأذل لك من الحذاء .

التلطف في مدحه

٥

قال خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته ،
فانك قد زنتها ، ومن كانت شرفته فانك قد شرفتها ، فانت كما قال القائل
وإذا الدرّ زان حسن وجوه * كان للدرّ حسن وجهك زينا
فقال عمر : أعطى صاحبكم مقولا ولم يعط معقولا .

- ١٠ وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء : « إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه
فنظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك وأورد وأصدر عن
رايك ، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطه الرأي على الهوى فيك بعد أن
مبّل بينك وبين الذين سموا لرتبتك وجروا إلى غايتك فأسقطهم مضاركَ وخفّوا
في ميزانك ولم يزدك رفعةً إلا آزددتَ لله تواضعا ، ولا بسطا وإيناسا إلا آزددت له
١٥ هيبه وإجلالا ، ولا تسليطا وتمكينا إلا آزددت عن الدنيا عز ورفا ، ولا تقريبا إلا آزددت
من العامة قريبا . ولا يخرجك فرط النصح للسلطان عن النظر لرعيته ، ولا إيثار حقه
عن الأخذ لها بحتمها عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمن ما عليه ، ولا تشغلك
جلائل الأمور عن التفقد لصغارها ، ولا الجدل بصلاحها واستقامتها عن استشعار
الحذر وإمعان النظر في عواقبها » .

- ٢٠ وفي مدحه : دخل العماني الراجز على الرشيد لينشده وعليه قلنسوة طويلة وخفّ
ساذج ، فقال له الرشيد : يا عماني ، إياك أن تشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور

وَحَقَّانَ دَلِقَانَ فَبَكَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَدِ وَقَدْ تَزَيَّا بِزِيِّ الْأَعْرَابِ ثُمَّ أَنْشَدَهُ وَقَبَّلَ يَدَهُ وَقَالَ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَاللَّهِ أَنْشَدْتُ مَرْوَانَ وَرَأَيْتُ وَجْهَهُ وَقَبَّلْتُ يَدَهُ وَأَخَذْتُ جَائِزَتَهُ
 ثُمَّ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ ثُمَّ السَّقَّاحُ ثُمَّ الْمَنْصُورُ ثُمَّ الْمَهْدِيُّ . كُلُّ هَؤُلَاءِ
 رَأَيْتُ وَجُوهَهُمْ وَقَبَّلْتُ أَيْدِيَهُمْ وَأَخَذْتُ جَوَائِزَهُمْ ، إِلَى كَثِيرٍ مِنْ أَشْبَاهِ الْخُلَفَاءِ وَبِكَارِ
 الْأَمْرَاءِ وَالسَّادَةِ وَالرُّؤَسَاءِ ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِمْ أَهْبَى مَنَظَرًا وَلَا أَحْسَنَ وَجْهًا وَلَا أَنْعَمَ
 كَفًّا وَلَا أَنْدَى رَاحَةً مِنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَعْظَمَ لَهُ الْجَائِزَةَ عَلَى شَعْرِهِ وَأَضْعَفَ لَهُ
 عَلَى كَلَامِهِ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَبَسَطَهُ حَتَّى تَمَنَّى جَمِيعٌ مِنْ حَضْرَائِهِ أَنْ يَأْتِيَ ذَلِكَ الْمَقَامَ .

وَفِي الْمَدِيحِ : كَتَبَ الْمُضَلُّ بْنُ سَهْلٍ إِلَى أَخِيهِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فَقَالَ : « إِنْ أَلَّفَ
 قَدْ جَعَلَ جَدَّكَ عَالِيًا وَجَعَلَكَ فِي كُلِّ خَيْرٍ مُقَدَّمًا وَإِلَى غَايَةِ كُلِّ فَضْلٍ سَابِقًا وَصِيرَكَ ، وَإِنْ
 نَأَتْ بِكَ الدَّارُ ، مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَرَامَتِهِ قَرِيبًا ، وَقَدْ جَدَّدَ لَكَ مِنَ الْبِرِّ كَيْتَ وَكَيْتَ ،
 وَكَذَا يَحْوِزُ اللَّهُ لَكَ مِنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْعِزِّ وَالشَّرَفِ أَكْثَرَ وَأَشْرَفَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .
 وَفِي مَدْحِهِ : قَالَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ : هَلْ أَحْدَثْتَ فِينَا شَيْئًا ؟ فَقَالَ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَدِيحُ فِيكَ دُونَ قَدْرِكَ وَالشُّعْرُ فِيكَ فَوْقَ قَدْرِي ، وَلَكِنِّي أَسْتَحْسِنُ
 قَوْلَ الْعَتَابِيِّ

مَاذَا يَرَى قَائِلٌ يَنْتَبِئُ عَلَيْكَ وَقَدْ * نَادَاكَ فِي الْوَحْيِ تَقْدِيسٌ وَتَطْهِيرٌ
 فَتَ الْمَدَائِحَ إِلَّا أَنْ أَلْسُنَا * مُسْتَنْطِقَاتٌ بِمَا تَخْفَى الضَّمَائِرُ
 [فِي عَتْرَةٍ لَمْ تَقْمِ إِلَّا بِطَاعَتِهِمْ * مِنْ الْكُتُبِ وَلَمْ تُقْضَ الْمَشَاعِيرُ
 هَذِي يَمِينُكَ فِي قُرْبَاكَ صَائِلَةٌ * وَصَارُمٌ مِنْ سِيُوفِ الْهِنْدِ مَأْثُورٌ]

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ عَيْرٌ مَضْبُوطٌ وَاللَّحْمُ كَمَا فِي الْقَامُوسِ دَوِيَّةٌ كَالسُّورِ . وَفِي الْعَفَدِ الْقَرِيدِ « دَلِقَانٌ » .

وَفِي الْيَاقِينِ وَالْتَبْيِيسِ « دَمَالِقَانٌ » وَالِدَمَالِقُ الْحَجْرُ الْأَمْلَسُ .

(٢) زِيَادَةٌ فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ « عِبْرَةٌ » بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالتَّصْحِيحُ عَنِ الْأَغَانِيِّ .

(٤) فِي الْأَصْلِ « جِدْوَالٌ مَائِلَةٌ » وَالتَّصْحِيحُ عَنِ الْأَغَانِيِّ .

وفي مدحه : كتب بعض الكتاب إلى بعض الأمراء : « إن من النعمة على المتني عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التفسير ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب ولا يتهمى به المدح الى غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها . ومن سعادة جَدِّكَ أن الداعي لك لا يعدم كثرة المشايخين ومساعدة النية على ظاهر القول » .

وفي مثله كتب بعض الأدباء الى الوزير : « مما يُعين على شكرك كثرة المنصتين له ، وما يبسط لسان مادحك أمنه من تحمل الإثم فيه وتكذيب السامعين له » .

وفي مثل ذلك : لما عقد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون فقال لعمر بن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فإن يزيد ابن معاوية أملٌ تأملونه وأجل تأمنونه ، إن استضفتهم إلى حلمه وسعكم ، وإن أحتجتم الى رأيه أرشدكم ، وإن أفقرتم الى ذات يده أغناكم ، جَدَّع قَارِحٌ سُوْبِقٌ فسبق ومُوجِدٌ فمُجَدٌ وقُورِعٌ فمُخْرَجٌ فهو خَلْفٌ أمير المؤمنين ولا خلف منه » فقال معاوية : أوسعت يا أبا أمية فاجلس .

وفي مثل ذلك : قال رجل للحسن بن سهل : « أيها الأمير، أسكتني عن وصفك تساوي أفعالك في السودد وحيرني فيها كثرة عددها فليس الى ذكر جميعها سبيل ، وإن أردتُ ذكر واحدة اعترضت أختها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها ، فلست أصفها إلا باظهار العجز عن صفتها » .

وفي مثل ذلك : كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك « إن مما يُطمعني في بقاء النعمة عليك ، ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتها بما فيك من أسبابها ، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقاوم ، والشئ يتغلغل في معدنه ويمجن إلى عنصره ، فإذا صادف منيته ولز في مغرسه ضرب بعرقه وسمق بفرعه وتمكن وتمكن الإقامة وثبت ثبات الطبيعة » .

وفي مثل ذلك : كتب آخر الى بعض الوزراء : « رأيتني فيما أتعاطى من مدحك كالمنجبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على ناظر، وأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوبٌ الى العجز مقصراً عن الغاية فانصرفتُ عن الشاء عليك الى الدعاء لك ، ووكلت الإخبار عنك الى علم الناس بك » .

وفي مثله كتب العتّابي الى خالد بن يزيد : « أنت أيها الأمير وارث سلفك وبقية أعلام أهل بيتك ، المسدود بك ثمتهم والمجدد بك قديم شرفهم والمنبه بك أيام صيتهم والمنبسط بك [آمأنا والصائر بك أكأنا والمأخوذ بك ^(١)] حظوظنا . فانه لم يخجل من كنت وارثه ، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ولا آتحت معاهد من خلفته في مرتبته » .

وفي شكره : قرأت في التاج قال بعض الكتاب للملك : « الحمد لله الذي أعلقني سببا من أسباب الملك ورفع خسيستي بمخاطبته وعزز ركني من الذلة به وأظهر بسطتي في العامة وزين مقاومتي في المشاهدة وفقاً عنى عيون الحسدة وذل لي رقاب الجبابرة وأعظم لي رغبات الرعية وجعل لي به عقبا يوطأ وخطرا يُعظم ومزية تحسن ، والذي حقق في رجاء من كان يأملني وظاهر به قوة من كان ينصرني وبسط به رغبة من كان يسترفدني ، والذي أدخلني من ظلال الملك في جناح سترني ، وجعلني من أكفاه في كنف آتسع عليّ » .

وفي شكره وتعداد نعمه : قرأت في سير العجم أن أردشير لما استوسق له أمره جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضم فيها على الألفة والطاعة وحذرهم المعصية وصنف الناس أربعة أصناف ، نخر القوم شجداً وتكلم متكلمهم مجيباً فقال : « لا زلت

(١) زياد في السعة الألمانية .

أيها الملك محبوباً من الله بعزة النصر ودرك الأمل ودوام العافية وحسن المزيد، ولازلت نتابع لديك النعم وتُسبِّحُ عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها ولا تنقطع زهرتها في دار القرار التي أعدها الله لنظرائك من أهل الزُّلْفَى عنده والحُطْوَة لديه ، ولازال ملكك وسلطانك باقين بقاء الشمس والقمر زائدين زيادة البحور والأنهار حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علوك عليها وتنادي أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الشمس ووصل الينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم ، فجمعت الأيدي بعد افتراقها والكلمة بعد اختلافها وآلفت بين القلوب بعد تباغضها وأذهبت الإحْن والحسائِك بعد استعمار نيرانها ، وأصبح فضلك لا يدرك بوصف ولا يحُد بتعداد ، ثم لم ترض بما عممتنا به من هذه النعم وظاهرت من هذه الأيادي حتى أحببت توطيدها والاستيثاق منها وعميت لنا في دوامها كعملك في إقامتها وكفلت من ذلك ما نرجو نفعه في الخُلوْف والأعقاب ، وبلغت همتك لنا فيه حيث لا تبلغ همم الآباء للأولاد، بخزك الله الذي رضاه تحريته وفي موافقته سعيت أفضل ما التمسْت ونويت .

وفي مثله : قال خالد بن صفوان اوالٍ دخل عليه : « قدمت فأعطيت كلاً بقسطه من نظرك ومجالسك وصلاحك وعدلك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد » .
وفي شكره : كتب بعض الكتاب الى الوزير يشكره : « من شكر لك عن درجة رفعته اليها أو ثروة أفدته إياها فان شكرى إياك على مهجة أحييتها وحُشاشة تبقيتها ورمقٍ أمسكت به وقت بين التلف وبينه » .

وفي شكره : قرأت في كتاب : « ولكل نعمة من نعم الدنيا حدٌ تنتهي إليه ومدى تُوقف عنده وغاية في الشكر يسمو إليها الطرف خلا هذه النعمة التي فانت الوصف وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر وأت من وراء كل غاية وجمعت من أمير المؤمنين

مِنَّا بَحَّةٌ أَبَقَتْ لِلْمَاضِينَ مِنَّا وَلِلْبَاقِينَ نَحْرَ الْأَبْدِ وَرَدَّتْ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمَتْ عَنَّا
 أَنْفَ الْحَسُودِ وَبَسَطَتْ لَنَا عِزًّا نَتَدَاوَلُهُ ثُمَّ نَخْلُفُهُ لِلْأَعْقَابِ فَنَحْنُ نَلْجَأُ مِنْ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَفِّفِ كَرِيمٍ وَقَلْبِ عَطُوفٍ وَنَظَرِ رِءُوفٍ، فَكَيْفَ يُشْكِرُ
 الشَّاكِرُ مِنَّا وَأَيْنَ يَبْلُغُ اجْتِهَادَ مَجْتَهِدِنَا وَمَتَى نُوَدِّي مَا يَلْزِمُنَا وَتَقْضِي الْمَفْتَرَضَ عَلَيْنَا وَهَذَا
 كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ وَلَا بَائِهِ الرَّاشِدِينَ عِنْدَ مَنْ مَضَى مِنَّا وَمَنْ غَيْرِنَا
 إِلَّا مَا وَرَدَ مِنْ صَنُوفِ كِرَامَتِهِ وَأَيَادِيهِ وَلَطِيفِ أَلْفَاظِهِ وَمَخَاطَبَتِهِ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ
 مَا يَحْسُنُ الشُّكْرَ وَيَسْتَفْرِغُ الْمَجْهُودَ» .

التلطف في مسألة العفو

قال كسرى ليوشن المغني وقد قتل فهلوذ حين فاقه وكان تلميذه : « كنتُ
 أستريح منه إليك ومنك إليه فأذهب شطرتي تمتعي حسدك ونقل صدرك » ثم أمر
 أن يلقى تحت أرجل الفيلة فقال : أيها الملك إذا قتلت أنا شطرتك وأبطلته
 وقتلت أنت شطره الآخر وأبطلته، أليس تكون جنائتك على طربك بجنائتي عليه؟
 قال كسرى : دعوه، ما دله على هذا الكلام إلا ما جعل له من طول المدة .
 وفي العفو أيضا . قال رجل للنصور : « الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذُ
 أمير المؤمنين بالله من أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين» .
 وفي العفو : جلس المجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن ، فقام إليه رجل منهم فقال :
 أيها الأمير إن لي عليك حقا . قال : وما حقاك علي ؟ قال : سبك عبد الرحمن يوما
 فرددتُ عنك . قال : ومن يعلم ذلك ؟ فقال الرجل : أنشد الله رجلا سمع ذلك
 إلا شهد به . فقام رجل من الأسرى فقال : قد كان ذلك أيها الأمير . فقال : خلوا

(*) في الأغاني ج ٥ ص ٥٨ : الفهليد .

عنه . ثم قال للشاهد : فما منعك أن تنكر كما أنكروا ؟ قال : لتقديم بغضى إياك . قال :
ويخلى هذا لصدقه .

وفي العفو: أسر معاوية يوم صفين رجلا من أصحاب علي صلوات الله عليه ، فلما
أقيم بين يديه قال : الحمد لله الذي أمكن منك . قال : لا تقل ذلك فإنها مصيبة .
قال : وأية نعمة أعظم من أن يكون الله أظفرتي برجل قتل في ساعة واحدة جماعة
من أصحابي . اضربا عنقه . فقال : اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لأني
ترضى قتلي ، ولكن قتلتني في الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فإن فعل فافعل به ما هو
أهله ، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله . فقال : فأتلك الله ! لقد سببت فأوجعت
في السب ودعوت فأبلغت في الدعاء . خليا سبيله .

وفي مثله . أخذ عبد الملك بن مروان سارقا فأمر بقطع يده فقال .

يدي يا أمير المؤمنين أعيدوها * بعفوك أن تلقى مكانا يشينها
فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة * إذا ما شمالي فارقتها يمينها

فأبى إلا قطعه ، فدخات عليه أمه فقالت : يا أمير المؤمنين ، واحدي وكاسي .
فقال : بنس الكاسب ! هذا حد من حدود الله . فقالت : اجعله من الذنوب
التي تستغفر الله منها . فعفا عنه .

١٥

وفي مثله : أخذ عبد الله بن علي أسيرا من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه فلما
رفع السيف ليضرب به شرط الشامى فوق العمود بين يدي الغلام ونقرت دابة عبد الله
فضحك وقال : اذهب فأنت عتيق آستك . فالتفت إليه وقال : أصلح الله الأمير!
رأيت شرطة قط أنجت من الموت غير هذه ؟ قال : لا ، [قال] ^(١) هذا والله الإدبار . قال :
وكيف ذلك ؟ قال : ما ظنك بنا وكما ندفع الموت بأستتنا فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا .

٢٠

(١) زيادة يعينها السياق .

وفي مثله : نخرج النعمان بن المنذر في غيب سماء فتر برجل من بني يشكر جالسا على غدیر ماء ، فقال له : أتعرف النعمان ؟ قال اليشكري : أليس ابن سلمى ؟ قال : نعم . قال : والله لربما أمررت يدي على فرجها . قال له : ويحك ، النعمان بن المنذر ! قال : قد خبرتك . فما انقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيوه بتحية الملك . فقال له : كيف قلت ؟ قال : أبيت اللعن ، إنك والله ما رأيت شيئا أكذب ولا أأم ولا أوضع ولا أعص ببطر أمه من شيخ بين يديك . فقال النعمان : دعوه ، فأنسا يقول :

تعفو الملوك عن العظيمة* من الذنوب لفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها
إلا ليعرف فضلها * ويخاف شدة نكْلِها

وفي مثله : لما أخذ المأمون إبراهيم بن المهدي استشار أبا إسحاق والعباس في قتله فأشارا به ، فقال له المأمون : قد أشارا بقتلك . فقال إبراهيم : أما أنت يكونا قد نصحا لك في عظم الخلافه وما جرت به عادة السياسة فقد فعلا ، ولكك تأبي أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله . وكان في اعتذاره إليه أن قال : إنه وإن بلغ جرمي استحلال دمي فحلم أمير المؤمنين وفضله يبلغاني عفوه ولي بعدهما شفعة الإقرار بالذنب وحق الأبوة بعد الأب . فقال المأمون : لو لم يكن في حق سببك حق الصنح عن جرمك لبلغك ما أملت حسن تتصلك ولطف توصلك . وكان إبراهيم يقول بعد ذلك : والله ما عنا عن المأمون صلة لرحمي ولا محبة لاستحيائي ولا قضاء لحق عمومتي ، ولكن قامت له سوق في العفو فكره أن يفسدها بي . ومن أحسن ما قيل في مثله قول العتابي

رحل الرجاء إليك مغتربا * حشدت عليه نوابب الدهر

(١) هكذا بالفتوحرافية وفي العقد الفريد "نسبك" .

رَدْتُ إِلَيْكَ نِدَامَتِي أَمَلِي * وَثِيَّ إِلَيْكَ عِنَانَهُ سُكْرِي
وَجَعَلْتُ عُتْبَكَ عَتَبَ مَوْعِظَةٍ * وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عِذْرِي

وقول علي بن الجهم للتوكل

عفا الله عنك ألا حرمةً * ^(۱) تعوذ بعفوك أن أبعدا
لئن جلّ ذنب ولم أعتمده * لأنت أجل وأعلى يدا
ألم تر عبدا عدا طورَه * ومولّى عفا ورشيدا هدى
ومفسد أمر تلافيته * فعاد فأصلح ما أفسدا
أقلني أقالك من لم يزل * ^(۲) يقيك ويصرف عنك الردى

وفي مثله . وجد بعض الامراء على رجل بفخاه وأطرحه حينما ثم دعا به ليسئله

عن شيء فرآه ناحلا شاحبا . فقال له : متى اعتللت ؟ فقال

ما مسني سُقْمٌ وليكنني * جفوت نفسي إذ جفاني الأمير ^(۳)

فعاد له .

وقال آخر

ألا إن خير العفو عفو معجل * وشر العقاب ما يُجازُ به القدرُ

وكان يقال : بحسب العقوبة أن تكون على مقدار الذنب .

وفي العفو : قال بعضهم : إن عاقبت جازيت وإن عفوت أحسنت والعفو

أقرب للتقوى .

(۱) في الأصلين الفتوغرافي والألماني «تجود» والتصويب عن الأغاني .

(۲) في نسخة : العدا .

(۳) كذا بالفتوغرافية والألمانية على أنه شعر والكلام في ذاته مستقيم الوزن ، وأورده صاحب العقد
ثرا وبعده «وآليت أن لا أرضى عنها حتى يرضى عنها أمير المؤمنين» .

ونحوه : قال رجل لبعض الأمراء : أسألك بالذي أنت بين يديه أذل منى بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمرى نظراً من برئى أحب إليه من سُقْمى وبراءتى أحب إليه من جرمى .

ونحوه قول آخر : قديم الحرمة وحديث التوبة يجحان ما بينهما من الإساءة .
وفي مثله : أتى الأحنفُ ابن قيس مُصعبَ بن الزبير فكلّمه في قوم حبسهم ، فقال ، أصلح الله الأمير: إن كانوا حُبسوا في باطل فالحق يخرجهم ، وإن كانوا حُبسوا في حق فالعفو يسعهم ، فغلامهم .

وفي مثله : أمر معاوية بعقوبة رُوْح بن زنباع فقال له روح : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيصة أنت رفعتها أو تنقض منى مرة أنت أبرمتها أو تُسَمِّت بي عدوا أنت وقتته وإلا أتى حلمك وعفوك على جهلى وإساءتى . فقال معاوية : خلياً عنه . ثم أنشد

✽ إذا الله سنى عقد أمرٍ تيسرا ✽

وفي مثله . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نذر إن أمكنه الله منه ليفعلن به ويفعلن . فقال له رجاء بن حيوة : قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو .

وفي مثله : قال ابن القريّة للمجاج في كلام له : أَقْلِنِي عَثْرَتِي وَأَسْغِنِي رَيْقِي فَانهُ لَا بَدَ لِلْجَوَادِ مِنْ كِبُوتِهِ وَلَا بَدَ لِلسَّيْفِ مِنْ نُبُوتِهِ وَلَا بَدَ لِلْحَلِيمِ مِنْ هَفْوَتِهِ . فقال المجاج : كلاً ، والله حتى أوردك جهنم . ألسنت القائل برُسْتَقْبَادٍ : تَغَدَّوْا الْجَدَى قَبْلَ أَنْ يَتَعَشَاكُمْ .
وفي مثله : أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون الى الله ، فاعفُ له فانك به تُعان وإليه تعود . فغلى سبيله .

(١) قهرته وأذلكه .

(٢) كذا بالأصل وفي الأمايل وأسألك بالله إلا أتى حلك الخ .

وفي مثله . قال خالد بن عبد الله لسليمان بعد أن عذبه [بما عذبه به] ^(١) : إن القدرة تذهب الحفيظة وقد جل قدرك عن العتاب ونحن مقرؤون بالذنب ، فإن تعف فأهل العفو وإن تعاقب فيما كان منا . فقال [أولى لك] ^(١) أما حتى تأتي الشام راجلاً فلا عفو .
وفي مثله : ضرب الحجاج أعناق أسارى أتى بهم ، فقال رجل منهم : والله لئن كنا أسانا في الذنب فما أحسنت في المكافأة . فقال الحجاج : أف لهذه الحيف ! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا ! وكف عن القتل .

وفي مثله . أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه . فقال : أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسننة ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول أي رب سل مصعباً فيم تقتلني . قال : أطلقوه . قال : اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض . قال أعطوه ^{١٠} مائة ألف . قال : بأبي أنت وأمي ، أشهد الله أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا . قال : ولم ؟ قال : لقوله فيك

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللآلئ تجأت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروتٌ يُحشى ولا كبرياء
يتقى الله في الأمور وقد أفلح من كان همه الاتقاء ^{١٥}

فضحك مصعب ، وقال : أرى فيك موضعاً للصنعة ، وأمره بلزومه وأحسن إليه فلم يزل معه حتى قتل .

وفي مثله : قال عبد الملك بن الحجاج التغلبي لعبد الملك بن مروان : هربتُ اليك من العراق . قال : كذبت ، ليس إلينا هربت ، ولكك هربت من دم الحسين ^(٢) وخفت على دمك فلبأت إلينا . ثم جاء يوماً آخر فقال ^{٢٠}

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) في النسخة الألمانية « عبد الله » .

أدنو لترحمني وترتق خلتى * وأراك تدفني فأين المدفع

ونحوه قول الآخر

كنت من كربتي أفر إليهم * فهم كربتي فأين الفرار

وفي مثله : قنع المجاج رجلا في مجلسه ثلاثين سوطا وهو في ذلك يقول

وليس بتعزير الأمير نخزية * على إذا ما كنت غير مريب

ونحوه

وإن أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر، لا عار بما فعل الدهر

وفي مثله : مر الحسن البصرى برجل يُقاد منه . فقال للولى : يا عبد الله، إنك

لا تدري لعل هذا قتل وليك وهو لا يريد قتله ، وأنت تقتله متعمدا ، فانظر لنفسك .

قال : قد تركته لله .

وفي مثله . حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : رمى المجاج

فقال : انظروا من هذا ؟ فأوما رجل بيده ليرمى . فأخذ فأدخل عايه وقد ذهب

روحه . قال عيسى بصوت ضعيف يحكى المجاج : أنت الرأينا منذ الليلة ؟ قال :

نعم أيها الأمير . قال ، ما حملك على ذلك ؟ قال : العى والله واللؤم . قال : خلوا

عنه . وكان إذا صدق انكسر

وفي مثله : حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عثمان الشحام قال : أتى المجاج

بالشعبى فقال له : أخرجت علينا يا شعبي ؟ قال : أجذب بنا الجناب وأحزن بنا المنزل

واستحلستنا الخوف واكتحلنا السهر وأصابتنا نخزية لم نكن فيها بررة أتقياء ولا بخرة

أقوياء . فقال المجاج : لله أبوك . ثم أرسله .

(١) كذا بالأصل ولعله النعى .

وفي مثله: أتى موسى بن المهدي رجل كان قد حبسه بفعل يُقرّعه بذنوبه . فقال
الرجل: يا أمير المؤمنين ، اعتذاري مما تقرّعني به ردُّ عليك وإقرارى بما تعتدّه عليّ
يلزمني ذنبا لم أجنيه ، ولكني أقول

فان كنت ترجو بالعقوبة راحة * فلا تزهدن عند المعافاة في الأجر

وفي مثله: قال الحسن بن سهل لنعيم بن حازم وقد اعتذر إليه من ذنب عظمه :
٥ على رسلك أيها الرجل ، تقدمت لك طاعةً وتأخرت لك توبة ، وليس لذنوب بينهما
مكان ، وما ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو .

وفي الدعاء له : قال رجل لبعض الأمراء : « إني لو كنت أعرف كلاما يجوز
أن ألق به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس ، لأحببت أن أبلغ ذلك فيما أدعو به له
وأعظم من أمره ، غير أني أسأل الله الذي لا يخفى عليه ما تحتجب به الغيوب من
١٠ نيات القلوب أن يجعل ما يطالع عليه مما تبلغه نيتي في إرادته للأمر أدنى ما يؤتية
إياه من عطاياه ومواهبه » .

وفي الدعاء له : قرأت في كتاب رجل من الكتاب « لا زالت أيامك ممدودة بين
أمل لك تبلغه وأمل فيك مُحققه حتى نتملى من الأعمار أطولها وترقى من الدرجات
أفضلها » .
١٥

وفي الدعاء : دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعه
فقال : السلام عليك أمير المؤمنين . محمد بن عبد الملك سليل نعمتك وآبن دولتك
وغصن من أغصان دوحتك ، أتأذن له في الكلام ؟ قال : نعم . فتكلم بعد حمد الله
والثناء عليه . فقال « نستمتع الله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك
يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا وفي أثرك من آثارنا ويقيك
٢٠

(١) في النسخة الفتوغرافية « لاجتنب » وهو تحريف .

الأذى بأسماعنا وأبصارنا . هذا مقام العائد بظلك الهارب الى كنفك وفضلك الفقير الى رحمتك وعدلك « ثم تكلم في حاجته .

وفي شكر السلطان وفي حمده : قدم رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته فقال له : ما أقدمك عليّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة . قال : وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت اليها وفاضت في رحالنا وتناولها الأقصى والأدنى منا ، وأما الرهبة فقد أمتنا بعدلك يا أمير المؤمنين علينا وحسن سيرتك فينا من الظلم ، فنحن وفد الشكر .

وفي حمده : كتب بعض الكتاب الى وزير : « كلُّ مدّي يبالغه القائل بفضلك والواصف لأيامك والشاكر للنعمة الشاملة بك قصد أمم عند الفضائل الموفورة لك والمواهب المقسومة للرعية بك ، فواجب على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عزّ أيامك أن يستديمه وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونمائها ، فقد جمع الله بك الشّات وأصلح بها الفساد وقبض الأيدي الجائرة وعطف القلوب النافرة ، فأمنت سرب البرىء وخفضت جأشه وأخفت سبيل الجاني وأخذت عليه مذاهبه ومطالعه ووقفت بالخاصة والعامة على قصد من السيرة أمنوا بها من العثار والكبوة » .

وفي حمده على شكر الله عز وجل . قال شبيب بن شيبه للهدى : إن الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترض بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام .

+ +

تم كتاب السلطان، ويتلوه في الجزء الثاني كتاب الحرب

كتاب الحرب

آداب الحرب ومكايدها

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية ابن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَعَسَى أَنْ تُبْتَلَوْا بِهِمْ وَلَكِنْ قُولُوا اللَّهُمَّ آكِفِنَا وَكُفِّ عَنَّا بِأَسْهَمٍ ، وَإِذَا جَاءَكُمْ يَعْزِفُونَ وَيَرْحَفُونَ وَيَصِيحُونَ فَعَلَيْكُمْ الْأَرْضُ جُلُوسًا ، ثُمَّ قُولُوا : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبَّنَا وَرَبَّهُمْ ، وَنَوَاصِينَا وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِكَ ، فَإِذَا غَشُوكُمْ فَثُورُوا فِي وُجُوهِهِمْ » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن عبد العزيز عن
حدثه أن أبا الدرداء قال : أيها الناس ، عَمَلٌ صَالِحٌ قَبْلَ الْغَزْوِ فَإِنَّمَا تَقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ .

حدثنا القاسم بن الحسن عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم ، ثم قال عند عقد الألوية : بسم الله وعلى عون الله وأمضوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . لا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هيرما ولا امرأة ولا وليدا . وتوقوا قتلهم إذا التقى الرحمفان وعند

(١) في الألمانية "الحكم" .

مُحَمَّةُ النَّهْضَاتِ وَفِي شَنَّ الْغَارَاتِ . وَلَا تَقْلُوا عِنْدَ الْغَنَائِمِ وَنَزَهُوا الْجِهَادَ عَنِ عَرْضِ الدُّنْيَا وَأَبْشُرُوا بِالرَّبَاحِ فِي الْبَيْعِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

استشار قوم أ كثم بن صيفي في حرب قوم أرادوهم وسأله أن يوصيهم فقال :
أَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى أَمْرَائِكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصَّبَاحِ مِنَ الْفِشْلِ وَالْمَرْءُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَةَ . تَثَبَّتُوا فَإِنَّ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِيْنُ ، وَرُبَّتْ عَجَلَةٌ تُعَقِّبُ رَبِيْنَا ، وَأَتَزْرُوا لِلْحَرْبِ وَادْرَعُوا اللَّيْلَ فَإِنَّهُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ .

وقال بعض الحكماء : قد جمع الله لنا أدب الحرب في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسَازَعُوا فَمَا تَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي قال ، قال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم - يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - جُثِيًّا عَلَى الرَّكْبِ كَأَنَّهُمْ نُحْرَسُ يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْحَيَاتِ . قال : وسمعتهم عائشة يُكَبِّرُونَ يَوْمَ الْجَمَلِ فَقَالَتْ : لَا تَكْثُرُوا الصَّبَاحَ فَإِنَّ كَثْرَةَ التَّكْبِيرِ عِنْدَ الْلِقَاءِ مِنَ الْفِشْلِ .

وذكر أبو حاتم عن العُتْبِيِّ عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ قَالَ : أَوْصَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى الشَّامِ فَقَالَ : يَا يَزِيدُ سِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . فَإِذَا دَخَلْتَ بِلَادَ الْعَدُوِّ فَكُنْ بَعِيدًا مِنَ الْحَمَلَةِ فَإِنَّهُ لَا أَمَانَ عَلَيْكَ الْجَوْلَةَ . وَأَسْتَظْهِرُ بِالزَّادِ وَسِرْ بِالْأَدْلَاءِ وَلَا تَقَاتِلْ بِمَجْرُوحٍ فَإِنَّ بَعْضَهُ لَيْسَ مِنْهُ ، وَأَحْتَرَسُ مِنَ الْبَيَّاتِ فَإِنَّ فِي الْعَرَبِ

(١) أي شدتها ومعظمها . (٢) في الفئوغرافية «القتال» .

غِرة، وأقلل من الكلام فانما لك ما وُعي عنك . وإذا أتاك كتابي فأنقذه فانما أعمل على حسب إنفاذه . وإذا قَدِمَتْ عليك وفودُ العجم فانزلهم معظم عسكرك وأسبغ عليهم النفقة وأمنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين . ولا تُلحِّن في عقوبة [فان أدناها وجع] ولا تسرعن اليها وأنت تكفي بغيرها . وأقبل من الناس علانيتهم وكلهم الى الله في سرائرهم . ولا تجسس عسكرك ففضحه ولا تهمله فتفسده . وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه .

[قال أبو بكر لعكرمة حين وجهه الى عُمان : يا عكرمة سر على بركة الله ولا تنزل على مستامن ولا تؤمنن على حق مسلم وأهدر الكفر بعضه ببعض . وقدم النذر بين يديك . ومهما قلت إني فاعل فافعله ولا تجعل قولك اغوا في عقوبة ولا عفوا . ولا ترج إذا أمنت ولا تخافن إذا خُوفت ولكن أنظر متى تقول وما تقول . ولا تعدن معصية بأكثر من عقوبتنا فان فعلت أثمت وإن تركت كذبت . ولا تؤمنن شريفا دون أن يكفل بأهله ولا تكفلن ضعيفا أكثر من نفسه . وآتق الله فاذا لقيت فاصبر .]

وأوصى عبد الملك بن صالح أمير سريّة^(٢) الى بلاد الروم فقال : أنت تاجر الله لعباده فكن كالمضارب الكيس الذي إن وجد ربحت تجر ، وإلا احتفظ برأس المال . ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة . وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك .

وحدثني محمد بن عبيد عن ابن عيينة قال : أخبرني رجل من أهل المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة أو لعمر بن العاص : « إذا بعثتك في سرية فلا تنتقمهم وأقتطعهم فان الله ينصر القوم بأضعفهم » .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) كذا بالنسخين الفلورنسية والألمانية وفي العقد الفريد « مروان » .

حدثني محمد بن عبيد ^(١) [عن ابن عيينة] عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال :
غزا نبي من الأنبياء أو غير نبي فقال : « لا يفزوت معي رجل بنى بناء لم يكمله ،
ولا رجل تزوج امرأة لم يبن بها ، ولا رجل زرع زرعاً ثم لم يحصده » .

[وذكر ابن عباس علياً فقال : ما رأيت رئيساً يوزن به . لرأيتُه يوم صيفين وكأنت
عينه سراجاً سايط وهو يحمس أصحابه الى أن انتهى إلى وأنا في كنف ^(٢) فقال : معشر
المسلمين ، استشعروا الخشية وعنوا الأصوات ^(٣) وتجليبوا السكينة وأكلوا اللؤم ^(٤) وأخفوا
الخنون وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل السلة ^(٥) وألحظوا الشرر وأطعنوا النبر ^(٥) وناجخوا
بالظبا وصلوا السيوف بالخطا والرماح بالنبل وآمشوا الى الموت مشياً سجعاً . وعليكم
بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب فأضربوا ثجبه فان الشيطان راكد في كسره ناغ
خُصيه مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يداً وأثر للنكوص رجلاً] .

ولما وتى يزيد بن معاوية سلم بن زياد نحرسان قال له : إن أباك كفى أخاه
عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً فلا تتكلن على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك .
وإياك مني قبل أن أقول إياي منك ، فان الظن إذا أخلف فيك أخلف منك .
وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه ، وقد أتعبك أبوك فلا تريحن نفسك ، وكن
لنفسك تكن لك ، واذكر في يومك أحاديث غذك ترشد إن شاء الله .

قال الأصمعي قالت أم جبنويه ملك طخارستان لنصر بن سيار اللثي : ينبغي
للأمير أن تكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفشى إليه سره ، وحصن يلجأ إليه
إذا فزع فينجيه — يعني فرسا — وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف خونه ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل «كنف» وهو تحريف والكنف الحشد والجماعة .
(٣) من التعمية أي الحبس والأسر أي أحبسوا أصواتكم ولا ترفعوها . (٤) كذا بالأصل ولم نجده في نهج
البلاغة ولغته «أخفوا اللؤم» جمع نخوذة أي اجعلوها خفيفة حتى لا تتقلكم في الحرب . (٥) يقال ظعن
نبر : مخنأس كأنه ينبر الريح عنه أي يرمعه بسرعة . وفي نهج البلاغة : والحظوا الخزر واطعنوا الشرر .

وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابتها نائبة أخذها، وامرأة إذا دخل عليها أذهبت همه، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له ما يشتهيه .

وبلغنى عن عباد بن كثير عن عَقِيل ^(۱) [بن خالد] ^(۲) عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما غلب قوم قط يبلغون اثني عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم» . [وقال رجل يوم حنين: لن تغلب اليوم عن قلة . وكانوا اثني عشر ألفا فهزم المسلمون يومئذ وأنزل الله عز وجل (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ الآية)] . وقالوا كان يقال: ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه : البغي ، قال الله تعالى (يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُغِيكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ) والمكر ، قال الله تعالى (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) والنكث ، قال عز وجل (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) .

وقرأت في كتاب للهند : لا ظفر مع بغي ، ولا صحة مع نهم ، ولا ثناء مع كبر ، ولا صداقة مع خب ، ولا شرف مع سوء أدب ، ولا بر مع شح ، ولا اجتناب محرم مع حرص ، ولا محبة مع زهو ، ولا ولاية حكم مع عدم فقه ، ولا عذر مع إصرار ، ولا سلامة مع ريبة ، ولا راحة قلب مع حسد ، ولا سُودد مع انتقام ، ولا رياسة مع غرارة ومُحِب ، ولا صواب مع ترك المشاورة ، ولا ثبات مُلْك مع تهاون وجهالة وُزراء .

خرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهته ذلك فقيل له : ما يهتك منهم؟ وجه اليهم وكيع بن أبي سُود فانه يكفيكمهم . فقال : لا ، إن وكيعا رجل به كبر يحتقر أعداءه ، ومن كان هكذا قلت مبالاته بعدوه فلم يحترس منه فيجد عدوه منه غررة .

۲۰ (۱) زيادة في النسخة الألمانية . (۲) كذا في الأصل الفتوغرافي وفي النسخة الألمانية : الزبيرى والصواب الأثرل فان المعروف في كتب طبقات المحدثين أن عقيل بن خالد بروى عن الزهري والزهري بروى عن عبيد الله بن عبد الله . (۳) في الفتوغرافية «ولا محبة مع هزؤ» .

وقرأت في بعض كتب العجم أن ملكا من ملوكهم سئل : أية مكاييد الحرب أحزم ؟ فقال : إذكاء العيون واستطلاع الأخبار وإفشاء الغلبة وإظهار السرور وأمانة الفرق والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا استنصاح لمن يُستغش ولا تحويل شيء عن شيء إلا بسد ناحية من المراتب وحسن مجاملة الظنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره . وسئل عن وثائق الحزم في القتال فقال : مخالطة العدو عن الرّيف وإعداد العيون على الرّصد وإعطاء المبلّغين على الصدق ومعاينة المتوصّلين بالكذب والألأُحرج هاربا الى قتال ولا تُضيق أمانا على مستأمن ولا تُسبّ عن أصحابك للُبغية ولا تُسدّهنك الغنيمة عن المحاذرة .

وقرأت في كتاب للهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال . يحذر المواثبة إن قرُب، والغارة إن بعد، والكمين إن انكشف، والاستطراد إن ولى، والمكر إن رآه وحيدا . ويكره القتال ما وجد بدا لأن النفقة فيه من الأنفس والنفقة في غيره من المال .

وقرأت في الآيين : قد جرت السنة في المحاربة أن يوضع من كان من الجند أعسر في الميسرة ليكون لقاؤه يسرا ورميه شزرا وأن يكون اللقاء من الفرسان قُدما وترك ذلك على حال ممائلة أو مجانبة وأن يرتاد للقلب مكانا مشرفا ويلتمس وضعه فيه فان أصحاب الميمنة والميسرة لا يُقهرون ولا يُغلبون وإن زالتا بعض الزوال ما ثبت المادتان فان زالت المادتان لم ينتفع بثبات الميمنة والميسرة . [وإذاعى الجند فليناوش أهل الميمنة والمادتان فاما الميسرة] فلا يُسَدّق منهم أحد إلا أن يبادر اليهم من العدو من يخاف باثقتة فيردون عاديتهم مع أن أصحاب الميمنة والمادتين لا يقدرّون على لقاء من يناوشهم والرجوع الى أصحابهم عاطفين ، وأصحاب الميسرة لا يقدرّون على مناوشة

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي الفتوغرافية هكذا "المادان" ولم نوفق الى تصويبها .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

- الامائلين ويعجزهم الرجوع عاطفين . ولا يألوت صاحب الجيش على حال من الحال أن يستدبر جنده عين الشمس والريح ، ولا يحارب جندا الا على أشد الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بد ، فاذا كان كذلك فليجهد صاحب الجيش أن يدافع بالحرب الى آخر النهار . وينبغي على كل حال أن يخلى بين المنهزمين وبين الذهب ولا يُجسوا . وإن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدو أن ينالوا من الماء فليس من الرأي أن يُحال بينهم وبينه لئلا يُخرجوا الى الجحيم في محاربتهم . وإن كان العدو قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فان وقت طلب ذلك عند رمي العدو من الماء وسقيهم دوابهم منه وعند حاجة الجند إليه ، فان أسلس ما يكون الانسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشد ما يكون طلبا للشيء عند حاجته اليه . ولتسير الطلائع في قرار من الأرض ويقفوا على التلاع ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها . وليكن الكمين في الخمر والأماكن الخفية . وليطرح الحسك في المواضع التي يتخوف فيها البيات . وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فان في انتشاره فساد العسكر وانتفاضه . وإذا كان أكثر من في الجند من المقاتلة مجريين ذوى حنكة وبأس فيدار العدو الجند الى الوقعة خير للجند . وإذا كان أكثرهم أغمارا ولم يكن من القتال بد فيدار الجند الى مقاتلة العدو أفضل للجند . وليس ينبغي للجند أن يقاتلوا عدوا إلا أن تكون عدتهم أربعة أضعاف عدة العدو أو ثلاثة أضعافهم ، فان غزاهم عدوهم لزمهم أن يقاتلهم بعد أن يزيدوا على عدة العدو مثل نصف عدتهم . وإن توسط العدو بلادهم لزمهم أن يقاتلهم وإن كانوا أقل منهم ، وينبغي أن ينتخب للكمين من الجند أهل جراءة وشجاعة وتيقظ وصرامة وليس بهم أنين ولا سُعال ولا عطاس ويُختار لهم من الدواب مالا يسهل ولا يغث ، ويُختار لكونهم مواضع لا تُغشى ولا تُؤتى ، قريبة من

(١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفلورنسية "يعنت" . ولعل الصواب ينهت كضرب والنهات

النفس بانين وهو الزحير .

الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الروية والتشاور والثقة بإصابة الفرصة، ولا يخيفوا سباعا ولا طيرا ولا وحشا. وأن يكون إيقاعهم كضريم الحريق، وليجتنبوا الغنائم ولينهضوا من الممكن متفرقين إذا ترك العدو الحراسة وإقامة الرمايا، وإذا أونس من طلائعهم توائ وتربط وإذا أمرجوا دوابهم في الرعي، وأشد ما يكون البرد في الشتاء وأشد ما يكون الحر في الصيف. وأن يرفضوا ويفترقوا إذا ناروا من مكثهم بعد أن يستخير بعضهم بعضا وأن يسرعوا الإيقاع بعدوهم ويتركوا التلبث والتلفت. وينبغي للبيتين أن يفترصوا البيات إذا هبت ريح أو أونس من نهر قريب منهم حرير فإنه أجدر ألا يُسمع لهم حس. وأن يتوخي بالوقعة نصف الليل أو أشد ما يكون إظلاما، وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدو وبقيتهم حوله، ويبدأ بالوقعة من يصير منهم في الوسط ليُسمع بالضجة والضوضاء من ذلك الموضع لا من حوله، وأن يُسرد قبل الوقعة الأفره فالأفره من دوابهم ويقطع أرسانها وتهمز بالرمح في أعجازها حتى تُتخبر وتغير ويُسمع لها ضوضاء، وأن يهتف هاتف ويقول: يا معشر أهل العسكر النجاء النجاء فقد قُتل قائدكم فلان وقتل خلق وهرب خلق. ويقول قائل: أيها الرجل استجيني لله. ويقول آخر: العفو العفو. وآخر: أوه أوه، ونحو هذا من الكلام. ^(١) وليعلم أنه إنما يُحتاج في البيات إلى تحيير العدو وإخافته وليجتنبوا التقاط الأمتعة وأستياق الدواب وأخذ الغنائم. قال: وينبغي في محاصرة الحصون أن يُستمال من يُقدر على استمالته من أهل الحصن والمدينة ليظفر منهم بمحصلتين: إحداها استنباط أسرارهم، والأخرى إحاقهم وإفزازهم بهم، وأن يُدس منهم من يصغر شأنهم وبؤيسهم من المدد ويخبرهم أن سرهم منتشر في مكيدتهم، وأن يُفاض حول الحصن ويشار إليه بالأيدى كأن فيه مواضع حصينة وأخر ذليلة ومواقع يُنصب المجانيق

(١) في النسخة الفقهية بعد هذا زيادة: وأشد

فأره بذكرها إذا ما ذكرتها * ومن بعد أرض دونها ربما.

عليها ومواضع تُهَيِّأ العرَّادات لها ومواضع تُتَّقَب نَقبا ومواضع توضع السَّلام عليها ومواضع يُتَسَوَّر منها ومواضع يُضْرَم النار فيها ليملاهم ذلك رعبا، ويكتب على نُشَابَة: إياكم أهل الحصن والأغترار وإغفال الحراسة، عليكم بحفظ الأبواب فإن الزمان خبيث وأهله أهل غدر فقد خُدع أكثر أهل الحصن وأَسْمِلُوا، ويُرْمى بتلك النشابة في الحصن ثم يُدَس لمخاطبتهم المنطوق المُضَيَّب الدَّهَى الموارِب المَخَاتِل غير المِهْذَار ولا المغفل. وتؤثر الحرب ما أمكن ذلك فإن في المحاربة جرأة منهم على من حاربهم ودليلا على الحيلة والمكيدة، فإن كان لا بد من المحاربة فليحاربوا بأخف العُدَّة وأيسر الآلة. وينبغي أن يغلب العدو على الأرض ذات الخمر والشجر والأنهار للعسكر ومصاف الجنود ويُخَلَّى بين العدو وبين بساط الأرض ودكادكها.

وفي بعض كتب العجم أن بعض الحكماء سئل عن أشد الأمور تدريبا للجنود وشحذا لها، فقال: استعادة القتال وكثرة الظفر، وأن تكون لها مواد من ورائها وغنيمة فيما أمامها، ثم الإكرام للجيش بعد الظفر والإبلاغ بالمجاهدين بعد المناصب، والتشريف للشجاع على رءوس الناس.

قال المدائني [قال نصر بن سيار^(١)]: كان عطاء الترك يقولون: القائد العظيم ينبغي أن تكون فيه خصال من أخلاق الحيوان: شجاعة الديك، وتحشُّ الدجاجة، وقلب الأسد، وحملة الخنزير، [وروغان الثعلب، وختل الذئب]. وكان يقال في صفة الرجل الجامع: له وثبة الأسد، وروغان الثعلب، وختل الذئب^(١) وجمع الذرة، وبُكُور الغراب.

وكان يقال: أصلح الرجال للحرب المجرَّب الشجاع الناصح.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الأصم قال ، قيل لعمر بن معاوية العقيلي
 وكان صاحب صوائف : بم ضبطت الصوائف ؟ أي الثغور قال : بسانة الظهر وكثرة
 الكعك والقديد . وفي كتاب الآيين : ليكن أول ما تجعله معك خبزاً ثم خبزاً ثم خبزاً .
 وإياك والمفارش والثياب . أبو اليقظان قال قال شبيب الخارجي : الليل يكفيك
 الجبان ونصف الشجاع . وكان إذا أمسى قال لأصحابه : أتاكم المدد ، يعني الليل .
 وقيل لبعض الملوك : بيت عدوك . قال : أكره أن أجعل غلتي سرقة .

المدائني قال : لما اشتغل عبد الملك بمحاربة مصعب بن الزبير اجتمع وجوه
 الروم الى ملكهم فقالوا : قد أمكنتك الفرصة من العرب بتشاكل بعضهم ببعض ،
 فالرأي أن تغزوهم في بلادهم . فنهاهم عن ذلك وخطأ رأيهم ، ودعا بكليين فأرش
 بينهما فاقتهما قتالا شديداً ، ثم دعا بشعلب نخله بينهما ، فلما رأى الكلبان الثعلب تركا
 ما كانا فيه وأقبلوا على الثعلب حتى قتلاه ، فقال لهم ملك الروم : هذا مثلنا ومثلهم .
 فعرفوا صدقه [وحسن رأيه] ورجعوا عن رأيهم .

وأوصى بعض الحكماء ملكاً فقال : لا يكن العدو الذي قد كشف لك عن
 عداوته بأخوف عندك من الظنين الذي يستتر لك بمخاتلته ، فانه ربما تخوف الرجل
 السم الذي هو أقتل الأشياء وقتله الماء الذي يحيي الأشياء ، وربما تخوف أن يقتله
 الملوك التي تملكه ثم قتلته العبيد التي يملكها . فلا تكن للعدو الذي تُناصب بأحذر
 منك للطعام الذي تأكل . وأنا لكل أمر أخذت منه نذيرك وإن عظم آمن مني
 من كل أمر عرّيته من نذيرك وإن صغر . واعلم أن مدينتك حرز من عدوك ،
 ولا مدينة تحرز فيها من طعامك وشرابك ولباسك وطيبك ، وليست من هذه الأربع
 واحدة إلا وقد تُقتل بها الملوك .

- وذكر عبد الملك بن صالح الهاشمي أن خالد بن برمك، حين فصل مع قحطبة من خراسان، بينا هو على سطح بيت في قرية قد نزلها وهم يتغدون نظر الى الصحراء فرأى أفاطيع ظباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر، فقال لقحطبة: أيها الأمير ناد في الناس: يا خيل الله اركبي، فان العدو قد نهد اليك وحش، وغاية أصحابك أن يسرجوا ويُلجموا قبل أن يروا سرعان الخيل، فقام قحطبة مذعورا فلم ير شيئا يروعه ولم يعاين غبارا، فقال لخالد: ما هذا الرأي؟ فقال خالد: أيها الأمير لا تشاغل بي وناد في الناس. أما ترى أفاطيع الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس! إن وراءها لجمعا كثيفا. قال: فوالله ما أسرجوا ولا أجموا حتى رأوا ساطع الغبار فسلموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد أضطلم.
- وقال بعض الحكماء لبعض الملوك: أمرك بالتقدم والأمر ممكن، وبالإعداد لغد من قبل دخولك في غد كما تعدّ السلاح لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك، وكما تأخذ عتاد البناء من قبل أن تصيبه السماء وأنت لا تدري لعلها لا تصيبه، بل كما تعدّ الطعام لعدد الأيام وأنت لا تدري لعلك لا تأكله. وكان يقال: كل شيء طلبته في وقته فقد مضى وقته.
- [وقرأت في كتاب سير العجم أن فيروز بن يزيد بن بهرام لما ملك ساريجنوده نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهياطلة ببليخ، فلما انتهى الى بلاده اشتد رعب اخشنوار منه وحذر له، فناظر أصحابه ووزراءه في أمره، فقال له رجل منهم: أعطني موثقا وعهدا تطمئن اليه نفسي أن تكفيني أهلي وولدي وتحسن اليهم وتحلفني فيهم، ثم أقطع يدي ورجلي وألقني على طريق فيروز حتى يمر بي هو وأصحابه فأكفيك مؤوتهم [وشوكتهم] وأوژطهم مورطا تكون فيه هلكتهم. فقال له اخشنوار: وما الذي تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت

ولم تَشْرِكْنَا فِي ذَلِكَ؟ قَالَ : إِنِّي قَدْ بَلَغْتُ مَا كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَبْلُغَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنَا
 مُوقِنٌ بِأَنَّ الْمَوْتَ لَا بَدَّ مِنْهُ وَإِنْ تَأَخَّرَ أَيَّامًا قَلِيلًا ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُخْتِمَ عَمْرِي بِأَفْضَلِ
 مَا تُنْتَجَمُ بِهِ الْأَعْمَارُ مِنَ النَّصِيحَةِ لِأَخْوَانِي وَالتَّكَايَةِ فِي عَدُوِّي فَيَشْرُفُ بِذَلِكَ عَقْبِي
 وَأَصِيبَ سَعَادَةً وَحُظْوَةً فِيمَا أُمَامِي ، فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ حَيْثُ وَصَفَ لَهُ .
 فَلَمَّا مَرَّ بِهِ فَيَرُوزَ سَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ اخْشِنَوَارَ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ وَأَنَّهُ احْتَالَ
 حَتَّى حُمِلَ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ لِيَدْلَهُ عَلَى عَوْرَتِهِ وَغِيْرَتِهِ وَقَالَ : إِنِّي أَدْلُكَ عَلَى طَرِيقٍ هُوَ
 أَقْرَبُ مِنْ هَذَا الَّذِي تَرِيدُونَ سَلُوكَهُ وَأَخْفَى ، فَلَا يَشْعُرُ اخْشِنَوَارَ حَتَّى تَهْجُمُوا عَلَيْهِ
 فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ لِي مِنْهُ بِكُمْ ، وَلَيْسَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ مِنَ الْمَكْرُوهِ إِلَّا تَفْوِيزُ يَوْمَيْنِ ثُمَّ تُفْضُونَ
 إِلَى كُلِّ مَا تَحْبُونَ . فَقبلَ فَيَرُوزَ قَوْلَهُ بَعْدَ أَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ وَزَرَأُوهُ بِالْإِتِهَامِ لَهُ وَالْحَذَرِ مِنْهُ
 وَبَغِيْرِ ذَلِكَ ، نَخَالَفَهُمْ وَسَلَّكَ الطَّرِيقَ حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْمَفَازَةِ لَا صَدْرَ
 عَنْهُ ثُمَّ بَيَّنَّ لَهُمْ أَمْرَهُ فَتَفَرَّقُوا فِي الْمَفَازَةِ يَمِيْنًا وَشِمَالًا يَلْتَمِسُونَ الْمَاءَ فَقَتَلَ الْعَطْشُ
 أَكْثَرَهُمْ وَلَمْ يَخْلُصْ مَعَ فَيَرُوزَ مِنْهُمْ إِلَّا عِدَّةٌ بِسِيْرَةٍ فَإِنَّهُمْ انْطَلَقُوا مَعَهُ حَتَّى أَشْرَفُوا عَلَى
 أَعْدَائِهِمْ وَهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لَهُمْ فَوَاقِعَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ وَعَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الضَّرِّ وَالْجُهْدِ
 فَاسْتَمَكَنُوا مِنْهُمْ وَأَعْظَمُوا النَّكَايَةَ فِيهِمْ ، ثُمَّ رَغِبَ فَيَرُوزَ إِلَى اخْشِنَوَارَ وَسَأَلَهُ أَنْ يَمُنَّ
 عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ أَلَّا يَغْزُوهُ أَبَدًا فِيمَا
 يَسْتَقْبِلُ مِنْ عَمْرِهِ وَعَلَى أَنَّهُ يَحُدُّ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَمْلَكَتِهِ حُدًّا لَا تَجَاوِزُهُ جُنُودُهُ ، فَرَضِيَ
 اخْشِنَوَارَ بِذَلِكَ بِخَلِّي سَيْلِهِ وَانصَرَفَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ ، فَكَثَّ فَيَرُوزَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ كَثِيْبًا
 ثُمَّ حَمَلَهُ الْأَنْفُ عَلَى أَنْ يَعُودَ لَغَزْوِهِ وَدَعَا أَصْحَابَهُ إِلَى ذَلِكَ فَرَدَّوهُ عَنْهُ وَقَالُوا : إِنَّكَ
 قَدْ عَاهَدْتَهُ وَنَحْنُ نَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ الْبَغْيِ وَالْفُتُورِ مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَارِ وَسُوءِ الْمَقَالَةِ .
 فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي إِنَّمَا شَرَطْتُ لَهُ أَلَّا أَجُوزَ الْحَجْرَ الَّذِي جَعَلْتَهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَنَا أَمْرٌ بِالْحَجْرِ

(۱) فِي الْأَصْلِ : فَوَاقِعَهُمْ عَلَى تِلْكَ مِنْ حَالَةِ وَعَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الضَّرِّ وَالنَّصِيْبِ وَاضِحٌ .

- ليحمل على تجلّة أماننا . فقالوا له : أيها الملك ، إن العهود والمواثيق التي يتعاطاها الناس بينهم لا تُحمل على ما يُسرّ المعطي لها ولكن على ما يُعلن المعطي ، وإنك إنما جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذي عرّفه لا على أمر لم يخطر بباله . فأبى فيروز ومضى في غزاته حتى انتهى إلى الهياطة وتصافّ الفريقان للقتال فأرسل اخشنوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيهم ليكلّمه ، فخرج إليه فقال له اخشنوار ٥
- قد ظننت أنه لم يدعك إلى غزونا إلا الأثف مما أصابك . ولعمري لئن كآا احتلنا لك بما رأيت ، لقد كنت التمتت منا أعظم منه ، وما ابتدأتك ببغى ولا ظلم ولا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا ، ولقد كنت جديرا أن تكون ، من سوء مكافأتنا بمننا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذي وكّدت على نفسك ، أعظم أنفا وأشدّ امتعاضا مما نالك منا ، فإننا أطلقناكم وأتم أسرى ومنا عليكم وأتم مشرفون ١٠
- على الهلكة وحقنا دماءكم وبنا قدرة على سفكها ، وإنا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب اليها فيه والمريد لنا عليه ففكر في ذلك وميل بين هذين الأمرين فانظر أيهما أشدّ عارا وأقبح سمعا ، إن طلب رجل أمرا فلم يتح له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها ببغيته وأستمكن منه عدوه على حال جهد وضيعة منه ومن معه ، فمن عليهم وأطلقهم على شرط شرطوه وأمر اصطاحوا عليه فاضطر لمكروه ١٥
- القضاء وأستحيا من النكث والغدر أن يقال امرؤ نكث العهد وختر الميثاق . مع أني قد ظننت أنه يزيدك نجاحا ما تثق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عنتهم وطاعتهم لك ، وما أجدني أشك أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شخصك بهم عارفون بأنك قد حملتهم على غير الحق ودعوتهم إلى ما يُسخط الله ، فهم في حربنا غير مستبصرين ونياتهم في مناصحتك اليوم مدخولة ، فانظر ما قدر غنا من ٢٠
- يقاتل على مثل هذه الحال ، وما عسى أن تبلغ نكايته في عدوه إذا كان عارفا بأنه

إن ظفر فمع عار وإن قُتل فإلى النار، فأنا أذكرك الله الذي جعلته على نفسك كفيلاً
 ونعمتي عليك وعلى من معك بعد ياسمكم من الحياة وإشفائكم على الممات، وأدعوك
 إلى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالعهد والاقتران بآبائك الذين مضوا على ذلك
 في كل ما أحبوه أو كرهوه، فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره، ومع ذلك إنك
 لست على ثقة من الظفر بنا والبلوغ لنهتكت فينا وإنما تلتبس منا أمرا تلتبس منك
 مثله وتناوى عدوا لعله يُمنح النصر عليك فقد بالغت في الاحتجاج عليك وتقدمت
 في الإعذار إليك ونحن نستظهر بالله الذي آعترزنا به ووثقنا بما جعلته لنا من عهده
 إذا استظهرت بكثرة جنودك وأزدهتك عدة أصحابك، فدونك هذه النصيحة فوالله
 ما كان أحد من نصحاءك ببالح لك أكثر منها ولا زائد لك عليها، ولا يحرمك منفعتها
 محرّجها مني فإنه لا يُزري بالمنافع عند ذوى الرأي أن كانت من قبل الأعداء كما
 لا يُحبب المضار إليهم أن تكون على أيدي الأولياء. واعلم أنه ليس يدعوني إلى
 ما تسمع من مقاتلي ضعف أحسنه من نفسي ولا قلة من جنودي، ولكني أحببت
 أن أزداد بذلك حجة وأستظهاراً، وأزداد به من الله للنصر والمعونة أستيجاباً ولا أوتر
 على العافية والسلامة شيئاً ما وجدت إليهما سبيلاً، فأبى فيروز إلا تعلقاً بحجته
 في الحجر الذي جعله حداً بينه وبينه وقال: لست ممن يردعه عن الأمر بهم به وعيد
 ولا يقتاده التهديد والترهيب، [ولو كنت أرى ما أطلبك غدرًا مني ما كان أحد أنظر
 ولا أشد اتقاءً مني على نفسي فلا يفتنك منا الحال التي صادفتنا عليها في المرة الأولى
 من القلة والجهد والضعف]. قال اخشنوار: لا يفتنك ما تتخدع به نفسك من حملك
 الحجر أمامك، فإن الناس لو كانوا يعطون العهود على ما تصف من إسرار أمير وإعلان
 آخر، إذا ما كان ينبغي لأحد أن يفتن بآمان ولا يثق بعهد، وإذا لما قبل الناس شيئاً

(١) زيادة في النسخة الألمانية.

- مما يعطونه من ذلك، ولكنه وضع على العلانية وعلى نية من تُعقد العهود والشروط له .
 فانصرفا يومها ذلك فقال فيروز لأصحابه : لقد كان اخشنوار حسن المحاورة ،
 وما رأيت للفرس الذي كان تحته نظيرا في الدواب فانه لم يُزل قوائمه ولم يرفع حوافره
 عن موضعها ولا صهل ولا أحدث شيئا يقطع به المحاورة في طول ما تواقفنا . وقال
 اخشنوار لأصحابه : لقد واقفتُ فيروز كما علمتم وعليه السلاح كله فلم يحرك رأسه
 ولم ينزع رجله من ركابه ولا حنا ظهره ولا آلتفت يمينا ولا شمالا ، ولقد توزكت
 أنا مرارا وتمطيتُ على فرسي وتلفتُ الى من خلفي ومددتُ بصرى في أمامى وهو
 متصبُّ ساكن على حاله ، ولولا محاورته إياى لظننت أنه لا يبصرنى . وإنما
 أرادا بما وصفا من ذلك أن ينتشر هذان الحديثان في أهل عسكريهما فيشغلوا
 بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه . فلما كان في اليوم الثاني أخرج اخشنوار
 الصحيفة التي كتبها لهم فيروز ، فرفعها على رُح لينظر اليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا
 غدره وبغيه ويخرجوا من متابعتة ، فانتقض عسكر فيروز وأختلفوا وما لبثوا إلا يسيرا
 حتى أنهزموا وقتل منهم خلقٌ كثير وهلك فيروز ، فقال اخشنوار : لقد صدق الذى
 قال : لا راد لما قُدر ، ولا أشد إحالة لمنافع الرأى من أهوى وألباج ، ولا اضيع
 من نصيحة يُمنحها من لا يوطن نفسه على قبولها والصبر على مكروهاها ، ولا أسرع
 عقوبة ولا أسوأ عاقبة من البغى والغدر ، ولا أجلب لعظيم العار والفُضوح من إفراط
 الفخر والأنفة .

- وقال أبو اليقظان : لما نخرج شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجى بالموصل بعث اليه
 الجمّاج قائدا فقتله ثم قائدا فقتله كذلك حتى أتى على خمسة قواد قتلهم وهزم جيوشهم
 وكان أحد القواد موسى بن طلحة بن عبيد الله ، ثم نخرج شبيب من الموصل يريد
 الكوفة ونرج الجمّاج من البصرة يريد الكوفة فطمع شبيب أن يلقى الجمّاج قبل

أن يصل الى الكوفة فَأَحْمُ الحجاجُ خَيْلَهُ فدخل الكوفة قبله ، ومرت شبيب بعتاب بن ورفاء فقتله ومرت بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهرب منه ، وقدم شبيب الكوفة وآلى ألا يبرح عنها أو يلقى الحجاج فيقتله أو يقتل دونه ، فخرج الحجاج إليه في خيله ، فلما قرب منه عمداً الى سلاحه فألبسه أبا الورد مولاة وحمله على الذابة التي كان عليها ، فلما توافقا قال شبيب : أروني الحجاج ، فأومأوا له الى أبي الورد فحمل عليه فقتله ، ثم نخرج من الكوفة يريد الأهواز فغرق في دُجَيْل وهو يقول (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) .

الأوقات التي تختار للسفر والحرب

- قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري قال : كان أحب الأيام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعقد فيه رايته يوم الخميس ، وكان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر فيه يوم الخميس .
- وقالت العجم : أئخر الحرب ما استطعت فان لم تجد بداً فاجعل ذلك آخر النهار .
- وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن عون عن محمد بن سيرين أن النعمان بن مقرن قال لأصحابه : إني لقيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من أحب ما يلقى فيه إذا لم يلق في أول النهار إذا زالت الشمس وحلت الصلاة وهبت الرياح ودعا المسلمون . ويروي قوم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يكره المجامعة والابتداء بعمل في حياق القمر وفي حلوله في برج العقرب . [وقال بعضهم : كنت مع عمر ^(١) بن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد الركوب ، فنظرت فاذا القمر بالدبران فقلت : أنظر الى القمر ما أحسن استواءه ! فرفع رأسه ثم نظر فرأى منزله فضحك ، وقال : إنما أردت أن تنظر الى منزله ، وإنا
- (١) زيادة في النسخة الألمانية .

لا تقيم لشمس ولا لقمر ولكما نسير بالله الواحد القهار] . وكان يقال : يوم السبت يوم مكر وخديعة ، ويوم الأحد يوم غرس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وأبتغاء رزق ، ويوم الثلاثاء يوم حربٍ وديم ، ويوم الأربعاء يوم الأخذ والإعطاء ، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحوائج ، ويوم الجمعة يوم خطب ونكاح .

الدعاء عند اللقاء

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية عن أبي إسحاق عن أبي رجاء قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا اشتدت حلقه البلاء وكانت الضيقة : « تضيق تفرجى » ثم يرفع يديه فيقول : « بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم كف عنا بأس الذين كفروا إنك أشد بأساً وأشد تنكيلاً فما يخفيض يديه المباركتين حتى ينزل الله النصر .

وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن موسى بن عقبة عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتبه ، قال : كتب عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية أن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو أنتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال : « لا تلتفتوا لقاء العدو وآسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاثبتوا وأصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قال : « اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب أهنهم وانصرنا عليهم » وقال أبو النضر : وبلغنا أنه دعا في مثل ذلك فقال : « اللهم أنت ربنا وربهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فاهزمهم وانصرنا عليهم » .

حدثني محمد بن عبيد قال : لما صاف قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع ما يصنع ؟ قالوا : هو في أقصى اليمينه جانح على سية قوسه

(١) كذا بالنسختين وهو عمرو بن عبيد الله كافي تقريب التهذيب . (٢) سية القوس ما أنعطف من طرفها .

يَنْضِنُضُ بِأَصْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ . فَقَالَ قَتَيْبَةُ : تِلْكَ الْإِصْبَعُ الْفَارِدَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ
أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ وَسِنَانٍ طَرِيرٍ . فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَ لِمُحَمَّدٍ : مَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟
قَالَ : كُنْتُ آخِذٌ لَكَ بِمَجَامِعِ الطَّرِيقِ .

الصبرُ وحضُّ الناسِ يومَ اللقاءِ عليه

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال كان عاصم بن الحدنان رجلاً من
العرب عالماً قديماً وكان رأس الخوارج بالبصرة وربما جاءه الرسول منهم من
الجزيرة يسأله عن بعض الأمر يختصمون فيه فتربه الفرزدق فقال لابنه : أنشد
أبا فراس فأنشده

وهم إذا كسروا الجفونَ أكارمٌ * صبرٌ وحين تُحَلَّلُ الأزرارُ
يغشون حوماتِ المنون وإنها * في الله عند نفوسهم ليصغار
يمشون في الخطى لا يثنيهم * والقوم إذ ركبوا الرماح تجار

فقال له الفرزدق : ويحك ! اكنتم هذا لا يسمعه النساجون فيخرجوا علينا
بجفوفهم . فقال عاصم : يا فرزدق ، هذا شاعر المؤمنين وأنت شاعر الكافرين .

حدثنا سهل قال حدثنا الأصمعي قال قال سليل بن سعد قال بسطام بن قيس
لقومه : تَرِدُونَ عَلَى قَوْمٍ آتَاهُمْ آتَارُ نِسَاءٍ وَأَصْوَاتُهُمْ أَصْوَاتُ صِرْدَانٍ وَلَكِنَّهُمْ صَبْرٌ
عَلَى الشَّرِّ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعٍ . وَفِي هَؤُلَاءِ يَقُولُ مَعَاوِيَةُ : لَوْ أَنَّ النُّجُومَ تَنَاطَرَتْ لَسَقَطَتْ
قَرَاهَا فِي حَجُورِ بَنِي يَرْبُوعٍ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قُلْتُ لَسَلِيطٍ : أَمَا كَانَ عَتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ
ضَخْمًا؟ قَالَ : لَا وَلَا مِنْ قَوْمِ ضَخْمٍ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعٍ .

(۱) الحَفُّ المِنْسَجُ وجمعه خُوفٌ . (۲) في النسخة الألمانية «عينة» وهو محريف .

- (١) [وقال عمر بن الخطاب لبني عبس : كم كنتم يوم الهبأة؟ فقال : كنا مائة كالذهب ، لم نكثر فتوا كل ولم نَقِلْ فنَدَل . قال : فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم ولستم بأكثر منهم عدداً ولا مالا ؟ قال : كنا نصبر بعد اللقاء هنيئة . قال : فلذلك إذا . قيل لعنترة العبسي : كم كنتم يوم القروق؟ قال : كنا مائة لم نكثر فنفسل ولم نَقِلْ فنَدَل] .
 وكان يقال : النصر مع الصبر . ومن أحسن ما قيل في الصبر ، قول نهشل بن حري
 ابن ضمرة

ويوم كأن المصطليين بحجره * وإن لم تكن نار قيام على الجمر
 صبرنا له حتى يبوخ وإنما * تُفترج أيام الكريمة بالصبر

ومثله قول الآخر

- ١٠ بكى صاحبي لما رأى الموت فوقنا * مَطْلًا كإطلال السحاب إذا آكفهرت
 فقلت له لا تبك عينك إنما * يكون غدا حسن الثناء لمن صبر
 فما أحر الإجمام يوماً معجلاً * ولا عجّل الإقدام ما أحر القدر
 فآسى على حال يقبل بها الأسي * وقاتل حتى آستبهم الورد والصدر
 وكرّ حفاظاً خشية العار بعد ما * رأى الموت معروضاً على منهج المكر

- ١٥ وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد حين وجهه : احرص على الموت
 تُوهب لك الحياة . وتقول العرب : الشجاع موقى . وقالت الخنساء
 نُهين النفوس وهونُ النفوس * س يوم الكريمة أوقى لها

وقال يزيد بن المهلب

تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجد * لنفسي حياةً مثل أن أتقدما

- ٢٠ (١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) أرض لطفان و يومها من أيام العرب كان فيه النصر لعبس
 على ذبيان . (٣) موضع بديار بنى سعد و يومه من أيام حروب عبس وذبيان أيضا .
 (٤) في الألمانية مظلا كإطلال الخ بالظاء المعجمة .

وقال قَطْرِيّ بن الفُجَاءَة

وقَوْلِي كَلِمًا جَشَاتٌ وَجَاشَتْ * مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحِكُ لَا تُرَاعِي
فَأَنْتِ لَوْ سَأَلْتِ حَيَاةَ يَوْمٍ * سِوَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي

[وقال معاوية بن أبي سفيان شجعني على علي بن أبي طالب قول عمرو بن الإطنابة .

أَبْتُ لِي عَفَّتِي وَأَبِي بِلَائِي * وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالْثَمَنِ الرَّيِّحِ
وَأَقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي * وَضَرَبِي هَامَةَ الْبَطَلِ الْمُشِيحِ
وقَوْلِي كَلِمًا جَشَاتٌ لِنَفْسِي * مَكَانِكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
لَأُدْفِعَ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتِي * وَأَحْمِي بَعْدُ عَنْ عِرْضِ صَحِيحِي
أَبْتُ لِي أَنْ أَقْضَى فِي فَعَالِي * وَأَنْ أُغْضَى عَلَى أَمْرِ قَبِيحِي

وقال ربيعة بن مَقْرُوم

وَدَعَوَا نَزَالَ فِكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ * وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

وكان خالد بن الوليد يسير في الصفوف يذمر^(٢) الناس ويقول: يا أهل الإسلام، إن

الصبر عز وإن الفشل عجز وإن النصر مع الصبر . وقال بعض أبطال العرب .

إِنَّ الشُّوَاءَ وَالنَّشِيلَ^(٣) وَالرُّغْفُ * وَالْقَبِينَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأُفَّ

لِلضَّارِبِينَ الْخَيْلَ وَالْخَيْلَ قُطْفُ

وقال أعرابي: الله يُخْلِفُ مَا أَتْلَفُ النَّاسُ، والدهر يَتْلَفُ مَا جَمَعُوا، وَكَمْ مِنْ مَيَّةٍ

عَلِمَتْهَا طَلَبُ الْحَيَاةِ، وَحَيَاةٌ سَبَبُهَا التَّعَرُّضُ لِلْمَوْتِ . ومثله قول أبي بكر الصديق لخالد:

أَحْرَصُ عَلَى الْمَوْتِ تُوهِبُ لَكَ الْحَيَاةَ .

[قَدِمْتُ مُنْهَزِمَةٌ الرُّومِ عَلَى هِرَاقِلَ وَهُوَ بَأَنْطَاكِيَّةَ، فَدَعَا رِجَالًا مِنْ عِظْمَائِهِمْ فَقَالَ:

وَيَحْكُمُ! أَخْبِرُونِي مَا هُوَ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ تَقَاتَلُونَهُمْ؟ أَلَيْسُوا بَشَرًا مِثْلَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى . يَعْنِي

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) يشجعهم ويحضهم على القتال .

(٣) ما طبخ من اللحم بغير تابل .

- العرب . قال : فاتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن .
 قال : ويلكم ! فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم ؟ فسكتوا ، فقال شيخ منهم :
 أنا أخبرك أيها الملك من أين تُؤتون . قال : أخبرني . قال : إذا حملنا عليهم صبروا
 وإذا حملوا علينا صدقوا ، ونجّل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر . قال : ويلكم
 فما بالكم كما تصفون وهم كما تزعمون ؟ قال الشيخ : ما كنت أراك إلا وقد علمت
 من أين هذا ؟ قال له : من أين هو ؟ قال : لأن القوم يصومون بالنهار ويقومون
 بالليل ويؤفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يظلمون أحداً
 ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام ونتقض العهد
 ونغصب ونظلم ونأمر بما يُسخط الله ونهَى عما يرضى الله ونفسد في الأرض .
 قال : صدقتني ، والله لأخرجن من هذه القرية فما لي في صحبتكم خير وأتم هكذا .
 قالوا : نُشهدك الله أيها الملك . تدع سُورِيَةَ وهي جنة الدنيا وحولك من الروم عدد
 الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يؤت عليهم] .

ذكر الحرب

- قالت العرب : الحرب غشوم ، لأنها تنال غير الجاني . وقال الكعبت
 الناس في الحرب شتى وهي مقبلة * ويستون اذا ما أدبر القُبل
 كلُّ بأسيها طبٌ موليّة * والعالمون بذى غدويها قُلل
 وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمر بن معديكرب : أخبرني عن الحرب .
 قال : مُرّة المذاق إذا قلصت عن ساق ، من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها
 تليف . وهي كما قال الشاعر
 الحرب أول ما تكون فية * تسمى بزيتها لكل جهول

(١) حتى اذا استعرت وشب ضرامها * عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها وتكرت * مكروهة للثم^(١) والتقييل
كان يزيد بن عمر بن هبيرة يحب أن يضع من نصرين سيار فكان لا يئمه بالرجال
ولا يرفع ما يرد عليه من أخبار خراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال
أرى خال الرماد وبيض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وإن الحرب أولها الكلام
فان لم يطفها عقلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري * أيقاظ أمية أم نيام
ونحو قوله: «الحرب أولها الكلام» قول حديفة: إن الفتنة تُلَفَّحُ بالنجوى وتُنَجَّجُ
بالشكوى .

العتيبي عن أبيه قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبنة الحسن: يا بني
لا تدعون أحداً إلى البراءة، ولا يدعونك أحد إليه إلا أجبتَه فإنه بنى .

في العدة والسلاح

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خصيفة^(٢) عن السائب
ابن يزيد - فيما حنمظت إن شاء الله - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عليه درعان
يوم أحد . قيل لعباد بن الحصين وكان أشد رجال أهل البصرة: في أي عدة
تحب أن تلقى عدوك؟ قال: في أجل مستأجر .

حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا داود بن أبي هند
عن عكرمة قال: لما كانت ليلة الأحزاب قالت الجنوب للشمال: أنطلق بنا نمد

(١) في العقد الفريد «خليل» بالحاء المهملة وفيه أيضاً كما في الفتوغرافية «الشم» بدل الثم .

(٢) في الأصل «خصيفة» بالحاء المهملة وهو تحريف والتصويب والضبط عن كتب التراجم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال : إن الحرة لا تسرى بالليل ، فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا ابن أبي الزناد قال : ضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة فقطعه الى القربوس فقالوا : ما أجود سيفك ! فغضب ، يريد أن العمل ايده لا سيفه .

وقال الوليد بن عبيد البحرى يصف سيفا

ماض وإن لم تُمضه يد فارس * بطلي ومصقول وإن لم يُعقل
متوقد يفري بأول ضربة * ما أدركت ولو أنها في يذبل

وقال آخر

وما السيف إلا بزغاد لزيئة * إذالم يكن أمضى من السيف حامله

رؤى الجراح بن عبد الله فى بعض الحروب وقد ظاهر بين درعين ، فقبل له فى ذلك . فقال : إني لست أقي بدنى وإنما أقي صبرى . واشترى يزيد بن حاتم أدراعا وقال : إني لم أشر أدراعا إنما اشتريت أعمارا .

وقال حبيب بن المهلب : ما رأيت رجلا فى الحرب مُستلما إلا كان عندى

رجلين ، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندى واحدا . فسمع هذا الحديث بعض أهل المعرفة فقال : صدق ، إن للسلاح فضيلة . أما تراهم ينادون عند الصريح : السلاح^(٢) السلاح ولا ينادون : الرجال الرجال . [قال المهلب لبيه : يا بنى لا يقعدن أحد منكم فى السوق ، فإن كنتم لا بد فاعلين فالى ززاد أو سراج أو وراق . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمر بن معد يكرب : أخبرنى عن السلاح . قال : سئل عما شئت منه .

قال : الرمح ؟ قال : أخوك وربما خانك . قال النبل ؟ قال : منايا تخطئ وتصيب .

(١) فى النسخة الألمانية «الكوفة» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

قال : التُّرس؟ قال : ذاك المِحْبَنَ وعليه تدور الدوائر . قال : الدرْع؟ قال :
مُثْقَلَةٌ لِلرَّاجِلِ مُتَعَبَةٌ لِلْفَارِسِ ، وَإِنَّمَا لِحَصْنِ حَصِينٍ . قال : السيف؟ قال : ثُمَّ ،
قَارَعَتْكَ أُمَّكَ عَنِ الشُّكْلِ . قال عمر : بل أُمَّكَ . قال " الحُمَّى أَضْرَعْتَنِي لَكَ " .^(٢)

وقال الطائي يصف الرماح،

مُثَقَّفَاتٌ سَلَبْنَ الرُّومَ زَرْقَتَهَا * وَالْعُرْبُ سُمِّرَتَهَا وَالْعَاشِقُ الْقَضْفَا^(٣)

وقال دِعْبَلُ يصف الرُّحْمَ

وَأَسْمِرٍ فِي رَأْسِهِ أَزْرَقٌ * مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي

وقال الشاعر

تَلَمَّظَ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنَيْسٍ * فَالْمَوْتُ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

أَظْلَمَهُ مِنْكَ حَتْفٌ قَدْ تَجَلَّلَهُ * حَتَّى يَأْمُرَ فِيهِ رَأْيُكَ الْقَدَرُ^(٤)

أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ إِلَّا عِنْدَ قَدْرَتِهِ * وَلَيْسَ لِلسَّيْفِ عَفْوٌ حِينَ يَقْتَدِرُ

وقال آخر

مَتَى تَلْقَانِي يَعْذُو بِبِرْزَى مَقْلَصٍ^(٥) * كُنَيْتُ بِهِمْ أَوْ أَغْرَ مَحْجَلُ

تَلَاقِ امْرَأً إِنْ تَلَّقَهُ فَبَسِيفِهِ * تُعَلِّمُكَ الْإَيَّامُ مَا كُنْتَ تَجْهَلُ

وقال علي رضي الله عنه : السيف أنمي عددا وأكثر ولدا . وفي الحديث « بقية^(٦)

السيف مباركة » يعني أن من نجا من ضربة السيف ينمو عدده ويكثر ولده . وقال

المهلب : ليس شيء أنمي من سيف . ويقال : لا مجد أسرع من مجد سيف .

(١) في الأصلية « مشغلة » والتصويب عن العقد الفريد . (٢) هكذا ورد في جميع الأمثال وفي النسخة

الألمانية : « إلبك » . (٣) النخافة . (٤) في الفتوغرافية « ربه » (٥) قال في اللسان : البرز

والبرزة السلاح ويدخل فيه الدرع والمنفر والسيف . (٦) هكذا في النسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية

« السيف أنمي عددا وأكرم ولدا » ، وفي نهج البلاغة بقية السيف أنمي عددا وأكثر ولدا . ولعله الصواب .

وكانت درع عليّ رضي الله عنه صدرا لا ظهر لها فليل له في ذلك فقال : إذا
استمكن عدوى من ظهري فلا يُبقِ . وقال أبو الشَّيْص

ختلته المنون بعد اختيال * بين صفين من قنا ونصال
في رداء من الصفيح صقيل * وقميص من الحديد مُدال

بلغ أبا الأغر أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شرّ فبعث ابنه الأغر وقال :
يا بُني كن يدا لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف فانه ظلّ الموت ، وآتق
الريح فانه رشاء المنية ، ولا تقرب السهام فانها رسل لا تؤامر مرسلها . قال : فماذا
أقاتل؟ قال : بما قال الشاعر

جَلَامِيدُ يَمْلَأَنَّ الْأُكُفَّ كَأَنَّهَا * رءوس رجال حطقت في الموايم

وقال الخزيمي في بغداد أيام الفتنة

يا بؤس بغداد دار مملكة * دارت على أهلها دوائرها

أمهلها الله ثم عاقبها * لما أحاطت بها بكائرها

رق بها الدين وأستخف بذى الفضل وعزّ الرجال فاجرها

وصار ربّ الجيران فاسقهم * وأبترّ أمن الدروب شاطرها

يحرق هذا وذا يهدمها * ويشتفي بالنهاب داعرها

والصكرخ أسواقها معطلة * يستنّ شداً^(١) بها وعائرها

أخرجت الحرب من أساقطهم * آساد غيل غلبا تساورها

من البواري ترأسها ومن^(٢) السخوص إذا استلّمت مغايرها

لا الرزق تبغي ولا العطاء ولا * يحشرها بالعناء حاشرها^(٣)

٢٠ (١) في الطبري «عيّارها» . (٢) جمع باري بنشديد الباء وهو الحصر المنسوج .

(٣) في الطبري «للقا» .

ونحوه قول علي بن أمية

دهتنا أمور تُسبب الوليد * ويخذل فيها الصديق الصديق

فناء مُبِيد ودُعر عَتِيد * وجوع شديد وخوف وضيق

وداعى الصباح بطول الصباح السلاح فما نستفيق

فبالله نبُلغ ما نرتجى * وبالله ندفع ما لا نُطبق

جنى قوم من أهل اليمامة جنابة فارسى اليهم السلطان جندا من بُخارية ^(١) ابن زياد، فقال رجل من أهل البادية يذمر قومه : يا معشر العرب ويا بنى المحصنات، قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم ، والله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا يدعون بها لينة حمراء ولا نخلة خضراء إلا وَضَعوها بالأرض ولاعتراكم من نُسَاب معهم في جِعَاب كأنها أيور الفيلة يترعون في قيسى كأنها العتلُ فَنَطُّ أحدها من أطيظ الزرنوق يَمَغْط أحدهم فيها حتى يتفرق شعرُ إبطيه ثم يرسل نُسابة كأنها رِشَاء منقطع فما بين أحدكم وبين أن تَفَضِّخ عينه أو ينصدع قلبه منزلة ، نفلح قلوب القوم فطاروا رعبا .

آداب الفروسة

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبي عثمان قال : كتب عمر رضى الله عنه : ائتروا وارثدوا وانتعلوا وألقوا الخفاف وارموا الأغراض وألقوا الرُّكْبَ وأنزوا نزوا على الخيل وعليكم بالمعدية ، أو قال العربية . ودعوا التنعم وزي العجم ولا تلبسوا الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكذا ، ورفع أصبعيه . وقال أيضا : لن تخور قوى ما كان صاحبها ينزع ويتزوء . يعنى يتزع فى القوس ويتزوع على الخيل من غير استعانة بالرُّكْب . وقال

(١) كذا بالأصلين والصواب بخارية زياد وهى سكة بالبصرة أسكنها زياد ابن أبيه ألف عبد من بخارى حين استولى عليها من خاتون ملكتها وكانوا جيدي الرى بالنشاب .

العمري . كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه ^(١) [اليمنى وبيده اليسرى أذن فرسه اليسرى] ثم يجمع جَرامِيْزَه وَيَثْبُ فكَأَنَّمَا خُلِقَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ .
 وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين : عَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ مِنَ الْأَضْرَاسِ فَانَّهُ أَنْبَى لِلسَّيْفِ عَنِ الْهَامِ . وَأَقَامُوا رِجْلًا بَيْنَ الْعُقَايِينِ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ :
 طُدَّ رِجْلُكَ وَأَصْرًا إِضْرَارَ الْفَرَسِ وَإِذَا كَرَّ أَحَادِيثَ غَدٍ وَإِيَّاكَ وَذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَانَّهُ مِنَ الْفِشْلِ . [وقال غيره طُدَّ رِجْلُكَ إِذَا آعْتَصَيْتَ بِالسَّيْفِ وَالْعَصَا وَأَنْتَ مَخِيرٌ فِي رَفْعِهِ سَاعَةَ الْمَسَالْمَةِ وَالْمَوَادِعَةِ] .

وقرأت في الآيين أن من إجادة الرمي بالنشاب في حال التعلم إمساك المتعلم القوس بيده اليسرى بقوة عضده الأيسر والنشابة بيده اليمنى وقوة عضده الأيمن وكفه ^(٤) أصدريه وإلقاءه ببصره إلى معلم الرمي وإجادته نصب القوس بعد أن يطأطي من سببها
 ١٠ بعض الطأطأة وضبطه إياها بثلاث أصابع وإحناؤه السبابة على الوتر، وإمساكه بثلاثة وعشرين كأنها ثلاثة وستون وضمه الثلاثة ضمًا وتحويله ذقنه إلى منكبته [الأيسر] وإشرافه رأسه وإرخاؤه عنقه وميله مع القوس وإقامته ظهره وإدارته عضده ومغطه القوس مترافعا ونزعه الوتر إلى أذنه ورفعته بياض عينيه من غير تصريف لأسنانه وتحويل لعينه وارتعاش من جسده واستبانته موضع زججة النشاب .

وقرأت في الآيين : من إجادة الضرب بالصولجان أن يضرب الكرة قُدُّمَا ضَرْبَ خُلْسِيَةٍ يُدِيرُ فِيهِ يَدَهُ إِلَى أذْنِهِ وَيُمِيلُ صَوْلْجَانَهُ إِلَى أَسْفَلٍ مِنْ صَدْرِهِ وَيَكُونُ ضَرْبُهُ مَتَشَاوِرًا مَتَرَفِّقًا مَتَرَسَّلًا وَلَا يُغْفَلُ الضَّرْبُ وَيُرْسَلُ السَّنَانُ خَاصَّةً وَهُوَ الْحَامِيَةُ لِمَجَازِ الْكُرَّةِ إِلَى غَايَةِ الْغَرَضِ ثُمَّ الْجَزَلُ لِلْكُرَّةِ مِنْ مَوْقِعِهَا ، وَالتَّوَنُّحِيُّ لِلضَّرْبِ لَهَا تَحْتِ مَحْزَمِ

٢٠ (١) زيادة في النسخة الألمانية وفي البيان والتبيين « يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى » . (٢) زيادة في النسخة الألمانية . (٣) كذا بالأصلين ولعله « رضمها » . (٤) في الألمانية : « وكفه إلى صدره » . (٥) عبارة النسخة الفونوغرافية ولا يغفل الضرب (ترسلا البنيان؟) خاصة وهو الحامية لمجاز الكرة الخ .

الدابة ومن قبل لبتها في رفق ، وشدة المزاولة والمجاحشة على تلك الحال والترك للاستعانة في ضرب الكرة بسوط والتأثير في الأرض بصولجان والكسيرة له جهلا باستعماله أو عقير قوائم الدابة ، والاحتراس من إيذاء من جرى معه في ميدانه ، وحسن الكف للذابة في شدة جريه ، والتوقى من الصرعة والصدمة على تلك الحال ، والمجانبة للغضب والسب ، والاحتمال والملاهاة ، والتحفظ من إلقاء كرة على ظهر بيت وان كان ست كرين بدرهم ، وترك طرد النظارة والجُلوس على حيطان الميدان فان عرض الميدان انما جعل ستين ذراعا لئلا يُحَالَ ولا يُصَارَّ من جلس على حائطه .

وقال أبو مسلم صاحب الدعوة لرجاله : أشعروا قلوبكم الجرأة عليهم فانها سبب الظفر ، واذكروا الضغائن فانها تبعث على الإقدام ، والزمو الطاعة فانها حصن المحارب .

المسير في الغزو والسفر

حدثنا شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن معدان بن حدير الحضرمي عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مثل الذين يغزون من أمتي وياخذون الجعل يتقوون به على عدوهم كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجزها» . حدثني محمد بن عبيد عن ابن عينة عن عبد الرحمن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب قال : لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم المعرس أمر مناديا فنادى : لا تطرقوا النساء . فتعجل رجالان فكلاهما وجد مع امرأته رجلا . وكانت العرب تقول : السفر ميزان القوم . وتأمر بالمجالات وهي الدلو والفأس والسفرة والقدر والقداحة ، وإنما قيل لها مجالات لأن المسافر بها يحمل حيث شاء ولا يبالي ألا يكون بقربه أحد .

(١) في الميداني «السفر ميزان السفر» أي أنه يسفر عن أخلاق المسافرين ، وفي الفتوغرافية السفر مجلاة القوم وهو يرجع إلى هذا المعنى أيضا .

- حدثني عبد الرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال ، قال لقمان لابنه : « يا بني إذا سافرت فلا تنم على دابتك فان كثرة النوم سريع في دبرها ، فاذا نزلت أرضا مُكَلِّمَةً فأعطاها حظها من الكلاء وأبدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك وإذا بعدت عليك المنازل [فعليك بالدَّجِجِ ^(۱) فان الأرض تُطوى بالليل . وإذا أردت النزول] فلا تنزل على قارعة الطريق فانها مأوى الحيات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لونا وألينها تربة وأكثرها كلاءً فانزلها ، وإذا نزلت فصلَّ ركعتين قبل أن تجلس وقل (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) . وإذا أردت قضاء حاجة فأبعد المذهب في الأرض وعليك بالسترة . وإذا ارتحلت من منزل فصلَّ ركعتين وودع الأرض التي ارتحلت عنها وسلم عليها وعلى أهلها فان لكل بقعة من الأرض أهلا من الملائكة . وإذا مررت ببقعة من الأرض أو واد أو جبل فأكثر من ذكر الله فان الجبال والبقاع ينادى بعضها بعضا : هل مرت بك اليوم ذا كر لله ؟ وإن أستطعت ألا تطعم طعاما حتى تتصدق منه فأفعل . وعليك بذكر الله جل وعز مادمت راكبا وبالتسبيح مادمت صائما وبالدهاء مادمت خاليا . وإياك والسير في أول الليل وعليك بالتعريس والدُّبْلجة من نصف الليل الى آخره . وإياك ورفع الصوت في سيرك إلا بذكر الله ، وسافر بسيفك وقوسك وجميع سلاحك وخُفك وعمامتك وإبرتك وخيوطك وترؤدك . معك الأدوية تنتفع بها وتنفع من صحبك من المرضى والزمنى . وكن لأصحابك موافقا في كل شيء يُقربك إلى الله ويباعدك من معصيته . وأكثر التَّبَسُّم في وجوههم وكن كريما على زادك بينهم وإذا دعوك فأجبهم ، وإذا استعانوك فأعنيهم وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم وأجهد رأيك . وإذا رأيتهم يمشون فامش معهم أو يعملون فاعمل معهم ^(۱) . [وإن تصدقوا أو أعطوا فأعط] . واسمع لمن هو أكبر منك . وإن تحيرت في طريق فانزلوا ، وإن شككتهم في القصد فتثبتوا وآمروا ، وإن رأيت خيالا واحدا

(۱) زيادة في النسخة الألمانية .

فلا تسأله عن طريقكم فان الشخص الواحد في القلاة هو الذي حيركم واحذروا
الشخصين أيضا إلا أن تروا ما لا أرى فان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن
العاقل اذا أبصر شيئا بعينه عرف الحق بقلبه .

علم أعرابي بنيه إتيان الغائط في السفر فقال لهم : أتبعوا الخلاء وجانبوا الكلا
وأعلوا الضراء^(١) وأخججوا إفجاج النعامة وامسحوا بأشملكم .

[وقال عمرو بن العاص للحسن بن علي بن أبي طالب رحمهما الله : يا أبا محمد، هل
تنتعت الخراءة؟ فقال : نعم، تُبعد المشي في الأرض الضحَضَح حتى تتواري من القوم،
ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تستنج بالروثة ولا العظم ولا تبلى في الماء الراكد].

أراد الحسن البصري الحج ، فقال له ثابت : بلغني أنك تريد الحج فأحببت
أن نصطحب . فقال : ويحك ! دعنا نتعاش بستر الله، إني أخاف أن نصطحب
فيرى بعضنا من بعض ما تماقت عليه . وفي الحديث المرفوع عن بَقِيَّة عن الوضين بن
عطاء عن محفوظ بن علقمة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه
«أما إنك إن ترافق غير قومك يكن أحسن لخلقك وأحق أن يُقتنى بك» .

أتى رجل هشاماً أخا ذى الرمة الشاعر فقال له : إني أريد السفر فأوصني . قال : صل
الصلاة لوقتها فانك مصليها لا محالة فصلها وهي تنفك، وإياك وأن تكون كلب رُفقتك
فان لكل رُفقة كلبا ينبج دونهم ، فان كان خيرا شرَّكوه فيه وإن كان عارا تقلده دونهم .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عثمان بن عطاء عن أبيه
قال : اذا ضلَّ لأحدكم ضالَّةٌ فليقل : اللهم ربَّ الضالَّة تَهْدِي الضالَّة وترد الضالَّة
أردد على ضالتي ، اللهم لا تبلنا بهلاكها ولا نتعبنا بطلبها ، ما شاء الله لا حول ولا قوة
إلا بالله . يا عباد الله الصالحين ردوا علينا ضالتنا . وإذا أردت أن تحمل الحمل الثقيل
فقل : يا عباد الله أعينونا . [وقال أبو عمرو : إذا ضأت لأحدكم ضالَّة فليتوضأ^(٢)

(١) الضراء ما وارك من حجر . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

فيحسن الوضوء ثم يصلّي ركعتين ثم يشهد ويقول : بسم الله ، اللهم يا هادي الضال وراذ الضال اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من فضلك وعطائك] .

حدثني محمد بن عبيد عن حمزة بن وعلة عن رجل من مراد يقال له أبو جعفر عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا علي ، أمانٌ لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن . وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره والأرضُ جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطوياتٍ بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون . بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن محمد بن عجلان عن عمرو ابن شعيب قال : أراد عمران يُغزى البحر جيشاً ، فكتب اليه عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دودٌ على عود بين غرق وبرق^(١) قال عمر : لا يسألني الله عن أحد حملته فيه . وحدثني أيضاً عن معاوية عن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد قال كان ابن عمر يقول في السفر إذا أبحر : سميع سامعُ بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا . ويقول : اللهم صاحبنا فأفضل علينا ثلاثاً ، اللهم عائدُ بك من النار ثلاثاً لا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في سفره حين هاجر : « الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً مذكوراً ، اللهم أعني على أهويل الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالي والأيام وأكفني شر ما يعمل الظالمون في الأرض ، اللهم في سفري فأصحبني ، وفي أهلي فأخلفني ، وفيما رزقتني فبارك لي ، ولك في نفسي فذلّني ، وفي أعين الصالحين فعظمني ، وفي خلقي فقومني ، وإليك ربّ حبيبني ، الي من تكأني ربّ المستضعفين وأنت ربّي » .

(١) البرق الحيرة والدهش . وفي النسخة الألمانية « برق » وهو تحريف .

وحدثني أيضا عن معاوية عن أبي اسحاق عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر يقول : «اللهم إني أعوذ بك من وَعَثَاء السفر
وَكَابَةِ الْمُتَقَلَّبِ وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل» وزاد غيره
«اللهم أطولنا الأرض وهون علينا السفر» .

وقال مطرف بن عبد الله لابنه : الحسنه بين السيئتين وخير الأمور أوساطها وشرُّ
السير الحَقَّقَةُ . وفي الحديث « لا تُحَقِّقْ فتنقطع ولا تَبَاطُا فتسبق ولكن آقِصِدْ
تَبْلُغْ » والحققة أشد السير . وفي حديث آخر « إن المُنَبَّتَ لا أرضا قطع ولا ظهرا
أُنْبِى » وقال المرار

تُقَطِّعُ بِالزَّوَالِ الأَرْضَ عَنَّا * وَبُعْدَ الأَرْضِ يَقطعه الزوال

الأصمعي قال، قيل لرجل أسرع في سيره : كيف كان مسيرك ؟ قال كنت آكل
الوَجِبَةَ وَأَعْرَسَ إِذَا أُسْحِرْتُ وَأُرْتَحِلُ إِذَا أُسْفِرْتُ وَأَسِيرُ الوَضْعَ وَأَجْتَنِبُ المَلْعَ بِفَتْحِكُمْ
لِمُسَيِّ سَبْعَ . قال أبو اليقظان : من السير المذكور مسير ذكوان مولى آل عمر بن الخطاب،
سار من مكة الى المدينة في يوم وليلة، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على
المدينة فصلى العتمة، فقال له أبو هريرة : حاج غير مقبول منه . قال له : ولم ؟ قال :

لأنك نَفَرْتَ قَبْلَ الزَّوَالِ . فأخرج كتاب مروان بعد الزوال وقال

أَلَمْ تَرِنِي كَلَّفْتُهُمْ سِيرَ لَيْلَةٍ * مِنْ آلِ مَنْ نَصَا إِلَى آلِ يَثْرِبِ
فَأَقْسَمْتُ لِاتْنَفِكُ مَا عَشْتُ سَيْرَتِي * حَدِيثًا لَمْ يَأْتِ بِجَمْعِ المَحْصَبِ

ومن السير المذكور مسير حذيفة بن بدر، وكان أغار على هجائن [النعمان بن] المنذر

ابن ماء السماء وسار في ليلة مسيرة ثمان، فقال قيس بن الخطيم

هَمَمْنَا بِالإِقَامَةِ ثُمَّ سَرْنَا * كَسِيرِ حَذِيفَةَ الخَيْرِ بْنِ بَدْرِ

- قال الشَّرْقِيُّ بن القَطَّامِي: خرجت من الموصل أريد الرِّقَّة فصحبني فتى من أهل الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه ميزود وركوة وعصا، ورأيتُه لا يفارقها مُشاة كُنا أوركبانا وهو يقول: إن الله جعل جِماع أمر موسى وأعاجيبه وبراهينه ومآربه في عصاه، ويكثر من هذا وأنا أضحك متهاونا بما يقول، فتخلف المكارى فكان حمار الفتى إذا وقف أكرهه بالعصا ويقف حمارى ولا شيء في يدي فيسبقني إلى المنزل فيستريح ويريح ولا أقدر على البراح حتى يوافيني المكارى، فقلت: هذه واحدة. ثم خرجنا من غد مُشاة فكان إذا أعبا توكتاً على العصا وربما أحضر ووضع طرفاً على الأرض فاعتمد عليها ومتر كأنه سهم زالج حتى اتبيننا وقد تفسخت من الكلال وإذا فيه فضل كثير، فقلت: وهذه أخرى. فلما كان في اليوم الثالث هجمنا على حية منكرة فسارت إلينا فأسلمته إليها وهربت عنها فضربها بالعصا حتى قتلها، فقلت: هذه ثالثة. [وهي أعظمهن] وخرجنا في اليوم الرابع وبننا قمر إلى اللحم فاعترضتنا أرنب فخذفها بالعصا وأدركنا ذكاتها فقلت: هذه رابعة. فأقبلت عليه فقلت: لو أن عندنا ناراً ما أخرت أكلها إلى المنزل. فأخرج عويداً من ميزوده ثم حكه بالعصا فأورث إيراً المرخ والعفار، ثم جمع ما قدر عليه من الغناء والحشيش وأوقد ناراً وألقى الأرنب في جوفها فأخرجناها وقد لزق بها من الرماد والتراب ما بغضها إلى فعلقها بيده اليسرى ثم ضرب جنوبها بالعصا وأعراضها ضرباً رقيقاً حتى انتثر كل شيء عليها فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس، فقلت: هذه خامسة. ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملاءة روثاً وتراباً فلم نجد موضعاً نظلاً فيه فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار فأخذها فجعل العصا نصاباً لها ثم قام بجرف جميع ذلك الروث والتراب وجرد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها فقلت: وهذه سادسة. ثم نزع العصا من الحديدة فأوتدها في الحائط وعلق عليها ثيابه وثيابي

فقلت : هذه سابعة . فلما صرنا الى مَفْرِقِ الطريقتين وأردت مفارقته قال لي :
لو عدلت معي فبت عندي ! فعدلت معه فأدخلني منزلا يتصل بيعة فما زال يتحدثني
وَيُطْرِفني الليل كله فلما كان السحر أخذ العصا بعينها وأخذ خشبة أخرى ففرع بها
العصا فإذا ناقوس ليس في الدنيا مثله وإذا هو أحقق الناس به فقلت له : ويحك !
أما أنت بمسلم ؟ قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس ؟ قال : لأن أبي نصراني
وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدت بررته بالكفاية ، وإذا شيطان مارد وأظرف الناس
وأكثرهم أدبا فخبرته بالذي أحصيتُ من خصال العصا ، فقال : والله لو حدثتك عن
مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استنفدتُها .

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « إذا كنتم في الخُصْبِ فأمكنوا الرُّكَّابَ ^(١) أسنتها ولا تغدوا المنازل وإذا كنتم
في الجُدْبِ فاستنجوا ^(٢) وعليكم بالدُّبْجَةِ فإن الأرض تُطوى بالليل وإذا تقولت لكم
الغِيْلَانُ فنادوا بالأذان ولا تصلوا على جَوَادِّ الطرق ولا تنزلوا عليها فإنها ماوى السَّباع
والحيات ولا تَقْضُوا عليها الحوائج فإنها المَلَّاعِنُ » .

وأراد أعرابي سفرا فقال لامرأته

عُدِّي السنين لغيبتي وتصبري * وذري الشهور فإنهن قصار

فأجابته

اذكر صبا بتنا اليك وشوقنا * وأرحم بناتك إنهن صغار

(١) أورده ابن الأثير بلفظ « أعطوا الرُّكْبَ أسنتها » وقال ناقلا عن أبي عبيد ان كانت اللفظة
محفوظة فكانها جمع الأسنان ، يقال لما تأكله الابل وترعاه من العُشْبِ من وجهه أسنان ثم أسنة . وقال
الزنجشري ان الأسنة هنا الرماح وقال في معناه : اعطوها ما تمنع به من النحر لأن صاحبها اذا أحسن رعيها
سمت وحنت في عينه فيبطل بها عن أن تحرف شبه ذلك بالأسنة في وقوع الامتناع بها ، وهو كما ترى متكلف
لا يساعد عليه سياق الحديث . (٢) أي أسرعوا .

فأقام وترك السفر . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي

طربت إلى الأصبية الصغار * وهاجك منهم قرب المزار

وكل مسافر يزداد شوقا * إذ أدت الديار من الديار

وفي الحديث المرفوع قال ابن مسعود : كما يوم بدر ثلاثة على بعير فكان على

وأبو لبابة ^(١) زميل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا دارت عقبتهما قالا :

يا رسول الله اركب ونمشي عنك . فيقول «ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن

الأجر منكما» .

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان فقال في خطبته : إذا غزوتهم فأطيلوا

الأظفار وقصروا الأشعار .

وقالت عائشة رضي الله عنها : «لا سهر إلا لثلاثة : مُصل أو عروس أو مسافر» .

وقال بعض الشعراء

سُررتُ بجمعٍ والقرب منه * كما سُرَّ المسافر بالإياب

وكنت بقربه إذ حلَّ أرضي * أميرا بالسكينة والصواب

كمطورٍ ببلدته فاضحى * غنيا عن مطالبة السحاب

وقال آخر في معناه

! وكنت فيهم كمطور ببلدته * فسرَّ أن جمع الأوطان والمطرا

وقال آخر

إذا نحن أبنا سالمين بأنفس * كرام رجت أمر الخاب رجاؤها

فأنفسنا خير الغنيمة إننا . * تؤوب وفيها ماؤها وحيائها

٢٠

(١) كذا بضم أوله ورفع ثانيه وهو كنية رفاعه بن عبد المنذر وهو صحابي معروف .

وقال آخر

رجعنا سالمين كما بدأنا * وما خابت غيمة سالمينا
[وما تدرين أي الأمر خير * أما تهوين أم ما تكرهينا^(١)

وقال بعض المحدثين

قبح الله آل برمك إني * صرت من أجلهم أبا أسفار
إن يكن ذو القرنين قد مسح الأثر * ض فإني موكَّل بالعيَّار^(٢)

التفويض^(٣)

حدثني أبي، أحسبه عن الهيثم بن عدي قال : لما كتب أبو بكر رضي الله عنه
إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشام واليا مكان أبي عبيدة بن الجراح، أخذ
على السماوية حتى انتهى إلى قراقرة، وبين قراقرة وسوى خمس ليال في مفازة، فلم يعرف
الطريق، فدل على رافع بن عميرة الطائي وكان دليلاً خريماً فقال لخالد : خلف
الأنقال وأسلك هذه المفازة إن كنت فاعلاً، فكره خالد أن يخلف أحداً وقال : لا بد
من أن نكون جميعاً . فقال له رافع : والله إن راكب المنفرد ليخافها على نفسه
وما يسلكها إلا مغرر مخاطر بنفسه، فكيف أنت بمن معك؟ فقال : لا بد من ذلك . فقال
الطائي لخالد : أبغني عشرين جزوراً مساناً عظيماً ففعل فظمأهن ثم سقاهن حتى
روين ثم قطع مشافهن وكعمهن لثلاث تجرت، ثم قال لخالد : سرباً بالخيول والأنقال
فكلما نزلت منزلاً نحرت من تلك الجزر أربعا ثم أخذت ما في بطونها من الماء
فسقيته الخيل وشرب الناس مما تزودوا، ففعل . فلما صار إلى آخر المفازة انقطع ذلك

(١) ما بين هذين القوسين زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) يقال فوز الرجل بباطه إذا ركب بها المفازة .

(٣) كذا بالألمانية وفي النسخة الفلورنسية أبو عبيدة محمد بن سعيد وهو خطأ إذ اسم أبي عبيدة عامر

ابن عبد الله بن الجراح الفهري فله من مهو النساخ .

وجهد الناس وعطشت دوابهم، فقال له خالد: ويحك، ما عندك؟ قال: أدركت
الرى إن شاء الله، انظروا هل تجدون شجرة عوّج على ظهر الطريق؟ فنظروا فوجدوها
فقال: أحفروا في أصلها فحفروا فوجدوا عينا فشربوا منها وتزودوا، فقال رافع: والله
ماوردت هذا الماء قط إلا مرة واحدة مع أبي وأنا غلام. فقال راجز المسلمين في ذلك

٥ لله در رافع أنى أهدى * فوز من قرأ قرأ إلى سؤى
أرضا إذا سار بها الجيش بكي * ماسارها قبلك من إنس أرى^(١)

قال ولما مر خالد بموضع يقال له البشر طلع على قوم يشربون وبين أيديهم
جفنة وأحدهم يتغنى

١٠ ألا عللاني قبل جيش أبي بكر * لعل منا يانا قريب وما ندرى
ألا عللاني بالزجاج وكررا * على كمت اللون صافية تجرى
أظن خيول المسلمين وخالدا * سيطر قكم قبل الصباح من البشر
فهل لكم في السير قبل قتالهم * وقبل خروج المعصرات من الخدر

فأ هو إلا أن فرغ من قوله شد عليه رجل من المسلمين بالسيف فضرب
عنته فإذا رأسه في الجفنة، ثم أقبل على أهل البشر فقتل منهم وأصاب من أموالهم.

١٥ ابن الكلبي قال: أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فأضلوا
الطريق ووقعوا على غير ماء فمكثوا ثلاثا لا يقدرون على الماء بفعل الرجل منهم
يستدرى بنى السمر والطلح ياسا من الحياة، فبيناهم كذلك أقبل راكب على بعير
فأنشد بعض القوم بيتين من شعر امرئ القيس

٢٠ لما رأت أن الشريعة ههما * وأن البياض من فرائصها دامي
تيممت العين التي عند ضارح * يفيء عليها الظل عر مضمها طامي

(١) هذا بالألمانية، وفي الفونوغرافية «أدى» بالبدال ولعله «أرى» بمعنى عاد ورجع.

فقال الراكب : من يقول هذا؟ قالوا : امرؤ القيس . قال والله ما كذب ، هذا ضارج عندكم ، وأشار إليه ، فجثوا على الركب فإذا ماء غدق وإذا عليه العرمض والظنل يفيء عليه فشربوا منه ريهم وسقوا وحلوا حتى بلغوا الماء ، فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله أحيانا بيتان من شعر امرئ القيس قال : « ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها منسى في الآخرة خامل فيها ، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب عن عمه الأصمعي عن رجل من بني سليم أن رُفقة ماتت من العطش بالشَّجِي ، فقال الحجاج : إني أظنهم قد دعوا الله حين بلغهم الجهد فأحفروا في مكانهم الذي ماتوا فيه لعل الله يسقي الناس . فقال رجل من جلسائه : أيها الأمير قد قال الشاعر

ترأت له بين اللوى وعُنَيْزَةٍ * وبين الشَّجِي ما أحال على الوادي

والله ما ترأت له إلا وهي على ماء . فأمر الحجاج عَضِيدَةَ السلمي أن يحفر بالشَّجِي بئرا فحفر فأنبط ، ويقال : إنه لم يمت قوم قط عطشا إلا وهم على ماء . قالت العرب « أن تَرَدَّ الماء بماء أكيس » . ويقال في مثل : « بردُ غداةٍ غرَّ عبدا من ظمأ » .

في الطيرة والفأل

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : هَرَبَ بعض البصريين من الطاعون فركب حمارا له ومضى بأهله نحو سَفَوَانَ فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول
لن يُسبِقَ اللهُ على حمار * ولا على ذى مَيْعَةٍ مَطَّار
أو يأتى الحَتَفَ على مقدار * قد يصبح اللهُ أمام السَّارِي

(١) في الألمانية عيد الله وهو تعريف .

(٢) هكذا في النسختين الألمانية والفرنغرافية ، وفي معجم البلدان : « عيدة السلي » .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان يعجب ممن يصدق بالطيرة ويعيها أشد العيب وقال : فرقت لنا ناقةً وأنا بالطف فركبت في إثرها فلقيني هاني بن عتبة^(١) من بني وائل يركض وهو يقول

* والشريلقى مطالع الأكم *

ثم لقيني رجل آخر من الحى فقال وهو للبيد

ولئن بعثت لهم بغاً * ما البغاة بواجدين

ثم دفعت إلى غلام قد وقع في صغره في نار فأحرقته فصبح وجهه وفسد، فقلت له : هل ذكرت من ناقة فارق؟ قال : همنا أهل بيت من الأعراب فانظر . فوجدناها قد نُججت ومعها ولدها . يقال : ناقة فارق : قد ضربها الطلق ، وسحابة فارق : قد دنا هراقة مائها . قال المرقش^(٢)

١٠

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على وائٍ وحاتم^(٣)
فإذا الأشائم كالأيا * من والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا * شرٌ على أحد بدائم

[وقال آخر^(٤)

١٥ وليس بهيباب إذا شد رحلته * يقول عداني اليوم وائٍ وحاتم
ولكنه يمضى على ذلك مُقدما * إذا صدعن تلك الهنات الخنارم^(٥)

(١) في النسخة الفتوغرافية : «عبيد» . (٢) في النسخة الفتوغرافية « المرقم » وهو تحريف وقد أورد في اللسان هذه الأبيات ونسبها للمرقش كما هنا ، وأورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب المرقش هذا ضمن من أنكر الزجر والطيرة من العرب واستشهد له بهذه الأبيات .

(٣) الواق : الصرد ، والحاتم : الغراب الأسود وكانت العرب تتشاهم بهما . (٤) زيادة في النسخة الألمانية . (٥) في الأصل «الخنارم» وهو تحريف والخنارم كلابط : الرجل المنطير . وقد أورد في لسان العرب هذه الأبيات ونسبها إلى خنيم بن عدى وقيل للرقاص الكلبي يمدح بها مسعود بن بحر وصوبه ابن بري . أنظر اللسان مادة «وقى» .

وقال آخر

تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا * عَلَى مَتَطَيَّرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ
بَلَى، شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ * أَحَابِينَا وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ

حدثني الرياشي عن الأصمعي قال: سألت ابن عون^(١) عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضاً فتسمع: يا سالم، أو باغيا فتسمع: يا واجد. وفي الحديث المرفوع «أَصْدَقُ الطَّيْرَةِ الْفَأَلُ». وفيه «الطَّيْرُ تَجْرِي بِقَدَرٍ»

أراد أبو العالية أن يخرج من البصرة لعلته كانت به فسمع منادياً ينادى: يا متوكل، فخط رحله وأقام.

وقال عكرمة كنا جلوساً عند ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر. [قال كعب لابن عباس: ما تقول في الطيرة قال: وما عسيت أن أقول فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال كعب: إن هذه الكلمات في كتاب الله المنزل. يعني التوراة.]

حدثني محمد بن يحيى القطعي^(٥) قال حدثني عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبي

حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها فقالا: إن أبا هريرة

(١) كذا بالنسخة الفتوغرافية وفي الألمانية «عون بن عبد الله» ولم نثر في كتب التراجم على من تسمى بهذا الاسم سوى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وهذا ما بين سنة عشر ومائة إلى عشرين ومائة. فلا تصح رواية الأصمعي عنه لأنه ولد سنة ١٢٢ ففعل ما في الفتوغرافية هو الصواب ويكون المراد به عبد الله بن عون بن أرتبان البصري فقد توفي هذا في سنة ١٥١ أي والأصمعي في السن التي يتلق فيها عن مشايخه. (٢) في النسخة الألمانية «أبو العنابية». (٣) في الألمانية «لغية كانت بها» وهو غير متناسب مع السياق. (٤) زيادة في النسخة الألمانية. (٥) كذا بالنسخة الألمانية من غير ضبط. وفي الفتوغرافية «القطعي» بضم أوله وفتح ثانيه بعدها ياء منناة والصواب أنه «القطعي» بضم أوله وفتح ثانيه من غير ياء كما ضبطه في تقريب التهذيب وعلله نسيه إلى قطعة - بكهينة - بن عيسى ابن بفيض وهو أبو حنيفة في القاموس وقد ذكر صاحب تهذيب التهذيب محمد بن يحيى هذا وقال إن من شيوخه عبد الأعلى. وهو هنا يروي عنه. (٦) في الألمانية «ابن حسان» وهو تحريف.

يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما الطَّيْرَةُ في المرأة والدار والدابة فطارت شَقَقًا ثم قالت : كذب ، والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم ، من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة في الدابة والدار والمرأة» ثم قرأت : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا)

كان عبد الله بن زياد صور في دهليزه كلبا وأسدا وكبشا وقال : كلب نابع وكبش ناطح وأسد كالج . وأنشدني أبو حاتم عن الأصمعيّ
يا أيها المضمير هما لا تُهمُّ * إنك إن تُقدر لك الحمى تُحَمُّ
ولو علوت شاهقا من العلم * كيف توقيك وقد جفّ القلم

- ١٠ ولما أمر معاوية بقتل حُجْر بن عَدِيّ الكنديّ في ثلاثة عشر رجلا معه قال حُجْر: دعوني أصلّ ركعتين فتوضأ وأحسن الوضوء، ثم صلى وطول فقبل له : أجزعت؟ فقال : ما توضأت قطّ إلا صليت ، ولا صليت قط صلاة أخف منها . وإن أجزع فقد رأيت سيفا مشهورا وكفنا منشورا وقبرا محفورا . فقبل له : مدّ عنقك ، فقال : إن ذلك لدم ما كنت لأعين عليه . فقدم فضربت عنقه . وكان معاوية بعث رجلا يقال له هُدْبَة لقتلهم ، وكان أعور ، فنظر إليه رجل من خثعم فقال : إن صدقت الطيرة قتل نصفنا ، فلما قُتل سبعة بعث معاوية رسولا آخر بعافيتهم فلم يقتل الباقون .

نخرج كثير عزة الى مصر يريد عزة ، فلقه أعرابي من نهد فقال : يا أبا صخر ، أين تريد؟ فقال : أريد عزة بمصر . قال : فهل رأيت في وجهك شيئا؟ قال : لا ،

(١) كذا بالألمانية ، وفي الفنونجرافية «عيد الله» وهما من أولاد زياد بن أبيه كما في المعارف لابن قتيبة ، ولا ندري أيهما صاحب القصة .

- إلا أنى رأيت غرابا ساقطا فوق بانه ينتف ريشه . فقال له : تُوافي مصر وقد ماتت
عزة . فانتهره كثير ثم مضى فوافي مصر والناس ينصرفون عن جنازة عزة ، فقال
فما أعيف النهدي لا دَرْدَرُهُ * وأزجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرابا ساقطا فوق بانه * ينتف أعلى ريشه ويُطايه
فأما غراب فاغتراب ووحشة * وبأن فبين من حبيب تعاشره
- وهوى بعد عزة امرأة من قومه يقال لها : أم الحويرث . نخطبها فأبت وقالت :
لا مال لك ، ولكن أخرج فأطلب فإني حابسة نفسي عليك . فخرج يريد بعض بني
مخزوم ، فبينما هو يسير عن له ظي فكره ذلك ومضى فاذا هو بغراب يبحث التراب
على وجهه فكرهه وتطير منه ، فانتهى الى بطن من الأزدي يقال لهم بنو لُهب ، فقال :
أفيكم زاجر؟ قالوا : نعم ، فأرشدوه الى شيخ منهم فأتاه فقص عليه القصة ، فقال :
قد ماتت أو خلف عليها رجل من بني عمها . فلما انصرف وجدها قد تزوجت فقال
تيممت لُهباً أطلب العلم عندهم * وقد رد علم العائفين الى لُهب
فقال جرى الطير السنيح بيئها * فدونك فاهيل جد منير سكب^(١)
فإلا تكن ماتت فقد حال دونها * سواك خليل باطن من بني كعب
- حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثني خالد بن يزيد الصفار قال حدثنا همام بن
يحيى عن قتادة عن حَضْرَمِيِّ بن لَاحِقٍ أو عن أبي سَلَمَةَ أن النبي صلى الله عليه وسلم
كتب الى أمراءه : « اذا أبردتم الى بريدنا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم » .
[خرج عمر الى حرّة وأقيم فلقى رجلا من جُهينة فقال له : ما أسمك؟ قال :
شهاب . قال : ابن من؟ قال : ابن بجرمة . قال : ومن أنت؟ قال : من الحرقة .
- (١) كنا بالأصل وقد حذف من الشعر بيتان يتصل بهما المعنى وهما .
فيمت شيئا منهم ذا أمانة * بصيرا بزجر الطير منحني الصلب
فقلت له ماذا ترى في سوانح * وصوت غراب يفحص الأرض بالترب
(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى ضرام . فقال له عمر : أدرك أهلك وما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا ، فأناهم وقد أحاطت النار بهم] .

خرج ابن عامر الى المدينة فاذا هو في طريقه بنعامات نحس ، فقال لأصحابه :

قولوا في هذه . فقال بشر بن حسان : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : « لا عدوى ولا طيرة » ومن علم شيئا فليقله ولكني أقول : فتنة نحس سنين .

قرأت في كتب العجم أن كسرى بعث وهرز الى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطفوا

قال وهرز لغلام له : أخرج الى من الجعبة نُسابة وكان الأسوار يكتب على كل نُسابة

في جعبته ، فمنها ما يكتب عليه اسم الملك ، ومنها ما يكتب عليه اسم نفسه ، ومنها

ما يكتب عليه اسم ابنه ، ومنها ما يكتب عليه اسم امرأته . فأدخل العبيده فأخرج

له نُسابة عليها اسم امرأته فتطير وقال : أنت المرأة وعليك طائر السوء . ردّها

وهات غيرها . فردّها وضرب بيده فأخرج تلك النُسابة بعينها ففكر وهرز في طائره ثم

أنتبه فقال : زنان . وزنان بالفارسية : النساء . ثم قال : زن آن ، فاذا ترجمتها ضرب ذلك

قال : نعم الطائر هذا . ثم وضعها في كبد قوسه ثم قال : صفوا لي ملكهم ، فوصفوه

بياقوتة بين عينيه . ثم إنه مَغَط في قوسه حتى اذا مَلَأها سَرَحها فأقبلت لأنها رِشَاء

منقطع حتى فَضَّت الياقوتة فطار فُضاضها ثم فلقَتْ هامته وهُزِم القوم . وقال المعلوط

تَنَادَى الطَائِرَانِ بَيْنَ سَلْمَى * عَلَى غَصْنَيْنِ مِنْ غَرْبِ وَبَانِ

فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتِ سَلِيمَى * وَفِي الْغَرْبِ اغْتَرَابٌ غَيْرُ دَانِي

أخذ معناها أبو الشَّيْصِ فَقَالَ

أَشَاقِكُ وَاللَّيْلُ مُلْقَى الْجِرَانِ * غَرَابٌ يَنْوَحُ عَلَى غَصْنِ بَانِ

أَحْصُ الْجَنَاحَ شَدِيدَ الصَّبَاحِ * يَبْكِي بَعِينِينَ مَا تَذَرِفَانِ

وَفِي نَعْبَاتِ الْغَرَابِ اغْتَرَابٌ * وَفِي الْبَانِ بَيْنَ بَعِيدِ التَّدَانِي

(١) الأسوار بالضم والكسر قائد الفرس . (٢) في الفتوغرافية « أبيه » .

(٣) في الفتوغرافية : « حتى مَلَّت الياقوتة فطارَتْ فُضاضاً » .

وقال الطائي

أَتَضَعُ عَيْنَكَ أَنْ دَعْتُ * وَرَقَاءُ حِينَ تَضَعُ الْإِظْلَامَ
لَا تَنْشِجُنَ لَهَا فَانَ بِكَاءِهَا * ضَحِكَ وَإِنْ بِكَاءِكَ اسْتَفْرَامَ
هَنْ الْحَمَامِ فَإِنْ كَسْرَتْ عَيْفَاءَةً * مِنْ حَائِنٍ فَانْهِنِ حِمَامَ

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني موسى بن مسعود عن عكرمة بن عمارة عن
إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : جاء رجل منا إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنا نزلنا دارا فكثرت فيها عددنا وكثرت فيها أموالنا ثم
تحوّلنا منها إلى أخرى فقلّت فيها أموالنا وقلّ فيها عددنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ذروها وهي ذميمة » .

بلغني عن ابن كُنَّاسَةَ عن مبارك بن سعيد أخى سفيان الثوري قال : بلغنا أن
أعرابيا أضع ذوداله فخرج في الطلب حتى أدركه العطش ، فترأبأعرابي يخلب ناقة
فنشده ضالته فقال له : متى خرجت في الطلب ؟ ادن مني حتى أسقيك لبنا وأرشدك .
قال : قبل طلوع الفجر . قال : فما سمعت ؟ قال : عواطيس حولي : نُغَاءُ الشَّاءِ
وَرُغَاءُ الدَّعِيرِ وَنُبَاحُ الكَلْبِ وَصِيَاحُ الصَّبِيِّ . قال : عواطيس تنهاك عن الغدو . قال :
فلما طلع الفجر عَرَضَ لِي ذئبٌ . قال : كَسُوبٌ ذُو ظَفَرٍ . قال : فلما طلعت
الشمس لقيتُ نعامَةً . قال : ذات ريش واسمها حسن ، هل تركت في أهلك
مريضا ؟ قال : نعم . قال : ارجع فانك ستجد ضالتك في منزلك .

حدثني عبد الرحمن عن حفص بن عمر الخبّطي قال حدثنا أبو زرعة يحيى بن أبي
عمرو الشيباني عن يثيع عن كعب قال : كانت الشجرة تنبت في محراب سليمان
النبي صلى الله عليه وسلم وتكلمه بلسان ذئق فتقول : أنا شجرة كذا وفي دواء كذا .
فيأمر بها سليمان فيكتب اسمها ومنفعتها وصورتها وتقطع وترفع في الخزان حتى كان
(١) في الأصل «الشيباني» بالشين المعجمة وهو تحريف والتصويب والضبط عن تقريب التهذيب .

أحرما جاء منها الخزوبة فقالت : أنا الخزوبة . فقال سليمان : الآن نُعِيتُ الى نفسي وأذن في خراب بيت المقدس . قال الطائي يصف عمورية

بكرُفا افتَرَعْتها كُفُّ حادثة * ولا تَرَقَّت اليها هِمةُ الثوب

جرى لها الفأل برُحا يوم أنقرة * اذ غودرت وحشة الساعات والرحب

لما رأت أختها بالامس قد خربت * كان الحراب لها أعدى من الحرب

مذاهب العجم في العيافة والاستدلال بها

قرأت في الآيين : كانت العجم تقول : اذا تحولت السباع والطير الجبلية عن

أماكنها ومواضعها دلت بذلك على أن المئتي سيشتد ويتفاقم . واذا نقلت الجرذان

براً وشعيراً أو طعاماً الى رب بيت رزق الزيادة في ماله وولده ، وإن هي قرضت ثيابه

دلت بذلك على نقص ماله وولده ، فينبغي أن يُقطع ذلك القرض ويُصلح . وإذا

شبت النار شبوباً كالصخب دلت على فرح شديد ، واذا شبت شبوباً كالبكاء دلت

على حزن ، وأما النار التي تشتعل في أسفل القُدور فانها تدل على أمطار تكثُر أوضيف

يُحضُر ، وإذا فشا الموت في البقر وقع الموتان في البشر ، وإذا فشا الموت في الخنازير

عم الناس السلامة والعافية ، وإذا فشا الموت في السباع والوحوش أصاب الناس

ضيقة ، وإذا فشا الموت في الجرذان أخصب الناس . وإذا كثرت الضفادع

التقيق دلت على موتان يكون . واذا أن ديك في دار فشا فيها مرض الرجال ، واذا

أنت دجاجة فشا فيها مرض النساء ، واذا صرخت ديوك صراخاً كالبكاء فشا الموت

في النساء ، واذا صرخ الدجاج مثل ذلك الصراخ فشا الموت في الرجال . واذا نعب

غراب أسود بجاوبته دجاجة دل ذلك على خراب يُعمر . واذا قوقت دجاجة وجاوبها

غراب دل على عمران يخرّب . واذا غط الرجل الحسيب في نومه بلغ سناً ورفعة ،

ومن نفخ في نومه أفسد ماله ، ومن صرّت أسنانه في نومه دل ذلك منه على نعمة ،

وينبغي أن يُضرب على فيه بحُفٍّ متخَرِّق . ومن سقطت قدامه حية من بُحراً أصابته
 معرّة ومضرة . واذا رُئى في الهواء دُخنة وظلمة من غير علة تُخوف على الناس الوباء
 والمرض . واذا رُئى في آفاق السماء في ليلة مصحية كاختلاف النيران غشي البلاد
 التي رُئى ذلك فيها عدو ، فان رُئى ذلك وفي البلاد عدو انكشف عنها . واذا نبج
 كلب بعد هدأة نجمة بغتة دل على أن السُّراق قد اجتمعوا بالغارة على بعض ما في
 تلك الدار أو ما جاورها . واذا صفق ديك بجناحيه ولم يصرخ دل على أن الخير
 محتبس عن صاحبه . واذا أكثر البوم الصراخ في دار برئ مريض إن كان فيها .
 وإذا سُمع لبيت تنقُض شخص من فيه عنه ، واذا عوت ذئب من جبال وجاوبتها
 كلاب من قرى تفاقم الأمر في التحارب وسفك الدماء . واذا عوت كلاب
 وجاوبتها ذئب كان وباء وموتان جارف ، واذا أكثر الكلاب في البغّات الهرير
 دلت بذلك على إتيان العدو البلاد التي هي فيها ، واذا صرخ ديك في دار قبل وقت
 صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بلية قد شارفت تلك الدار ، واذا صرخت دجاجة
 في دار كصراخ ديك كان ذلك تحذيرا لمن فيها من آفة قد أشرفوا عليها . واذا أكثر
 ديك التزوان على تُكّاة رب الدار نال شرفا ونباهة ، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله نحول
 وضعة . واذا ذرق ديك على فراشه نال مالا رغيبا وخيرا كثيرا وذلك اذا كان
 من غير تضييع من حشمه لفراشه ، فان ذرقت دجاجة على فراشه نالت زوجته
 منه خيرا كثيرا ، وكانوا يقولون : إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب
 وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر وينبغي مباعده . وينبغي أن يُعرف
 كُنه من كان منطيقا لعلة لا يجيد العمل ، وحال من كان سَكينا مترمّتا لعلة
 بعيد الغور . وكانوا يكرهون استقبال المولود ساعة يوضع إلا أن يكون ناقص الخلق
 فإن بليته وآفته قد صارتا على نفسه ، ويكرهون استقبال الزين والكريه الاسم والجارية

- البكر والغلام الذاهب الى المكتب ، وكانوا يكرهون الثيران المقرونة بقران والحيوان الموثق والدابة المقودة وحاملة الشراب والحطب والكلب ، ويستحبون الصحيح البدن الرضى الاسم والمرأة الوسيمة الثيب والغلام المنصرف من المكتب والدواب التي عليها حولة من طعام أو تبن أو زبل . وكانوا لا يُتَّحَنُّ عن سماع الملك ألعان المغنيات وتقبض الصواري وصهيل الخيل والبراذين ويتخذون في مبيته ديكا ودجاجة . واذا أهديت له خيل سُئِحَ بها عليه من يساره الى يمينه وكذلك الغنم والبقر ، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُبرَحُ بها من يمينه الى يساره .

باب في الخيل

- (١)
حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن شبيب بن غرقدة [عن عروة] البارقي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة » .

- حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني أشهل بن حاتم قال حدثني موسى بن علي بن رباح الحمصي عن أبيه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد أن أعد فرسا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاشتره إذا أدهم أو كميته أفرح أرتهم أو محجلا مطلق اليمين » وفي حديث آخر « فانها ميامين الخيل ثم أغرُ تسلم وتغنم إن شاء الله » .

- حدثني سهل بن محمد قال أخبرني أبو عبيدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بآيات الخيل فان ظهورها حرز وبطنها كتر » قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحب من الدواب الشُّقرو يقول : « لو جمعت خيل العرب كلها في صعيد
(١) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية لأن المنسوب الى بارق - وهو كما قال السمعاني جبل ينزله الأزدي فيما أظن ببلاد اليمن - عروة بن الجعد بن أبي الجعد البارقي الصحابي .

واحد ماسبقها إلا أشقر» . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المال خير . قال «سكة مأبورة» يعنى النخل «ومُهْرَة مأمورة» يريد كثيرة التاج . قال : وكان يكره الشَّكَّالُ^(١) فى الخيل . [قال أبو ذر^(٢) : ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه ويقول : اللهم سخرتنى لأبن آدم وجعلت رزقى بيده فاجعلنى أحب إليه من أهله وماله ، اللهم ارزقه وارزقنى على يديه] . سأل المهدي مطرب دزاج : أى الخيل أفضل؟ قال : الذى اذا استقبلته قلت نافر ، واذا استعرضته قلت زافر ، واذا استدبرته قلت زاجر . قال : فأى البراذين شر؟ قال : الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذى اذا أرسلته قال أمسكنى واذا أمسكته قال أرسلنى . قال : فأى البراذين خير؟ قال : ما طرفه إمامه وسوطه عنانه .

[وصف رجل برذونا فقال : ان تركته نَعَسَ وان حركته طار] . وقال ابن أقيصر : خير الخيل الذى اذا استقبلته ألقى^(٥) واذا استدبرته جبي^(٥) واذا استعرضته استوى واذا مشى ردى واذا عدا دحا .

محمد بن سلام قال : أرسل مسلم ابن عمرو ابن عم له الى الشام ومصر يشتري له خيلا فقال : لا علم لى بالخيل قال : ألسن صاحب قنص؟ قال : بلى . قال :

(١) ان تكون ثلاث قوائم محجلة والواحدة مطلقه وعكسه أيضا . قاموس .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى العقد الفريد « زاجر » ولا معنى له ، ولعل المراد بالزافر عظيم الزفرة بالضم وهى وسط الفرس ويكون كأنه زافر أبدا من عظم جوفه وإجفارجنيه وذلك مما يمدح فى الخيل .

(٤) كذا بالنسختين وفى العقد الفريد « زاجر » ولعله الصواب ويكون المعنى أنك إذا استدبرته رأيت عظيم الكفل منكه وذلك مما يمدح فى الخيل أيضا .

(٥) جبي : انكب على وجهه وقد أروده فى الأمالى « جبا » وهو أيضا بمعناه . وقال أبو على القالى الرديان أن يربح الأرض رجما بين المشى الشديد والعدو . والدحو أن يرى بيديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض .

فانظر، كلُّ شيء تستحسنه في الكلب فاطلبه في الفرس . فقدم بخيل لم يك في العرب مثلها . وقالوا : سُميت خيلا لاختيالها .

وذكر أعرابي فرسا وسرعته فقال : لما خرجت الخيل جاري بشيطان في أشطان^(١) فلما أرسلت لمع لمعة سحاب فكان أقربها إليه الذي تقع عينه عليه .

٥ وسئل رجل من بني أسد : أتعرف الفرس الكريم قال أعرف الجواد المير من المبطئ^(٢) المقرف . أما الجواد المير فالذي هُزَّ هُزَّ العير^(٣) وأنف تأنيف السير^(٤)، الذي اذا عدا أسهب^(٥) واذا قيئد أجلب^(٦) واذا انتصب آتلاب^(٧) . وأما المبطئ المقرف فالمدلوك الحجة الضخم الأرنبة الغليظ الرقبة [الكثير الجلبة] الذي إن أرسلته قال : أمسكني وإن أمسكته قال : أرسلني وأنشد الرياشي

١٠ كُمهرٍ سوء اذا سكنتِ شِرتَه * رام الجِماح فان رَفَعته سكا

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أن عمر بن الخطاب شك في العتاق والهجن ، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي فأخبره ، فأمر سلمان بطست فيه ماء فوضع في الأرض ثم قدمت الخيل إليه فرسا فرسا فإتني منها سُنْبِكَة فشرب هُجْنَه ، وما شرب ولم يثن سُنْبِكَة عرْبَه . وذلك لأن

١٥ (١) كذا بالنسخة الألمانية وفي الفتوغرافية هكذا (جار الشيطان) الخ وفي لسان العرب : ووصف أعرابي فرسا لا يحفى فقال كأنه شيطان في أشطان . ولعل أصل عبارة النسخة الفتوغرافية «جاء كأنه شيطان في أشطان» فحرفها الناصح كما ترى . (٢) كذا بالفتوغرافية مضبوطا . وفي القاموس : الملهوز المضير الخلق والتضير اكتناز اللحم فكأنه يريد أن يمدحه بأنه مكنت الخلق كالعير الوحشي وبواقفه ما في اللسان ولكنه مضبوط بالبناء للفاعل ولعله خطأ . وفي الألمانية والعقد الفريد "نَهَزَ نَهَزَ العير" . وفي اللسان نهزت الدابة اذا نهضت بصدورها للسير ، ولعل معناه أنه يندفع في السير كاندفاع العير الوحشي .

٢٠ (٣) في اللسان : واذا أنف يأنف السير وهو تحريف دفع إليه توهم أن السير هنا بمعنى المشي لأن المؤنّف هو المحدد من كل شيء . ومنه سير (جلد) مؤنّف أي مقدود على قدر واستواء . والمراد أنه قد حتى استوى كما يستوى السير المقدود . (٤) أسهب : مضى . وأجلب : امتد على الأرض . وآتلاب : استوى . (٥) حجة الفرس ما أشرف على صفاق البطن من وركيه ، ومدلوكها الذي ليس لحجته اشراف فهي ملسا . مستوية . (٦) الأرنبة الأنف . (٧) في الأصل الكبير والتصويب عن العقد الفريد .

في أعناق الهُجُن قصراً فهي لا تنال الماء على تلك الحال حتى تنثى سناكبها وأعناق العناق طوال .

وحدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : ذكروا أن كسرى كان إذا أتاه سائسه فقال : الفرس يشتكى حافرَه ، قال : المطبخ . وإذا قال : يشتكى ظهره ، قال : البيطار .

وأنشدني أبو حاتم لأبي ميمون العجلى وهو النضر بن سلمة في شعر طويل له يصف الفرس ، وقال قرأته على أبي عبيدة وعلى الأصمعي

الخيلُ مني أهلُ ما أن يُدَنَّ * وأن يُقَرَّبَ وأن لا يُقَصِّبَ
وأن يُبَابَأَ وأن يُفَدِّبَ * وأن يكون المحضُ مما يُسَقِّبُ
وأهل أن يُعَلِّبَ أو يُغَالِبَ * بالطرف والتلذ وأن لا يُجَفِّبَ
وأهل ما صَحِبْنَا أن يُقَفِّبَ * وأهل ما أعَقَبْنَا أن يُجَزِّبَ
أليس عزُّ الناسِ فيما أبلَبَ * والحسب الزاكي إذا ما يُقَنَّبَ
والأجر والزَّين إذا ريمَ الزَّين * كم من كريم جدَّه قد أعلَبَ
وكم طريدٍ خائفٍ قد أُنَجِّبَ * ومن فقيرٍ عائلٍ قد أَعَنَّبَ
وكم برأسٍ في لبانٍ أبحرَبَ * وجسدٍ للعافياتِ أَعَرَبَ
وأهلٍ حصنٍ ذي امتناعٍ أرذَبَ * وكم لها في الغنم من ذي سهمين
يكون فيما اقتسموا كالرجلين * وكم وكم أنكحَن من ذي طمرين
بغير مهرٍ عاجلٍ ولا دين * والخيل والخيرات في قرنين
لا تستكين عملاً ما أنقَبَ * ما دام مخٌّ في سُلامَى أو عين
* ما بلل الصوفة ماءً البحرين ^(٣)

(١) يقال لها بآبى أنت ، كناية عن الاحتفاظ بها . (٢) يُؤزَّن . (٣) في اللسان : وصوف البحرشي . على شكل هذا الصوف الحيواني واحدة صوفة وفي الأبديات : لا آتيك ما بل بحر صوفة .

وأشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة . قال : وقال لي أبو عبيدة لا أعرف قائل

هذا الشعر وعروضه لا يخرج . قال أبو حاتم : أحسبه لعبد الغفار الخزاعي

ذاك وقد أذعر الوحوشا * بصلت الخدر حِبَّ لبَّانُه مُجفَّر^(١)

طويلٌ خمس قصير أربعة * عريض ست مقلص حشور^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥)

حدت له تسعة^(٦) وقد عريت * تسع فقيه لمن رأى منظر

ثم له تسعة كسين^(٨) وقد * أرحب منه اللبان والمنخر^(٩)

بعيد عشر وقد قرين له * عشر وخمس طالت ولم تقصر

(١) اللبان الصدر ومجفرفتح الفاء واسع الحفرة وهي من الفرس وسطه .

(٢) تعرض أبو صفوان الأسدي في قصيدة له الى مدح فرس وذكر أن ما طال منه تسع وفرها ابن الاعرابي بالعتق ووظيفي الرجلين والبطن والذراعين والفخذين . قال أبو علي القالي : وتفسيره غير موافق لقول الشاعر لأنه ذكر عشرة أشياء وذكرها الشاعر تسعة ونقل عن أبي العباس أن هذا غلط من الشاعر ثم ذكر أن الذي يستحب طوله في القوائم ثمانية : وظيفا الرجلين والذراعان والثنين وهي الشعر الذي في مؤخر الرسغ ، وقال : فإن كان الشاعر ذهب الى هذا وأراد معها العتق جاز وصح قوله .

(٣) عددا صاحب القصيدة السالفة الذكر تسعة فقال ابن الاعرابي في تفسيرها هي أربعة : أرساغه ووظيفا يديه وعيبيه وساقاه . (٤) عدت في القصيدة المذكورة ثمانية وقال ابن الاعرابي في تفسيرها هي الفخذان والوركين والأوظفة . (٥) حشور : متفخ الجنيين .

(٦) ذكرت في تلك القصيدة ثمانية وقال ابن الاعرابي : حديد الثمان : عرقوباه وأذناه وقلبه ومنجابه . كذا في أمالي أبي علي القالي ولم يذكر الثامن .

(٧) عدت في تلك القصيدة سبعة . قال ابن الاعرابي السبعة العارية : خذاه وجبهته والوجه كله وقوائمه فكل هذا يستحب فيه أن يكون عاريا من اللحم .

(٨) عدت في تلك القصيدة سبعة وقال ابن الاعرابي السبع المكسوة : الفخذان وحاميتاه . ووركاة وحصيراجنيه ونهدتاه وهما في الصدر . وغير ابن الاعرابي يقول فهدتاه بالفاء . قال أبو علي القالي والصحيح فهدتاه وهما اللحمان اللذان في الزور كالفهدين .

(٩) عدت في تلك القصيدة ما قرب منه سبعا وما بعد سبعا وقال ابن الاعرابي السبع التي قربت يريد بها سبع خصال صالحة قربت منه وسبع خصال رديئة بعدت منه فليست فيه . ولم يبين هذه الخصال على وجه التفصيل .

(راجع قصيدة أبي صفوان الأسدي وشرحها في الأمالي من صفحة ٢٤٠ - ٢٥٣) .

تُقْفِيهِ بِالْمَحْضِ دُونَ وَلَدَتِنَا * وَعُضِّهِ فِي آرِيهِ ^(١) يُنْثِرُ
نَضْبَحُهُ تَارَةً وَتَغْبِقُهُ * أَلْبَانَ كُومٍ رَوَائِمٍ أَظْوَرُ
حَتَّى شَتَا بَادِنَا يُقَالُ أَلَا * يَطْوُونَ مِنْ بَدْنِهِ وَقَدْ أُضْمِرُ ^(٢)
مُوقِ الْخَلْقِ جَرَشِعَ عَيْدٍ * مُنْضِرِجُ الْخَضِرِ حِينَ يَسْتَحْضِرُ
حَاطِي الْحَمَاتَيْنِ لِحْمِهِ زِيمٌ * نَهْدُ شَدِيدِ الصَّفَاقِ وَالْأَبْهَرِ
رَقِيقِ نَحْمَسِ غَلِيظِ أَرْبَعَةَ * نَائِي الْمَعْدِنِ لَيْنِ الْأَشْعَرِ ^(٣)

وقد فسرت هذا الشعر في كتابي المؤلف في أبيات المهاني في خلق الفرس .

أنشدنا أبو سعيد لبعض الضبيين في وصف فرس

مَتَقَاذِفَ عِبْلِ الشَّوَى شَنِجَ النَّسَا * سَبَاقِ أُنْدِيَةِ الْجِيَادِ عَمِيثِلُ ^(٤)
وَإِذَا تَعَلَّلُ بِالسَّيَاطِ جِيَادُهَا * أَعْطَاكَ نَائِلَهُ وَلَمْ يَتَعَلَّلُ ^(٥)

قِيلَ لِمَا وَضَعْتَ حَرْبَ صِفِّينَ أَوْزَارَهَا قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ
سَبَّتِ الْحَرْبُ فَأَعَدَدْتُ لَهَا * مُفْرَعِ الْحَارِكِ مَرْوِي النَّبِجِ ^(٦)

(١) العُضُّ : العجينُ تُعْلَفُهُ الْإِبِلُ ، وَالقَتُّ ، وَالشَّعِيرُ وَالْحَنْطَةُ لَا يَشْرِكُهُمَا شَيْءٌ . (٢) الْآرَى : الْآخِيَّةُ
وهي محبس الدابة . (٣) يُقَالُ ضَمِرَ الْخَيْلَ تَضْمِيرًا : عَلَفَهَا الْقَوْتُ بَعْدَ السَّمَنِ كَأَضْمَرَهَا قَامُوسٌ .
(٤) الْجَرَشِعُ كَقَفْنَقَذٍ : الْعَظِيمُ الصَّدْرُ الْمُنْتَفِخُ الْجَنِينِ . وَمُنْضِرِجُ الْخَضِرِ : شَدِيدُ الْعَدْوِ . (٥) هَكَذَا
فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ وَالْفَنُوغْرَافِيَّةِ وَذَكَرَ فِي أَسْفَلِ النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ أَنَّ فِي بَعْضِ النُّسخِ خَاطِي . وَكِلَاهُمَا
عَبْرٌ مَنَاسِبٌ لِلعَنَى وَلَعَمَلِهِ خَاطِي بِالْحَاءِ وَالظَّاءِ الْمَعْجَمَتَيْنِ فَإِنَّ الْحَمَاتَيْنِ مِنَ الْفَرَسِ اللَّحْمَتَانِ الْمَجْتَمِعَتَانِ فِي ظَاهِرِ
السَّاقَيْنِ مِنْ أَعَالِيهِمَا وَالخَاطِي كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الْمَكْتَنَزُ اللَّحْمِ أَوْ الْغَلِيظُ الصَّلْبُ . وَلِحْمِهِ زِيمٌ : مَكْتَنَزٌ .
وَالصَّفَاقُ فَسْرُهُ الْأَصْمَعِيُّ فِي كِتَابِ الْفَرَسِ كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الْجِلْدُ الْأَسْفَلُ الَّذِي تَحْتَ الْجِلْدِ الَّذِي عَلَيْهِ الشَّعْرُ
وَالْأَبْهَرُ : عَرِقٌ فِي الظَّهْرِ . (٦) الْمَعْدَانُ : مَوْضِعُ دَفْعِي السَّرِجِ . وَالْأَشْعَرُ : مَا اسْتَدَارَ بِالْحَافِرِ مِنْ مَتْنِي الْجِلْدِ .
(٧) مَتَقَاذِفٌ ، سَرِيعٌ . وَعِبْلُ الشَّوَى : غَلِيظُ الْقَوَائِمِ . وَالنَّسَا : عَرِقٌ مِنَ الْوَرِكِ إِلَى الْكَعْبِ . وَشَنِجُ النَّسَا
مَنْقَبُضَةٌ وَهِيَ مَدْحٌ لِلْفَرَسِ لِأَنَّهُ إِذَا شَنِجَ نَسَاهُ لَمْ تَسْتَرِخْ رِجْلَاهُ . وَالْعَمِيثِلُ النَّشِيطُ . (٨) فِي الْفَنُوغْرَافِيَّةِ
وَمَا يَتَعَلَّلُ وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَتِ الْقَافِيَةُ مَرْفُوعَةً . عَلَى أَنَّهُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ أُورِدَ هَذَا الشَّعْرُ عَلَى نَحْوِ
مَا فِي الصَّلْبِ . (٩) الْحَارِكُ أَعْلَى الْكَاهِلِ وَالنَّبِجُ مَا بَيْنَ الْكَاهِلِ إِلَى الظَّهْرِ .

بُرْشَعًا أعظمه جُفْرَتُهُ * فاذا ابتل من الماء حَرَجُ
يصل الشَّد بشدِّ فاذا * ونت الخيل من الشَّد معج^(١)

ووجدت في كتاب من كتب الروم أن من علامة فَرَاهة المهر الحولى صغر رأسه
وشدة سواد عينيه وأن يكون مُحَدَّد الأذنين أبجد باطنها كثيف العُرْف، في عرفه ميل
من قِبَل يمين راحته عريض الصدر مرتفع الهادى معتدل العضدين مكثراً الجنبين
طويل الذنب عريض الكفَل مستدير الحوافر صحيح باطنها، ومن علامة فَرَاهة المهر
ألا يكون نَفُوراً [ولا يقف عند دابة إلا مع أمه] وإذا دفع الى عين أو نهر ماء لم يقف
لتجاوزه دابة فيسير بسيرها ولكنه يقطع ذلك النهر والعين .

قالوا ومما يسلم الله به الخيل من العين وأشباه ذلك أن يُجْعَل في أعناقها خرزة
من قرون الأيايل^(٢) .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سفيان عن حصين بن عبد الرحمن
عن هلال بن إساف وعن سُحَيْم بن نَوْفَل قالا : كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود
ونحن نعرض المصاحف، فجاءت جارية الى سيدها فقالت : ما يُجْلِسُكَ؟ قم فابتغ لنا
راقيا فإن فلانا لَقَعَ مَهْرَكَ بعينه فتركته يدور كأنه فلك . فقال عبد الله : لا تبغ راقيا
ولكن اذهب فأنفث في منخره الأيمن أربعا وفي الأيسر ثلاثا ثم قل : بسم الله لا باس
لا باس اذهب الباس رب الناس وأشف أنت الشافي لا يكشف الضراء إلا أنت .
قال : فما قمنا حتى جاء الرجل فقال : قد فعلت الذى أمرتني به فبال وراث وأكل .
حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة أنه قال : اذا كان الفرس صُلُودا لا يعرق سقيته
ماء قد دُفَّت فيه نَحْمِيرَةٌ أو علفته ضِعْمًا من هِنْدَبَاءٍ فان ذلك يُكثِرُ عرقه، فان حِمْرًا دخلته^(٤)

٢٠ (١) في الفتوغرافية « فاذا ونت الخيل من التبع » . والشد : العدو . ومعج كنعج : أسرع . (٢) الأيايل
جمع أيل وهو الوعل . (٣) يقال لقع فلانا بعينه : أصابه بها . (٤) حمر الفرس كفرح : سقى (نخم)
من أكل الشعير أو تغيرت رائحة فيه اه قاموس .

الحمام وأشيمه عذرة . فقلت لأبي عبيدة : ما يدريك أن هذا كذا؟ فقال : خبرني به جل الهندي وكان بصيرا . قال : فإن أصابته مغلّة وهي وجع البطن من أكل التراب أخذله شيء من بُورقٍ فِدقٍ ونُحْلٍ بفعل في ربيع دَوْرَقٍ من حمر فُحْنٍ به وُبَلٍ تراب طيب يبول أمان^(١) حتى يصير طينا ثم لُطخ به بطن الدابة . قال : ومما يذهب العرن دماغ الأرنب .

وقف الهيثم بن مطهر على باب الخيزران على ظهر دابته ، فبعث إليه الكاتب في دارها : أنزل عن ظهر دابتك فقد جاء في الأثر : لا تجعلوا ظهور دوابكم مجالس . فبعث إليه : إني رجل أعرج وإن خرج صاحبي خفتُ ألا أدركه . فبعث إليه : إن لم تنزل أنزلناك . قال : هو حبيس إن أنزلتني عنه إن أقضتته شهرا فانظر أيما خيره ، راحة ساعة أو جوع شهر؟ فقال : هذا شيطان ، أتركوه .

باب البغال والحمير

قال مسلمة : ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة العذار طويلة العنان . وكتب رجل الى وكيله : أبغني بغلة حصاء الذنب طويلة العنق سوطها عنانها وهواها أمامها . عاتب الفضل بن الربيع بعض بني هاشم في ركوبه بغلة ، فقال له : هذا مركب تطاطأ عن خيلاء الخيل وارتفع عن ذلة الحمار وخير الأمور أوساطها .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء : قال دفع أبو سيارة بأهل المزدلفة أربعين سنة على حمار لا يعتل ، فقالت العرب : «أصح من غير أبي سيارة» قال رجل للفضل الرقاشي وهو جد معتمر لأمته : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب ، فلم ذلك؟ قال : لأنها أكثرها مرفقا . قال : وما ذلك؟ قال : لا تستبدل بالمكان على

٢٠ (١) في الفلغرافية " انسان " .

قدر اختلاف الزمان ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صربها وأسهل تصرفها وأخفص مهوى وأقل حماحا وأشهر فأريها وأقل نظيرا ويزهى راكبه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصدًا وقد أسرف في ثمنه . وقال خالد بن صفوان في وصف حمار: قد أركبه عيرا من بنات الكدّاد^(١) أصحّر السّرّبال^(٢) مُحمّج القوائم يحمل الرّجلة ويبلغ العقبة ويمعنى أن أكون جبّارا عنيدا .

وقال رجل لنخاس : اطلب لى حمارا ليس بالكبير المشتهر ولا القصير المحقر ولا يُقدّم تقحما ولا يحجم تبدا^(٣) يتجنب بي الزحام والرّجام والإكام خنيف اللجام اذا ركبته هام واذا ركبه غيرى قام، إن علفته شكر، وإن أجمعه صبر. فقال له النخاس : إن مسخ الله القاضى زيادا حمارا رجوت أن أصيب لك حاجتك إن شاء الله . وقال رجل لآخر يوصيه : خذ من الحمار شكره وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغراب كتمانهُ للسّفاد .

جرير بن عبد الله عن أبيه قال : لا تركب حمارا فانه إن كان فارها أتعب يديك وإن كان بليدا أتعب رجلك .

باب فى الإبل

الهيثم قال قال ابن عياش : لا تشتري خمسة من خمسة : لا تشتري فرسا من أسدى ولا جملا من نهدي ولا عيرا من تميمى ولا عبدا من بجلى . ونسى الهيثم الخامس ، يريد أن أهل هذه القبائل عظام الحدود فى هذه الأشياء . قيل لبني عبس : أى الإبل

(١) فحل تنسب إليه الجر . قاموس . (٢) كذا بهامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى وفيها كما فى الفتوغرافية «ينخب» . (٣) فى النسخة الفتوغرافية «عبدالميد» وهما واردان معا فى كتب التراجم . (٤) كذا بالفتوغرافية وفى الألمانية «ابن عباس» ولعل رواية الفتوغرافية أصح اذ لم تقف فى ترجمة ابن عباس على ان الهيثم روى عنه ، ولعل هيا هذا هو الهيثم بن خارجة الخراسانى فقد روى عن إسماعيل بن عياش كما فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى .

أصبر عليكم في محاربتكم؟ قال الرُّمك الجعَاد . قيل : فأى الخيل وجدتم أصبر؟
قالوا : الكُمَّتَ الحَوَّ . قيل : فأى النساء وجدتم أصبر؟ قالوا : بنات العم .
المدائني قال قال شَبَّة بن عِقَال : أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتني
الحج ، ومعى ثلاثة أجمال فمررت برجل من أهل اليمن على ناقه له فطويته فلما جُرته
قام بي بعير لي ثم آخر ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتني فترى بي اليماني فقال :
مررت بنا ولم تسلم ولم تعرِّض . فقلت : أجل يرحمك الله . قال : أتطيب نفسك عما
أرى؟ قلت : نعم . فنزل فأرخى أنساع رَحله ثم قدمه فكاد يضعه على عنقه ثم شدّه
وقال لي : لولا أنك لا تضبط رأسها لقدمتك . ثم قال لي : خذ حُر متاعك إن
لم تطب نفسك به ففعلت ، ثم ارتدفتُ بفعلتُ تعوم عوما ثم انسلت كأنها ثعبان يسيل
سيلا كالماء فما شعرت حتى أراى الأعلام وقال : أسمع؟ فسمعت أصوات الناس
فاذا نحن بجمع^(٢) ، فقضيت حجتي ، وكان قال لي : حاجتي اليك ألا تذكر هذا فان هذه
عندي أثر من ولاية العرُوض يعنى مكة والمدينة ، أدرك عليها النار وهي شمال العيال
وأصيد عليها الوحش وأوافى عليها الموسم في كل عام من صنعاء في أقل من غيب
الحمار فسألته : من أين هي؟ قال : بُجَاوِيَّة من هَوَامِي نَتَّاج [بدو] بَجِيْلَة الأولى وهي من
المهاري التي يذكر الناس .

[وكتب سليمان بن عبد الملك الى عامله : أصب لي نجائب كراما . فقدم رجل
على جمل سُبَاعِي عظيم الهامة له خلق لم يروا مثله قط فساموا ، فقال : لا أبيع .
قالوا : لا ندعك ولا نغصبك ولكننا نكتب الى أمير المؤمنين بسببه . قال : فهلا خيرا
من هذا؟ قالوا : ما هو؟ قال : معكم نجائب كرام وخيل سابقة ، فدعوني أركب

(١) في الفتوغرافية "قد كان ذلك رحمك الله" . (٢) هي المزدلفة وسميت بذلك لاجتماع الناس بها .

(٣) زيادة في النسخة الألمانية .

جلى وأبعثه وأتبعوني فان لحقتموني فهو لكم بغير ثمن . قالوا : نعم . فدنا منه فصاح في أذنه ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فبكا ثم أنبعث وأتبعوه فلم يدروا كيف أخذ، ولم يروا له أثرا فجعل أهل اليمن علما على وثبته يقال له : الكفلان] .

أخبار الجبناء

- ٥ حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعي قال : أرسل عبيد الله بن زياد رجلا في ألفين الى مرداس بن أدية وهو في أربعين فهزمه مرداس فعنفه ابن زياد وأغلظ له فقال : يشتمني الأمير وأنا حي أحب الي من أن يدعولي وأنا ميت . فقال شاعر الخوارج

ألفا مؤمن منكم زعمتم * ويهزمهم بأسك أربعونا
١٠ كذبتهم ليس ذلكم كذاكم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم * على الفئة الكثيرة ينصرونا

- حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عون عن الحسن قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما آلتقت فئتان قط إلا وكف الله بينهما فاذا أراد أن يهزم إحدى الطائفتين أمال كفه عليها » . [ورفع معاوية ^(١) شُدُوته بيده وقال : لقد علم الناس أن الخيل لا تجرى بمثلي، فكيف قال النجاشي

١٥ ونجى ابن حرب سابق ذو علالة * أجش هزيم والرماح دواني]
ابن دأب قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية : لقد أعياني أن أعلم أجبان أنت أم شجاع ؟ فقال

شجاع اذا ما أمكنتني فرصة * وإلا تكن لي فرصة بجان

شهد أبو دُلّامة حرباً مع رَوْح بن حاتم فقال له : تهدم فقاتل . فقال
 إني أعود برَوْح أنت يقدمني * إلى القتال فتخزي بي بنو أسد
 إن المهلب حبّ الموت ورتبكم * ولم أورت^(١) حبّ الموت عن أحد
 أبو المنذر قال ، حدثنا زيد بن وهب قال ، قال لي علي بن أبي طالب رضي الله
 عنه : عجبا لابن النابغة ! يزعم أنني تلعبه أعافيس وأمّارس ! أما وشرّ القول أكذبه ،
 إنه يسأل فيلحف ويسأل فيبخل ، فإذا كان عند البأس فإنه أمرؤ زاجر مالم تأخذ
 السيوف مأخذها من هام القوم ، فإذا كان كذلك كان أكبرهمه أن يبرقظ ويمح
 الناس آسته . قبحه الله وترّحه . وقال الفرار السلمي

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى إذا التبت نفضت بها يدي
 وتركتم تقص الرماح ظهورهم * من بين منجدل وآحر مسد
 ما كان ينفعني مقال نسائهم * وقتلت دون رجالهم : لا تبعد

وقال آخر

أضحت تشجيني هند وقد علمت * أن الشجاعة مقرون بها العطب
 لا والذي حجت الأنصار كعبته * ما يشتهي الموت عندي من له أرب^(٢)
 للحرب قوم أضل الله سعيهم * إذا دعّتهم إلى حوْبائها وثبوا^(٣)
 ولست منهم ولا أبغى فعالمهم * لا القتل يعجبني منها ولا السلب
 وقال أيمن بن خريم

إن للفتنة ميطا بينا^(٤) * فرويد الميط منها يعتدل

(١) كذا بالنسخين ، وفي الأغاني : « وما ورت اختيار الموت عن أحد » .
 (٢) رواه في العقد الفريد « لا والذي منع الأبخار رؤيته » . (٣) في النسخة الألمانية « نيرانها » .
 (٤) هكذا في النسخين الألمانية والفرنغرافية ، وفي العقد الفريد « عاجلا » .

فاذا كان عطاء فاتهم * واذا كان قتال فاعتزل

إنما يسيرها جهالها * حطب النار فدعها تشتعل

وقال آخر

كُلِّبِي الأَعْنَةَ من كَفِّهِ * وقاد الجيادَ بأذنانها

وقال جرّان العود في الدهش

يوم ارتحلت برحلي قبل تودعتي * والقلب مستوهل بالبين مشغول

ثم اعتضضتُ على نضوي لأدفعه * إثر الحمول الغواذي وهو معقول^(١)

كان خالد بن عبد الله من الجبناء خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيرة [من

الرافضة] وهو من بجيلة فقال من الدهش : أطعموني ماء . فذكره بعضهم فقال^(٢)

عاد الظلوم ظلما حين جدّ به * واستطعم الماء لما جدّ في الهرب

وقال عبيد الله بن زياد إما للكنة فيه أو لجن أودهشة : افتحوا سيوفكم .

وقال ابن مفرغ الحميري

ويوم فتحت سيفك من بعيد * أضعت وكل أمرك للضباع

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيرا

أكان الجبان يرى أنه * سيقتل قبل انقضاء الأجل

فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

وقال خالد بن الوليد : لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه

طعنة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أنفي^(٣) ، فلا نامت أعين الجبناء .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ولا معنى له ، وفي الفتوغرافية « اغتررت » بالراء المهملة وهو محرف عن

« اغترزت » بالزاي المعجمة ومعناه ركبت وأصله وضع الرجل في الفرز وهو الركاب . (٢) في النسخة

الألمانية « وهو مول لبجيلة » . (٣) كذا بالنسخة الفتوغرافية ، وفي النسخة الألمانية « أموت

على فراشي كما يموت العير » وفي العقد الفريد « ثم هاأنذا أموت حتف نفسي كما يموت العير » .

(١) [قيل لأعرابي : ألا تغزوفان الله قد أندرك . قال : والله إني لأبغض الموت
على فراشي فكيف أمضى إليه ركضاً !] وقال قِرَوَاشُ بن حَوْطٍ وذكر رجلين
ضُبُعًا بِجَاهِرَةٍ وَلَيْثًا هُدْنَةً * وَثُعَيْلِيَا نَحْرًا إِذَا مَا أَظْلَمَا

وقال عبد الملك بن مروان في أمية بن عبد الله بن خالد
إِذَا صَوَّتَ الْعَصْفُورُ طَارَ فَوَادِهِ * وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآخَرِ (٢)

ولو أنها عصفورة لحسبتها * مُسُومَةٌ تَدْعُو عُبَيْدًا وَأَزْتَمَا
وقال الله جل وعز (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) .

ومن أشعار الشُّطَّارِ فِي الْجَبَانِ

رَأَى فِي النَّوْمِ إِنْسَانًا * فَوَارَى نَفْسَهُ أَشْهَرُ (٣)

قال ابن المقفع: الجبن مقتاة والحرص محرمة فانظر (فيما رأيت وسمعت) : من قُتِلَ
فِي الْحَرْبِ مَقْبَلًا أَكْثَرًا مِنْ قُتْلٍ مَدْبِرًا؟ وانظر من يطلب اليك بالإجمال والتكرم أحق
أَنْ تَسْخُو نَفْسَكَ لَهُ بِالْعَطِيَّةِ أَمْ مِنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالشَّرِّ وَالْحَرْصِ؟ وَقَالَ حَنْشُ (٤)
ابن عمرو

وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يَعْجَبُ النَّاسُ رِزْهًا * لَهَا زَجَلٌ بَاقٍ شَدِيدٌ وَبَيْدُهَا
تَقَطَّعَ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ * وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرَقَهَا وَرَعُودُهَا
فَوَيْلٌ لَهَا خَيْلًا تَهَاوَى شِرَارُهَا * إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صِدُودُهَا

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) هو العوام بن شوذب الشيباني . (٣) هكذا في النسختين
الفتوغرافية والألمانية وفي العقد الفريد "عصفورا" .

(٤) نسب هذه الأبيات في الحماة لقراد بن حنش الصاردي وروى البيت الأول

وأنتم سماء يعجب الناس رزها * بأبدة تنحى شديد وبَيْدُهَا

والتالث فويلٌ لها خيلاً بها . ومشارة * إذا لاقت الأعداء لولا صدودها

وقال الفرزدق أو البعيت

سائل سَلِيْطًا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَفْرَعَهَا * مَا بَالُ خَيْلِكُمْ قُعْسًا هَوَادِيَهَا
لا يرفعون الى داج أعنتها * وفي جواشئها داء يُجَافِيهَا

- كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له عروة بن مرثد ويكنى أبا الأغر يتزل
بني أخت له في سكة بني مازن، وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم إلى ضياعهم
في شهر رمضان وخرج النساء يصلين في مسجدهم فلم يبق في الدار إلا الإماء فدخل
كلب يعس فرأى بيتا فدخله وأنصفق الباب فسمع الحركة بعض الإماء فظنوا أن لصا
دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يتغى اللص؟ ثم
أخذ عصاه وجاء فوقف على باب البيت وقال: إيه يا ملامان، أما والله إنك بي لعارف
فهل أنت إلا من لصوص بني مازن شربت حامضا خبيثا حتى إذا دارت القدوح
في رأسك منتك نفسك الأمانى وقلت: أطرق ديار بني عمرو والرجال خلوف والنساء
يصلين في مسجدهم فأسرقهم . سوءة لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وأيم الله
لتخرجن أولاهن هتفة مشؤومة يلتقى فيها الحيان عمرو وحنظلة وتجيء سعد بعدد
الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلت لتكونن أشام مولود .
فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال : اخرج بأبي وأمي، أنت مستور، إني
والله ما أراك تعرفني ولو عرفتنى لقنعت بقولي واطمانت إلى . أنا — فديتك —
أبو الأغر النهشلي، وأنا خال القوم وجدة بين أعينهم لا يعصونني، ولن تضار الليلة
فأخرج فانت في ذمتي وعندى قوصرتان أهداهما إلى ابن أختي البار الوصول فخذ
إحداهما فاتبذها حلالا من الله ورسوله . وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا
سكت وثب يُرِيغُ المخرج، فتهاتف أبو الأغر ثم تضاحك وقال : يا ألام الناس
وأوضعهم ، لا أرى إلا أنى لك الليلة في واد وأنت لى في واد ، أقلب السوداء

والبيضاء فتُصَيِّخُ وتُطَرِّقُ ، وإذا سَكَتُ عَنْكَ وَثَبْتَ تُرِيغُ المَخْرَجَ ، والله لتُخْرِجَنِي
أَوْ لأُجِلَّنَ عَلَيْكَ البَيْتَ . فلما طَالَ وَقُوفَهُ جَاءَتْ إِحْدَى الإِمَاءِ فَقَالَتْ : أَعْرَابِي
مَجْنُونٌ ، والله ما أَرَى فِي البَيْتِ شَيْئًا ، فدفعت الباب فخرج الكلب شَدًّا وَحَادٌ عَنْهُ
أَبُو الأَعْرَسِ سَاقِطًا عَلَى قَفَاهُ ، ثم قَالَ : يَا الله ما رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ ! والله ما أَرَاهُ إِلا كَلْبًا ،
أما والله لو عَلِمْتَ بِحَالِهِ لَوَلَّجْتَ عَلَيْهِ .

وشبهه بهذا حديث لأبي حية الثميري ، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ،
وكان يسميه لعاب المنية . قال جاره له : أشرفت عليه ليلة وقد آنتضاه وشمرو وهو
يقول : أيها المغتر بنا والمجتري علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف
صقيل ، لعاب المنية الذي سمعت به ، مشهور ضربته لا تخاف نبوته . أخرج بالعفو
عنك وإلا دخلت بالعقوبة عليك ، إني والله إن أدع قيسا تملأ الأرض خيلا
ورجلا . يا سبحان الله ، ما أكثرها وأطيبها ! ثم فتح الباب فاذا كلب قد خرج ،
فقال : الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفاني حربا .

وقرأت في كتاب كليلة ودمنة : يخاف غير المخوف طائر يرفع رجله خشية السماء
أن تسقط ، وطائر يقوم على إحدى رجله حذار الخسف إن قام عليهما ، ودودة تأكل
التراب فلا تشبع خوفا أن يفنى إن شيعت فتجوع ، والخفافيش تستتر بالنهار حذار
أن تصطاد لحسنها .

بيننا عبد الله بن خازم السلمي عند عبيد الله بن زياد إذ دخل عليه يجرذ أبيض
فعجب منه وقال : يا أبا صالح ، هل رأيت أعجب من هذا؟ وإذا عبد الله قد تضاعل
حتى صار كأنه فرخ وأصفر حتى كأنه جرادة ذكر . فقال عبيد الله : أبو صالح يعصى
الرحمن ويتهاون بالشیطان ويقبض على الثعبان ويمشي إلى الأسد الورد ويلقى الرماح
بوجهه قد اعتراه من هذا الجرذ ما ترون ! إن الله على كل شيء قدير !

(١) كذا بالنسخين ، وفي العقد الفريد : « ويتهاون بالسلطان » .

كان الحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام شهد بدرا مع المشركين وانهمز،

فقال فيه حسان

إن كنتِ كاذبة الذي حدثتني * فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الأجابة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طيمرة وجام

فاعتذر الحارث من فراره وقال

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسى بأشقر مزبد

وعلمت أني إن أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوى مشهدي

فصددت عنهم والأجابة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد^(١)

وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه ، وخرج في زمن عمر من مكة الى الشام

- ١٠ بأهله وماله ، فاتبعه أهل مكة ليكون ، فرق وبكى ثم قال : أما إننا لو كنا نستبدل دارا
بدارنا وجارا بجارنا ما أردنا بكم بدلا ، وإكبتها الثقله الى الله ، فلم يزل هناك مجاهدا
حتى مات .

المدائني قال : رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال له : مم تضحك

يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك؟ قال : أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك

- ١٥ سوءتك يوم ابن أبي طالب ، أما والله لقد وافقته متانا كريما ، ولو شاء أن يقتلك لقتلك .
قال عمرو : يا أمير المؤمنين أما والله إنى لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت
عينك ور با سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أودع .

وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس

عربية وكمانه ، فبعثت اليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت : من هذا

- ٢٠ الأعرابي المستلم في السلاح عندك وأنت في غلالة؟ فبعث اليها أنه الحجاج ، فأعادت

(١) هكذا في النسخين الالمانية والفتوغرافية ، والذي في المعارف للصنف " يوم سرمد "

الرسول إليه، فقال : تقول لك والله لأن يخلوبك ملك الموت أحيانا أحبّ الىّ من أن يخلوبك الحجاج، فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه، فقال : يا أمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزحف القول فانما المرأة ريحانة وليست قهرمانةً فلا تُطلعها على سرّك ومكايدة عدوك . فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج فقالت : يا أمير المؤمنين حاجتي أن تأمره غدا بأن يأتيني مستلثما، ففعل ذلك وأتاها الحجاج فحجبتة فلم يزل قائما، ثم قالت : إيه يا حجاج، أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد في الاسلام، وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره فان كنّ ينفرجن عن مثله فغير قابل لقولك، أما والله لقد نقض نساء أمير المؤمنين الطيب من غداثرهن فيعنه في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيّق من القرن^(١) قد أظلتك رماحهم وأثخنك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجاهك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله القائل حين نظر اليك وسنان غزاة بين كتفيك

أسد على وفي الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صغير الصافر

هلا كررت على غزاة في الوغى * بل كان قلبك في جوانح طائر

وغزاة امرأة شبيب الخارجي . ثم قالت : أخرج ، نخرج .

وكان في بني ليث رجل جبان بنجيل نخرج رهطه غازين وبلغ ذلك نلسا من بني سليم وكانوا أعداء لهم فلم يشعر الرجل إلا بنجيل قد أحاطت بهم فذهب يفر فلم يجد مفرا، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم نثّل كنانته وأخذ قوسه وقال

(١) في النسخة الفلوجرافية "القوت". (٢) هو عاصم بن ثابت كما في اللسان مادة (عنبيل) ورواه

ماعلى وأنا طب خائل * والقوس فيها وترعابل

* نزل عن صفحته المعابل *

ما علتى وأنا جلد نابل * والقوس من نبع لها بلايل
يرز فيها وتر عنايل * ان لم أقاتلكم فأتى هايل
أكل يوم أنا عنكم ناكل * لا أطعم القوم ولا أقاتل
* الموت حق والحياة باطل *

٥ ثم جعل يرميهم حتى ردهم ، وجاءهم الصريح وقد منع الحى ، فصار بعد ذلك شجاعا سمحا معروفا .

ولما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير وجه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجه معه روح بن زنباع الجذامى كالوزير ، وكان روح رجلا عالما داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم ، فلما رأى أهل الكوفة من بخله مارأوا تخوفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جبنه فاحتالوا فى إنحراجه عنهم فكتبوا ليلا على بابه
١٠ إن ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع

فلما أصبح ورأى ذلك لم يشك أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه فى الشخصوس فأذن له ونرج حتى قدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك ؟ قال : يا أمير المؤمنين تركت أخاك مقتولا أو مخلوعا . قال : كيف عرفت ذلك ؟ فأخبره الخبر فضحك عبد الملك حتى فخص برجليه ، ثم قال : احتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم .
١٥ كان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وجه الى أبى قديك فانهزم وأتى المجاج بدواب من دواب أمية قد وسم على أنفاذها "عدّة" فأمر المجاج فكتب تحت ذلك : "للفرار" .

[وقال عمر رضى الله عنه : إن الشجاعة والجن غرائز فى الرجال ، تجد الرجل يقاتل عمن لايبالى ألا يؤوب الى أهله ، وتجد الرجل يفتر عن أبيه وأمه ، وتجد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد] .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال الشاعر

يفتر الجبان عن أبيه وأمه * ويمجى شجاعُ القوم من لا يناسبه

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم

حدثني أبو حاتم قال حدثني الأصمعي قال سمعت الحرسي يقول: رأيت من الجبن والشجاعة عجباً . استترنا من مزرعة في بلاد الشام رجلين يُدريان حنطة، أحدهما أصيفر أحيمس^(١)، والآخر مثل الجمل عظاماً، فقاتلنا الأصيفر بالمذرى لا تدنو منه دابة إلا نحس أنفها وضربها حتى شق علينا قُتل، ولم نصل إلى الآخر حتى مات فرقا فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض في مثل كوز من ماء .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو الصفار قال: حاصر مسلمة حصنا فندب الناس إلى نقب منه، فما دخله أحد . فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتح الله عليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى: إني قد أمرت الأذن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمتُ عليه إلا جاء . فجاء رجل فقال: استأذن لي على الأمير . فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه . فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألا تسودوا اسمه في صحيفة [إلى الخليفة] ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو . قال: فذاك له . قال: أنا هو . فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب .

(١) كذا بالألمانية، وفي الفتوغرافية "أخينس" ولعله "أحيمس" مصغراً أحش وهو دقيق الساقين .

(٢) في الألمانية "عمان" ولم نثر عليه في كتب التراجم، ولعله حاد بن واقد أبو عمرو الصفار كما

في كتب التراجم . (٣) زيادة في الألمانية .

حدثني محمد بن عمرو الجرجاني قال كتب أنوشروان إلى مرازبته : عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى . وذكر أعرابي قوماً تحاربوا فقال : أقبلت الفحول تمشي مشى الوعول ، فلما تصالحوا بالسيوف فغرت المنايا أفواهاها . وذكر آخر قوماً اتبعوا قوماً أغاروا عليهم فقال : آحتثوا كلَّ جمالية عيرانية فما زالوا يَحْصِفون أخفاف المِطى بحواف الخيل حتى أدركوهم بعد نالثة فجعلوا المران أرشية الموت وأستقوا بها أرواحهم .

حدثني عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال : انهزمتنا من قطرى وأصحابه فادركني رجل على فرس فسمعت حساً منكراً خلفي ، فالتفتُ فإذا أنا بقطرى فيئت من الحياة فلما عرفني قال : أشدُّ عنانها وأوجعُ خاصرتها قطع الله يدك . قال : ففعلت فنجوت منه .

وحدثني عبد الرحمن عن عمه قال : لما غرق شيبب [قالت امرأة : الفرق يا أمير المؤمنين ، قال ذلك تقدير العزيز العليم قال ف] أخرج فشق بطنه وأخرج فؤاده فإذا مثل الكوز ، فجعلوا يضربون به الأرض فينزو .

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال أخبرنا صاحب لنا عن أبي عمرو بن العلاء قال : لما كان يوم الكلاب خرج رجل من بني تميم ، أحسبه قال : سَعْدِي ، فقال : لو طلبت رجلاً له فداءً ! قال : نخرجت أطلبه ، فإذا رجل عليه مَقْطَعَةٌ يمانية على فرس ذنوب ، فقلت له : على يمينك . قال : على يساري أقصدُ لي . قلت : أيهاَت منك اليمن . قال : العراق مني أبعد . قلت : وتالله لا ترى أهلك العام . قال لا والله ولا أهلك لا أراهم . قال : فتركته ولما كان بعد أيام ونعتُ نعتَه بعد ذلك ، فقيل لي : هو وعلةُ الجرمي .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام عن محمد ابن سيرين قال : بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأحنف بن قيس على جيش قبل خراسان فيبتهم العدو ليلا وفرقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطبل ففرع الناس وكان أول من ركب الأحنف فأخذ سيفه وتقلده ثم مضى نحو الصوت وهو يقول

إني على كل رئيس حقاً * أن يحضب الصعدة أوتندقاً

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحاب الطبل الصوت انهزموا . ثم حمل على الكردوس^(١) الآخر ففعل مثل ذلك وهو وحده ، ثم جاء الناس وقد انهزم العدو فاتبعوهم يقتلونهم ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة يقال لها مرو الروذ .

سأل ابن هبيرة عن مقتل عبد الله بن خازم ، فقال رجل ممن حضر : سألنا وكيع ابن الدؤرقية كيف قتله؟ قال : غلبته بفضل فتاء كان لى عليه فصرعته وجلست على صدره وقلت له : يا لثارات دؤيلة . يعنى أخاه من أبيه . فقال من تحتى : قتلك الله ! تقتل كبش مضر بأخيك وهو لا يساوى كفى نوى ! ثم تنحى فملا وجهى نوحامة ، فقال ابن هبيرة : هذه والله البسالة ! استدل عليها بكثرة الريق فى ذلك الوقت .

قال هشام لمسلمة : يا أبا سعيد هل دخلك دُعر قط لحرب [أو عدو] قال : ما سلمت فى ذلك من دُعر ينبه على حيلة ولم يغشني فيها دُعر سلبنى رأيت . قال هشام : هذه البسالة .

خرج رهم بن حزم الهلالي ومعه أهله وماله يريد النقلة من بلد الى بلد فلقيه ثلاثون رجلا من بنى تغلب فعرفهم ، فقال : يا بنى تغلب ، شأنكم بالمسال واخلوا

٢٠ (١) الكردوس : الكشيبة من الخيل فى الحرب . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى النسخة الألمانية « زهير » ولم نثر على ما يرجح احدى الرايتين .

الظعينة . فقالوا : رضينا إن ألقيتَ الرمح . قال : وإن رمحي لمعي . وحمل عليهم
فقتل منهم رجلا وصرع آخر وقال

رُداً على آخرها الأتالياً * إن لها بالمشرفي حادياً
* ذكّرتني الطعنَ وكنْتُ ناسياً *

٥ قال الزبيرى : ما أستجيا شجاع أن يفتر من عبد الله بن خازم السامى وقطرى
ابن الفجاءة .

أبو اليقظان قال : كان حبيب بن عوف العبدي فاتكاً، فلقى رجلاً من أهل الشام
قد بعثه زياد ومعه ستون ألفاً يتجربها فسايره، فلما وجد غفلة قتله وأخذ المال فقال
يوماً وهو يشرب [على لذته ^(١)] .

١٠ يا صاحبي أقلّ اللوم والعدلاً * ولا تقولوا لشيء فأت ما فعلاً
رُداً على كُتبت اللون صافية * إنى لقيت بأرض خاليا رجلاً
ضخم الفرائص لو أبصرت قمته * وسط الرجال إذن شبهته بحملاً
ضاحكته ساعة طوراً وقلت له * أنفقتَ بيعك إن ريثاً ^(٢) وإن عَجلاً
سأيرته ساعة ما بي مخافته * إلا التلفتَ حولي هل أرى دَعَلاً
١٥ غادرته بين آجامٍ ومَسْبَعَةٍ * لم يدرِ غيري بعدى بعدُ ما فعلاً
يدعو زيادا وقد حانت منيته * ولا زيادَ لمن قد وافق الأَجَلا

المفضل الضبي : كان سُلَيْك بن سُلَيْكَة التميمي من أشد فرسان العرب وأذكرهم
وأدل الناس بالأرض وأجودهم عدواً على رجله لا تعلق به الخيل وكانت أمه سوداء
وكان يقول : اللهم إنك تهبي ما شئت لما شئت إذا شئت ، اللهم إني لو كنت
٢٠ ضعيفاً كنت عبداً ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الفئوجرافية : «إن زينا وإن صلا» .

فأما الهيبة فلا هيبة . وأملق حتى لم يبق له شيء ، فخرج على رجله رجاء أن يصيب
غيرة من بعض من يمز عليه فيذهب بإبله ، حتى إذا أمسى في ليلة باردة مقمرة
واشتمل الصباء ونام إذا هو برجل قد جثم على صدره وقال : آستأسر . فرفع سليك رأسه
وقال : « إن الليل طويل وأنت مُقِمِر » بغيري مثلا ، وجعل الرجل يلهزه ويقول :
استأسر يا خبيث ، فلما آذاه ضمه اليه ضمةً ضرط منها وهو فوقه ، فقال له سليك :
« أضرطاً وأنت الأعلى » بغيري مثلا ، ثم قال له : ما أنت ؟ قال : أنا رجل افتقرت ،
فقلت : لأخرجن ولا أرجع حتى أستغني . قال : فانطلق معي ، فمضيا فوجدا رجلا
قصته مثل قصتهما ، فاتوا جوف مُراد وهو واد باليمن فاذا فيه نعم كثيرة ، فقال لهما
سليك : كونا قريبا حتى آتى الرعاء وأعلم لكما علم الحى أقرب هو أم بعيد ، فإن
كانوا قريبا رجعت اليكما ، وإن كانوا بعيدا قلت لكما قولاً ^(١) أحى به لكما فإغيرا .
فانطلق حتى آتى الرعاء ، بفعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فاذا هم بعيد ،
فقال لهم سليك : ألا أغنيكم ؟ قالوا : بلى . فغنى بأعلى صوته ليسمع صاحبيه :
يا صاحبيّ ألا لا حى بالوادي * إلا عبيدٌ وأم بين أذواد
أتظنران قليلا ريث غفلتهم * أم تعدوان فان الرج للعادي
فلما سمعا ذلك أتيا السليك فاطردوا الإبل وذهبوا بها .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان سليك يُحضر فتقع السهام من كئانته
فترتن في الأرض من شدة إحضاره . وقال له بنو كئانة حين كبر : رأيت أن ترينا
بعض ما بقى من إحضارك ؟ قال : نعم ، اجمعوا لي أربعين شابا وأبنوني درعا ثقيلة .
فأخذها فلبسها وخرج بالشباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحضر فلات العدو
لوتا واهتبصوا في جنبتيه فلم يصحبوه إلا قليلا بغاء يُحضر مُنبِرا من حيث لا يرونه
وجاءت الدرع تخفق في عنقه كأنها خرقة .
(١) من روى يحيى إذا أوما . (٢) عدوا .

- (١) قال سهل وحدثني العُتبي قال حدثني رجل من بني تميم عن بعض أشياخه من قومه قال : كنت عند المهاجرين عبد الله والى الإمامة فأتى بأعرابي قد كان معروفا بالسرق فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك ، قال : إنها لكثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لي بعير لا يُسبِقُ وكانت لي خيل لا تُلحِقُ^(٢) ، فكنت لا أخرج فأرجع خائبا فخرجت يوما فاحترستُ ضبا فعلقته على قتي ثم مررت بنجاء سرى ليس فيه إلا عجوز ، فقلت :
- أخلق بهذا النجاء أن يكون له رائحة من غنم وإبل ، فلما أمسيت إذا بإبل مائة فيها شيخ عظيم البطن مثدن اللحم ومعه عبد أسود وغدا ، فلما رأني رحب بي ثم قام الى ناقة فاحتلبها وناولني العُلبَة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقي فضرب به جبهته ثم احتلب تسع أيتق فشرب ألبانهم ثم نحر حوارا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضا وحنّا كومةً من بطحاء وتوسدها وغط غطيظ البكر ، فقلت : هذه والله الغنيمة . ثم قتت الى فحل إبله نخطمته ثم قرنته الى بعيري وصحنتُ به فأتبعني الفحل واتبعتة الإبل إربابا به ، فصارت خلفي كأنها جبل ممدود ، فمضيت أبادر ثنيةً بيني وبينها مسيرة ليلة للسرع ، فلم أزل أضرب بعيري بيدي مرة وأقرعه برجلي أخرى حتى طلع الفجر ، فأبصرت الثنية فاذا عليها سواد فلما دنوت اذا أنا بالشيخ قاعدا وقوسه في حجره فقال : أضيفنا؟ قلت : نعم . قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل . قلت : لا . فأخرج سهمًا كأن نصله لسان كلب ثم قال : أبصُرِينِ أذني الضب ، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ، ثم قال : ما تقول؟ قلت : أنا على رأيي الأول . قال :
- انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأنما قدره بيده ثم وضعه بأصبعه ، ثم قال : أرايت؟ قلت : إني أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا السهم الثالث في عكوة ذنبه والرابع والله في بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العكوة ، فقلت :

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفئوغرافية «عن بعض أهله» وفي العقد الفريد «وحدث العتبي عن بعض أشياخه قال كنت عند المهاجرين الخ» . (٢) في الأصل «تخلف» والتصويب عن العقد الفريد .

أنزل آتنا؟ قال : نعم . فنزلت فدفعت إليه خَطَامَ فِخْلِهِ وقلت : هذه إبلك لم يذهب
 منها وبرة وأنا أنتظر متى يرميني بسهم ينتظم به قلبي ، فلما تنحيت قال لي : أقبل .
 فأقبلت والله خوفا من شره لا طمعا في خيره ، فقال : أي هذا ، ما أحسبك جِشَمْتَ
 الليلة ما جِشَمْتَ إلا من حاجة . قلت : أجل . قال : فاقْرُنْ من هذه الإبل بعيرين
 وأمِضْ لِطَيْتِكَ ، قلت : أما والله حتى أخبرك عن نفسك قبلا . ثم قلت : والله
 ما رأيت أعرابيا قط أشدَّ ضُرْسًا ولا أصدى رجلا ولا أرمى يدا ولا أكرم عفوا
 ولا أمخى نفسا منك .

وقرأت في كتاب سير العجم أن بهرام جور خرج ذات يوم الى الصيد ومعه
 جارية له فعرضت له طباء ، فقال للجارية : في أي موضع تريدان أن أضع السهم من
 الوحش ؟ فقالت أريد أن تُشَبَّه ذُكْرَانِهَا بِالْإِنَاثِ وَإِنَاثِهَا بِالذُّكْرَانِ ، فرمى تيسا
 من الطباء بِنُشَابَةِ ذَاتِ شُعْبَتَيْنِ فَاقْتَلَعَ قَرْنِيهِ وَرَمَى عِزًّا مِنْهَا بِنُشَابَتَيْنِ فَابْتَهَمَا
 فِي مَوْضِعِ الْقَرْنَيْنِ . ثم سأله أن يجمع أذن الظبي وظيفه بِنُشَابَةِ وَاحِدَةٍ فَرَمَى أَصْلَ
 أُذُنِ الظبي بِنُدُقَةٍ فَلَمَّا أَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى أُذُنِهِ لِيُحْتَكَّ رِمَاءُ بِنُشَابَةِ فَوْصِلِ ظِلْفِهِ بِأُذُنِهِ
 ثُمَّ أَهْوَى إِلَى الْقَيْنَةِ فَضْرَبَ بِهَا الْأَرْضَ وَقَالَ : شَدَّ مَا اشْتَطَطَتْ عَلَيَّ وَأَرَدْتُ إِظْهَارَ
 عَجْزِي !

وقرأت في كتبهم أن كسرى استعمل قرابة له على اليمن يقال له المَرَوَزَانُ ، فأقام
 بها حيناً ثم خالفه أهل المَصَانِعِ — والمصانع جبل باليمن ممتنع طويل ووراءه جبل
 آخر بينهما فصل إلا أنه متقارب ما بينهما — فسار اليهم المروزان فنظر الى جبل
 لا يطمع أحد أن يدخله إلا من باب واحد يمنع ذلك الباب رجل واحد . فلما رأى أن
 لا سبيل اليهم صعد الجبل الذي هو وراء المصانع من حيث يُحَادِي حَصْنَهُمْ فَنَظَرَ

(١) في الأصلين «أشد» وهو تحريف .

الى اُضيق مكان فيه وتحتَه هواء لا يُقدر قدرُه، فلم ير شيئاً أقرب الى افتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحابه أن يقوّموا به صفيّين ثم يصيحوا به صبيحة واحدة ثم ضرب فرسه حتى اذا استجمع حُضراً رمى به أمام الحصن وصاح به أصحابه فوثب الفرس الوادى فاذا هو على رأس الحصن، فلما نظرت اليه حمير قالوا : هذا أيم. والأيم بالحميرية شيطان، فاتهرم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضاً ففعلوا واستزلم من حصنهم قتل طائفة وسبي طائفة وكتب بما كان منه الى كسرى، فتعجب كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والقدوم اليه وأراد أن يسأى به أساورته، فاستخلف المروزان ابنه ثم توجه نحوه فلما صار ببعض بلاد العرب هلك فوضعوه في تابوت ثم حملوه حتى قدموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوضع في خزائنه فكان يُخرج في كل عام اليه وإلى من عنده من أساورته فيقول : هذا الذى فعل كذا وكذا .

وروى أبو سؤقة التيمى عن أبيه عن جدّه عن أبي الأغرّ التيمى قال : بينا أنا واقف بصفيّين مرّ بي العباس بن ربيعة مكفراً بالسلاح وعيناه تبصّان من تحت المغفر كأنهما عينا أرقم وبيده صفيحة له وهو على فرس له صعّب يمنعه ويلين من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرار بن أدهم : يا عباس حلم الى البراز . قال العباس : فالنزول اذا فانه إياس من القفول . فنزل الشامى وهو يقول

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا * أو تنزلون فانا معشر نزل
وثنى العباس ورکه فنزل وهو يقول

وتصدّ عنك تحيلة الرجل * مريض موضحة عن العظم
بجسام سيفك أو لسانك * والكلم الأصيل كأرغب الكلم

(١) عبارة الفلوجرافية « وبيده صفيحة له يمانية يقاها وهو على فرس له صعّب فيبناهو يقليا (ولفته) »
ويلين من عريكته هتف به هاتف الخ .

ثم غَضَّنَ فَصَلَاتِ دَرَعِهِ فِي حُجْرَتِهِ وَدَفَعَ قَوْسَهُ إِلَى غَلَامٍ لَهُ أَسْوَدٌ يُقَالُ لَهُ : أَسْلَمُ
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَلَانٍ شَعْرَهُ ثُمَّ دَلَّفَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ فَذَكَرَتْ بِهِمَا قَوْلُ
أَبِي ذُوَيْبٍ

فَتَنَازَلَا وَتَوَاقَفَتْ خِيَلَاهُمَا * وَكَلَاهُمَا بَطْلَ اللَّقَاءِ مُحْتَدِعٌ

وَكَفَّ النَّاسُ أَعْنَةَ خِيُولِهِمْ يَنْتَظِرُونَ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّجُلَيْنِ فَتَكَافَا بَيْنَهُمَا مَلْيًا مِنْ
نَهَارِهِمَا لَا يَصِلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ لِكَمَالِ لَأَمْتِهِ إِلَى أَنْ لَحِظَ الْعَبَّاسُ وَهِيًّا فِي دَرَعِ
الشَّامِيِّ فَأَهْوَى إِلَيْهِ بِيَدِهِ فَهَتَكَهُ إِلَى سُذُوتِهِ ثُمَّ عَادَ لِمَجَاوَلَتِهِ وَقَدْ أَضْحَرَ لَهُ مَفْتَقَ الدَّرَعِ
فَضْرَبَهُ الْعَبَّاسُ ضَرْبَةً انْتَضَمَ بِهَا جَوَانِحُ صَدْرِهِ وَخَرَّ الشَّامِيُّ لَوَجْهِهِ وَكَبَّرَ النَّاسُ تَكْبِيرَةً
ارْتَجَّتْ لَهَا الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَأَنْشَمَ الْعَبَّاسُ فِي النَّاسِ [وَأَنْسَاعَ أَمْرِهِ] وَإِذَا قَائِلٌ
يَقُولُ مِنْ وَرَائِي (قَاتِلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُجْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ صُدُورَ
قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذِيبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فَالْتَفَتُ
وَإِذَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْأَغْر، مِنَ الْمُنَازِلِ
لَعَدُونَا؟ فَقُلْتُ : هَذَا ابْنُ أَخِيكُمْ، هَذَا الْعَبَّاسُ بْنُ رَبِيعَةَ . فَقَالَ : إِنَّهُ لَهْوٌ، يَا عَبَّاسُ
أَلَمْ أَنْهَكَ وَأَبْنَ عَبَّاسٍ أَنْ تَحْتَلَّ بِمَرْكَزِكَ أَوْ تَبَاشِرَ حَرْبًا؟ قَالَ : إِنْ ذَلِكَ . يَعْنِي نَعَمْ .
قَالَ : فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ؟ قَالَ : فَأُدْعَى إِلَى الْبِرَازِ فَلَا أُجِيبُ؟ قَالَ : نَعَمْ، طَاعَةَ إِمَامِكَ أَوْلَى
بِكَ مِنْ إِجَابَةِ عَدُوِّكَ . ثُمَّ تَغَيَّظَ وَأَسْتَشَاطَ حَتَّى قَلَّتْ : السَّاعَةَ السَّاعَةَ، ثُمَّ تَطَامَنَ
وَسَكَنَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ مَبْتَهَلًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ اشْكُرْ لِلْعَبَّاسِ مَقَامَهُ وَاعْفِرْ لَهُ ذَنْبَهُ، اللَّهُمَّ
إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ فَاغْفِرْ لَهُ . قَالَ : وَتَأَسَّفَ مَعَاوِيَةَ عَلَى عِرَارٍ وَقَالَ مَتَى يَنْطَفُ فُحْلٌ
بِمِثْلِهِ ! أَيُّطَلُّ دَمَهُ ! لَاهَا اللَّهُ ذَا . أَلَا اللَّهُ رَجُلٌ يَشْرِي نَفْسَهُ بِطَلْبِ بَدَمِ عِرَارٍ؟ فَاتَّذَبَّ لَهُ
رَجُلَانِ مِنْ نَحْمٍ . فَقَالَ : إِذْهَبَا فَايْتَمَّا قَتَلَ الْعَبَّاسُ بَرَاذًا فَلَهُ كَذَا . فَاتْيَاهُ وَدَعُوَاهُ إِلَى
الْبِرَازِ فَقَالَ : إِنْ لِي سَيِّدًا أُرِيدُ أَنْ أُؤَامِرَهُ . فَاتَى عَلِيًّا فَاخْبَرَهُ الْخَبْرَ، فَقَالَ عَلِيٌّ : وَاللَّهِ

- لود معاوية أنه ما بقي من هاشم نافعُ ضَرْمَةٍ الا طَعِنَ في نَيْطِهٖ اطفاءً لنور الله وياي الله إلا أن يُيمَّ نوره ولو كره الكافرون، أما والله ليملكنهم منا رجال، ورجال يسومونهم الخسف حتى يحفروا الآبار ويتكففوا الناس . ثم قال : يا عباس ناقني سلاحك بسلاحى ، فناقله ووثب على فرس العباس وقصد الخمين . فلم يشك أنه العباس فقال له : أذن لك صاحبك؟ فخرج أن يقول نعم ، فقال : (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَيْنَهُمْ فَكُلُّوا وَإِنْ أَلَمَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) فبرز له أحدهما فضربه ضربة فكانما أخطاه ، ثم برز له الآخر فألقه بالأول ، ثم أقبل وهو يقول : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنَ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ثم قال : يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى ، فإن عاد لك أحد فعُدْ الىّ ، ونمى الخبر الى معاوية فقال : قبح الله الججاج إنه لقعود ما ركبته قط إلا خذلت . فقال عمرو ابن العاص : المخذول والله الخمين لا أنت . قال معاوية : اسكت أيها الرجل فليس هذه من ساعتك . قال : وإن لم تكن ، رحم الله الخمين وما أراه يفعل . قال : ذلك والله أخسر لصفقتك وأضيق لمحرك . قال : قد علمت ذلك ولولا مصر لركبت المنجاة منها . قال : هي أعمتك ولولا هي لألفيت بصيرا . وقال عمرو بن العاص لمعاوية
- معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل * به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع
فإن تعطنى مصرا فأربح بصفقة * أخذت بها شيئا يضر وينفع^(٢)
- خرج الأخينس الجهني فلقى الحصين العمري^(٣) ، وكانا جميعا فاتكين ، فسارا حتى لقيا رجلا من كندة فى تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ، فنزل تحت شجرة

(١) كتب فى النسخة الفتوغرافية بعدها (أى فى نفسه) . وقال فى اللسان بعد أن أورد هذه الجملة فى مادة "نيط" معناه : إلامات . ثم قال : وقيل النيط نياط القلب وهو العرق الذى القلب متعلق به .
(٢) فى النسخة الألمانية : "شيئا" . (٣) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الحصين بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب فى لسان العرب وفى الألمانية «العبرى» بالياء . وفى اللسان وجمع الأمثال يرويه الحصين الكلابي .

يأكل ، فلما انتهى إليه سلمها . قال الكندي : ألا تصحيان؟ فتزلا . فبينما هم يأكلون
مرّ ظليم فنظر إليه الكندي وأيده ^(٢) بصره فبدت له لبتة ، فاغتره الحصين فضرب بطنه
بالسيف فقتله ، وافقسها ماله وربكأ ، فقال الأخينس : يا حصين ما صَعَلَةٌ وَصَعَلٌ؟
قال : يوم شرب وأكل . قال : فأنت لي هذه العقاب . فرفع رأسه لينظر إليها
فوجأ بطنه بالسيف فقتله مثل قتله الأول . ثم إن أختا للحصين يقال لها صخرة
لما أبطأ عليها خرجت تسأل عنه في جيران لها من مراح وجرم . فلما بلغ ذلك
الأخينس قال

وكم من فارس لا تزدرية * إذا شخّصت لموقفه العيونُ
يذلّ له العزيز وكل ليث * شديد الهضم مسكنه العرين
علوت بياض مفرقه بعضب * ينوء لوقعه الهام السكون ^(٣)
فأمست عرسه ولها عليه * هدوء بعد ليلته أنين ^(٤)
كصخرة إذ تسائل في مراح * وفي جرم ، وعلمهما ظنون
تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين

فذهبت مثلاً

[نخرج المهديّ وعليّ بن سليمان الى الصيد ومعهما أبو دلامة الشاعر . فسئحت ^(٥)
لهم طباء فرمى المهديّ ظيباً فأصابه ، ورمى عليّ بن سليمان كلباً فعقره ، فضحك
المهديّ وقال لأبي دلامة : قل في هذا ، فقال

ورمى المهديّ ظيباً * شكّ بالسهم فؤادَهُ

(١) في النسخة الفتوغرافية : "تصطحان" . (٢) كذا في الأصل والصواب أبده بالباء الموحدة
يقال أبده النظر أي أعطاه بدته من النظر أي حفظه . (٣) في الفتوغرافية «تق» وهو من تق يتق
بمعنى صوت . (٤) كذا بالأصل وفي أمثال الميداني :

وأضحت عرسه ولها عليه * بعيد هدوء ليلتها زنين

(٥) زيادة في النسخة الألمانية .

وعلى بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل امرئ يأكل زاده]

- قال أبو دلامة: كنت في عسكر مروان أيام زحف الى شيب الخارجي، فلما التقى
الزحفان خرج منهم فارس ينادى: من يبارز؟ بفعل لا يخرج اليه إنسان إلا أعجله
ولم ينهيه، فغاض ذلك مروان، بفعل يندب الناس على نحسائة، فقتل أصحاب خمس^(١)
المائة، وزاد مروان على نذبه فبلغ بها ألفا، فما زال ذلك فعله حتى بلغ بالنذبة
خمسة آلاف درهم، وتمتحي فرس لا أخاف خوونه، فلما سمعت بخمسة الآلاف نزعته^(١)
واقطعت الصف. فلما نظر الى [الخارجي] علم أني خرجت للطمع، فأقبل يتبألى
وإذا عليه فروله قد أصابه المطر فارمعل^(٢) ثم أصابته الشمس فاقفعل^(٣) وعيناه تدران^(٤)
كأنهما في وقين، فدنا مني وقال: ^(٥)

وخارج أخرج حب الطمع * فزمن الموت وفي الموت وقع
* من كان ينوي أهله فلا رجع *

فلما وقرت في أذني انصرفت عنه هاربا، وجعل مروان يقول: من هذا الفاضح؟
آتوني به. ودخلت في غمار الناس فنجوت

- كان خالد بن جعفر نديما للنعمان، فبينما هو ذات يوم عنده وقد دعا النعمان بتمر
وزُبد فهما يأكلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم. فقال النعمان: آدن يا حارث
فكُل، فدنا. فقال خالد: من ذا أبيت اللعن؟ قال: هذا سيد قومه وفارسهم
الحارث بن ظالم. قال خالد: أما إن لي عنده يدا. قال الحارث: وما تلك اليد؟
قال: قتلْتُ سيد قومك فتركتك سيدهم بعده. يعني زهير بن جديمة، قال الحارث

- (١) في الأصلين الخمس مائة وفيما بالخمسة آلاف، ولم يقل بصحته إلا قليل من العلماء كما في شرح المرادي
على التسهيل. (٢) ابتل. (٣) تقبض. (٤) كتب في الفتوغرافية تحنها كالتفسير لها
«تلوحان». (٥) الوقب نقر في الصخرة يجتمع فيه الماء.

أما إني سأجزيك بتلك اليد . ثم أخذه الزمَع وأرعدت يده ، فأخذ يعبث بالتمر فقال له خالد : أَيَّتَهُنَّ تريد فأنا وَلِكَمَّها؟ قال الحارث : أَيَّتَهُنَّ تَهْمُكَ فَأَدْعُها؟ ثم نهض مغضباً ، فقال النعمان لخالد : ما أردت بهذا وقد عرفت فَتَكَ وَسَفَهَه؟ فقال : أبيت اللعن ، وما تتخوف علي منه؟ فوالله لو كنت نائماً ما أيقظني . فانصرف خالد فدخل قُبَّة له من

أدم بعد هُدَاة من الليل وقام على بابها أخ له يحرسه . فلما نام الناس خرج الحارث حتى أتى القبة من مؤخرها فشَقَّها ثم دخل فقتله ، فقال عمرو بن الإطنابة

عَلَّلَانِي وَعَلَّلَا صَاحِبِيَا * وَأَسْقِيَانِي مِنَ الْمُرْقُوقِ رِيَا

إِن فِينَا الْقِيَانَ يَعْرِفُنَ بِالضَّر * ب لَفْتِيَانَا وَعَيْشَا رَحِيَا

يَتَنَاهِينَ فِي النِّعِيمِ وَيَضْرِبُنَّ خَلَالَ الْقُرُونِ مَسْكَ ذِكَا

أَبْلَغَا الْحَارِثَ بِنِ ظَالِمِ الرَّعْدِ^(١) وَالنَّاذِرِ النَّذُورِ عَلِيَا

إِنَّمَا تَقْتُلُ النَّيَامَ وَلَا تَقْتُلُ يَقْظَانَ ذَا سَلَاجٍ كَبِيَا

وكان عمرو قد آلى ألا يدعو رجلاً بلسل إلا أجابه ولم يسأله عن اسمه . فأتاه الحارث ليلاً فهتف به ، فخرج إليه ، فقال : ما تريد؟ قال أعني على أبل لبني فلان وهي منك غير بعيد فإنها غنيمة باردة . فدعا عمرو بفرسه وأراد أن يركب حاسراً . فقال له : البس عليك سلاحك فإني لا آمن امتناع القوم ، فاستلأم وخرج معه ، حتى إذا برزا قال له الحارث : أنا أبو ليلى نفذ حذرَكَ يا عمرو ، فقال له : آمننْ علي . بجز ناصيته . وقال الحارث

عَلَّلَانِي بِلَذِّي قَيْتِيَا * قَبْلَ أَنْ تَبْكِيَ الْعْيُونَ عَلِيَا

قَبْلَ أَنْ تَذْكَرَ الْعَوَاذِلَ أَنِي * كُنْتُ قَدَمَا لِأَمْرِهِنَّ عَصِيَا

مَا أَبَالِي إِذَا أَصْطَبَحْتَ ثَلَاثَا * أَرْشِيدَا دَعْوَتِي أَمْ غَوِيَا^(٢)

(١) في الذئبوغرافية «الموعود» ولعله محرف عن «الموعِد» كما نقل في هامش النسخة الألمانية من

نسخة أخرى . (٢) في الألمانية : أصبت .

غَيْرَ آلَا أُسِرَ لَهٗ إِثْمًا * فِي حَيَاتِي وَلَا أُخُونَ صَفِيًّا
 بَلَّغْتَنِي مَقَالَةَ الْمَرْءِ عَمْرُو * بَلَّغْتَنِي وَكَانَ ذَلِكَ بَدِيًّا
 نَفَرَجْنَا لِمَوْعِدٍ فَالْتَقِينَا * فَوَجَدْنَاهُ ذَا سِلَاحٍ كَيِّيًا
 غَيْرَ مَا نَأْتِمُّ بِرُوعٍ بِاللَّيْلِ^(١) مِعْدًا بِكَفِّهِ مَشْرِفِيًّا
 فَرَجَعْنَا بِالْمَنِّ مَنَا عَلَيْهِ * بَعْدَ مَا كَانَ مِنْهُ مَنَا بَدِيًّا^(٢)

ووفد تميم بن مرّ وبكر بن وائل على بعض الملوك، وكانا ينادمانه بجرى بينهما تفاخر
 فقالا: أيها الملك أعطنا سيفين، فأمر الملك بسيفين من عودين ففتحنا وموَّها بالفضة
 وأعطاهما إياهما، فجعلنا يضطربان بهما ملياً من نهارهما، فقال بكر
 * لو كان سيفانا حديداً قطعاً *

وقال تميم
 * أو نُحْتَا مِنْ جَنْدَلٍ تَصَدَّتَا *
 ففترق الملك بينهما، فقال بكر تميم
 * أَسَاجِلِكَ الْعِدَاوَةَ مَا بَقِينَا *

وقال تميم
 * وَإِنْ مَتْنَا نَوْرُهَا بَيْنَنَا *
 فأورثاها بينهما الى اليوم .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن خلف الأحمر قال: كان أبو عمرو السباع يصيح
 بالسبع وقد أحتمل الشاة فيسقط فيموت فيشق بطنه فيوجد فؤاده قد آنخلع . وهو
 مثل في شدة الصوت . قال الشاعر^(٣) في ذلك

٢٠ (١) في النسخة الفتوغرافية "بالقتل". (٢) كذا بالنسخة الألمانية، وفي النسخة الفتوغرافية:
 «بعد من قد كان منا بدياً» ولعل كلمة «منا» هذه محرفة عن «من» فيستقيم المعنى .
 (٣) هو التابئة الجعدي كما في اللسان مادة (عرا) .

زَجْرَ أَبِي عُرْوَةَ السَّبَاعِ إِذَا * أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَبِسَنَّ بِالْغَنَمِ

قال : وأبو عطية عفيف النصرى نادى فى الحرب التى كانت بين تقيف وبين
بنى نصر لما رأى الخيل بعقوته^(١) : يا سوء صباحاه ، أيتم يا بنى ربوع ! فألقت الحبالى
أولادها ، فقبل فى ذلك

وَأَسْقَطَ أَحْبَالَ النِّسَاءِ بِصَوْتِهِ * عَفِيفٌ لَدُنْ نَادَى بِنَصْرِ فَطْرَبَا

فى أخبار وهب بن منبه أن يهوذا قال لىوسف : لتكفنى أولاً صيحن صبيحة لاتبقي
حامل بمصر إلا ألت ما فى بطنها .

محمد بن الضحاك عن أبيه قال : كان العباس بن عبد المطاب يقف على سلع
فينادى غلمانه وهم بالغابة فيسمعهم وذلك من آخر الليل . وبين الغابة وبين سلع
ثمانية أميال ، وطلع جبل وسط المدينة . وكان شبيب بن ربيع يتنحج فى داره
فيسمع تنحجه بالكفاة ، ويصبح براعيه فيسمع نداءؤه على فرسخ وكان هذا مؤذن
سجاج التى تنبات [ذكر هذا خالد بن صفوان ، وسمعه أبو المجيب النهدي فقال :
ما سمع له بصوت أبعد من صوته بأذانه فإنه كان مؤذنها يعنى سجاج] .

ذم رجل الأشر فقال له قائد^(٢) : اسكت فإن حياته هزمت أهل الشام وإن موته

هزم أهل العراق .

المدائنى قال : أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجل يستحمله ، فقال له :
خذ بعيرا من إبل الصدقة . فتناول ذنب بعير صعب فحذبه فاقتلعه ، فعجب عمر
وقال له : هل رأيت أشد منك ؟ قال : نعم ، خرجت بامرأة من أهلى أريد بها

(١) العقوة : ما حول الدار أو ساحتها .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى الفوتوغرافية : « الحسين بن على عليها السلام » وفيها بدل « قائد » « يزيد » .

زوجها فزلنا منزلا أهله خُوف ففُربتُ من الحوض فبينما أنا كذلك إذ أقبل رجل
ومعه ذود والمرأة ناحية فسُرب ذوده الى الحوض ومضى الى المرأة فساورها ونادتني ،
فما انتهيت اليها حتى خالطها ، بحيث لأدفعه عنها فأخذ برأسي فوضعه بين عضده
وجنبه فما استطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد ثم استلقى . فقالت المرأة : أرى
فعل هذا! لو كانت لنا منه سَخلة! وأمهلته حتى امتلأ نوما فقامت اليه بالسيف
فضربت ساقه فأبنتها ، فانتبه وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرماني برجله وأخطأني
وأصاب عنق بعيرى فقتله . فقال عمر : ما فعلت المرأة؟ قال : هذا حديث الرجل .
فكرر عليه مرارا لا يزيد على هذا ، فظن أنه قد قتلها .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا أشهل بن حاتم قال حدثنا ابن عون عن عمير
ابن إسحاق قال : كان سعد على ظهر بيت وهو شاكٍ والمشركون يفعلون بالمؤمنين
ويفعلون . وأبو محجن في الوثاق عند أم ولد لسعد فأنشأ يقول
كفى حزنا أن تلتقى الخيل بالقنا * وأترك مشدودا على وثاقيا^(١)
إذا شئت غناني الحديد وغلقت * مغاليق من دوني تُصم المناديا

فقالت له أم ولد سعد : أتجعل لى إن أنا أطلقتك أن ترجع الى حتى أعيدك
في الوثاق؟ قال نعم ، فأطلقتته فركب فرسا بقاء لسعد وحمل على المشركين فجعل سعد
يقول : لولا أن أبا محجن في الوثاق لظننت أنه أبو محجن وأنها فرسى . فانكشف
المشركون وجاء أبو محجن فأعادته في الوثاق وأتت سعدا فأخبرته ، فأرسل الى أبي محجن
فأطلقه وقال : والله لا حبستك فيها أبدا . يعنى الخمر ، فقال أبو محجن : وأنا والله
لا أشربها بعد اليوم أبدا . وقال الشاعر^(٢)

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا * على قضاء الله ما كان جالبا

(١) في النسخة الألمانية «ظمن» . (٢) هو سعد بن ناشد المازني كما في اللسان والحاسة .

وأذهل عن دارى وأجعل هدمها * لعرضى من باقى المذمة حاجبا
 وبصغر فى عيني تلالدى اذا آنتت * يمىنى بإدراك الذى كنت طالبا
 فيا لرزام رثعوا بي مقدا * الى الموت خواضا اليه الكرايبا^(١)
 إذا هم لم تردع كريمة هم * ولم يأت ما يأتى من الأمر هائبا
 أعا غمراى لا يريد على الذى * بهم به من مفضع الأمر صاحبا^(٢)
 إذا هم القى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا
 ولم يستشر فى رأيه غير نفسه * ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا
 عليكم بدارى فاهدموها فانها * تراث كريم لا يخاف العواقبا

وقال رجل من بنى العنبر^(٤)

لو كنت من مازن لم تستبح ابل * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
 إذن لقام بنصرى معشر خشن * عند الكريهة إن ذو لوثة لانا
 قوم اذا الشر أبدي ناجديه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدا
 لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشرى شىء وإن هانا
 يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن إساءة أهل السوء إحسانا^(٥)
 كأت ربك لم يخلق نخشيتيه * سواهم من جميع الناس إنسانا
 فليت لى بهم قوما إذا ركبوا * شنوا الإغارة فرسانا وركبانا
 لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا
 لكن يطرون أشتانا إذا فزعوا * وينفرون الى الغارات وحدا

(١) فى الحماسة "الكنايبا". (٢) فى الحماسة "لم تردع عزيمة هم".
 (٣) كذا فى الحماسة والذى فى الأصل «التي بهم بها من مفضع الأمر».
 (٤) هو قريظ بن أنيف كما فى الحماسة. (٥) كذا بالحماسة وفى الأصل «غفرانا».

وقال آخر

ولئن عمّرتُ لأشفيقنَّ النفسَ من تلك المساعي
ولأعلمنَّ البطن أن الزاد ليس بمُستطاع
أما النهار فرأى أصحابي بمرقبة يَفَاع
أثر الشجاع بها كسر * دِ الحُرْزِ في سَيْرِ الصَّنَاع
تُرْدُ السَّبَاعِ معي فَأَلْفَيْ كالمُدِّلِ من السَّبَاعِ

وقال آخر

إنا محيوكِ ياسلمى فحيننا * وإن سَقَيْتِ كرامَ الناسِ فاسقينا
إنا لنُرِيخُصُ يومَ الرَّوعِ أنفسنا * ولو نُسَامُ بها في الأَمْنِ أُغْلِينَا
بِيضُ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا * نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آتَارَ أَيْدِينَا

وقال المعلوط

ألم تَرَى خُلِقْتَ أَمَا حُرُوب * إذا لم أجن كنتِ مِجَنَ جَانِي

وقال آخر^(١)

لعمري لقد نادى بأرفع صوته * نَعِي سُوَيْدُ أَنْ فَارَسَكُم هَوَى
أجل صادقاً والقائل الفاعل الذي * إذا قال قولاً أُنْبِطَ الماءَ في الثرى
فَقِي قَبِيلٌ لم تَعْنَسُ السُّنُّ وَجْهَهُ * سَوَى خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدُّجَى

(١) هو سويد المراند الحارثي كما في الحماسة واللسان في مادة «عنس» .

(٢) كذا بالحماسة ، وفي الفتوغرافية «نعي جوى» ، وفي الكامل «نعي حي» . (٣) لم تعنس :

لم تغير . (٤) كذا بالحماسة واللسان ، وفي الأصل «شهب» . وقد ذكره اللسان في مادة «خلس»

وقال أبو زيد : أخلص رأسه فهو مخلص وخلص إذا أبيض بعضه فإذا غلب بياضه سواده فهو أغثم .

أشارت له الحرب العوانُ بقاءها * يُقَعِّعُ بِالْأَقْرَابِ^(١) أَوْلَ مَنْ أَتَى
وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَّاها وَلَيْتَهُ * فَأَسَى فَآدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى
وَقَالَ بَشَامَةُ

إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدْعِي لِأَبٍ * عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا
إِنْ تُبَدَّرَ غَايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ * تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
إِنَّا لِمَنْ مَعَشَرَ أَفْنَى أَوْائِلَهُمْ * قِيلُ الْكُفَّةِ أَلَا أَيْنَ الْحَامُونَا
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَا * مَنْ فَارَسَ؟ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

وقال زهير

يَطْعَنُهُمْ مَا أَرْتَمُوا حَتَّى إِذَا أَطْعَنُوا * ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا أَعْتَنَقَا

وقالت امرأة من كندة

أَبَا أَنْ يَفِزُوا وَالْقَنَا فِي نَحْوِهِمْ * وَلَمْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَزَوْا لَكَانُوا أَعِزَّةً * وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا

وقال آخر

بَنِي عَمَّارٍ رُدُّوا فُضُولَ دِمَائِنَا * يَنْمُ لَيْلُكُمْ، أَوْلَا تَلْمُنَا الْآوَائِمُ
فَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ وَإِنْ طَالَ تَرْكُكُمْ * كَذِي الدِّينِ يَنَآئِ مَا نَأَى وَهُوَ غَارِمٌ

وقال أبو سعيد الخزومي وكان شجاعا

وَمَا يَرِيدُ بَنُو الْأَعْيَارِ مِنْ رَجُلٍ * بِالْجَمْرِ مُكْتَحِلٍ بِالنَّبْلِ مُشْتَعِلٍ
لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ دَمٍ * وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَدِلٍ

(١) في الأصل «في الأقرب» والذي في الصلب عن الحماسة .

(٢) كذا بالحماسة وفي الأصل «عاطف» .

وقال عبد القدوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بشير
ندى تحكم الآمال فيه، ونجدة * تحكم في الأعداء بالأسير والقتل

وقال آخر

ضربناكم حتى إذا قام ميلكم * ضربنا العدا عنكم بأبيض صارم
تمثل زيد بن علي يوم قتل بقول القائل
أذل الحياة وعزّ الممات * وكلاً أراه طعاماً وبيلاً
فان كان لا بُدَّ من واحد * فسيروا الى الموت سيرا جميلاً

وقال قيس بن الخطيم

أبلج لا يهيم بالفرار * قد طاب نفساً بدخول النار

وقال آخر^(١)

ومن تكن الحضارة أعجبه * فأى رجالٍ بادية تَرَانَا
ومن ربط الحماش فإن فينا * قنأ سلباً وأفراساً حسانَا
وكن إذا أغرن على قبيل * فأعوزهن كونٌ حيث كانَا^(٢)
أغرن من الضباب على حلالٍ * وضبةً إنه من حان حانَا^(٣)
وأحياناً نكتر على أخينا * إذا مالم نجد إلا أخانَا

وقالت الخنساء

تعرّفتي الدهرُ نهساً وحرّاً * وأوجعتني الدهرُ قرعاً وغمزاً

(١) هو القطامي كما في الحماسة . (٢) في الحماسة :

وكن إذا أغرن على جناب * وأعوزهن نهبٌ حيث كانَا

(٣) جمع حله بكسر أوله وهي كما في القاموس القوم الزول ، وفي ديوان الحماسة : « حلول » جمع حال
والحى الحلول الذين يكونون في مكان واحد .

وأفنى رجالى فبادوا معا * فأصبح قلبي بهم مستفزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب ^(١) * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

وفيها تقول

ونلبس للحرب أثوابها * ونلبس في الأمن خزا وقزا

وهذا كقولهم : البس لكل حالة لبوسها .

وقال عبد الله بن سبرة الحرشي ^(٢) حين قطعت يده

ويلم جار غداة الجسر فارقتي * أعزز على به إذ بان فانصدعا
يمنى يدي غدث منى مفارقة * لم أستطع يوم خلطاس لها تبعا ^(٣)
وما ضمنت عليها أن أصحابها * لقد حرصت على أن نستريح معا
وقائل غاب عن شأني وقائلة * ألا اجتنبت عدو الله إذ صرعا
وكيف أتركه يمشى بمنصله ^(٤) * نحوى وأجن عنه بعدما وقعا
ما كان ذلك يوم الروع من خلقى * وإن تقارب منى الموت واكتنعا
ويلمه فارسا ولت كتيبته * حامي وقد ضيعوا الأحساب فارتبعا
يمشى الى مستميت مثله بطل ^(٥) * حتى اذا مكا سيفيهما أمتصعا
كل ينوء بماضى الحد ذى شطبي * جل الصياقل عن دريه الطبع ^(٦)
حاشيته الموت حتى آشف آخره * فما استكان لما لاقى وما جرع

(١) كذا في النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما في الكامل للبرد، وفي النسخة الألمانية « يقاسى » .
(٢) في الأصل الفتوغرافية « الحرشي » ويوافق ما في الأمل ج ١ ص ٤٩ وصوابه « الحرشي »
قال ابن قتيبة في المعارف وأما الحرشي بن كعب فنهى مطرف بن عبد الله بن الشخير وزيره بن أوفى وعبد الله
ابن سبرة الحرشي الذي قطع يده اطر يانوس الرومي ا . (٣) في الأمل « فطاس » . (٤) في النسخة
الفتوغرافية « أنكبه » . (٥) كذا بالأصل بمعنى تلائمه وإشراقه ، ورواه في اللسان وفي الأمل « ذريه »
والذري فرند السيف وماؤه . (٦) كذا بالأصل وهي محرفة عن « حاشيته » بالسين المهملة .

كَأَنَّ لَيْتَهُ هُدَابٌ مُجْمَلَةٌ * أَحْمَرُ أَرْزُقُ لَمْ يَشْمَطْ وَقَدْ صَلَبَا
فَإِنْ يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرُّومَ قَطَعَهَا * فَقَدْ تَرَكْتُ بِهَا أَوْصَالَهَ قِطْعَا
وَإِنْ يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرُّومَ قَطَعَهَا * فَإِنْ فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُتَّفَعَا
بِنَانَتَانِ وَجُدْمُورٌ أَقِيمُ بِهَا * صَدْرُ الْقَنَاةِ إِذَا مَا آنَسُوا فَرَعَا

وقال بعض الشعراء

إِنْ لَنَا مِنْ قَوْمِنَا نَاصِرَةٌ * بِيضَ الظُّبَا سُمُرَ الْقَنَاةِ شُهْبُ اللَّمَمِ
يَسْتَنْفِرُونَ الْمَوْتَ مِنْ مَجْنَمِهِ * وَيَبْعَثُونَ الْحَرْبَ مِنْ عَقْدِ السَّلَامِ
أَوْلَاكَ قَيْسُ قَوْمِنَا أَكْرَمُ بِهِمْ * قَيْسُ النَّدَى قَيْسُ الْعُلَا قَيْسُ الْكِرَمِ

وقال جعفر بن عتبة الحارثي

لَيْسَ عَقِيلًا أَتَى قَدْ تَرَكْتَهَا * يَنْوَى بِقَتْلِهَا الذَّنَابَ الْهَوَامِلَ^(٤)
لِمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بُرْقَةٍ سَجَلِي * وَوَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلَ
إِذَا الْقَوْمُ سَدُوا مَا زَقَا فَرَجَتْ لَنَا * بِأَيْمَانِنَا بِيضُ جَلَّتْهَا الصِّيَاقِلَ

وقال عمرو بن معد يكرب

أَعَاذَلْ شِكَّتِي بَرَى وَرَمَحِي * وَكَلَّ مَقْلَصُ سَلِسِ الْقِيَادِ
أَعَاذَلْ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي * رَكُوبٌ فِي الصَّرِيحِ إِلَى الْمَنَادِي

قال أبو دلف

لَقَدْ عَلِمْتُ وَائِلَ أَنَا * نَحْوُضِ الْحُتُوفِ غَدَاةَ الْحُتُوفِ
وَلَا نَتَّقِيهَا بِزَحْفِ الْفِرَارِ * إِذَا مَا الصَّفُوفُ أَنْهَرَتْ لِلصَّفُوفِ

(١) كذا بالأصل وهي محرفة عن «أحم» والوجه كما قال ابن سيده لون بين الذهب والفضة .

(٢) الجدمور هنا ما بقى من يده بعد قطعها . (٣) في النسخة الألمانية «يتنفون» .

(٤) في الأصلين : * تبوء بقتلها دماء هوامل * وقد أخذنا ما في الأصل عن هامش النسخة الألمانية .

ويوم أفاءت لنا خيلنا * لدى جبل الديلمى المنيف
 طوآل الفتى بطوال القنا * وبيض الوجوه ببيض السيوف
 وكل حصان بكل حصان * أمين شظاه سليم الوظيف
 ألا نغماني فما نعمتي * برادعتي عن ركوب المخوف
 لى الصبر عند حلول البلا * إذا نزلت بي إحدى الصروف
 وإن تسألني تخبرني أنني * أفي حسبي بألوف الألوف
 وأحلم حتى يقولوا ضعيف * وما أنا - قد علموا - بالضعيف
 خفيف على فرسي ما ركبت * ولست على ظالمي بالخفيف

باب الحيل في الحروب وغيرها

قال ابن اسحاق : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر ، مرة حتى
 وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين . فقال
 الشيخ : لا أخبركم حتى تخبروني ممن أنتم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إذا أخبرتنا أخبرناك » . فقال الشيخ : خُبرت أن قريشا خرجت من مكة وقت كذا ،
 فان كان الذي خُبرني صدق فهي اليوم بمكان كذا ، للموضع الذي به قريش . وخُبرت
 أن محمدا خرج من المدينة وقت كذا ، فان كان الذي خُبرني صدق فهو اليوم بمكان
 كذا ، للموضع الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : من أنتم ؟ فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ، ثم انصرف . فجعل الشيخ يقول :
 نحن من ماء ! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا !

حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال حدثني شيخ من بني العنبر قال : أسرت
 بنو شيبان رجلا من بني العنبر فقال لهم : أرسل الى أهلي ليقتدوني . قالوا : ولا تكلم

- الرسول إلا بين أيدينا . بقاءوه برسول فقال له : أنت قومي فقل لهم : إن الشجر قد أورق وإن النساء قد أشكت . ثم قال له : أتعمل ما أقول لك؟ قال : نعم أعقل . قال : فما هذا؟ وأشار بيده . قال : هذا الليل . قال : أراك تعقل . انطلق لأهلي فقل لهم : عرّوا جملي الأصهب وأركبوا ناقتي الحمراء وسلّوا حارثا عن أمرى . فأتاهم الرسول فأخبرهم ، فأرسلوا الى حارث فقص عليه القصة ، فلما خلا معهم قال لهم :
- ٥ . أما قوله : «إن الشجر قد أورق» فإنه يريد أن القوم قد تسلّحوا . وقوله «إن النساء قد أشكت» فإنه يريد أنها قد اتخذت الشكاء للغزو، وهي أسقية ، ويقال للسقاء الصغير شكوة . وقوله : «هذا الليل» يريد أنهم يأتونكم مثل الليل أو في الليل . وقوله : «عرّوا جملي الأصهب» يريد ارتحلوا عن الصّمان . وقوله : «اركبوا ناقتي الحمراء» يريد اركبوا الدّهناء . قال فلما قال لهم ذلك تحوّلوا من مكانهم ، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحدا .
- ١٠ . أرسل على بن أبي طالب رضى الله عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال : أنت الزبير ولا تأت طلحة فان الزبير ألين وأنت تجد طلحة كالثور عاقصا قرنه ، يركب الصعوبة ويقول هي أسهل ، فأقرئه السلام وقل له يقول لك ابن خالك : عرفتنى بالمجاز وأنكرتنى بالعراق ، فما عدّا تما بدا؟ قال ابن عباس : فأتيته فأبلغته . فقال قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد ، وأمّ مبرورة ، ومشاورة العشرة ، ونشر المصاحف ، نحل ما أحلت ونحرم ما حرمت .
- ١٥ . الهيثم بن عدى قال : مرّ شبيب الخارجي على غلام في الفرات يستنقع في الماء ، فقال له شبيب : اخرج الى أسائك . قال : فأنا آمن حتى ألبس ثوبى ؟ قال : نعم . قال : فوالله لا ألبسه .
- ٢٠ . قال الهيثم : أراد عمر رحمه الله قتل الحرّمزان . فاستسقى فأنى بماء فأمسكه بيده وأضطرب ، فقال له عمر : لا بأس عليك ، إني غير قاتلك حتى تشربه . فالتقى القدح

من يده وأمر عمر بقتله، فقال: أو لم تؤمنني؟ قال كيف آمنتك؟ قال: قلت: لا بأس عليك حتى تشربه، ولا بأس أمان، وأنا لم أشربه. فقال عمر: قاتله الله! أخذ أمانا ولم تشربه. قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق.

العُتبي: بعث يزيد بن معاوية عبيد الله بن عِصاه الأشعري الى ابن الزبير فقال له: إن أول أمرك كان حسنا فلا تفسده بآخره. فقال له ابن الزبير: إنه ليست في عنق بيعة ليزيد. فقال عبيد الله: يامعشر قريش، قد سمعتم ما قال وقد بايعتم وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة.

المدائني قال: أقبل واصل بن عطاء في رُفقة فلقبهم ناس من الخوارج، فقالوا لهم: من أنتم؟ قال لهم واصل: مستجيرون حتى نسمع كلام الله، فاعرضوا علينا. فعرضوا عليهم فقال واصل: قد قبلنا، قالوا: فأمضوا راشدين. قال واصل: ما ذلك لكم حتى تُبلغونا مأمنا، قال الله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) فأبلغونا مأمنا. فجاءوا معهم حتى بلغوا مأمنا.

وقال معاوية: لا ينبغي أن يكون الهاشمي غير جواد ولا الأموي غير حلیم ولا الزُبيري غير شجاع ولا الخَزومي غير تيّاه. فبلغ ذلك الحسن بن علي فقال: قاتله الله! أراد أن يجود بنو هاشم فينقذ ما بأيديهم، ويحلّم بنو أمية فيتحببوا الى الناس، ويتشجع آل الزبير فيفتنوا، ويبيّه بنو مخزوم فيبغضهم الناس.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال: استقبل الخوارج ابن عمر بأرض اليهودي وهم بحرورى فقال: هل خرج اليكم في اليهود شيء؟ قالوا: لا. قال: فأمضوا راشدين.

المدائني قال: لما بلغ قتيبة بن مسلم أن سليمان يريد عزله عن نحرسان واستعمال يزيد بن المهلب كتب اليه ثلاث صحائف، وقال للرسول: ادفع اليه هذه، فان دفعها (١) في النسخة الألمانية: الحسين.

الى يزيد فادفع اليه هذه ، فان شتمني عند قراءتها فادفع اليه الثالثة . فلما صار اليه الرسول دفع اليه الكتاب الاوّل وفيه : يا أمير المؤمنين ، إن من بلائي في طاعة أبيك وطاعتك وطاعة أخيك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد فأعطاه الرسول الكتاب الثاني وفيه : يا أمير المؤمنين ، تأمن ابن دحمة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده ! فشم قتيبة ، فدفع اليه الرسول الكتاب الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان ابن عبد الملك ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فوالله لأوثقن لك أخية لا يتزعها المهر الأرن . قال سليمان : عجّلنا على قتيبة . يا غلام ، جدّد له عهده على خراسان .

٥ لما صرف أهل مزة الماء عن أهل دمشق ووجهوه الى الصحارى كتب اليهم أبو الهندام^(١) : الى بني آستها أهل مزة ، ليمسني الماء أو لتصبّحنكم الخيل . فوافقهم الماء قبل أن يعتموا فقال أبو الهندام : «الصدق يني عنك لا الوعيد» .

١٠ ولما بايع الناس يزيد بن الوليد أتاه الخبر عن مروان ببعض التلكؤ والتربص ، فكتب اليه يزيد : أما بعد فإني « أراك تقدّم رجلا وتؤخر أخرى » فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيتهما شئت ، والسلام .

١٥ ولما هزم أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد لم يدّر الناس كيف يعزّونه ، فدخل عليه عبد الله بن الأهمّ فقال : [مرحبا بالصابر المخذول] الحمد لله الذي نظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا ، فقد تعرّضت للشهادة بجهدك إلا أن الله علم حاجة الإسلام اليك فأبقالك له بخذلان من كان معك لك . فصدر الناس عن كلامه .

وكتب الحارث بن خالد المخزومي — وكان عامل يزيد بن معاوية على مكة — الى مسلم بن عقبة المزي ، فاتاه الكتاب وهو بأحررمق ، وفي الكتاب : أصلح الله

٢٠ (١) في النسخة الفتوغرافية : أبو الهيدام . (٢) زيادة في النسخة الالمانية .

الأمير، إن ابن الزبير أتاني بما لا قبل لي به فأنحزتُ . فقال : يا غلام آكتب إليه :
أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر أن ابن الزبير أتاك بما لا قبل لك به فأنحزت . وآيم الله
ما أبالي على أي جنبيك سقطت إلا أن شرهما لك أحبهما إلى ، وبالله لئن بقيتُ
لك لأُنزلنك حيث أنزلت نفسك والسلام .

٥ أبو حاتم قال ، حدثنا العتيبي قال حدثنا إبراهيم قال : لما أسن معاوية اعتراه
أرق فكان إذا هوم أيقظته نواقيس الروم ، فلما أصبح يوما ودخل عليه الناس قال :
يا معشر العرب ، هل فيكم فتى يفعل ما أمره وأعطيه ثلاث ديات أعجلها له وديتين
إذا رجع؟ فقام فتى من غسان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . قال : تذهب بكتبي^(١) إلى
ملك الروم ، فإذا صرت على بساطه أذنت . قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط . فقال
لقد كلفت صغيرا وآتيت كبيرا . فكتب له وخرج ، فلما صار على بساط قيصر أذن ،
فتناجرت البطارقة وأخترطوا سيوفهم فسبق إليه ملك الروم بغنا عليه وجعل يسألهم
بحق عيسى وبحقهم عليه لما كفوا ، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعله بين
رجليه ، ثم قال : يا معشر البطارقة ، إن معاوية رجل قد أسن وقد أرق وقد آذته^(٢)
النواقيس ، فأراد أن تقتل هذا على الأذان فيقتل من قبله منا ببلاده على النواقيس ،
والله ليرجعن إليه بخلاف ماظن . فكساه وحمله فلما رجع إلى معاوية قال : أوقد
جثنتي سالما؟ قال : نعم ، أما من قبلك فلا .

وكان يقال : ما ولي المسلمين أحد إلا ملك الروم مثله إن حازما وإن عاجزا .
وكان الذي ملكهم على عهد عمر هو الذي دقن لهم الدواوين ودوخ لهم المدق ،
وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وحلمه . وبهذا الإسناد قال :
كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتي من قبلهم الدنانير ، وكان

(١) لعلها تذهب بكتابي الخ . (٢) في النسخة الألمانية : يديه .

عبد الملك أول من كتب (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الطوامير، فكتب اليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئا من ذكر نبيكم نكرهه فأنه عنه وإلا أناكم في دنانيرنا من ذكره ما تكروهون . فكبر ذلك في صدر عبد الملك وكره أن يدع شيئا من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه في الدنانير من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكرهه ، فأرسل الى خالد بن يزيد بن معاوية فقال : يا أبا هاشم إحدى بنات طبق^(١) ، وأخبره الخبر . فقال : ليُفْرِخَ رُوعُكَ ، حَرِّمَ دَنَانِيرَهُمْ وَأَضْرَبَ لِلنَّاسِ سِكِّكَ وَلَا تُعْفِهِمْ مِمَّا يَكْرَهُونَ . فقال عبد الملك : فَرَجَّتْهَا عَنِّي فَزَجَّ اللَّهُ عَنْكَ .

حدثنا الرياشي قال : لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم : إنك قد هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فإن كان حقا فقد أخطأ أبوك ، وإن كان باطلا فقد خالفته . فكتب اليه الوليد (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ) الى آخر القصة .

حدثنا الزيادي محمد بن زياد قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال حدثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : كتب قيصر الى معاوية : سلام عليك ، أما بعد فأنبئني بأحب كلمة الى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة ، ومن أكرم عباده اليه وأكرم إمامه ، وعن أربعة أشياء فيهن الروح لم يرتكضن في رحم ، وعن قبر يسير بصاحبه ومكان في الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة ، والمجزة ما موضعها من السماء ، وقوس تُزَّح وما بدء أمره ؟ . فلما قرأ كتابه قال : اللهم آله ! ما أدري ما هذا ! . فأرسل الى يسألني فقلت : أما أحب كلمة الى الله فلا إله إلا الله لا يقبل عملا إلا بها وهي المنجية ، والثانية سبحان الله وهي صلاة الخلق ، والثالثة الحمد لله كلمة الشكر ، والرابعة الله أكبر فواتح الصلوات والركوع والسجود ، والخامسة

(١) بنات طبق . الدراهم .

لا حول ولا قوة إلا بالله . وأما أكرم عباد الله اليه فآدم خلقه بيده وعلمه الأسماء كلها ، وأكرم إمامه عليه مريم التي أحصنت فرجها . والأربعة التي فيهن روح ولم يرتكضن في رحم فآدم وحواء وعصا موسى والكبش . والموضع الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فالبجر حين انفلق لموسى وبني إسرائيل . والقبر الذي سار بصاحبه فبطن الحوت الذي كان فيه يونس .

أبو حاتم عن العتيبي عن أبيه قال : قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر فأقعدهما بين يديه وجعل يسألها عن أعمالها إلى أن اعترض عمرو في حديث معاوية ، فقال له معاوية : أعلت تعيب وإلى تقصد؟ هلم حتى أخبر أمير المؤمنين عن عملك وتخبره عن عملي . قال عمرو : فعلت أنه بعملى أبصر منى بعمله وأن عمر لا يدع أول هذا الحديث حتى يأتي على آخره ، فأردت أن أفعل شيئا أقطع به ذلك فرفعت يدي فاطمت معاوية ، فقال عمر : تالله ما رأيت رجلا أسفه منك ، يا معاوية أطمه . فقال معاوية إن لي أميرا لا أفضى الأمور دونه . فأرسل عمر إلى أبي سفيان فلما رآه ألقى له وساده ثم قال معتذرا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال : ألهذا بعثت إلى؟ أخوه وآبن عمه وقد أتى غير كبير، قد وهبت له ذلك .

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال ذكر بشر بن أرطاة عليا فقال منه ف ضرب زيد بن عمرو - وأمه ابنة علي بن أبي طالب - على رأسه بعصا فشجّه فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى زيد بن عمرو : أتدرى ما صنعت؟ وثبتت على بشر بن أرطاة وهو شيخ أهل الشام فضربت رأسه بعصا، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى بشر فقال أتدرى ما صنعت؟ وثبتت على ابن الفاروق وآبن علي بن أبي طالب تسبته وسط الناس وتزدرية، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى هذا بشيء وإلى هذا بشيء .

المدائني قال : كان ابن المقفع محبوبا في نَراج كان عليه وكان يعدُّب ، فلما طال ذلك وخشى على نفسه تعين من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به إبقاء على ماله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال المختار : ادعوا الى المهدي محمد بن الحنفية : فلما خشى أن يحيى ، قال : أما إن فيه علامة لا تخفى ، يضربه رجل بالسيف ضربة لا تعمل فيه . قال الأصمعي عرضة لأن تجرب به .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عوانة بن الحكم الكلبى قال : ولّى عليّ رضي الله عنه الأشتر مصر فلما بلغ العريش أتى بطراً مصر فقال له مولى لعثمان وكان يقول : أنا مولى لآل عمر . هل لك في شربة من سويق أجدحها لك ؟ قال : نعم . فجذح له بعسل وجعل فيها سماً قاضيا فلما شربها يبس ، فقال معاوية لما بلغه الخبر : يا بردة علي الكبد ! « إن لله جنودا منها العسل » . وقال عليّ « لليدين وللهم » .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد ^(٢) قال نظر عليّ الى ولد عثمان كأنهم مستوحشون فسألهم فقالوا نرعى بالليل ، فقال : من أين يأتاكم الرمي ؟ قالوا : من ههنا . فصعد عليّ ولف رأسه ثم جعل يرمى وقال : اذا عاد فافعلوا مثل هذا فانقطع الرمي . قال محمد بن كعب القرظي : جاء رجل الى سليمان النبي عليه السلام فقال يا نبي الله : إن لي جيرانا سرقوا إوزتي فنادى : الصلاة جامعة . ثم خطبهم فقال في خطبته : وأحدكم يسرق إوزة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! فمسح رجل علي رأسه ، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم .

(١) العين والعيبة الربا ، وعين التاجر وتعين أخذ بها .

(٢) في النسخة الفتوغرافية "أبي الزباد" .

أخذ الحكم بن أيوب الثقفى عامل الحجاج إياس بن معاوية في ظنة الخوارج ، فقال له الحكم : إنك خارجي منافق وشتمه ، ثم قال آتني بمن يكفل بك . قال : ما أجد أحدا أعرف بي منك . قال : وما علمي بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق . قال إياس : فقيم هذه الشهادة منذُ اليوم . فضحك وخلق سبيله .

دخل رجل من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبيريا ، فقال له عبد الملك : أليس قد ردك الله على عقبيك ؟ قال : ومن رد عليك فقد رد على عقبيه ؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ .

وكان رجل من النصارى يختلف إلى الضحَّاك بن مزاحم فقال له يوما : لو أسلمت ! قال : ينعني من ذلك حيي للخمير . قال فأسلم وأشربها . فأسلم ، فقال له الضحَّاك : إنك قد أسلمت فإن شربت الخمر حددناك وإن رجعت عن الإسلام قتلناك .

فحسن إسلامه .

دخلت أم أفعى العبديّة على عائشة رضي الله عنها فقالت : يا أم المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابنا لها صغيرا ؟ قالت : وجبت لها النار . قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكبر عشرين ألفا ؟ قالت : خذوا بيد عدوة الله .

العتبي قال كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة : أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال .

إني والله قد لبستكم فأخلفتكم ورقت بكم فأخترتكم ثم وضعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني . وآيم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطاة أقل بها عددكم وأذل غابركم وأترككم أحاديث تُنسخ بها أخباركم مع أخبار عاد وثمود . ثم تمثل

اعمل الحلم دل على قومي * وقد يُستضعف الرجل الحلم
ومارست الرجال ومارسوني * فموج على ومستقيم

أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيدة قال : أخذ سراقه بن مرداس البارقي أسيرا يوم
جبانة السبيع ، فقدم في الأسرى فقال

أمنن على اليوم يا خير معد * وخير من حل بصحراء الجند^(١)
* وخير من لبي وصلّى وسجد *

٥ فعفا عنه المختار ثم خرج مع إسحاق^(٢) بن الأشعث عليه بغيء بسراقه أسيرا فقال
له المختار : ألم أعف عنك؟ أما والله لأقتلنك . قال : إن أبي أخبرني أن الشام ستفتح
لك حتى تهدم مدينة دمشق حجرا حجرا وأنا معك فوالله لا تقتلني . ثم أنشده

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا * تزونا تزوة كانت علينا
نرجنا لا نرى الضعفاء شيئا * وكان خروجنا بطرا وحيننا
١٠ نراهم في مصفهم قبيلا * وهم مثل الدبأ لما آلتقينا
فأصبح إن قدرت فلو قدرنا * بلحنا في الحكومة وأعتدينا
تقبل توبة مني فاني * سأشكر إن جعلت النقد دينا

نقل سبيله ثم خرج إسحاق عليه ومعه سراقه فأخذ أسيرا فقال : الحمد لله الذي
أمكنني منك يا عدو الله ، فقال سراقه : ما هؤلاء الذين أخذوني ! فإين هم ؟ لا أراهم !

١٥ إنما آلتقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض على خيل بلق تطير بين السماء والأرض .
فقال المختار : خلوا سبيله ليخبر الناس . [ثم عاد لقتاله وقال^(٤)

الأمّن مخبر المختار عنى * بأن البلق بيض مصمات^(٥)

- (١) في النسخة الفتوغرافية "بشجر والجند" وهو محرف وصوابه كما في الطبري "بشحر والجند" .
(٢) في النسخة الفتوغرافية "عبد الرحمن" وقد صوبه في هامشها بأنه إسحاق ويرجحه ما في الطبري والعقد الفريد .
(٣) في النسختين «إن» وفي ابن جرير «فأصبح اذ ملكت» وهو الأنسب . (٤) زيادة في النسخة
الألمانية . (٥) في الطبري .

ألا أبلغ أبا إسحاق اني * رأيت البلق دهما مصمات

أرى عيني ما لم ترأياه * كلالنا عالم بالثرهات
كفرتُ بدينكم وجعلت نذرا * علي قتالكم حتى المات [

خرج المغيرة بن شعبة مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وكانت له عترة يتوكأ عليها فربما أثقلته فيرمى بها قارعة الطريق فيمتر بها الماز فيأخذها، فاذا صار الى المنزل عرفها فأخذها المغيرة ففطن له علي رضي الله عنه فقال: لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لئن أخبرتني لا ترد بعدها ضالة أبدا. فأمسك علي.

باب من أخبار الدولة والمنصور والطلبين

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن زائدة عن سمالك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان اذا سمعهم يقولون: يكون في هذه الأمة اثنا عشر خليفة، قال: ما أحقكم! إن بعد الاثني عشر ثلاثة منا: السفاح والمنصور والمهدي يسلمها الى الدجال. قال أبو أسامة: تأويل هذا عندنا أن ولد المهدي يكونون بعده الى خروج الدجال.

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة وأراد توجيههم: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب. وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. وأما الجزيرة فخرورية مارقه وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى. وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم تشغلها ديانة ولم يتقدم فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتحارب

الأشباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبية العشائر ، ولم يزالوا يذألون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون ويتمنون الفرج ويؤملون [الدول] وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات نفحة تخرج من أفواه منكرة، وبعد فكأنى أتفأل الى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

- وقال سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي : كنت مع مروان بن محمد بالزأب
- فقال لى : يا سعيد من هذا الذى يقابلنى ؟ قلت : عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس . قال : أعرفه ؟ قلت : نعم ، أما تعرف رجلا دخل عليك حسن الوجه مصفراً رقيق الذراعين حسن اللسان فوقع فى عبد الله بن معاوية ؟ فقال : بلى قد عرفته والله ،
- يا بن جعدة لبت على بن أبى طالب [فى الخليل] يقابلنى . إن عليا وأولاده لا حظ لهم فى هذا الأمر ، وهذا رجل من بنى العباس ومعه ریح خراسان ونصر الشام ، يا بن جعدة أتدرى لم عقدت لعبد الله ولعبيد الله وتركت عبد الملك وهو أكبر منهما ؟
- قلت : لا أدرى . قال : لأنى وجدت الذى بلى هذا الأمر بعدى عبد الله أو عبيد الله ، فكان عبيد الله أقرب الى عبد الله من عبد الملك .

- وكتب مروان الى عبد الله بن على : إنى لا أظن هذا الأمر إلا صائرا اليكم ، فاذا كان ذلك فاعلم أن حرمتنا حرمكم . فكتب اليه عبد الله إن الحق لنا فى دمك وإن
- الحق علينا فى حرمك .

- سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم الى أبنائهم المترفين فكانت همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وإيثار اللذات والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله وأمنا لمكره ، فسلبهم الله العز ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على :

يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن معه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب إلى عبد الله فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده ، فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بمحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك . فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال : يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سليم لي فافترشته بها وأقت ثلاثا ، فاتانى ملك النوبة وقد خبر أمرنا ، فدخل على رجل طوال ألقى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب ، فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا؟ قال : لأنى ملك ، وحق على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه . ثم قال لى : لم تشربون الخمر وهى محرمة عليكم؟ قلت : آجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأن الملك زال عنا . قال : فلم تطاون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم؟ قلت : يفعل ذلك جهالنا . قال : فلم تلبسون الديباج والحريير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم؟ قلت : ذهب الملك منا وقل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال : فأطرق مليا وجعل يقلب يديه وينكت في الأرض [ويقول^(٢) : عبيدنا وأتباعنا دخلوا في ديننا وزال الملك عنا! يردده مرارا] ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم عليكم وركبتم ما عنه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز والبسم الذل بذنوبكم ، والله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها وأخاف أن يجعل بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبني معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فترودوا ما آحتجتم إليه وأرتحلوا عن بلدى ، ففعلت ذلك .

ولما أفتتح المنصور الشام وقتل مروان قال لأبى عون ومن معه من أهل خراسان : إن لى في بقية آل مروان تديرا فتأهبوا يوم كذا وكذا في أكل عُدَّة ، ثم

(١) فى الفتوغرافية «عبيدالله» . (٢) فى الفتوغرافية بدل هذه الجملة «وينكت فى الأرض ويردد كلامى ثم قال الخ» . (٣) طاهر هذا أن القصة وقعت مع المنصور ولكن آنرا الحكاية ويؤيده ما فى الكامل للبرد أنها وقعت مع عبد الله بن على وقد كان أميرا على الشام من قبل المنصور .

- بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم بجمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم في العطاء، فحضر منهم ثمانون رجلاً فصاروا إلى بابهم ومعهم رجل من كلب قد ولد لهم ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبي: ممن أنت؟ قال: من كلب وقد ولدتهم. قال: فانصرف ودع القوم. فأبى أن يفعل وقال: إني خالهم ومنهم. فلما استقروا بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب؟ ليدخل، فأيقن القوم بالهلكة، ثم خرج الثانية فنادى: أين الحسن بن علي؟ ليدخل، ثم خرج الثالثة فنادى: أين زيد بن علي بن الحسين؟ ثم خرج الرابعة فقال: أين يحيى بن زيد؟ ثم قيل: ائذنوا لهم. فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد وكان له صديقاً فأوماً إليه: أن ارتفع. فأجلسه معه على طنفته وقال للباقيين: اجلسوا. وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد فقال: أين العبدى الشاعر؟ فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها

أما الدعاة إلى الجنان فهاشم * وبنو أمية من دعاة النار

فلما أنشد أبياتا منها قال الغمر: يا بن الزانية. فانقطع العبدى وأطرق عبد الله ساعة ثم قال: امض في نسيديك. فلما فرغ رمى إليه بصرة فيها ثلاثمائة دينار، ثم

تمثل بقول القائل

- ولقد ساءنى وساء سوائى * قريبهم من منابر وكراسى^(٤)
أزلوها بحيث أنزلها الله به بدار الهوان والإتعاس
[لا تُقِيلَنَّ عِبْدَ شَمْسٍ عِثَارًا * وَأَقْطَعُوا كُلَّ نَخْلَةٍ وَغَيْرَاسٍ]^(٥)
واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيلاً بجانب المهراس^(٦)

- (١) رباهم . (٢) في الفتوغرافية «الحسين» ولكنه يحيى بن زيد بن علي بن الحسين .
(٣) في الفتوغرافية «هشام» ولكنه الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان .
(٤) كذا بالنسخة الألمانية، وفي الفتوغرافية «نمارق» ولعله في الكامل للبرد .
(٥) زيادة في النسخة الألمانية . (٦) كذا بالأصل، وفي الكامل للبرد «كل رقلة وأراسى» وقال:
الرقلة النخلة الطويلة والأراسى جمع آسية وهي أصل البناء بمنزلة الأساس .

ثم قال لأهل خراسان : دِهَيْدٌ ^(١) . فشدخوا بالعمد حتى سالت أدمغتهم وقام الكلبي
فقال : أيها الأمير : أنا رجل من كلب لست منهم . فقال
ومدخيل رأسه لم يذنه أحد * بين القرينين حتى لزه القرنُ

ثم قال : دهيد . فشدخ الكلبي معهم ثم التفت الى الغمر فقال : لا خير لك في الحياة
بعدهم . قال : أجل ، فقتل ثم دعا ببراذع فالتقاها عليهم وبسط عليها الأنتاع ودعا
بغدائه فأكل فوقهم وإن أنين بعضهم لم يهدأ ، حتى فرغ ثم قال : ما تهنأت بطعام
منذ عقلت مقتل الحسين إلا يومى هذا . وقام فأمر بهم بخروا بأرجلهم وأغنم أهل
خراسان أموالهم ثم صلبوا في بستانه . وكان يأكل يوماً فأمر بفتح باب من الرواق
الى البستان فاذا رائحة الجيف تملأ الأنوف ، فقيل له : لو أمرت أيها الأمير برد هذا
الباب ! فقال : والله لرائحتها أحب الى وأطيب من رائحة المسك . ثم قال

حسبتُ أميةً أن سترضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا وربِّ محمد وإلهه * حتى تُباح سُهولها وحزونها
وتندلُّ ذلُّ حيلةٍ لحيلها * بالمشرفى وتُستردَّ ديونها

وأتى المهديُّ ^(٢) برجل من بنى أمية كان يطلبه فتمثل بقول سديف شاعرهم
جرد السيف وأرفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويًا
لا يفترنك ما ترى اليوم منهم * إن تحت الضلوع داء دويًا

فقال الأموى : لكن شاعرنا يقول

شمس العداوة حتى يُستفاد لهم * وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

فقال المهديُّ ^(٢) : قال شاعركم ما يشبهكم وقال شاعرنا ما يشبهنا . ثم أمر به فقتل .

(١) كلمة فارسية بمعنى اضربوا . (٢) فى النسخة الفوتوغرافية « المنصور » .

وقال رجل: كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد في المسجد، فأتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعو إلى نفسه، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول: الجواب. فقال: ليس له جواب، قل لصاحبك: دعنا نجلس في هذا الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تأتينا آجالنا في عافية.

- ٥ وكان عمرو بن عبيد إذا رأى المنصور يطوف حول الكعبة في قرطين يقول: إن يُرِدَ اللهُ بأمة محمد خيرا يُؤَلِّ أمرها هذا الشاب من بني هاشم. وكان له صديقا فلما دخل عليه بعد الخلافة وكلمه وأراد الانصراف، قال: يا أبا عثمان سأل حاجتك. قال: حاجتي ألا تبعث إلى حتى آتيك ولا تعطيني حتى أسألك. ثم نهض فقال المنصور
- كَلِّمْ مَا شِئِ رُوَيْدٌ * كَلِّمْ خَاتِلُ صَيْدُ
* غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدُ *
- ١٠

فلما مات عمرو ورثاه المنصور فقال

- صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْكَ مِنْ مَتَوَسَّدٍ * قَبْرًا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى مَرَّانٍ
قَبْرًا تَضَعْنَ مُؤْمِنًا مَتَحَنَّنًا * صَدَقَ الْإِلَهَ وَدَانَ بِالْقُرْآنِ
وَإِذَا الرِّجَالُ تَنَازَعُوا فِي سَنَةٍ * فَصَلِّ الْحَدِيثَ بِحِكْمَةٍ وَبَيَانٍ
فَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَبَقَ صَالِحًا * أَبَقَ لَنَا حَيًّا أَبَا عَثْمَانَ
- ١٥

- قال الواضح بن حبيب: كنا إذا خرجنا — يعني أصحابه — من عند المنصور صرنا إلى المهدي وهو يومئذ ولي عهده ففعلنا ذلك يوما فأبرز إلى يده، ولم يكن ذلك من عادته، فأكبت عليها فقبلتها وضرب بيدي إلى يده، ثم علمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشيء في يده، فوضع في يدي كتابا صغيرا تستره الكف، فلما خرجت فتحتة فإذا فيه: يا واضح، إذا قرأت كتابي فاستأذن إلى ضياعك بالرأي، فرجعت فقلت للربيع: استأذن لي، فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخلت فقلت: يا أمير المؤمنين، ضياعي بالرأي
- ٢٠

قد اختلت وبي حاجة الى مطالعتها فقال : لا ، ولا كرامة ، فخرجت . ثم عدت اليه اليوم الثاني والقوم معي فدخلنا فاستأذنته ، فردّ الى مثل الجواب الأول . فقلت : يا أمير المؤمنين ما أريد إصلاحها إلا لأقوى بها على خدمتك . فسرى عنه ، ثم قال : اذا شئت فودّع . فقلت يا أمير المؤمنين : ولي حاجة أذكرها . قال : قل . قلت : أحتاج الى خلوة . فنهض القوم وبقى الربيع قلت : أخيني . قال : ومن الربيع وبينكما ما بينكما ! قلت : نعم . ففتح الربيع ، فقال : قد خلوت فقل إن جدت لي بمالك ودمك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهل أنا ومالي إلا من نعمتك ، حقنت دمي ودم أبي ورددت على مالي وآثرتي بصحبتك . قال : إنه يهيجس في نفسي أن جهورا على خلع وليس له غيرك لما أعرفه بينكما ، فظهر إذا صرت اليه الواقعة في التنصص لي حتى تعرف ما عنده ، وإن رأيتهم بخلع فاكذب الي ، ولا تكتبني على يد بريد ولا مع رسول ولا يفوتني خبرك في كل يوم فقد نصبت لك فلانا القطان في دار القطن فهو يوصل كتبك في كل يوم الي . قال : فمضيت حتى أتيت الري فدخلت على جهور فقال : أفلتت؟ فقلت : نعم والحمد لله . ثم أقبلت أوانسه بالواقعة فيه حتى أظهر ما ظن به المنصور فكتبت اليه بذلك .

دخل عبد الله بن الحسن الطالبي على المنصور وعنده إسحاق بن مسلم العقيلي وعبد الملك بن حميد الشامي الكاتب ، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق فغم ذلك المنصور ، فلما نخرج عبد الله قال : يا غلام رده . فلما رجع قال : يا أبا محمد إن إسحاق بن مسلم حدثني أن رجلا هلك بدمشق وترك ناضا كثيرا وأرضا ورقيقا وزعم أنه مولاكم وأشهد على ذلك . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذلك مولانا قد كنت أعرفه وأكاتبه . فقال المنصور : يا إسحاق ، أعجبك كلامه فأحبيت أن تعرفه .

(١) في النسخة الألمانية : « جوهر » وهو تحريف إذ هو جهور بن مرار العجل أحد قواد المنصور .

أبو الحسين المدائني قال : لما بنى أبو العباس المدينة بالأنبار قال لعبد الله ابن الحسن : يا أبا محمد كيف ترى؟ فتمثل عبد الله فقال

ألم تر حوشبا أمسى يُبني * قصورا نفعها لبي بقبيله
يؤمل أن يعمر عمر نوح * وأمر الله يحدث كل ليلة

ثم أنتبه فقال : أفلنى [أفالك الله] ^(١) . قال : لا أقالني الله إن بت في عسكري ، فأخرجه الى المدينة . [حنش بن المغيرة قال : جئت وأبو ذر أخذ بحلقة باب الكعبة وهو يقول : أنا أبو ذر الغفاري ، من لم يعرفني فانا جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا»] .

حدثنا خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا شبابة بن سوار عن يحيى بن إسماعيل ابن سالم عن الشعبي قال ، قيل لابن عمر : إن الحسين قد توجه الى العراق ، فلاحقه علي ثلاث ليال من المدينة وكان عند خروج الحسين غائبا في مال له فقال : أين تريد؟ قال : العراق . وأخرج اليه كتبا وطوامير قال : هذه كتبهم وبيعتهم . فناشده الله أن يرجع فأبى فقال : أما إني سأحدثك حديثا : إن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بين الدنيا والآخرة فأختار الآخرة ، وإنكم بضعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، والله لا تليها أنت ولا أحد من أهل بيتك وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم فأرجع . فأبى فأعتقه وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل .

حدثني القاسم بن الحسن عن علي بن محمد عن مسلمة بن محارب عن السكن قال : كتب الحسين بن علي رضي الله عنهما الى الأحنف يدعو الى نفسه فلم يرذ الجواب وقال : قد جربنا آل أبي الحسن فلم نجد عندهم إيالة للملك ولا جمعا للمال ولا مكيدة

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

في الحرب . وقال الشعبي : ما لقينا من آل أبي طالب؟ إن أحببناهم قتلونا، وإن أبغضناهم أدخلونا النار .

ولما قتل مُصعب بن الزبير خرجت سُكينة بنت الحسين تريد المدينة فأطاف بها أهل الكوفة فقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله . فقالت : والله لقد قتلتم جدى وأبى وعمى وزوجى مُصعباً، أيتموني صغيرة وأرملتموني كبيرة فلا عاقبكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة . وقال بعض الشعراء

إِبِكِ حَسِينًا لِيَوْمِ مَصْرَعِهِ * بِالطَّفِّ بَيْنَ الْكُتَّابِ الْخُرْسِ
أَضْحَتْ بَنَاتُ النَّبِيِّ إِذْ قُتِلُوا * فِي مَأْتَمِّ السَّبَاعِ فِي عُرْسِ

روى سنان بن حَكِيم^(١) عن أبيه قال : اتَّهَبَ النَّاسُ وَرَسَا فِي عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ قُتِلَ فَمَا تَطَيَّبَتْ مِنْهُ أَمْرَأَةٌ إِلَّا بَرِصَتْ . ولما قتل حسين قالت بنت لعقيل بن أبي طالب

مَاذَا تَقُولُونَ إِذَا قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ * مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ أَفْضَلُ الْأُمَّمِ
بِعَثْرَتِي وَبِأَهْلِي بَعْدَ مَنْطَلِقِي * مِنْهُمْ أَسَارِي وَقَتْلَى ضَرْجُوا بَدَمِ
[مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي أَنْ نَصَحْتُ لَكُمْ * أَنْ تَخَافُونِي بِقَتْلِي فِي ذَوِي رَحْمِي]

فما سمعها أحد إلا بكى .

[دخل زيد بن عليّ على هشام فقال : ما فعل أخوك البقرة؟ قال زيد : سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باقرا وتسميه بقرة ! لقد اختلفتا .

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يا جابر إنك ستعمر بعدى حتى يولد لي مولود اسمه كاسمى يبقر العلم بقرا فاذا لقيته فأقرته مني السلام» فكان جابر يتردد في سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادى : يا باقرا، حتى قال

(١) كذا بالألمانية وفي الفتوغرافية «سيارين الحكم» . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

الناس : قد جُنَّ جابر . فبينما هو ذات يوم بالبلاط اذ بصُرَّ بجارية يتوزَّكها صبيّ فقال لها : يا جارية ، من هذا الصبي ؟ قالت : هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب . فقال : أذنيه منى فأدنته منه فقبل بين عينيه وقال : يا حبيبي ، رسول الله يقربك السلام . ثم قال : نُعيت إلى نفسي وربَّ الكعبة . ثم انصرف الى منزله وأوصى فمات من ليلته .

[قال هشام بلغني ^(١) أنك تَرَبِّصُ نَفْسُكَ للخلافة وتطمع فيها وأنت ابن أمة . قال له زيد : مهلا يا هشام فلو أن الله علم في أولاد السَّراريِّ تفصييرا عن بلوغ غاية ما أعطى إسماعيل ما أعطاه . ثم خرج زيد وبعث اليه بهذه الأبيات]

مهلا بنى عمنا عن نحت أثلتنا * سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
لا تجمعوا أن تُهينونا ونكرمكم * وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
فالله يعلم أنا لا نحبكم * ولا نلومكم ألا تحبونا

[ثم إن زيدا أعطى الله عهدا ألا يلقى هشاما إلا في كتيبة بيضاء أو حمراء فدخل الكوفة فطبع بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله] .

ذكر الأمصار

١٥ قالت الحكماء : المدائن لا تبني إلا على ثلاثة أشياء : على الماء والكلاء والمحتطب .
قال ابن شهاب : من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه عُوفي من وبائها . وقال معاوية لقوم قدموا عليه : كلوا من فحاً ^(٢) أرضنا فقلما أكل قوم من فحاً أرض فضرهم ماؤها .

(١) هكذا في الأصل ، وفي الجملة حذف . ولعل أصل الكلام : قال هشام لزيد بن علي ، كما يدل عليه باق القصة ورواية العقد الفريد ، وقد وردت القصة كاملة هكذا في النسخة الألمانية ، واقتصر في الفتوغرافية على قوله « كتب زيد بن علي بن الحسين الى هشام بن عبد الملك » ثم ساق الأبيات .
(٢) الفحا : توابل القدور كالفلفل والكمون ونحوهما : لسان العرب .

حدثني الرياشي قال حدثني الأصمعي قال، قال معاوية: أغبطُ الناسَ عندي سعد مولاى، وكان يلى أمواله بالمجاز، يتربّعُ جُدّةً ويتقيظُ الطائف ويشتى مكة .

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن : الخِطَرُ والكُنْدُرُ والعَصَبُ والوَرَسُ .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : اليهود لا تأكل من بقل سُورَى وتقول : هي مَغِيضُ الطوفان . قال وقال الأصمعي عن ^(١) معمر قال : سبعٌ محفوظات وسبعٌ ملعونات ، فمن المحفوظات نَجْرَانُ ومن الملعونات أَثَافِتُ [وِبَرْدَعَةُ] . وَأَثَافِتُ باليمن . وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة : ما تسمى هذه القرية ؟ فقالت ويحك ! أما سمعت قول الشاعر

أحب أَثَافِتَ عند القَطَافِ * وعند عَصَاةٍ أعناها

[قال الأصمعي : سواد البصرة الأهواز ودَسْمِيْسَانُ وفارس ، وسواد الكوفة كَسْرَ الى التراب الى عمل حُلْوَانِ الى القادسية ، وعمل العراق هَيْتُ الى الصين والسند والهند ثم كذلك الى الرى ونُحْرَاسَانِ الى الديلم والجلال كلها ، وأصبهان صرّة العراق افتتحها أبو موسى الأشعري ، والجزيرة ما بين دِجَلَةَ والفرات ، والموصل من الجزيرة ، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل في عمل العراق] .

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : أول قرية بنيت بعد الطوفان قرية بقردي تسمى سوق ثمانين ، كان نوح لما خرج من السفينة ابتنها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمانين فهي اليوم تسمى

(١) في النسخة الألمانية «معمر» وهو تحريف إذ هو أبو عبيدة معمر بن المنثى اللغوي النحوي وقد كان معاصرا للأصمعي . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) كذا في الأصل وهي محرفة عن «الزاب» كما في ياقوت .

سوق ثمانين . قال : وحران سميت بهاران بن آزر أخي إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو لوط .

(١) [قال النبي صلى الله عليه وسلم لبريدة : « يا بريدة إنه سيبعث بعدى بعوث فإذا بعثت فكن في أهل بعث المشرق ثم في بعث خراسان ثم في بعث أرض يقال لها : مرو ، فإذا أتيتها فانزل مدينتها فانه بناها ذوالقرنين وصلى فيها ، غزيرة أنهارها تجري بالبركة ، في كل تقب منها ملك شاهر سيفه يدفع عنها السوء الى يوم القيامة » فقدمها بريدة (٢) فمات بها] .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني الأصمعي قال أخبرني الثمري بن هلال الحبطي عن قتادة عن أبي جلدة (٣) قال : الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك فارس ثلاثة آلاف فرسخ وأرض العرب ألف فرسخ .

(١) [وقال أبو صالح كما عند ابن عباس فأقبل رجل بفلس ، فقال له : ممن أنت ؟ قال من أهل خراسان ، قال : من أي خراسان ؟ قال : من هراة . قال : من أي هراة ؟ قال : من بوشنج . ثم قال : ما فعل مسجدك ؟ قال : عامر يصلى فيه . قال : ابن عباس كان لابراهيم مسجدان : المسجد الحرام ومسجد بوشنج . ثم قال : ما فعلت الشجرة التي عند المسجد ؟ قال : بحالها . قال : أخبرني العباس أنه قال في ظلها] .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل « يزيد » وهو تحريف .
(٣) كذا بالألمانية ، وفي النسخة الفتوغرافية « أبي الجلد » ولم نعرف في كتب التراجم على من نكث بهذه الكنية ، على أن من شيوخ قتادة « أبا بردة بن أبي موسى » فقله محرف عنه .

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون الحراني^(١) عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن البصري قال : لما قدم على رضى الله عنه البصرة ارتقى على منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة ، يا بقايا ثمود ويا جند المرأة ويا أتباع البهيمة ، رغبا فاتبعتم وعقرا فأنهزتم . أما إنى لا أقول رغبة فيكم ولا رهبة منكم ، غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تُفْتَحُ أَرْضُ يُقَالُ لَهَا الْبَصْرَةُ أَقْوَمُ الْأَرْضِينَ قَبْلَهُ ، قَارِئُهَا أَقْرَأُ النَّاسِ ، وَعَابِدُهَا أَعْبَدُ النَّاسِ ، وَعَالِمُهَا أَعْلَمُ النَّاسِ ، وَمُتَصَدِّقُهَا أَكْبَرُ النَّاسِ صِدْقَةً ، وَتَاجِرُهَا أَكْبَرُ النَّاسِ تِجَارَةً . مِنْهَا إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا الْأُبْلَةُ أَرْبَعَةٌ فَرَاخِجٌ . يُسْتَشْهَدُ عِنْدَ مَسْجِدِ جَامِعِهَا أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، الشَّهِيدُ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ كَالشَّهِيدِ مَعِيَ يَوْمَ بَدْرٍ » .

حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا أبو سامة قال أخبرني أبو المهزم عن أبي هريرة قال : مثلت الدنيا على مثال طائر ، فالبصرة ومصر الجناحان فاذا خربتا وقع الأمر . وحدثني أيضا عن هارون بن معروف عن ضمرة عن ابن شوذب عن خالد بن ميمون قال : البصرة أشد الأرض عذابا وشرها ترابا وأسرعها خرابا . قال وقال ابن شوذب عن يزيد الرشدي^(٢) : قست البصرة في ولاية خالد بن عبد الله القسري فوجدت طولها فرسخين غير دائق .

وقال محمد بن سلام عن شعيب بن صخر : تذاكروا عند زياد البصرة والكوفة فقال زياد : لو ضلَّت البصرة لجلعت الكوفة لمن دلَّني عليها . قال [محمد بن سيرين] كان الرجل يقول : غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة ، عزله عن البصرة

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية « يزيد بن خالد عن عبد الله بن ميمون المرثي » ولم نعث في كتب التراجم على هذين الاسمين ولعل صواب العبارة « حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله عن ميمون المرثي » إذ الاسمان موجودان معا في كتب التراجم . (٢) يعنى بها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وبالبهيمة الجمل الذى ركبه ، وبه سى هذا اليوم وهو معروف مشهور . (٣) كذا بالألمانية ، وفي الفتوغرافية « الرشدي » وكلاهما محرف عن الرشك بكسر فسكون وهو لقب يزيد بن أبي يزيد الضبي .

وأستعمله على الكوفة . [وقال^(١) عليّ حين دخل البصرة : يا أتباع البيمة ويا جند المرأة رَغًا فأجبتُم وعُقر فانهزمتهم ، دينكم نفاق وأخلاقكم رِقاق وماؤكم زُعاق ، يا أهل البصرة والبصرة [و] السَّيِّخَةُ والحُرَيْبَةُ ، أرضكم أبعَد الأرض من السماء وأبعدها من الماء وأسرعها خرابا وغرقا .

٥ مر عتبة بن غزوان بموضع المرَبَد فوجد فيها الكَذَّان الغليظ فقال : هذه البصرة فانزلوا بسم الله . وقال أبو وائل : اختطَّ الناس البصرة سنة سبع عشرة [.

نفر ناس من بني الحارث بن كعب عند أبي العباس ، فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : ألا تكلم يا خالد؟ قال : أخوال أمير المؤمنين وأهله . قال : فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعصبته . قال خالد : ما عسى أن أقول لقوم بين ناسج بُرد ودابغ جلد وسائس قرد ، دَلَّ عليهم هدهد وغرقتهم فارة وملكتهم امرأة .

١٠ [سئل خالد عن الكوفة فقال : نحن منابتنا قصب ، وأنهارنا عجب ، وثمارنا رُطب ، وأرضنا ذهب . قال الأحنف : نحن أبعَد منكم سِرِّيَّة وأعظم منكم بَحْرِيَّة وأغذى منكم بَرِّيَّة . وقال أبو بكر الهذلي : نحن أكثر منكم ساجا وعاجا وديباجا ونحراجا ونهرا عجَّاجا] .

وقال الخليل في ظهر البصرة مما يلي قصر أوس من البصرة

١٥ زُرُّ وادَى القصر نعم القصر والوادی * لا بد من زُورَةٍ عن غير ميعاد
تُرْفًا به السُّفن والظُّلُمَانِ واقفة * والضُّبُّ والنون والملح والحادی

وقال ابن أبي عيينة في مثل ذلك

يا جنة فانت الحنان^(٤) فا * تبلغها فيمة ولائمن
ألقها فاتخذتها وطنا * إن فؤادي لحبها وطن

٢٠ (١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في البيان والتبيين «وأعظم منكم تجربة» .
(٣) هكذا في الأصل ، وفي كتاب البيان للمحافظ أعذى بالعين المهملة وهو الأقرب الى الصواب يقال عذا البلد يعذو : طاب هواؤه . (٤) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : فانت .

زقح حيتانها الضباب بها * فهذه كنهه وذا ختن
فانظر وفكر فميا تطيف به ^(١) * إن الأريب المفكر الفطن
من سفن كالنعام مقبلة * ومن نعام كأنها سفن

أنشد محمد بن عمر عن ابن كئاسة في ظهر الكوفة

وإن بها لو تعلمين أهبائلا * وليلا رقيقا مثل حاشية البرد

بلغني عن إبراهيم بن مهدي عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التيمي
قال: لما أمرت الأرض أن تغيض غاضت إلا أرض الكوفة فلغنت، بجمع الأرض
تُكرب على ثورين وأرض الكوفة تُكرب على أربعة ثيران . وكان يقال: إذا كان علم
الرجل حجازيا وسخاؤه كوفيا وطاعته شامية فقد كمل .

[لما اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلوا وآذاهم الغبار والذباب ، كتب عمر
الى سعد في بعثة رواد يرتادون منزلا برّيا فإن العرب لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل
والشاء . فسأل من قبله عن هذه الصفة فيما يليهم ، فأشار عليه من رأى العراق من
وجوه العرب باللسان . وظهر الكوفة يقال له اللسان ، وهو فيما بين النهرين الى
عين بنى الحداء ، وكانت العرب تقول: أدّع البر لسانه في الرّيف ، فما كان يلى الفرات
منه فهو الملقاط وما كان يلى الظهر منه فهو النّجاف ، فكتب الى سعد يأمره به] .

وقال النابغة الجعدي يمدح الشام

جاعلين الشام حمّاهم ^(٤) * ولئن هموا لنعم المتقل
موته أجر وتحياه غنى * وإليه عن أذاه معتل

(١) كذا بالأصل وهو محرف عن «نطقت به» كما في الأغانى . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) في معجم باقوت في الكلام على اللسان «وما كان يلى البطن منه فهو النجاف» .

(٤) يقال حمّاه أى قصد قصده .

وقال أيضا

ولكن قومي أصبحوا مثل خبير * بها داؤها ولا تضر الأعدايا
قال الأصمعي : لم يولد بغدير خُم مولود فعاش الى أن يحتلم إلا أن يتحول
عنها . قال : وحرّة ليلي ربما مر بها الطائر فيسقط ريشه . قال عمرو بن بحر : يزعمون
أن من دخل أرض تبت لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عجب حتى يخرج منها ،
ومن أقام بالموصل عاما ثم تفقد قوته وجد فيها فضلا ، ومن أقام بالأهواز حولا
فنفقد عقله وجد النقصان فيه بينا . والناس يقولون : حمى خبير وطحال البحرين
ودماميل الجزيرة وطواعين الشام .

قالوا : من أطال الصوم بالمصيصة في الصيف خيف عليه الجنون . وأما قصبة
الأهواز فتقلب كل من ينزلها من الأشراف الى طبائع أهلها ، ووباؤها وحماها يكون
في وقت انكسار الوباء ونزوع الحمى عن جميع البلدان ، وكل محوم فان حماه إذا أفلت
عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة الى أن يعود الى التخليط وإلى أن يجتمع في جوفه
الفساد الا محوم الأهواز فإنها تعاود من فارقته لغير علة حدثت ، ولذلك جمعت سوق
الأهواز الأفاعى في جباها المطل عليها والجزارات في بيوتها ومن ورائها سباح ومناقع
مياه غليظة وفيها أنهار تشققها مسابيل كنفهم ومياه أمطارهم فإذا طلعت الشمس وطال
مقامها واستمرت مقابلتها لذلك الجبل قبل الصخرية التي فيها الجمرات ، فإذا امتلأت
يبسا وحرأ وعادت جمره واحدة قذفت ما قبلت من ذلك عليهم وقد بنحرت تلك السباح
وتلك الأنهار ، فإذا التقى عليهم ما بنحرت به السباح وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء

(١) الحرارة بكبابة : عقيرب قتالة تجردنها اذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر المقارب .

(٢) في الأصل « طالت معاناتها بذلك الجبل » والتصويب عن معجم باقوت .

(٣) هكذا في الأصل . وفي معجم البلدان « قبل تسبب الصخرية التي فيها تلك الجمرات الخ » ولعل

صواب العبارة « قبلت بسبب الصخرية التي فيها تلك الجمرات فاذا امتلأت الخ » .

وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء . وقال إبراهيم بن العباس الكاتب :
 حدثني مشايخ أهل الأهواز عن القوابل أنهم ربما قیلن الطفل فيجدنه في تلك الساعة
 محمومًا [يعرفن ذلك ويتحدثن به] . قال : ومن قدم من شقَّ العراق إلى بلد الزَّبج
 لم يزل حزينا ما أقام بها فإن أكثر من شرب نبيذها وأكل النَّارِجِيل طمس الخُمارُ
 على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا شيء يسير . قال : وفي عهد سِجِسْتَان
 على العرب حين افتتحوها : ألا يقتلوا قنفذا ولا يصيدوه . لأنها بلاد أفاع والقنافذ
 تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار .

وقال ابن عيَّاش لأبي بكر الهذلي يوم فاحره عند أبي العباس : إنما مثل الكوفة
 مثل اللِّهَاء من البدن يأتيها الماء يبرده وعذوبته، والبصرة بمنزلة المئانة يأتيها الماء
 بعد تغيره وفساده .

وقال محمد بن عمير بن عَطَّارِد : إن الكوفة قد سَفُلت عن الشام ووبأثها وارتفعت
 عن البصرة وعمقها فهي مَرِيثة مَرِيعة عَذبة ثَرِيَّة ، إذا أتتنا الشَّمال ذهبت مسيرة شهر
 على مثل رَضْرَاض الكافور، وإذا هبت الجنُوب جاءتنا برح السَّواد وورده وباسمِينه
 وأُترجَه ، وماؤنا عذب وعيشنا خصب . وقال الحجاج : الكوفة بكر حسناء والبصرة
 عجوز بجراء أوتيت من كل حلَى وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلة في سَمَر يزيد بن عمر بن هُبيرة، فقال يزيد : أيّ البلدين
 أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صفوان : بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأَزَادُ
 والمعقِلَى وكذا وكذا . فقال عبد الرحمن بن بَشِير العِجَلِي : لست أشك أيها الأمير أنكم
 قد اخترتم لأمر المؤمنين ما تبعثون به إليه . قال : أجل ، قال : قد رضينا باختيارك
 لنا وعلينا . قال : فأى الرطب تحملون إليه؟ قال : المُشَان . قال : ليس بالبصرة منه
 واحدة . ثم آية؟ قال : السَّارِي . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال خالد بن
 (١) كذا بالأصول، وفي معجم البلدان : «ورثها» .

صفوان : بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير . قال : فأى التمر تحملون اليه ؟ قال :
النَّزِيَّان . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال . ثم أية ؟ قال : الهَيْرُونَ أَزَاد .
قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : فأى القَسْب تحملون اليه ؟ قال : قَسْب
العنبر . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال ابن هبيرة لخالد : ادعى عليك نحسا
فشاركته في واحدة وسأمت له أربعا، ما أراه إلا قد غلبك .

دخل قتي من أهل المدينة البصرة ثم انصرف، فقال له أصحابه : كيف رأيت
البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والعزب والمفلس : أما الجائع فيأكل خبز الأرز
والصحناء^(١) لا ينفق في الشهر درهمين، وأما العزب فيتزوج بشق درهم، وأما المحتاج
فلا عيلة عليه ما بقيت عليه آسته يخرأ ويبيع .

١٠ أبو الحسن المدائني قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية :
أما والله لو كنا بمكة على السواء لعلمت . قال معاوية : إذا كنتُ أكون ابن
أبي سفيان منزلي الأبطح ينشق عنه سيله، وكنت ابن خالد منزلك أجباد أعلاه مدرة
وأسفله عذرة .

رأى رجل من قريش رجلا له هيئة رثة ، فسأل عنه فقالوا : من بني تغلب .
١٥ فوقف له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رجلين قلما وطئنا البطحاء . قال له
التغلبى : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة وهي لى دونك ، وبطحاء ذى قار
وأنا أحق بها منك ، وهذه البطحاء ، وسواء العاكف فيه والبادى .

وقال بعض الأعراب : اللهم لا تُزَلِّني ماء سوء فأكون أمراً سوء . قال خالد
ابن صفوان : ما رأينا أرضاً مثل الأبلّة أقرب مسافة ولا أعذب نطفة ولا

(١) إدام يخذ من السك الصغار .

أوطأ مطية ولا أريج لتاجر ولا أخفى لعابد . وقال ابن أبي عيينة يذكر قصر انس
بالبصرة

فيا حسنَ ذاك القصر قصرًا ونزهة * بأفصح سهل غير وعر ولا ضنك
بفرس كأبكار الحوارى وتربة * كأن ثراها ماء ورد على مسك
كأن قصور الأرض ينظرون حوله * الى ملك مؤفٍ على منبر الملك
يُدلُّ عليها مستطيلًا بحسنه * ويضحك منها وهي مطرقة تبكي

قال جعفر بن سليمان ^(١) : العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين
البصرة ، ودارين عين الربد . وقالوا : من خصال الحرم أن المطر إذا أصاب الباب
كان الخصب من شق العراق ، وإذا أصاب المطر الناحية من شق الشام كان الخصب
بالشام ، وإذا عم جوانب البيت كان المطر عامًا . قال : [وذرع الكعبة أربعاً ^(٢)
وتسعون ذراعاً] .

المدائني قال قال الحجاج : لما تبوأت الأمور منازلها قالت الطاعة : أنزل الشام ، قال
الطاعون : وأنا معك . وقال النفاق : أنزل العراق ، قالت النعمة : وأنا معك .
وقالت الصحة : أنزل البادية ، قالت الشقوة : [وأنا معك] .

(١) في الفتوغرافية «مسلم» وفي الألمانية «سليمان» ويوافق ما في لطائف المعارف للثعالبي .

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

نجز كتاب الحرب ويتلوه في الجزء الثالث كتاب السؤدد

كتاب السُّودد

مخايل السُّودد وأسبابه ومخايل السوء

- قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ رحمه الله : حدثني عبد الرحمن بن عبد الله ابن قُرَيْبٍ عن عمه الأصمعي قال : أخبرنا جميع بن أبي غاضرة وكان شيخاً مُسنّاً من أهل البادية وكان من ولد الزُّبَيْرِ قان بن بدر من قبل النساء ، قال : كان الزُّبَيْرِ قان يقول :
- أبغضُ صبياننا إلى الأَقْبَعِيسُ الذكر الذي كَأَنَّما يَطَّلِعُ في حجره ، وإن سأله القوم أين أبوك ، هَرَّ في وجوههم وقال : ما تريدون من أبي . وأحبُّ صبياننا إلى الطويلُ الغُرَّةُ السَّبَطُ الغُرَّةُ العريضُ الورك الأبله العقول الذي يطبع عمه ويعصى أمه ، وإن سأله القوم أين أبوك ، قال : معكم .
- قال وقال الأصمعي قال معاوية : ثلاث من السُّودد : الصَّلَعُ ، واندحاق البطن ، وترك الإفراط في الغيرة .

- قال وقيل لأعرابي : بم تعرفون سودد الغلام فيكم ؟ فقال : إذا كان سائل الغُرَّةَ طويل الغُرَّةَ مُلْتَمَاتِ الإزرة وكانت فيه لَوْثَةٌ فلسنا نشك في سودده . وقيل لآخر : أي الغلمان أسود ؟ قال : إذا رأيتَهُ أَعْنَقَ أَشْدَقَ أَحْمَقَ فَأَقْرَبَ به من السُّودد .
- وكان يقال : إذا رأيت الغلام غائر العينين ضيق الجبهة حديد الأرنبة كأنما جبينه صَلَاية فلا تَرَجُّه ، إلا أن يريد الله أمراً فيبلغه .

حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : فريش تمدح بالصَّلَع . وأنشد

إن سعيِّدا وسعيِّدُ فرعُ * أصلع تخيمه رجالُ صلَعُ

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال : إني أظن هذا الغلام سيسود قومه . فقالت هند : نكته إن كان لا يسود إلا قومه .

قال شبيب بن شيبه لبعض فرسان بني منقر : ما مِطَلتَ مَطَلَ الفُرسان ولا فُتِقتَ فُتقَ السادة . وقال آخر لِسنان بن سَلَمَةَ المَدَلِيّ : ما أنت بأرِسخ فتكون فارسا ولا بعظيم الرأس فتكون سيدا . وقال بعض الشعراء

فقبلت رأسا لم يكن رأس سَيِّد * وكفا ككف الضبِّ أوهى أحقر

وقال آخر

دعا ابنُ مُطِيعٍ للبياعِ بختُه * إلى بيعة قلبي لها غيرُ ألف

فناولني خشناً لما لمستها * بكفى ليست من أكف الخلائف

وقرأت في كتاب للهند أنه قد قيل في الفِراسة والتَّوسُّم : إنه من صغرت عينه [و] دام اختلاجها وتتابع طرفها ومال أنفه إلى أيمن شقيه وبعد ما بين حاجبيه وكانت منابت شعره ثلاثا ثلاثا وطال إكبابه إذا مشى ، وتلفت تارة بعد أخرى ، غلبت عليه أخلاق السوء .

كان يقال : أربع يُسوِّدَنَّ العبد : الأدب ، والصدق ، والعفة ، والأمانة . وقال

بعض الشعراء في النبي صلى الله عليه وسلم

لو لم تكن فيه آياتٌ مبيِّنة * كانت بداهته تُبَيِّك بالخبر

وقال معاوية : إني لأكره البكارة في السيد وأحب أن يكون عاقلا متغافلا .

(١) قليل لحم العجز والفخذين .

(٢) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ولعلها محرفة عن « الغبارة أو البلادة » كما يقتضيه السياق .

وقال الشاعر في هذا المعنى

ليس الغبيّ بسيد في قومه * لكنّ سيّد قومه المتغاي

ويقال في مثيل : « ليس أمير القوم بالخبّ الخدع » . وقال الفرزدق

لاخير في خبّ من تُرجى فواضله * فاستمطروا من قريش كل منخدع

كانت فيه إذا حاولته بلهاً * عن ماله وهو وافي العقل والورع

وقال إياس بن معاوية : لست يُحبّ والخبّ لا يخدعني . وقال مالك بن أنس

عن ابن شهاب : الكريم لما تُحكّمه التجارب .

قال بعض الشعراء

غير أنّي أراك من أهل بيت * ما على المرء أن يسودوه عار

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : السيد الجواد حين يسأل ، الحلیم حين

يُستجهل ، البار بمن يعاشر . قال عدی بن حاتم : السيد الذليل في نفسه ، الأحمق

في ماله ، المطرّح لحفده ، المعنيّ بأمر عاقته . سئل خالد بن صفوان عن الأحنف بم ساد ،

فقال : بفضل سلطانه على نفسه . وقيل لقيس بن عاصم : بم سدت قومك ؟ فقال :

بيذل القرى وترك المرأ ونصرة المولى . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس

في الدنيا الأسيخاء وفي الآخرة الأتقياء . وقال سلم بن قتيبة لولده : إنكم لن تسودوا

حتى تصبروا على سرار الشيوخ البخر . وقال : الدنيا هي العافية ، والصحة هي

الشباب ، والمروءة الصبر على الرجال . قال عمرو بن هذاب : كنا نعرف سُودد سنم

ابن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع في خمسين . وقال رجل للأحنف وأراد

حيه : بم سدت قومك ؟ قال : بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عنك من أمري

مالا يعينك . وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع العنزي^(١) : أخبرني عن مالك

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، وهو في النسخة الفتوغرافية غير واضح ، وذكر في العقد الفريد في باب

السؤدد هذه القصة وقال إنه روح بن زباج .

ابن مسمع . فقال له : او غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه في أى شيء غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السودد ، ولم يل شيئا قط . وكذلك أسماء ابن خارجة لم يل شيئا قط . قيل لعراة الأوسى : بم سدت قومك ؟ فقال بأربع : أنخدع لهم عن مالى ، وأذل لهم فى عرضى ، ولا أحقير صغيرهم ، ولا أحسد رفيعهم .

وقال المقتنع الكندى وهو محمد بن عميرة

ولا أحمل الحقد القديم عليهم * وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وليسوا الى نصرى سراً وانهم * دعونى الى نصر أيتهم شدا
إذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم * وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
يعيرنى بالدين قومي وإنما * ديونى فى أشياء تكسبهم حندا

وقال آخر

هينون لينون أيسار ذوو يسير * سواس مكرمة أبناء أيسار
لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا * ولا يمارون إن ماروا بآثار
من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقال آخر

وان سيادة الأقسام فأعلم * لها صعداً مطلعها طويل

وقال رجل من العرب : نحن لا نسود الا من يوطئنا رحله ويفرشنا عرضه ويملكنا ماله . وفى الحديث المرفوع : « من بذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد » . ويقال : لأسودد مع انتقام . والعرب تقول « سيد معتم » يريدون أن كل جناية يخنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه . ويقال : بل السيد منهم كان يعتم بهامة صفراء لا يعتم بها غيره . وانما سُمى الزبرقان بصفرة عمامته . يقال : زبرقت الشيء إذا صفرتة ، وكان اسمه حُصينا . قيل لابن هبيرة : من سيد الناس اليوم ؟ قال : الفرزدق ، هجاني ملكا ومدحني سوقة . وقال عامر بن الطفيل

إني وإن كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور في كل موكب
فما سؤدتني عامر عن وراثته * أبي الله أن أسمو بأتم ولا أب
وليكنتني أحمي حماها وأتقي * أذاها وأرمي من رماها بمنكب

هذا نحو قول الآخر

نفس عصام سؤدت عصاما * وعلمته الصكر والإقداما
* وصيرته ملكا هماما *

وعصام عبد كان للنعمان بن المنذر . وله يقول النابغة

فإني لا ألوم على دخول * ولكن ما وراءك يا عصام؟

الكمال والتناهي في السؤدد

حدثني أبو حمزة الأنصاري عن العتيق قال ، قال الأحنف : الكامل من
عدت هفواته . وكتب معاوية الى زياد : انظر رجلا يصلح لشغل الهند فوله ،
فكتب اليه : إن قبلي رجلين يصلحان لذلك : الأحنف بن قيس ، وسنان بن سلمة
الهدلي . فكتب اليه معاوية : بأى يومى الأحنف نكافيه : أيخذلانه أم المؤمنين ، أم بسعيه
علينا يوم صيفين؟ فوجه سنانا ، فكتب اليه زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف

والحلم والسؤدد ما لا تنفعه الولاية ولا يضره العزل . وقال أبو نواس يمدح رجلا
أوحده الله فأمثله * لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وقال أيضا في نحو هذا

ياناق لا تسامى أو تبغى رجلا * تقبيل راحته والركن سنان
متى تحطى اليه الرجل سالمة * تستجيب الخلق في تمثال إنسان

محمد خير من يمشى على قدم * ممن برا الله من إنس ومن جان
تتازع الأحمدان الشَّبه فاشتبهها * خلقتا وخلقتا كما قد الشرا كان
مبيَّان لافرق في المعقول بينهما * معناهما واحد والعِدَّة اثنتان

وقال الطائي

لو أن إجماعنا في فضل سُودده * في الدين، لم يختلف في الملة اثنتان

وقال أيضا

فلو صورت نفسك لم تردّها * على ما فيك من كرم الطَّبَّاع

وقال خالد بن صفوان : كان الأحنف يفر من الشرف والشرف يتبعه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : وفد الأحنف والمنذر بن الحارود الى معاوية، فتهياً المنذر وخرج الأحنف على قعود وعليه بت، فكلمها مرة المنذر قال الناس : هذا الأحنف، فقال المنذر : أراني تزيت لهذا الشيخ . وقالت بنو تميم للأحنف : ما أعظم منتنا عليك ! فضلناك وسودناك، فقال : هذا شبيل بن معبد، من سؤده وليس بالحضرة بجلى غيره ؟ أو قال بالبصرة .

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن عبد الأعلى الشاعر الشيباني : من أكرم العرب أو من خير الناس ؟ قال : من يحبُّ الناس أن يكونوا منه، ولا يحبُّ أن يكون من أحد، يعني بنى هاشم . قال : من أكرم الناس ؟ قال : من يحبُّ أن يكون من غيره، ولا يحبُّ غيره أن يكونوا منه . قال رجل من أشرف العجم لرجل من أشرف العرب : إن الشرف نسب مفرد، فالشريف من كل قوم نسيب . وكان يقال : أكرم الصفايا أشدها ولها إلى أولادها، وأكرم الإبل أحنها إلى أوطانها، وأكرم الأفلاء^(١) أشدها ملازمة لأمهاتها، وخير الناس ألف الناس للناس .

(١) جمع ظوب الكسر أو كمد ورممؤ، وهو الجحش أو المهر إذا ضل أو بلغنا السنة .

السيادة والكمال في الحدائث

قال الأحنف : السؤدد مع السواد ، يريد أنه يكون سيدا من أنته السيادة في حدائثه وسواد رأسه ولحيته ، وقد يُذهب بمعناه إلى سواد الناس وعاقبتهم يُراد أن السؤدد يكون بتسويد العاقمة . وقال أبو اليقظان ولي الحجاج محمد بن القاسم ابن محمد بن الحكم الثقفى قتال الأكراد بفارس فأباد منهم ، ثم ولّاه السند فافتتح السند والهند وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر

إن السباحة والمروءة والندى * لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * يا قرب ذلك سؤددا من مولد!

ويروى * يا قرب ذلك سورة من مولد * السورة المتزلة الرفيعة . قال أبو اليقظان : وهو جعل شيراز معسكرا ومتزلا لولاية فارس . وقال حمزة بن بيض لمخلد بن يزيد بن المهلب

ياغت لعشر مضت من سنيك ما يبلغ السيد الأشيب
فهكك فيها جسام الأمور * وهم لدايك أن يلعبوا

نظر الخطيئة الى ابن عباس يتكلم في مجلس عمر ، فقال : من هذا الذي نزل عن الناس في سنه وعلاهم في قوله ! وقال ابن مسعود : لو بلغ أسناننا ما عشره منا رجل . ونظر رجل إلى أبي دلف في مجلس المأمون فقال : إن همته ترمى به وراء سنه . وولى عبيد الله بن زياد خراسان وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وليها لمعاوية . وقيل لزياد عند موته : استخلف عبيد الله ، فقال : إن يك فيه خير فسيوليه عمه ، فلما مات زياد شخص عبيد الله الى عمه معاوية فقال له : ما منع أبالك أن يوأيك ؟ أما إنه لو فعل فعلت ، فقال عبيد الله : يا أمير المؤمنين ، لا يقولتها أحد

(١) قال ابن بري هو بكسر الباء لا غير ، وضبطه الحافظ بالفتح .

(٢) هكذا بالأصل وعبارة اللسان عاشره وقال في بيانها : لو كان في السن مثلنا ما بلغ أحدنا عشره .

بعدك : ما منع أباه وعمه أن يكونا استعماله ، فرغب فيه فاستعمله على خراسان .
 وولي معاذ اليمن وهو ابن أقل من ثلاثين سنة . وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة
 وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وحمل الناس عن ابراهيم النخعي وهو ابن ثمانين
 عشرة سنة . وولي رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد مكة وهو ابن
 خمس وعشرين سنة . وسودت قريش أبا جهل ولم يطر شاربه فأدخلته مع الكهول
 دار الندوة . قال الكمي

رُفِعَتْ إِلَيْكَ وَمَا تُغْرِ^(١) * تَ عِيُونَ مُسْتَعِمٍ وَنَاظِرٍ
 وَرَأَوْا عَلَيْكَ وَمِنْكَ فِي السَّمْعِ نَهْيَ ذَاتِ الْبَصَائِرِ

قال قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتحوز يريد
 الكلام ، فقال عمر : كبروا كبروا ، فقال الفتى : يا أمير المؤمنين إن الأمر ليس
 بالسن ، ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسن منك ، قال صدقت فتكلم .
 قال الشاعر في خلاف هذا المعنى

إِنَّمَا الْمَلِكُ أَنْ يُسَاسُوا بِغَيْرٍ * لَمْ تُعْرِهِ الْأَيَّامُ رَأْيَا وَثِيقًا

وقال آخر

أَلَا قَالَتِ الْحَسَنَاءُ يَوْمَ لَقِيَتْهَا * كَبُرَتْ ، وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ مَجْزَعًا
 رَأَتْ ذَا عَصَا يَمْشِي عَلَيْهَا وَشَيْبَةً * تَقْنَعُ مِنْهَا رَأْسَهُ مَا تَقْنَعًا
 فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَهْزَيْ بِي فَقَلَّمَا * يَسُودُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَا
 وَلَلْقَارِحُ الْيَعْبُوبُ خَيْرٌ عِلَالَةً * مِنَ الْجُدْعِ الْمُجْرَى وَأَبْعَدُ مَنَزَعًا

رأى بكير بن الأحنس المهلب وهو غلام فقال

خَذُونِي بِهِ إِنْ لَمْ يُسَدِّ سَرَوَاتِهِمْ * وَيَبْرَعُ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ مِثْلُ

(١) يقال ثغر الغلام اذا سقطت أسنانه الرضاع .

الهمة والخطار بالنفس

قال أخبرنا خالد بن جويرية عن محمد بن دؤيب ^{القمي} وهو العُماني الراجزي عن دُكين الراجزي قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بعد ما استخلف أستنجز منه وعدا كان وعدنيه وهو والي المدينة، فقال لي : يا دُكين إن لي نفسا تواقه، لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تآقت إلى الخلافة، فلما نلتها تآقت إلى الجنة . وما رزأت من أموال المسلمين شيئا، وما عندي إلا ألفا درهم، فاختر أيهما شئت، وهو يضحك .

قلت : يا أمير المؤمنين، قليلك خير من كثير غيرك، ويقال قليلك خير من كثير غيرك، فاختر لي أنت، فدفعت لي ألفا وقال : خذها بارك الله لك فيها، فأبتعت بها إبلا وسقتها إلى البادية، فرمى الله في أذناها بالبركة بدعوته حتى رزقني الله ماترون .

قال معاوية لعمر بن العاص حين نظر معسكر علي عليه السلام : من طلب عظيمًا خاطر بعظيمته . وكان عمرو يقول : عليكم بكل أمر مزلقية مهلكة . أي عليكم بحسام الأمور . وقال كعب بن زهير

وليس لمن لم يركب الهول بغية * وليس لرحل حظه الله حامل

إذا أنت لم تقصر عن الجهل والحنأ * أصبت حلياً أو أصابك جاهل

وفي كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تُنال إلا بارتفاع همة وعظيم خطر : عمل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو . وفيه أيضا : لا ينبغي أن يكون الفاضل من الرجال الا مع الملوك مكرما أو مع النساك متبتلا، كالقيل لا يحسن أن يرى إلا في موضعين : في البرية وحشياً أو للملوك مكرماً . وفيه أيضا : ذوالهمة إن حط نفسه تآبى إلا علوا كالشعلة من النار يصوبها صاحبها وتآبى إلا ارتفاعا . وقال العتابي

تلوم على ترك الغنى باهليئة * طوى الدهر عنها كل طرف وتالد

(۱) نسبة إلى فقيم دارم، قال في القاموس : والنسبة إلى فقيم مكانة فقي كعربي وهم نساء الثهور في الجاهلية، والي فقيم دارم فقيس .

يسرك أنى نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
 وأن أمير المؤمنين أغصنى * مغمصهما بالمشركات البوارد؟
 ذرىنى تجنى ميتينى مطمئنة * ولم أتقحم هول تلك الموارد
 فإن كريات المعالى مشوبة * بمستودعات فى بطون الأسود

وقال الطائى

وأخرى لحنى يوم لم أمنع النوى * قيادى ولم ينقض زماعى ناقض
 أرادت بأن يحوى الغنى وهو وادع * وهل يفرس الليث الطللا وهو رابض؟

وقال أيضا

فاطلب هدوءا فى التقلقل^(١) وأستر * بالعيس من تحت الشهاد هجودا
 ما إن ترى الأحساب بيضا وصحفا * إلا بحيث ترى المنايا سودا

وقال آخر

* ما العز إلا تحت ثوب الكد *

وقال آخر

الذل فى دعة النفوس ولا أرى * عز المعيشة دون أن يُسقى لها

وقال بعض المحدثين وأظنه البحرى

فاطلبا ثالثا سواى فإنى * رابع العيس والدجى والبيد
 لست بالواهن المقيم ولا القا * نل يوما إن الغنى بالحدود
 وإذا استصعبت مقادة أمر * سهلتها أيدى المهارى القود

وقال عبد الله بن أبي الشيب

أظن الدهر قد آلى فبرا * بأن لا يكسب الأموال حرا
 لقد قعد الزمان بكل حُر * ونقض من قواه المستعرا
 كأن صفائح الأحرار أردت * أباه فخارب الأحرار طرا

(١) فى النسخة الألمانية : الضل، وفى الفئوجرافية : التقلل ، والتصويب عن الديوان .

فأصبح كل ذي شرف ركوبا * لأعناق الدجى براً وبحرا
فهنك جيب درع الليل عنه * إذا ماجيب درع الليل زراً
يراقب للغنى وجهها ضحوكا * ووجهها للنية مكفهرًا
ومن جعل الظلام له قعودا * أصاب به الدجى خيرا وشرًا

- ٥ وكان يقال : من سره أن يعيش مسرورا فليقنع ، ومن أراد الذكر فليجهد . قيل
للعنابي : فلان بعيد الهمة ، قال : إذن لا يكون له غاية دون الجنة . وقيل لبعض الحكماء :
من أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته وبعدت همته .

وقال عدي بن الرقاع

والمرء يُورثُ جوده أبناءه * ويموتُ آخرُ وهو في الأحياء

- ١٠ أبو اليقظان قال : كان أولُ عملٍ وليه الحجاج تبالةً ، فسار إليها فلما قرب منها
قال للدليل : أين هي وعلى أي سمت هي ؟ قال : تسترها عنك هذه الأكمة . قال
لا أراني أميرا إلا على موضع تستر منه أكمة ! أهونُ بها ولاية ! وكر راجعا . فقيل
في المثل : «أهونُ من تبالة على الحجاج» . وقال الطائي

وطولُ مقام المرء في الحى مُخلقٌ * لذيبياجتبه فاعترب تتجدد

- ١٥ فإني رأيت الشمس زِيدت حبةً * إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقال رجل لآخر : أبوك الذي جهل قدره وتعدى طوره فشق العصا وفرق
الجماعة ، لا جرم لقد هُزم ثم أُسر ثم قُتل ثم صاب . قال الآخر : دعني من ذكر
هزيمة أبي ومن صأبه ، أبوك ما حدث نفسه بشيء من هذا قط . قال حاتم طي

لحي الله صعلوكا مناه وهمه * من العيش أن يلقى أبوسا ومطما

- ٢٠ يرى الخمص تعذبا وإن يلقى شعبة * يات قلبه من قلة الهم مبهما
ويته صعلوك يُساور همه * ويمضي على الأهوال والنهر مُقدما

يرى قوسه أورمحه ومجنه * وذا شطب لذن المهزة محذما
وأحناء سرج قاتر^(١) وبلامة * معدا لدى الهيجا وطرفا مسوما
فذلك إن يهلك غنى ثاؤه * وإن يحي لا يقعد لينا مذما

وقال آخر

لا ينعذك خفض العيش تطلبه * نزاع شوق الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد إن حلت بها * أهلا بأهل وجيرانا يجيران
ويقال: ليس بينك وبين البلدان نسب نخير البلاد ما حملك. وقال عمرو بن الورد

لحي الله صعلوكا إذا جن ليله * مصافي المشاش آفا كل مجزر^(٢)
يعد الغنى من دهره كل ليلة * أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاء ثم يصبح قاعدا * يمت الحصا من جنبه المتعفر
يعين نساء الحى لا يستعنه * ويمسى طليحا كالبعير المحسر
ولله صعلوك^(٣) صفيحة وجهه * كضوء شهاب القابس المتور
مطل على أعدائه يزجرونه * بساحتهم زجر المنيع المشهر

وقال آخر

تقول سليمى: لو أقت بأرضنا! * ولم تدر أنى للأقام أطوف

وقال الطائي في نحوه

ألفة النجيب كم افتراق * ألم فكان داعية اجتماع^(٤)
وما إن فرحة الاوبات إلا * لموقوف على ترح الوداع

(١) القاتر والمقتر من الرحال والسروج الجيد الوقوع على الظاهر أو اللطيف منها . قاموس .
(٢) المشاش جمع مشاشة وهي رأس العظم الممكن مضغه . (٣) كذا في الأصول والأغانى ،
وفي الخامة : «ولكن صطوكا الخ» . (٤) في الأصول اطل ، والتصويب عن الديوان .

نظر رجل إلى روح بن حاتم واقفا في الشمس على باب المنصور فقال له : قد طال
وقوفك في الشمس . فقال روح : لِيَطْوَلَ مُقَامِي فِي الظل . وقال خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ
ولن أكون كمن ألقى رحالته * على الحمار وخلق صهوة الفرس

وقال آخر

لا أنت قصرت عن مجدي ولا أنا، إذ * أستموا إليك بنفسي، قصرت همي
قال عمر بن الخطاب : أشنعوا بالكُفَى فإنها منبهة . دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان
اليمى على أبيه وهو يجود بنفسه فقال له : ألا أوصى بك الأمير؟ فقال عبيد الله :
إذا لم يكن للحي إلا وصية الميت فالحي هو الميت . وقال الشاعر في نحوه
إذا ما الحي عاش بعظم ميت * فذاك العظم حي وهو ميت

وقال معاوية لعمر بن سعيد وهو صبي : إلى من أوصى بك أبوك ؟ قال :
أوصى إلى ولم يوص بي . نظر أبو الحارث حمير إلى بردون يستقي عليه ، فقال : المرء
حيث يجعل نفسه ، لو هملج هذا لم يبيل بما ترؤن . قال الطائي

وقلقل نابي من خراسان جاشها * فقلت أطمئني أنضر الروض عازبه
وركب كأطراف الأسيئة عرسوا * على مثلها ، والليل تسطو غياهبه
لأمير عليهم أن تم صدوره ، * وليس عليهم أن تم عواقبه

وقال آخر

وعش مليكا أومت كريما ، وإن تمت * وسيفك مشهور بكفك تُعذر
والمشهور في هذا قول امرئ القيس

فلو أن ما أسمى لأدنى معيشية * كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكننا أسمى لتجيد مؤئل * وقد يدرك المجد المؤئل أمثالي

وقوله

بكي صاحبي لما رأى الذربَ دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبيك عينك ، إنما * تُحاول مُلكاً أو نموت فنعذراً

وقال أبو نؤاس

سأبني الغنى إتما جليس خافية * نقوم سواً ، أو نُخيف سبيل
وقيل ليزيد بن المهلب : ألا تبني داراً ! فقال : منزلي دارُ الإمارة أو الحبس .
والمشهور في سقوط الهمة قول الحطيئة
دع المكارم لا ترحل لبغيتها * وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقال مالك بن الرئب

فإن تُصِفونا آل مروان نُقرب * إليكم وإلا فأذنوا بتعادي^(١)
فإن لنا عنكم مراحاً ومرحلاً * بعيس إلى ربح الفلاة صوادي
وفي الأرض عن دار المذلة مذهب * وكل بلاد أوطنت بكلادي
فإذا عسى الحجاج يبلغ جهده * إذا نحن جاوزنا حفير زياد
فبأست أبي الحجاج وأست تجوزه * عتيد^(٢) بهم يرثي بوهاد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبداً من عبيد إباد
زمان هو المقرئ^(٣) المقر بذلة * يراوح غلمان القرى ويفادي
بعث ينحأب خليفتها إلى ابن عائشة المحدث وهو عبيد الله بن محمد بن حفص^(٤)
التميمي ، فأتاه في حلقة في المسجد فقال له : أبو من ؟ قال : هلاً عرفت هذا قبل مجيئك !

(١) في الكامل للبرد طبع ليزج : «بيعاد» بدل «تعادي» وهو الأنسب للسياق .
(٢) العتيد تصغير عنود وهو كافي لسان العرب من أولاد المعز مارحى وقوى وأتى عليه حول ، بصفه بالضعف .
(٢) المقرئ طالب الضيافة ، وفي الحماسة والكامل : «العبد» . (٤) كذا بالأصل ؟

قال: أريد أن تُخَلِّينِي . قال : في حاجة لك أم في حاجة لي؟ قال : في حاجة لي .
قال : فَأَلْقَنِي فِي الْمَتْرَلِ . قال : فإن الحاجة لك . قال : مادون إخواني سرّ .

وقال بعض لصوص همدان وهو مالك بن حريم

كذبتُم وبيتِ الله لا تأخذونها * مرأغمة مادام للسيف قائمُ
متى تجع القلب الذكي وصارما * وأنفا حيا تجتنبك المظالمُ
ومن يطلب المال المنع بالقنا * يعيش مثرى أو تخترمه المخارمُ
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم * فهل أنا في ذا يال همدان ظالمُ

وقال أبو النشاش، من اللصوص

إذا المرء لم يسرح سواماً ولم يرح * سواماً ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفتى من حياته * فقيرا ومن مولى تدب عقاربه
وسائلة بالغيب عني وسائل * ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه؟
وطامسة الأعلام مائلة الصوى * سرت بأبي النشاش فيها ركائبه
فلم أر مثل الفقر ضاجعه الفتى * ولا كسواد الليل أخفق صاحبه^(١)

وقال آخر من اللصوص

وإني لأستحي من الله أن أرى * أطوف بأرض ليس فيه بعيرُ
وأن أسأل المرء اللثيم بعيره * وبعرانُ ربي في البلاد كثيرُ
فليل إن وارانِي الليلُ حكمة * وللشمس إن غابت على تدورُ
عوى الذئب فاستأنت للذئب إذعوى * وصوت إنسان فكدتُ أطيُرُ
رأى الله إني للأنيب لسانِي * وتبغضهم لي مقلةً وضميرُ

(١) في الهامة : «طالبه» . أى الطالب فيه .

وقال الثَّور بن تَوَلَّب

خاطرِ بِنفسِكَ كَي تُصِيبَ غَنِيمَةً * إِنَّ الجُلُوسَ مَعَ العِيَالِ قَبِيحٌ
فَالْمَالُ فِيهِ تَجَلَّةٌ وَمَهَابَةٌ * وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَقُبُوحٌ

وقال آخر

تقول ابنتي : إِنَّ انْطِلاقَكَ واحداً * إِلَى الرُّوعِ يَوْمًا تَارِكِي لا أَبَالِيَا
ذَرِينِي مِنَ الإِشْفاقِ أَوْ قَدَمِي لَنَا * مِنَ الحَدَثَانِ وَالْمَنِيَّةِ واقِيا
سَتَتَلَفُ نَفْسِي أَوْ سَأُجَمِعُ هَجْمَةً * تَرى ساقِيها يَأْمَانِ التَّراقِيا

وقال أوس بن حَجَر

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرًا * مِنَ المَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيُبَلِّغَ عُذْرًا أَوْ لِيَبْلُغَ حاجَةً ، * وَمُبْلِغُ نَفْسِ عُذْرِها مِثْلُ مُنْجِحِ

وقال آخر

رمى الفقرُ بالأقوامِ حتى كأنَّهم * بأَطْرارِ آفاقِ البلادِ نجومُ

قال كسرى : احذروا صولةَ الكَرِيمِ إذا جاع ، واللَّئيمِ إذا شبع . وقال الشاعر
خُلُقَانِ لا أَرْضِي اخْتِلافَهُما : * تَيْهَةُ الغِنَى ، وَمَذَلَّةُ الفَقْرِ
فَإِذَا غَنِيَتَ فلا تَكُنْ بِطَرًا * وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَتَهْ عَلَى الدَّهْرِ
وَاصْبِرْ ، فَلَسْتَ بِواجِدٍ خُلُقًا * أَدْنَى إلى فرجِ مِنَ الصَّبْرِ

كان أعرابي يمنع ابنه من التصرف إشفاقا عليه ، فقال شعرا فيه

إذا ما الفتى لم يبيغ إلا لِيأسِهِ * وَمَطْعَمَهُ ، فإلْحِيزُ مِنْهُ بَعِيدُ
يُذَكِّرُنِي خَوْفَ المَنايَا ، وَلَمْ أَكُنْ * لِأَهْرَبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ مَحِيدُ
فلو كُنْتُ ذَا مالٍ لَقُرَّبَ مَجْلِسِي * وَقِيلَ إِذا أَخْطأتُ : أَنْتَ رَشِيدُ
رَأَيْتُ الغِنَى قَد صارَ فِي الناسِ سُوْدَدًا ، * وَكانَ الفَتَى بِالْمَعْكُرُماتِ يَسُودُ

وإن قلتُ لم يُسمعَ مقالِي وإتني * كُبيدِي حَقَّ بينهم ومُعِيدُ
فَذَرْنِي أَجَوُّلٌ فِي البِلَادِ لَعَلَّهُ * يَسَّرُ صَدِيقٌ أَوْ يَسَاءُ حَسُودُ
أَلَا رُبَّمَا كَانَ الشَّفِيقُ مَضْرَّةً * عَلَيْكَ مِنَ الإِشْفَاقِ وَهُوَ وَدُودُ

وقال أعرابي من باهلة

سَأَعْمَلُ نَصَّ العَيْسِ حَتَّى يَكْفِيَنِي * غِنَى المَالِ يَوْمَا أَوْغِنَى الحَدَثَانِ
فَلَمُوتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا * عَلَى الحَزْبِ بالإِقْلَالِ وَسَمُّ هَوَايِنِ
مَتَى يَتَكَلَّمُ يُلْغِ حُسْنَ كَلَامِهِ * وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا : عَدِيمٌ بَيَّانِ
كَأَنَّ الغِنَى عَنِ أَهْلِهِ - بُوْرِكَ الغِنَى - * بغير لسانٍ ناطقٍ بلسانِ

الشرف والسؤدد بالمال ودم الفقر والحض على الكسب

أنشد ابن الأعرابي

وَمَنْ يفتَقِرُ فِي قومِهِ يَمجِدِ الغِنَى * وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَا جَدَّ العَمُّ مَحْوِلًا
يَمْنُونُ إِنْ أعطَوْا وَيَخْلُ بَعْضُهُمْ * وَيُحَسِبُ عَجْزًا سَكَنَهُ إِنْ تَجَمَّلَا
وَيُزِيرِي بعقل المرءِ قِلَّةُ مَالِهِ * وَإِنْ كَانَ أَقْوَى مِنْ رِجَالٍ وَأَحْوَلَا

وقرأت في كتاب للهند : ليس من خلة يمدح بها الغني إلا ذم بها الفقير، فان

كان شجاعا قيل أدوج، وإن كان وقورا قيل بليد، وإن كان لينا قيل مهذار،
وإن كان زميتا قيل عبي. وقال آخر

الفقر يزري بأقوام ذوى حسبي * وقد يسود غير السيد المال

وأنشد ابن الأعرابي

رُزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أَرْزَقْ مَرْوَةً * وَمَا المَرْوَةُ إِلَّا كَثْرَةُ المَالِ
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً يُقَعَّدُنِي * عَمَّا يَنْوَهُ بِأَسْمَى رِقَّةُ الحَالِ

(١) الزميت : كثير الوقار .

وقال آخر

يُغَطِّي عيوبَ المرءِ كثرةُ ماله * يُصَدِّقُ فيما قال وهو كَذُوبٌ
وَيُزِرِّي بعقل المرءِ قلةُ ماله * يُحَقِّقُه الأَقْوَامُ وهو لَيِّبٌ

وقال آخر

كم من لئيم الجُدودِ سَوَدَه السَّحَابُ، أبوه وأُمُّه الوَرِقُ
وكم كريم الجُدودِ ليس له * عيبٌ سوى أن ثوبه خَلَقُ
أدبه سادةٌ كرامٌ فما * ثوباه إلا العفافُ والخُلُقُ

وأُشِدُّ التَّيَاشِيَّ

غَضَبَانِ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَالَ سَاقٍ لَهُ * مَا لَمْ يَسْقَهُ لَهُ دِينٌَّ وَلَا خُلُقُ
لَوْلَا ثَلَاثُونَ أَلْفًا سَقَّتْهَا بَطْرًا * إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا ضَاقَتْ الطَّرُقُ
فَمَنْ يَكُنْ عَنِ كِرَامِ النَّاسِ يَسْأَلُنِي * فَأَكْرَمُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ لَهُ وَرَقُ

وقال أَحِيحَةَ بنِ الجَلَّاحِ

اسْتَفِنِ أَوْمَتْ وَلَا يَفْرُكُ ذَوْنَشَبِ * مِنْ آبِنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالٍ
يَلُوونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ حَقِّ أَقْرَبِهِمْ * وَعَنْ صَدِيقِهِمْ وَالْمَالُ بِالْوَالِي
وَلَا أَزَالُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرَهَا، * إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانَ ذُو الْمَالِ
كَلَّ النَّدَاءِ إِذَا نَادَيْتُ يَخْذُلُنِي * إِلَّا نَدَائِي إِذَا نَادَيْتُ يَا مَالِي

وقال حَسَّانُ

رُبَّ حَلِيمٍ أَضَاءَهُ عَدَمُ الْمَالِ * لَوْ جَهَلِي غَطَّى عَلَيْهِ النِّعَمُ

وقال الهُدَلِيُّ

رَأَيْتُ مَعَاشِرًا يُنْتَنِي عَلَيْهِمْ * إِذَا شَبِعُوا وَأَوْجَهُهُمْ قِبَاحُ

(١) في العقد الفريد «حيران» . (٢) في الأصل «قلت له الناس انخ» والتصويب عن العقد الفريد .
(٣) في الأصول يعزرك بالعين والزاي، والتصويب عن الأغاني . (٤) في القاموس: الزوراء، مال لأحيجة .

يَظَلُّ الْمُصْرِمُونَ^(١) لِمِ سَجُودًا * وَلَوْ لَمْ يُسَقِّ عِنْدَهُمْ ضِيَاخَ^(٢)

ويروى يُلْف. وقال بعضهم: وددت أن لي مثل أحد ذهبا لا أنتفع منه بشيء.

قيل له: فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمني عليه. قال الصلتان

إذا قلت يوما لمن قد ترى: * أروني السري، أروك الغني

وسرك ما كان عند أمري * وسر الثلاثة غير الخفي

وقال آخر

لا تسأل الناس: ما مجدي وما شرفي، * الشأن في فضتي والشأن في ذهبي

لو لم يكن لي مال لم يطر أحد * بابي ولم يعرفوا مجدي ومجد أبي

وقال آخر

أجلك قوم حين صرت إلى الغني، * وكل غني في العيون جليل

ولو كنت ذا عقل ولم تؤت ثروة * ذلت لديهم والفقير ذليل

إذا مالت الدنيا على المرء رغبت * إليه ومال الناس حيث يميل

وليس الغني إلا غني زين الفتى * عشية يقري أو غداة ينيل

وقال آخر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * إلى كل من يعدو من الناس مذنب^(٣)

وكان بنو عمي يقولون مرحبا * فلما رأوني مُعدما مات مرحب

وقال آخر

أبا مصلح أصلح ولا تك مفسدا * فان صلاح المال خير من الفقر

ألم تر أن المرء يزداد عزة * على قومه إن علموا أنه مثرى

وقال عمرو بن الورد

ذريني للغني أسجي فإني * رأيت الناس شرهم الفقير

(١) المصرم: الفقير الكثير العيال. (٢) الضياخ: اللبن الرقيق المزوج بالماء.

(٣) كذا بالأصول، وفي العقد الفريد «يلق».

وأبعدهم وأهونهم عليهم * وإن أمسى له حسبٌ وخيرٌ
ويُقَصِّيه الندى وتزدريه * حليلته وبينهره الصغيرُ
وتُلْفِي ذَا الغِنَى وله جلالٌ * يكاد فؤاد صاحبه يطيرُ
قليلٌ ذنبه والذنبُ جمٌ * ولكن للغنى ربٌ غفورٌ

وقال زيد بن عمرو بن نُفيل

وَيَكَاُنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُحْسَبُ * وَمَنْ يَفْتَقِرُ عَيْشَ عَيْشِ ضَرٍ
وَيُجَنَّبُ سِرَّ النَجِي * وَلَكِنْ أَخَا الْمَالِ مُحَضَّرٌ كُلُّ سِرٍّ

وقال آخر

ألم تربيته الفقر يُهجرُ أهله * وبيت الغنى يُهدى له ويُزارُ .

وقال آخر

إذا ما قتل مالك كنت فردا * وأى الناس زُقار المقل ؟

وقال عبد العزيز بن زُرارة

وما لبَّ اللبيبُ بغيرِ حظٍ * بأغنى في المعيشة من قَبيلِ
رأيتُ الحظَّ يسترُ عيبَ قومٍ * وهياتُ الحظوظُ من العقولِ

وقال الطائي

الصبرُ كأسٌ وبطنُ الكفِّ عاريةٌ * والعقلُ عارٍ إذا لم يُكسَّ بالنَّسبِ
ما أضيعَ العقلُ ان لم يرَّعَ ضيعته * وفرًا، وأى رحا دارت بلا قُطْبِ؟

وقال آخر

عِشْ بِجِدِّ وَلَا يَضُرُّكَ نَوْكٌ ^(١) * انما عيشُ من ترى بالحدودِ
عِشْ بِجِدِّ وَكُنْ هَبْنَقَةَ الْقَيْدِ * نَوْكًا أَوْ خَالِدَ بْنَ يَزِيدِ ^(٢)

(١) في الأصول «فلم» ، والتصويب عن البيان للمحافظ .

(٢) في البيان للمحافظ «شبية بن الوليد» ، وهو الموافق لما في اللسان في مادة هبتق .

وقال الطائي

يَنَالُ الفتي من عيشه وهو جاهلٌ * ويُكْذِبُ الفتي في دهره وهو عالمٌ
ولو كانت الأرزاقُ تجري على الحجَا * هلكنَ إذا من جهلهنَّ البهائمُ

وقال المرار

إذا لم تُرَافِدْ في الرِّفَادِ ولم تُسُقْ * عدوا ولم تستغنِ فالموت أروحُ

وقال ابن الدمينة الثقفي

أطعتُ العِرسَ في الشهواتِ حتى * أعادتني عَسِيفًا عبدَ عبدٍ
إذا ما جئتها قد بعثتُ عَدَا * تُعَانِقُ أو تُقَبِّلُ أو تُفَدِّي

وقال الأسعر الجعفي

وخصاصةُ الجعفي ما دأبته * لا ينقضى أبدا وإن قيل انقضى
إخوانُ صديقٍ ما رأوكِ بَغِيطَةً * فإن افتقرتَ فقد هوى بك ما هوى

وقال آخر

إذا المرء لم يكسب معاشا لنفسه * شكا الفقر أولا قى الصديقَ فأكثرَا
وصار على الأذنين كَلًّا وأوشكت * صِلَاتُ ذوى القربى له أن تنكرا
فيسر في بلاد الله وأتمس الغنى * تعيش ذا يسار أو تموت فتعدرا
وما طالب الحاجات من حيث تُبتغى * من الناس إلا من أجد وشمرا
فلا ترض من عيش بدونٍ ولا تم * وكيف ينأى الليل من كان مُعسرا

وقال آخر

من يجمع المال ولا يُتَبُّ به * ويترك العامَ لعامَ جَدِّ به

* يهنُّ على الناس هوانَ كلبه *

٢٠

قال أبو اليقظان : ماساد مُمْلِقٌ قط الا عُبَّةُ بن ربيعة .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن حماد بن سلمة عن عبيد الله بن العيزار عن عبد الله بن عمرو أنه قال: أحرث لديناك كأنك تعيش أبدا وأحرث لآخرتك كأنك تموت غدا .

قال حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثني أصحاب أيوب عن أيوب قال : كان أبو قلابة يَحْتَنِي على الاحتراف ويقول : إن الغنى من العافية .

قال وقال الأصمعي : سأل اعرابي عن رجل فقالوا : أحقُّ مرزوقٌ، فقال : ذاك والله الرجل الكامل . وكان يقال : من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين : الدين والعرص . ويقال في بعض كتب الله : أظنني فيما أمرك ولا تعلمني بما ينفعك وأمدد يدك لباب من العمل أفتح لك بابا من الرزق . وكان يقال : من غلَى دماغه في الصيف غلَّت قدره في الشتاء . ويقال : حفظُ المال أشدُّ من جمعه . وقال الحسن : إذا أردتم أن تعلموا من [أين] أصاب المال فانظروا فيم ينفقه فإن الخبيث يُنْفِقُ سَرَفًا . ونحوه قولهم : من أصاب مالا من نَهاوِشٍ أذهبه الله في نَهايرِ . ويقال في مثل « الكد قبل المد » يراد الطلب قبل العجاجة والعجز . وقال لقيط « الغزوا أدز للقاح وأحد للسلاح » . وقال أبو المعافى

وإن التواني أنكح العجز بنته * وساق إليها حين زوجهها مهرا

فراشا وطيثا ثم قال لها آتكي * قصاراهما لا بد أن يلبدا الفقرا

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) في الأصل « مهارش » بالميم ، والتصحيح عن لسان العرب

في مادة نهر . (٣) هكذا بالأصول ولعلها محرفة عن الحاجة . (٤) في النسخة الألمانية هكذا :

« وقال لقيط الفزاري دز للقاح وأحد للسلاح » وفي الفتوغرافية « الغز » بغير واء ، والتصويب عن جمع

الأمثال ليداني .

- وقال زيد بن جبلة : لا فقير أفقر من غني أمن الفقر . وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : ما دون أربعة آلاف درهم نفقة ، وما فوقها كثر . ويقال : القبر ولا الفقر . ويقال : ما سبق عيال مالا قط إلا كان صاحبه فقيرا . وقيل لرجل من البصريين : مالك لا ينمي مالك؟ قال : لأنني اتخذت العيال قبل المال واتخذ الناس المال قبل العيال . ويقال : العيال سوس المال .
- وقيل لمديني : كيف حالك؟ قال : كيف يكون حال من ذهب ماله وبقيت عادته . ويقال : الغني في الغربية وطن والفقر في الوطن غربة .

حدثني محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال : شكاني من الأنبياء الى الله شدة الفقر فأوحى الله اليه : هكذا جرى أمرك عندي أفتريد من أجلك أن أعيد الدنيا .

- قال أبو حاتم قال حدثنا العتيبي قال سمعت يونس بن حبيب يقول : ما أجذب أهل البادية قط حتى تسويهم السنة ثم جاءهم الحصب إلا عاد الغني الى أهل الغني .
- قال الأصمعي رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل بمنى فقلت : يا أمة الله تسألين ولك هذا الجمال ! قالت : قدر الله فما أصنع؟ قلت : فمن أين معاشكم؟ قالت : هذا الحاج نتقممهم ونغسل ثيابهم . فقلت : فاذا ذهب الحاج فمن أين؟ فنظرت الى وقالت : يا صلب الجبين ! لو كنا إنما نعيش من حيث نعلم لما عشنا . وقال الشاعر
- أتراني أرى من الدهر يوما * لي فيه مطية غير رجلى
وإذا كنت في جميع فقالوا * قربوا للرجيل قدمت نعلي
حيثما كنت لا أخلف رجلا * من رأني فقد رأني ورجلي

- قيل لمديني : ما عندك من آلة الحج؟ قال : التلية . وقيل لآخر : ما عندك من آلة العصيدة؟ قال : الماء . وقيل لآخر : ما عندك من آلة القريس؟ قال : الشتاء .

ذم الغنى ومدح الفقر

قال شريح : الجدة كنية البهل . وقال أكرم بن صيفي : ما يسرني أني مكفي كل أمر الدنيا . قيل : وإن أسمنت وأبنت ؟ قال : نعم ، أكره عادة العجز . وكان يقال : عيب الغني أنه يورث البله ، وفضيلة الفقر أنه يورث الفكرة . وقال محمد بن حازم الباهلي : ما الفقر عار ولا الغنى شرف * ولا سخاء في طاعة سرف مالك إلا شيء تقدمه * وكل شيء أخرته تلف تركك مالا لوarith يتناه وتصلي بجره أسف

وقال ابن منذر

رَضِينَا قِسْمَةَ الرَّحْمَنِ فِينَا * لِنَا عِلْمٌ وَللْتَحْفِي مَالٌ
وَمَا التَّقْفِي إِنْ جَادَتْ كُسَاه * وَرَاعَكَ شَخْصُهُ إِلَّا خِيَالٌ

وقال أنس بن مالك : لما خرج مروان من المدينة مر بماله بذي خشب فلما نظر إليه قال : ليس المال إلا ما أشرجت عليه المناطق . وروى عن المسيح أنه قال : في المال ثلاث خصال ، قالوا : وما هي يا روح الله : قال : لا يكسبه من حله قالوا : فإن فعل قال : يمنع من حقه ، قالوا : فإن لم يفعل ، قال : يشغله إصلاحه عن عبادة ربه . قيل لابن عمر : توفي زيد بن حارثة وترك مائة ألف درهم ، قال : لكننا لا نتركه . وقال المعلوط

وَلَا سَوْدُ الْمَالِ الدُّنْيَى وَلَا دَنَا * لِذَاكَ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ يُسْوَدُ
مَتَى مَا يَرَى النَّاسُ الْغَنَى وَجَارَهُ * فَقِيْرًا يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيْدٌ

(١) في النسخة الألمانية : «يسوفني» . وهو خطأ .

(٢) في القاموس : وخشب بكنب واد بالجماعة وواد بالمدينة ، وفي المرتضى في شرح القاموس وابن الأثير

في النهاية أنه واد على مسيرة ليلة من المدينة وله ذكر كثير في الأحاديث والمغازي ويقال له ذو خشب .

(٣) كذا بالأصل ، وفي الحاشية : «وجاره فقير» بالرفع على أن الواو للحال .

وليس الغنى والفقير من حيلة الفتى * ولكن أحاط قسمت وجدود
فكم قد رأينا من غنى مذمم * وصعلوك قوم مات وهو حميد
إذا المرء أعبته المروءة ناشئا * فطلبها كهلا عليه شديد

وقال آخر

ولا تبهين الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه
الأخفش قال: قال المبرد: أريد النون الخفيفة في ولا تبهين فأسقط التنوين لسكونه
وسكون اللام . وقال آخر

ولست بنظار إلى جانب الغنى * إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإني لصبار على ما يسوبني * لأني رأيت الله أثني على الصبر

وقال أعرابي يمدح قوما

إذا افتقروا عَضُوا على الصبر حَسْبَهُ * وإن أيسروا عادوا سِرَاعًا إلى الفقر
يقول : يعطون ما عندهم حتى يفتقروا . قال الحسن : عيرت اليهود عيسى بن
مريم بالفقر فقال : من الغنى أُنَيْمُ ، وقال : حسبك من شرف الفقر أنك لا ترى
أحدا يعصى الله ليفتقر . أنشد ابن الأعرابي

المال يغشى رجلا لا طبأخ بهم * كالتسيل يغشى أصول الدندين البالي
وقال الطائي

لا تنكري عطل الكريم من الغنى * فالتسيل حرب للكان العالي

قال عمر بن الخطاب : من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله . قال

أعرابي : الغنى من كثرت حسناته والفقير من قل نصيبه منها . وقال ذو الأصبغ

(١) عبارة المبرد في الكامل بعد أن أورد البيت : أراد ولا تبهين بالنون الخفيفة لخصفها لالتقاء الساكنين
ظلم ما هنا محرف عن « فأسقط النون لسكونها وسكون اللام » . (٢) عزاء في اللسان إلى حسان
ابن ثابت ، ثم قال وورد هذا البيت في شعر لحيمة بن خلف الطائي . (٣) الطبأخ : القوة ، قال في اللسان
ومعناه في البيت : لا عقل لهم . (٤) ما يلي وعفن من أصول الشجر .

لِي أَبْنُ عَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُأَقِي * مَخَالْفُ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي
أَزْرَى بِنَا أَنَا شَالَتْ نَعَامُنَا * نَخَالِي دُونَهُ بَلْ خَلْتَهُ دُونِي

وقال آخر

إِنَّ الْحَرَامَ غَزِيرَةٌ حَلَبَاتُهُ * وَوَجَدْتُ حَالِبَةَ الْحَلَالِ مَصُورًا
قِيلَ لِأَعْرَابِي : إِنْ فَلَانَا أَفَادَ مَا لَا عَظِيمًا قَالَ : فَهَلْ أَفَادَ مَعَهُ أَيَّامًا يُنْفِقُهُ فِيهَا ؟
وَفِي كِتَابِ الْهِنْدِ : ذُو الْمَرْوَةِ يَكْرَمُ مُعْدِمًا كَالْأَسَدِ يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضًا ، وَمَنْ لَا مَرْوَةَ
لَهُ يُهَانُ وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا كَالْكَلْبِ وَإِنْ طَوَّقَ وَحُلِيَ . وَقَالَ خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ
أَعَادِلْ إِنْ الْمَالَ أَعْلَمُ أَنَّهُ * وَجَامِعَهُ لِلْعَائِلَاتِ الْعَوَائِلُ
مَتَى تَجْعَلِنِي فَوْقَ نَعَشِكَ تَعَلَّمِي * أَيُّغْنِي مَكَانِي أَبْكُرِي وَأَفَائِلِي

وقال آخر

إِذَا الْمَرْءُ أَثْرَى ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ * أَنَا السَّيِّدُ الْمُقْضَى إِلَيْهِ الْمَعْظَمُ
وَلَمْ يُعْطِهِمْ خَيْرًا أَبْوَأَ أَنْ يَسُودَهُمْ * وَهَانَ عَلَيْهِمْ رَغْمُهُ وَهُوَ أَظْلَمُ

وقال زَبَانُ بْنُ سَيَّارٍ

وَأَسْنَا كَقَوْمِ مُحَدَّثِينَ سَيَادَةً * يُرَى مَا لَهَا وَلَا يُحْسُ فَعَالِمًا
مَسَاعِيهِمْ مَقْصُورَةٌ فِي بَيْوتِهِمْ * وَمَسَاعَاتُنَا ذُبْيَانُ طُرًّا عِيَالَهَا

وقال أبو عبيد الله الكاتب : الصبر على حقوق المرء أشد من الصبر على ألم الحاجة ، وذلة الفقر مانعة من عز الصبر كما أن عز الغنى مانع من كرم الإنصاف .
وقال بعض المتكلمين في ذم الغنى : ألم تر ذا الغنى ما أذوم نصبه ، وأقل راحته ، وأخس من ماله حظه ، وأشد من الأيام حذره ، وأغرى الدهر بثلمه وتقضه ، ثم هويين سلطان يراه ، وحقوق تسترثيه ، وأكفاء يتنافسونه ، وولدي يودون فراقه ، قد بعث عليه الغنى من سلطانه العناء ، ومن أكفائه الحسد ، ومن أعدائه البغى ، ومن ذوى

الحقوق الذم، ومن الولد الملامة، لا كذى البلغة قنع فدام له السرور، ورفض الدنيا
فسلم له الجسد، ورضى بالكفاف فتكبتة الحقوق. صخر أعرابي بكثرة العيال والولد
مع الفقر وبلغه أن الوباء بخير شديد نخرج إليها بعياله يعرضهم للوت، وأنشأ يقول

قلت لحى خيبر أستعدى * هالك عيالي وأجهدى وجدى

وباكري بصالي وورد * أعانك الله على ذا الجند

فاخذته الحى فمات هو وبنى عياله. وكتب عمر بن الخطاب الى ابنه عبد الله:

يا بنى، اتق الله، فإنه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، فلتكن

التقوى عماد عينيك وجليء قلبك، وأعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ولا اجر لمن

لا حسبة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خلق له. وقال محمود الوراق

يا عائب الفقر ألا تزدجر * عيب الغنى أكثر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى إن صح منك النظر

أنك تعصى الله تبغى الغنى * ولست تعصى الله كي تفتقر

وقال آخر

ليس لي مال سوى كرمي * فيه لي أمن من العدم

لا أقول : الله أعدمني * كيف أشكو غير متهم

قنعت نفسي بما رزقت * وتمطت بالعلي همي

وجعلت الصبر سابعة * فهي من قرني الى قدي

فاذا ما الدهر عاتبني * لم يجذني كافراً نعي

التجارة والبيع والشراء

قال : حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن ابن إسحق عن حدثه يرفعه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بُعِثْتُ مَرَعْمَةً وَمَرَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ تَاجِرًا

وَلَا زَرَّاعًا وَإِن شَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّجَارُ وَالزَّرَّاعُونَ إِلَّا مَنْ شَحَّ عَنْ دِينِهِ» . وفي حديث

آخر رواه أبو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جبير: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الكسب أطيب قال: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ» .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا عون بن عُمارة عن هشام بن حسان عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: من تَجَرَ في شيء ثلاث مرات فلم يُصَبْ فيه فليتحول منه الى غيره. وقال: فترقوا بين المنايا، وأجعلوا الرأس رأسين ولا تُثَوِّا بدار معجزة. وقال: اذا اشتريت بغيراً فاشتره عظيم الخلق فإن أخطأك خيرٌ لم يُخطئك سوقٌ. وقال: بيع الحيوان أحسن ما يكون في عينك. وقال الحسن: الأسواق موائد الله في الأرض فمن أتاها أصاب منها. ابن المبارك عن معمر عن الزبير قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع شيئاً، فقال: «عليك بالسوم أول السوق فإن الرباح مع السباح». وكان يقال: استمع يستمع لك. وفي بعض الحديث المرفوع: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج». وقيل للزبير: بم بلغت ما بلغت من اليسار؟ قال: لم أردد رجلاً ولم أسترعيباً. دخل ناس على معاوية فسألهم عن صنائعهم، فقالوا: بيع الرقيق. قال: بئس التجارة ضمان نفس ومثونة ضرس.

باع رجل ضيعة فقال للشترى: أما والله لقد أخذتها ثقيلة المثونة قليلة المنفعة، فقال: وأنت والله لقد أخذتها بطيئة الأجماع سريعة التفريق. واشترى رجل من

(١) رواه ابن الأثير في النهاية وابن منضور في اللسان «فترقوا عن المنية واجعلوا الرأس رأسين الخ» وقالوا في تفسيره: اذا اشتريتم الرقيق أو غيره من الحيوان فلا تغالوا في الثمن واشتروا بثن الرأس الواحد رأسين فان مات الواحد بق الآخر فكأنكم فرقتم مالكم عن المنية اه ولا تلتوا بدار معجزة أى لا تقيموا بدار يسبزم فيها طلب الرزق وتحولوا عنها الى غيرها .

رجل داراً فقال له المشتري: لو صبرتَ لا شريتُ منك الذراعَ بعشرة، فقال: وأنت لو صبرتَ بعنك الذراع بدرهم .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي أن أبا سفيان بن العلاء باع غلاماً له بثلاثين ألفاً فقال عمر بن أبي زائدة: هذا أحق، قالوا: كيف؟ قال: لأنه لم يبلغ ثلاثين ألفاً حتى أعطى قبل ذلك عشرون ألفاً فكيف أنتظروم يغتمها . ورؤى عبد الله ابن جعفر يُمَا كس في درهم قليل له: أئما كس في درهم وأنت تجود من المال بما تجود به؟ قال: ذلك مالي جدتُ به وهذا عقلي ^(١) يَجِلُّته . ابتاع ابن عمر شيئاً فحنا له البائعُ على المكيال فقال له ابن عمر أرسل يدك ولا تُمسِكْ على رأسه فإنما لي ما يجمله المكيال . كان جرير بن عبد الله إذا اشترى شيئاً قال لصاحبه: إن الذي أخذنا منك خيرٌ مما أعطيناك إذ أظنُّ أنه كذلك فانت بالخيار . اشترى عمرو بن عبّيد إزاراً للحسن بستة دراهم ونصف فأعطاه سبعة دراهم فقال الرجل: انما بعته بستة دراهم ونصف، فقال عمرو: إني اشتريته لرجل لا يقاسم أخاه درهما .

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الزناد قال: إذا عَزَبَ المَالُ قَلَّتْ فواضِلُهُ، لا بَلْحَةَ ولا بُسْرَةَ ولا رُطْبَةَ ولا كُرْثَانَةَ . ونحوه قول بعض المجازيين سَأْبِغِيكَ مَالًا بِالْمَدِينَةِ إِنِّي * أَرَى عَازِبَ الْأَمْوَالِ قَلَّتْ فَوَاضِلُهُ

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف: قَسَمَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ بَيْنَنَا أَمْوَالَنَا وَقَالَ لِي: يَا بِنَ أَخْتِي إِنِّي أَوْثِرُكَ بِالْقَرَابَةِ، اعْلَمْ أَنَّهُ لَا مَالَ لِأَنْحَرَقَ وَلَا عَيْلَةً عَلَى مُصْلِحٍ، وَخَيْرُ الْمَالِ مَا أَطْعَمَكَ لَا مَا أَطْعَمْتَهُ، وَإِنَّ الرَّقِيقَ جَمَالٌ وَلَيْسَ بِمَالٍ . قال زياد: ليس لذي ضَعْفٍ

(١) كذا بالأصل ولعله بجلت به .

مثل أرض عُثْرٍ وليس لدى جَاهٍ مثلُ نَحْرَاجٍ وليس لِنَاجِرٍ مثلُ صَامِتٍ . قال رجل
لآخِرٍ: بكم تبيع الشاة؟ قال: أخذتها بستة وهي خير من سبعة وقد أعطيتُ بها ثمانية
فإن كانت من حاجتك بتسعة فزِنُ عشرة . كان يقال: خيرُ المالِ عينُ نحرارة،
في أرض خَوَّارة، تُفَجِّرُهَا الفارة، تسهرُّ إذا نِمَّتْ، وتشهدُ إذا غِبتْ، وتكون عِقْباً
إذا مِتت . عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: إن الله
إذا أبغض عبداً جعل رزقه في الصَّباح . وقال الفضيل مثل ذلك وقال: أما سمعت
إلى أهلِ دارِ البطيخِ والملاحينِ ودويهم .

قال حدثنا أحمد بن الخليل قال حدثنا أحمد بن الحارث الهجيمي قال حدثنا
المبارك بن سعيد عن بُرد بن سنان عن نافع عن ابن عمر أنه كان لا يرى بالمكائسة
والمعاكسة في الشراء والبيع بأساً .

قال حدثني محمد قال حدثني الأصبهاني عن يحيى بن أبي زائدة عن مجالد عن
أبي بردة . قال: أتى عمرُ غلاماً له يبيع الحُللَ، فقال له: إذا كان الثوب عاجزاً فأنشره
وأنت جالسٌ وإذا كان واسعاً فأنشره وأنت قائم . قال، فقلتُ له: الله الله يا عمرُ.
قال: إنما هي السوق . قال عبد الله بن الحسين: غلَّةُ الدورِ مُسَكَّةٌ وغلَّةُ النخلِ
كَفَافٌ وغلَّةُ الحَبِّ الغني . قال أعرابي

زيادةُ شيءٍ تُلِحِقُ النفسَ بالمُنَى * وبعضُ الغلاءِ في التجارة أربحُ
ولما بلغ عُتْبَةُ بنَ غَزْوَانَ أن أهلَ البصرة قد اتخذوا الضياعَ وعمَّروا الأرضين
كتب إليهم: لا تُنْهَكُوا وجهَ الأرضِ فإن شحمتها في وجهها . قال أعرابي
وفي السوقِ حاجاتٌ وفي النَّدِ قِلَّةٌ * وليس بمُقْضَى الحاجِ غيرُ الدَراهِمِ .

قال ميمون بن ميمون: من اشتري الأشياءَ بِنَعْتِ أهلها غِن .
(١) كذا بالأصل . ولم نجد في القاموس أو اللسان أفضى بمعنى قضى . ولعله: وليس مُقْضَى الخ .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي . قال : حدثني شكر الحرشي ^(١) قال : جاء الحسن بشاة فقال لي يعها وأبرأ من أنها تقلب المعلق وتزع الويد من قبل البيع لئلا يقولوا ندم . قال الشاعر

إذا ما تاجر لم يؤف كلاً * فصب على أنامله الجذام

ابن الزيات في الطائي

رأيتك سهل البيع سمحاً وإنما * يغالي إذا ما ظن بالشىء بائعاً ^(٢)
هو الماء إن أحميته طاب شربه * ويكدر يوماً أن تبأح مشارعه

حدثت عن شيان بن قزوخ عن أبي الأشهب عن الحسن قال : كان رجل يتجر في البحر ويحمل الخمر يأتي بها قوماً ، فعمد إليها فزجها نصفين وأتاهم بها فباعها بحساب الصرّف وأشترى قرداً فحمله معه في السفينة ، فلما لحج في البحر لم يشعر إلا وقد أخذ القرد الكيس وعلا على الصاري وجعل يلقي ديناراً في البحر ودينارا في السفينة حتى قسمه قسمين . قال رجل من الحاج : أتانا رجل من الأعراب بالرمل في طريق مكة بغرارة فيها كجاة ، فقلنا له : يكم الغرارة؟ فقال : بدرهمين ، فقلنا : لك ذلك ، فأخذناها ودفعنا إليه الثمن ، فلما نهض قال له رجل منا : في آست المغبون عود ، فقال : بل عودان وضرب الأرض برجله فاذا نحن على الكجاة قيام . قيل لأعرابي : ألا تشتري لابنك بطيخة . فقال : لا ، أو يبلغ من كساده أن يكون إذا تناول من بين يدي البقال وأخذه وعداً رماه بأخرى ولم يعد خلفه . اشترى أعرابي غلاماً فقال للبائع : هل فيه من عيب ، فقال : لا ، غير أنه يبول في الفراش . فقال : ليس هذا بعيب ، إن وجد فراشاً فليبل فيه .

٢٠

(١) في الألمانية «الحارثي» .

(٢) هكذا بالأصل ظن بالظاء ولعله ضن بالضاد المعجمة بمعنى بخل .

الدِّين

قال ثابت قُطْنَةُ : الدِّينُ عُقْلَةُ الشَّرِيفِ . وقال دُلَيْمٌ
 اللَّهُ لَقِيَ مِنْ عَرَابَةِ بَيْعَةٍ * عَلَى حِينِ كَادَ النَّقْدُ يَعْسُرُ عَاجِلُهُ
 وَلَوْ بَنَانَ الْكَفِّ يَحْسُبُ رَجْمَهُ * وَلَمْ يَحْسُبِ الْمَطَّلَ الَّذِي أَنَا مَاطِلُهُ
 سِيرَضِي مِنَ الرَّبْحِ الَّذِي كَانَ يَرْتَجِي * . أَسَ الَّذِي أُعْطِيَ وَهَلْ هُوَ قَابِلُهُ

عبد الرازق عن ابن جريج قال : رأني عمرو وأنا متقنع ، فقال : يا أبا خالد ، إن لقمان
 كان يقول : القِنَاعُ بِاللَّيْلِ رِيْبَةٌ وَبِالنَّهَارِ مَذَلَّةٌ ، فقلتُ : إن لقمان لم يكن عليه دينٌ .
 كتب يعقوب بن داود إلى بعض العباد يسأله القدوم عليه ، فأتى محمد بن النضر
 الحارثي فاستشاره وقال : لعل الله يقضي ديني ، فقال محمد بن النضر : لأن تلقى الله
 وعليك دينٌ ولك دينٌ خيرٌ من أن تلقاه وقد قضيتَ دينك وذهب دينك ، قال
 عياض بن عبد الله : الدِّينُ رَايَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ عَبْدًا جَعَلَهَا طَوْقًا
 فِي عُنُقِهِ . دخل عتبة بن عمرو على خالد القسري . فقال خالد يعترض به : إن ههنا
 رجالا يذانون في أموالهم فإذا فنيت آذانوا في أعراضهم . فقال عتبة : إن رجالا
 لا تكون مروءاتهم أكثر من أموالهم فيذانون على سعة ما عند الله ، فنجعل خالد وقال :
 إنك منهم ما علمت . وقال أعرابي يذكر غرماً له

جاءوا إلى غضاباً يَلْغَطُونَ مَعَا * يَسْنِفِي أذَانَهُمْ أَنْ غَابَ أَنْصَارِي
 لَمَّا أَبَوْا جَهْرَةً إِلَّا مَلَازِمِي * أَجْمَعْتُ مَكْرَأَهُمْ فِي غَيْرِ انْكَارِ
 وَقَلْتُ إِنِّي سَيَاتِينِي غَدًا جَلِي * وَإِنْ مَوَعِدَكُمْ دَارُ أَبِي هَبَّارِ
 وَمَا أَوْاعِدُهُمْ إِلَّا لِأَرْبِهِمْ * عَنِّي فَيُخْرِجُنِي تَقْضِي وَإِمْسَارِي

(٢) في المقد الفريد : لأدراهم .

(١) في الألمانية عمير بالتصغير .

وما جلبتُ اليهم غيرَ راحلةٍ * تتخدي برحلى وسيف جفنه عارى
إن القضاء سيأتى دونه زمنٌ * فاطوِ الصحيفةَ وأحفظها من الفار^(١)

وقال آخر لغرمائه

ولو علقتموني كلَّ يوم * برجلي أويدي في المنجنيق
لما أعطيتكم إلا تراباً * يطيرُ في الخيَاشم والحلوق

وقال آخر

إن آخيتَ الأميرَ قتلَ سلامٌ * عليك ورحمةُ الله الرحيم
وأما بعد ذلك فلي غريمٌ * من الأعراب قُبِحَ من غريم
له ألفٌ على ونصفُ ألفٍ * ونصفُ النصفِ في صكِّك قديم
دراهم ما أنتفعتُ بها ولكن * وصلتُ بها شيوخَ بني تميم

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي . قال : جاء رجل من بني مخزوم الى الحارث بن عبد الله بن نوفل وهو يقضى عن أخيه ديناً فقال : إن لى على أخيك حقاً ، قال : ثبتَّ حقك تُعطه . قال : أئمن ملاءة أخيك ووفائه ندعى عليه ما ليس لنا؟ فقال : أئمن صدقك ويرك تقبل قولك بغير بينة؟ . لزم سهل بن هارون دينٌ كثيرٌ ، فقال أعرابي يوصيه بالتواري عن غرمائه

انزل أبا عمرو على حد قرية * تررع الى سهل كثير السلائق
وخذ نفق اليربوع فأسلك طريقه * ودع عنك إني ناطق وأبن ناطق
وكن كأبي قطب على كل رائع * له باب دار ضيق العرض سامق
وأبو قطبة خناق كان بالكوفة مولى لـكنة .

حدثني محمد بن عبيد . قال : حدثني سُفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير أن رجلاً كان يُبايع الناس ويدينهم ، وكان له كاتب ومُتَجَرٌّ ، فيأتيه
(١) في المقد الفريد : النار .

المُعَسِّرُ والمستَنْظِرُ فيقول لكتابه : أَكَلْتُ وَأَسْتَنْظِرُ وتجاوز ليوم يتجاوز الله عنا فيه ،
فمات لا يعمل عملاً غيره فغفر الله له . قال سُقْرَانُ القُضَاعِيّ

لو كنتُ مولى قيس عيلان لم تجد * على لإنسانٍ من الناس درهما
ولكنني مولى قُضَاعَةَ كلها * فلستُ أبالي أن أدين وتغرمًا

بلغني عن يحيى بن أيوب عن الأعمش عن إبراهيم . قال : أرسل عمر إلى
عبد الرحمن بن عوف يستسلفه أربع مائة درهم ، فقال عبد الرحمن : أتستسلفني وعندك
بيت المال ، ألا تأخذ منه ثم ترده ، فقال عمر : إني أتخوف أن يصيبني قدرى ،
فتقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا لأمر المؤمنين . حتى يؤخذ من ميزاني يوم القيامة ،
ولكنني أتسلفها منك لما أعلم من شحك فإذا ميتٌ جئت فاستوفيتها من ميراثي .

كتب أبو عباد المهلب^(١) إلى صديق له مكثرٍ يستسلفه مالا ، فأعتل عليه بالتعذر
وضيق الحال ، فكتب إليه ابن عباد^(١) : إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وإن كنت
ملوماً فجعلك الله معذورا . أبو اليقظان قال : كان الفضل بن العباس بن عتبة بن
أبي لهب الشاعر يعين الناس فإذا حلت دراهمه ركب حماراً له يقال له شاربُ الريح
فينقف على غرمانه ويقول

بني عَمْنَا رُدُّوا الدراهمَ إنمَّا * يُفَرِّقُ بين الناس حُبُّ الدراهم

وكان رجل من بني الدَّيْلِ عَسِرَ القضاءَ فإذا تعلق به غرماؤه فز منهم وقال
فلو كنتُ الحديدَ لكسروني * ولكنني أشدُّ من الحديد

فعمينه الفضلُ فلما كان قبل المحلِّ جاء فبني مَعْلَقاً على باب داره ، وكان يقال
للرجل عَقْرِبَ فلقى كل واحد من صاحبه شِدَّةً ، فهجاه الفضل فقال

(١) في الأمانة المهلب ولم نقف على من اشتهر بابي عباد وهو ابن عباد سوى أبي عباد يحيى بن عباد
الضبي البصري ولكن المنسوب إلى المهلب هو محمد بن عباد بن حبيب المهلب .

قد تجرت في دارنا عقرب * لا مرحباً بالعقرب الناجره
 إن عادت العقربُ عدنا لها * وكانت النعلُ لها حاضره
 كلُّ عدوٍ يتقى مُقبلاً * وعقربٌ تُخشى من الدائره
 إن عدوا كيدُه في آسته * لغيرُ ذى كيدٍ ولا نائره

قال بعضهم : ثلاثة من عازهم عادت عزته ذلة : السلطان ، والوالد ، والغريم .
 وفي الحديث المرفوع : «لصاحب الحق اليد واللسان» . المدائني قال : سائر بعض خلفاء
 بنى أمية رجلاً وهو يجادته ثم قطع حديثه وأصفر لونه ، فقال له الرجل : ما هذا
 الذى رأيت منك؟ قال : رأيت غريماً لى ، قال الشاعر

إذا ما أخذت الدين بالدين لم يكن * قضاءً ولكن كان غرماً على غرم

وقال آخر

١٠

أخذت الدين أدفع عن تِلادى * وأخذُ الدين أهلكُ للتِلاد

كان لرجل من يَحْصَبَ على رجل من باهلة دينٌ ، فلما حل دينه هرب الباهلى
 وأنشأ يقول

إذا حل دينُ اليحصبي فقل له : * تزود بزاد وأستعين بدليل

١٥

سَيُصْبِحُ فوقِ أقمِ الرأسِ واقعاً * بقالى قَلاً أو من وراء دَبِيل

قال المحدث بهذا : فحدثني من رآه بقالى قَلاً أو بدبيل وهو مصلوب وقد وقعت
 عليه عُقابٌ . وقف أبو فرعون الأعرابي على باب قوم يسألهم ، فحلفوا له : ما عندهم
 شيء يُعطونه ، فقال : استقرضوا لنا شيئاً ، فقالوا : ما يُقرضنا أحد شيئاً ، فقال
 أبو فرعون : ذلك لانكم تأخذون ولا تعطون ، أو قال ولا تقضون . أتى قومٌ عبادياً
 فقالوا : نحب أن تُسلفَ فلانا ألفَ درهمٍ وتؤخره بها سنةً ، قال : هذه حاجتنا ،

٢٠

(١) الذى فى اللسان : سيصبح فوق أقم الريش واقعاً .

وسأقضى لكم إحداهما، وإذا أنا فعلتُ فقد أنصفتُ، أنا أوخره ماشاء . كتب عمر
ابن عبد العزيز إلى رجل له عليه دينٌ: قد آن للحق الذي عندك أن يرجع إلى أهله ،
وتستغفر الله تعالى من حبسه .

اختلاف الهمم والشهوات والأمانى

اجتمع عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان
بفناء الكعبة ، فقال لهم مصعبٌ : تمنوا فقالوا : ابدأ أنت . فقال : ولاية العراق
وتزوج سكينه ابنة الحسين وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، فقال ذلك وأصدق كل
واحدة خمسمائة ألف درهم وجهزها بمثلها . وتمنى عروة بن الزبير الفقه وأن يحمل عنه
الحديثُ فقال ذلك . وتمنى عبد الملك الخلافة فناها . وتمنى عبد الله بن عمر الجنة .
قال قتيبة بن مسلم لحصين بن المنذر : ما السرورُ؟ قال : امرأةٌ حسناء ، ودارٌ
قوراء ، وفرسٌ مرتبطٌ بالفناء . وقيل لضرار بن الحسين : ما السرورُ؟ قال : لواءٌ
منشور ، وجلوسٌ على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير . وقيل لعبد الملك بن
صالح : ما السرورُ؟ فقال

كل الكرامة نلتها * إلا التحية بالسلام

يريد أنه لم يُسلم عليه بالخلافة . وأخذه من قول الآخر

من كل ما نال الفتى * قد نلتُه إلا التحية

يريد الملك . قيل لعبد الملك بن الأهم : ما السرورُ؟ فقال : رفعُ الأولياء ، وخطُّ

الأعداء ، وطولُ البقاء ، مع القدرة والنماء . وقال آخر

أطيبُ الطيبات قتلُ الأعدى * واختيالٌ على متون الجياد

وأيا دِ حَبَوْتِهِنَّ كَرِيماً * إن عند الكريم تزكو الأيادي

(١) في النسخة الألمانية «والتهن» .

- قيل للفضل بن سهل : ما السرور؟ فقال : توقيعٌ جائز وأمرٌ نافذ . وقال يزيد بن أسد يوما : أيُّ شيءٍ أسرُّ إلى القلوب ؟ فقالوا : رجلٌ هوى زمانا ثم قدر ، فقال : إن هذا السرور . وقال آخر : رجل طلب الولد زمانا فلم يولد له ثم بشر بغلام ، فقال يزيد : أسرَّ من هذا كله قفلةً على غفلة . قيل لبعض الحكماء : تمن ، فقال : مُحَادثة الإخوان ، وكفَّاف من عيش يسدُّ خَلَّتِي ويسترعورتى ، والانتقال من ظلٍ إلى ظل . قيل لآخر : ما بقى من ملاذك ؟ قال : مناقلةُ الإخوان الحديثَ على التَّلَاعِ العُرفى اللبالي القمر . قيل لامرئ القيس : ما أطيبُ عيش الدنيا؟ فقال : بيضاء رُعبوبةً ، بالطيب مشوبةً ، بالشحم مكروبة . وقيل لطرفه مثل ذلك فقال : مطعمٌ شهى وملبسٌ دفى ، ومركبٌ ويطى . وقيل للأعشى مثل ذلك ، فقال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوبٍ غادية . وقال طرفه

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن سبق العاذلات بشربة * كُتبت متى ما تُعل بالماء تُزِيد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * بهكنة تحت الطراف المعمد
وكرى اذا نادى المضاف محبا * كسيد الغضا نبتته المتورد

وقال أبو نواس

قلت بالقفص ليحيى * ونداءى نيامُ
يارضيعى ندى أم * ليس لى عنه فطامُ
لأنا العيش سماع * ومدامٌ وندامُ
فاذا فاتك هذا * فعلى العيش السلامُ

وقال سحيم

تقول حذراء: ليس فيك سوى الخمر معاب يعيبه أحدُ

(١) كذا بالأصل ولعله « مشوبة » .

فقلتُ: أخطأتُ، بل مُعَاقِرَتِي السُّخْمَرُ وَبَذَلِي فِيهَا الَّذِي أَجِدُ
هُوَ السَّنَاءُ^(۱) الَّذِي سَمِعْتِ بِهِ * لَا سَبْدٌ مَحْتَدِي^(۲) وَلَا لَبْدٌ
وَيَحِكُ لَوْلَا الْخَمُورُ لَمْ أَحْفِلِ السُّعَيْشَ وَلَا أَنْ يَضْمَنِي لَحْدٌ
هِيَ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ وَاللَّهُوَلَا * أَنْتِ وَلَا ثَرَوَةٌ وَلَا وِلْدٌ

وقال أبو الهندي

تَرَكْتُ الْخَمُورَ لِأَرْبَابِهَا * وَأَصْبَحْتُ أَشْرَبُ مَاءَ قَرَّاحَا
وَقَدْ كُنْتُ حِينَا بِهَا مُعْجَبًا * كَتَبَ الْغَلَامُ الْفَتَاةَ الرَّدَّاحَا
وَمَا كَانَ تَرَكَى لَهَا أَتْنِي * يَخَافُ نَدِيمِي عَلَى افْتِضَاحَا
وَلَكِنْ قَوْلِي لَهُ مَرْحَبًا * وَأَهْلًا مَعَ السَّهْلِ وَأَنْعَمَ صَبَاحَا

وقال آخر

أَسْقِنِي بِالْكَبِيرِ إِنِّي كَبِيرٌ * إِنَّمَا يَشْرَبُ الصَّغِيرَ الصَّغِيرُ
لَا يُفْرَنُكَ يَا عَيْدُ خُشُوعِي * تَحْتَ هَذَا الْخُشُوعِ فِسْقٌ كَثِيرٌ

كان ابن عائشة يُنشد

لَمَّا رَأَيْتُ الْحِظَّ حِظَّ الْجَاهِلِ * وَلَمْ أَرِ الْمَغْبُوبَ غَيْرَ الْعَاقِلِ
رَحَلْتُ عَفْسًا مِنْ كَرُومِ بَابِلِ * فَبِنْتُ مِنْ عَقْلِي عَلَى مَرَاغِلِ

وقال آخر

شَرِبْنَا مِنَ الدَّادِي حَتَّى كَأَنَّنا * مَلُوكٌ لِهَمِّ بَرِّ الْعِرَاقِيْنَ وَالْبَحْرِ
فَلَمَّا أَنْجَلَتْ شَمْسُ النَّهَارِ رَأَيْتُنَا * تَوَلَّى الْغَنَى عَنَّا وَعَاوَدَنَا الْفَقْرُ

قال بعضهم : العيشُ كله في كثرة المال وصحة البدن ونحو ذلك . وكان

يقال : ليس السرورُ للنفس بالجدَّة ، إنما سرورُ النفس بالأمل . قال يزيد بن معاوية :

(۱) في النسخة الألمانية : التاء . (۲) في النسخة الألمانية : مغلدي .

ثلاث تُخْلِقُ الْعَقْلَ وَفِيهَا دَلِيلٌ عَلَى الضَّعْفِ : سُرْعَةُ الْجَوَابِ ، وَطُولُ التَّمَتِّي ، وَالاسْتَفْرَابُ فِي الضَّحْكَ . وَكَانَ يُقَالُ : الْمُنَى وَالْحُلْمُ أَخَوَانُ . وَسُئِلَ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ : أَيُّ شَيْءٍ أَذْوَمُ إِمْتَاعًا ؟ فَقَالَ : الْمُنَى . وَقَالَ الشَّاعِرُ

إِذَا تَمَنَيْتُ بِتُّ اللَّيْلَ مُغْتَبِطًا * إِنَّ الْمُنَى رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ

وقال آخر

مَا فَاتَنِي مِنْكَ فَإِنَّ الْمُنَى * تَدْنِيهِ مِنِّي فَكَأَنَّا مَعَا ^(١)

وقال آخر

وَإِنْ لَوْ أَلَيْسَ شَيْئًا سِوَى * تَسْلِيَةِ اللَّوْمَاءِ بِالْبَاطِلِ

وقال بعض الأعراب

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى * وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَانًا رَغْدًا ^{١٠}
أَمَانِيٍّ مِنْ سُعْدَى عِدَابًا كَأَنَّمَا * سَقَّتْكَ بِهَا سُعْدَى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا

وقال بشار

كُررْنَا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى * فَلَدَّ لَنَا مَجْمُودُهَا وَذَمِيمُهَا

وقال المجنون

أَيَا حَرَجَاتِ الْحَيِّ حَيْثُ تَحْمَلُوا * بَدَى سَلَمٌ لِأَجَادِكُنَّ رُبِيعُ ^{١٥}
وَخِيَامَاتِكَ اللَّاتِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى * يَلِينُ بِي لَمْ تَبْلَهْنَ رُبُوعُ
فَقَدْتُكَ مِنْ نَفْسِ شَعَاعٍ فَطَلَمَا ^(٢) * نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ
فَقَرَّبْتِ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتِ * إِلَيْكَ ثَنَائِيَا مَا لَهْنِ طُلُوعُ ^(٣)

(١) فِي الْأَصْلِ «بَدْنِيهِ» . (٢) كَذَا فِي الْأَغَانِي وَاللَّسَانِ . وَفِي الْأَصُولِ «قَلْبٌ» .

(٣) فِي الْأَصُولِ «مَنَالُ ثَنَائِيَا الخ» . وَالنَّصُوبُ عَنِ الْأَغَانِي .

وقال ابن أبي الدُّمينة^(١)

يا ليتنا فردًا وحشٍ ندورُ معًا * نرعى المِثَانُ ونَحْنَى في نواحيها
أوليت كُدْرَ القَطَا حاقنٍ بي وبها * دون السماء فِعِشْنَا في خَوَافِهَا
أكثرُ من ليتنا لو كان ينفعني * ومن منى النفس لو تُعْطَى أمانِهَا

وقال كثير

فيا ليتنا يا عز من غير ريبة * بعيان نرعى في الفلاة ونعزب
نكونُ لذي مالٍ كثيرٍ يضيعنا * فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

وقال جرّانُ العود

ألا ليتنا طارت عُقَابٌ لنا معًا * لها سببٌ عند الحجرة أو وكر

وقال مالك بن أسماء

ولما نزلنا منزلًا طله الندى * أنيقًا وبُستانًا من النور حاليًا
أجد لنا طيبُ المكان وحسنه * مني فتمنينا فكنت الأمانيا

وأنشدنا الرّياشي

نهارى نهارُ الناس حتى إذا دجا * لي الليلُ ملّنى هناك المضاجعُ
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى والهَمُّ بالليل جامعُ

وأنشد أبو زيد

كأنى إذ أسعى لأظفر طائرٌ * مع النجم في جو السماء يطيرُ
فتى مُتلهى بالمنى في خلائه * وهن وإن حسنتهن غرورُ

(١) كذا بالأصول بزيادة أبي، والصواب ابن الدمينة .

(٢) المِثَان جمع من وهو ما صلب من الأرض وارتفع .

(٣) في ديوان ابن الدمينة : « مزخى اليك » بدل « ملّنى هناك » .

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : زعم شيخ من بني القُحَيْف قال : تمنيتُ داراً
فكثتُ أربعة أشهر مُغتماً للدرجة أين أضعها . قال الوليد بن عبد الملك لبُدَيْحِ المُنْعِيّ :
خذ بنا في التمني فوالله لأغلبنك . قال : والله لا تغابني أبداً . قال : بلى . قال بُدَيْحُ :
فإني أتمنى كفلين من العذاب ، وأن يلعنني الله لعنا كثيراً نخذِ ضعفي ذلك . قال :
غلبتني لعنك الله . قيل لمزيد : أيسرك أن هذه الجنة لك ؟ قال : وأضربُ عشرين
سوطاً . قالوا : ولم تقول هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

الأصمعيّ عن مُبَشَّرِ بنِ بَشِيرِ أن رجلاً كان يطلبه الحجاج فمتر بساباط فيه كلب بين
جبين يقطر عليه ماؤهما . فقال : ياليتني مثل هذا الكلب ، فما لبث ساعة أن مرّ
بالكلب في عنقه حبلاً ، فسأل عنه ، فقالوا : جاء كتابُ الحجاج يأمر فيه بقتل
الكلاب . قال مَدِينِيّ لَكُوفِيّ : ما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال :
وَدِدْتُ أَنِّي وَقَيْتُهُ ولم يكن وصل إليه يوم أُحُدٍ ولا غيره شيء من المكروه إلا كان بي
دونه . قال المدينيّ : وَدِدْتُ أن أبا طالب كان أسلمَ فسُرَّ به رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم وأنى كافرٌ .

تمنى ابن أبي عتيق أن يهدى له مسلوخٌ يتخذُ منه طعاماً ، فسمعتُه جارةً له
فظنّت أنه قد أمر أن يُسْتَرَى له ، فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تدقُّ الباب ،
وقالت : شِمِمْتُ رِيحَ قُدُورِكُمْ بِخُبْتِ لِطَعِيمُونِي ، فقال ابن أبي عتيق : جيرانِي يَشْمُون
ريحَ الأمانِي .

وفي كتاب للهند أن ناسكا كان له عسل وسمن في بكرة ، ففكر يوماً فقال : أبيعُ
البكرة بعشرة دراهم ، وأشتري خمسة أعتز فأولدهن في كل سنة مرتين ، ويبلغ التناج
في سنين مائتين ، وأبتاعُ بكل أربع بقرة ، وأصيب بذراً فازرع ، ويئتي المالُ
في يدي ، فأتخذُ المساكن والعييد والإماء والأهل ويولد لي ابنٌ فأسميه كذا وأخذه

بالأدب ، فإن هو عصاني ضربتُ بعصاي رأسه وكانت في يده عصا فرفعها حاكياً للضرب ، فأصابت الجذرة فانكسرت ، وانصبَّ العسلُ والسمنُ على رأسه .

ابن الكلبي قال : كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان مسروراً قال
ليت أيامنا ببرقة خاخ * وليالك يا طويلُ تعودُ

وإذا كان مغتماً قال

ترى الشيء مما نتقي فتخافه * وما لا ترى مما يبي الله أكثرُ

الأصمعي عن أبيه قال قال زياد : أي الناس أنعم؟ قالوا : معاوية . قال :
فأين ما يلقي من الناس ! قالوا : فانت . قال : فأين ما ألقى من الثغور والحراج !
قالوا : فمن ؟ قال : شاب له سدادٌ من عيش ، وامرأةٌ قد رضيها ورضيته ، لا يعرفنا
ولا نعرفه ، فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه دينه ودنياه .

التواضع

قال حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدثنا مسلم بن قتيبة عن شيخ من
أهل المدينة قال [قال] رجاء بن حيوة : قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلح من
السراج فقلت : يا أمير المؤمنين لم لا أمرتني بذلك ، أو دعوت له من يصلحُه ؟
فقال : قمتُ وأنا عمرٌ وعدتُ وأنا عمرٌ .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كتب محمد بن كعب فانتسب وقال : القُرظي ،
فقبل له : أو الأنصاري . فقال : أكره أن أمُنَّ على الله بما لم أفعَل .

قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا عبد الله بن مسleme عن يعقوب بن حماد
المدني عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال : كان عمر بن الخطاب إذا سافر
لا يقوم في الظل ، وكان يراحلنا رحالنا ويرحل رحله وحده . وقال ذات يوم

لا يأخذ الليلُ عليك بالهَمِّ * والبس له القميص واعتم^(١)
وكن شريكاً نافعاً وأسلم * ثم آخذم الأقبام حتى تُحَدِّم

وروى وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأصابته رعدةٌ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «هون
عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد» .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : جالس الأحنف على باب دار ، فمرت به
ساقيةٌ فوضعت قيربتهَا وقالت : يا شيخ ، احفظ قيربتي حتى أعود ومضت ، فأتاه الآذن
وقال : انهض . فقال : إن معي وديعةً ، وأقام حتى جاءت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جرير بن حازم عن الزبير بن الحارث عن
أبي ليلى ، قال : مرّ بنا زياد وهو أمير البصرة ومعه رجل أو رجلان وهو على بغلة
قد طوق الحبل في عنقها تحت اللجام .

الأصمعي قال ، قال يحيى بن خالد : الشريف إذا نُقِرَ تواضع والوضيع إذا نُقِرَ
تكبر . الأصمعي قال : لا أراه أخذه إلا من كيس غيره .

حدثنا حسين بن حسن المرّوزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن
أيوب عن عمارة بن غزيرة عن عبد الله بن عمرو بن الزبير قال : إلى الله أشكو
حمدى ما لا آتي ، وذمى ما لا أترك .

قال حدثني أحمد بن الخليل عن أبي نعيم عن مُنْدِلٍ عن حميد عن أنس قال :
مرّ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في غلمانٍ فسلم علينا .

وحدثني أحمد بن الخليل عن عمر بن عامر عن شعبة عن جابر عن طارق التيمي
عن جرير بن عبد الله البجلي قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسوةٍ فسلم عليهن .

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصول وهو مختل الوزن . (٢) يقال نُقِرَ إذا نُودِيَ بأسمه من بين الأسماء .

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : أخبرني معمر قال : قلت لبحار لعطاء السلمي : من كان يخدم عطاء؟ قال : مَحْتَنُونَ كانوا في الدار يستقون له وضوءه . فقلت : أيوضئه مَحْتَنُونَ ! فقال : هو كان يظنهم خيرا منه . الأصمعي عن رجل عن النبي قال : آذى ابن محمد بن واسع رجلا ، فقال له محمد : أتؤذيه وأنا أبوك وإنما اشتريتُ أمك بمائة درهم .

قال عامر بن الظرب العدواني : يا معشر عدوان ، إن الخير ألوف عروف عروف ، وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه ، وإنى لم أكن حكيما حتى صحبت الحكماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم . قال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصابيد الشرف . كان يقال : اسمان متضادان بمعنى واحد : التواضع والشرف . وقال بزرجيمهر : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة . وقال الوليد : خدمة الرجل أخاه شرف . وقال عبد الله بن طاهر

أميل مع الذمام على ابن عمي * وأحمل الصديق على الشقيق
وإن ألفتني مليكا مطاعا * فإنك واجدى عبد الصديق
أفرق بين معروفي ومني * وأجمع بين مالي والحقوق

وقال آخر

وإنى لعبد الضيف من غير ذلة * وما في إلا تلك من شيمة العبد^(١)

ويقال : كل نعمة محسود عليها إلا التواضع . قال المسيح عليه السلام لأصحابه : إذا اتخذكم الناس رؤسا فكونوا أذنا . اعتم هشام بن عبد الملك فقام الأبرش ليسوى عمامته ، فقال هشام : مه إنا لا نتخذ الإخوان خولا . كان عمر بن الخطاب يلقط النوى ويأخذ النكث من الطريق ، فإذا مرّ بدار رمى بها فيها وقال : انتفعوا بهذا .

(١) جاء هذا البيت في الحماسة من أبيات مفتوحة الروى للفتح الكندي هكذا :
وإنى لعبد الضيف مادام نازلا * ولا شيمة لي غيرها شبه العبد

قال يوسف بن أسباط : يَجْزِي قَلِيلُ الْوَرَعِ مِنْ كَثِيرِ الْعِلْمِ ، وَيَجْزِي قَلِيلُ التَّوَاضِعِ مِنْ كَثِيرِ الْجَاهِدِ . وقال بكر بن عبد الله : إِذَا رَأَيْتَ أَكْبَرَ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقَنِي بِالْإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ أَصْفَرَ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقَنِي بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ إِخْوَانَكَ يُكْرِمُونَكَ فَقُلْ : نِعْمَةٌ أَحْدَثُوهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ تَقْصِيرًا فَقُلْ : بِذَنْبِ أَحَدِثِهِ . قال عبد الملك بن مروان : أَفْضَلُ الرِّجَالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رَفْعَةٍ ، وَزَهَدَ عَنْ قُدْرَةٍ ، وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ . قال ابن السَّمَاكِ لِعِيسَى بْنِ مُوسَى : تَوَاضَعُكَ فِي شَرَفِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ شَرَفِكَ . وقال عبد الملك بن مروان : ثَلَاثَةٌ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ : جُودٌ لغيرِ ثَوَابٍ ، وَنَصَبٌ لغيرِ دُنْيَا ، وَتَوَاضَعٌ لغيرِ ذُلٍّ .

قال إبراهيم النَّخَعِيُّ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ رِدْفًا . الْأَعْمَشُ عَنْ أَنَسٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْعَى إِلَى خُبْرِ الشَّعِيرِ وَالْإِهَالَةِ السَّنِيخَةِ ^(١) فَيُجِيبُ . قَالَ غَيْرُهُ : وَكَانَ لَا يَأْكُلُ مُتَّكِنًا وَيَأْكُلُ بِالْحَضِيضِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ . قَالَ أَوْسُ بْنُ الْحَدَّانِ : رَأَيْتُ أَبَا هُبَيْرَةَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ عُرِّي يَقُوبُ : الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ ، قَدْ جَاءَ الْأَمِيرُ . قَالَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ : رَأَيْتُ الْأَعْمَشَ خَارِجًا إِلَى الْعَبْدِ عَلَى حِمَارٍ مَقْطُوعِ الذَّنْبِ قَدْ سَدَّلَ رِجْلِيهِ مِنْ جَانِبٍ . الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : بَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَنْبَرِ إِذْ أَحْسَسَ مِنْ نَفْسِهِ بَرِيحَ نَحْرَجَتِ مِنْهُ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ مَيَّلْتُ بَيْنَ أَنْ أَخَافَكُمْ فِي اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ ، فَكَانَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ فَسَوْتُ ، وَهَآنَذَا أَنْزِلُ لِأَعِيدَ الْوَضُوءَ . كَانَ يُقَالُ : مَنْ لَمْ يَسْتَعِجِ مِنَ الْحَلَالِ قَلَّتْ كِبَرِيَاؤُهُ وَخَفَّتْ مَوَازِينُهُ . قَالَ مَعَاوِيَةُ : هَامَنَا أَحَدٌ إِلَّا فُتِّشَ ^(٢) عَنْ جَائِفَةٍ أَوْ مُنْقَلَةٍ خَلَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ . الْمُنْقَلَةُ الشَّجَةُ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْهَا

(١) الإهالة : ما يؤتد به من الأدهان ، والسنيخة : المنخيرة الريح .

(٢) يريد : ليس فينا أحد إلا وفيه عيب عظيم ، فاستعار الجائفة والمنقلة لذلك .

العظام ، والجائفة التي تباع جوف الدماغ • يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبي حمزة قال
[قال] إبراهيم : لقد تكلمت ولو وجدتُ بدءاً ما تكلمت ، وإن زماناً تكلمتُ فيه لزمانٌ
سوء • كان رجل من خثعم ردى فقال في نفسه

لو كنتُ أصعدُ في التكرم والعلا * كتحدرى أصبحتُ سيد خثعم

فباد أهل بيته حتى ساد فقال

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردى بالسود

أنشدني أبو حاتم عن الأصمعي في مثله

إن يقوم سودوك لحاجة * إلى سيد لو يظفرون بسيد

قال يحيى بن خالد : لست ترى أحدا تكبر في إمارته إلا وهو يعلم أن الذي نال
فوق قدره ، ولست ترى أحدا يضع نفسه في إمارة إلا وهو في نفسه أكثر مما نال
في سلطانه • ومثله ، قيل لعبيد الله بن بسام : فلان غيرته الإمارة ، فقال : إذا ولي
الرجل ولاية فراها أكثر منه تغير ، وإذا ولي ولاية يرى أنه أكثر منها لم يتغير •
ويقال : التواضع مع السخافة والبخل أحمد من السخاء والأدب مع الكبر ، فأعظم
بنعمة عفت من صاحبها بسيتين ، وأقبح بسية حرمت صاحبها حسنتين • وفي بعض
كتب العجم : علامة الأحرار ، أن يلقوا بما يحبون ويحرموا أحب إليهم من أن يلقوا
بما يكرهون ويعطوا ، فأنظر إلى خلة أفسدت مثل الجود فاجتنبها ، وأنظر إلى خلة
عفت مثل البخل فالزمها • كان يقال : الشرف في التواضع ، والعز في التقوى ، والغنى
في القناعة • أبو الحسن قال : خطب سلمان إلى عمر فأجمع على تزويجه ، فشق ذلك
على عبد الله بن عمرو وشكاه إلى عمرو بن العاص فقال : أنا أردته عنك ، فقال : إن رددته
بما يكره أغضبت أمير المؤمنين ، قال : على أن أردته عنك راضيا ، فأتى سلمان فضرب
بين كتفيه بيده ، ثم قال : هنيئا لك أبا عبد الله ، هذا أمير المؤمنين يتواضع بترويحك ،

فالتفت إليه مُغَضَّبًا وقال، أبي يتواضع ! والله لا أتزوجها أبدا . وقال المتر بن
مُنْقِذِ الْعَدَوِيِّ^(١)

يا حَبْدًا حين تُمَسِّي الرِّيحُ بَارِدَةً^(٢) * وَاِدَى أَشْيَءٍ ، وَفِيَانُ بِهِ هُضْمٌ
يُخْدَمُونَ ، كَرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ ، * وَفِي الرِّجَالِ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ خَدَمٌ
وَمَا أَصَاحِبُ قَوْمًا ثُمَّ أَذْكَرُهُمْ * إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمْ

- ابن المبارك عن ذر عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت ، فدنا عبد الله بن
عباس ليأخذ بركابه ، فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله ، فقال : هكذا أمرنا
أن نفعل بعلمائنا . فقال زيد : أرنى يدك ، فأخرج يده فقبلها زيد ، ثم قال : هكذا
أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا عليه السلام . قال عبد الله بن مسعود : رأس
التواضع أن تبدأ من لقيت بالسلام ، وأن ترضى بالذون من المجلس . ابن أبي الزناد
عن أبيه أن العباس بن عبد المطلب لم يمزق قط بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلا ترجلا
حتى يجوزهما إجلالا له أن يمز وهما راكبان وهو يمشى . كان سلمان يتعوذ بالله من
الشیطان والسلطان والعليج إذا استعرب . المدائني قال : سلم رجل على حسان
ابن أبي سنان فدعا له ، فقيل : أتدعولمثل هذا ! فقال : إن مما يفضلني به أن يرى
أني خير منه . قال عبد الله بن شداد : أربع من كن فيه فقد برئ من الكبر : من
اعتقل العترة ، وركب الجمار ، ولبس الصوف ، وأجاب دعوة الرجل الذون .

باب الكبر والعجب

- حدثني إبراهيم بن مسلم قال حدثنا أبو السكين قال حدثني عم أبي زحر بن
حصن قال ، قال رجل للحجاج : أصلح الله الأمير ، كيف وجدت منزلك بالعراق ؟
(١) جاءت هذه الأبيات في الحماسة ضمن قصيدة معززة إلى زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث ،
قال النبريزي : ويقال زياد بن منقذ . (٢) كذا في الأصل ، وفي الحماسة «بادرة» .

قال : خير منزل لو كان الله بلغني أربعة فتقربتُ بدمائهم إليه . قال : ومن هم؟
قال : مقاتل بن مسمع ، ولي سيجستان فأتاه الناس فأعطاهم الأموال ، فلما عزل
دخل مسجد البصرة فبسط الناس له أرديتهم فشى عليها ، وقال لرجل يمانيه : لمثل
هذا فليعمل العاملون . وعبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي ، حزب أهل البصرة
أمر نخطب خطبة أوجز فيها ، فنادى الناس من أعراض المسجد : أكثر الله فينا
أمثالك . فقال : لقد كلفتم الله شططاً . ومعبد بن زرارة ، كان ذات يوم جالسا
في طريق ، فمرت به امرأة فقالت : يا عبد الله كيف الطريقُ إلى موضع كذا ،
فقال : لهدت عبد الله ! أنا لهدت^(١) ، أراد كفى بك أنا ، يريد الفخر . وأبو سماك الأسدي^(٢) ،
أضل راحلته فألتمسها الناس فلم يجدوها ، فقال : والله لئن لم يردد علي راحتي
لا صليتُ له أبداً ، فألتمسها الناس حتى وجدوها ، فقالوا : قد رد الله عليك راحلتك
فصل ، فقال : إن يميني كانت صريا .^(٣)

قال أبو حاتم عن الأصمعي عن كُرْدَيْنِ الْمِسْمَعِيِّ . قيل لرجل متكبر : هل مرت
بك أحمر؟ فقال للسائل : تلك دواب لا يراها عمك . قال وقال كُرْدَيْنِ : رأني
ابن ميادة الشاعر فأعجبته لما رأى من جلدي وبياني . فقال : ممن أنت؟ قلت :
من بكر بن وائل ، فقال : وفي أي الأرض يكون بكر بن وائل ؟

قال أبو اليقظان : جلس رافع بن جبير بن مطعم في حلقة العلاء بن عبد الرحمن
الخرقي وهو يُقْرِئُ النَّاسَ . فلما فرغ قال : أتدرون لم جلستُ إليكم؟ قالوا :
لتسمع ، قال : لا ، ولكن أردتُ التواضع لله بالجلوس إليكم . قال : ومر محمد

(١) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ، وفي العقد الفريد الجزء الأول صفحة ٢٤٤ — : فقال : لمثل يقال
يا عبد الله ! و بك ! (٢) كذا بالأصول ، وفي العقد الفريد : « وأبو سماك الحنفي » وفي اللسان في مادة
صري : « أبو سماك الأسدي » . (٣) كذا بالفتوغرافية ، وفي الألمانية « ضريا » والذي في اللسان
والصاحح « علم ربي أنها مني صري » . بكسر الصاد وفتح الراء المشددة ، أي عزيمة فاطمة ويمين لازمة .

ابن المنذر بن الزبير بن العوام في حاجة له ، فانقطع ^(١) قبالة نعله ، فزرع الأخرى بقدمه ومضى وتركهما ولم يعرج عليهما . قال بعض الشعراء

وأعيرض عن ذي المال حتى يُقال لي * قد أحدث هذا نحوه وتعظما
وما لي كبير عن صديق ولا أبح * ولكنه فعلي إذا كنت مُعدما

- ٥ قيل لبعضهم : ما الكبر . قال : حَقُّ لم يدر صاحبه أين يضعه . قال معاوية بن أبي سفيان : قديم عاقمة بن وائل الحضرمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني رسول الله أن أنطلق به الى منزل رجل من الأنصار أنزله عليه ، وكان منزله في أقصى المدينة ، فأنطلقت معه وهو على ناقة له وأنا أمشي في ساعة حارة وليس عليّ حذاءٌ ، فقلت : احملني يا عم من هذا الحرّ فانه ليس عليّ حذاءٌ ، فقال : لست من أرادف الملوك ، قلت : إني ابن أبي سفيان ، قال : قد سمعت رسول الله عليه السلام يذكر ذلك ، قال قلت : فإني الى نعلك ، قال : لا تقبلها قدمك ولكن آمش في ظلّ ناقتي فكفأك بذلك شرقاً ، وإن الظلّ لك لكثير . قال معاوية : فما مرّ بي مثل ذلك اليوم قطّ ، ثم أدرك سلطاني فلم أواخذه بل أجلسته معي على سريري هذا . قال ابن يسار ولو لحظّ الأرض لي والدُّ * تطاّطت الأرض من لحظّته

وقال آخر

- ١٥ أتية على جنّ البلاد وإنسها * ولو لم أجد خلقاً لتهت على نفسي
أتية فما أدري من التيه من أنا * سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
فان زعموا أتى من الإنس مثلهم * فما لي عيبٌ غير أني من الإنس
وكان عند الرستمى قوم من التجار حضرت الصلاة فنهض ليصلي فنهضوا فقال :
٢٠ ما لكم ولهذا وما أتم منه ! الصلاة ركوعٌ وسجودٌ وخضوعٌ ، وإنما فرض الله هذا

(١) قال النعل : زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها .

يريد به المتكبرين والمتجبرين والملوك والأعظم مثل ومثل فرعون ذى الأوتاد
 ومُمرود وأنوشروان . وكان يقال : مَنْ رضى عن نفسه كثر الساخون عليه .
 قال الحسن : ليس بين العبد وبين ألا يكون فيه خير إلا أن يرى أن فيه خيراً .
 رأى رجلٌ رجلاً يَخْتال في مِشِيته ويتلفت في أعطافه ، فقال : جعلني الله مثلك
 في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي . قيل لعبد الله بن المبارك : رجلٌ قتل رجلاً
 فقلتُ إني خيرٌ منه ، فقال : ذنبك أشدُّ من ذنبه . قال الأحنف : عجبتُ لمن جرى
 في مجرى البؤل مرّين كيف يتكبر . ابن عُلَيَّة عن صالح بن رُسَم عن رجل عن
 مُطَرَف ، قال : لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحبُّ إلىّ من أن أبيت قائماً وأصبح
 مُعجَباً . وقال هشام بن حسان . سيئةُ تسوءك خير من حسنة تُعجِبك . قال أبو حازم :
 إن الرجل ليعمل السيئة ما عمل حسنةً قطّ أنفعَ له منها وإنه ليعمل الحسنة ما عمل

سيئةً قطّ أضرَّ عليه منها . قال الشاعر

أما ابنُ فروة يونسُ فكأنه * من كبره أير الحمار القائمُ
 ما للناسُ عندك غير نفسك وحدها * والناسُ عندك ما خلاك بهائمُ

قال المسعودي

مُسّاً ترابَ الأرض منها بخلقنا * وفيها المعادُ والمصيرُ إلى الحشر
 ولا تعجبا أن ترجعاً فُتسلما * فما خشي الأقبامُ شرّاً من الكبر
 ولو شئتُ أدلى فيكما غير واحد * علانيةً أو قال عندي في سترِ
 فإن أنا لم أمر ولم أنه عنكما * ضحكْتُ له حتى يابح ويستشيري

الأصمعي قال قال رجل : ما رأيتُ ذا كبرٍ قط إلا تحوّل داؤه في ، يريد أنى أنكبر عليه .

وقال آخر : ما تاه أحد قط على مرتين ، يريد إذا تاه مرة لم أعاوده . قال الشاعر
 يا مظهرَ الكبرِ إعجاباً بصورته * أنظر خلامك إن التّن تريب

لو فكر الناس فيما في بطونهم * ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن آدم غير الرأس مكرمة * وهو يخس من الأقدار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سهك * والعين مرمصاة والثغر ملعوب
يابن التراب وما كوال التراب غدا * أقصر فإنك ما كوال ومشروب

- ٥ دفع أردشير الملك الى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً، وقال له : اذا رأيتني قد
أشدت غضبي فادفعه اليّ، وفي الكتاب : أمسك فلست بباله انما أنت جسد يوشك
أن يأكل بعضه بعضاً ويصير عن قريب للذود والتراب . كان للسندی والى الحسر
غلام صغير قد أمره بأن يقوم اليه إذا ضرب الناس بالسياط فيقول له : ويلك
ياسندی، اذكر القصاص . كتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك
١٠ أبا جعفر عرج على خلطائك * وأقصر قليلاً عن مدى غلوائك
فإن كنت قد أعطيت في اليوم رفة * فان رجائي في غد كرجائك
قال لي بعض أصحابنا وأحسبه محمد بن عمر : سمعت رجلاً ينشد

ألا رب ذي أجل قد حضر * طويل التمني قليل الفكر
اذا هز في المشي أعطافه * تبينت في منكيه البطر

- ١٥ قال : فعدوت عليه لأكتب تمام القصيدة فوجدته قد مات . المدائني قال :
رأيت فلاناً مولى باهلة يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيت به بعد ذلك راجلاً
في سفر، فقلت له : أراجل في هذا الموضع ؟ قال : نعم، إني ركبت حيث يمشي
الناس فكان حقاً على الله أن يرجلني حيث يركب الناس . وقال أبو نواس في جعفر
ابن يحيى البرمكي

- ٢٠ وأعظم زهواً من ذباب على نحره * وأبخل من كلب عقور على عرق
ولو جاء غير البخل من عند جعفر * لما وضعوه الناس إلا على حرق

(١) هذا وارد على لغة من يلحق الفعل علامة الفاعل قبل ذكره وهي لغة أزدشوية .

وقال آخر

أَلْحُ جَلْحًا مِّنَ الْخُنْفَسَاءِ * وَأَزْهَىٰ إِذَا مَا مَشَىٰ مِنْ غَرَابِ

قيل لرجل من بني عبد الدار : ألا تأتي الخليفة ، قال : أخشى ألا يجمل الحسرُ شرفي . وقيل له : البس شيئاً فان البرد شديد ، فقال : حسبي يدفئني . قال أبو اليقظان : كان الحجاج أستعمل بلالاً الضبي على جيش وأغزاه قلاع فارس ، وكان يقال لذلك الجيش : يبي ، سُمي بذلك لأنه فرض فرضاً من أهل البصرة فكان أهلهم وأمهاتهم يأتونهم يقولون : يبي . وفي جيشه قال الشاعر

إلى الله أشكو أنني بث حارساً * فقام بلالاً فبال على رجلى
فقلت لأصحابي أقطعوها فإنني * كريمٌ وإنى لن أبلغها رحلى

مد أعرابي يده في الموقف وقال : اللهم إن كنت ترى يداً أكرم منها فاقطعها . قال نوح : سمعت الحجاج بن أرتاة يقول : قتلتى حب الشرف . وقيل له : مالك لا تحضر الجماعة ؟ قال : أكره أن يزحمى البقالون . كان جذيمة الأبرش - وهو الوضاح سُمي بذلك لبرص كان به - لا يُنادم أحداً ذهاباً بنفسه ، وقال : أنا أعظم من أن أنادِم إلا الفرقدين ، فكان يشرب كأساً ويصب لكل واحد منهما في الأرض كأساً ، فلما أتاه مالك وعقيل ببن أخته الذي آسَموته الشياطين قال لهما : احتكما ، فقالا له : مُنادمك ، فإدماه أربعين سنةً يجادئانه فيها ما أعادا عليه حديثاً . وفيهما يقول مُتمم بن نويرة

وتكا كندماني جذيمة حِقْبَةً * من الدهر حتى قيل لن تتصدعا

(١) كذا بالأصل وفي لسان العرب في مادة زها . وأورد المبداني المثل هكذا «ألح من الخنفساء» بالخاء المهملة ولم يشرحه ، وعلله في كتاب فرائد الآل بأن الخنفساء إذا وقعت عن موضع عادت إليه .

(٢) أصله بآبي ، أبدلت الهمزة فيه ياء ، انظر اللسان في مادة أبي . وفي الأغاني ج ٢ ص ١٥٥ أن الحجاج ضرب البعث على المحتلين ومن أنبت من الصبيان فكانت المرأة تجي ، إلى ابنا وقد جرد فتضمه إليها وتقول له بآبي جزعا عليه فسمي ذلك الجيش جيش بآبي .

وقال الهذلي

ألم تعلبي أن قد تفرق قبلنا * خيلاً صفاء مالك وعقبيل
 قيل لإياس بن معاوية : ما فيك عيب إلا أنك مُعجَبٌ ، قال : أفاُعجِبُكم؟ قالوا : نعم
 قال : فانا أحق أن أُعجَبَ بما يكون مني . ويقال : للعادة سلطانٌ على كل شيء ،
 وما استنبط الصوابُ بمثل المشاورة ، ولا حصنتِ النعمُ بمثل المواساة ، ولا اكتسبت
 اليغضةُ بمثل الكبر .

باب مدح الرجل نفسه وغيره

قال الله عز وجل حكايةً عن يوسف : (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ
 عليم) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا سيدُ ولد آدم ولا فخر" . وقال للأنصار :
 "والله ما علمتكم إلا تَقَلُّون عند الطمع وتكثُرُونَ عند الفزع" . وذَكَرَ أعرابي قوماً
 فقال : والله ما نالوا باطراف أناملهم شيئاً إلا وقد وطئناه بأخامص أقدامنا ، وإن
 أقصى مناهم لأدنى فعالنا . ابن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : كنتُ
 أمشي مع الشعبي وأبي سلمة ، فسأل الشعبي أبا سلمة : من أعلم أهل المدينة؟ فقال :
 الذي يمشي بينكما ، يعني نفسه . وقال الشعبي : ما رأيتُ مثلي ، وما أشاء أن ألقى رجلاً
 أعلم مني بشيء إلا لقيته . قال معاوية لرجل : من سيد قومك؟ قال : أنا . قال :
 لو كنت كذلك لم تَقُل . الوليد بن مسلم عن خلود عن الحسن قال : ذم الرجل نفسه
 في العلانية مدح لها في السر . كان يقال : من أظهر عيب نفسه فقد زكأها . الأعمش
 عن إبراهيم عن عبد الله قال : إذا أثنيت على الرجل بما فيه في وجهه لم تُزكّه .
 قال عمر بن الخطاب : المدح ذبج . ويقال : المدح وإفد الكبر . وقال علي بن الحسين :
 لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم ،
 ولا يصطحب أثنان على غير طاعة الله إلا أوشكا أن يفترقا على غير طاعة الله .
 قال وهب بن منبه : إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمن

أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك . ويقال في بعض كتب الله عز وجل : عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ! ولمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يغضب ! وأعجب من ذلك من أحب نفسه على اليقين وأبغض الناس على الظنون ! . وكان يقال : لا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك . وقال أعرابي : كفى جهلاً أن يمدح المادح بخلاف ما يعرف الممدوح من نفسه ، وإني والله ما رأيتُ أعشق للعروف منه . قال ابن المقفع : إياك إذا كنت والياً أن يكون من شأنك حب المدح والتركية وأن يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلماً من الثلثم يفتحون عليك منها ، وبأباً يفتتحونك منه ، وغيباً يغتابونك بها ويضحكون منك لها . وأعلم أن قابل المدح كمدح نفسه ، والمرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذي يجمله على رده ، فإن الراد له ممدوح والقابل له معيب . وقال البيهقي

ولست بمفراج إذا الدهر سرتني * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركي * ولكن متى أحمل على الشر أركب
ويعتده قومٌ كثير تجارة * ويمتنعني من ذلك ديني ومنصبي
فان مسيري في البلاد ومنزلي * لبالمزلة الأقصى إذا لم أقرب

قول الممدوح عند المدحة

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان أبو بكر يقول عند المدحة : اللهم أنت أعلم بي مني بنفسي وأنا أعلم بنفسي منهم ، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون وأغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون . قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي عن حماد بن سلمة قال : أثنى رجل على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في وجهه ، وكان شهمة ، فقال علي : أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك .

(١) لا يظهر ارتباط هذه الجملة بما قبلها ، وكأنه سقط من تمام الجملة ما ينظم به السياق ، ففي العقد الفريد صحيفة ١٠٩ ج ٢ ما نصه : وذكر أعرابي رجلاً فقال : ما رأيت أعشق للعروف منه . وفي الصحيفة نفسها : . ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : ان جهلاً أن يقول المادح بخلاف ما يعرفه من الممدوح وإني والله ما رأيت أعشق للكارم في زمان اللوم منك .

قيل لأعرابي : ما أحسن الثناء عليك ! فقال : بلاءُ الله عندي أحسنُ من وصف
المسادين وإن أحسنوا ، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الدائمين وإن أكثروا ،
فيا أسفاً على ما فرطتُ وياسوءاً مما قدمتُ . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الثناء إلا من مكافئ^(١) . ومن احسن ما قيل في مدح الرجل نفسه قولُ أعشى بن ربيعة

٥ ما أنا في أهلي ولا في عشيرتي * بمهتضمٍ حتى ولا قارحٍ سني
ولا مسلمٍ مولاي عند جنابةٍ * ولا خائفٍ مولاي من سوء ما أجنى
وإن فؤاداً بين جنبي عالمٌ * بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضلتني في الشعر واللُب أتى * أقول على علم وأعلم ما أعني
فأصبحتُ إن فضلتُ مروانَ وأبته * على الناس قد فضلتُ خيراً أب وأبن

وقال آخر

١٠ إذا المرء لم يمدحه حسنُ فعاله * فمادحه يهذي وإن كان مفصحا

وقال آخر

لعمرك أبىك الخير إني لخدمٌ * لصحبي وإني إن ركبتُ لفارس

وقال آخر

١٥ ونحن ضياءُ الأرض ما لم نسر بها * غضاباً، وإن تقضب فتجن ظلامها
وأنشد الحسن البصري^(٢) قول الشاعر

لولا جريرٌ هلكت بيبله * نعم الفتى وبئست القبيلة

(١) في اللسان مادة كفا بعد أن أورد الحديث : قال القتيبي معناه إذا أنعم على رجل نعمة فكافاه بالثناء
عليه قبل ثناءه وإذا أنى قبل أن ينعم عليه لم يقبلها . قال ابن الأثير وقال ابن الأنباري هذا غلط إذ كان أحد لا ينك
من إنعام النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله بعثه رحمة للناس كافة فلا يخرج منها مكافئ . ولا غير مكافئ . والثناء عليه
فرض لا يتم إلا به وإنما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه إلا من رجل يعرف حقيقة إسلامه ولا يدخل
عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم . قال وقال الأزهري وفيه قول ثالث : الأمن
مكافئ . أي مقارب غير مجاوز حد مثله ولا مقصر عما رفعه الله إليه . ومثله بالحرف في ابن الأثير .

(٢) في الأصل «الحسن بن البصري» وظاهر أن لفظة «ابن» من زيادات النساخ .

قال الحسن : ما مُدِحَ رجلٌ هُجِيَ قومه . وقال أبو الهندام
يقولون : الحديدُ أشدُّ شيءٍ * وقد تُني الحديدُ وما تُنبتُ
تَحِرُّ الأرضُ إن نُوديتُ باسمي * وتنهَّدُ الجبالُ إذا كُنبتُ
ومَدِحُ النفسِ في الشَّعرِ كثيرٌ ، وهو فيه أسهل منه في الكلام المنثور .

باب الحياء

حدثني أبو مسعود الدارمي ، قال : حدثني جدِّي نِخْرَاشُ عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : «الحياءُ شُعبَةٌ من الإيمان» . وروى ابنُ ثُمَيْرٍ عن الأُحوصِ
ابنِ حَكِيمٍ ، قال : حدثني أبو عَوْنُ المَدَنِيُّ قال : سَمِعْتُ سَعِيدَ بنَ المَسِيْبِ يقول :
قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «قِلَّةُ الحياءِ كُفْرٌ» . وروى جريرُ بنُ حازمٍ عن يعلى
ابنِ حَكِيمٍ عن رجلٍ عن ابنِ عمر ، قال : الحياءُ والإيمانُ مَقْرُونانِ جميعاً فإذا رُفِعَ
أحدهما أرتفع الآخرُ . وكان يقال : أَحْبَبُوا الحياءَ بِجَالِسَةٍ مَنْ يُسْتَحْبَبُ مِنْهُ . ذكر
أعرابيُّ رجلاً فقال : لا تراه الدهرَ إلا وكأنه لا غنى به عنك وإن كنت إليه أحوج ،
فإن أذنبتَ غفرَ وكأنه المذنبُ ، وإن أسأتَ إليه أحسنَ وكأنه المسيءُ . وقالت
ليلي الأَخِيلِيَّةُ

ومُقَدِّرٍ عنه القميصُ تَخَالُهُ * وَسَطَ البيوتِ من الحياءِ سَقِيماً
حتى إذا رُفِعَ اللوَاءُ رأيتَهُ * تحت اللوَاءِ على الخميسِ زَعِيماً

ونحوه قول الآخر إلا أنه في التواضع

يبدو فيبدو ضعيفاً من تواضعه * ويكفهر فيلني الأسود اللها

وقال أبو دَهَبِلِ الجَمَحِيُّ^(١)

إن البيوتَ معادنٌ فنجارُهُ^(٢) * ذهبٌ وكلُّ جُدوده ضنم^(٣)

(١) يمدح النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) في الأصول . «فتجارة» وهو تحريف والتصويب

عن الحماسة . (٣) في الحماسة «بيوته» يعني القبائل التي اكتنفت من أخواله وأعمامه .

مُتَهَلِّلٌ يَنْعَمُ لِلَّاءِ مُجَانِبٌ * سِيَّانٍ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعُدْمُ
نَزْرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالُهُ * ضَمِنًا وَلَيْسَ بِجِسْمِهِ سُقْمٌ
عُقْمِ النِّسَاءِ فَلَا يَلِدَنَّ شَبِيهَهُ * إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عَقْمٌ

حدثنا أبو الخطاب قال : حدثنا المعتمر ، قال : سمعتُ أَيْثَ بْنَ أَبِي سَلِيمٍ يُحَدِّثُ

٥ عن واصل بن حيان عن أبي وائل عن ابن مسعود ، قال : كان آخر ما حُفِظَ

من كلام النبوة « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » . قال الشاعر

تَخَالَمُ لِلْحَلْمِ صُحْمًا عَنِ الْخَنَا * وَخُرْسًا عَنِ الْفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَابِرِ

وَمَرْضَى إِذَا لُوقُوا حَيَاءً وَعِيفَةً * وَعِنْدَ الْحِفَاطِ كَاللِّيُوثِ الْخَوَادِرِ

وقال آخر

١٠ عليه من التقوى رداءٌ سَكِينَةٌ * وَلِلْحَقِّ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَاطِعٌ

وقال الشعبي : تعايش الناس زماناً بالدين والتقوى ، ثم رُفِعَ ذلك فتعايشوا بالحياء

والتدغم ، ثم رُفِعَ ذلك فما يتعايش الناس الا بالرغبة والرغبة ، وأظنه سيجيء ما هو

أشد من هذا .

باب العقل

١٥ حدثني اسحاق بن ابراهيم الشهيد ، قال : حدثنا الحارث بن النعمان ، قال : حدثنا

خَلِيدُ بْنُ دَعْلَجٍ عَنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ يَرْفَعُهُ ، قَالَ : « إِنَّ النَّاسَ يَعْمَلُونَ الْخَيْرَ وَإِنَّمَا

يُعْطُونَ أَجْوَرَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ » . مَهْدِيُّ بْنُ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ :

سَمِعْتُ مُطَرِّفًا يَقُولُ : عَقُولُ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ زَمَانِهِمْ .

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : وجدتُ

٢٠ في حكمة داود : ينبغي للعاقل أن لا يشغل نفسه عن أربع ساعات ، ساعة يناجي فيها

ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها هو وإخوانه والذين ينصحون له

في دينه وَيَصْدُقُونَهُ عن عيوبه ، وساعة يُخَلِّي بين نفسه وبين لذاتها فيما يَجِلُّ وَيُجَدُّ
فان هذه الساعة عونٌ لهذه الساعات وَفَضْلٌ بُلْفَةٌ وَاسْتِجَامٌ للقلوب . وينبغي للعاقل
أَنْ لَا يُرَى الا في إحدى ثلاثِ خِصَالٍ : تزويدَ لمعادٍ ، أو مَرَمَةَ لمعاشٍ ، أو لَذَّةً ،
في غير محترم . وينبغي للعاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، حافظاً للسانه ، مُقْبِلاً على شأنه .
قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا هلال بن حَقِّ قال ، قال عمرو بن
العاص : ليس العاقل الذي يَعْرِفُ الخيرَ من الشرِّ ولكنه الذي يَعْرِفُ خيرَ الشرِّينَ ،
وليس الواصلُ الذي يَصِلُ مَنْ يَصِلُهُ ولكنه الذي يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ . وقال زياد :
ليس العاقلُ الذي يَحْتَالُ للأمر إذا وقع ولكنه الذي يَحْتَالُ للأمر ألا يقع فيه .
قال معاوية لعمرو : ما بلغ من دهائك يا عمرو؟ قال عمرو : لم أدخل في أمرٍ قَطُّ
فكرهته إلا خرجتُ منه . قال معاوية : لكنني لم أدخل في أمرٍ قَطُّ فأردتُ الخروجَ
منه . وقرأتُ في كتابٍ للهند : الناسُ حازمان وعاجزٌ ، فأحدُ الحازمين الذي إذا نزل به
البلاءُ لم يَنْظُرْ به وتلقاه بجيلته ورأيه حتى يَخْرُجَ منه ، وأحزمُ منه العارفُ بالأمر إذا
أقبلَ فيدفعه . قبل وقوعه ، والعاجزُ في تردُّدٍ وتثَنٍّ حائرٌ بائسٌ لا يَأْتِمُرُ رَشْدًا ولا يُطِيعُ
مُرَشِدًا . وقال أعرابيٌّ : لو صَوَّرَ العقلُ لأظلمتُ معه الشمسُ ، ولو صَوَّرَ الحقُّ
لأضاءَ معه الليلُ . قال بعض الحكماء : ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أحبَّ إليه من العقلِ
وما عُصِيَ اللهُ بشيءٍ أحبَّ إليه من السترِ . أبو روقٍ عن الضحَّاك في قول الله عز
وجل (إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا تَكْتُمُ) قال : مَنْ كَانَ عَاقِلًا . ذكر المغيرةُ بن شُعْبَةَ عمر بن الخطاب
فقال : كان أفضلَ من أن يُخَدَّعَ وأعقلَ من أن يُخَدَّعَ .
حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب
ابن الشهيد قال ، قال إياس : لستُ بِحَبِّبٍ وَالحَبُّ لَا يَخْدَعُنِي وَلَا يَخْدَعُ ابْنَ سِيرِينَ
وَيَخْدَعُ أَبِي وَيَخْدَعُ الحَسَنَ . قال غيره : وكان كثيرًا ما يُنْشِدُ
أَبَالِي البلاءِ وَإِنِّي أَمْرُؤٌ * إذا ما تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبْ

وفي كتاب كلبلة ودمنة : الأدب يُذهِبُ عن العاقلِ السكرَ وَيَزِيدُ الأحمقَ سُكرًا ،
كما أن النهارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصِيرٍ بَصْرًا وَيَزِيدُ الخفايشَ سُوءَ بَصِيرٍ . وفيه : ذو العقلِ
لا يُبْطِرُهُ المنزلةُ والعِزُّ كالجبلِ لا يترعزعُ وإنْ أشتدَّتْ عليه الرِّيحُ ، والسَّخِيفُ يُبْطِرُهُ
أدنى منزلةٍ كالخشيش يُحرِّكُهُ أضعفُ رِيحٍ ، وقال تَابُطُ شَرًّا فِي هَذَا الْمَعْنَى ^(١)
ولستُ بِمَفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي * ولا جازِعٌ مِنْ صَرَفِهِ المُنْقَلَبِ
ولا أتمنى الشرَّ والشرُّ تارِكِي * ولكن متى أُحمَلُ على الشرِّ أركبِ

وفي كتاب كلبلة : رأسُ العقلِ التَّمييزُ بين الكائنِ والممتنعِ ، وحسنُ العزائمِ عما
لا يُسْتَطَاعُ . وفيه : العاقلُ يُقِلُّ الكلامَ وَيُبَالِغُ فِي العَمَلِ وَيَعْتَرِفُ بزلَّةِ عقله وَيَسْتَقْبِلُهَا
كالرجلِ يَعْتَرُّ بالأرضِ وبها يَنْتَعِشُ . ويقالُ : كُلُّ شَيْءٍ مَحْتَاجٌ إِلَى العَقْلِ ، والعَقْلُ
مَحْتَاجٌ إِلَى التَّجَارِبِ . قال يحيى بن خالد : ثلاثةُ أَشْيَاءَ تَدُلُّ عَلَى عَقولِ الرِّجَالِ : الكِتَابُ ،
والرَّسُولُ ، والهِدْيَةُ . وكان يقالُ : دَلَّ عَلَى عَقْلِ الرِّجْلِ آخِيارُهُ ، وما تَمَّ دِينُ أَحَدٍ حَتَّى
يَتَمَّ عَقْلُهُ ، وَأَفْضَلُ الجِهَادِ جِهَادُ الهَوَى . سُئِلَ أنوِشِرْوانُ : ما الذي لا تَعَلَّمُ لَهُ ، وما
الذي لا تَغَيِّرُهُ ، وما الذي لا مَدْفَعَ لَهُ ، وما الذي لا حِيلَةَ لَهُ . فقال : تَعَلَّمُ العَقْلَ ، وَتَغَيِّرُهُ
العُنْصِرُ ، وَدَفْعُ القَدَرِ ، وَحِيلَةُ المَوْتِ . وكان يقالُ : كِتَابُكَ عَقْلُكَ تَضَعُ عَلَيْهِ خاتَمَكَ .
وقالوا : كِتَابُ الرِّجْلِ مَوْضِعُ عَقْلِهِ ، وَرِسالُهُ مَوْضِعُ رَأْيِهِ . كان الحسنُ إذا أُخْبِرَ
عن رجلٍ بِصِلاحٍ قال : كَيْفَ عَقْلُهُ . وفي الحديثِ " أن جبريلَ عليه السلامُ أتى
أدَمَ عليه السلامُ فقال له : إني أتيتك بثلاثِ فاختَرِ واحِدَةً ، قال : وما هي يا جبريلُ ؟
قال : العَقْلُ والحِياءُ والدينُ . قال : قد آخَرْتُ العَقْلَ فخرَجَ جبريلُ إلى الحِياءِ والدينِ
فقال : ارجِعْما فقد اختارَ العَقْلَ عليكما ، فقالا : أَمِرنا أن نَكُونَ مَعَ العَقْلِ حيثُ كان "

(١) تقدّم هذان البيتان يتصل بهما بيتان آخران في باب مدح الرجل نفسه ص ٢٧٦ والأربعة
منسوبة هناك للبيث .

كان يقال : العقلُ يظهرُ بالمعاملةِ وشيِّمُ الرجالِ تظهرُ بالولاية . ويقال : العاقلُ يقي ما له بسلطانه ، ونفسه بماله ، ودينه بنفسه . قال الحسن : لو كان للناس جميعاً عقولٌ لخربت الدنيا . خير رجلٌ فأبى أن يختارَ وقال : أنا محظيٌ أوثقُ مني بعقلي فأقرعوا بيننا .

باب الحلم والغضب

- قال حدثني الزبَّادِيُّ قال : حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمَّخٍ كَانَ إِذَا حَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعَرَضِي عَلَى عِبَادِكَ“ .
- حدثنا زياد بن يحيى قال : حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَأَنْتَ فَاحِ أَوْدَاجِهِ“ . قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني عبد الله بن رجاء عن إسرائيل عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال ، قال رجل : يا رسول الله أوصني ، فقال : لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب . قال حدثني أحمد بن الخليل قال ، حدثني عبد الله بن نافع عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ“ . قال : حدثنا حسين بن الحسن المروزي ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : حدثنا حبيب بن حجر القيسي قال ، كان يقال : ما أحسن الإيمانَ يزينه العلمُ وما أحسن العلمَ يزينه العملُ وما أحسن العملَ يزينه الرفقُ ، وما أضيفَ شيءٌ إلى شيءٍ أزينَ من حلمٍ إلى عليمٍ ومن عفوٍ إلى مقدرٍ . وكان يقال : مَنْ حَلُمَ سَادَ وَمَنْ تَفَهَّمَ ازْدَادَ . والعرب تقول : احلمُ تسد . وقال : سمي الله يحيى

سيداً بالحلم . وقال عبد الملك بن صالح : الحلمُ يحمي بحياة السؤدد . أغلظ رجلٌ
لمعاوية فحلم عنه ، فقيل له : تحلم عن هذا ! فقال : إني لا أحولُ بين الناس وبين ألسنتهم
مالم يحولوا بيننا وبين سلطاننا . شتم رجلٌ الأحنف وأخَّ عليه ، فلما فرغ قال له :
يا بن أخي ، هل لك في الغداء ؟ فانك منذ اليوم تحذو بجملي فقال .

٥ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن بكر المزني
قال : جاء رجل فشم الأحنف فسكت عنه ، وأعاد فسكت ، فقال : والهفاه ! ما يمنعه
من أن يردَّ عليّ إلا هواني عليه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : أخبرنا عبد الله بن صالح من آل حارثة بن
لأم ، قال : نزلتُ برجلي من بني تغلب فاتاني بقرى فانفلت مني فقال
١٠ والتغلي إذا تنحح للقرى * حكَّ آسته وتمثل الأمثالا
فانقبضت فقال : كلُّ أيها الرجلُ فإنما قلت كلمة مقولة .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي ، قال : أسمع رجلٌ الشعبي كلاماً فقال له الشعبي : إن
كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك . ومرّ بقوم ينتقصونه فقال
هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامير * لعزةٍ من أعراضنا ما استحلت

١٥ وأستطال رجلٌ على أبي معاوية الأسود فقال : أستغفر الله من الذنب الذي سلطت
به عليّ . قال معاوية : إني لأرفع نفسي أن يكون ذنبٌ أوزن من حلمي . وقال معاوية
لأبي جهم العدوي : أنا أكبر أم أنت يا أبا جهم ؟ قال : لقد أكلتُ في عرس أمك
هندي ، قال : عند أي أزواجها ؟ قال : عند حفص بن المغيرة ، قال : يا أبا جهم ، إياك
والسلطان فانه يفضب غضب الصبي ويعاقب عقوبة الأسد ، وإن قليله يغلب كثير
الناس . وأبو الجهم هذا هو القائل في معاوية

(١) هكذا بالنسخ التي بين أيدينا ، ولعل الصواب "فقلت" . (٢) في النسخة الفتوغرافية يا أبا الجهم .

تَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا * إِذَا مِلْنَا تَمِيلُ عَلَى أَيْدِنَا
نُقَلِّبُهُ لِنُخَبِّرَ حَالَتِيهِ * فَنَخْبِرُ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينًا

(١) سَمِعَ الْأَحْنَفُ رَجُلًا يَنَازِعُ رَجُلًا فِي أَمْرٍ فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ : حَسْبُكَ إِلَّا ضَعِيفًا
فِيمَا تُحَاوِلُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا عَلَى ظَنِّكَ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ أَهْلِي ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ لِأَمْرِي مَا
قِيلَ : احذروا الجواب . جعل رجلٌ جعلًا لرجلٍ على أن يقومَ إلى عمرو بن العاص يسأله
عن أمه ، فقام إليه وهو يخطبُ على منبر تبتيس ، فقال له : أيها الرجل أخبرنا من أمك ،
فقال : كانت امرأةً من عترة أوصيت بأطراف الزماح فوقعت في سهم الفاكه بن
المغيرة فاشتراها أبي فوقع عليها ، انطلق وخذ ما جعل لك على هذا . قال الشاعر
قل ما بدالك من زورٍ ومن كذبٍ * حامي أصم وأذني غير صماء

نظر معاوية إلى ابنه يزيد وهو يضرب غلاما له ، فقال له : أتفسد أدبك بأدبه
فلم يرضاربا غلاما له بعد ذلك . قيل ليحيى بن خالد : إنك لا تؤدب غلمانك
ولا تضر بهم ، قال : هم أمناؤنا على أنفسنا فاذا نحن أخفناهم فكيف نأمنهم . وكان
يقال : «الحليم مطية الجهول» . وذكر أعرابي رجلا فقال : كان أحلم من فرخ طائر .
وفي الإنجيل : كونوا حلما كالحيات وبلهاء كالحمائم . قال بعض الشعراء
إني لأعريض عن أشياء أسمعها * حتى يقول رجال إن بي حقا
أخشى جواب سفيه لا حياؤه * فسلي ، وظن أناس أنه صدقا

قال الأحنف : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ورب غيظ قد تجرعتة مخافة
ما هو أشد منه . قال أكرم بن صيفي : العز والغلبة للحلم . وقال علي بن أبي طالب

(١) هكذا بالأصول . ولعله «لا أحسبك» . (٢) في النسخة الألمانية «الجود» ، وفي الفتوغرافية
«الجول» وكلاهما تحريف والتصويب عن جمع الأمثال للبدائي .
(٣) بهامش النسخة الفتوغرافية : الفسل من لا خير فيه . وفي القاموس : الرذل الذي لا مروءة له .
(٤) في الأصل الألماني «أخاف» وفي الفتوغرافية «يخاف» والتصويب عن العقد الفريد .

عليه السلام : أوَّلِ عَوِضِ الحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنْ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الجُّهُولِ . وقال المنصور : عقوبةُ الحُلَمَاءِ التَّعْرِيفُ ، وعقوبةُ السُّفَهَاءِ التَّصْرِيحُ .

قال حدثني سُهَيْلٌ قال حدثنا الأَصْمَعِيُّ قال : بلغني أن رجلاً قال لآخر : والله لئن قلت واحدةً لتسمعنَّ عشراً ، فقال له الآخر : لكك إن قلت عشراً لم تسمع واحدةً . قال : وبلغني أن رجلاً شتم عمر بن ذر فقال له : يا هذا لا تُفِرِّقْ في شتمنا ودع للصالح موضعاً ، فإني أمتُّ مُشَاتِمَةَ الرجالِ صغيراً وبنِ أحييها كبيراً ، وإني لا أكافئُ مَنْ عَصَى اللهَ فيِّ بأكثرٍ مِنْ أَنْ أُطِيعَ اللهُ فيه . وقال بعضُ المحدثين

وإِنَّ اللهَ ذُو حِلْمٍ وَلَكِنْ * بِقَدْرِ الحِلْمِ يُنْقَدُ الحَلِيمُ
لَقَدْ وَلَّتْ بِدَوْلَتِكَ اللَّيَالِي * وَأَنْتَ مُعَلَّقٌ فِيهَا ذَمِيمٌ
وَزَالَتْ لَمْ يَعِشْ فِيهَا كَرِيمٌ * وَلَا أَسْتَعْنِي بِثَرَوَتِهَا عَدِيمٌ
فَبَعْدًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ وَصَحْقًا * فَغَيْرُ مُصَابِكِ الحَدِيثِ العَظِيمِ

المدائني قال : كان شيب بن شيبَةَ يقول : مَنْ سَمِعَ كَلِمَةً يَكْرَهُهَا فَسَكَتَ عَنْهَا انْقَطَعَ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ ، فَإِنْ أَجَابَ عَنْهَا سَمِعَ أَكْثَرَ مِمَّا يَكْرَهُ ، وَكَانَ يَتَمَثَّلُ بِهَذَا البَيْتِ
وَيَجْزَعُ نَفْسَ المَرءِ مِنْ وَقَعِ شِئْمَةٌ * وَيُشْتَمُّ أَلْفًا بَعْدَهَا ثُمَّ يَصْبِرُ
قَاتِلِ الأَحْنَفُ فِي بَعْضِ المَوَاطِنِ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا بَجْرٍ ، أَيْنَ الحِلْمُ قَالَ : عِنْدَ الحَيِّ . وقال مسلم بن الوليد

حَيٌّ لَا يَطِيرُ الجُهْلُ فِي جَنَابَاتِهَا * إِذَا هِيَ حُلَّتْ لَمْ يَفْتَحْهَا ذَهْلُ
أَغْضَبَ زَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ الأَحْنَفُ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِعِمَامَتِهِ وَتَنَاصَبَا ، فَقِيلَ
لِلأَحْنَفِ : أَيْنَ الحِلْمُ اليَوْمَ ! فَقَالَ : لَوْ كَانَ مِثْلِي أَوْ دُونِي لَمْ أَفْعَلْ هَذَا بِهِ . كَانَ
يَقَالُ : آفَةُ الحِلْمِ الضَّعْفُ . وقال الجَعْدِيُّ

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ * بِوَادِرِ تَحْيِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وقال إياس بن قتادة

تُعاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأَيْنَا * وَتَشِيمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلِمِ

وأنشد الرياشي

إِنِّي أَمْرٌ يُدْبُّ عَن حَرِيمِي * جِلْمِي وَتَرَكِي اللُّومَ لِلنِّيمِ *

* وَالْعِلْمُ أَحْمَى مِنْ يَدِ الظُّلْمِ *

وقال الأحنف : أصببتُ الحلمَ أنصرتُ من الرجال . قال أبو اليقظان : كان المتمشمش بن معاوية عم الأحنف يفضل في حلمه على الأحنف قبل ، فأمره أبو موسى أن يقسم خيلاً في بني تميم فقسمها ، فقال رجل من بني سعد : مامنك أن تعطيني فرساً ووثب عليه فرس وجهه ، فقام إليه قوم ليأخذوه ، فقال : دعوني وإياه ، إني لا أعان على واحد ، ثم انطلق به إلى أبي موسى ، فلما رآه أبو موسى سأله عما بوجهه فقال : دع هذا ولكن ابن عمي ساخط فأحمله على فرس ، ففعل .

قيل للأحنف : ما أحلمك قال : تعلمتُ الحلمَ من قيس بن عاصم المنقري ، بينا هو قاعد يفنائه محتب بكسائه ، أنته جماعة فيهم مقتول ومكتوف وقيل له : هذا ابنك قتله ابن أخيك ، فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت إلى ابن له في المجلس ، فقال له : قم فأطلق عن ابن عمك ووار أخاك وأحمل إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبة^(٢) ، ثم أنشأ يقول

إِنِّي أَمْرٌ لَا شَأْنُ حَسِي^(٣) * دَنَسٌ يُغَيِّرُهُ وَلَا أَفْنُ
مِنْ مَنَقَرٍ فِي بَيْتِ مَكْرَمَةٍ * وَالْفُصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْفُصْنُ

(١) كذا في الأصول ولعله « والحلم » . (٢) في الأصلين « عربية » وهو تحريف والنهويب عن

العقد الفرید . (٣) رواه في العقد الفرید :

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَطْعِي حَسِي * دَنَسٌ يَهْجُهُ وَلَا أَفْنُ

خُطْبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ * بِيضُ الْوَجْهِ، أَعْفَةُ لِسُنِّ
لَا يَفْطَنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمْ * وَهُمْ لِحَفِظِ جَوَارِهِ فُطُنُّ

ثم أقبل على القاتل فقال : قَتَلْتَ قَرَابَتَكَ، وَقَطَعْتَ رَحِمَكَ، وَأَقَلَّتْ عَدَدَكَ ،
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ غَيْرَكَ . وفي قيس بن عاصم يقول عبدة بن الطبيب ، إسلامي

٥ عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ماشاء أن يترحمًا
نَجِيَّةً مَنْ أَلْبَسَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةٌ * إِذَا زَارَ عَنِ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمًا
وما كان قيس هلكه هلك واحد * وَلِكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

وقال الأحنف : لقد آختلنا إلى قيس بن عاصم في الحلم كما تختاف إلى الفقهاء
في الفقه . شتم رجل الأحنف وجعل يتبعه حتى بلغ حيه ، فقال الأحنف : يا هذا
١٠ إن كان بقي في نفسك شيء فهاتيه وأنصرف لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره .
شتم رجل الحسن وأرأى عليه ، فقال له : أقمانت فما أبقيت شيئاً ، وما يعلم الله أكثر .
قال بعض الشعراء

لَنْ يُدِيرَكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُّوا * حَتَّى يَذُلُّوا - وَإِنْ عَزَّوْا - لِأَقْوَامٍ
وَيُسْتَمْرُوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُشْرِقَةً * لَا صَفْحَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامٍ

١٥ قال [حدثني] أبو حاتم عن الأصمعي قال : لَا يَكَادُ يَجْتَمِعُ عَشْرَةٌ إِلَّا وَفِيهِمْ مُقَاتِلٌ
وَأَكْثَرُ، وَيَجْتَمِعُ أَلْفٌ لَيْسَ فِيهِمْ حَلِيمٌ . ابن عيينة قال : كَانَ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ إِذَا
أَسْرَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ بِشَيْءٍ أَوْ قَوْلٍ سَيِّئٍ لَمْ يُجِبْهُ وَقَالَ : أَنَّى أَتْرُكَكَ رَفْعًا لِنَفْسِي عَنْكَ ، بِفَرَى
بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَلَامٌ ، فَاسْرِعْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : خَفِّضْ عَلَيْكَ أَيْهَا
الرَّجُلُ فَإِنِّي أَتْرُكَكَ الْيَوْمَ لِمَا كُنْتَ تَتْرُكُ لَهُ النَّاسَ .

٢٠ قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال رجل : لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ كُنْتُ أَدْعُ
الْفَحْشَ عَلَى الرِّجَالِ ، فَقَالَ لَهُ خَصْمُهُ : فَإِنِّي أَدْعُ الْفَحْشَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ لِمَا تَرَكْتَهُ

أنت له قبل اليوم . وأغلظ عبدٌ لسيده ، فقال : إني أصيرُ لهذا الغلامِ على ما ترونَ
 لأروضَ نفسي بذلك ، فإذا صَبَرْتُ للملوكِ على المكروهِ كانتَ لغيرِ الملوكِ أصبرَ .
 كَلَّمَ عمرُ بنَ عبدِ العزيزِ رجلاً من بني أمية وقد ولدته نساءُ بني مُرةٍ فعابَ عليه جَفَاءً
 رآه منه ، فقال : قَبِحَ اللهُ شَبْهاً [غلب] عليك من بني مُرةٍ ، وبلغَ ذلكَ عَقِيلَ بنَ عُلْفَةَ
 المُرِّي وهو بِجَنَفَاءَ من المدينة على أميالٍ في بلدِ بني مُرةٍ ، فركبَ حتى قَدِمَ على عمرِ
 وهو بِدَيْرِ سَمْعَانَ ، فقال : هيه يا أميرَ المؤمنين ! بلغني أنك غضبتَ على فتى من بني
 أبيك ، فقلت : قَبِحَ اللهُ شَبْهاً غلبَ عليك من بني مُرةٍ ، وإني أقول : قَبِحَ اللهُ الأُمَّ
 طرفيه ، فقال عمرُ : دَعُ وَيْحَكَ هذا وهاتِ حاجتَكَ . فقال : واللهِ مالي حاجةٌ غيرِ
 حاجتِهِ ، وولِّي راجعاً من حيثِ جاء ، فقال عمرُ : ياسبحانَ اللهُ ! من رأى مثلَ هذا
 الشيخِ؟ جاء من جنفَاءَ ليس إلا يَشْتِمُنَا ثم أنصرف ! فقال له رجلٌ من بني مُرةٍ : إنه
 واللهِ يا أميرَ المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه ، نحن واللهِ الأُمَّ طرفيه .

المدائني قال : لما عزلَ الحجاجُ أميةَ بنَ عبدِ اللهِ عن خراسانِ أمرَ رجلاً من بني
 تميمٍ فعابَهُ بخراسانِ وشَنَّعَ عليه ، فلما قفلَ لقيه التميميُّ فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ
 لا تَلْمِني فإني كنتُ مأموراً ، فقال : يا أخا بني تميمٍ أوحَدتُكَ نفسك أتى وَجِدْتُ
 عليك؟ قال : قد ظننتُ ذاك ، قال : إن لنفسك عندك قَدْرًا ! . كان يقال : طَيَّرُوا
 دماءَ الشبابِ في وجوههم . ويقال : الغضبُ غُولُ الحِلْمِ . ويقال : القدرةُ تُدْهِبُ
 الحَفِيظَةَ . وكتبَ كِسْرَى أَبْرُويزَ إلى ابنه شيرَوِيهَ من الحبسِ : إن كلمةَ منك
 تَسْفِكُ دماً ، وإن كلمةَ أخرى منك تَحْقِنُ دماً ، وإن سَخَطَكَ سيوفُكُ مسلولَةٌ على
 من سَخَطَتَ عليه ، وإن رضاك بركةٌ مستفيضةٌ على من رَضِيَتْ عنه ، وإن نَفَاذَ

(١) زيادة في العقد الفريد .

(٢) رسم في النسخة الفلورنسية هكذا «حاجه» ولعل النسخ حرفها عن «هذه» كما يقتضيه السياق .

(٣) لعله «وان سخطك سيوف مسلولة الخ» بالتكثير ليتناسب في السياق مع ما بعده .

أمرك مع ظهور كلامك، فاحترس في غضبك من قولك أن يُخطئ ومن لونك أن يتغير ومن جسدك أن يخف، وإن الملوك تُدأب قدرة وحزما، وتعفو تفضلا وحلما، ولا ينبغي للقادر أن يُستخف ولا للحليم أن يزهو، وإذا رَضِيتَ فأبلغ بمن رَضِيتَ عنه يَحْرِضُ من سواه على رضاك، وإذا سَخِطتَ فضع من سَخِطتَ عليه يهرب من سواه من سخطك، وإذا عاقبتَ فأنهك^(١) لئلا يُتعرض لعقوبتك، وأعلم أنك تَجِلُّ عن الغضب وأن غضبك يصغر عن ملكك، فقدّر لسخطك من العقاب كما تُقدّر لرضاك من الثواب. قال محمد بن وهيب

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إنني * إلى الجهل في بعض الأحيان أحوج
 ولي فرس للحلم بالحلم ملجم * ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
 فمن رام تقويي فإني مقوم * ومن رام تعويجي فإني معوج
 وما كنت أرضى الجهل خذنا وصاحبنا * ولكنني أرضى به حين أخرج
 ألا ربما ضاق الفضاء بأهله * وأمكن من بين الأسنة مخرج
 وإن قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا، والذل بالحر أسمع

وقال ابن المقفع : لا ينبغي للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته، ولا يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد، ولا يجذل لأنه لا يخاف الفقر، ولا يتحقد لأن خطره قد جَلَّ عن المجازاة. قال سويد بن الصامت^(٢)

إني إذا ما الأمر بين شكك * وبدت بصائرُه لمن يتأمل
 أدع التي هي أرفق الحالات بي * عند الحفيظة التي هي أجمل

أتى عمر بن عبد العزيز رجل كان واجدا عليه، فقال : لولا أني غضبان لعاقبتك، وكان إذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثة أيام، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه تاقبه،

(١) نهك السلطان: بالغ في العقوبة. (٢) في الأغانى ج ٢ ص ١٦٩ سويد بن صامت بدون الألف واللام.

كراهة أن يعجل عليه في أول غضبه . وأسمعه رجل كلاما فقال له : أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنا ل منك اليوم ما تناله مني غدا ، انصرف رحمك الله . قال لقمان الحكيم : ثلاث من كنن فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضي لم يُخرجه رضاه إلى الباطل ، وإذا غضب لم يُخرجه غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وقال لابنه : إن أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه ، فإن أنصفك في غضبه وإلا فدعه .

خطب معاوية يوما فقال له رجل : كذبت ، فزل مغضبا فدخل منزله ، ثم خرج عليهم تقطر لحيته ماء ، فصعد المنبر فقال : أيها الناس إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان من النار ، فإذا غضب أحدكم فليطفيه بالماء ، ثم أخذ في الموضوع الذي بلغه من خطبته . وفي الحديث المرفوع : "إذا غضب أحدكم فإن كان قائما فليقعده وإن كان قاعدا فليضطجع" . وقال الشاعر

إحذر مغايظ أقوام ذوى أنف * إن المغيظ جهول السيف مجنون
وقال عمر بن عبد العزيز : متى أشفني غيظي؟ أحين أقدر فيقال لي : لو عفوت ،
أو حين أعجز فيقال لي : لو صبرت؟ . والعرب تقول : «إن الرئيثة ^(١) مما يفتأ الغضب»
والرئيثة اللبن الحامض يُصب عليه الحليب ، وهو أطيب اللبن .

كان المنصور ولي سلم بن قتيبة البصرة وولى مولى له كور البصرة والأبلة ، فورد كتاب مولاة أت سلماً ضربه بالسياط ، فاستشاط المنصور وقال : على تجزأ سلم ! لأجعلنه نكالا ، فقال ابن عباس - وكان جريئا عليه - : يا أمير المؤمنين ، إن سلماً لم يضرب مولاك بقوته ولا قوة أبيه ، ولكك قلدته سيفك وأصعدته منبرك ، فأراد مولاك أن يطأطي منه مارفعت ويفسد ما صنعت ، فلم يحتمل ذلك ، يا أمير المؤمنين

(١) في الأصل «الرئثة» وهو تحريف . (٢) كذا في الأصل ، وهو مثل . ونصه كما في اللسان وجمع الأمثال للبدائي «ان الرئيثة تفتأ الغضب» وفتأ الغضب سكنه وكره حذته .

إن غَضَبَ العربيَّ في رأسه فإذا غَضِبَ لم يهدأ حتى يُخْرِجَهُ بلسان أو يد، وإن غَضَبَ النَّبَطِيُّ في آسته فإذا غَضِبَ [و] نَحْرِيٌّ ذهب غضبه، فضحك أبو جعفر وقال :
فعل الله بك يامنتوف وفعل ، فكفَّ عن سَلِيم .

كان يقال : إياك وعِزَّة الغضب فإنها مُصِيرَتُكَ إلى ذلِّ الاعتذار. قال بعض الشعراء
النَّاسُ بعدك قد خفت حُلُومُهُمْ * كأنما نَفَخَتْ فيها الأَعاصيرُ

أبو بكر بن عياش عن الأعمش قال : كنت مع رجل فوقع في إبراهيم ، فأتيت إبراهيم
فأخبرته وقلت : والله لَهَمَمْتُ به ، فقال : لعل الذي غضبت له لو سمعه لم يقل شيئا .

باب العز والذل والهيبة

أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا عمر بن السَّكَن قال قال سليمان بن عبد الملك
ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ فقال : فينا وفي حلفائنا من ربيعة ، فقال
عمر بن عبد العزيز : ينبغي أن يكون العزُّ فيمن تُخُولَفُ عليه يا أمير المؤمنين .
قالت قريبة : إذا كنت في غير قومك فلا تنس نصيبك من الذلَّة . قال رجل من
قريش لشيخ منهم : عَلَّمَنِي الحِلْمَ ، قال : هو يابن أخى الذلِّ ، أفتصبر عليه ؟ . وقال
الأحنف : ما يسرني بنصيب من الذلِّ حُرِّ النَّعَمِ ، فقال له رجل : أنت أعزُّ
العرب ، فقال : إن الناس يرون الحلم ذلاً ، فقلت ما قلت على ما يعلمون .

وقرأت في كتاب للهند أن الريح العاصف تَحِطُّمُ دَوْحَ الشجر ومُشِيدَ البنيان ويسلمُ
عليها ضعيفُ النبات للينه وتثنيه . ويقال في المثل : « تَطَاطَأُ لها تُحِطُّكَ » . وقال
زيد بن علي بن الحسين حين نرج من عند هشام مُغَضِّباً : ما أحبُّ أحد قطَّ
الحياة إلا ذلًّا ، وتمثل

شُرِّدَهُ الخوفُ وأزرى به * كذاك من يكره حرَّ الجِلادِ

منخرقُ الحُفَّينِ يشكو الوَجَى * تنكُّبه أطرافُ مرٍ وحَدَاد
قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

وقال المتلمس

إن الهوان، حمارُ البيت يعرفه * والمرء ينكره والجسرة الأجد^(١)
ولا يُقيم بدار الذلِّ يعرفها * إلا الحمارُ حمارُ الأهل والأوتد

وقال الزبير بن عبد المطلب

ولا أُقيم بدار لا أشدُّ بها * صوتي إذا ما آعرتني سورة الغضب

وقال آخر

إذا كنت في قومٍ عدداً است منهم * فكلُّ ما عُلِّقت من خبيثٍ وطيبٍ

وقال العباس بن مرداس

أبلغ أبا سلمٍ رسولاً نصيحة * فإن معشرٌ جادوا بعرضك فابخل
وإن بؤءوك منزلاً غير طائل * غليظاً فلا تنزل به وتحول
ولا تطعمن ما يعلفونك إنهم * أتوك على قربانهم بالمثل
أراك إذن قد صرت للقوم ناضحاً * يقال له بالغرب أذير وأقبل

وقال آخر

فأبلغ لديك بني مالك * على نأيها وسراة الرباب
بأن أمراً أنتم حوله * تحفون قُبته بالقياب
يُبينُ سراتكمُ عامداً * ويقتلكم مثل قتل الكلاب
فلو كنتم إبلا أملحت^(٢) * لقد زععت الميَاهِ العذاب
ولكنكم غمُّ تصطفي * ويترك سائرُها للذئاب

(١) ناقة أجد : فوية مؤنثة الخلق متصلة فئار الظهر، خاص بالاناث . قاموس .
(٢) يقال : أملحت الابل أي وردت ماء ملحا وفي الأصل أملجت بالجيم ولم يظهر له معنى مناسب .

وقال آخر

تالله لولا أنكسار الرُّح قد علموا * ما وجدوني ذليلا كالذي أجد
قد يُحطَّم الفحلُ قسراً بعد عزته * وقد يردُّ على مكروهه الأسد

وقال بعض العبدین

٥
ألا أبلغنا خُلِّي راشداً * وصنوي قديماً إذا ما اتصل
بأن الدقيق يهيجُ الجليل * وأن العزيز إذا شاء ذلُّ
وأن الحزامة أن تصرفوا * لحي سوانا صدور الأسل
فإن كنت سيدنا سُدتنا * وإن كنت للخال فاذهب نفل

وقال البغيث

١٠
ولو تُرمي بلُوم بني كليب * نجوم الليل ما وضحَّت لسارى
ولو لیس النهار بنو كليب * لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب * ليطلب حاجة إلا يجار

١٥
جاور ابنُ سيابة مولى بني أسد قوماً فازعجوه، فقال لهم : لم تُرعبوني من جواركم؟
فقالوا : أنت مُريب، فقال : فمن أذلُّ من مريب ولا أحسنُ جواراً . أبو عبيدة
عن عوانة قال : إذا كنت من مُضَر ففاخر بكثانة وكاثر بتميم وألق بقيس ، وإذا كنت
من قحطان فكاثر بقضاعة وفاخر بمذحج وألق بكلب ، وإذا كنت من ربيعة ففاخر
بشيبان وألق بشيبان وكاثر بشيبان . كان يقال : من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا
سلطان فليخرج من ذلِّ معصية الله إلى عز طاعة الله . قيل لرجل من العرب : من
السيدُ عندكم ؟ قال : الذي إذا أقبل هبناه وإذا أدبر آغبتناه . ونحوه قول مسلم
٢٠
وكم من مُعدِّ في الضمير لي الأذى * رأني فآلق الرعبُ ما كان أضمرأ

وقال أيضاً

يا أيها الشامي عرَضِي مُسارِقَةٌ * أعلن به ، أنت إن أعلنته الرجلُ

ومن أحسن ما قيل في الهيبة

في كفه خَيْرَانِ رِيحُهَا عَيْقُ * من كَفَّ أَرْوَعَ فِي عِرْنَيْنِهِ شَمَمٌ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ * فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

وقال ابن هرمة في المنصور

لَهُ لِحَظَاتٌ عَنْ حِجَافِي سَرِيرِهِ * إِذَا كَثَرَتْ فِيهَا عَقَابٌ وَنَابِلٌ
فَأَمَّ الَّذِي آمَنَتْ أَمْنَةُ الرَّدَى * وَأَمَّ الَّذِي أُوْعِدَتْ بِالشُّكْلِ نَاكِلٌ
كَرِيمٌ لَهُ وَجْهَانٌ وَجْهٌ لَدَى الرِّضَا * أَسِيلٌ، وَوَجْهٌ فِي الْكَرْيَةِ بَاسِلٌ
وَلَيْسَ بِمُعْطَى العَفْوِ عَنْ غَيْرِ قُدْرَةٍ * وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمَكَّتْهُ المَقَاتِلُ

وقال آخر في العفو بعد القدرة

أَسَدٌ عَلَى أَعْدَائِهِ * مَا إِنْ يَلِينُ وَلَا يَهُونُ
فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُمْ * فَهِنَاكَ أَحْلَمُ مَا يَكُونُ

وقال آخر في مالك بن أنس

يَأْبَى الجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً * وَالسَائِلُونَ نَوَا كَسُ الأَذْقَابِ
هَدَى التَّقِيَّ وَعَزَّ سُلْطَانِ الأَثَقِيَّ * فَهُوَ المَطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

وقال آخر

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ * خُضِعَ الرِّقَابُ نَوَا كَسَ الأَبْصَارِ

وقال أبو نواس

أَضْمِرُ فِي القَلْبِ عَنَابًا لَهُ * فَإِنْ بَدَأَ أُتْسِيتُ مِنْ هَيْبَتِهِ

أمدائني قال : قال ابن شبرمة القاضي لابنه : يا بني لا تُمكن الناس من نفسك ،
فإن أجرا الناس على السباع أكثرهم لها معاينة . قيل لأعرابي : كيف تقول :
استخذأت أو استخذيت ؟ قال : لا أقوله ، قيل : ولم ؟ قال : لأن العرب لا تستخذى .
وكان يقال : اصفح أو أذبح .

(١) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٢ : هدى الوقار .

باب المروءة

في الحديث المرفوع : قام رجل من مجاشيع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
 يا رسول الله، ألسنتُ أفضل قومي؟ فقال: "إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان
 لك خلق فلك مروءة، وإن كان لك مال فلك حسب، وإن كان لك تقى فلك
 دين" وفيه أيضا « إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها ». روى كثير بن هشام
 عن الحكم بن هشام الثقفى قال : سمعت عبد الملك بن عمير يقول : إن من مروءة
 الرجل جلوسه ببابه . قال الحسن : لا دين إلا بمروءة . قيل لابن هبيرة : ما المروءة؟
 قال : إصلاح المال، والرزانة في المجلس، والغداء والعشاء بالفناء . قال ابراهيم :
 ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق ولا سرعة المشى . ويقال : سرعة المشى
 تُذهب بهاء المؤمن .

١٠

قال معاوية : المروءة ترك اللذة . وقال عمرو : ما ألد الأشياء ؟ فقال عمرو : مر
 أحداث فريش أن يقوموا ، فلما قاموا قال : إسقاط المروءة . قال جعفر بن محمد
 عن أبيه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وروا الذوى المروءات عن عتراتهم ،
 فولدى نفسى بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده لفي يد الله" . كان عمرو بن الزبير يقول
 لولده : يا بني ألبوا ، فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب . قيل للأحنف : ما المروءة؟
 فقال : العفة والحرفة . قال محمد بن عمران التيمي : ما شيء أشد حملا على من المروءة ،
 قيل : وأي شيء المروءة ؟ قال : لا تعمل شيئا في السر تستحى منه في العلانية .
 وقال زهير في نحو هذا

١٥

السُّرْدُونُ الفاحشات، ولا * يلقاك دون الخير من ستر

٢٠

(١) كذا في الأصول ، وفي العقد الفريد «تجاوزوا» .
 (٢) في الأصول «المروءة» والتصويب عن العقد الفريد .

وقال آخر

فِسرَى كإعلاني ، وتلك خليقتي * وظلمة ليلي مثل ضوء نهاريا
قال عمر بن الخطاب : تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة ، وتعلموا النسب
فرب ربح مجهولة قد وصلت بنسبها . قال الأصمعي : ثلاثة تحكم لهم بالمروءة حتى
يعرفوا : رجل رأيتُه راجبا ، أو سمعته يُعرب ، أو شمتت منه رائحة طيبة . وثلاثة
تحكم عليهم بالدناءة حتى يعرفوا : رجل شمتت منه رائحة نبيذ في محفل ، أو سمعته يتكلم
في مصر عربي بالفارسية ، أو رأيتُه على ظهر الطريق ينازع في القدر . قال ميمون
ابن ميمون : أول المروءة طلاقة الوجه ، والثاني التودد ، والثالث قضاء الحوائج .
وقال : من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه . قال مسلمة بن عبد الملك :
مروءتان ظاهرتان : الرياسة والفصاحة . وقال عمر بن الخطاب : المروءة الظاهرة
التيابُ الظاهرة . قالوا : كان الرجل إذا أراد أن يشين جاره طلب الحاجة إلى غيره .
وقال بعض الشعراء

نومُ الغداةِ وشربُ العشيّاتِ * موكلان بتهديم المروءات

باب اللباس

حدثني محمد بن عبيد قال ، حدثنا ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس
عن ابن عباس ، قال : كُلُّ ما شئتَ والبسَ ما شئتَ إذا ما أخطأك شيئان : سرف
أو مخيلة .

قال حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا المنهال بن حماد عن خارجة بن مصعب
عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه ، قال : كانت ولحفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم التي يلبس في أهله موزسة حتى إنها لتردع على جلده .

(١) مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر باليمن . وفي الأصول : "موزسة" بالهمزة المعجمة وهو تحريف .

(٢) تنفض صبغها .

حدثني أبو الخطاب ، قال حدثنا أبو عتاب قال حدثنا المختار بن نافع عن
إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي ، قال : رأيت لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما
إزارا فيه إحدى وعشرون رُقعة من آدم ورقعة من ثيابنا .

حدثنا الزيادة قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الحريري عن ابن عباس ،
قال : رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزاره مرقوع بأدم . نظر معاوية
إلى النخار العذري المناسب في عباءة فازدراه في عباءة ، فقال : يا أمير المؤمنين إن
العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها . قال سحيم بن وثيل
ألا ليس زين الرجل قطعاً يمزق * ولكن زين الرجل يامى راكبه

وقال آخر

إياك أن تزدري الرجال فما * يدريك ماذا يكفه الصدف
نفس الجواد العتيق باقية * يوماً وإن مس جسمه العجف
والحر حر وإن ألم به الضر وفيه العفاف والآنف

وقال آخر من المحدثين

تعجبت دُرٌّ من شبي فقلت لها * لا تعجبي قد يلوح الفجر في السدف
وزادها عجباً أن رُحْتُ في سَملي * وما درت دُرٌّ أن الدر في الصدف

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي أن ابن عون اشترى برنسا من عمر بن أنس بن
سيرين فتر على معادة العدوية ، فقالت : أمثلك يلبس هذا ! قال : فذكرت ذلك
لابن سيرين فقال : ألا أخبرتها أن تميا الداري اشترى حلة بألف يوصل فيها .

(١) كذا في النسخين .

(٢) في الاصل : ألا أخبركم . والتصويب عن العقد الفريد . ج ٣ ص ٣٤٨

- حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا مُصعبُ بن عبد الله من ولد عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال أخبرني إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رداءً وعمامةً .
- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا علي بن عاصم قال أخبرنا أبو اسحاق الشيباني قال : رأيتُ محمدَ ابنَ الحنفية واقفا بعرفات على يردون عليه مطرفٌ خراصفرٌ .
- حدثني الرياشي عن الأصمعي عن حفص بن الفرافصة ^(١) قال : أدركتُ وجوهَ أهل البصرة، شقيق بن ثور فمن دونه وآنيهم في بيوتهم الحفان والعيسة فإذا فعدوا بأفئتهم لابسوا الأكسية وإذا أتوا السلطان ركبوا ولبسوا المطارف .
- قدم حماد بن أبي سليمان البصرة بغناه فرقد السبخي وعليه ثياب صوف فقال حماد : ضع نصرانيتك هذه عنك، فلقد رأيتنا ننظر إبراهيم فيخرج علينا وعليه معصفرة ونحن نرى أن الميتة قد حلت له .
- وروى زيد بن الحباب عن الثوري عن ابن جريح عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يرتدي رداءً باليف . قال معمر : رأيت قميصَ أيوب يكاد يمس الأرض، فكلمته في ذلك فقال : إن الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وإنها اليوم في تسميره .
- حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا قال : جاء سيار أبو الحكم إلى مالك بن دينار في ثيابٍ أشهرها مالك ^(٢)، فقال له مالك : ماهذه الشهرة؟ فقال له سيار : أتضعني عندك أم ترفعني؟ قال : بل تضعك، قال : أراك تنهاني عن التواضع، فنزل مالك فقعده بين يديه .
- (١) في لسان العرب : كل ما في العرب فراصة بضم الفاء الا فراصة أبا نائلة امرأة عثمان رحمه الله فانه بفتح الفاء لا غير . (٢) أشهرها : شنع بها .

قال أبو يعقوب الخريزمي : أراد جعفر بن يحيى يوماً حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعيّ فدفع إلى خادم كيساً فيه ألف دينارٍ وقال : إني سأنزل في رجعتي إلى الأصمعيّ وسيحدثني ويضحكني فإذا ضحكك فضع الكيس بين يديه ، فلما رجع ودخل عليه رأى حُباً مكسوراً الرأس وجرّة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة^(١) أعشاراً وراه على مصليّ بالٍ وعليه برّكان^(٢) أجرد فغمز غلامه ألا يضع الكيس بين يديه ولم يدع الأصمعيّ شيئاً ، ما يضحك الأكلان إلا أوردته عليه فما تبسم وخرج ، فقال لرجل كان يسايره : "من استرعى الذئب ظلم" ومن زرع سبخة حصده الفقراء ، فإني والله لو علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل لما حفقتُ نشره له باللسان ، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار الغنى ، لأن اللسان قد يكذب والحال لا تكذب . والله در نصيب حيث يقول

فما جؤوا فاشنؤوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

ثم قال له : أعلمت أن ناووس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان . قال ربعة بن أبي عبد الرحمن : رأيت مشيخةً بالمدينة في زيتي الفتيان لهم الغدائر وعليهم للورد والمصفر وفي أيديهم المخاصر وبها أثر الحناء ، ودين أحدهم أبعده من الثريا إذا أريد دينه . ذم ابن التوءم رجلاً فقال : رأيتُه مشحماً النعل درن الجورب مفضن الخف دقيق الخزامة . أنشد ابن الأعرابي

فإن كنت قد أعطيت خزانة تجره * تبدلت من فروة وإهاب

فلا تأسن أن تملك الناس إني * أرى أمة قد أدبرت لذهاب

قال أيوب يقول الثوب : أطوني أجهلك . هشام بن عروة عن أبيه قال ، يقول

المال : أرى صاحبي أعمر ، ويقول الثوب : أكرمني داخلا أكرمك خارجا .

(١) في اللسان وفيره : الحب الخالية فارسيّ معرب . (٢) كساء أسود .

ويقال: لكل شيء راحة، فراحة البيت كمنه، وراحة الثوب طيه. قيل لأعرابي: إنك تكثر لبس العمامة، فقال: إن عظاماً فيه السمع والبصر لحدير أن يكتن من الخبز والقتر. ويقال: حبي العرب حيطانها، وعمائمها تيجانها. وذكروا العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال: جنة في الحرب، ومكنة في الخبز والقتر، وزيادة في القامة، وهي بعد عادة من عادات العرب. وقال طلحة بن عبيد الله: الدهن يذهب البؤس، والكسوة تظهر الغنى، والإحسان إلى الخادم مما يكبت الله به العدو.

أبو حاتم قال حدثنا العتيبي قال: سمعت أعرابياً يقول: لقد رأيت بالبصرة بروداً كأنما نصحت^(١) بأنوار الربيع وهي تروع، واللابسوها أروع. قال يحيى بن خالد للعتابي في لباسه - وكان لا يبالي ما لبس - يا أبا علي أخزى الله أمراً رضي أن يرفعه هيناه من جماله وماله، فإنما ذلك حظ الأدياء من الرجال والنساء، لا والله حتى يرفعه أكبراه: همته ونفسه، وأصغراه: قلبه ولسانه. وفي الحديث المرفوع: "إن الله إذا أنعم على عبد نعمته أحب أن يرى أثرها عليه". قال حبيب بن أبي ثابت: أن تعز في خصفة خير لك من أن تدل في مطرف، وما أقرضت من أحد خير من أن أقرض من نفسي. قال عمرو بن معديكرب

ليس أجمال بمثري * فأعلم وإن رديت برداً

إن أجمال معادن * وموارث أورثن مجدداً

وقال ابن هرمة

لو كان حولي بنو أمية لم * ينطق رجال إذا هم نطقوا

إن جلسوا لم تضق مجالسهم * أوركبوا ضاق عنهم الأفق

(١) نصح الثوب: خاطه.

كَمْ فِيهِمْ مِنْ أَخٍ وَذِي ثِقَةٍ * عَنْ مَنْكِبِهِ الْقَمِيصُ مُنْخَرِقٌ
تَجْهَمُ عُوذَ النَّسَاءِ إِذَا * مَا أَحْمَرَتْ تَحْتَ الْقَوَانِسِ الْحَدَقُ
فَرِيحُهُمْ عِنْدَ ذَاكَ أُنْدَى مِنْ أَلْمَسِكِ * وَفِيهِمْ لِحَابِطٌ وَرَقٌ

قال حدثني أحمد بن إسماعيل قال : رأيت علي أبي سعد المخزومي الشاعر

٥ كردوانيا مصبوغا بسواد ، فقلت له : يا أبا سعد ، هذا خبز؟ فقال : لا ، ولكنه
دَعِيَ عَلَى دَعِيٍّ ، وَكَانَ أَبُو سَعْدٍ دَعِيًّا فِي بَنِي مَخْزُومٍ ، وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو الْبَرَقِ

لَمَّا تَابَهُ عَلَى النَّاسِ * شَرِيفٌ يَا أَبَا سَعْدٍ
فِيهِ مَا سِئَتْ إِذْ كُنْتُ * بِلَا أَصْلٍ وَلَا جَدِّ
وَإِذْ حَظُّكَ فِي النَّسَبِ بَيْنَ الْحَزِّ وَالْعَبْدِ
١٠ وَإِذْ قَاذِفُكَ الْمُفْجِحُ شُ فِي أَمْنٍ مِنَ الْحَدِّ

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه : كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤدبني ؟ قال :

أحسن طاعة ، قال : فأطعني الآن كما كنت أطيعك ، خذ من شاربك حتى تبدو
شفتاك ، ومن ثوبك حتى يبدو عقبك . وكيع قال : راح الأعمش إلى الجمعة وقد
قلب فروة جلدها على جلده وصوفها إلى خارج ، وعلى كتفيه مندبل الحوان مكان
١٥ الرداء . قال حدثني أبو الخطاب عن أبي داود عن قيس عن أبي حصين قال : رأيت
الشعبي يقضي على جلده . قال الأحنف : استجيدوا النعال فانها خلاخيل الرجال .
أبو الحسن المدائني قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم في مدرعة
صوف فقال له قتيبة : ما يدعوك إلى لبس هذه؟ فسكت ، فقال له قتيبة : أكتلمك
فلا تجيبني ! قال : أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي ، أو أقول فقرا فأشكور بي .

قال ابن السَّمَّك لأصحاب الصوف : والله إن كان لباسكم هذا موافقا لسرايركم لقد أحببتهم أن يطلع الناس عليها ، وإن كان مخالفا لها فقد هلكتم . وقال بعض المحدثين يعتذر من أظفار عليه

فما أنا إلا السَّيْفُ يا كُلُّ جفنه * له حايةٌ من نفسه وهو عاطلٌ

التَّخْتَمُ

قال حدثني أبو الخطاب زياد بن يحيى الحَسَّانِي قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله : أن النبي صلى الله عليه وسلم تَخَمَّ في يمينه .

قال حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سهل بن حماد قال حدثنا أبو خَلْدَةَ خالد بن دينار قال : سألت أبا العالِبة ما كان نقشُ خاتم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال : «صَدَقَ اللهُ» قال : فألحق الخلفاء بعد صدق الله «محمد رسول [الله]»^(١) .

قال أبو الخطاب حدثنا عَتَّابُ^(٢) قال حدثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يذكر الشيء أوثق في خاتمه خيطا . حدثني أبو الخطاب قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه أن خاتم علي كان من وِريقِ نقشه «نِعَمَ القادرُ اللهُ» . كان علي خاتم علي بن الحسين بن علي «عَلِمَتِ فَأَعْمَلُ» . كان نقش خاتم صالح بن عبيد الله بن علي «تبارك من

(١) زيادة لم توجد بالأصل واعلمها سقطت من النسخ . ويؤيده ما في «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني في رواية ابن سعد عن أبي العالِبة : أن نقش خاتمه «صدق الله» ثم ألحق الخلفاء «محمد رسول الله» . أنظر ج ٥ ص ٤٥ طبع بولاق .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصواب أبو عتاب فانا لم نجد في شيوخ أبي الخطاب إلا أبا عتاب وهو سهل ابن حماد المذكور آنفا . وقد جاءت الرواية عنه في أول سطر من صحيفة ٢٩٧ بكنيته أبي عتاب .

نَخْرِي بَأَنِي لَهُ عَبْدٌ“ ونقشُ خاتمِ شريحٍ ”الحاتمُ خَيْرٌ مِنَ الظنِّ“ . ونقشُ خاتمِ طاهرٍ
 ”وَوَضِعُ الخَدَّ لِلحَقِّ عِزًّا“ . وكان لأبي نواس خاتمان : أحدهما عقيقٌ مربعٌ وعليه
 تعاطمني ذنبي فلما عدتُ له * بعفوك ربِّي كان عفوك أعظماً
 والآخر حديدٌ صينيٌّ مكتوبٌ عليه : ”الحَسَنُ يَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ مُخْلِصًا“
 فأوصى عند موته أن يُقْلَعَ الفِصُّ وَيُغْسَلَ وَيُجْعَلَ فِي فَمِهِ .

باب الطيب

- قال حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عاصم الأحول عن
 أبي عثمان النهدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ طِيبِ الرِّجَالِ ما ظَهَرَ
 رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ ، وَخَيْرُ طِيبِ النِّسَاءِ ما ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ » .
- ١٠ حدثنا القُطَيْبِيُّ قال حدثنا يَشْرَعُ بنُ آبنِ هِيبَةَ قال حدثني بَكَيْرٌ بنُ نَافِعٍ : أن آبنِ
 عمر كان يستجمر بعودٍ غيرِ مُطَرَّى ويجعل معه الكافور ويقول : هكذا كان رسول
 الله يستجمر .
- قال حدثنا زياد بن يحيى قال حدثنا زياد بن الربيع عن يونس ، قال قال أبو قلابة :
 كان آبنِ مسعود إذا خرج إلى المسجد عرف جيرانه ذلك بطيب ريحه .
- ١٥ حدثني القُومِسيُّ قال حدثنا أبو نعيم عن شقيق عن الأعمش قال قال أبو الضحى :
 رأيتُ على رأس آبنِ الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأس مال .
- قال حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو قتيبة وأبو داود عن الحسن بن زيد الهاشمي
 عن أبيه قال : رأيت آبنِ عباس حين أحرم والغايةُ على صلغته كأنها الرُّبُّ .
- قال حدثني أحمد بن الخليل عن عمرو بن عون عن خالد بن عمرو بن يحيى عن
 محمد بن يحيى بن حبان قال : كان عبد الله بن زيد يتخلق بالخلوق ثم يجلس في المجلس .
- ٢٠

وحدثني أيضا عن سويد بن سعيد عن ضمام بن إسماعيل عن عمارة بن غزيرة قال :
لما أولم عمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة
العالية .

قال وحدثني عن أبي عبد الرحمن المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب عن عبيد الله
ابن أبي جعفر عن الأعرج ، قال : قال أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لا تَرُدُّوا الطَّيِّبَ فَإِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيحِ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ » .

قال حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أنس بن مالك قال حدثنا
عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبَيْصِ الطَّيِّبِ
فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ . إبراهيم بن الحكم عن أبيه قال
[قال] عكرمة : كان ابن عباس يطلي جسده بالمسك فاذا مر بالطريق قال ابن عباس :

أمر ابن عباس أم مر المسك ؟ . قال المسيب بن علس يمدح بني شيبان

تَبَيْتُ الْمَلُوكَ عَلَى عَثْبِهَا * وَشِيْبَانُ إِنْ غَضِبَتْ تَعْتَبُ

وَكَالْشَّهْدِ بِالرَّاحِ أَحْلَامُهُمْ * وَأَحْلَامُهُمْ مِنْهُمَا أَعْدَبُ

وَكَالْمَسْكِ تُرْبُ مَقَامَتِهِمْ * وَتُرْبُ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ

أخذه العباس بن الأحنف فقال

وَأَنْتِ إِذَا مَا وَطِئْتَ التُّرَابَ * بَ صَارَ تَرَابُكَ لِلنَّاسِ طِيْبًا

وقال كعب بن زهير يمدح قوما

الْمَطْعِمُونَ إِذَا مَا أَزْمَةٌ أَزَمَتْ * وَالطَّيِّبُونَ ثِيَابًا كُلَّمَا عَمِرُوا

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، وظاهر السياق يقتضى « بنى » أما النسخة الفوتوغرافية فالعمل فيها

مخذوف سهوا .

(٢) كذا بالأصل ولعلها قال الناس .

وأنشد ابن الأعرابي

خَوْدٌ يَكُونُ بِهَا الْقَلِيلُ تَمَسُّهُ * مِنْ طَيْبِهَا عَيْقًا يَطِيبُ وَيَكْتُرُ
شَكَرَ الْكِرَامَةَ جِلْدُهَا فَصَفَا لَهَا * إِنْ الْقَيْبَةَ جِلْدُهَا لَا يَسْكُرُ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ذُكِرَ لأَيُّوبَ هؤلاء الذين يتقشّفون فقال :
ما علمتُ أن القدرَ من الدين .

باب المجالس والجلساء والمحادثات

قال حدثني أحمد بن الخليل عن حبان بن موسى قال حدثنا ابن المبارك عن معمر
عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«الرجلُ أحقُّ بمجلسه إذا قام لحاجةٍ ثم رجع» .

وحدثني أيضا عن سعيد بن سليمان عن إسحاق بن يحيى عن المسيّب بن رافع عن
عبد الله بن يزيد الخطمي عن عبد الله بن الغسيل قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«المرءُ أحقُّ بصدرِ بيته وصدرِ دابته وصدرِ فراشه ، وأحقُّ أن يؤمَّ في بيته» .

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر
محمد بن علي قال : ألقى لعلّي وسادةً بجلس عليها وقال : إنه لا يأبي الكرامة إلا حمارٌ .
وفي الحديث المرفوع عن أبي موسى قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَثَلُ
الجلّيسِ الصالحِ مَثَلُ الدَّارِجِ إِنْ لَمْ يُحْدِكْ مِنْ طَيْبِهِ عَلَّتْكَ مِنْ رِيحِهِ ، وَمَثَلُ الجَلّيسِ
السَّوِّءِ مَثَلُ الكِيرِ إِنْ لَمْ يَحْرِقْكَ بِشَرَارِ نَارِهِ عَلَّقَكَ مِنْ نَتْنِهِ» . قال أبو إدريس الخولاني :

(١) في النسخة الألمانية : الغليل وفي الفتوغرافية : العليل ، وكلاهما محزّف عن «القليل» إذ هو الذي
يقنضيه السياق .

(٢) أحذاه : أعطاه .

المساجدُ مجالسُ الكرام . قال الأحنف : أطيَّبُ المجالسُ ما سافرَ فيه البصرُ وَاَتَدَعُ^(١)
فيه البدنُ ، فأخذه عليّ بن الجهم فقال

صُحُونُ تُسَافِرُ فِيهَا الْعَيُونُ ۖ وَتَحْسِرُ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا

وقال المهلب : خيرُ المجالسِ ما بَعُدَ فيه مَدَى الطَّرْفِ وكثرت فيه فائدةُ الجليس .
قيل للأوسية : أئى مَنظَرٍ أحسنُ ؟ فقالت : قصورٌ بيضٌ في حدائقِ خُضِرٍ . ونحوه

قول عدي بن زيد

كُدِّمِي العَاجِ فِي المَحَارِيبِ أَوْ كَالنَّيِّضِ فِي الزَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرٌ

حدَّثنا سهل بن محمد قل حدَّثنا الأصمعيّ قال : كان الأحنفُ إذا أتاه إنسانٌ
أوسع له ، فإن لم يجد موضعا تحرك ليريه أنه يُوسِعُ له . وكان آخر لا يُوسِعُ لأحد
ويقول «ثَهْلَانُ ذُو المَهْضَبَاتِ مَا يَتَحَلَّلُ»^(٢) .

قال ابن عباس : جليسي عليّ ثلاثٌ : أن أرميه بطرفي إذا أقبل ، وأن أوسعَ
له إذا جلس ، وأصغني إليه إذا تحدت . وقال الأحنف : ما جلستُ مجلساً نخفت أن
أقامَ عنه لغيري . وكان يقول : لأن أدعى من بعيد فأجيب أحبُّ إلى من أن
أُقصى من قريب .

كان القعقاع بن شُور إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً في ماله ،
وأعانه على عدوه ، وشفع له في حاجته ، وغداً إليه بعد المجالسة شاكرًا . وقدم معاوية
يوماً آنيةً فضةً ودفع إلى القعقاع حظَّه منها ، فأثر به القعقاعُ أقربَ القومِ إليه فقال

(١) من «ودع» ككرم ووضع : سكن .

(٢) هذا شطربيت من قصيدة للفرزدق وقد جاء في الأصل وفي معجم البلدان هكذا «ثَهْلَانُ ذُو المَهْضَبَاتِ»

بالرفع . وقال ابن بري فيما حكاه صاحب اللسان : صوابه «ثَهْلَانُ ذَا المَهْضَبَاتِ» بالنصب لأن صدره :

* فارفع بكفك إن أردت بنا . *

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ * وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعِ جَلِيسُ
ضُحُوكِ السَّنِّ إِنْ نَطَقُوا بِجَيْرٍ * وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقُ عَبَّوسُ

كان يقال : إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قُلة . قيل لمحمد بن واسع : ألا
تجلس متكثرا ! فقال : تلك جلسة الآمنين . قال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أملهم :
جليسي ما فهم عني ، وثوبي ما سترني ، ودابتي ما حملت رجلي . وزاد آخر : وأمرأتي
ما أحسنت عِشرتي .

ذكر رجل عبد الملك بن مروان فقال : إنه لا يَأْخُذُ بأربع ، تارك لأربع : آخذٌ
بأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن الاستماع إذا حدث ، وبأحسن البشر إذا لقي ،
وبأيسر المثونة إذا خولف . وكان تاركا لمحادثة اللئيم ، ومنازعة البجوج ، ومسارة
السفيه ، ومصاحبة المأبون .

كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند انقضاء مجلسه قال : إنك جالست
إلينا على حين قيام منا أفتأذن ؟ . قال الفضيل بن عياض للثوري : دُلّني على مَنْ
أجلس إليه ، قال : تلك حالة لا تُوجد . قال مطرف : لا تُطعم طعامك مَنْ
لا يشتهيهِ ، يُريد : لا تُقبل بحديثك على مَنْ لا يُقبل عليك بوجهه . وقال سعيد بن
سَلْم : إذا لم تكن المحدث أو المحدث فانهض . ونحوه قول ابن مسعود : حدث
القوم ما حدّجوك بأبصارهم .

قال زياد مولى عيَّاش بن أبي ربيعة : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما
رأني رحل عن مجلسه وقال : إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلا فلا
تأخذ عليه شرف المجلس . وقال ابن عباس : ما أحدٌ أكرم على من جليسي ، إن

(١) في النسخة الألمانية : رحل . (٢) في العقد الفريد : مجاورة .

الذباب يقع عليه فيشق على . ذكر الشعبي قوما فقال : ما رأيت مثلهم أشد تناوبا
في مجلس ولا أحسن فهما عن محدث .

قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفسارَ ووطننا الحسناَ ولَبِسنا اللينَ وأكلنا
الطيبَ حتى أَجْمنا^(٢)، ما أنا اليومَ الى شيءٍ أَحوجُ مني إلى جليسٍ أضعُ عنى مئونةَ التحفظِ
فيا بيني وبينه .

روى ابن أبي ليلي عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة قال ، قال عمر بن
الخطاب : لولا أن أسيرَ في سبيلِ الله أو أضعَ جَبهتي في الترابِ لله أو أجالسَ قوماً
يلتقطون طيبَ القولِ كما يلتقط طيبُ الثمرِ لأحببت أن أكونَ قد لحقتُ بالله . قال
عامر بن عبد قيس : ما آسى على شيءٍ من العراقِ إلا على ظمأِ الهواجرِ، وتجاوبِ
المؤذنين ، وإخوانِ لي منهم الأسودُ بنُ كَثوم . وقال آخر ما آسى من البصرةِ إلا على
ثلاث : قصبِ السكرِ، وليلِ الخريزِ^(٣)، وحديثِ ابنِ أبي بكرة . وقال المغيرةُ : كان
يجالسُ إبراهيمَ صيرفيُّ ورجلٌ متهمٌ برأى الخوارجِ، فكان يقولُ لنا : لا تذكروا
الربا إذا حضرَ هذا، ولا الأهواءَ إذا حضرَ هذا . وكان إمامَ مسجدِ الحرامِ لا يقولُ
(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) إلا عند ختم القرآن في شهرِ رمضان من أجلِ اللَّهيبين .

كان يقال : محادثة الرجال تُلقحُ ألبابها . كان بعض الملوك في مسيرله ليلا فقال
لمن حوله : إنه لا يُقطعُ سرِّي الليلِ بمنل الحديثِ فيه فلينفُضْ كل رجلٍ منكم بنا

(١) في الأصول : تنابذا ، والتصويب عن العقد الفريد .

(٢) أجم الطعام وغيره : كرهه ومله .

(٣) في الأصول : رطب والتصويب عن ثمار القلوب للثعالبى .

(٤) في الأصول : الخزين وهو تحريف والتصويب عن ثمار القلوب ، قال الجاحظ : في أعلى جبانة
البصرة موضع يقال له الخريز . يقال إن الناس لم يروا قط هواء أعدل ولا نسيا أرق ولا أطيب من
ذلك الموضع .

جَوْشًا^(١) منه . قال معاوية لعمر بن العاص : ما بقي من لذة الدنيا تلذُّه ؟ قال :
محادثة أهل العلم ، وخبرٌ صالح يأتيني من ضيعتي . قال أبو مسهر : ما حدثت رجلاً
قط إلا حدثني إصغائه : أفهم أم ضيع .

باب الثقل

قال ابراهيم : إذا علم الثقل أنه ثقل فليس بثقل . كان يقال : مَنْ خاف أن
يُثقل لم يثقل . قيل لأيوب : ما لك لا تكتب عن طاووس ؟ فقال : أتيتُه فوجدته
بين ثقلين : ليث بن أبي سليم ، وعبد الكريم بن أبي أمية .

قال الحسن : قد ذكر الله الثقل في كتابه قال : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) . كان
أبو هريرة إذا استثقل رجلاً قال : اللهم أغفر له وأرحنا منه . وكتب رجل على
خاتمه : أبرمت فقم ، فكان إذا جلس إليه ثقل ناوله إياه . قال بختيشوع للأمون :
لا تجالس الثقل فإنا نجد في الطب : مجالسة الثقل حمى الروح . قال بعض الشعراء

إني أجالس معشراً * نوكتي أخفهم ثقل
قوم إذا جالسهم * صدقت بقرهم العقول
لا يفهموني قولهم * ويدق عنهم ما أقوي
فهم كثيري وأعلم أنني بهم قليل

أخبرنا النوشجاني عن عمر بن سعيد القرشي قال حدثني صدقة بن خالد قال :
أتيت الكوفة بفلست إلى أبي حنيفة ، فقام رجل من جلسائه فقال
فا القيل تمله ميتا * بأثقل من بعض جلاسنا
فا حملت عنه شيئاً .

(١) في القاموس : الجوش القطعة العظيمة من الليل أو من آخره ا هـ . والجوشن بزيادة النون لغة فيه .

مر رجل بصديق له ومعه رجل ثقيل، فقال له : كيف حالك؟ فقال
وقائل كيف أنت قلتُ له * هذا ليسى فما ترى حالى

وقال بشار

ربما يتقل الجليس وإن كا * ن خفيفا فى كفة الميزان
ولقد قلتُ حين وتَد فى الأُر * ض ثقيلُ أربى على ثهلان^(١)
كيف لم تحمِل الأمانةَ أرض * حملت فوقها أبا سفيان!

وقال آخر

هل غربةُ الدار منك مُنجيتي * إذا آغدت بي قلائصُ ذمُّو
وما أظن الفلاة تَجيني * منك ولا الفلكُ أيها الرجلُ^(٢)
ولو ركبْتُ البراق أدركنى * منك على نأى دارك الثقلُ
هل لك فيما ملكتُ نافلةً * تأخذه جملةً وترحمَلُ

وقال أعرابي

كأنى عند حمزة فى مقامى * ألا حيتِ عنا يا مدينا
بلينا عنده حتى كاا * ألا هبى بصححك فاصبحنا

وقال آخر

ثَقيلٌ يُطالِعنا من أمِّ * إذا سره رغمُ أنفى ألمِّ
لطلعتَه ونحرةً فى الحشا * كوخز المَشارط فى المَختجم
أقول له إذ بدا طالعا * ولا حملته إلينا قدم^(٣)
فقدتُ خيالك لا من عمى * وأذنى كلامك، لا من صمم^(٤)

(١) فى العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : أباعران . (٢) هكذا بالنسخين الفئوغرافية والألمانية
"تجيني" ولعلها "منجيتي" . (٣) فى العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : «اذ بدا لا بدا» وفى ديوان
ناظمه أبى نواس لا أتى . (٤) فى العقد الفريد والديوان : وصوت كلامك .

قال سهيل بن عبد العزيز: مَنْ ثُقِّلَ عَلَيْكَ بِنَفْسِهِ وَعَمَّكَ فِي سْؤَالِهِ فَأَلْزَمَهُ أَذْنَآ صَمَاءَ وَعَيْنًا عَمِيَاءَ .

وكتب بعضُ الكُتَّابِ فِي فِصْلِ مِنْ كِتَابِهِ: مَا آمَنُ نَزْعَ مُسْتَمِيحِ حَرَمَتِهِ، وَطَالِبِ حَاجَةٍ رَدَدْتُهُ، وَمُنَايِرِ ثَقِيلِ حُجْبَتِهِ، أَوْ مَنبَسِطِ نَابِ قَبْضَتِهِ، وَمُقْبِلِ بَعَانِهِ عَلَى لَوِيئِ عَنْهُ، فَقَدْ فَعَلْتَ هَذَا بِمُسْتَحْقِقِينَ وَبَتَعَذْرِ الْحَالِ، فَتَثَبْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ، وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ .

وقال بعضُ المُحَدِّثِينَ لِلتَّلِيلِ

نَحْرَجْنَا نُرِيدُ غُرَاةً لَنَا * وَفِينَا زِيَادُ أَبُو عَمَّصَعَةَ
فَسْتُهُ رَهِيطٌ بِهِ خَمْسَةٌ * وَخَمْسَةٌ رَهِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةٌ

باب البناء والمنازل

١٠

الهيثم بن عديّ عن مجالدٍ عن الشعبيّ قال قال السائب بن الأقرع لرجل من العجم: أخبرني عن مكان من القرية لا يخرّب حتى أستقطع ذلك الموضع، فقال له: ما بين الماء إلى دار الإمارة، فاخطت لثقيف ذلك الموضع، قال الهيثم بن عديّ: فبتّ عندهم فإذا ليّهم بمنزلة النهار .

١٥

وقال قائل في الدار: ليكن أول ما يتباع وآخر ما تبع .

وقال يحيى بن خالد لأبيه جعفر حين آخط داره لبنيها: هي قيصك فان شئت فوسعه، وإن شئت فضيقه. وأتاه وهو يبني داره التي ببغداد بقرب الدور، وإذا هم يبيضون حيطانها فقال: اعلم أنك تغطّي الذهب بالفضة، فقال جعفر: ليس في كلّ مكان يكون الذهب أنفع من الفضة، ولكن هل ترى عيباً؟ قال: نعم، مخالطتها دور السوق .

٢٠

دخل ابن التوهم على بعض البصريين وهو يبنى دارا كثيرة الذرع ، واسعة الصحن ، رفيعة السمك ، عظيمة الأبواب ، فقال : اعلم أنك قد ألزمت نفسك مشونة لا تطاق ، وعيالا لا يُحتمل مثلهم ، ولا بد لك من الخدم والستور والفرش على حسب ما آبتيت به نفسك ، وإن لم تفعل هجنت رأيتك .

وقرأت في كتاب "الآيين" أنه كان يُستقبل بفراش الملك ومجلسه المشرق ، أو يُستقبل به مهب الصبا ، وذلك أن ناحية المشرق وناحية الصبا يوصفان بالعلو والارتفاع ، وناحية الدبور وناحية المغرب يوصفان بالفضيلة والانهفاض ، وكان يُستقبل بصدور إيوانات الملك المشرق أو مهب الدبور ، ويُستقبل بصدور الخلاء وما فيه من المقاعد مهب الصبا ، لأنه يقال : إن استقبال الصبا في موضع الخلاء آمن من سحر السحرة ومن ريح الجنة .

وكان عمر يقول : على كل خائن أمينان : الماء والطين . ومر ببناء يبنى بأجر ويجص فقال : لمن هذا؟ قالوا : لفلان ، عامل له ، فقال : تآبى الدرهم إلا أن تُخرج أعناقها ، وشاطره ماله .

أبو الحسن قال : لما بلغ عمر أن سعدا وأصحابه قد بنوا بالمدر قال : قد كنت أكره لكم البنيان بالمدر ، فأما إذ قد فعلتم فعرضوا آلحيطان ، وأطيلوا السمك ، وقاربوا بين الخشب . وقيل ليزيد بن المهلب : لم لا تبنى بالبصرة دارا؟ فقال : لأني لا أدخلها إلا أميرا أو أسيرا ، فإن كنت أسيرا فالسجن داري ، وإن كنت أميرا فدار الإمارة داري . وقال : الصواب أن تُتخذ الدور بين الماء والسوق ، وأن تكون الدور شرقية والبساتين غربية .

قال بعض الشعراء

بنو عمير مجدهم دارهم * وكل قوم لهم مجده

(١) وردت هذه الكلمة هكذا بالأصلين ولم يظهر لها معنى .

وقال آخر لأبي محمد الزیدی

قَوِي خِيَارٌ غَيْرَ مَا أَنَّهُمْ * صَوَّلْتُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى جَارِهِمْ
لَيْسَ لَهُمْ مَجْدٌ سِوَى مَسْجِدٍ * بِهِ تَعَدُّوا فَوْقَ أَطْوَارِهِمْ
لَوْ هُدِمَ الْمَسْجِدُ لَمْ يُعْرَفُوا * يَوْمًا وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَخْبَارِهِمْ

وقال رجل من خُرَاعَة

نَحَرَ الْمَسِيْبُ بِالْمَنَارِ * وَمَنَارُهُ بِرَحًا عُمَارُهُ
فَإِذَا تَفَاخَرَتِ الْقُبَا * تَلُّ مِنْ تَمِيمٍ أَوْ قَزَارِهِ
حَفَلَتْ عَلَيْكَ شُبُوحُ ضَبَّةٍ * بِالْمَسِيْبِ وَالْمَنَارِهِ

مرّ رجل من الخوارج بدار ثبني فقال : من هذا الذي يُقيم كفيلاً ؟ . وقالوا :

كُلُّ مَالٍ لَا يَخْرُجُ بِمَخْرُوجِكَ وَلَا يَرْجِعُ بِرَجُوعِكَ وَلَا يَنْتَقِلُ فِي الْوَجْهِ بِانْتِقَالِكَ فَهُوَ
كَفِيلٌ .

وقالت الحكماء من الروم : أصلح مواضع البنيان أن يكون على تل أو كبس وثيق
ليكون ميطلاً ، وأحق ما جعلت إليه أبواب المنازل وأفتيتها وكواؤها المشرق وأستقبال
الصبا ، فإن ذلك أصلح للأبدان لسرعة طلوع الشمس وضوئها عليهم .

ومن حسن التشبيه في البناء قول علي بن أبيهم

صُحُونٌ تُسَافِرُ فِيهَا الْعَيُونُ * وَتَحْسِرُ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا
وَقَبَّةٌ مُلْكٌ كَأَنَّ النُّجُومَ * مَ تَصْنَعِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
وَقَوَارِيرٌ تَأْرَهُ فِي السَّمَاءِ * فَلَيْسَتْ تَقْصِرُ عَنْ تَأْرِهَا
إِذَا أُوقِدَتْ نَارُهَا بِالْعِرَاقِ * أَضَاءَ الْجَمَازِ سَنَا نَارِهَا
تَرَدُّ عَلَى الْمَزْنِ مَا أَنْزَلَتْ * عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ أَقْطَارِهَا

(۱) محلة بالكوفة تنسب الى عمارة بن عقبة بن أبي ميط . معجم البلدان .

لها سُرفَاتُ كأنَّ الربيع * كساها الرِّياضُ بأنوارها
فهنَّ كُصَطِحَاتٍ خرجن * لفصح النصارى وإفطارها
فمن بين عاقصةٍ شعرها * ومُصلِحَةٍ عَقَدَ زُنَّارها

وقال الوليد بن كعب

بكت دارُ بَشِيرٍ شجوها أن تبدلت * هلال بن عبادٍ بَشِيرٍ بن غالب
وما هي إلا مثل عريسٍ تنقلت * على رَعْمِها من هاشمٍ في مُحَارِبٍ

وقال آخر

ألم تر حَوْشَبًا أمسى يُنَبِّي * قصورا نفعها لِنَبِيِّ بَقِيله
يُؤمَلُ أن يُعَمَّرَ عُمرَ نوح * وأمرُ الله يحدُّ كلَّ ليله

كان مالك بن أسماء يهوى جاريةً من بني أسد وكانت تنزل خُصًا وكانت دارُ

مالك مبنيةً بأجر فقال

ياليت لي خُصًا يُجاورها * بدلًا بداري في بني أسد
الخص فيه تقرُّ أعيننا * خيرٌ من الأجر والكمد

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش عن أبيه قال حدثنا إسحاق بن ألفتات قاضي

مصر عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال قال سليمان بن داود لابنه : يا بني إن

من ضيق العيش شراء الخبز من السوق، والنقلة من منزلٍ إلى منزلٍ .

بلغني أن رجلاً من الزهاد مرّ في زورق، فلما نظر إلى بناء المأمون وأبوابه صاح :

وأعمراه ! فسمعه المأمون فدعا به فقال : ما قلت؟ قال : رأيتُ بناءً ألا كاسرة فقلتُ

ما سمعتُ، قال المأمون : رأيتُ لو تحولتُ من هذه المدينة إلى إيوان كسرى

بالمدائن هل كان لك أن تعيبَ نزولي هناك؟ قال : لا، قال : فأراك إنما عبتُ إسرائي

في النفقة، قال : نعم، قال : فلو وهبت قيمة هذا البناء لرجل أكنت تعيب ذلك؟
 قال : لا، قال : فلو بنى هذا الرجل بما كنت أهب له بناءً أكنت تصيح به كما
 صحت بي؟ قال : لا، قال : فأراك إنما قصدتني لخاصتي في نفسي لا لعله هي
 في غيري، ثم قال له : هذا البناء ضرب من مكابدا نبيه وتخذ الجيوش ونعد
 السلاح والكراع وما بنا إلى أكثره حاجة، فلا تعودن إلى فتمسك عقوبتي، فإن
 الحفيظة ربما صرفت ذا الرأي إلى هواه، فاستعمله .

باب المزاح والرخص^(١) فيه

قال حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن هشام بن عروة عن
 أبي سلمة قال : أخبرني عائشة أنها سأبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
 فسبقت، وسابقت في سفر آخر فسبقتها وقال : «هذه بتلك» .

حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع قال : كان أبو هريرة على المدينة خليفة
 لمروان، فربما ركب حماراً قد شد عليه برذعة وفي رأسه حلية فيلقى الرجل فيقول :
 الطريق، قد جاء الأمير، وربما دعاني إلى عشائه بالليل فيقول : دع العراق للأمير،
 فأنظر فإذا هو ثريد بزيت .

قال حدثني محمد بن محمد بن مرزوق عن زاجر بن الصلت الطاحي عن سعيد
 ابن عثمان قال، قال الشعبي لخياط مرتبه : عندنا حُب مكسور تحيطه؟ فقال
 الخياط : إن كان عندك خيوط من ريج .

(١) كذا في الأصل، ولم نجد في القاموس ولا في اللسان الرخص بمعنى الترخيص والتسجيل، والوارد في هذا
 المعنى إنما هو الرخصة بناء التأنيث فلعل التاء سقطت من قلم النسخ .

(٢) العراق : العظم أكل لحمه أو العظم بلحمه .
 (٣) في الأصل : الطاحي بالجيم وهو تحريف والتصويب عن تاج العروس .

- وحدثني بهذا الإسناد قال : دخل رجل على الشعبيّ ومعه في البيت امرأة فقال .
 أيكم الشعبيّ؟ قال الشعبيّ : هذه . وسئل الشعبيّ عن لحم الشيطان فقال : نحن
 نرضى منه بالكفّاف ، قال : فما تقول في الذّبّان؟ قال : إن اشتبهته فكُله .
- قال خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمازحه : ما أنت يا أبا فراس بالذي لمّا
 رأيته أكرهه وقطعتن أيديهن ، قال : ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت فيه
 الفناة لأبيها : (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) .
- حماد بن زيد عن غالب أنه سأل ابن سيرين عن هشام بن حسان قال :
 تُوفى البارحة ، أما شعرت؟ فخرج واسترجع ، فلما رأى ابن سيرين جزعه قرأ (اللَّهُ يَتَوَفَّى
 الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) .
- مرّ بالشعبيّ حمّالٌ على ظهره دَنٌّ خَلٌّ ، فلما رآه وضع الدنّ وقال : ما كان اسمُ
 امرأةِ ابليس؟ فقال الشعبيّ : ذاك نكاحٌ ما شهدناه .
- حدثني محمد بن عبد العزيز عن الأصبهانيّ عن يحيى بن أبي زائدة عن الأعمش
 قال : عادني إبراهيم فنظر إلى منزلي فقال : أما أنت فتعرّف في منزلك أنك لست من
 أهل القريتين عظيم .
- وروى وكيع عن ربيعة عن الزهريّ عن وهب بن عبد بن زمعة قال ، قالت
 أم سلمة : خرج أبو بكر في تجارة ومعه نعيان وسويط بن حرملة ، وكانا شهدا بدرا ،
 وكان نعيان على الزاد فقال له سويط وكان مزاحا : أطعمني ، فقال : حتى يحيى
 أبو بكر ، فقال : أما والله لأغيظنك ، فمزوا بقوم فقال لهم سويط : أتشترون مني
 عبدا لي؟ قالوا : نعم ، قال : إنه عبد له كلام وهو قائل لكم : إني حرّ ، فإن كنتم
 إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تُفسدوا علىّ عبدي ، فقالوا : بل نشتريه منك .

بعضر قلائص ، ثم جاءوا فوضعوا في عنقه حبلا وعمامة واشتروه ، فقال نعيان : إن هذا يستهزئ بكم وإني حرّ ، قالوا : قد أخبرنا بنجرك ، وأنطلقوا به ، وجاء أبو بكر فأخبروه فاتبعهم فردّ عليهم القلائص وأخذه ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه فضحك هو وأصحابه منهما حولا .^(١)

٥ حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي عن أبي عوانة عن قتادة أن عدى بن أرطاة تزوج امرأة بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها فخاصمته إلى شريح ، فقال : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينك وبين الحائط ، قال : إني رجل من أهل الشام ، قال : بعيد سمحيق ، قال : إني تزوجت امرأة ، قال : بالرفاء والبنين ، قال : وولدت غلاما ، قال : ليهنئك الفارس ، قال : وشرطت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : اقض بيننا ، قال : قد قضيت ، قال : ١٠ بمه ؟ قال شريح : « حدثت امرأة حديثين فإن أبت فأربع »^(٢) قال لي المحدث : فأربعة ، وإنما هو أربع أي كُف وأمسك .

وتقدم رجلان إلى شريح في خصومة فأقر أحدهما بما يدعى الآخر عليه وهو لا يعلم ، فقاضى عليه شريح ، فقال الرجل : أتقاضى عليّ بغير بينة ؟ فقال : قد شهد عندي ثقة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخت خالتك . ١٥

كان ابن سيرين يُنشد

نُبئتُ أن فتاة كنتُ أخطبها * عُرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

(١) في القاموس في مادة نعم أن نعيان هو المزاج وأنه هو الذي باع سويطا وبعد نحو صفحين من هذا الكتاب متجد ذكر نعيان بأنه هو المزاج .

٢٠ (٢) رواه الميداني « حدثت امرأة حديثين فان لم تفهم فأربعة وفسره بقوله أي زد ثم قال : وأراد بالحديثين حديثا واحدا تكرره مرتين فكانت حديثها حديثين ، والمعنى كررها الحديث لأنها أضعف فهما فان لم تفهم فاجعلهما أربعة . ورواه في اللسان كما في الأصل وقال في معناه أي قف واقتصر وهو من ربع يربع إذا كف وأمسك .

وقال أيضا

لقد أصبحت عرسُ ألفرزدق ناشزا * ولو رضيتُ ربحَ آسته لأستقرتِ
وكان ابن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

أمدائني قال ، قال عمرو بن العاص لمعاوية : إني رأيت أبارحة في المنام كأن
القيامة قد قامت ووُضعت الموازينُ وأُحضِر الناسُ للحساب ، فنظرت إليك وأنت
واقف قد أجمك العرقُ ، وبين يديك صحف كأمثال ألبال ، فقال معاوية : فهل
رأيت شيئا من دنانير مصر !

كان معن بن زائدة ظنينا في دينه ، فبعث إلى ابن عياش المنتوف بألف دينار ،
وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بألف دينار آشريتُ بها دينك ، فاقبض المال
وأكتب إلى بالتسليم ، فكتب إليه : قد قبضتُ ألدنانير وبعثتُ بها ديني خلا التوحيد
لما عرفتُ من زهدك فيه .

قال الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء من ربيعة ! فقال يزيد : أجل ،
ولكن منابرهم أجدوع .

قال بلال بن أبي بردة لابن أبي علقمة : إنما دعوتك لأسخرك منك ، فقال له ابن
أبي علقمة : لئن قلتَ ذلك لقد حَكَمَ المسلمون رجلين سخرا أحدهما من الآخر .

كان يقال : السَّبَابُ مزاح النَّوْكَى ^(١) . وقال الشاعر
أخو أجد إن جاددت أرضاك جِدُّه * وذو باطل إن شئت أهلك باطله
وقال مسعر بن كدام لابنه

ولقد حبوتك يا كدام نصيحتي * فاسمع لقول أبي عليك شفيق

أما المزاحُ والمراءُ فدعهما * خلُّقان لا أرضاهما لمصدق

ولقد بلوتهما فلم أحدهما * لمحاوِر جارٍ ولا لرفيق

(١) كذا في الأصل . وفي جمع الأمثال للبداني «المزاح سباب النوكى» .

وقال الكميت

وفي الناس أقذاعٌ مَلاهِجٌ بِالْحَنَّا * متى يَبْلُغُ الحِدُّ الحَفِيظَةَ يَلْعَبُوا

ومما يقارب هذا قولُ بعض المحدثين

أراني سَأبِدِي عند أول سكرة * هواي لفضل في خفاء وفي ستر

فإن رَضِيَتْ كان الرضا سببَ الهوى * وإن غَضِبَتْ حَمَلَتْ ذنبي على البكر

وقال الراعي - في نحو هذا يصف نساء -

يُنَاجِينَنَا بِالطَّرْفِ دون حديثنا * وَيَقْضِينَ حاجاتٍ وهنَ مَوَازِحُ

عرض بعضُ الأمراء على رجل عمليْن ليختار أحدهما فيوليه ، فقال : « كلاهما

وتمرا » ، فقال : أعندي تمزح ! لا وليت لي عملا .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ كثر ضحكُه قلت هيبته . وقال عليّ : إذا ضحك العالم

ضحكٌ مَجَّ من العلم مجَّةً . وقال أكرم : « المزاحَةُ تُذْهِبُ المهابَةَ » .

الهيثمُ عن عوانة الكلبي قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو مغموّم

وعنده رجل كان يحسده الأخطل ويُقارضه ، فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين عهدى

بأبي هذا الفتى وهو سيدنا معشرَ بني جُشم ، وشيخنا الذي نصدُرُ عن رأيه ، فاهتر

لها الفتى وقال : يا أمير المؤمنين ، هو أعلم بنا قديما وحديثا ، قال الأخطل : إن أباه

أمرنا ذات يوم وقد تورت الرياضُ أن نخرُجَ إلى روضة في ظهر بيوت الحى

فتحدث فيها ، نفرجنا وابتسطننا لعبا ، ونخرج الرجل منا بالبكرة الكوماء و بالخروف

والجدى ، وقام الفتيانُ فاجتروا واشتروا ودارت السقاةُ علينا ، فبينما نحن كذلك

رُئِفَ أبوه فما تركنا في الحى روثه حمار إلا نَسَقناه إياها فلم يرقأ دمه ، فقال لنا شيخ :

(١) هكذا بالأصول ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا « ابسط » ، ولعله محرف عن « أبسطنا » .

شُدُوا خُصِيَّ الشَّيْخِ عَصَبًا، ففعلنا ذلك فرقا الدم، فوالله ما دارت الكأس إلا دورة حتى أنا الصريح عن أمه أنها قد رَعِفَتْ، فبادرنا إليها، فوالله ما درينا ما نَعِصِبُ منها حتى خرجت نفسها، وعبد الملك يَفَحِّصُ برجليه ضحكا، والفتى يقول: كذب والله، فقال عبد الملك: ألم تزعم أنه أعلم الناس بقديمكم وحديثكم!

حدثني أحمد بن عمرو قال: كان رجل من الفقهاء في طريق مكة، فرأى وهو محرم يربوعاً فرماه بعصا كانت في يده فقتله، فقال الجمال: ألسن محرمًا؟ قال: بلى وما كانت بي إلى رميه حاجة إلا أن تعلم أن إحرامى لا يمنعني من ضربك.

قال وكان الأعمش يقول: من تمام الحج ضرب الجمال.

المدائني قال: كان نعيان رجلا من الأنصار وشهد بدرا وجلده النبي عليه السلام في الخمر أربع مرات، فمتر نعيان بمخرمة بن نوفل وقد كُفَّ بصره فقال: ألا رجل يقودني حتى أبول، فأخذ بيده نعيان، فلما [بلغ] ^(١) مؤخر المسجد قال: ها هنا قبل، فبال فصيح به، فقال: من قادني؟ قيل: نعيان، قال: لله على أن أضربه بعصا هذه، فبلغ نعيان فأتاه فقال له: هل لك في نعيان؟ فقال: نعم، فقال: قم، فقام معه فأتى به عثمان بن عفان وهو يصلي، فقال: دونك الرجل، فجمع يديه في العصا ثم ضربه، فقال الناس: أمير المؤمنين، فقال: من قادني؟ قالوا: نعيان، قال:

لا أعود إلى نعيان أبدا.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: قلت لخارجة بن زيد: هل كان الغناء يكون في العرسات؟ قال: قد كان ذلك، ولا يحضر بما يحضر اليوم

(١) زيادة في النسخة الألمانية وهي لازمة.

من السفه، دعانا أخواننا بنو نبيط في مدعاة لهم فشهد المدعاة حسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن وأنا، وجاريتان تُغنيان

أنظر خليلي بباب جَلِقَ هل * تُؤنِسُ دون البلقاء من أحد

فبكي حسان وقد كُفَّ بصره، وجعل عبد الرحمن يُومئ إليهما أن زيدا، فلا أدري ماذا يعجبه من أن تُبكي أباه، ثم جرى بالطعام، فقال حسان: أ طعامُ يد أم طعامُ يدين؟ فقالوا: طعامُ يد، يريدون التريده فاكل، ثم أتى بطعام آخر فقال: أ طعامُ يد أم طعامُ يدين؟ قالوا: طعامُ يدين، يعنون الشواء فكف.

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: كان طويس يتغنى في عرس، فدخل النعمان ابن بشير العرس وطويس يقول

أجد بعمرة غنيانها * فتهجر أم شأننا شأنها^(١)

وعمرة أم النعمان، فقيل له: اسكت اسكت، فقال النعمان: إنه لم يقل بأسا وإنما قال

وعمرة من سروات النساء * تفتح بالمسك أردانها

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا المجاج بن نصير قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي العالية أنه كان مع ابن عباس وهو محرم، فقال ابن عباس

وهن يمشين بنا هميسا * إن تصدق الطير نبل لميسا^(٢)

فقالوا: تقول الرفث وأنت محرم يا ابن عباس! فقال: إنما الرفث عند النساء. قال جابر الجعفي: رأيت الشعبي خارجا من الكوفة فقلت له: أين؟ قال: أنظر إلى القبيل.

٢٠ (١) كذا بالأصول ولسان العرب . وفي نهاية الأرب ج ٤ ص ٢١١ : أم شأننا شأنها وهو أوجه .
(٢) كذا في الأصل نبل باللام . وروى في شرح القاموس للرتضي والعقد الفريد بالكاف بدل اللام .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا شريك عن جابر الجعفي عن عكرمة قال : ختن ابن عباس بنيه فارساني فدعوت اللعابين فلعبوا فأعطاهم^(١) أربعمائة درهم .

حدثني شيخ لنا من أهل المدينة قال : ولي الأوقص المخزومي قضاء مكة فما ربي مثلُه في العفاف والنبل ، فيينا هو نائم ذات ليلة في جناح له مر به سكران يتغنى ، فاشرف عليه فقال له : يا هذا ، شربت حراما ، وأيقظت نؤاما ، وغنيت خطأ ، خذ عني فأصلحه له . وقال الأوقص قالت لي أمي : يا بُني إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجاعة الفتيان في بيوت القيان ، إنك لا تكون مع أحد الا تخطئك إليه العيون ، فعليك بالدين فإنه يرفع الحسيصة ويُمِّم القيصصة ، فنفعني الله بكلامها فبلغت القضاء .

قال عبدالله بن جعفر لرجل : لو غنتك فلانة جاري صوت كذا ما أدركت دكانك .

حدثني شيخ لنا عن سلم بن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : مر بي عمر ، وأنا وعاصم بن عمر نتغنى غناء النصب^(٢) ، فقال : أعيدا ، فأعدنا ، فقال : منلكما مثل حماري العبادي ، قيل له : أي حماريك أشتر؟ قال : هذا ثم هذا .

وحدثني أيضا عن ابن عاصم عن ابن جريح قال : سألت عطاء عن القراءة على ألحان الغناء والحدا فقال : وما بأس ، لقد حدثني عبيد بن عمير الليثي قال : كانت لداود نبي الله معزفة يضرب بها إذا قرأ الزبور ، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجن والطير فبكي وأبكي من حوله . وقال لي غيره : ولهذا قيل : مزامير داود ، كأنه أغاني داود .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفوتوغرافية "أربعة درهم" ولا ندرى أسقط من النسخ
كلمة مائة أم ألف الجمع في دراهم . (٢) ضرب من أغاني العرب .
(٣) كذا بالأصل ، وفي جمع الأمثال «شر» وهو الإفصح .

خرج أبو معاوية الضرير يوماً على أصحابه فقال

وإذا المعدة جاشت * فارمها بالمنجنيق

بثلاث من نبيذ * ليس بالحلو الرقيق

الثوبجاني قال حدثني محمد بن سابق قال حدثنا مالك بن مغول عن أبي حصين

قال : شرب الأسود فقال : لو سقيتموني آخر لغنيت .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن المجالد^(١) عن الشعبي عن عمه قال :

صحبت ابن مسعود حولاً من رمضان إلى رمضان لم يصم يوماً واحداً ، [ف]أهمني^(٢)
ذلك وسالت عنه ، ولم أره صلى الضحى حتى خرج من بين أظهرنا .

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا مسلم بن إبراهيم عن مهدي بن ميمون قال :

كان أبو صادق لا يتطوع من السنة بصوم يوم ، ولا يصلي ركعة سوى الفريضة
قبلها ولا بعدها ، وكان به من الورع شيء عجيب .

حدثني الزبيري قال قال حماد بن زيد عن أيوب قال : دخلت على رجل من

الفقهاء وهو يلعب بالشطرنج .

وحدثني الزبيري قال حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن حسان قال : سئل ابن

سيرين عن اللعب بالشطرنج فقال : لا بأس به هو رفق .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معتمر قال ، قال أبي : ترون أن الشطرنج^(٣)

ووضعت على أمر عظيم؟ .

(١) كذا في الأصل بالتعريف والمعروف في كتب التراجم « مجالد » بدون ال ، ودخول ال في مثل المقول

عن اسم الفاعل للح الصفة ، ووقوف على السماع من العرب . (٢) زيادة يقتضها سياق الكلام .

(٣) لم نغف في كتب اللغة على أن الشطرنج مما يصح تأنيته ولعل تأنيته هنا على تأويله بآلة لعب .

قال وحدثنا الأصمعي عن ابن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد قال: كان قيس ابن أبي حازم في مَدْعَاةٍ فقال لصاحب المنزل: طَيْرٌ .

حدثني شبابة قال حدثني القاسم بن الحكم العرنى قال: حدثني سليم مولى الشعبي أن الشعبي كان إذا اختضب فغرض لآعب أبنته بالترد حتى يعلق الخضاب .

حدثنا إسحاق بن راهويه^(١) قال أخبرنا النضر بن شميل قال حدثنا شعبة عن عبد ربه قال: سمعت سعيد بن المسيب وسئل عن اللعب بالترد فقال: إذا لم يكن قماراً فلا بأس .

حدثنا إسحاق بن راهويه^(٢) قال أخبرنا الفضل بن موسى عن رشدين بن كريب قال: رأيت عكرمة أقيم قائماً على اللعب بالترد . قال إسحاق: إن كان لعبه على غير معنى القمار يريد به التعليم والمكايده فهو مكروه، ولا يبلغ ذلك إسقاط شهادته .

وروى عبد الملك بن عمير عن إبراهيم بن محمد قال أخبرني أبي قال: رأيت أبا هريرة يلعب مع أبي بأربعة عشر على ظهر المسجد .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثني علي بن عاصم عن أبي إسحاق الشيباني عن خوات التيمي عن الحارث بن سويد قال: أتى عبد الله بن مسعود رجلاً فقال: يا أبا عبد الرحمن إن لي جاراً يرني وما يتوزع من شيء أصابه، وإني أعسر فاستسلفه، ويدعوني فأجيبه، فقال: كل فلك مهتؤه وعليه وزره .

كان أبو فضالة أسنً وشقت عليه الصلاة، فكان يقول: مُشْقِيَةٌ مُنْصِبَةٌ، مُقِيمَةٌ مُقْعِدَةٌ، لا تزال بصاحبها حتى يضع أكرمه ويرفع أخشه .

(١) غرض: أصابه اللال .

(٢) كذا بفتح الراء وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الياء وبعدها هاء ساكنة ضبطه في ابن خلكان

ثم قال: وقيل له أيضاً راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء .

قال عبد الله بن القَعْقَاعِ الأَسَدِيُّ

أَنَا نَابِهَا صَفْرَاءُ يَزْعَمُ أَنَّهَا * زَيْبٌ ، فَصَدَّقْنَا هُوَ كَذُوبٌ
فَهَلْ هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ غَابَ نَحْسُهَا * أَصَلَّى لِرَبِّي بَعْدَهَا وَأَتُوبُ

وقال آخر

مَنْ ذَا يُحْرِمُ مَاءَ الْمِزْنِ خَالِطُهُ * فِي جُوفِ آئِنِي مَاءُ الْعِنَاقِيدِ
إِنِّي لِأُكْرَهُ تَشْدِيدَ الرُّوَاةِ لَنَا * فِيهَا وَيُعْجِبُنِي قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ

وعيونُ الأخبارِ ومُتَخَيِّرُ الشَّعْرِ فِي الشَّرَابِ يَقَعُ فِي كِتَابِي الْمَوْلَفِ فِي الْأَشْرَبَةِ ، وَلِذَلِكَ

تَرَكْتُ ذِكْرَهَا .

وكتب بعضُ الكُتَّابِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ فِي فَصْلِ : وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ فَإِنْ عُقِدَةَ

الإِسْلَامِ فِي قُلُوبِنَا صَحِيحَةٌ ، وَأَوَاخِيهِ ثَابِتَةٌ ، وَلَقَدْ اجْتَهَدَ قَوْمٌ أَنْ يَدْخُلُوا قُلُوبَنَا مِنْ
مَرَضِ قُلُوبِهِمْ ، وَأَنْ يَلْبَسُوا يَقِينَنَا بِشَكْمِهِمْ ، فَمَنَعْنَا عِصْمَةَ اللَّهِ مِنْهُمْ ، وَحَالَ تَوْفِيقُهُ
دُونَهُمْ ، وَلَنَا بَعْدُ مَذْهَبٌ فِي الدُّعَابَةِ جَمِيلٌ ، لَا يَشُوبُهُ أَدْوَى وَلَا قَدْوَى ، يُجْرَجُ إِلَى
الْأَنْسِ مِنَ الْعُبُوسِ ، وَإِلَى الْإِسْتِرْسَالِ مِنَ الْقُطُوبِ ، وَيُلْحِقُنَا بِأَحْرَارِ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ
الَّذِينَ ارْتَفَعُوا عَنِ لِبْسَةِ الرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ .

التَّوَسُّطُ فِي الْأَشْيَاءِ ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِيهَا وَالغُلُوقِ

بَابُ التَّوَسُّطِ فِي الدِّينِ

حَدَّثَنِي الزِّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الدَّرَّاورِدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ طَاحَلَاءَ

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

”إِكْفَأُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْعَمَلِ

أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ“ .

حدّثني محمد بن يحيى القطيعي قال حدّثنا محمد بن علي بن مُقَدِّم عن معين الغفاري عن المقبري عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرُّوْنَ يُسَادُّوْنَ التَّيْنَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدُّوْا وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا".

حدّثني القومسي عن أحمد بن يونس عن زهير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ الحَسَنُ والسَّمْتُ الصَّالِحُ والاقتِصَادُ جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءاً من النبوة".

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن مسلم بن يسار أن رُفِقَةً من الأشعرين كانوا في سفر، فلما قدّموا قالوا: يا رسول الله ليس أحدٌ بعد رسول الله أفضل من فلان، يصومُ النهار، فإذا نزلنا قام يُصَلِّي حتى نرتحل، قال: "مَنْ كَانَ يَمَهُنُّ لَهُ أَوْ يَكْفِيهِ أَوْ يَعْمَلُ لَهُ"؟ قالوا: نحن، قال: "كُلُّكُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ".

وروى أبو معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن عليّ عليه السلام قال: خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفْتَنِّ تَوَابٍ، وقال عليّ أيضاً: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّمَطُّ الْأَوْسَطُ، يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْغَالِي وَيَلْحَقُ بِهِمُ التَّالِي.

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرة قال، قال حذيفة: خِيَارُكُمْ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ لِآخِرَتِهِمْ، وَمَنْ آخَرْتَهُمْ لِدُنْيَاهُمْ. وَكَانَ يُقَالُ: دِينَ اللَّهِ

(١) كذا في اللسان والعقد الفريد وفي الأصل «البالي» وهو تحريف، ورواه في نهج البلاغة «نحن النرفة الوسطى بها يلحق التالى والها يرجع الغالى» وفسره شارحه بأن آل البيت أشبه بها للاستناد اليهم في أمور الدين كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر واطمان الأعضاء ووصفها بالوسطى لاتصال سائر التمارق بها فكان الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما يجانبه وآل البيت على الصراط الوسط العدل يلحق بهم من قصر ويرجع اليهم من غلا وتجاوزا .

بين المقصّر والغالى . وقال المطرف لأبنته : يا بُنى ، الحسنَةُ بين السيئتين ، يعنى بين الإفراط والتقصير ، وخيرُ الأمور أوساطُها ، وشُرُّ السَّيرِ الحَقُّقَةُ^(٢)

وفى بعض الحديث المرفوع : "ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه" . وقال : "إن الله بعثنى بالحنيفية السهلة ، ولم يبعثنى بالرهبانية المبتدعة ، سُئِنِي^(٣) الصلاة والنوم ، والإفطار والصوم ، فمن رَغِبَ عن سنتى فليس منى" . وفى الحديث : "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبق" .

وكان يقال : طالبُ العلم وعاملُ البرِّ كآكلِ الطعام إن أخذ منه قوتا عصمه ، وإن أسرف فى الأخذ منه بشمه^(٤) ، وربما كانت فيه منيته ، وكأخذ الأدوية التى قصدها شفاءً ، ومجاوزةُ القدر فيها السمُّ المميتُ .

حدثنى محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبي حفصة أن ابن أبي نعيم كان يهمل من السنة إلى السنة ويقول فى تلبيته : لبيك ، لو كان رياء لأضمحل . حدثنى أحمد بن الخليل قال حدثنا موسى بن مسعود عن سفيان عن أبي إسحاق قال [قال] عمر بن ميمون : لو أدرك أصحابنا محمد بن أبي نعيم لرجموه ، كان يواصل كذا وكذا يوماً ويهمل بالحج إذا رجع الناس من الحج .

وقال سلمان : القصد والدوام وأنت السابق الجواد . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مريم لقي رجلاً فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبد . قال : من يعود عليك ؟ قال : أنى ، قال : أخوك أعبد منك .

(١) كذا بالأصل والمعروف فى كتب التراجم «عازف» بدون ال . (٢) الحفحفة : أرفع السير وأتعبه للظهر . (٣) فى الأصل «فتى» وهو تحريف . (٤) هكذا فى النسخ التى بأيدينا «بشمه» بغير ألف . وفى القاموس واللسان ، يقال : يشم الرجل وأبشمه الطعام .

رَوْحُ بنِ عُبَادَةَ عنِ الحِجَاجِ بنِ الأَسودِ قالَ : مَنْ يَدْتَنِي على رِجْلِ بَكَاءٍ بالليلِ بَسَامٍ
بالنهارِ ؟

وروى أبو أسامة عن حماد بن زيد عن إسحاق بن سويد قال ، قال مطرف :
انظروا قوما إذا ذكروا ذكروا بالقراءة فلا تكونوا منهم ، وانظروا قوما إذا ذكروا ذكروا
بالفجور فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء وهؤلاء .

باب التوسط في المداراة والحلم

قرأت في كتاب للهند : بعض المقاربة حزم ، وكل المقاربة عجز ، كالخشب
المنصوبة في الشمس تُمسَلُ فيزيد ظمها ، ويُفَرَطُ في الإمالة فينقص الظل . ومن
أمثال العرب في هذا : « لا تكن حُلُوءًا قُسْطَرَطًا ^(١) ولا مُرًّا فُتْلَفَطًا » وأبو زيد يقول :
ولا مُرًّا فُتْعِي ، يقال : أعق الشيء إذا اشتدت مرارته . وقال الشاعر ^(٢)

* وإني لصعبُ الرأسِ غيرُ جُمُوحِ *

وقال آخر في صفة قوس

* في كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مُنَوِّعٌ *

وقال آخر

* شَرِيَانُهُ تَمْنَعُ بَعْدَ اللَّيْلِ *

وقال أبرويز لابنه : اجعل لأقتصادك السلطان على إفراطك ، فإنك إذا قدرت
الأمور على ذلك وزنتها بميزان الحكمة وقومتها تقويم الثقافة ، ولم تجعل للندامة
سلطانا على الحلم .

(١) سطره واستطره : ابتلعه .

(٢) هذا يقتضى أن القاف في قوله تعق مكسورة ، ويقال : أعق الشيء إذا لفظه من فيه لمرارته ، وهذا
يصح أن يكون الفعل مبيا للجهول ، وقد روى المثل بالوجهين كما في اللسان .

وقال النابغة الجعدي

ولا خير في حِلْمٍ اذا لم تكن له * بوادر تَحْمِي صَفْوَه أن يُكَدَّرَا

وقال آخر

ولا خير في عَرَضِ امرئٍ لا يصونه * ولا خير في حِلْمِ امرئٍ ذَلَّ جانبُه

وقال أكرم بن صيفي : الانتباض من الناس مكسبة للعداوة ، وإفراط الأئس
مكسبة لقرناء السوء .

باب التوسط في العقل والرأى

رُوى في الحديث أن زياد بن أبي سفيان كان كاتباً لأبي موسى الأشعري فعزله
عمر عن ذلك ، فقال له زياد : أعن عجز عزلتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانة ؟
فقال : لا عن ذلك ولا عن هذا ، ولكني كرهت أن أحمل على العاقبة فضل عقلك .
ويقال : إفراط العقل مُضِرٌّ بالحد . ومن الأمثال المبتدلة : استأذنت العقل على
الحد فقال : اذهب لا حاجة بي إليك . وقال الشاعر

فِعِشْ في جَدِّ أنوكَ حالفته * مقادير يساعدها الصوابُ

وقال آخر

إن المقادير إذا ساعدت * ألحقت العاجز بالحازم

وقال آخر

أرى زماً نوکاه أسعد أهله * ولكنه يشقى به كل عاقل

وقال الحسن : تشبه زيادُ بعمرَ وأفرط ، وتشبه المجاجُ زيادَ فأهلك الناس .
وقالت الحكماء : فضلُ الأدب في غير دين مهلكة ، وفضلُ الرأى إذا لم يُستعمل
في رضوان الله ومنفعة الناس قائدٌ إلى الذنوب ، والحفظُ الزاكي الواعي لغير العلم
النافع مُضِرٌّ بالعمل الصالح ، والعقلُ غيرُ المورع عن الذنوب خازنُ الشيطان .

تنازع آثان : أحدهما سلطان والآخر سوقى ، فضربه السلطانى فصاح :
واعمرآه ! ورُفِعَ خبره إلى المأمون فأمر بادخاله عليه ، قال : من أين أنت ؟ قال : من
أهل قامية ، قال : إن عمر بن الخطاب كان يقول : من كان جاره نبيطياً واحتاج إلى
ثمنه فليبعه ، فإن كنت تطلب سيرة عمر فهذا حكمه فيكم ، وأمر له بالف درهم .

باب ذم فضل الأدب والقول

قيل لبعض الحكماء : متى يكون الأدب شراً من عدمه ؟ قال : إذا كبر الأدب
ونقص العقل . وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله . ويقال : من
لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حقيقه في أغلب خصال الخير عليه .
وقال الشاعر

رأيت اللسان على أهله * إذا ساهم الجهل لينا مغيراً

وقال سليمان بن عبد الملك : زيادة منطق على عقل خدعة ، وزيادة عقل على
منطق هجنة ، وأحسن من ذلك ما زين بعضه بعضاً .

قال ضرار بن عمرو لابنته حين زوجها : أمسكى عليك الفضلين : فضل الغلظة
وفضل الكلام .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : رحم الله أمراً أمسك فضل القول وقدم فضل
العمل .

نزل المنذر بن المنذر في كتيبة موضعاً ، فقال له رجل : أبيت اللعن إن دُبج رجل
ها هنا ، إلى أى موضع يبلغ دمه من هذه الرابية ؟ فقال المنذر : المذبوح والله أنت ،
ولأنظرت أين يبلغ دمك ، فقال رجل ممن حضر : « رب كلمة تقول [لصاحبها] دعنى » .

(١) الذى فى جمع الأمثال للبدانى : أن القائل هو المنذر نفسه .

(٢) الزيادة عن جمع الأمثال للبدانى .

قال زياد على المنبر : إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يقطع بها ذنب عثر مصور ولو بلغت إمامه سفكت دمه . وقال أكرم بن صيفي : مقتل الرجل بين فكيه .
وقال الأحنف : حنفت الرجل محبوباً تحت لسانه .

باب التوسط في الجدة

- كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم إني أعوذ بك من غنى مبطرٍ
ومن فقرٍ ملبٍ أو مربٍ"^(۱) ، وكذلك "اللهم لا غنى يُطغى ولا فقراً يُنسى" .
وقال أبو المعتمر السلمي : الناس ثلاثة أصناف : أغنياء وفقراء وأوساط ، فالفقراء
موتى إلا من أغناه الله بعز القناعة ، والأغنياء سُكَّارَى إلا من عصمه الله بتوقع
الغير ، وأكثر الخير مع أكثر الأوساط وأكثر الشر مع الفقراء والأغنياء لسخف
الفقر وبطر الغنى . ومن أمثال العرب في هذا : «بين الممخخة والمعجفاء» .

باب الاقتصاد في الإنفاق والإعطاء

- قال الله عز وجل : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ) ،
وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .
حدثني أحمد بن الحليل عن مسلم بن إبراهيم عن سُكَّينِ بن عبد العزيز عن إبراهيم
ابن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
"مَا عَالَ مُقْتَصِدٌ" .

وحدثني أيضاً عن مسلم قال حدثنا أبو قدامة الحارث بن عبيد قال حدثنا برد بن
سنان عن الزهري قال ، قال أبو الدرداء : حُسنُ التقدير في المعيشة أفضل من
نصف الكسب ، ولَقَطَ حَبًّا مَشْتُورًا وقال : إن فقه الرجل رفقه في معيشته .

(۱) من ألَبَ بالمكان وأرَبَ به : أقام به ولزمه .

قال أبو الأسود لولده: لا تُجَاوِدُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ أَجودٌ وَأَجْدُ، وإِنَّهُ لو شاءَ أَنْ يُوسِعَ عَلَيِ النَّاسِ كُلَّهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ مَحْتَاجٌ لِفَعَلٍ، فَلَا تُجَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ فِي التَّوَسُّعِ فَتَهْلِكُوا هُرْجًا لَا .
 قيل لمحمد بن عمران قاضي المدينة — وهو من ولد طلحة بن عبيد الله — : إنك تُنَسَّبُ إِلَى البخلِ ، فقال : والله إني لا أَجُدُّ في الحقِّ ولا أذوبُ في الباطلِ . وكان يقال :
 لَا تَصُنْ كَثِيرًا عَنِ حَقِّ وَلَا تُنْفِقْ قَلِيلًا فِي باطلٍ . ومن أمثال العرب في ذلك
 « لا وَكَسَ وَلَا شَطَطَ » و « إذا جَدَّ السُّؤالُ جَدَّ المَنعُ » . وقال الشاعر
 إِلَّا أَكُنْ كُلَّ الجَوَادِ فَإِنِّي * على الزادِ في الظلماءِ غيرُ لئيمٍ
 وَإِلَّا أَكُنْ كُلَّ الشُّجاعِ فَإِنِّي * أَرُدُّ سِنانَ الرِّمحِ غيرَ سَلِيمِ
 وقد عَلِمْتُ عَلَيًا هَوَازِنَ أَنبِي * فتَهاهُمُ سَفَلَى عامِرٍ وَتَمِيمِ
 قال معاوية : ما رأيتُ شرفًا قَطَّ إِلَّا وَإِلَى جانِبِهِ حَقٌّ مُضَيِّعٌ .

أفعال من أفعال السادة والأشراف

حدثني الرِّياشي قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا ابن عمران قاضي المدينة أن طلحة كان يقال له : [طلحة] ^(١) أخير، وطلحة ألبياض، وطلحة الطائحات وأنه فدى عشرة من أسارى بدر وجاء يمشي بينهم، وأنه سئل برحيم فقال : ما سئلت بهذه الرحم قبل اليوم، وقد بعث حائطا لي بتسعمائة ألف درهم وأنا فيه بالخيار، فإن شئت أرتبعتُهُ وأعطيتكهُ، وإن شئت أعطيتك ثمنه .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال أخبرني شيخ من مشيختنا، — وربما قال : هارون الأعور — أن قتيبة بن مسلم قال : أرسلني أبي إلى ضرار بن القعقاع بن معبد ابن زُرارة فقال : قل له قد كان في قومك دماء وجراح، وقد أحبوا أن تحضر المسجد فيمن يحضر، قال : فأتيته فأبلغته فقال يا جارية : غديني، فجاءت بأرغفة

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

- خُشِنَ فَرْدَتَهُنَّ فِي مَرِيْسٍ ثُمَّ بَرَقَتَهُنَّ فَأَكَلَ ، قَالَ قَتِيْبَةٌ : بِجَعْلِ شَأْنِهِ يَصْغُرُ فِي عَيْنِي وَنَفْسِي ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، حِنْطَةُ الْأَهْوَاذِ وَتَمْرُ الْفِرَاتِ وَزَيْتُ الشَّامِ ، ثُمَّ أَخَذَ نَعْلَيْهِ وَارْتَدَى ، ثُمَّ انْطَلَقَ مَعِي وَأَتَى الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَحْتَبَى ، فَمَا رَأَتْهُ حَلَقَةً إِلَّا تَقَوَّضَتْ إِلَيْهِ ، فَاجْتَمَعَ الطَّالِبُونَ وَالْمَطْلُوبُونَ فَأَكْثَرُوا الْكَلَامَ ، فَقَالَ : إِلَى مَاذَا صَارَ أَمْرُهُمْ ؟ قَالُوا : إِلَى كَذَا وَكَذَا مِنْ إِبْلِ ، قَالَ : هِيَ عَلِيٌّ ، ثُمَّ قَامَ .
- ٥ الهيثم عن ابن عباس قال : كان معديكرب بن أبرهة جالسا مع عبد العزيز بن مروان على سريره فَأَتَى بفتيان قد شربوا الخمر ، فقال : يا أعداء الله ، أتشربون الخمر ! فقال معديكرب : أنشدك الله أن تفضح هؤلاء ، فقال : إن ألحق في هؤلاء وفي غيرهم واحد ، فقال معديكرب : يا غلام صب من شرابهم في القدح ، فصب له فشربه وقال : والله ما شرأنا في منازلنا إلا هذا ، فقال عبد العزيز : خلوا عنهم ، فقيل له حين أنصرفوا : شربت الخمر ! فقال : أما والله إن الله ليعلم أني لم أشربها قط في سر ولا علانية ، ولكني كرهت أن يفضح مثل هؤلاء بحضري .

- وحدثني شيخ لنا قال : مدح شاعر الحسن بن سهل ، فقال له : احتكم ، وظن أن همته قصيرة ، فقال : ألف ناقة ، فوجم الحسن ولم يمكنه ، وكره أن يفضح وقال : يا هذا إن بلادنا ليست بلاد إبل ، ولكن ما قال أمرؤ القيس
- ١٥ إذا ما لم يكن إبل فعزى * كأق قرون جلتها العصى^(٥)
- قد أمرت لك بألف شاة ، فآلق يحيى بن خاقان ، فأعطاه بكل شاة دينارا .

(١) في هامش النسخة الفتوغرافية : « المريس تمر وزيت » ، وفي القاموس أنه التمر المروس أو اللبن .

(٢) برق الطعام بزيت أو سمن : جعل فيه منه قليلا . قاموس .

(٣) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ، وظاهر الكلام يتوقف على " لا " النافية .

(٤) في الأصل بمصرى وهو تحريف . (٥) في الأصل : عصى . والنصحیح عن الديوان والأغاني .

قال : وقدم زائر على أبي دُلف فامر له بألف دينار وِكسوةٍ ثم قال - و يقال إن
الشعر لعبد الله بن طاهر -

أُعْجِلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرْنَا * قُلًّا وَلَوْ أَمَهَلْتَنَا لَمْ يَقْلِيلِ
نَخَذِ الْقَلِيلَ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَقْبَلِ * شَيْئًا، وَنَحْنُ كَأَنَّنا لَمْ نَفْعَلِ

وقال بعض الشعراء

ليس جودُ الفتيان من فضل ما لي * إنما الجودُ للقلِّ المُواسي

وقال دِعْبِلُ في نحوه

لئن كنتَ لا تُؤَيِّدًا دونَ إمْرَةٍ . فلستَ بِمُؤَيِّدٍ نَائِلًا آخرَ الدهرِ
فأى إناءٍ لم يَفِضْ عندَ مَلئِهِ ! * وأى بُحَيْلٍ لم يُنَلِّ ساعةَ الوفْرِ!
وليس النقي المعطى على اليسر وحده ، ولكنه المعطى على العسر واليسر

ابن الكلبي قال : أخبرني غير واحد من قريش قالوا : أراد عبد الله وعبيد الله
ابنا العباس أن يقسما ميراثهما من أبيهما بمكة ، فدعى القاسم ليقسم ، فلما مذ الحبل
قال له عبد الله : أقيم المِطْمَر ، يعني الحبل الذي يمد . فقال له عبيد الله : يا أخي ، الدارُ
دارك لا يمدُّ والله فيها اليوم مِطْمَرٌ . وكان يقال : من أراد العلم والسخاء والجمال
فليات دار العباس ، كان عبدُ الله أعلم الناس ، وعبيدُ الله أسخى الناس ، والفضلُ
أجمل الناس .

باع عبدُ الله بنُ عتبةَ أرضًا بثمانين ألفًا ، فقيل له : لو اتخذتَ لولدك من هذا
المال ذنرًا ! فقال : أنا أجعلُ هذا المالَ ذنرًا لي عند الله ، وأجعلُ الله ذنرًا
لولدي ، وقسمَ المالَ .

ويقال : إن أولَ ما عُرفَ به سُودُدُ خالد بن عبد الله القسري أنه مرَّ في بعض
طرقِ دمشق وهو غلام فإوطأ فرسه صبيًا فوقف عليه ، فلما رآه لا يتحرك أمرَ غلامه

فجعله ، ثم انتهى به إلى أول مجلس مرّ به فقال : إن حدث بهذا الغلام حدث الموت فانا صاحبه ، أوطأته قرسي ولم أعلم .

قال عدی بن حاتم لابن له حديث : فم بالباب فامنع من لا تعرف وأذن لمن تعرف ، فقال : لا والله ، لا يكون أول شيء وليته من أمر الدنيا منع قوم من الطعام .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ضاف بني زياد العبيسين ضيفاً ، فلم يشعروا إلا وقد احتضن أمهم من خلفها ، ترفع ذلك إلى ربيع بن زياد الكامل فقال : لا يضار الليلة عائذ أمي ، إنه عاذ بحقوقها .

المدائني قال : أحدث رجل في الصلاة خلف عمر بن الخطاب ، فلما سلم عمر قال : أعزّم على صاحب الضرطة إلا قام فتوضأ وصلى ، فلم يقم أحد ، فقال جزير ابن عبد الله : يا أمير المؤمنين أعزّم على نفسك وعلينا أن نتوضأ ثم نعيد الصلاة ، فأما نحن فتصير لنا نافلةً ، وأما صاحبنا فيقضي صلاته ، فقال عمر : رحمك الله ، إن كنت لشريفاً في الجاهلية ففياً في الإسلام .

كان عبد الله بن جُدعان التيمي حين كبر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يعطى شيئاً من ماله ، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال : ادن مني ، فإذا دنا منه لطمه ثم قال : اذهب فاطلب بلطمتك أو ترضى ، فترضيه بنو تيم من ماله . وفيه يقول ابن قيس الرقيات — حين نخر بصادة فريش —

والذي إن أشار نحوك لطمًا * تبع اللطم نائلٌ وعطاءٌ

وَأَبْنُ جُدْعَانَ هُوَ الْقَائِلُ

إني وإن لم ينل مالي مدى خلقي * وهاب ما ملكت كفي من المال
لا أحبسُ المالَ إلا ريثَ أتلفه * ولا تُغيّرني حالٌ عن الحال

الهيثم عن حماد الراوية عن مشايخ طي قالوا : كانت عنبه بنت عفيف أم حاتم لا تُلِقُّ شيئاً سخاءً وجوداً، فمنعها إخوتها من ذلك فأبت، وكانت مؤسرة فخبسوها في بيت سنة يطعمونها قوتها رجاء أن تكف، ثم أخرجوها بعد سنة وظنوا أنها قد أقصرت ودفعوا إليها صرمة^(٣)، فأتتها امرأة من هوازن فسألته فأعطتها الصرمة وقالت: والله لقد مسنى من الجوع ما آليت معه ألا أمنع سائلاً شيئاً، وقالت

لعمري لقد ما عَضِي الْجُوعُ عَضَةً * فَأَلَيْتُ أَلَّا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جَائِعاً
فَقُولَا لِهَذَا آلَائِي آلَانِ أَعْفِي * فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَعَضُ الْأَصَابِعَا
[فَإِذَا عَسَاكُمْ أَنْ تَقُولُوا لِأَخْتِكُمْ * سَوَى عَذْلِكُمْ أَوْ عَذْلٍ مَنْ كَانَ مَانِعَا]
وَلَا مَا تَرَوْنَ الدَّهْرَ إِلَّا طَبِيعَةً * فَكَيْفَ بَتَرَكِي يَا بِنَ أُمَّ الطَّبَائِعَا

أبن الكلبي عن أبيه عن رجالات طي قالوا: كان حاتم جواداً شاعراً، وكان حينما نزل عُرف منزله، وكان ظفراً إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سُئل وهب، وإذا ضرب بالقداح سبق، وإذا أسراً أطلق، وكان أقسم بالله: لا يقتل واحداً منه.

(١) كذا بالنسختين بعين مهمله ونون وباء موحدة بعدها . ويوافق ما في الشعر والشعراء للؤلؤ وعلق عليه ناشره بأنه يروى «عنبه» و«غنية» أنظر نسخة طبعة أوربا ص ١٢٣ و١٢٤ . وفي الأغاني طبع بولاق ج ١٦ ص ٩٧ «عنبه» . وكذا في شعراء النصرانية وعلق عليه الناشر بأنه في رواية الميداني «غنية» . أنظر نسخة طبع بيروت ص ٩٨

(٢) لا تُلِقُّ : لا تُمسك .

(٣) القطعة من الابل واختلف في عددها من العشرة الى الخمسين .

(٤) زيادة عن الأغاني وشعراء النصرانية .

(٥) كذا بالنسختين . وفي الأغاني وشعراء النصرانية : «وماذا ترون اليوم» الخ، وفي هامش نسخة الشعر والشعراء : «فهل ما ترون اليوم» الخ .

أبو أليقظان قال : أخذ عبيدُ الله بن زياد عروة بن أذينة ^(١) [أخا] ^(٢) أبي بلال فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره ، فقال لأهله : أنظروا هؤلاء الموكلين بي فأحسنوا إليهم فإنهم أضيافكم .

سفيان بن عيينة قال : كان سعيدُ بن العاص إذا أتاه سائلٌ فلم يكُ عنده ما سأل قال : اكتب عليّ بمسألتك سيجلاً إلى أيام يسرى .

باع أعرابي ناقته له من مالك بن أسماء ، فلما صار الثمن في يده نظر إليها فذرفت عيناه ، ثم قال

وقد تزعج الحاجاتُ يا أُمّ معمرٍ * كرائمٍ من ربِّ بين ضنينٍ

فقال له مالك : خذ ناقتك وقد سوغتكَ الثمن . اشترى عبيدُ الله بن أبي بكره جارية نفيسة فطلبت دابةً تُحملُ عليها فلم تُوجد ، فجاء رجل بداية فحملها ، فقال له عبيدُ الله : اذهب بالجارية إلى منزلك . باع ثابت بن عبيد الله بن أبي بكره دار الصفاق من مقاتل بن مسمع نسيئةً ثم اقتضاه فلزمه في دار أبيه ، فرآه عبيدُ الله فقال : مالك؟ قال : حبسني ابنك . قال : يم؟ قال : بمن دار الصفاق ، قال : يانابتُ أما وجدت لغراءك محبسا إلا داري ، إُدفع إليه صكّه وأعوضك . قيل لرجل : مالك تنزل في الأطراف؟ فقال : منازلُ الأشراف في الأطراف يتناولون ما يريدون بالقدرة ويتناولهم من يريدهم بالحاجة . لما كبر عدي بن حاتم آذاه بردُ الأرض وكان رجلا

(١) كذا بالنسخين الألمانية والفرنغرافية وهو محرف من "أذينة" ، وعروة بن أذينة هذا هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان فيمن قتل من الخوارج سنة ٥٨ هجرية . أنظر تاريخ ابن جرير الطبري طبع أوربا المجلد الثاني من القسم الثاني ص ١٨٥ و ١٨٦ والكامل طبع أوربا ص ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ .

(٢) هذه اللفظة ساقطة بالأصلين سهواً من النسخ لأن المكنى بأبي بلال إنما هو أخوه مرداس بن أذينة لا هو . أنظر ابن جرير أيضاً في ص ١٨٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٩

لِحَيَاةٍ فَتَمَشَّتِ الْأَرْضُ نَخْدِيهِ بِجَمْعِ قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا بَنِي نُعَلٍ ، إِنِّي لَسْتُ بِبَخِيرِكُمْ إِلَّا أَنْ تَرَوْا
 ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ أَبِي بِمَكَانٍ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، بَنَى لَكُمْ الشَّرْفَ وَنَفَى عَنْكُمْ الْعَارَ
 فَأَصْبَحَ الطَّائِي إِذَا فَعَلَ خَيْرًا قَالَ الْعَرَبُ : مِنْ حَيٍّ لَا يُجْمَدُونَ عَلَى الْجُودِ وَلَا يُعَذَّرُونَ
 عَلَى الْبُخْلِ ، وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ السَّنِّ مَا تَرَوْنَ وَأَذَانِي بَرْدُ الْأَرْضِ فَأَذْنُوا لِي فِي وِطَاءِ فِوَالِهِ
 مَا أَرِيدُهُ نَخْرًا عَلَيْكُمْ وَلَا احْتِقَارًا لَكُمْ ، وَسَاخَبَكُمْ : مَا عَلَى مَنْ وَضَعَ طَنْفَسَةً وَقَعِدَ
 حَوْلَهُ إِلَّا أَنْ الْحَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ فِي عِرْضِهِ وَيَنْخَدِعَ فِي مَالِهِ وَلَا يَحْسُدَ شَرِيفًا وَلَا يَحْفِرَ
 وَضِعًا ، فَقَالَ الْقَوْمُ : دَعْنَا الْيَوْمَ ، ثُمَّ غَدَّوْا عَلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَبَا طَرِيفِ ضَعِ الطَّنْفَسَةَ
 وَالْبَيْسَ التَّاجَ ، فَبَلَغَ ابْنَ دَارَةَ الشَّاعِرَ فَأَتَاهُ وَقَالَ : قَدْ مَدَحْتُكَ ، فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ
 حَتَّى أَنْبِتَكَ بِمَالِي فَنَمْدَحَنِي عَلَى حَسَبِهِ ، لِي أَلْفُ ضَائِئَةٍ وَأَلْفَا دَرَاهِمٍ وَثَلَاثَةُ أَعْبِدٍ ،
 وَفَرَسِي هَذَا حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، هَاتِ الْآنَ فَقَالَ

تَحِينُ قُلُوصِي فِي مَعَدِّ وَإِنَّمَا * تُلَاقِي الرَّبِيعَ فِي دِيَارِ بَنِي نُعَلٍ
 وَأَبْقَى الْآيَالِي مِنْ عَدِي بْنِ حَاتِمٍ * حُسَامًا كَلُونِ الْمَلْحَ سَلِّ مِنَ الْخَلَلِ
 أَبُوكَ جَوَادٌ مَا يُسْقَى غُبَارُهُ * وَأَنْتَ جَوَادٌ لَسْتَ تُعَذَّرُ بِالْعِلَلِ
 فَإِنْ تَفَعَلُوا شَرًّا فَمِثْلُكُمْ آتِي . وَإِنْ تَفَعَلُوا خَيْرًا فَمِثْلُكُمْ فَعَلِ

فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ ، لَا يَبْلُغُ مَالِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَشَاطِرُهُ مَالَهُ .

جاء رجل الى معن فاستحمله غيرا فقال معن : يا غلام اعطه غيرا وبغلا ويردونا وفرسا
 وبعيرا وجارية ، ولو عرفت مركوبا غير هذا لأعطيتك . وكان يقال : حدث عن
 البحر ولا حرج وعن بني إسرائيل ولا حرج وعن معن ولا حرج . قال رجل من كلب
 للحكم بن عوانة وهو على السند : إنما أنت عبد ، فقال الحكم : والله لأعطينك عطية

(١) في العقد الفريد، ج ١ ص ١١٧ زيادة « وثلاث إماء » .

(٢) رواية العقد الفريد، ج ١ ص ١١٧ « كنصل السيف » .

لا يُعطيها العبدُ فأعطاه مائة رأس من السبي، وقرأت في بعض كتب العجم أن جامات كسرى التي كان يأكل فيها كانت من ذهب، فسرق رجلٌ من أصحابه جاما وكسرى ينظر إليه، فلما رُفعت الموائد أفتقد الطباخُ الحمامَ فرجع يطلبها، فقال له كسرى: لا تتعن فقد أخذها من لا يردّها ورآه من لا يُفشي عليه، ثم دخل عليه الرجل بعد ذلك وقد حلّى سيفه ومنطقته ذهبا، فقال له كسرى بالفارسية: يا فلان هذا، يعني السيف، من ذاك قال: نعم وهذا، وأشار إلى منطقتيه. قالوا: لم يكن لخالد بن برمك أخُ الأبي له دارا على قدر كفايته ووقف على أولاد الإخوان ما يعيشهم أبدا ولم يكن لإخوانه ولدٌ إلا من جارية هو وهبها له.

بلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع دارا له لدين ركبته وكان يجلس في ظل داره، فقال: ما قتت إذا بجرمة ظل داره إن باعها مُعدّما وبت واجدا، فحمل إليه ثمن الدار وقال: لا تبس. قال أبو اليقظان: باع نبيك بن مالك بن معاوية إبله وأنطلق بثمنها إلى منى بفعل ينيبه، والناس يقولون: مجنون، فقال: لستُ مجنون ولكني سمحُ أنهبكم مالي إذا عزّ الفتح. قال: وأتى عبد الله بن جعفر قهرمانه بحسابه فكان في قوله جبل بخمسين درهما، فقال عبد الله: لقد غلبت الجبال، فقال القهرمان: إنه أبرق، فقال عبد الله: إن كان أبرق فانا أجيزه، فهو الآن مثل مضر وب المدينة. كان أبو سفيان إذا نزل به جار نال له: يا هذا، إنك قد اخترتني جارا بخباية يدك على دونك، وإن جنت عليك يد ناحتكم على حكم الصبي على أهله. وقال بعض الشعراء — يثني على قوم بحن الجوار —
هم خلطوني بالنفوس ودافعوا « ورأى بركن ذي مأكب مدفع
وقالوا تعلم أن مالك إن يصب « يعدك وإن تُحبس يردك ويشفع

وروى عبد الله بن بكر السهمي عن حاتم بن أبي صغيرة عن حبيب بن أبي ثابت أن الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وعياش بن أبي ربيعة خرجوا يوم اليرموك

حتى آتوا، ففداه الحارث بن هشام بماء ايشربه، فنظر إليه عكرمة فقال: ادفعه الى عكرمة
فنظر اليه عياش فقال عكرمة: ادفعه الى عياش، فما وصل الى عياش حتى مات ولا عاد
اليهم حتى ماتوا، فسمى هذا حديث الكرام. وهذا الحديث عندي موضوع لأن أهل
السيرة يذكرون أن عكرمة قُتل يوم أجنادين وعتاش مات بمكة، والحارث مات
بالشام في طاعون عمواس^(١).

أعطى رجل امرأة سائته مالا عظيما، فلاموه وقالوا: إنها لا تعرفك وإنما كان
يرضها اليسير، فقال: إن كانت ترضى باليسير فإني لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت
لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

قال بعض الشعراء

وما خير مالٍ لا يبقى الذمَّ ربه . ونفيسٍ أمرٍ في حَقِّها الأيُّبها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أرى نفسي تتوقُّ الى أمورٍ . ويقصُرُ دون مَبْلَغِهِنَّ حالي^(٢)

فنفسي لا تطاوعني بخيلٍ . ومالي لا يبلِّغني فعالي^(٣)

وقال أيضا

ولا أقولُ نعمَ يوماً فأبِيعُها . مَنعاً ولو ذَهَبتُ بالمالِ والولدِ

ولا أوثِمتُ على سِرِّ فَبُحْتُ به . ولا مَدَدتُ الى غيرِ الجميلِ يدي

وقال كعب بن سعد الغنوي

وذى نَدبٍ دَامي الأظَلُّ قَسَمُهُ^(٥) . محافِظَةٌ بنيِ وِيينِ زَمِيلِي

(١) هكذا، منح أذله وسكون ثانيه كما في الناج وكما نقل دو عن الرض الأنف للمبيلي، ثم نقل

ان أصحاب الحديث يحركون الميم وأن البكري في معجمه ضبطها كذلك. (٢) دو عبد الله بن جعفر كما

في القندالهردي، ج ١ ص ١١٢ (٣) الذي في ديوان الحماسة ج ٣ ص ١٠٢ مع شرح التبريزي «مالي».

(٤) في الأصرل «ليس يلمه» وهو غير متفق مع المعنى المراد والتصويب عن ديوان الحماسة مع شرح

التبريزي ج ٣ ص ١٠٢ (٥) الأظَلُّ بطن الأصبع من الانسان، ومن الإبل بطن المنم.

وزاد رفعت الكف عنه تجللاً : لأوثر في زادي على أكيلى
وما أنا للشيء الذى ليس نافعى * ويغضب منه صاحبي بقؤول

وقال زهير

وأبيض فياض يده غمامة * على معنفيه ما تغب نوافله
غدوت عليه غدوة فوجدته * قعوداً لديه بالصريم عواذله
فأعرضن منه عن كريم مرزبا * جموع على الأمر الذى هو فاعله
أبجى ثقة لا تذهب الخمر ماله * ولكنه قد يذهب المال نائله
تراه اذا ما جثته متمللاً * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

المدائنى قال : أضل فيروز بن حصين سوطه يوماً ، فأعطاه رجل سوطاً فأمر له

١٠ بالف درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : من أنت ؟ قال : صاحب السوط فأمر له بالف

درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : من أنت ؟ قال : صاحب السوط ، قال : أعطوه

ألف درهم ومائة سوطاً فأنقطع عنه . قال الشاعر

إلى حمدت بني شيبان اذ حمدت * نيران قومي فثبت فيهم النار
ومن تكرمهم في الخيل أنهم * لا يحسب الجار فيهم أنه جار

وقال آخر

١٥ نزلت على آل المهلب شاتياً * بعيداً قصي الدار في زمن محل
فما زال بي إطفائهم وافتقادهم * وإكرامهم حتى حسبتهم أهلي

وقال آخر

إذا كان لي شيطان يا أم مالك * فإن لجاري منهما ما تخيرا

٢٠ (١) في الأصل «لا يذهب الحد» وهو تحريف ، والتصويب عن الديوان والشعر والشعراء لابن قتيبة .

وقال عمرو بن الأَهم

ذَرِينِي فَإِنَّ الشُّعْ^(۱) يَا أُمَّ هَيْمٍ * لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
ذَرِينِي وَحُطَى^(۲) فِي هَوَايَ فَإِنِّي * عَلَى الْحَسَبِ الْعَالِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ^(۳)
وَمُسْتَمْنِحٍ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعْوَتُهُ * وَقَدْ كَانَ مِنْ سَارِي الشِّتَاءِ طُرُوقُ
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا * فَهَذَا مَيِّتٌ صَالِحٌ وَصَدِيقُ
أَضَفْتُ فَلَمْ أُحْسِ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقُلْ * لِأَحْرِمَهُ إِنِّ الْفِئَاءَ مَضِيقُ
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقتْ بِلَادُ بَاهِلِهَا * وَلَكِنْ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

كان يقال : للعباس بن عبد المطاب ثوبٌ لِعَارِي بنِي هَاشِمٍ ، وَجَفَنَةٌ لِخَارِدِ

وَمِقْطَرَةٌ لِجَاهِلِهِمْ . قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ^(۴)

وَأَوْ خَدَلْتُ أَمْوَالَهُ جُودَ كَفِّهِ * لِقَاسَمٍ مَنْ يَرْجُوهُ بَعْضَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَجِدْ فِي الْعُمُرِ قِسْمًا لَزَائِرِ * لِجَادَ لَهُ بِالشَّطْرِ مِنْ حَسَانِهِ

وقال الفرزدق

إِنَّ الْمَهَابَةَ الْكِرَامَ تَحَمَّلُوا * دَفَعَ الْمَكَارَهَ عَنْ ذَوِي الْمَكْرَهِ
زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحَسَنِ حَدِيثِهِمْ * وَكَرِيمَ أَخْلَاقٍ بِحَسَنِ وَجْهِهِ

كان يقال : الشَّرْفُ فِي السَّرْفِ . قَالَ تَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ

إِذَا نَزَاتُ بِالنَّاسِ يَوْمًا مُلِمَّةٌ * تَسُوقُ مِنَ الْأَيَّامِ دَاهِيَةً إِذَا

(۱) فِي الْأَصْلِ «الشُّعْبُ» وَهُوَ تَحْرِيفُ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ شَرْحِ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ ، ج ٤ ص ٩٤

(۲) فِي الْأَصْلِ : حَطَى بِالضَّمِّ الْمَعْجَمَةُ ، وَالتَّصْحِيحُ عَنْ شَرْحِ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ ، ج ٤ ص ٩٤
وَنَجَّحَ الْعُرُوسَ فِي مَادَّةِ «حَطَّ» وَبِقَالَ كَمَا فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ : «حَطَّ فِي دَوَاءٍ وَانْحَطَّ فِيهِ» أَيِ انْدَفَعَ فِيهِ

وَالْمُرَادُ مِنْهُ فِي الْبَيْتِ مَسَاعِدَتُهُ عَلَى الْجُودِ . (٣) الَّذِي فِي شَرْحِ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ ج ٤ ص ٩٤

«الزَّاكِي» . (٤) فِي خَشْبَةٍ فِيهَا خُرُوقٌ كُلُّ خُرُوقٍ عَلَى قَدْرِ سَعَةِ السَّاقِ يُدْخَلُ فِيهَا أَرْجُلُ الْمُحْبَسِينَ .

دَلَّفْنَا لَهَا حَتَّى تُقَوِّمَ مَيْلَهَا * وَلَمْ نَهْدَ عَنْهَا بِالْأَسِنَّةِ أَوْ تَهْدَا
وَكَمْ مُظْهِرٍ بَغْضَاءَنَا وَدَّ أَنْسَا * إِذَا مَا التَّقِينَا كَانَ أَخْفَى الَّذِي أَبْدَى
مَطَاعِيمُ فِي الْأَلَا وَمَطَاعِينَ فِي الْوَعَى * شَمَائِلُنَا تَنْكِي وَأَيْمَانُنَا تَنْدَى

وقال حاتم طي^١

أَكْفُ يَدِي مِنْ أَنْ تَتَالَأَ كُفَّهُمْ * إِذَا مَا مَدَدْنَاهَا وَحَاجَتْنَا مَعَا^(١)
وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى * مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الرَّادِ أَقْرَعَا

وقال جابر بن حبان^(٢)

فَإِنْ يَقْتَسِمُ مَالِي بَنِي وَنِسْوَتِي * فَلَنْ يَقْسِمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فِعْلِي^(٣)
وَمَا وَجَدَ الْأَضْيَافُ فِيمَا يَنْوِبُهُمْ * لَهْمُ عِنْدَ عَلَاتِ النُّفُوسِ أَبَا مِثْلِي^(٤)
أَهْبِنُ لَهُمُ إِلَى وَأَعْلَمُ أَنِّي * سَأُورِثُهُ الْأَحْيَاءَ سِيرَةً مِنْ قَبْلِي

كان سعيد بن عمرو مؤاخياً ليزيد بن المهلب، فلما حبس عمر بن عبدالعزيز يزيد
ومنع من الدخول عليه، أتاه سعيد فقال: يا أمير المؤمنين، لي علي يزيد خمسون ألف
درهم وقد حلت بيني وبينه، فان رأيت أن تأذن لي فأقتضيه؟ فأذن له فدخل عليه
فسر به يزيد، وقال: كيف وصلت إلي، فأخبره، فقال يزيد: والله لا تخرج إلا وهي
ممكن فامتنع سعيد خلف يزيد ليقبضتها، فقال عدي بن الرقاع

(١) كذا في الأصل . ورواية الحماسة مع شرح التبريزي ج ٤ ص ١١٨

أكف يدي عن أن ينال الثمناها * أكف صحابي حين حاجتنا معا

(٢) هكذا في الأصول «حبان» بالياء الموحدة . والذي في ديوان الحماسة مع شرح الخطيب التبريزي

ج ٤ ص ١١٦ «حبان» بالياء المتناة . (٣) في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ج ٤ ص ١١٦

«درإخوف» . (٤) الذي في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ج ٤ ص ١١٧ «عيلات الرمان» .

لم أر محبوباً من الناس واحداً * حباً زائراً في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازة * بنمسين ألفاً عجبت لسعيد

وقال بعض الشعراء

وإني لحلالٌ بي الحق، أتقى * إذا نزل الأضياف أن أتجهماً
إذا لم تدد ألباتها عن لحومها * حلبنا لهم منها بأسيفنا دماً

دخل شاعر على المهدي فامتدحه، فأمر له بمال فلما قبضه فترقه على من حضر وقال
لمست بكفى كفه أبتغي الغنى * وما خلت أن الجود من كفه يعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى * أفدت وأعداني فبدت ما عندي

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون الهاشمي قال، أخبرني وكيع قال حدثني
أبو العيناء قال: كان بالبصرة لنا صديق يهودي وكان ذا مالٍ وقد تأدب وقال الشعر
وعرف شيئاً من العلوم وكان له ولدٌ ذكوراً، فلما حضرته الوفاة جمع ماله وترقه على

أهل العلم والأدب ولم يترك لولده ميراثاً فعوتب على ذلك فقال
رأيت مالى أبر من ولدي .. فاليوم لا نخلة ولا صدقة
من كان منهم لها فأبعده الله ومن كان صالحاً رزقه

وحدثني الأحمش بهذا الخبر عن المبرد عن الرياشي والله أعلم

نجز الجزء الثالث وبه ينتهي المجلد الأول ويتلوه في أول المجلد الثاني
الجزء الرابع وبه كتاب الطبائع

کتاب

عَبْرَاتُ الْأَخْبَارِ

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الثاني

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة - كتاب العلم والبيان - كتاب الزهد

الطبعة
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

فہرست

المجلد الثانی من کتاب عیون الأخبار

لابن قتیبة

کتاب الطبائع والأخلاق المذمومة

صحيفة	
١	تشابه الناس في الطبائع وذمهم
٥	رجوع المتخلق الى طبعه
٧	باب الشيء يفرط فينتقل الى غير طبعه
٨	باب الحسد
١٢	باب الغيبة والعيوب
٢٠	باب السعاية
٢٥	باب الكذب والقحة
٣٠	باب سوء الخلق وسوء الحوار والسباب والشر
٣٧	باب الحق
٦٢	طبائع الانسان
٦٩	ما نقص خلقه من الحيوان
٧٠	المشتركات من الحيوان
٧١	المتعاديات
٧١	الأمثال المضروبة بالطبائع
٧٣	الأنعام
٧٨	السباع وما شاكلها

صفحة	
۸۲	الذئب
۸۳	الفيل
۸۳	الفهد
۸۳	الأرنب
۸۴	القرود والذب
۸۴	مصاید السباع العادية
۸۵	النعام
۸۸	الطير
۹۲	البيض
۹۲	الخفاش
۹۳	الخطاف والزرزور
۹۳	العقاب والحدأة
۹۴	الغراب
۹۴	القطا
۹۴	باب مصاید الطير
۹۵	الحشرات
۱۰۵	النبات
۱۰۸	المجارة
۱۰۹	الجن

كتاب العلم والبيان

۱۱۷	العلم
۱۳۰	الكتب والحفظ
۱۳۱	تدبر القرآن

صفحة	
۱۳۴	الحديث
۱۴۰	الأهواء والكلام في الدين
۱۵۲	الرد على الملحدين
۱۵۵	الإعراب واللمح
۱۶۱	التشادق والغريب
۱۶۶	وصايا المعلمين
۱۶۸	البيان
۱۸۱	الاستدلال بالعين والاشارة والنسبة
۱۸۲	الشعر
۱۸۶	حسن التشبيه في الشعر
۱۹۱	الآيات التي لا مثل لها
۱۹۷	التلطف في الكلام والجواب وحسن التعريض
۲۱۵	مقطعات أفاظ تقع في الكتاب والكلام
۲۲۵	أفاظ تقع في كتب الأمان
۲۲۶	أفاظ تقع في كتب العهود
۲۳۱	الخطب
۲۳۱	خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه
۲۳۲	خطبة لأبي بكر أيضا
۲۳۳	خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة
۲۳۴	خطبة لأبي بكر رضي الله عنه
۲۳۴	خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
۲۳۵	خطبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه
۲۳۵	خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه
۲۳۶	خطبة علي بعد مقتل عثمان

صفحة	
۲۳۶	خطبة أيضا لعلی رضی الله عنه
۲۳۷	خطبة لمعاوية رحمه الله
۲۳۸	خطبة لیزید بن معاوية بعد موت معاوية
۲۳۹	خطبة لعتبة بن أبی سفیان
۲۳۹	خطبة لعتبة أيضا
۲۴۰	خطبة لعبد الله بن الزبير
۲۴۱	خطبة زياد البتراء
۲۴۳	خطبة للحجاج حين دخل البصرة
۲۴۴	خطبة للحجاج أيضا
۲۴۵	خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج
۲۴۵	خطبة للحجاج أيضا
۲۴۶	خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله
۲۴۶	خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد
۲۴۷	خطبة للحجاج
۲۴۷	خطبة سليمان بن عبد الملك
۲۴۸	خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد
۲۴۹	خطبة أبی حمزة الخارجي
۲۵۰	خطبة لقطري الخارجي
۲۵۱	وفي خطبة ليوسف بن عمر
۲۵۱	وفي خطبة للحجاج
۲۵۱	خطبة للتصور
۲۵۲	خطبة لداود بن علي
۲۵۲	خطبة لداود بن علي أيضا
۲۵۳	خطبة لأعرابي

(ز)

فهرس المجلد الثانی

صفحہ	
۲۵۳	خطبة المأمون يوم الجمعة...
۲۵۴	وفي خطبة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأول
۲۵۵	وفي خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول
۲۵۶	كلام من أرتج عليه...
۲۵۸	المنابر...

كتاب الزهد

۲۶۱	ما أوحى الله جل وعز الى أنبيائه عليهم السلام
۲۷۷	الدعاء
۲۹۱	المناجاة
۲۹۳	باب البكاء
۲۹۸	التجسد
۳۰۲	الموت
۳۱۹	الكبر والمشيب
۳۲۷	الدنيا

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

۳۳۳	مقام صالح بن عبد الحليل بن يدى المهدي
۳۳۳	مقام رجل من الزهاد بين يدى المنصور
۳۳۶	مقام آخر والمنصور يخطب
۳۳۷	مقام عمرو بن عبيد بين يدى المنصور
۳۳۷	مقام أعرابي بين يدى سليمان
۳۳۸	مقام أعرابي بين يدى هشام
۳۳۸	مقام الأوزاعي بين يدى المنصور

صفحة	
۳۴۱	مقام خالد بن صفوان بین یدی هشام...
۳۴۳	مقام محمد بن كعب القرظی بین یدی عمر بن عبد العزيز ...
۳۴۳	مقام الحسن عند عمر بن هبيرة ...

باب من المواعظ

۳۴۴	كلام للحسن ...
۳۴۴	كلام لبعض الزهاد ...
۳۴۵	كلام لغيلان ...
۳۴۶	كتاب رجل الى بعض الزهاد ..
۳۴۶	وكتب رجل من العباد الى صديق له ، وجواب صديقه عليه ...
۳۵۰	موعظة مستعملة ...
۳۵۱	موعظة لعمر بن عتبة ...
۳۵۱	صفات الزهاد ...
۳۵۸	كلام من كلام الزهاد ...

کتاب

الطبائع والأخلاق المذمومة

تشابهُ الناس في الطبائع وذمّهم

حدّثني محمد بن عبيد قال حدّثنا يحيى بن هاشم الغسانيّ عن إسماعيل بن أبي خالد عن مُصعب بن سعد قال ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم . قال وحدّثني حسين بن الحسن المروزيّ قال ، حدّثنا عبد الله بن المبارك عن سفیان قال قال أبو الدرداء : «وجدتُ الناسُ أخبرَ تَقْلَهُ» .

قال حدّثني محمد بن عبيد قال حدّثنا شريح بن النعمان عن المعافى بن عمر أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مرّ بقوم يتبعون رجلا قد أخذ في ريبة فقال : لا مرحبا بهذه الوجوه التي لا ترى إلا في الشر .

قال وحدّثني محمد بن داود قال ، حدّثنا الصلت بن مسعود قال حدّثنا عنّام ابن عليّ عن الأعمش عن أبي إسحاق عن عبيدة أن الوليد السوائيّ قال : لخط قوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل : يا رسول الله لو نهيتهم ! فقال : «لو نهيتهم أن يأتوا الحجون لأتاه بعضهم ولو لم تكن له حاجة» .

(١) القلي البغض وهو من باب نصر ورمى ورضى والهاء فيه للسكت إذ أصله اخبر الناس تقلهم لحذف الضمير وحل محله إذا، وقد روى برفع الناس على الحكاية كقوله : سمعت الناس ينتجعون غينا في البيت . ومعناه وجدت : الناس مقول فهم ذلك . وروى أيضا بنصبه ، وتقديره وجدت : الناس اخبر تقله أي وجدت الأمر كذلك ، وعلى كل حال فلفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر ، يريد أنك إذا خبرتهم فليتهم ، وهو مثل يضرب في ذم الناس وسوء معاشرتهم .

قال وحُذِّثنا عن عَفَّانَ عن مَهْدِي بن ميمون عن غِيْلانَ بن جرير قال قال مطرف:
 هم الناس وهم النَّسَّاسُ وناسٌ غُمِسُوا في ماءِ الناسِ .
 قال يونس بن عبيد : لو أمرنا بالجزع لَصَبَرْنَا .
 وكان يقال : لو نُهِى الناسُ عن فَتِّ البَعْرِ لَفَتَّوْهُ ، وقالوا : ما نُهِينَا عنه إلا وفيه
 شيء . وقال الشاعر

ولما أن أتيتُ بني جُوَيْنٍ * جلوسًا ليس بينهم جَلِيسُ
 يَنسَتُ من التي أقبلتُ أبغى * لديهم ، إني رجلٌ يثوسُ
 إذا ما قلتُ أيُّهمُ لِأَيِّ * تشابهتِ المناكبُ والرءوسُ

ويقال : «لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما تباينوا فإذا تساوا هلكوا»^(١) .

وقال آخر

الناسُ أسوأُ وشيٌّ في الشِّمِّ * وكلُّهمُ يجمعهم بيتُ آدم

وقال آخر - يذكر قوما -

سواءٌ كَأَسنانِ الحمارِ ولا ترى * لذي شبيبةٍ منهم على نأشيٍّ فضلا

وقال آخر «سَوَاسِيَةُ كَأَسنانِ الحمارِ»^(٥)

وكان يقال «المرءُ تَوَاقُّ إلى ما لم يَنلْ»^(٥)

والعجم تقول : كلُّ عزٍّ دخل تحت القدرة فهو ذليل .

(١) أورده الميداني في مجمع الأمثال بلفظ «لن يزال الناس» الخ وساقه ابن الأثير في النهاية والمرضى في تاج العروس على أنه حديث وأورده بلفظ «لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا» الخ .

(٢) رواه في اللسان : الناس أخفاف الخ ، والأخفاف الضروب المختلفة في الأخلاق والأشكال .

(٣) كذا بالأصل . وفي اللسان «سواس» والبيت منسوب فيه لكثير .

(٤) كذا بالأصول . وفي اللسان «سأ» . وفي مجمع الأمثال «فلا» ، ولا يخفى أن الفاء هنا أحسن

موقعا من الوار وأنسب للسياق . (٥) كلاهما مثل كما في مجمع الأمثال ولسان العرب .

وقالوا : كلُّ مقدورٍ عليه مملولٌ محقورٌ .

وقال الشاعر

وزاده كَلَّفَا بِالْحُبِّ أَنْ مَنَعَتْ * أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا^(١)

وقال آخر

تَرَى النَّاسَ أَسْوَأَ إِذَا جَلَسُوا مَعًا * وَفِي النَّاسِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ
وَيَقَالُ : النَّاسُ سَيْلٌ وَأَسْرَابٌ طَيْرٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

وقال طَرْفَةُ

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَتَهُ * لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاصِحَهُ
كَلِّهِمْ أَرْوَعٌ مِنْ ثَعْلِبٍ * مَا أَشْبَهَ الدَّلِيلَةَ بِالْبَارِحَةِ

وقال آخر

فَإِنَّكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ حَوِيلٍ * أَطْبِي كَانِ أُمَّكَ أُمَّ حَارٍ
فَقَدْ لَحِقَ الْأَسَافِلُ بِالْأَعَالِي * وَمَا جِ اللَّوْمُ وَأَخْتَلَطَ النَّجَارُ
وَعَادَ الْعَبْدُ مِثْلَ أَبِي قُبَيْسٍ * وَسِيقَ مَعَ الْمُعْلَهَجَةِ الْعِشَارُ^(٢)
يقول : سِيقَتِ الْإِبِلُ الْحَوَامِلُ فِي مَهِيَّةِ اللَّيْمَةِ .

(١) كذا بالأصول . وفي لسان العرب في مادة «حب»

* وَحَبَّ شَيْئًا إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا *

وأصله حَبَّبَ بضم الباء ثم أسكنت وأدغمت في الثانية ، وما في قوله ما مَنَعَا في موضع الرفع بحَبَّبَ .

(٢) وفي رواية حكاهما صاحب خزانة الأدب في ج ٣ ص ٢٣١ «الفند» بكسر الفاء وسكون النون بدل العبد، وفسره بأنه قطعة من الجبل طولاً، وقيل الجبل العظيم . وأبو قبيس جبل بمكة والمراد به الرجل الشريف كما يراد بالفند الرجل الوضيع .

(٣) المعلهجة : المرأة اللئيمة الأصل الفاسدة النسب . ورواه سيبويه في كتابه عن خداس بن زهير

ج ١ ص ٢٣ * وصار مع المعلهجة العشار :

قال أبو محمد: بلغني عن إسماعيل بن محمد بن مُحَمَّدَ بنِ مُحَمَّدَةَ عن أبيه، قال: كنت عند الحسن فقال: أسمعُ حَسِيسًا ولا أرى أَنِيسًا، صَبِيانٌ حَيَارَى مَا لَهُمُ تَفَاقَدُوا [عُقُولُهُمْ] ^(١) وقرَأشُ نارٍ وذيَبَانُ طَمَعٌ .

وقال أبو حاتم عن الأصمعي: لو قَسَمْتُ في الناس مائة ألفِ درهمٍ كان أكثرُ لِلأَيْمَتِي مِنْ لو أَخَذْتُهَا مِنْهُمْ ^(٢) .

ونحوه قولُ محمد بن الجهم: مَنْعُ الجَمِيعِ أَرْضِي للجَمِيعِ .

وقال ابن بشير

سَوَاءٌ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ - أَنَا فِي هَذَا مِنْ أَوْلِهِمْ
لَسْتُ تَدْرِي حِينَ تُنْسَبُهُمْ - أَيْنَ أَدْنَاهُمْ مِنْ أَفْضَلِهِمْ

وقال نهار بن تَوْسِعَةَ

عَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ * وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى سَلَمٍ
وهذا مِثْلُ قولِهِمْ : مَا بَكَيْتُ مِنْ زَمَانٍ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَيْهِ .

وقال الأحنف بن قيس

وَمَا مَرَّ يَوْمٌ أُرْتَجِي فِيهِ رَاحَةً * فَأَخْبَرُهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَى أَمْسٍ

وقال آخر

وَنَعْتِبُ أَحْيَانًا عَلَيْهِ وَلَوْ مَضَى * لَكُنَّا عَلَى الباقِي مِنَ النَّاسِ أَعْتَبًا

وقال آخر

سَبَّكَاهُ وَنَحَسَّ بِهِ بُلِينًا * فَأَبْدَى الكَبِيرُ عَنْ خَبَثِ الحَدِيدِ

قال، وحدثني أبو حاتم، قال حدثني الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال:

لا يزالُ في الناسِ بَقِيَّةٌ ما تُعْجَبُ مِنَ العَجَبِ .

(١) الريادة عن العقد النريد ج ١ ص ٣٧٧ (٢) في السعة الفتورافية «أذ» بدل من .

رجوع المتخلق الى طبعه

بلغنى أن أعرابيا ربي جرود ذئب حتى شب وظن أنه يكون أغنى عنه من الكلب وأقوى على الذب عن الماشية فلما قوى وثب على شاة فقتلها وأكل منها فقال الأعرابي

أَكَلْتُ شُوَيْبِي وَرَيْبَتَ فِينَا * فَمَا أَدْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبُ

وَيُرَوَّى

* وُلِدْتَ بِقَفْرَةٍ وَنَشَأْتَ عِنْدِي *

إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طِبَاعَ سُوءٍ * فَلَيْسَ بِنَافِعِ أَدَبِ الأَدِيبِ^(١)

وقال الحرابي

يَلَامُ أَبُو الفَضْلِ فِي جُودِهِ * وَهَلْ يَمْلِكُ البَحْرُ أَلَّا يَفِيضَا

١٠

وقال أبو الأسد

وَلَأَمَّةٌ لَأَمْتِكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدى * فَقُلْتُ لَهَا دَلَّ يَقْدَحُ اللُّومُ فِي البَحْرِ
أَرَادَتْ لِتَثْنِي الفَيْضَ عَنِ عَادَةِ النَّدى * وَمَنْ ذَا الَّذِي يَثْنِي السَّحَابَ عَنِ القَطْرِ
مَوَاقِعُ جُودِ الفَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * مَوَاقِعُ مَاءِ المُزْنِ فِي البَلَدِ القَفْرِ

وقال كثير

وَمَنْ يَتَدَعُ مَالِيَسَ مِنْ سُوسٍ نَفْسَهُ^(٢) * يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمَهَا

١٥

وقال زهير

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ * وَإِنْ خَالَهَا تَحْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

(١) كذا في الأصول، وعليه يكون في البيت إفراء، وروى في حياة الحيوان ج ١ ص ٣١٢

٢٠

* فليس بنافع فيها الأديب * وبهذا يكون البيت سالما من هذا العيب .

(٢) الذي في اللسان : « من يخيم » والخيم الطبيعة والأصل كالسوس .

وأنشدني ابن الأعرابي لدى الإصبع العذواني
كل أمرئٍ راجعٌ يوماً لشيئته * وإن تخلق أخلاقاً إلى حين
وقال آخر

أرجع إلى خُلقك المعروفِ ديدنه * إن التخلقُ بأبي دونه الخلقُ

وقال كثير في خلاف هذا

وفي الحلم والإسلام للبرءِ وازع * وفي ترك أهواء الفؤاد المتيم
بصائرٍ رُشدٍ للفتى مُستبينه * وأخلاقٌ صدقٍ علمها بالتعلم

ونحوه للتماس

تجاوز عن الأذنين وأسبق ودهم * ولن تستطيع الحلم حتى تحلماً

وقال الطائي

ليس الشجاعة إنها كانت له * قدماً نشوعاً في الصبا ولدوداً
بأساً قبيلياً وبأس تكريم * فينا وبأس قريحية مولوداً

وقال أبو جعفر الشطرنجي مولى المهدي في سواد

أشبهك المسكُ وأشبهته * قائمة في لونه قاعده
لا شك إذ لوناك واحد * أنكا من طينة واحد

وقال أبو نؤاس

تلق الندى في غيره عرّضاً * وتراه فيه طبيعة أصلاً
وإذا قرنت يعاقل أملاً * كانت نتيجة قوله فعلاً

وأنشدنا الرّياشي

لا تصحبن امرءاً على حسب * إنى رأيت الأحساب قد دخلت

(١) الذي في اللسان في مادة «حلم» وكتاب سيويه ح ٢ ص ٢٤٠ «تحلم» .

(٢) الذي في الديوان «جَم» بدل «فينا» .

مَالِكٌ مِنْ أَنْ يُقَالَ إِنَّ لَهُ * أَبَا كَرِيمًا فِي أُمَّةٍ سَلَفَتْ
بَلْ أَحْبَبْتُهُ عَلَى طِبَائِعِهِ * فَكُلُّ نَفْسٍ تَجْرِي كَمَا طُبِعَتْ

وقال العباس بن مرداس

إِنَّكَ لَمْ تَكُ كَأَبْنِ الشَّرِيدِ * وَأَكِنَّ أَبوكَ أَبُو سَالِمٍ
حَمَلْتَ المِثِينَ وَأَنْقَالَهَا * عَلَى أُذُنِي قُنْفُذِ رَازِمٍ
وَأَشْبَهْتَ جَدَّكَ شَرَّ الجُدُو * دِوَالِعِرْقُ يُسْرِى إِلَى النَّائِمِ

وقال بعض العبديين

وَمَا يَسْتَوِي المِرْءَانُ هَذَا ابْنُ حُرَّةٍ * وَهَذَا ابْنُ أُخْرَى ظَهَرُهَا مُشْرَكٌ
وَأَدْرَكَهُ خَالَاتُهُ نَحْدَانَهُ * أَلَا إِنَّ عِرْقَ السُّوءِ لَا يَدُودُكَ

باب الشىء يُفْرِطُ فَيَنْتَقِلُ إِلَى غَيْرِ طَبِيعِهِ

قرأت في كتاب للهند : لا ينبغي اللجاج في إسقاط ذى الهممة والرأى وإذالته فإنه
إِذَا شَرِسُ الطَّبَعِ كَالْحِيَةِ إِنْ وُطِئَتْ فَلَمْ تَلْسَعْ لَمْ يُغْتَرَّ بِهَا فَيَعَادَ لَوْطِئِهَا ، وَإِنَّمَا سُبْحُ
الطَّبَعِ كَالصَّنْدَلِ البَارِدِ إِنْ أُفْرِطَ فِي حِكْمِهِ عَادَ حَارًا مُؤْذِيًا . وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ
قُلْ لَزْهِيرٍ إِذَا حَدَا وَشَدَا * أَقْبَلُ وَأَكْثَرُ فَأَنْتَ مِهْدَارُ
سَخَّنتَ مِنْ شِدَّةِ البُرُودَةِ حَتَّى صِرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ
لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي * كَذَلِكَ الشَّلْجُ بَارِدٌ حَارٌ

ويقال : إِنَّمَا مَلَحَ القِرْدُ عِنْدَ النَّاسِ لِإِفْرَاطِ قَبِيحِهِ . قَالَ الطَّائِي

أَخْرَجْتُمُوهُ بِكْرِهِ مِنْ سَجِيئَتِهِ * وَالنَّارُ قَدْ تَنْتَضِي ^{ووردا} مِنْ نَاضِرِ السَّلْمِ

(١) فِي الأَصْلِ « تَنْتَضِي » وَالتَّصْرِيحُ عَنِ الدَّبَّوَانِ .

أَمِنْ عَمِّي نَزَلَ النَّاسُ الرَّبِّيَ فَتَجَوَّأُوا * وَأَتَمُّ نَصْبُ سَبِيلِ الْفِتْنَةِ الْعَرِيمِ
 أَمْ ذَاكَ مِنْ هِمِّمْ جَاشَتْ فِكْمَ ضِعَّةٍ * حَذَا إِلَيْهَا غُلُوُّ الْقَوْمِ فِي الْهِمِّمْ
 وَكَانَ يُقَالُ : مِنْ التَّوَقَّى تَرَكُ الْإِفْرَاطَ فِي التَّوَقَّى

باب الحسد

قال حدثنا اسحاق بن راهويه قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمية
 قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يسلم منهن أحد الطيرة والظن
 والحسد" قيل: فما المخرج منهن يا رسول الله؟ قال: "إذا تطأرت فلا ترجع وإذا ظننت
 فلا تحقق وإذا حسدت فلا تتبع". وقال بكر بن عبد الله: حصتكم من الباغي حسن
 المكاشرة، وذنبتكم إلى الحاسد دوام النعم من الله عليكم. وقال رُوْحُ بْنُ زَيْبَاعِ الْجُدَامِيُّ:
 كُنْتُ أَرَى قَوْمًا دُونِي فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ يَدْخُلُونَ مَدَاخِلَ لَا أَدْخُلُهَا فَلَمَّا
 أَذْهَبْتُ عَنِّي الْحَسَدَ دَخَلْتُ حَيْثُ دَخَلُوا . وَقَالَ ابْنُ حُمَامٍ
 تَمَنَّى لِي الْمَوْتَ الْمَعْجَلَّ خَالِدٌ * وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ حَاسِدَهُ

وقال الطائي

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ * طُوِيَتْ أُنَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
 لَوْلَا أَشْتَعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرْتُ * مَا كَانَ يُعْرَفُ طَيْبُ عُرْفِ الْعُودِ
 لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ * لِلْحَاسِدِ التَّعَمُّي عَلَى الْمُحْسُودِ

وقال عبد الملك للمجاج: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه فعب نفسك
 قال: أعفني يا أمير المؤمنين، قال: لتفعلن. قال: أنا لحوج حقود حسود، قال عبد الملك:
 مافي الشيطان شر مما ذكرت. قال بعض الحكماء: الحسد من تعادي الطبايع واختلاف
 التركيب وفساد مزاج النبوة وضعف عقد العقل والحاسد طويل الحشرات.

قال ابن المقفع : أقل ما لثارك الحسد في تركه أن يصرف عن نفسه عذابا ليس
 يُدرك به حظا ولا غائظ به عدوا، فإن لم ترظالما أشبه بمظلوم من الحاسد، طول
 أسف ومخالفة كآبة وشدة تحرق، ولا يبرح زاريا على نعمة الله ولا يجدها من الآ
 ويكدر على نفسه ما به من النعمة فلا يجدها طعمًا ولا يزال ساخطا على من لا يرضاه
 ٥ ومتسخطا لما لن ينال فوقه، فهو منغص المعيشة دائم السخطة محروم الطلبة، لا بما قسم
 له يتنع ولا على ما لم يقسم له يغلب، والمحسود يتقلب في فضل الله مباشرة للسرور
 متفعا به ممهلا فيه الى مدة ولا يقدر الناس لها على قطع وانتقاص .

قيل للحسن البصرى : أيحسد المؤمن أخاه ؟ قال : لا أبالك ، أنسبت إخوة
 يوسف . وكان يقال : إذا أردت أن تسلم من الحاسد فعم عليه أمورك . ويقال :
 ١٠ إذا أراد الله أن يسلط على عبده عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسدا . وقال العتي
 — وذكر ولده الذين ماتوا —

وحتى بكى لي حسادهم * وقد أقرحوا بالدموع العيوننا
 وحسبك من حادثٍ بامرئٍ * يرى حاسديه له راحيننا

قيل لسفيان بن معاوية : ما أسرع حسد الناس الى قومك ! فقال
 ١٥ إن العرايين تلقاها محسدة * ولا ترى للائم الناس حسادا

وقال آخر

وترى اللبيب محسدا لم يجترم * شتم الرجال وعرضه مشوم
 حسدوا الفتى إذ لم ينأوا سعيه * فالقوم أعداء له وخصوم
 كضرائر الحسنة أقل لوجهها * حسدا وظلما إنه لذميم^(٢)

٢٠ (١) في النسخة الألمانية «أزعوا» . (٢) هكذا في النسخين بالبدال المعجمة وهي رواية
 تطلب ، قال صاحب اللسان : وقد رد ذلك عليه . والأصح رواية «إنه لذميم» بالبدال المهملة .

وقال يحيى بن خالد : الحاسد عدو مهين لا يدرك وثره إلا بالتنى . قيل لبعضهم :
 أي الأعداء لأتحب أن يعود لك صديقا ؟ قال : من سبب عداوته النعمة . وقال
 الأحنف : لا صديق لملول ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود ولا مروءة لبخيل
 ولا سؤدد لسيئ الخلق . وقال معاوية : كل الناس استطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة
 فانه لأرضيه إلا زوالها . وقال الشاعر

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتَهَا * إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَكَ مِنْ حَسِدٍ

وفي بعض الكتب يقول الله : الحاسدُ عدوٌ لنعمتي مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي غَيْرُ رَاضٍ
 بِقِسْمِي بَيْنَ عِبَادِي . وكان يقال : قد طلبك من لا يقصر دون الظفر وحسدك من
 لا ينأى دون الشفاء . وخطب الحجاج يوما رُستقبادَ بقول سُويد بن أبي كاهل

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَ مَا * جَلَّلَ الرَّأْسَ بِيَاضٍ وَصَلَعَ
 رَبٌّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظًا صَدْرَهُ * قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَمْ
 وَيَرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ * عَسْرًا تَخْرُجُهُ مَا يُنْتَرَعُ
 مُزِيدًا يَحْطِرُ مَا لَمْ يَرِنِي * فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي أَنْقَمَعُ
 لَمْ يَضُرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي * فَهُوَ يَزُقُّو مِثْلَ مَا يَزُقُّو الضُّوعُ^(١)
 وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ * وَإِذَا يَخْلُولُهُ لِحْمِي رَتَعُ
 قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ * وَإِذَا مَا يَكْفِي شَيْئًا لَا يُضَعُ^(٢)

وقال آخر

إِن تَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُكُمْ * قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا

(١) الضوع : طائر ليلي .

(٢) كذا بالأصول . وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة * ومتى ما يكف شيئا لم يضع *

فَدَامَ لِي وَلَكُمْ مَا بِي وَمَا بِيكُمْ * وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا بِمَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي تَجِدُونِي فِي حُلُوقِكُمْ * لَا أَرْتَقِي صُعْدًا فِيهَا وَلَا أَرِدُ

وقال بعضهم : الحسدُ أَوَّلُ ذَنْبِ عِصَى اللَّهِ بِهِ فِي السَّمَاءِ ، يَعْنِي حَسَدَ إِبْلِيسَ آدَمَ ، وَأَوَّلُ
ذَنْبِ عِصَى اللَّهِ بِهِ فِي الْأَرْضِ ، يَعْنِي حَسَدَ ابْنِ آدَمَ أَخَاهُ حَتَّى قَتَلَهُ . وَأَنْشَدَنِي شَيْخٌ لَنَا عَنْ
أَبِي زَيْدِ الْأَعْرَابِيِّ

لَا تَقْبَلُ الرِّشْدَ وَلَا تَرْعَوِي * ثَانِي رَأْسٍ كَابِنٍ عَوَاءِ
حَسَدَتِي حِينَ أَفَدْتُ الْغِنَى * مَا كُنْتُ إِلَّا كَابِنَ حَوَاءِ
عَادَى أَخَاهُ مُحْرِمًا مُسَلِّمًا * بَطْعَنِي فِي الصُّلْبِ نَجْلَاءِ
وَأَنْتَ تَقْلِبِي وَلَا ذَنْبَ لِي * لَكِنِّي حَمَالُ أَعْبَاءِ
مَنْ يَأْخُذُ النَّارَ بِأَطْرَافِهِ * يَنْضَعُ عَلَى النَّارِ مِنَ الْمَاءِ

مَرَّ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ بِيَلَادِ غَطَفَانَ فَرَأَى ثُرُوءًا وَجَمَاعَاتٍ وَعَدَدًا فَكَرِهَ ذَلِكَ ، فَقَالَ
لَهُ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ : إِنَّهُ يَسُوءُكَ مَا يَسُرُّ النَّاسَ ! فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي إِنَّكَ لَا تَدْرِي ، إِنَّ
مَعَ الثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ التَّحَاسُدَ وَالتَّخَاذُلَ ، وَإِنَّ مَعَ الْقِلَّةِ التَّحَاشُدَ وَالتَّنَاصُرَ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : رَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا قَدْ أَتَتْ لَهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، فَقُلْتُ لَهُ :
مَا أَطْوَلُ عَمْرَكَ ! فَقَالَ : تَرَكْتُ الْحَسَدَ فَبَقِيْتُ . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ

تَمَلَّأْتُ مِنْ غَيْظٍ عَلَى قَلَمٍ يَزَلُ * بَكَ الْغَيْظُ حَتَّى كَدَّتْ بِالْغَيْظِ تَنْشَوِي
وَمَا يَرَحَّتْ نَفْسٌ حَسُودٌ حَشِبَتْهَا * تُذَيِّبُكَ حَتَّى قِيلَ هَلْ أَنْتَ مُكْتَوِي
وَقَالَ النَّطَاسِيُونُ إِنَّكَ مُشَعَّرٌ * سُلَالًا أَلَا بَلْ أَنْتَ مِنْ حَسِدِ جَوِي

(۱) فِي النِّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ : مَا طَوَّلَ .

(۲) فِي الْأَصْلِ «ذَوِي» وَالتَّصْوِيبُ عَنْ خَزَائِمِ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ ج ۱ ص ۴۹۷ وَ«جَوِي» مِنْ
الْجَوِي وَهُوَ السَّلُّ وَدَاءُ فِي الصَّدْرِ .

بدا منك غش طالمًا قد كتمته * كما كتمت داءَ ابنها أم مُتوي
 جمعت وفشًا غيبةً ونيمةً * خللاً ثلاثاً لست عنها بمرعوي
 وكان يقال : سئةٌ لا يخلون من الكابة : رجلٌ أفقر بعد غنى . وغنىٌ يخاف على
 ماله التوى ، وحقوقٌ ، وحسودٌ ، وطالبٌ مرتبةٌ لا يبلغها قدره ، ومخالطُ الأدباءِ
 بغير أدبٍ .

باب الغيبة والعيوب

قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا عبد الأعلى عن داود بن عطاء عن ابن خثيم^(٢)
 عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 «ألا أخبركم بشراركم» قالوا : بلى ، قال : «من شراركم المشاءون بالنيمة المفسدون بين
 الأحبة الباغون البراء العنت» .

قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
 الأجلح عن الشعبي قال : سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر : يا أيها الناس خذوا
 على أيدي سفهائكم ، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن قومًا ركبوا
 البحر في سفينة ، واقتسموها فأصاب كل واحد منهم مكانٌ ، فأخذ رجلٌ منهم الفأس
 فنقر مكانه ، فقالوا : ما تصنع ؟ فقال : مكاني أضعُ به ما شئتُ ، فإن أخذوا على
 يديه تجأ وتجوأ ، وإن تركوه غرقوا وغرق» .

بلغني عن حماد بن زيد عن ابن عون قال ، قال أبو الدرداء : ليس من يوم أصبح
 فيه لا يرميني الناس بدهية إلا كان نعمةً من الله علي . وقال حسان : قلت شعراً
 لم أقل مثله

وإن امرءاً أمسى وأصبح سائماً * من الناس إلا ما جنى لسعيد

(١) في النسخة الفتوغرافية «ومخالطة» .

(٢) في الأصل : «العطاء» بالتعريف والتصويب عن تهذيب التهذيب .

وبلغني عن ابن عيينة قال، قال مسعر^(١) : ما نصحتُ أحداً قطُ إلا وجدته يُفتشُ عن عيوبِي. وقال بعضهم : مَنْ عَابَ سَفَلَةً^(٢) فَقَدْ رَفَعَهُ ، وَمَنْ عَابَ شَرِيفاً فَقَدْ وَضَعَ نَفْسَهُ . وقال عمر بن الخطاب : أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي

أحمد بن يونس عن الفضيل أنه سمعه يقول : إن الفاحشة لتشيّع في الذين آمنوا حتى إذا صارت إلى الصالحين صاروا لها خزاناً . قال وسمعتَه يقول أيضاً : حسناتُكَ مِنْ عَدْوِكَ أَكْثَرُ مِنْهَا مِنْ صَدِيقِكَ ، لِأَنَّ عَدْوَكَ إِذَا ذُكِرْتَ عِنْدَهُ يَغْتَابُكَ وَإِنَّمَا يَدْفَعُ إِلَيْكَ الْمِسْكِينَ حَسَنَاتِهِ

محمد بن عبد الله الأنصاري قال حدثنا ابن عون قال : مرَّ ابنُ سيرينَ بقومٍ فقام إليه رجل فقال : يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَدْ نَلْنَا مِنْكَ خَلْلَنَا ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أُحِلُّ لَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَأَمَا مَا كَانَ إِلَيَّ فَهُوَ لَكَ .

محمد بن مسلم الطائفي قال : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : ياغني أنك نلت مني . فقال : نسي أعزُّ علي من ذلك .

الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال : أَخُّ لَكَ كَلِّمَا لَقِيكَ أَخْبِرَكَ بِعَيْبِ فَيْكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَخٍ لَكَ كَلِّمَا لَقِيكَ وَضَعَ فِي كَفِّكَ دِينَاراً .

شريك عن عقيل قال ، قال الحسن : لا غيبة إلا لثلاثة ، فاسق مجاهر بالفسق ، وذئ بدعية ، وإمام جائر . وكان يُقال : [مَنْ آغْتَابَ^(٣)] خَرَقَ وَمَنْ آسْتَغْفَرَ اللَّهَ رَفَأَ .

(١) كذا في الأصل ، وفي اللسان فلا عن الجوهري : يقال : هو من السفلة ولا يقال : هو سفلة لأنه جمع والعامّة تقول : رجل سفلة من قوم سفيل . قال ابن الأثير : وليس بعربي . ثم أورد صاحب اللسان حكاية وقال : ظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سفلة .

(٢) في الأصول « سالم » والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ ويزيده أن الموجود في كتب التراجم « محمد بن مسلم الطائفي » ولم يوجد فيها من يسمى « محمد بن سالم » منسوبا إلى الطائفي .
(٣) الزيادة عن لسان العرب في مادة « رفا » .

وفي بعض الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا عَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ" . كان يقال : إِيَّاكَ وَمَا يُصِمُّ الْأُذْنَ . العتبي قال : قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : كنت أسأيرُ أبي ورجلٌ يقع في رجل ، فالتفت إلى أبي فقال : يَا بُنَيَّ نَزَّهُ سَمْعَكَ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَلْقِ كَمَا نَزَّهَ لِسَانَكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ ، فَإِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ ، وَلَقَدْ نَظَرَ إِلَى أَحَبِّ مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ ، وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةٌ جَاهِلٍ فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَأْدُهَا كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا .

فُضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ زَهْدَهُ فِي الدُّنْيَا وَفَقْهَهُ فِي الدِّينِ وَبَصَّرَهُ عِيُوبَهُ . قَالَ فَضِيلُ : وَرَبَّمَا قَالَ الرَّجُلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَوْ سَبَّحَانَ اللَّهَ فَأَخْشَى عَلَيْهِ النَّارَ ، قِيلَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ ، قَالَ : يُغْتَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُعْجِبُهُ ذَلِكَ فَيَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ ، إِنَّمَا مَوْضِعُ هَذَا أَنْ يَنْصَحَ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ .

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَعَلَتَا تَغْتَابَانِ النَّاسَ ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ : "صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ لَهَا وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا" . وَقَالَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ : مَا كُنْتُ تَقُولُهُ لِلرَّجُلِ وَهُوَ حَاضِرٌ فَقَلْتَهُ مِنْ خَلْفِهِ فَلَيْسَ بِغَيْبَةٍ .

عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ آسَدَلْتُ عَلَى كَثْرَةِ عِيُوبِكَ بِمَا تُكْثِرُ مِنَ عَيْبِ النَّاسِ ، لِأَنَّ الطَّالِبَ لِلْعِيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

وَأَجْرًا مَنْ رَأَيْتُ يَظْهَرُ غَيْبٍ : عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذَوُو الْعِيُوبِ

(١) في العقد العريذح ١ ص ٢٣٧ «عيوب» .

وأشده ابن الأعرابي

اسكُتْ ولا تَتَنطِقْ فانتَ خَيَّابٌ^(١) * كُكُّكَ ذُو عَيْبٍ وَأَنْتَ عَيْبٌ

وأشدني أيضا

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحٍ أَلْجَبِيبِ * وَأَبْنِ أَبِي مُتَمِّمٍ أَلْغَيْبِ

وَكُلِّ عَيْبٍ لَهُ مَنظَرٌ * مُشْتَمِلُ الثَّوْبِ عَلَى الْعَيْبِ

وكان عتبة بن عبد الرحمن يغتابُ الناسَ ولا يصبرُ، ثم ترك ذلك، فقيل له :
أتركتها؟ قال : نعم، على أني والله أحبُّ أن أسمعها .

أتى رجلٌ عمرو بن مَرثِدٍ فسأله أن يكلمَ له أمير المؤمنين، فوعده أن يفعلَ، فلما
قام قال بعضُ من حضر : إنه ليس مُستَحِقًّا لما وعدته، فقال عمرو : إن كنتَ
صَدَقْتَ في وصفِك إياه فقد كذبتَ في أدعائك مودَّتَنَا، لأنه إن كان مُستَحِقًّا كانت
اليَدُ موضِعها، وإن لم يكن مُستَحِقًّا فما زدتَ على أن أعلمتَنَا أن لنا بمغيبنا عنك مثل
الذي حضرتَ به من غاب مِن إخواننا .

وفي الحديث : ”إِنَّ الغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّنا“ . قيل : كيف ذلك ؟ قال :
”لأنَّ الرجلَ يزني فيتوبُ، فيتوبُ اللهُ عليه، وصاحبُ الغَيْبَةِ لا يُغْفَرُ له حَتَّى يَغْفِرَ له
صَاحِبُهَا“^(٢) .

قال رجلٌ للحسن : يا أبا سعيد إني اغتبتُ رجلاً وأريدُ أن أَسْتَحِلَّهُ، فقال له :
لم يكفِكَ أن اغتبتَه حتى أردتَ أن تبته . اغتابَ رجلٌ رجلاً عند قتيبة بن مسلم
فقال له قتيبة : أَمْسِكْ أَيُّهَا الرَّجُلُ، فوالله لقد تَلَمَّظْتَ بِمُضْغَةٍ طَالَمَا لَفَظَهَا الكِرَامُ .

(١) في النسخ التي بأيدينا « حباب » بالحاء المهملة والباء الموحدة وهو تحريف والتصوير عن اللسان
فانه ذكر هذا البيت في « حباب » و « حاب » وقال في تفسير « حباب » — بعد أن ذكر أن
الغيب القدح الذي لا يورى — : يجوز أن يكون فعلاً من الغيبة ويجوز أن يُعنى به أنه مثل هذا القدح
الذي لا يورى . (٢) في الإجماع ج ٣ ص ٩٩ « صاحب » .

مر رجلٌ بجارينِ له ومعه ربيبةٌ، فقال أحدهما لصاحبه: أفهمتَ مامعه من الربيبة؟
فقال الآخرُ: غلامي حُر لوجه الله شكرًا له إذ لم يُعرفني من الشرِّ ما عرفك .

شعبةٌ عن يحيى بن الحصين عن طارق قال: ^(١) دار بين سعد بن أبي وقاص وبين
خالد بن الوليد كلامٌ، فذهب رجلٌ ليقع في خالدٍ عند سعدٍ، فقال سعدٌ: مه إن
ما بيننا لم يبلغ ديننا . أى عداوةٌ وشرٌّ . وقال الشاعر

ولستُ بذي نيرٍ في الكرام * ومناعَ خيرٍ وسببها ^(٢)
ولا من إذا كان في جانب * أضاع العشيَّ وأغتابها
ولكن أطاوعُ ساداتها * ولا أتعلمُ ألقابها

وقال آخرُ

لا ياملُ الجارُ خيرًا من جوارهم * ولا محالةً من هزءٍ وألقاب

وقال الفرزدقُ

تصرمَ مني ودُّ بكرٍ بنِ وائلٍ * وما خلتُ عنى ودَّهم يتصرم
قوارصُ تأتيني ويحتقرونها * وقد يملأُ القطرُ الإناءَ فيفعم

أنشد أبو سعيد الضرير لبعض الضببين

ألا ربَّ من يغتابني ودَّ أبي * أبوه الذي يدعى إليه وينسبُ
على ريشةٍ من أمه أولغية * فيغلبها غلُّ على النسلِ منجبُ
فياخبر لا بالشرِّ فاطلبُ مودتي * وأى أمرئٍ يفتالُ منه الترهيبُ

(١) في الأصول « حصين » بدون أل . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا في الأصول . وفي اللسان « في الصديق » . ثم قال قال ابن بري : وصواب اشاده

ولست بذي نير في الكلام * ومناع قومي وسببها

واظر اللسان في مادة « نير » .

وقال آخر في نحوه :

(۱) ولما عصيت العاذلين ولم أبل * ملامتهم ألقوا على غاربي حبل
وهازية منى تود لو أبها * على شيمتي أو أن قيمها مثلي

قيل لبزرجمهر : هل من أحد ليس فيه عيب؟ قال : لا، إن الذي لا عيب فيه
لا ينبغي أن يموت . وقال في مثل هذا موسى شهوات :

ليس فيما بدا لنا منك عيب * عابه الناس غير أنك فاني
أنت خير المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للإنسان

وقال أبو الاسود الدؤلي :

(۲) وترى الشقي إذا تكامل عيبه * يرمى ويقرف بالذي لم يفعل

- ۱۰ لقي بكر بن عبد الله أخاه فقال : إذا أردت أن تلقى من النعمة عليك أعظم منها
عليه وهو أشكر للنعمة لقيته ، وإذا شئت أن تلقى من أنت أعظم منه جرماً وهو أخوف
لله منك لقيته . أرايت لو صحبتك رجلان : أحدهما مهته لك ستره ولا يذنب ذنباً
إلا رأيت ولا يقول هجراً إلا سمعته فانت تحبه على ذلك وتوافقه وتكره أن تفارقه ،
والآخر مستور عنك أمره غير أنك تظن به السوء فانت تبغضه ، أعدلت بينهما؟ قال :
- ۱۵ لا ، قال : فهل مثلي ومثلك ومثل من أنت راء من الناس إلا كذلك ؟ إنا نعرف الحلق
في الغيب من أنفسنا فنحبها على ذلك ، ونتظن الظنون على غيرنا فنبغضهم على ذلك .
ثم قال : أنزل الناس منك ثلاث منازل ، فاجعل من هو أكبر منك سناً بمنزلة أبيك ،
ومن هو تربك بمنزلة أخيك ، ومن هو دونك بمنزلة ولدك ، ثم أنظر أي هؤلاء تحب
أن تهتك له سترًا أو تبدي له عورة !

(۱) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفارسية «رحلى» . (۲) يقرف ، أى يعاب ويبتهم .

سعيد بن واقد المزني قال حدثنا صالح بن الصقر عن عبد الله بن زهير قال :
وقد العلاء بن الحضرمي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "أتقرأ من القرآن شيئا؟"
فقرأ "عبس" وزاد فيها من عنده : وهو الذي أخرج من الحلبى ، نَسَمَةٌ تَسْعَى ، مِنْ
بَيْنِ شَرِاسِيفٍ وَحَشَى ؛ فصاح به النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : "كُفَّ فَإِنَّ
السورة كَافِيَةٌ" . ثم قال : "هل تروى من الشعر شيئا؟" فأنشده :

حَى ذَوَى الْأَضْغَانِ تَسْبِ قُلُوبَهُمْ * تَحْيَتِكَ الْقُرْبَى فَقَدْ تُرْقِعُ النَّعْلَ
وَإِنْ دَحَسُوا بِالْكَرِهِ فَأَعْفُ تَكْرَمًا * وَإِنْ خَفَسُوا عَنْكَ الْخَدِيثَ فَلَا تَسْلُ
فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ * وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لَمْ يُقْلُ
فقال النبي عليه السلام : "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمًا وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا" .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال رجل لبكر بن محمد بن علقمة : بلغني أنك
تَقْعُ فِي [قَالَ] : أَنْتَ إِذَا أُكْرِمَ عَلَى مِنْ نَفْسِي ! . وقال بعض الشعراء :
لَا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَاسَتَرُوا * فَيَكْشِفُ اللَّهُ سِتْرًا عَنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكَرَ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا * وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
وقال أبو الدرداء : لَا يُحْرِزُ الْإِنْسَانَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ إِلَّا قَبْرُهُ .

قال عمر بن عبد العزيز لمزاحيم موله : إن الولاية جعلوا العيون على العوام وأنا
أجعلك عيني على نفسي ، فإن سمعت مني كلمة ترأبني عنها أوفعألا لا تُحِبَّه فِعْظُنِي
عنده وأنتهني عنه .

العتبي قال : تنقص ابن لعامر بن عبد الله بن الزبير على بن أبي طالب عليه السلام ؛
فقال له أبوه : لا تنقصه يا بني ، فإن بني مروان ما زالوا يشتُمونه ستين سنة فلم

(١) دحس بين القوم : أفسد بينهم . (٢) هكذا بالأصل . وفي اللسان في مادة دحس «بالشر» .
(٣) خنسوا : أخفوا . (٤) زيادة من العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ يتوقف عليها سياق الكلام .
(٥) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «لا تهكن» ، وفيه أيضا : «فهنك» بدل «فيكشف» .

يَزِدُهُ اللهُ إِلَّا رَفَعَةً، وَإِنَّ الدِّينَ لَمْ يَبْنِ شَيْئًا فَهَدَمْتَهُ الدُّنْيَا، وَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَبْنِ شَيْئًا إِلَّا عَادَتْ عَلَى مَا بَنَتْ فَهَدَمْتَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَأَنْهَى عَنْ عَمَلِي * فَإِذَا أَنْتَهَيْتُ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَذَا تَعْدِيرٌ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى * بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
لَا تُشْهَرُ عَنْ خُلُقِي وَنَأْتِي مِثْلَهُ * عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وقال آخر :

وَيَأْخُذُ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ * مُرَادٌ لَعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبٌ

وقال آخر :

لَكَ الْخَيْرُ، لَمْ نَفْسًا عَلَيْكَ ذُنُوبًا * وَدَعَّ لَوْمْ نَفْسٍ مَا عَلَيْكَ تَلِيمٌ^(١)
وَكَيْفَ تَرَى فِي عَيْنِ صَاحِبِكَ الْقَدَى * وَيَخْفَى قَدَى عَيْنِكَ وَهُوَ عَظِيمٌ

١٠

كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَرَمِّمِينَ لَا يَزَالُ يَعْيبُ النَّبِيَّ وَشَرَابَهُ فَإِذَا وَجَدَهُ سِرًّا شَرِبَهُ ؛ فَقَالَ

فِيهِ بَعْضُ جِيرَانِهِ :

وَعِيَايَةَ لِلشُّرْبِ لَوْ أَنَّ أُمَّهُ * تَبُولُ نَيْدًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَيْبِلُهَا

قَالَ رَجُلٌ لِعَمْرُو بْنِ عَبِيدٍ : إِنِّي لَأَرْحَمُكَ مِمَّا تَقُولُ النَّاسُ فِيكَ ؛ قَالَ : أَتَسْمَعُنِي

أَقُولُ فِيهِمْ شَيْئًا ؛ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : إِيَّاهُمْ فَارْحَمَهُ .

١٥

قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِأَمْرَأَتِهِ :

وَإِنَّمَا هَلَكْتُ فَلَا تَنْكِحِي * ظُلُومَ الْعَشِيرَةِ حَسَادَهَا

يَرَى مَجْدَهُ تَلَبَّ أَعْرَاضَهَا * لَدَيْهِ وَيُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا

(١) تليم : من ألام الرجل إذا أتى ذنبا يلام عليه .

٣٠

(٢) من ترممت إذا توقفت في مجلسه ، ومنه الزميت كأمير ، أي الوفور الساكن القليل الكلام ، والزميت

كيتن أوقرت .

باب السَّعَايَةِ

روى وكيع عن أبيه عن عطاء بن السائب قال : قَدِمْتُ مِنْ مَكَّةَ فَلَقِنِي الشَّعْبِيُّ
فَقَالَ : يَا أَبَا زَيْدٍ أَطْرِفْنَا مِمَّا سَمِعْتَ ، قُلْتُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَابِطٍ
يَقُولُ : لَا يَسْكُنُ مَكَّةَ سَائِكُ دِيمٍ ، وَلَا آكُلُ رَبًّا ، وَلَا مَشَاءُ بَنِيمٍ ، فَعَجِبْتُ مِنْهُ
حِينَ عَدَلَ النَّمِيمَةَ بِسَفِكِ الدَّمَاءِ وَأَكَلَ الرَّبَّ ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ هَذَا !
وَهَلْ تُسَفِّكُ الدَّمَاءَ وَتُرَكِّبُ الْعِظَامَ إِلَّا بِالنَّمِيمَةِ !

عاب مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَحْنَفُ بِنَ قَيْسِ بْنِ قَيْسٍ عَلَى شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ
مِنْ ذَلِكَ وَدَفَعَهُ ، فَقَالَ مُصْعَبٌ : أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ الثَّقَةُ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ : كَلَّا
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ الثَّقَةَ لَا يُبَلِّغُ . قَالَ الْأَعَشِيُّ :

وَمَنْ يُطِيعِ الْوَأَشِيْنَ لَا يَتْرُكُوا لَهُ * صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقْرَبًا

وَذَكَرَ السُّعَاةُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ حَضَرَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ
عِيْبِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ مَا يَكُونُونَ أَبْغَضُ مَا يَكُونُونَ إِلَى اللَّهِ لَكَفَّاهُمْ .^(٢)

سَعَى رَجُلٌ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بِرَجُلٍ ، فَقَالَ لَهُ : انصِرْفِ حَتَّى أَسْأَلَ عَمَّا
ذَكَرْتَ ، وَبَعَثَ فِي الْمَسْأَلَةِ عَنِ السَّاعِي إِذَا هُوَ لَغَيْرِ أَبِيهِ الَّذِي يُدْعَى لَهُ ، فَقَالَ بِلَالٌ :

أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «السَّاعِيُ
بِالنَّاسِ لَغَيْرِ رِشْدَةٍ» . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا الْوَأَشِي نَعَى يَوْمًا صَدِيقًا * فَلَا تَدْعِ الصَّدِيقَ لِقَوْلِ وَأَشِي

(١) هاتان الكلمتان (إلا أنهم) ليسنا بالأصل ، وقد نقلناهما عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ ، وفي الأصل «إلى الناس» .

(٣) يقال : هذا ولد رِشْدَةٍ إِذَا كَانَ لِزَوْاجٍ صَدِيقٍ ، وَجَاءَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١

ص ٢٣٦ ولسان العرب في مادة «رشد» بلفظ «الساعي لغير رشدة» .

أتى رجلُ الوليد بن عبد الملك وهو على دمشق لابيهِ ، فقال : للأمير عندي نصيحةٌ ، فقال : إن كانت لنا فأظهرها ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها ، قال : جار لي عصى [وفر] من بعته ، قال : أما أنت فتخبر أنك جار سوء ، فإن شئت أرسلنا معك ، فإن كنت صادقاً أقصيناك ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن شئت تاركناك ، قال : بل تاركني .

وقال عبدة بن الطبيب :

وأعضوا الذي يُسدى النيمة بينكم * متصصاً وهو السام المتقع^(٣)
يزجي عقاربه ليعث بينكم * حرباً كما بعث العروق الأخدع^(٤)
حران لا يشفي غليل فؤاده * غسل بماء في الإناء مشعشع^(٥)
لا تأمنوا فوما يتب صبيهم * بين القبائل بالعداوة ينسع^(٦)
إن الذين ترونهم خلانكم * يشفي صداع رؤوسهم أن تصرعوا^(٧)
فضلت عداوتهم على أحلامهم * وأبت ضباب صدورهم لا تنزع^(٨)
قوم إذا دمس الظلام عليهم * حدجوا قنافة بالنيمة تمزع^(٩)
^(١٠)
^(١١)

١٠

(١) في النسخة الفتوغرافية « من بعته » وفي الألمانية « من بعته » . وما وضعناه والزيادة عن
المقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ (٢) رواه صاحب المفضليات : يزجي النائم ، أى يسوقها .
١٥ (٣) رواه صاحب المفضليات : ذاك السام . (٤) الأخدع : عرق في العتوق موضع
الحجامة . (٥) مشعشع : مزوج . (٦) ينسع : يؤذى جيرانه ، وروى الشطر الأخير من هذا
البيت في المفضليات هكذا : * بين القوابل بالعداوة ينسع *
وينسع من نسع فلان بكذا : أولع به . (٧) كذا في الأصل . وروى في المفضليات وشواهد "المسند
إليه" من تلخيص المفتاح :

٢٠

إن الذين ترونهم إخوانكم * يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا
(٨) الضباب جمع صب ، والمراد به : الغل المعن في الصدر ، إيمان الضب في حجره . (٩) دمس :
اشتدت ظلمته . (١٠) حدجوا قنافة : رحلوا ، أراد أنهم يسهرون بالنيمة والاحتبال في الشراكا
يسهر القنفذ ، لأنه يسير ولا ينام ليله أجمع . كذا في شرح المفضليات . (١١) تمزع : تسرع .

وقال أبو ذهبل الجعفي :

وقد قطع الواشون ما كان بيننا * ونحن إلى أن يوصل الحبل أحوج
رأوا عورة فاستقبلوها بأبهم^(١) * فراحوا على ما لا نحب وأدبلوا
وكانوا أناسا كنت آمن غيهم * فلم ينهم حلم ولم يتخرجوا

وقال بشار :

تسبى قربك الرباب وتخشى * عين وايش وتبني أسماعه
أنت من قلبها محل شراب * تسبى شربه وتخشى صداعه

وقال أبو نواس :

كنت من الحب في ذرى نبي^(٢) * أروء منه مراد موموق^(٣)
حتى ثاني عنه تخلقوا * ش كذبة لثها يرويق
جبت قفا ما تمته معتذرا * منه وقد فزت بعد تخريق^(٤)
كقول كسرى فيما تمثله * من فرص اللص صجة السوق

وقرأت في كتاب للهند: قلما يمنع القلب من القول إذا تردد عليه، فإن الماء ألين
من القول والحجر أصلب من القلب، وإذا انحدر عليه وطال ذلك أثر فيه، وقد تقطع
الشجرة بالفؤوس فتنبت ويقطع اللحم بالسيوف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه،
والنصول تغيب في الجوف فتزع والقول إذا وصل إلى القلب لم يزع، ولكل حريق
مطفى: للنار الماء، وللسم الدواء، وللحزن الصبر، وللعشق الفرقة، ونار الحقد لا تنجو.

(١) بالهم : بجمعهم . (٢) نبي : مرتفع .

(٣) في النسخة الفتوغرافية «فه» .

(٤) في الأصلين ونسختي الديوان المطبوعة والمخطوطة * وقد فزت منه بعد تخريق * وما أبتناه

رواية في هامش النسخة الألمانية . وبها يستقيم الوزن .

وقال طرفة بن العبد :

وتصدُّ عنك مخيلة الرجل السعير^(۱)ريض موضحة عن العظيم
بِحسام سيفك أو لسانك والكلم الأصيل كأوسع الكلام

ونحوه قوله :

* والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر *

وقال امرؤ القيس :

* وجرح اللسان بجرح اليد *

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلو^(۲)ة فقال لأصحابه : إذا شتمتم [تتحوأ] ، فلما
تهبأ الرجل للكلام قال له : إياك وأن تمدحني فإني أعرف بنفسى منك ، أو تكذبني
فإنه لا رأى لكذوب ، أو تسعى بأحد إلى ، وإن شئت أن أقيلك أقلتك ، قال : أقلني .
وقال ذو الرياستين : قبول السعاية شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة
والقبول إجازة ، وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز ، فامقت الساعي على سعايته
وإن كان صادقا للؤمه في هتك العورة وإضاعة الحرمه ، وعاقبه إن كان كاذبا لجمعه
بين هتك العورة وإضاعة الحرمه مبارزة لله بقول البهتان والزور .

وقال بعض المحدثين لعبد الصمد بن المعدل :

لعمرك ما سب الأمير عدوه * ولصكنا سب الأمير المبلغ

وقال رجل للوليد بن عبد الملك : إن فلانا شتمك ، فأكب ثم قال : أراه شتمك .
وأتى رجل ابن عمر فقال له : إن فلانا شتمك ، فقال له : إني وأخي عاصما لأنساب أحدا .
عوانة قال : كان بين حاتم طي وبين أوس بن حارثة الطف ما يكون بين اثنين ؛
فقال النعمان بن المنذر لجلسائه : والله لأفسدن ما بينهما ؛ قالوا : لا تقدر على ذلك ؛

(۱) في كتاب الشعر والشعراء : « وترد » ، والعريض : الرجل الذي يتعرض الناس بالشر .

(۲) زيادة في النسخة الألمانية .

قال : بلى فقلما جرت الرجال في شيء إلا بلغتته ؛ فدخل عليه أوس ؛ فقال : يا أوس ما الذي يقول حاتم ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول إنه أفضل منك وأشرف ؛ قال : أبيت اللعن ، صدق ! والله لو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لأنهبنا في مجلس واحد ، ثم خرج وهو يقول :

يقول لي النعمان لا من نصيحة * أرى حاتما في قوله متطاولا

له فوقنا باع كما قال حاتم * وما النصح فيما بيننا كان حاولا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثل مقالته لأوس ؛ قال : صدق ، أين عسى أن أقع من أوس ! له عشرة ذكور أحسهم أفضل مني ، ثم خرج وهو يقول :

يسألني النعمان كي يسترلني * وهيات لي أن أستضام فأصرعا

كفاني نقصا أن أضيم عشيرتي * يقول أرى في غيره متوسعا

فقال النعمان : ما سمعتُ باكرم من هذين الرجلين .

ذكر يعقوب بن داود أيام كان مع المهدي أنه وافاه في يوم واحد ثمانون رقعة كلها سعاية ، منها ستون لأهل البصرة ، وعشرون لسائر البلاد .

وشى واث برجل إلى الإسكندر ؛ فقال له : أئحِبُّ أن أقبل منك ما قلت فيه على أن تقبل منه ما قال فيك ؟ قال : لا ؛ قال : فكف عن الشريكف عنك الشر .

كتب بعض إخواننا من الكُتاب إلى عامل وكان سعي به إليه : لست أنفك فيما بيني وبينك من إحدى أربع : إما كنت محسنا وإنك كذلك فأربب ، أو مسيئا ولست به فأبق ، أو أكون ذا ذنب ولم أتعمد فتعمد ، أو مقروفا وقد تلحق به حيل الأشرار

فتثبت (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء نميم)

باب الكذب والقحة

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا سليمان بن داود عن مسامة بن علقمة عن داود بن أبي هند عن شهر بن حوشب عن الزبير بن النوفل عن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا يَصْلِحُ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ الْحَرْبِ فَإِنَّمَا خُدْعَةٌ وَالرَّجُلُ يَصْلِحُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَالرَّجُلُ يُرْضَى أَمْرَاتُهُ» .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا بربر بن هارون^(٢) قال أخبرنا سفيان بن حسين عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَمْ يَكْذِبْ مَنْ قَالَ خَيْرًا وَأَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ» .

قال : حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا أبو داود عن عمران عن قتادة قال : قال أبو الأسود الدؤلي : إِذَا سَرَّكَ أَنْ تُكْذِبَ صَاحِبَكَ فَلَقِّنْهُ .

حدثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن مالك عن صفوان بن سليم قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ قال : «نعم» قال : أَيْكُونُ بَجِيلاً ؟ قال : «نعم» قال : أَيْكُونُ كَذَابًا ؟ قال : «لا» . قال حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : عاتب إنسان كذاباً على الكذب ، فقال : يَا بَنَ أَخِي لَوْ تَفَرَّغْتَ بِهِ مَا صَبَّرْتُ عَنْهُ . قال : وَقِيلَ لِكَذُوبٍ : أَصَدَقْتَ قَطُّ ؟ قال : أَا كَرِهَ أَنْ أَقُولَ لَا فَأُصَدِّقَ . وقال ابن عباس : الْحَدِيثُ حَدَثَانِ : حَدِيثٌ مِنْ فَيْكَ وَحَدِيثٌ مِنْ فَرَجِكَ . وقال مديني : مَنْ تَقَلَّ عَلَى صَدِيقِهِ خَفَّ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَمَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ . ومثله قول الشاعر :

(١) وفي رواية : «مواطن» . (٢) كذا في الأصول ولم نقف في كتب التراجم على من يسمى بربر

ابن هارون ، ولعله يزيد بن هارون ، وهو أحد الرواة عن سفيان بن حسين كما في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٠٨

(٣) تفرغت به : ردته في حلقك .

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ * ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا * أَسْرَعُ مِنْ مُنْجِدِ سَائِلِ

بلغنى عن وكيع عن أبيه عن منصور قال: قال مجاهد: [كل] ما أصاب الصائم شوي^(١) ما خلا الغيبة والكذب. وقال سليمان بن سعد: لو صحبني رجل فقال: أشرت خصلة واحدة لا يزيد عليها، لقلت لا تكذبني. كان ابن عباس يقول: الكذب فجور، والنميمة سحر، فمن كذب فقد فجر، ومن نم فقد سحر. وكان يقال: أسرع الاستماع وأبطئ التحقيق. قال الأحنف: ما خان شريف ولا كذب عاقل ولا آغتاب مؤمن. وكانوا يخلفون فيحتمون ويقولون فلا يكذبون. ذم رجل رجلا فقال: اجتمع فيه ثلاثة: طبيعة العقق^(٢) يعني السرقة، وروغان الثعالب يعني الخب، ولمعان البرق يعني الكذب. ويقال الأذلاء أربعة: النمام والكذاب والمدين والفقير. قال ابن المقفع: لا تهاونن بإرسال الكذبة في الهزل فإنها تسرع في إبطال الحق. وقال الأحنف: أثنان لا يجتمعان أبدا: الكذب والمروءة. وقالوا: من شرف الصدق أن صاحبه يصدق على عدوه. وقال الأحنف لابنه: يا بني أتخذ الكذب كثرا، أي لا تخرجه. وقيل لأعرابي كان يسهب في حديثه: أما لحديثك هذا آخِرُ فقال: إذا أنقطع وصلته. وقال ابن عمر: «زعموا» زاملة الكذب. كان يقال: علة الكذب أقبح علة، وزلة المتوفى أشد زلة. كان المهلب كذابا وكان يقال له: راح يكذب. وفيه يقول الشاعر

(١) الزيادة عن اللسان في مادة «شوي» . (٢) أي: شئ يسير هين. وأصل الشوي الأطراف ومعنى الحديث أن كل شئ، أصابه الصائم هين لأنه بمنزلة الأطراف التي هي ليست مقاتل، ما عدا الغيبة والكذب فإنهما في تأثيرهما على الصوم بمنزلة المقاتل من الإنسان . (٣) العقق: طائر على قدر الحماية وهو على شكل الغراب ويقال له: القمقع، والعرب تشام به وتضرب به المشل في السرعة والحياة والحيث . (٤) الزاملة: الدابة التي يحمل عليها، يريد أن لفظ «زعموا» مطية الكذب ومركبه .

تبدلت المنابر من قريش * مزونياً بفتح الصليب^(١)
فأصبح قافلاً كرم وجود * وأصبح قادمًا كذب وحب

قال رجل لأبي حنيفة : ما كذبت كذبة قط ؛ قال : أما هذه فواحدة يشهد بها عليك . قال ميمون بن ميمون : من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه . قال أبو حية الثميري - وكان كذابا - : عن علي رضي الله عنه فرأيت فراع عن سهمي فعارضه والله السهم ، فراع فراوغه السهم حتى صرعه ببعض الخبارات . وقال أيضا : رميت ظبية فلما نفذ السهم ذكرت بالظبية حبيبة لي فشددت وراء السهم حتى قبضت على قذذه . وصف أعرابي امرأة فقيل : ما بلغ من شدة حبك لها ؟ قال : إني لأذكرها وبنيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها ريح المسك .

أنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك :

ثلاث وأثنان فهن خمس * وسادسة تميل إلى شمام
فبتن ينجاني مصرعات * وبث أفض أغلاق الختام
كان مفالق الرمان فيه * وجر غضا قعدن عليه حامي

فقال له سليمان : ويحك يا فرزدق ، أحلت بنفسك العقوبة ، أقررت عندي بالزنا وأنا إمام ولا بد لي من أن أحذرك ، فقال الفرزدق : بأي شيء أوجبت علي ذلك ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن كتاب الله هو الذي يدرأ عني الحد ، قال : وأين ؟ قال : في قوله : (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَبْعَمُونَ وَأَنْهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) فإنا قلت يا أمير المؤمنين ما لم أفعل ، وقول الشاعر :

وإنما الشاعر مجنون كلب * أكثر ما يأتي على فيه الكذب

(١) كذا في لسان العرب في مادة « مزن » والذي في الأصل « المنازل » .

(٢) في الأصل « الخبارات » وفي الأغاني « الجبانات » وفي البيان والتبيين « الجنارات » والتصويب عن الشعر والشعراء لابن قتيبة . والخبارات جمع خبارة وهي ما لان وأسترخى من الأرض وساخت فيها القوائم وفي المثل « من تجنب الخبارات أمن العثار » . (٣) القذذ جمع قذذة : ريش السهم .

وقال الشاعر :

حَسْبُ الكَذُوبِ مِنَ البليَّةِ بعضُ ما يُجْحَى عايه
مهما سمعتَ بِكذبةٍ * مِنْ غيرِ نُسبتِ إليه

وقال بشار :

ورَضيتُ من طُوبِ العناءِ بيايسه * والياسُ أيسرُ منِ عِداتِ الكاذبِ
والعرب تقول : «أَكْذَبُ مِنْ سَالِئَةٍ»^(١) وهي تكذب مخافة العين على سمنها . و«أَكْذَبُ
مِنْ مُجَرَّبٍ» لأنه يخاف أن يُطَلَّبَ من هِنائه . و«أَكْذَبُ مِنْ يَلَمَعٍ» وهو السراب . منصور
ابن سالم الخزاعي قال حدثنا شيب بن شيبه أبو معمر الخطيب قال : سمعت
ابن سيرين يقول : الكلامُ أوسعُ من أن يكذبَ ظريفٌ . وقال في قول الله عز وجل :
(لَا تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ) لم ينس ولكنها من معاريض الكلام . وقال القيني : أَصْدُقُ
فِي صِغارِ ما يضرُّني لِأَصْدَقَ في كبارِ ما ينفَعُنِي . وكان يقول : أنا رجل لا أبالي
ما استقبلتُ به الأحرارَ . نافرَ رجل من جرمِ رجلا من الأنصار الى رجل من قريش ،
فقال للجرمي : أيا جاهلية تُفاخره أم بالإسلام ؟ فقال : بالإسلام ، فقال : كيف تُفاخره وهم
آووا رسولَ الله ونصروه حتى أظهر الله الإسلام ؟ قال الجرمي : فكيف تكون قلةُ الحياء .
وقال آخر : إنما قويتُ على خصومي بآني لم أستترِ قِطَ بشيء من القبيح . وذكر أعرابي
رجلا فقال : اودق وجهه بالحجارة لرضها ، ولو خلا بأستار الكعبة لسرقها . قيل لرجل
من بني أسد : بأي شيء غابت الناس ؟ قال : أهتُ الأحياء وأستشهد الموتى .
وقال طريحُ الثقفي يذم قوما :

إن يعلّموا الخير يُخفوه وإن علّموا * شرًّا أذيع وإن لم يعلّموا كذبوا

(١) في مجمع الأمثال "السائلة" بالتعريف ، وهي التي تسلا السن أو تطبخه وتعالجه ، قال الميداني

في مجمع الأمثال : وكذبها أنها تقول : قد ارتجى ، قد احترق . والارتجان ألا يخلص سمنها .

(٢) الهناء : الفطران .

وكان يقال : آثان لا يتفقان أبداً : القناعة والحسد، وآثان لا يفتقان أبداً : الحرص
والقحة، وقال الشاعر :

إِن يَخْلُوا أَوْ يَغْدِرُوا * أَوْ يَفْخَرُوا لَا يَخْفَلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا^(١)
كَأَنَّ بَرَأَقِشَ كُلِّ لَوْ * يَنْ لَوْنُهُ يَتَخَيَّلُ^(٢)

هجا أبو الهول الحميري الفضل بن يحيى ثم أتاه راعبا إليه ، فقال له الفضل : وبيك
بأى وجه تلقاني ! قال : بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر ، فضحك ووصله .

ومن أمثال العرب في الوقاح « رميتي بدائها وأنسلت » . وقال الشاعر :

أَكُوْلُ لِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ إِذَا شَتَا * صَبُورٌ عَلَى سُوءِ الشَّاءِ وَقَاحٌ^(٣)

- ١٠ قال رجل لقوم يفتابون ويكذبون : تَوْضُّؤُوا فَإِن مَاتَقُولُونَ شَرٌّ مِنَ الْحَدِّثِ . وبلغني
عن حماد بن زيد عن هشام عن محمد قال : قلتُ لَعِيْدَةَ : ما يوجبُ الوضوءَ؟ قال :
الحدِّثُ وأذى المسلم . روى الصَّلْتُ بنُ دينار عن عُقْبَةَ عن أَنَسِ بنِ مالِك قال : بعثني
أبو موسى الأشعري من البصرة الى عمر ، فسألني عن أحوال الناس ثم قال : كيف يصلح
أهل بلدٍ جلُّ أهلِهِ هَذَانِ الْحَيَّانِ : بكر بن وائل وبنو تميم ، كدب بكرٌ وبنجل تميم . ذكر
بعض الحكماء أعاجيب البحر وتزيده البحرين فقال : البحر كثير العجائب ، وأهلُه أصحاب
١٥ تزيده ، فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصدق ، وأدخلوا ما يكون فيما يكاد لا يكون ،
وجعلوا تصديق الناس لهم في غريب الأحاديث سُلماً الى آدعاء المحال .
حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كان يقال : الصدق أحياناً محرم .

(١) جزم « يغدوا » لأنه بدل من « لا يخفلوا » فان غدوهم مرجلين هو في معنى أنهم لم يخفلوا . كذا
يؤخذ من اللسان . والترجيل : مشط الشعر وإرساله . (٢) أبو براقش : طائر يتون ألوانا شبيه بالفضة
أعلى ريشه أغبر وأوسله أحمر وأسفله أسود فاذا انفض تغير لونه ألوانا شتى . كذا في اللسان .
(٣) كما يستعمل الثناء في ذكر المرء بالخير يستعمل في ذكره بالشر .

حدثني شيخنا لنا عن أبي معاوية قال حدثنا أبو حنيفة عن معن بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبد الله بن مسعود : ما كذبتُ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا كذبةً واحدةً ، كنتُ أرَّحِلُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغاء رجلٍ من الطائف فقلت : هذا يغلبني على الرجال ، فقال : أيُّ الرجال أحبُّ إلى رسول الله؟ فقلت : الطائفية المكية ، فرَّحِلُ بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ رَحَّلَ لَنَا هَذَا» فقالوا : الطائفية ، فقال : «مُرُوا عَبْدَ اللَّهِ فَلْيَرَحَّلْ لَنَا» فعدتُ إلى الرجال .

باب سوء الخلق وسوء الجوار والسباب والشر

حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا أبو داود عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبد الله بن غالب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خَصَلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ سُوءُ الْخُلُقِ وَالْبُخْلُ» .

قال وحدثني أحمد بن الخليل عن أزهر بن جميل عن إسماعيل بن حكيم عن الفضل بن عيسى عن محمد بن المنكدر عن جابر [قال] : قيل : يا رسول الله ما الشؤم؟ قال : «سُوءُ الْخُلُقِ» .

قال وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ» .

قال وحدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : حدثني شيخ يمني قال : صحبَ أيوبَ رجلٌ في طريق مكة فأذاه الرجلُ بسوء خلقه ، فقال أيوبُ : إني لأرجمه لسوء خلقه .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الإحياء «حتى يعتدي ...» .

قال وحدثني عبدالرحمن عن الأصمعي قال : قال أبو الأسود : لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم . وأوصى بنيه فقال : لا تُجاوِدُوا الله فإنه أجدُّ وأجودُّ، ولو شاء أن يُوسِعَ على الناس كُلِّهم حتى لا يكونَ محتاجٌ لفعلٍ، فلا تَجهدُوا أنفُسكم في التوسُّعِ فتهلكوا هُرْجًا . قال : وسمع رجلا يقول : مَنْ يُعشَى الجائعَ؟ فقال : على به ، فعشاه ثم ذهب ليخرج ، فقال : أين تريد؟ قال : أريدُ أهلي ، قال : هيات ، على ألا تُؤذِيَ المسلمين اللَّيلةَ ، ووضع في رجله الأدمَ حتى أصبح . قال : وأكل أعرابي معه تمرًا فسقطت من يده الأعرابي تمرَةً فأخذها وقال : لا أدعُها للشيطان ، فقال أبو الأسود : لا والله ولا لجبريل . نظر ابن الزبير يوما الى رجل وقد دقَّ في صدور أهل الشام ثلاثة أرماح فقال : آعتزل حربنا فإن بيت المال لا يقوم لهذا . وذكر أبو عبيدة أنه كان يأكل في كلِّ سبعة أيام أكلةً ويقول في خطبته : إنما بطني شبرٌ في شبرٍ وما عسى أن يكفيني . وقال أبو وجرة مولى آل الزبير :

لو كان بطنك شبرًا قد شبعت وقد * أفضلت فضلًا كثيرًا للمساكين
فإن تُصَبِّك من الأيام جائحةً * لأنبِكَ منك على دُنيا ولا دين

وفيها يقول :

مازلت في سورة الأعراف تدرُسها * حتى فؤادك مثل الخزف في الدين
وفيها يقول :

إن امرأ كنت مولاهُ فضيغيني * يرجو الفلاح لعندي حق مغبون

وفيه يقول آخر :

رأيتُ أبا بكرٍ - وربك غالبٌ * على أمره - يبغي الخلافةَ بالتمر

٢٠ (١) أي ابن الزبير كما في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٢

(٢) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفتوغرافية والعقد الفريد ج ٣ ص ٢٠ «فؤادى» .

هذا حين قال : أَكَلْتُمْ تَمْرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي . وقال بعض الشعراء :

مِنْ دُونَ سَيْبِكَ لَوْ نُ لَيْلٍ مُظْلِمٍ * وَحَفِيفُ نَابِغِيَّةٍ وَكَلْبٌ مُوسَدٌ^(٣)
وَأَخْوَكٌ مُحْتَمِلٌ عَلَيْكَ ضَغِينَةٌ * وَمَسِيفٌ قَوْمِكَ لَأَيْمٌ لَا يَحْتَدُ^(٤)
وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدَ سَاخٍ^(٥) * لَا بَلَّ أَحْبَهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ

وَمَدَحَ أَعْرَابِيٌّ سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ فَقَالَ :

أَيَا سَارِيًّا بِاللَّيْلِ لَا تَخْشَ ضِلَّةً * سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلَادٍ
لَنَا سَيِّدٌ أَرَبِيٌّ عَلَى كُلِّ سَيِّدٍ * جَوَادٌ حَتَّى فِي وَجْهِهِ كُلِّ جَوَادٍ^(٦)

فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا ، فَقَالَ يَهْجُوهُ :

لِكُلِّ أَحَى مَدْحٍ ثَوَابٌ يُعَدُّهُ * وَلَيْسَ لِمَدْحِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابٌ
مَدَحْتُ أَبْنَ سَلَمٍ وَالْمَدِيحُ مَهْزَةٌ * فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ

وَقَالَ فِيهِمُ الْمَزْرُوقُ الْحَضْرَمِيُّ :

إِذَا وُلِدَتْ حَائِلَةٌ بِبَاهِلِيٍّ * غَلَامًا زَيْدًا فِي عَدَدِ اللَّثَامِ
وَعَرَضُ الْبَاهِلِيِّ وَإِنْ تَوَقَّى * عَلَيْهِ مِثْلُ مَنَدِيلِ الطَّعَامِ
وَلَوْ كَانَ الْخَلِيفَةُ بِبَاهِلِيًّا * لَقَصَّرَ عَنِ مُسَامَاةِ الْكِرَامِ

وَدَخَلَ قُدَامَةُ بْنُ جَعْدَةَ عَلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسَلَمٍ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، بِالْبَابِ الْأَمِّ
الْعَرَبِ ، قَالَ : وَمَنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : سَلَوْتُ رَسُولَ مُحَارَبِي إِلَى بَاهِلِيٍّ ، فَضَحِكَ قُتَيْبَةُ . وَقَالَ آخِرُ

(١) السيب : العطاء ، وفي النسختين الفنوخرافية والألمانية : « شيبك » بالشين المعجمة وهو تحريف .

(٢) الالبغة بالجميم (كما في الألمانية) وبالحاء (كما في الفنوخرافية) : الريح الشديدة فكلاهما صحيحة .

(٣) موسد من أوسد الكلب بالصيد : أغراه به . (٤) المسيف : من هلك ماله فافتقر .

(٥) الأسود الساخ : الأفعى ، ووصف بالساخ لأنه ينسلخ جلده كل عام . (٦) في النسخة

الألمانية « جنى » والفتوخرافية « حتى » وكلاهما تحريف والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ١٠٧

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخَفَّوْا كَلَامَهُمْ * وَأَسْتَوْثَقُوا مِنْ رِتَاجِ الْبَابِ وَالذَّارِ
لَا يَقِيْسُ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ * وَلَا تُكْفَى يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ

وقال عمر بن عبد العزيز الطائي من أهل حمص :

سُمْتُ الْمَدِيحَ رَجَالًا دُونَ قَدْرِهِمْ * صَدُّ قَبِيحٌ وَلَفْظٌ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
فَلَمْ أَفْزَمِ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلَتْ * رَجُلٌ الْبَعُوضَةَ مِنْ نَخَّارَةِ اللَّيْلِ

وقال آخر :

أَلَامٌ وَأُعْطِيَ وَالْبَخِيلُ مُجَاوِرِي * إِلَى جَنْبِ بَيْتِي لَا يَلَامُ وَلَا يُعْطَى

ونحو هذا قولهم : مَنَعَ الْجَمِيعَ أَرْضِي لِلْجَمِيعِ . وقال بشار :

أَعْطَى الْبَخِيلُ فَمَا آتَفَعْتُ بِهِ * وَكَذَلِكَ مَنْ يُعْطِيكَ مِنْ كَدْرِهِ

١٠ قيل لخالد بن صفوان : مالك لا تتفق فإن مالك عريض ؟ قال : الدهر أعرض
منه ؛ قيل له : كأنك تأمل أن تعيش الدهر كله ؛ قال : ولا أخاف أن أموت في أوله .

قال الجاحظ : قلت مرة للجزامي : قد رضيت بقول الناس : عبد الله بخيل ؛ قال :

لَا أَعْدَمَنِي اللَّهُ هَذَا الْأَسْمَ ؛ قلت : كيف ؟ قال : لأنه لا يقال فلان بخيل إلا وهو ذو مال ،

فَسَلَّمَ لِي الْمَالَ وَأَدْعُنِي بِأَيِّ أَسْمٍ شِئْتَ ؛ قلت : ولا يقال سخى إلا وهو ذو مال ، فقد

١٥ جمع هذا الاسم المال والحمد وجمع هذا الاسم المال والذم ؛ قال : بينهما فرق ؛

قلت : هاته ؛ قال : في قولهم بخيل تثبت لإقامة المال في ملكه ، وفي قولهم سخى

إخبار عن خروج المال عن ملكه ، وأسم البخل أسم فيه حزم وذم ، وأسم السخاء أسم

فيه تضييع وحمد ، والمال راهن نافع ومكرم لأهله معز ، والحمد ريح وسخريه واستماعه

(١) أى دائم باق .

ضَعْفٌ وَفُسُولَةٌ، وَمَا أَقَلَّ وَاللَّهِ غَنَاءَ الْحَمْدِ عَنْهُ إِذَا جَاعَ بَطْنُهُ وَعَرِيَ جِلْدُهُ وَضَاعَ عِيَالُهُ وَشِمَّتْ عَدُوهُ! .

وكان محمد بن الجهم يقول : مِنْ شَأْنِ مَنْ أَسْتَعْنَى عَنْكَ أَلَّا يُقِيمَ عَلَيْكَ ، وَمَنْ أَحْتَاجَ إِلَيْكَ أَلَّا يَذْهَبَ عَنْكَ ، فَمَنْ ضَنَّ بِصَدِيقِهِ وَأَحَبَّ الْأَسْتِكَارَ مِنْهُ وَأَحَبَّ التَّمَتُّعَ بِهِ أَحْتَالَ فِي دَوَامِ رَغْبَتِهِ بِأَنْ يُقِيمَ لَهُ مَا يَقْوَتُهُ وَيَمْنَعَهُ مَا يُغْنِيهِ عَنْهُ ، فَإِنْ مِنَ الزَّهْدِ فِيهِ أَنْ تُغْنِيَهُ عَنْكَ وَمِنَ الرِّغْبَةِ فِيهِ أَنْ تُحَوِّجَهُ إِلَيْكَ ، وَإِبْقَاؤُكَ مَعَ الضَّنِّ بِهِ أَكْرَمُ مِنْ إِغْنَائِكَ لَهُ مَعَ الزَّهْدِ فِيهِ ؛ وَقِيلَ فِي مَثَلٍ : « أَجْعُ كَلْبَكَ يَتَّبِعُكَ » . فَمَنْ أَغْنَى صَدِيقَهُ فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى الْغَدْرِ وَقَطَعَ أَسْبَابَهُ مِنَ الشُّكْرِ ، وَالْمَعِينُ عَلَى الْغَدْرِ شَرِيكُ الْغَادِرِ ، كَمَا أَنَّ مُرْتَبِنَ الْفَجْجُورِ شَرِيكُ الْفَاجِرِ . قَالَ : وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ وَقَالَ فِي وَصِيَّتِهِ : يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الثَّلَاثُ ، وَالثَّلَاثُ كَثِيرٌ » ؛ وَأَنَا أَزْعَمُ أَنَّ ثَلَاثَ الثَّلَاثِ كَثِيرٌ ، وَالْمَسَاكِينُ حَقُوقُهُمْ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، إِنْ طَلَبُوا طَلَبَ الرِّجَالِ أَخْذُوهُ ، وَإِنْ جَلَسُوا جَلَسَ النِّسَاءُ مِنْعُوهُ ، فَلَا يُرْغَمُ اللَّهُ إِلَّا أَنْفَهُمْ وَلَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ يَرْحَمُهُمْ .

تقدم رجلان من قريش الى سوارٍ أحدهما سنازعٌ مولى له في حد أرض أقطعها أبوه مولاه ؛ فقال سوار : أتنازع مولاك في حد أرض أقطعها أبوك إياد ! ؛ فقال : الشحيحُ أعذرُ من الظالم ؛ فرفع سوار يده ثم قال : اللهم آرددْ على قريش أخطارها .

(١) كذا في النسخة الألمانية ، والفسولة : الذالة وقلة المروءة ، وفي الفئوجرافية "فسولة" وهو تحريف .
 (٢) كتب بهامش الأصل الفئوجرافي بمناسبة الدفاع عن البخل ما نصه : « سبحان الله ! ما رأيت أنهب جانباً للبخل والبخل . وأبين كلاماً وأصدق حجة وأبعد من المقدمات الواجبة والتضايبا المردودة من هذا الرجل ولولا | أن | السخاء سجيّة من السجايا الراضحة في أنفس الأتخياء . كاد والله يهدم ركه ويميل عماده ويكدر مورده بل ويمنع السحاب من المطر والبحر من رشح القطر وإن هذا لمن إحدى الكبير » اه .
 (٣) في النسختين « تصديقه » وناظر أنه محرف عما أثبتناه . (٤) الأخطار جمع خطر وهو الشرف ، وبهامش الأصل الفئوجرافي هذه الجملة : « إنما قال ذلك حتى لا يظلموا الناس لقلة ما بيدهم » .

وقال الخَزْرَجِيُّ :

إِنَّ جُودَ الْمَكِّيِّ جُودٌ حِجَازِيٌّ * وَجُودُ الْمَجَازِ فِيهِ أَقْتَصَادُ
كَيْفَ تَرْجُو النَّوَالَ مِنْ كَفِّ مُعْطِي * قَدْ غَدَّتْهُ الْأَقْرَاصُ وَالْأَمْدَادُ

نظر سليمان بن مَرَّاحِمٍ إلى درهم فقال : في شِقِّ « لا إله إلا الله محمد رسول الله »
وفي وجه آخر « الله لا إله إلا هو الحي القيوم^(١) » ، ما ينبغي أن يكون هذا إلا
مَعَاذَةً وَقَدْفَةً فِي الصُّنْدُوقِ . أَنشَدَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هَانِيٍّ صَاحِبُ الْأَخْفَشِ عَنْ
الْأَخْفَشِ لِلخَلِيلِ :

كَفَاهُ لَمْ تُخْلَقَا لِلنَّدَى * وَلَمْ يَكُ بَخْلُهُمَا بَدْعَةً
فَكَفُّ عَنِ الْخَيْرِ مَقْبُوضَةٌ * كَمَا نَقَصَتْ مِائَةٌ تِسْعَةً^(٢)
وَكَفُّ ثَلَاثَةٌ آلَافِيهَا * وَتِسْعُمِئِيهَا لَهَا شِرْعَةٌ^(٤)

- (١) في الأصلين بعد قوله القيوم كلمة « فقال » والسياق يأبى وجودها ، وقد وردت هذه الحكاية في نهاية
الأرب ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية ولم تذكر بها هذه اللمعة . (٢) كذا في اللسان
مادة شرع . وفي الأصلين « يخلقا » والكف مؤنث لا مذكر . وفي المصباح مادة كف :
« قال ابن الأبيار » : وزعم من لا يوثق به أن الكف مذكر ولا يعرف تكبيرها من يوثق بعلمه .
(٣) في تاج العروس واللسان مادة شرع : * كما حط عن مائة سبعة *
وقد قيل : إن للعرب حسابا خاصا غير ما هو معمول اليوم وهو حساب عقود الأصابع ، وقد وضعوا كلاً منها
بإزاء عدد مخصوص ثم رتبوا لأوضاع الأصابع أحادا وعشرات ومئات وألوفاً ، فيشار عن الواحد مثلاً بقبض
الخنصر وعن الاثنين بقبض البنصر وهكذا ، فالعدد الذي أراد الشاعر وهو ثلاثة وتسعون تقضى قواعدهم
في هذا الحساب بأن تقبض الخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليمنى لتدل على عدد ثلاثة وتجعل السبابة حلقمة
غير مجتوفة لتدل على عدد تسعين ، ولهذا ترجح رواية اللسان على رواية الأصل . وكذلك تقضى قواعدهم في عدد
الآلاف بأن تقبض من اليد اليسرى الخنصر والبنصر والوسطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف وتجعل سبابة اليسرى
حلقمة غير مجتوفة لتدل على عدد تسعمائة . انظر « بلوغ الأرب في أحوال العرب » ج ٣ ص ٣٩٦ - ٣٩٩
(٤) يقال : هذا شرعة ذلك أي مثاله ؛ عن اللسان .

قال أبو علي الضيرير :

لعمراً بيك ما نُسبُ المَعْلَى * إلى كرم وفي الدنيا كريمُ
ولكن البلاد إذا أفسحرت * وصوح نبتها رعى الهشيمُ

وقال آخر :

أَمِنْ خوف فقير، تعجلته * وأخرت إنفاق ما تجمَعُ
فصرتَ الفقيرَ وأنتَ الْغَنِيُّ * وهل كنتَ تعدُّ والذي تصنعُ

خوف رجلٌ رجلاً جواداً الفقرَ وأمره بالإبقاء على نفسه، فكتب إليه: إني أكره
أن أترك امرأً قد وقع، لأمر لعله لا يقع. وقال أبو الشَّمَقْمُق :

رأيتُ الخبزَ عَزَّ^(١) لديك حتى * حَسِبْتُ الخبزَ في جَوِّ السحابِ
وما رَوْحَتنا لِتَدْبِ عَنَّا * ولكن خِفَت مَرزِئَةُ الذُّبابِ

وقال دِعْبِلُ :

صَدَّقَ أَلَيْتَه إذ قال مُجْتَهِدًا * لا والرغيف، فذاك البرُّ من قَسَمَه
قد كان يُعْجِبُنِي لو أن غَيْرَتَه * على جَرَادِقِه^(٢) كانت على حَرَمِه
فإن هَمَمْتَ به فَافْتِكْ مُجْبِرَتَه * فإن مَوْقِعَها مِنْ لَحْمِه ودمِه

وقال الشاعر :

أرْفُقْ بِحَقِصِ حَينَ تَأُ * كُلُّ يامِعَاوِيٍّ مِنْ طَعَامِه
الموتُ أيسرُ عنده * مِنْ مَضْغِ ضَيْفٍ وَالتَّقَامِه
وتراهُ مِنْ خوفِ التَّزْيِيلِ به يُرَوِّعُ فِي منامِه
سِيَّانَ كَسْرٍ رَغيفَه * أو كَسْرٍ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِه

(١) كذا في النسخة الألمانية، وفي المتوغرافية "الخير" بدل "الخبز".

(٢) جمع جرذق أو جرذقة، وهو الرغيف، وفي النسخة الألمانية «جرادقة» وهو اللفظ الأصلي فيه.

لا تكسرت رغيته * إن كنت ترغب في كلامه
وإذا مررت ببابه * فاحفظ رغيته من غلامه

وقال أبو نواس :

خُبْرُ إِسْمَاعِيلَ كَالوَشِيِّ إِذَا مَا أَلَسَّقَ بِرُفَا
عَجْبًا مِنْ أَمْرِ الصَّنْعَةِ فِيهِ كَيْفَ يَخْفَى
إِنْ رَفَاءَكَ هَذَا * أَحْذِقُ الْأُمَّةَ كَفًّا^(١)
فَإِذَا قَابَلَ بِالنَّصْفِ * مِنَ الْجُرْدَقِ نَصْفًا
أَحْكَمَ الصَّنْعَةَ حَتَّى * لَا تَرَى مَوْضِعَ إِشْفَى^(٢) ^(٣)
مِثْلَ مَا جَاءَ مِنَ التَّنْثُورِ مَا غَادَرَ حَرْفًا
وَلَهُ فِي الْمَاءِ أَيْضًا * عَمَلٌ أَبْدَعَ ظَرْفًا
مَرْجُهُ الْعَذْبَ بِمَاءِ الْبَيْرِ كَيْ يَزْدَادَ ضِعْفًا
فَهُوَ لَا يَشْرَبُ مِنْهُ * مِثْلَ مَا شَرِبُ صَرْفًا^(٤)

باب الحمق

قال الشعبي لرجل استجهله : ما أحوجك إلى محدرج شديد القتل جيد الجلاز
عظيم الثمرة لذن المهزة يأخذ منك فيما بين عجب الذنب وهفرز العنق فتكثر له رقصاتك
من غير جدل ؛ فقال : وما هذا ؟ فقال : بعض الأمر .

(١) في النسخة الفتوغرافية : «أرفق» . (٢) في ديوان أبي نواس "مفرز" .

(٣) الإشفى : المنقب (٤) في ديوان أبي نواس : "لايسقك" ، وفي هامش النسخة الفتوغرافية ما يوضح الرواية التي هنا ، وهو أن يقدر مفعول للفعل الشاذ هو ماء البئر وبصير المعنى : لا يشرب من

المزوج مثل ما يشرب من ماء البئر ، لأن في المزوج من العذب ما يحمله على الحرص والتفكير .

(٥) في هامش النسخة الفتوغرافية "المحدرج : السوط ، والجلاز : جودة القتل ، ولدن ، أي ابن" .

(٦) ثمرة السوط : عقد أطرافه . (٧) عجب الذنب : العظام الذي في أسفل الصاب عند العجز .

قال حدثني القومسي عن محمد بن الصلت الأسي عن أحمد بن بشير عن الأعمش عن سامة بن كهيل عن عطاء عن جابر قال: كان في بني إسرائيل رجل له حمار، فقال: يا رب لو كان لك حمار لعلفته مع حمارى هذا، فهم به نبي، فأوحى الله إليه: إنما أُيِّبُ كلَّ إنسان على قدر عقله .

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش عن أبيه عن حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين أن رجلا رأى في المنام أن له غنماً وكأنه يُعطى بها ثمانية ثمانية، ففتح عينه فلم ير شيئاً، فغمض عينه ومدّ يده وقال: هاتوا أربعة أربعة .

مرّ رجل من العباد وعلى عنقه عصا في طرفيها زيبان قد كادا يحيطانه، في أحدهما برؤوفى الآخر تراب، فقيل له: ما هذا؟ قال: عدلتُ البر بهذا التراب، لأنه كان قد أمالني في أحد جانبي فأخذ رجلُ زيبل التراب فقلبه وجعل البر نصفين في الزيبلين وقال له: أحمل الآن؛ فحمله، فلما رآه خفيفاً قال: ما أعقلك من شيخ! خفر أعرابي لقوم قبراً في أيام الطاعون بدرهمين، فلما أعطوه الدرهمين قال: يا بى دعوهما عندكم حتى يجتمع لى ثمن ثوب . كانت أم عمرو بنت جندب بن عمرو بن جماعة السدوسي عند عثمان بن عفان، وكانت حمقاء تجعل الخنفساء في فيها ثم تقول: حاجيتك ما في قمى؟ وهى أم عمرو وأبان أبنى عثمان

إبراهيم بن المنذر قال حدثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال: رأيت طارقاً وهو وإن لبعض الخلفاء من بنى أمية على المدينة يدعو بالغداء فيتغذى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكون فيه العظم الممخ فينكته على رقانة المنبر فيأكله .

(٤) الزيبيل كأمير وسكين وفنديل: القفّة .

قالت أم غزوان الرقاشي لابنها — ورأته يقرأ في المصحف — : يا غزوان، أما تجد فيه بعيراً لنا ضل في الجاهلية؟ فما كهرها ^(١) وقال : يا أمه، أجد والله فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً .

سفيان بن عيينة عن أيوب بن موسى قال : قال ابن أبي عتيق لرجل : ما أسمك؟ قال : وثأب، قال : فما كان أسم كلبك؟ قال : عمرو، قال : واخلافاه !

قال أبو الدرداء : علامة الجاهل ثلاث : العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهى عن شيء ويأتيه . أغمى على رجل من الأزدي فصاح النساء وأجمع الجيران وبعث أخوه إلى غاسل الموتى بجاء فوجده حياً بعد، فقال أخوه : أغسله فإنك لا تفرغ من غسله حتى يقضى . وقال أردشير : بحسبكم دلالة على عيب الجهل أن كل إنسان ينتفي منه ويغضب إذا نسب إليه . وكان يقال : لا يغرنك من الجاهل قرابة ولا أخوة ولا إلف فإن أحق الناس بتحريق النار أقربهم منها .

قال عمر بن عبد العزيز : خصلتان لا تعدمانك من الجاهل : كثرة الالتفات وسرعة الجواب . وقال عمر بن الخطاب : إياك وهواخاة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك . وقال بعضهم : لأن أزاويل أحمق أحب إلى من أن أزاويل نصف أحمق ، يعني الأحمق المتعاقل . وقال هشام بن عبد الملك : يعرف حمق الرجل بأربعة : بطول لحيته، وبسناعة كنيته، ونقش خاتمه، وإفراط شهوته، فدخل عليه ذات يوم شيخ طويل العنقون، فقال هشام : أما هذا فقد جاء بواحدة، فانظروا أين هو من الثلاث، فقيل له : ما كنيته؟ فقال : أبو الياقوت، وقالوا : ما نقش خاتمك؟ قال : (وجاءوا على

(١) كهر كنع : اتهر . (٢) في النسخة الألمانية : "لا تعد مابك" ، وفي الفتوغرافية

"لا يعد مابك" ولعل ما أثبتناه أقرب الى الصواب .

قَيْصِهِ يَدِيمٌ كَذِبٌ) . وفي حكاية أخرى (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ) ؛
فقيل له : أى الطعام تشتهي ؟ فقال : جَلَنَجِيَيْنَ^(١) ، وفي حكاية أخرى مصاصة^(٢) .

سمع عمر بن عبد العزيز رجلا ينادى رجلا : يا أبا العُمَريْنِ ، فقال : لو كان له عقلٌ
كفاه أحدهما . وقال أبو العَاجِ يوما لِحِسانه - وكان يلى واسِطَ - : إن الطويل لا يخلو
من أن يكون فيه إحدى ثلاث : أن يفرق الكلاب ، أو يكون في رجله فرجة ، أو يكون
أحمق ، وما زلت وأنا صغير في رجل فرجة ، وما فرق الكلاب أحد فرقي ، وأما الحق
فأتم أعلم بوالكم . ويقال : الأحمق أعلم بشأنه من العاقل بشأن غيره . وقال بشار :

خَلِيلٌ إِنْ العَسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ * وَإِنْ يَسَارًا فِي غَدٍ نَخْلِقُ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا * صَحَوْتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمَانُ أَمُوقُ
ذَرِينِي أَشْبَهْ هَمِّي بِرَاجِ فَإِنِّي * أَرَى الدَّهْرَ فِيهِ كُرْبَةٌ وَمَضِيقُ

وقال رجل : فلان إلى من يداوى عقله أحوج منه إلى من يداوى بدنه . قيل لبعض
الحكماء : متى يكون الأدب شرا من عدمه ؟ قال : إذا كثُرَ الأدبُ ونقصَ العقلُ .

وقرأت في كتاب للهند : من آلمق التماس الرجل الإخوان بغير وفاء ، والأجر
بالرياء ، ومودة النساء بالغلظة ، ونزع نفسه بضر غيره ، والعلم والنضال بالذمة
والخفيض . وفيه : ثلاثة يهزأ بهم : مدعي الحرب ولقاء الزحوف وشدة النكابة
في الأعداء وبدنه سليم لا أثر به ، ومتهمل علم الدين والاجتهاد في العبادة وهو ذليظ

(١) في منردات ابن البيطار ج ١ ص ١٦٦ أنه الورد مرقي بالعسل أو بالسكر . وفي أقرب الموارد أنه

معجون يعمل من الورد والعسل ، فارسي معرب عن «كل» ومعناه ورد و«انكتين» ومعناه عسل .

(٢) عملها محرفة عن مصوص بفتح الميم وضم الصاد وهو كما في القاموس طعام من لحم يطبخ وينقع

في الخل أو يكون من لحم الطائر خاصة .

(٣) هكذا وردت هذه الجملة بالأصل ، ولعلها : «العاقل بشأن غيره أعلم من الأحمق بشأنه» لأن الكلام

في ذم الحق .

الرقبة أسمن من الأئمة، والمرأة الخلية تعيب ذات الزوج . وفيه : من يعمل بجهل
 خمسة : مُستعمل الرماد في جتته بدلاً من الزبل ، ومُظهر مستور عورته ، والرجل
 يترباً بزى المرأة والمرأة تترباً بزى الرجل ، والمتملك في بيت مُضيفه ، والمتكلم بما
 لا يعنيه ولا يسأل عنه . وفيه : الأدب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الأحمق سُكراً ،
 كما أن النهار يزيد كل ذي بصر بصراً ويزيد الخفافيش سوء بصر . وكانوا يكرهون
 أن يزيد منطق الرجل على عقله .

قال الشاعر في جاهل :

مالي أرى الناس يأخذون ويُعطون ويستمتعون بالنَّشَبِ
 وأنت مثل الحمارِ أبهم لا . تشكو جراحاتِ ألسنِ العربِ

١٠ سمع الأحنف رجلاً يقول : ما أبالي أمدحت أم هجيت ، فقال الأحنف :
 أسترحت من حيث تعب الكرام .

كان عامر بن كرز أبو عبد الله بن عامر من حمق قريش ، نظر إلى ابنه عبد الله وهو
 يخطب فأقبل على رجل إلى جانبه وقال : إنه والله خرج من هذا وأشار إلى ذكره .

١٥ ومن حمق قريش العاص بن هشام أخو أبي جهل وكان أبو لهب قامر
 فقمره ماله ثم داره ثم قليله وكثيره وأهله ونفسه فأتخذه عبداً وأسلمه قيناً ، فلما كان
 يوم بدر بعث به عن نفسه فقتل بيدر كافراً ، قتله عمر بن الخطاب ، وكان خال عمر .

٢٠ ومن حمق قريش الأحوص بن جعفر بن عمرو بن حريث ، قال له يوماً مجالسوه :
 ما بال وجهك أصفر ! أتستكي شيئاً ؟ وأعادوا عليه ذلك ، فرجع إلى أهله يلومهم
 ويقول لهم : أنا شاك ولا تعلموني ! ألقوا بلى الثياب وأبعثوا إلى الطبيب . وتمارض
 مرة فعاده أصحابه وجعل لا يتكلم ، فدخل شراعة بن عبيد الله بن الزندبوذ وكان أملح

(١) عبارة الأغانى « ناسله قينا وكان يأخذ منه ضريبة » ج ٤ ص ١٩

أهل الكوفة، فعرف أنه ممتارض فقال: يا فلانُ كنا أمس بالحيرة فأخذنا الخمر ثلاثين قنينة بدرهم، والخمر يومئذ ثلاث قناتي بدرهم، فرفع الأحوص رأسه وقال: كذا مني في كذا من أم الكاذب، وأستوى جالسا، فثر أهله على شراعة السكر؛ فقال له شراعة: أجلس لا جاست وهات شرابك، فشربا يومهما .

ومن حمق قريش بكار بن عبد الملك بن مروان، وكان أبوه ينهيه أن يجالس خالد بن يزيد بن معاوية لما يعرف من حمق ابنه، بفلس يوما إلى خالد، فقال بكار: أنا والله كما قال الأول:

* مُرَدَّدٌ فِي بَنِي الْمُخَنَاءِ تَرْدِيدًا *

وكان له بازٍ فقال لصاحب الشرطة: أغلق أبواب المدينة لئلا يخرج البازي .

ومن حمق قريش معاوية بن مروان أخو عبد الملك بن مروان . بينما هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طحانٍ نظر إلى حمار الطحان يدور الرحاف في عنقه جُلجُلًا، فقال للطحان: لم جعلت في عنق الحمار جُلجُلًا؟ فقال: ربما أدركتني سامةٌ أو نَعَسَةٌ فإذا لم أسمع صوت الجُلجُلِ علمت أنه قام فصيحبتُ به، فقال معاوية: أرايت إن قام وحرك رأسه ما علمك أنه قائم؟ قال الطحان: ومن لحماري بمثل عقل الأمير! .

وقال معاوية هذا لأبي أمرأته: مَلَأْتَنَا آبْنَتَكَ الْبَارِحَةَ بِالْدمِ؛ فقال: إنها من نسوة يَحْبَانُ ذلك لأزواجهن . وقال له أيضا يوما آخر: لقد نكحتُ آبْنَتَكَ بِعَصَبَةٍ مَا رَأَتْ مِثْلَهَا قَطُّ؛ قال: لو كنت عَيْنًا ما زوجناك .

ومن حمق قريش سليمان بن يزيد بن عبد الملك، قال يوما: لعن الله الوليد أخي فإنه كان فاجرا، والله لقد أرادني على أن يفعل بي؛ فقال له قائل: آسكتُ فوالله لئن كان هم لقد فعل .

خطب سعيد بن العاص عائشة بنت عثمان على أخيه ، فقالت : هو أحق
لا أتزوجه أبدا ، له برذونان أشهبان فهو يحتمل مئونة اثنين وهما عند الناس واحد .
وأخبرني رجل أنه كان له صديق له برذونان في شية واحدة فكنا لا نظن إلا أن له
برذونا واحدا ، وغلما ن يُسميان جميعا بفتح ، وكان إذا دعا واحدا قال : يا فتح الكبير ،
وإذا دعا الآخر قال : يا فتح الصغير .

قال أبو عبيدة : أرسل ابن عجل بن لحيم فرسالة في حلبة بقاء سابقا ، فقال لأبيه :
يا أبت ، بأي شيء أسميه؟ فقال : آفقا إحدى عينيه وسمه الأعور . وقال الشاعر :
رمتني بنو عجل بداء أبيهم * وأي عباد الله أنوك من عجل !
أليس أبوهم عار عين جواده * فأضحت به الأمثال تضرب في الجهل

ومن عجل "دغة" التي يضرب بها المثل في الجهل ، فيقال : هي دغة بنت معنج ،
ويقال : دغة لقب ، وأسمها مارية بنت زمعة . قال أبو اليقظان : ومن عجل حيان
ابن غضبان ورث نصف دار أبيه فقال : أريد أن أبيع حصتي من الدار وأشترى
النصف الباقي فتصير كلها لي .

ومن القبائل المشهور فيها الحمق "الأزد" . قال رجل منهم في المهلب بن أبي صفرة :

نعم أمير الرقبة المهلب * أبيض وضاح كتيس الحلب^(٢)
* ينقض بالقوم أنقضاض الكوكب *

(١) يقال : "أحق من دغة" أورده الميداني في مجمع الأمثال وقال في شرحه : إنها مارية بنت معنج
بالعين المهملة ورواه صاحب اللسان في مواد «غنج ودغا وجعر» بالعين المعجمة ، وفي شرح القاموس
مادة جعر نقلا عن البكري في شرح أمالي القائل أن المفضل بن سلمة قال : من أعجم العين فتح الميم ومن
أهملها كسر الميم . ولها قصة مشهورة أوردها الميداني في مجمع الأمثال طبع بولاق ج ٢ ص ١٩٣
(٢) يقال تيس حلب وتيس ذو حلب . والحلب بقلعة جعدة غرباء في خضرة تنبسط على الأرض يسيل
منها اللبن إذا قطع منها شيء ، وهي تنبت في القبط بالقيعان وشيطان الأودية .

فلما أنشده المهلب، قال : حسبك رحمك الله ! .

ومن أشعارهم :

ياربُّ جاريةٍ في الحى حالية * كأنها عومةٌ في جوف راقود^(١)

وقال آخر منهم :

زيادُ بنُ عمرو عيْنُه تحت حاجبِه * وأسنانهُ بيضٌ وقد طرَّ شاربُه

وقال عمر بن لُجأ يصف إبلا^(٢) :

تَصَطَّكُ أَلْحِيهَا عَلَى دِلَائِهَا * تَلَاطَمَ الْأَزْدِ عَلَى عَطَائِهَا

وقال أبو حية الثميري :

وَكَاثَ غَلَى دِنَانِهِمْ فِي دُورِهِمْ * لَفَطُ الْعَتِيكِ عَلَى خَوَانِ زِيَادِ^(٤)

كتب مسلمة بن عبد الملك الى يزيد بن المهلب : والله ما أنت بصاحب هذا الأمر، صاحب هذا الأمر مغمور موتور وأنت مشهور غير موتور؛ فقام إليه رجل من الأزد فقال : قدم أبناك مخلدا حتى يقتل فتصير موتورا .

قام رجل من الأزد إلى عبيد الله بن زياد فقال : أصلح الله الأمير، إن امرأتى هلكت وأردت أن أتزوج أمها وأزوج أبنتها وهذا عريفي، فأعني في الصداق؛ فقال : في كم أنت من العطاء؟ قال : في سبعمائة؛ قال : حطاً عنه أربعائة، يكفيك

ثلاثائة .

(١) دويبة تسبح في الماء . (٢) ورد بالأصلين « عمرو » والتصويب عن الكامل

لليرد ص ٣٢٤، ٥٦٣ طبع لبيح وأمالى القالى ج ١ ص ٢٤٩، ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق واللسان مادة « لجأ » . (٣) ألحيا جمع لحي على أفعل، وكسرت الحاء لمناسبة الياء، والحي : منبت الحجية .

(٤) العتيك بالألف واللام : نخذ من الأزد والنسبة إليها عتيكى .

(٥) العريف : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس بلى أمورهم ويعرف الأمير منه أحوالهم .

ومن حمق الأزد قَيْصَةُ بن المهلب ، رأى جرادا يطيرُ فقال : لا يهولنكم ما ترون فإن عاقبتها موتى . وقال يوما : رأيتُ غُرْفَةً فوقَ بيت . وقال لغلامه : أذهب إلى بياضِ الملاء .

ومن حمق العرب كلابُ بن صَعَصَعَةَ ، خرج إخوته يشترون خيلاً وخرج معهم كلابٌ بغاءٍ يعجلُ يقوده ، فقال له إخوته : ما هذا؟ قال : فرسٌ اشتريته ، قالوا : يا مائق ، هذه بقرةٌ أما ترى قرنيها ! فرجع إلى بيته فقطع قرنيها ، فأولاده يدعون « نبي فارس البقرة » . قال الكميُّ :

ولولا أمير المؤمنين وذبه * يجيل عن العجل المبرقع ماصه^(١)

وكان شدرة بن الزبير قان من الحمقى ، دخل يوم الجمعة المسجد فأخذ يعضدني^(٢) الباب ثم قال : السلام عليكم ، أياج شدرة؟ فقالوا له : هذا يومٌ لا يستأذن فيه ، قال : أفيلج مثل على جماعة مثل هؤلاء ولا يعرف مكانه !

عوانة قال : استعمل معاوية رجلا من كلب ، فذكر الجوس يوما فقال : لعن الله الجوس ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت عشرة آلاف ما تكحنت أمتي ، فبلغ ذلك معاوية ، فقال : قبحة الله ! أترونه لو زادوه فعل ! وعزله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : سأل القوم الحارث بن جران أن يعينهم في تأسيس مسجد ، فقال : قيروه وعلى الودع .

خطب والى اليمامة فقال : إن الله لا يقار على المعاصي عباده ، وقد أهلك أمة عظيمة في ناقة ما كانت تُساوي مائتي درهم ، فسُمي مقوم الناقة .

شرد بعير هبنقة ، وأسمه يزيد بن ثروان ، فقال : من وجد بعيرى فهو له ، فقبل له : وما ينفعك من هذا؟ قال : إنكم لا تدرون ما حالوة الوجدان .

(١) المبرقع : الذى أخذت غرته جميع وجهه . (٢) عضدنا الباب : الخشبان المنصوبان عن يمين الداخل منه وشماله .

وقال المنصور للربيع: كيف تعرف الريح؟ قال: أنظر إلى حاتمي فإن كان سلباً فهي شمال وإلا فهي جنوب؛ فسأل القاسم بن محمد الطلحي عن ذلك؛ فقال: أضرب بيدي إلى خضيتي فإن كانتا قد قَلَصَتَا فهي شمال وإن كانتا مُتَدَلَّتَيْنِ فهي جنوب.

قال أبو كعب القاص في قصصه: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كيد حمزة ما قد علمتم فادعوا الله أن يطعمنا من كيد حمزة. وكان يقول في قصصه: ليس في خير ولا فيكم، فتبلفوا بي حتى تجدوا خيراً مني. وقال هو أو غيره في قصصه: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا؛ قالوا: فإن يوسف لم يأكل الذئب؛ قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه قال: كان قاص يقص في المسجد فيقول: مثل الكافر مثل قصر الإسكاف خارجة حسن وداخله مخراً، ومثل المؤمن مثل قصر زربي^(١) جداره كالح وداخله زهرة. ويقول: وما الدنيا! أخزى الله الدنيا! إنما مثلها مثل أير حمار، بينا هو قد أنعظ إذ طفي. وقال: المؤمن غذاؤه فلقه وسمكته شلقة ودواؤه علقه ومرقته سلقه^(٢).

أصاب داود المصاب مصيبة فاعتم؛ فقال له صاحب له: لا تهم الله في قضائه؛ فقال داود: أقول لك شيئاً وتكتمه؟ قال: نعم؛ قال: والله ما صاحبي غيره. وأستشاره رجل في حمل أمه إلى البصرة، وقال: إن حملتها في البر خفت عليها اللصوص، وإن حملتها في الماء خفت عليها الغرق؛ فقال: خذها سفتجة^(٣).

(١) قصر بالبصرة في سكة المربد لمسلم بن عمرو بن الحصين بن قتيبة بن مسلم، وكان يليه غلام يقال له: زربي. (٢) الفلقة: الكيسرة، والشلق: شئ. على حلقة السمكة صغير له رجلان عند ذنبه كرجل الصغدع لا يدين له يكون في أنهار البصرة ولبست بعرية. كذا في اللسان. والعلقة: شجريتي في الشتاء تنبغ به الإبل حتى تدرك الربيع. والسلقة: الجرادة، لعله يريد أنه يجترى من المرق بالقليل منه حتى إنه يكفيه مرق جرادة واحدة. (٣) السفتجة: أن تعطى مالا لرجل له مال في بلد تريد أن تسافر إليه فتأخذ منه خطاً لمن عنده المال في ذلك البلد أن يعطيك مثل مالك الذي دفعته إليه قبل سفرك، وهو معرب سفته بالفارسية ومعناها الشئ المحكم، ستي به هذا القرض لإحكام أمره.

دعا بعضُ السلاطينِ مجنونين ليضحك منهما، فأسمعاها فغضبَ فدعا بالسيفِ ؛ فقال أحدهما للآخر: كنا آئينين وقد صرنا ثلاثةً. قال رجل لابن سيابة مولى بني أسد: ما أراك تعرفُ الله ؛ قال: أتراني لا أعرفُ من أجاعني وأعراني وأخراني . قيل لأعرابي: كيف يركُ بأمك؟ قال: ما قرعتها سوطاً قط . وقيل لآخر وهو يضربُ أمه: ويحك! تضربُ أمك! فقال: أحبُّ أن تنشأَ على أدبي . وقال بعض الشعراء:

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتَ بِوَأَجِدُ * طَبِيباً يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونٍ

وقال آخر:

وكيف يُفِيقُ الدهرَ كعبُ بنِ نَاشِبٍ * وشيطانُهُ بينَ الأهلَةِ يصرَعُ
وقال أعرابيٌ وذكر الله عز وجل:

خلق السماءَ وأهلها في جمعةٍ * وأبوك يمدُّ حوضَه في عامٍ^(١)

كان أبو العاجِ واليَ واسطَ، وأتاه صاحبُ شرطته بقواديةً فقال: أصلح اللهُ الأميرَ، هذه قواديةٌ؛ قال: وأيُّ شيءٍ تصنعُ؟ قال: تجمعُ بينَ الرجالِ والنساءِ؛ قال: لماذا؟ قال: للزنا؛ قال: وإنما أتيتني بها لتعرفها منزلي! خلَّ عنها لعنةُ اللهِ. وأتاه يوماً بمخنتٍ؛ فقال له: ما هذا؟ قال: مخنتٌ؛ قال: وما يصنعُ؟ قال: ينكحُ كما تنكحُ المرأةُ؛ قال: يبدلُ هذا آسته وأحظُرُ أنا عليه! أذهبُ يابنَ أخي فأرتدُّ لها^(٢).

خطبَ ويكيعُ بنُ أبي سُودٍ بجرَّاسانَ فقال: إن اللهَ خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستةِ أشهرٍ؛ فقيل له: إنها ستةُ أيامٍ؛ فقال: واللهِ لقد قلتُها وأنا أستقيها .

(١) مدرت الحوض أمدره، أي أصلحته بالمدَر وهو قطع الطين اليابس .

(٢) كذا في الأصل القنوغرافي، وفي النسخة الألمانية: «فارتد بها» .

تغذى رجلٌ عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ وليُّ عهدٍ وقُدَّامه جدى، فقال له سليمان : كُلُّ من كُلتِه فإنها تريد في الدماغ؛ فقال : لو كان هذا هكذا كان رأسُ الأمير مثل رأس البغل .

أبو عبيدة : أُجريت الخيلُ فطلع منها فرسٌ سابقٌ بفعل رجلٍ من النظارة يُكبر ويثبُّ من الفرخ؛ فقال له رجلٌ إلى جانبه : يا قتي، هذا الفرسُ فرسك؟ قال : لا ولكنَّ اللجام لي . دخل أبو عتاب على عمرو بن هذاب ^(١) وقد كُفَّ بصره والناسُ يعزونه، فقال : يا أبا زيد، لا يسوءنك ذهابهما، فإنك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت أن الله قطع يديك ورجليك ودقَّ ظهرك . كان رجلٌ يقودُ أعمى بكراء، فكان الأعمى ربما عثر فيقول : اللهم أبدلني به قائداً خيراً منه؛ ويقول القائد : اللهم أبدلني أعمى خيراً منه .

أدعى أبو بكر الشيباني إلى العرب ذات ليلة فأصبح من الغد على الشمس فقعد فيها فثارت به مئةٌ، بفعل يحكُّ جسده بأظفاره نحشاً ويقول : إنما نحن إبل؛ فقال له قائل : والله إنك تُشبهُ العربَ؛ فغضب وقال : أيقال لي هذا ! أنا والله حرباءٌ ^(٢) تنضبة، يشهد لي سوادُ لوني وغورُ عيني وحيٌّ للشمس .

قيل لأبي السَّفاح عند موته : أوصيه؛ فقال : إنا لكرامُ قومٍ طخفة؛ قالوا : قل خيراً يا أبا السَّفاح؛ فقال : إن أحببتُ امرأتى فأعطوها بعيراً؛ قالوا : قل خيراً؛

(١) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٠٩ وفي الأصلين «عمر بن هذاب» وهو تحريف .

(٢) في الأصلين «نضبة» والتصحيح عن لسان العرب في مادة «نضب» وحياة الحيوان ج ١ ص ٢٠١ والنضبة واحدة النضب وهو شجر له شوك قصار تألفه الحرابي .

(٣) طخفة بالدمر والفتح : جبل أحمر طويل حذاه آبار ومثل . ومنه يوم طخفة لني يربوع على

قايوس بن المنذر بن ماء السماء .

قال : إذا مات غلامى فهو حرّ . وقيل لرجل عند موته : قل لا إله إلا الله ، فأعرض ، فأعادوا عليه مرارا ، فقال : أخبروني عن أبي طالب أقالها عند موته ؟ قالوا : وما أنت وأبو طالب ! قال : لا أرغبُ بنفسى عنه . ولما احتضر العجير السلولى قال لقوم عنده : أنا فى آخر يوم من أيام الدنيا وأقول يوم من أيام الآخرة ، والله لئن وجدتُ لى عند الله موضعا لأكلمته فيكم . وقيل لأوس بن حارثة عند موته : قل لا إله إلا الله ، فقال : لم يأن لها بعد . وقيل لآخر عند موته : ألا توصى ؟ قال : أنا مغفورٌ لى ؛ قالوا : قل إن شاء الله ، قال : قد شاء الله ذلك ، قالوا : لا تدع الوصية ، فقال لبنى أخيه :

بني حريث أرفعا وسادى * وأحتفظا بالجلّة الجلاد

* فإنما حولكما الأعادى *

قال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان والغيران والسكران ؛ قالوا : فما تقول فى المنعيط ؟ فضحك وقال :

وما شرّ الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

قال الوليد : ألا إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجاج جلدة ما بين عيني ، ألا وإن الحجاج جلدة وجهى كله .

خطب عتاب بن ورقاء فحثّ على الجهاد وقال : هذا كما قال الله تعالى :

كُتِبَ الْقِتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا * وعلى الغايات جرّ الدُّيُولِ

وقال آخر فى الربيع والى الإمامة :

شهدتُ بأن الله حقّ لقاءه * وأن الربيع العامرى ربيع^(١)

أفاد لنا كلباً بكلب ولم يدع * دماء كلاب المسلمين تضيع

(١) كذا بالنسخة الألمانية وهو الموافق لما فى العقد التريديج ٣ ص ٣١٢ والبيان والتبيين للملاحظ ص ١٧ طبع المطبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ . وفى الأصل الفنونى : « ربيع » بالفاء وهو تحريف .

دخل شابٌ على المنصور فسأله عن وفاة أبيه، فقال : مات رحمه الله يوم كذا وكذا، وكان مرضه رضى الله عنه كذا وكذا، وترك عفا الله عنه من المال كذا وكذا، فاتهره الربيع وقال : أين يدى أمير المؤمنين توالى الدعاء لأبيك ! فقال الشاب : لا أؤمك، إنك لم تعرف حلاوة الآباء؛ فما أعلم أن المنصور ضحك مثل ضحك يومئذ . وكان الربيع لقيطاً .

دخل رجلٌ من بنى هاشم على المنصور فاستجلسه ودعا بغدائه فقال للفتى : أدنه؛ فقال : قد تغديت؛ فلما خرج استخف به الربيع ودفع في قفاه، وقال : هذا كان يسلم من بعيد وينصرف، فلما استدناه أمير المؤمنين وأمره بالجلوس ودعا إلى طعامه تبدل بين يديه فبلغ من جهله بفضيلة المنزلة التي صيره فيها أن قال : قد تغديت، وإذا ليس عنده لمن تغدى مع أمير المؤمنين إلا سد خلة الجوع .

يونس الهجرى قال : مات رجلٌ من جنود أهل الشام فحضر الحجاج جنازته، وكان عظيم القدر، فصلى وجلس على قبره وقال : لينزل قبره بعض إخوانه؛ فنزل نفر منهم، فقال أحدهم وهو يسوى عليه : رحمك الله أبا فلان ! إن كنت ما علمتكم لتجيد الغناء وتسرع رب الكأس، ولقد وقعت في موقع سوء لا تخرج منه إلى الدكة؛ فما تمالك الحجاج أن ضحك فأكثر، وكان لا يكتر الضحك في جد ولا هزل، ثم قال له : لا أم لك ! هذا موضع هذا ! قال : أصلح الله الأمير، فرسى حيس لو سمعه يتغنى : « بالبينى أوقدى النارا » لانتشر الأمير على سعة، وكان الميت يلقب سعة، وكان من أوحش خلق الله صورة وأدمهم؛ فقال الحجاج : إنا لله ! أخرجوه عن القبر، ثم قال : ما أين حجة أهل العراق في جهلكم يا أهل الشام . ولم يبق أحد حضر القبر إلا استفرغ ضحكاً .

(١) فى الأصلين : « وتبدل » والسباق يفتنى حذف الوار .

تبع داود بن المعتز امرأة ظن أنها من الفواصد، فقال لها : لولا ما رأيت عليك من سيما الخير لم أتبعك ؛ فضحكت المرأة وأسندت ظهرها إلى الحائط ثم قالت : إنما يعتصم مثلي من مثلك بسيا الخير ، فإذا صار سيما الخير هو الدال لمثلك على مثلي فالله المستعان . كان بهلول المجنون يتغنى بقيراط^(١) ولا يسكت إلا بدانيق . وكان رجل يهوى جارية تختلف في حوائج أهلها ، وكانت إذا خرجت إلى السوق ولم يعلم بخرجها ثم رجعت فراها قال وهو يسئرها : (لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) ، وإن وعدته شيئا فأخلفت قال : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) ، فإن تغضبت لشيء بلغها عنه قال : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) .

١٠ مرة بعض الحمقى بأمرأة قاعدة على قبر وهي تبكي ، فرق لها وقال : من هذا الميت ؟ قالت : زوجي ؛ قال : فما كان عمله ؟ قالت : يحفر القبور ؛ قال : أبعد الله أما علم أن من حفر حفرة وقع فيها ! أحدث رجل من الحمقى ليلة على باب رجل ، فلما خرج الرجل زلق ووقع على ذراعه فأنكسرت ، واجتمع الجيران وجعلوا يختصمون ويوقعون الظنون وهو ناحية يسمع كلامهم ، فلما أكثروا قال :

١٥ رأيت الحرب ينجينها رجال * ويصلي حرها قوم برأء
فأخذوه وقالوا : أنت صاحبنا . قال داود المصاب : رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل ، رأيت كأن على عنق بكرة^(٢) فمن ثقلها أحدثت فاستيقظت فرأيت الحدث ولم أر البكرة . ربي أعرابي يبكي بكاء شديدا ، فسئل عن سبب بكائه فقال : بلغني أن جالوت قتل مظلوما . رأى رجل أحرق شيئا في الحمام^(٣) أعكن

٢٠ (١) القيراط : نصف الدانق ، والدانق سدس الدينار . (٢) البكرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . لسان العرب . (٣) أعكن البعان ، أى في بطنه عكن وهي ثيابها .

البطن، فقال له: يا عم إني أشتهي أن أضع هذا - يعني ذكره - في سرتك؛ فقال له الشيخ: يابن أخي فإين يكون أسك حينئذ. نزل يهودى على أعرابي فمات عنده، فقام الأعرابي يُصَلِّي عليه فقال: اللهم إنه ضيفٌ وحقُّ الضيف ما قد علمت، فأمهلتنا إلى أن نقضى ذمامه ثم شئتُ والكلب.

وحدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال: كان بين اثنين عبدٌ فقام أحدهما بفعل يضربه، فقال له الآخر شريكه: ما تصنع! قال: إنما أضربُ حصتي. قال أعرابي لرجل: ما أسمك؟ قال: عبد الله، قال: ابن من؟ قال: ابن عبيد الله، قال: أبو من؟ قال: أبو عبد الرحمن، قال: أشهدُ إنك لتلوذُ بالله لو آذَ يَتِيمَ جَبَانٍ. قال بعضهم: رأيتُ رجلين بالبصرة على باب مؤنس^(١) يتنازعان في العنب النيروزي والرازي: أيهما أطيب، بخرى بينهما كلامٌ إلى أن توثبا، فقطع الكوفي إصبع البصري وفقاً البصري عين الكوفي، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى رأيتهما متصافيين متناديين.

قال: وقال مُمامة: مررتُ في غيب سماء والأرض نديَّة والسماء متغيمة والريح شمالٌ وإذا شيخٌ أصفر كأنه جرادة، وقد قعد على قارعة الطريق وحجامٌ يحجمه على كاهله وأخذ عيه بمحاجم كأنها قعابٌ وقد مصَّ دمه حتى كاد يستفرغه، فوقفْتُ وقلتُ: يا شيخُ لم تحتجم؟ قال: لمكان الصفار الذي بي. أتى الطمحان قومًا يعودُ عليهم فعزَّاهم به، قالوا: إنه لم يمِّت؛ فرجع وهو يقول: يموتُ إن شاء الله، يموت إن شاء الله.

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال: كان الغاضري من أحق الناس؛ فقبل له: ما حقه؟ بفعل يتربث^(٢)، فلما أكثر عليه قال: قال لي مرة: البحر من حفره؟^(٣) وها حفر فإين نديته؟ أترى أمير المؤمنين يقدر على أن يحفر مثله في ثلاثة أيام؟

(١) في النسخة الألمانية «مونس» . (٢) يتربث: يتلبث .

(٣) التينة: تراب البئر والنهر .

دخل رجلٌ من الحمقى من الشعراء على رجل من الأشراف يُقال في نسبه، فقال:
إني قد آمتدحتك بشعرٍ لم تُمدح قطُّ بأنفع لك منه؛ قال: ما أحوجني إلى المنفعة
فهايته؛ فقال:

سألتُ عن أصلك فيما مضى * أبناء سبعين وقد نيفوا

فككُّهم يُخبرني أنه * مهذبٌ جوهره يعرف

فقال له: قُم في لعنة الله وفي سُخطه! لعنك الله ولعن من سالتَ ومن أجابك.
وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: جاء رجلٌ من الأعراب إلى عمه فقال:
يا عم، إن ولدَ جارِيَةِ آلِ فلانٍ مِنِّي فافندِه، ففعل؛ ثم جاءه مرةً أخرى فقال له مثل
ذلك؛ فقال له عمه: لو عزَّلتَ! قال: بلغني أن العزلَ مكروهٌ.

قال: وحدثنا الأصمعي قال: بلغني عن شيخٍ جَزَعَ على ميتٍ جَزَعًا شديدًا، فقيل
له في ذلك؛ فقال: نحن قومٌ لم تتعود الموتَ.

أبو الحسن الجعفری قال: قيل لكَرْدِمِ السُّدُوسِيّ: كُلُّ؛ قال: ما أريدُ؛ قيل:
ولم؟ قال: أَكَلْتُ قَلِيلَ أُرْزِي فَأَكْثَرْتُ مِنْهُ. ضَلَّ بَعِيرٌ لِأَعْرَابِيٍّ ففَعَلَ يَنْشُدُهُ إِلَى أَنْ
دَخَلَ الْإِمَارَةَ فَأَخَذَ مِنْهَا بَعِيرًا، فقيل له: إن بَعِيرَكَ كَانَ أَعْرَابِيًّا؛ قال: إنه لما
أَكَلَ مِنْ مَالِ الْإِمَارَةِ تَبَخَّتْ^(١).

الهيثم عن ابن عباس قال: لما ولى مروانُ وجهَ جيشِ ابنِ دُبَلْجَةَ الْقَيْنِيَّ إِلَى الْمَدِينَةِ
وَكَانَ يَصْعَدُ الْمَنْبَرَ وَمَعَهُ الْكُكْلَةُ مِنَ التَّمْرِ فَأَيَّ كَلْهَا ثُمَّ يُلْقِي النَّوَى عَلَى وَجْهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
يَمِينًا وَشِمَالًا، ثم يقول: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، إني لأعلمُ أن هذا المكانَ في حرمةٍ وموضعه

(١) تبخت صاربخيًا جمعه بخاق وهو الإبل الحراسانية.

ليس موضع أكلٍ ولا شربٍ، ولكني أحبُّ أن أريكم هوانكم على الله . قيل لمعلم بن معلم : مالك أحمق ؟ قال : لو لم أكن أحمق كنتُ ولدَ زنا . قال بعضُ الشعراء :

فإن كنتُ قد بايعتُ مروانَ طائعا * فصرتُ إذا بعد المشيبِ معلما

وقال آخر :

وكيف تُرجى العقلَ والرأى عند من * يروح على أنثى ويغدو على طفل

ابن المدائني قال : تخول أبو عبد الله الكرخي^(١) إلى الخريبة فادعى الفقه وظن أن ذلك يجوز لمكان لحيته وسمته ، فألقى على باب داره البواري وجلس بفاس إليه قوم فقال له رجل منهم : يا أبا عبد الله ، رجلٌ في الصلاة أدخل إصبعه في أنفه فخرج عليها دم ، أى شيء يصنع ؟ قال : ينجمُ رحمك الله ؛ فقال له السائل : ظننتُ أنك فقيهٌ ولم أدرك أنك طبيبٌ . قال رجلٌ للشعبي : إني أجدُ في قفاي حكةً فترى لي أن أحتجِم ؟ فقال الشعبي : الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحجامة . وقال له آخر :

رجلٌ آستمنى في يومٍ من شهر رمضان هل يوجرُ؟ قال : أوما يرضى أن يُفليت رأسا برأس . نازع التيمي رجلٌ من بني عمه في حائطٍ بينهما فبعث إلى قومٍ يُشهدهم ، فأتاه جماعةٌ من القبائل ، فوقف بهم على ذلك الحائط وقال : أشهدكم جميعا أن نصف هذا الحائط لي . وقدم آخر رجلا إلى القاضي في شيء يدعيه عليه ، فأنكر الرجل ، فقال : أيها القاضي آكتب إنكاره ؛ فقال القاضي : الإنكارُ في يدك متى شئت .

قال مسعدة بن طارق الذراع^(٢) : إنا لو قوفنا على حدود دارٍ لتقسّمها ونحن في خصومة ، إذ أقبل سيد بني تميم ومويسرهم والمصلي على جنائزهم ، فأمسكا عن الكلام ؛ فقال :

(١) الخريبة : موضع بالبصرة . (٢) البواري جمع بارية : الحصير المنسوج .

(٣) في الأصل : الزارع . ولعل الصواب ما أئبتناه هنا نقلا عن العقد التمريد فإنه منسوب إلى الذراع

وهو القياس بالذراع .

حَدَّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدًا؟ قَالَ مَسْعَدَةُ: فَأَنَا بِنْدُ سِتِينَ سَنَةً أَفَكَّرْتُ فِي كَلَامِهِ فَمَا أَذْرِي مَا عَنَى. أُمَّتُ جَارِيَةٌ أَبَا ضَمِّمْ فَقَالَتْ: إِنَّ هَذَا قَبْلَتِي، فَقَالَ: يَا قَتِي، أَذْعِنُ لَهَا بِحَقِّهَا، قَبْلِيهِ عَافَاكَ اللهُ كَمَا قَبْلَكَ، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: (وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ).

٥. حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أُلْقِيَتْ عَلَى رَجُلٍ فَرِيضَةٌ فَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِ بِفِعْلِ يَحْسُبُ غَيْرَهَا، فَقَالُوا لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ تَرَكَ غَيْرَ مَا ذَكَرُوا.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي كُثَيْبَةَ قَالَ: قَالَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ لِأَشْعَبَ: لَوْ رَوَيْتَ الْحَدِيثَ وَتَرَكَتِ النُّوَادِرَ كَانَ أَنْبَلَ لَكَ، قَالَ: وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ وَرَوَيْتُهُ، قَالَ: فَحَدَّثْنَا، قَالَ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَلَّتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ كَانَتْ مِنْ خَالِصَةِ اللهِ، قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ فَمَا هُمَا؟ قَالَ: نَسِي نَافِعٌ وَاحِدَةٌ وَنَسِيْتُ أَنَا الْآخَرَى. وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ مِنْ وَلَدِ عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ كَانَ أَحَدُهُمْ يَحْجُجُ عَنْ حَمَزَةَ وَيَقُولُ: أَسْتَشْهِدُ قَبْلَ أَنْ يَحْجُجَ، وَكَانَ الْآخَرُ يُضْحِكُنِي عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍو يَقُولُ: أَخْطَأْتُ السَّنَةَ فِي تَرْكِ الْأُضْحِيَّةِ، وَكَانَ الْآخَرُ يُفْطِرُ عَنْ عَائِشَةَ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ وَيَقُولُ: غَلِطْتُ فِي صَوْمِهَا أَيَّامَ الْعِيدِ، فَمَنْ صَامَ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَأَنَا أَفْطِرُ عَنْ أُمِّي عَائِشَةَ.

١٥. قَالَ ثُمَامَةُ: كُنَّا فِي مَنْزِلِ رَجُلٍ مِنَ الدَّهَاقِينِ وَفِينَا شَيْخٌ مِنْهُمْ، فَأَتَى رَبَّ الْبَيْتِ يَدُهِنَّ طَيِّبٌ فَدَهَنَ بَعْضُنَا رَأْسَهُ وَبَعْضُنَا لِحْيَتَهُ وَمَسَحَ بَعْضُنَا شَارِبَهُ وَبَعْضُنَا يَدَيْهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَذْهَنُوا أَسْتَاهَكُمْ تَأْمِنُوا الْحِرَازَ، وَأَمْرُوهَا عَلَى وُجُوهِكُمْ، فَأَخَذَ شَيْخٌ

(١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ٣ ص ٣١٣: هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدًا.

(٢) الدَّهَاقِينُ جَمْعُ دِهْقَانٍ: رَئِيسُ الْإِقْلِيمِ.

(٣) الْحِرَازُ: خَيْبَرِيَّةٌ فِي الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مُخَالَةٌ، وَاحِدَتُهُ حِرَازَةٌ.

منهم بطرف إضبعه فأدخله في أنفه ومسح حاجبيه، فعمد الشيخ إلى بقية الدهن فصبه في أذنه، فقلنا له: ويحك! هل رأيت أحدا أتى بدهن طيب فصبه في أذنه؟ قال: إنه مع هذا يضرني.

قال عبد الله بن المبارك: كان عندنا رجل يُكنى أبا خارجة، فقلت له: لم كنوك أبا خارجة؟ قال: لآني ولدت يوم دخل سليمان بن علي البصرة. قال عمرو بن بحر: ذكر لي ذاكر عن شيخ من الإباضية أنه جرى ذكر الشيعة عنده فأنكر ذلك واشتد غضبه؛ فقلت له: ما أنكرت؟ قال: أنكر مكان الشين في أول الكلمة لآني لم أجدها قط إلا في مسخوط عليه مثل شؤم وشُر وشيطان وشُح وشغيب وشيب وشك وشرك وشتم وشيعية وشطربج وشاكي وشاني وشحج وشوصة وشابشتي وشكوى؛ فقلت: ما تقوم بهؤلاء قائمة أبدا. قال: وسمعت رجلا يقول: عجبت لمن يأخذ النوم وهو لا يزعم أن الاستطاعة مع الفعل؛ فقلت له: ما الدليل على ذلك؟ فقال: سبحان الله! الأشعار الصّحاح؛ قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل قول روبة:

* ما إن يقعن الأرض إلا وبقا *

وقوله: * يهوين شتى ويقعن وبقا *

وقوله: * مكر مفر مقبل مدير معا *

وقولهم في المثل: «وقعا كعكمي غير»^(٤) ثم قال: هل في هذا تقنع؟ قلت: بلى وفي دون هذا.

(١) في الأصلين: «في أول كلمة» بالتنكير وظاهر أن السياق يباه؛ فعمل الصواب ما ذكرناه أو أن في الكلام حذف.

(٢) كذا بالأصلين ولم نجد في مادة «شحج» في اللسان والقاموس مصدرا أو غيره. ولعله محرف عن «شحج» وهو أثر الشجة في الجبين.

(٣) كذا في النسخة الألمانية. وفي الأصل الفسويغرافي «بعدها» بدل «أبدا».

(٤) كذا بالأصلين. وفي اللسان في مادة عكم: «هما كعكمي العير» والعيم: العدل مادام فيه المناع.

وَعَدَ رَجُلٌ رَجُلًا مِنَ الْحَمَقِ أَنْ يُهْدِيَ لَهُ مِنْ مَكَّةَ نَعْلًا ، فَطَالَ عَلَيْهِ الْإِنْتِظَارُ ، فَأَخَذَ قَارورَةً فَبَالَ فِيهَا ثُمَّ أَتَى بِهَا الطَّيِّبَ ثُمَّ قَالَ : أَنْظِرْ فِي هَذَا الْمَاءِ هَلْ يُهْدَى لِي بَعْضُ إِخْوَانِي نَعْلًا حَضْرَمِيَّةً ؟ . وَقَالَ الزِّيَادِيُّ : مَرَّ أَشْعَبُ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ طَبَقًا وَقَالَ لَهُ : زِدْ فِيهِ طَوْقًا ، قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لَعَلَّهُ يُهْدَى لِي فِيهِ شَيْءٌ .

٥ أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا إبراهيم بن القعقاع قال : رأيتُ أشعبَ بسوق المدينة معه قطيفةٌ قد ذهب نخلها وهو يقول : مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي الرِّمْدَةَ^(١)؟ فأتاه رجلٌ فسأومه ، قال : أبراؤ إليك من عيبٍ فيها ، قال : وما هو؟ قال : تَحْتَرِقُ إِنْ أَنْتَ لَبِسْتَهَا . سقط أعرابيٌّ من بعيرٍ له ، فانكسرت ضلعٌ من أضلعه فأتى الجابر يستوصفه ، فقال : خذْ تَمْرًا جَيِّدًا فَانزِعْ أَقْمَاعَهُ وَنَوَاهُ وَأَعْجِنِهِ بِسَمِينٍ ثُمَّ أَضْمِدْهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَيْ بِأَيِّ أَنْتَ مِنْ دَاخِلٍ أَمْ مِنْ خَارِجٍ؟ قَالَ : مِنْ خَارِجٍ ، قَالَ : لَا أَبَا لَشَانِيكَ هُوَ مِنْ دَاخِلٍ أَنْفَعُ لِي ، قَالَ : ضَعَهُ حَيْثُ تَعْلَمُ أَنَّهُ أَنْفَعُ .

١٠ مات ابنٌ صغيرٌ لأعرابيٍّ ، فقيل له : تَرْجُو أَنْ يَكُونَ لَكَ شَفِيعًا ، فَقَالَ : لَا وَكَلَّنَا اللَّهُ إِلَى شَفَاعَتِهِ ، حَسْبُهُ الْمِسْكِينُ أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِ نَفْسِهِ . جاء أعرابيٌّ إلى المسجد والإمامُ يخطبُ ، فقال لبعض القوم : ما هذا؟ قال : يدعون النَّاسَ إِلَى الطَّعَامِ ، قَالَ : فَمَا يَقُولُ صَاحِبُ الْمَنْبَرِ؟ قَالَ : يَقُولُ مَا يَرْضَى الْأَعْرَابُ أَنْ يَأْكُلُوا حَتَّى يَجْلُوا مَعَهُمْ ، فَتَخْطَى الْأَعْرَابِيُّ النَّاسَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْوَالِي فَقَالَ : يَا هَذَا ، إِنْ الذِّينَ يَفْعَلُونَ مَا تَقُولُ سَنَهَأُونَا .

أخذ الحجاجُ لِيصًا أعرابيًا فضربه سبعًا سوطًا فكلما قرعه بسوطٍ قال : اللَّهُمَّ شَكَرًا ، فأتاه ابنُ عمِّ له فقال : والله ما دعا الحجاجُ إلى التماسدي في ضربك إلا كثرة

٢٠ (١) كذا في النسخة الألمانية وفي الأصل الفترغرافي : «الومدة» والرمدة : الكدرة التي صارت كلون الرماد . (٢) في الأصلين «أو» و«سياق الكلام يقتضى» أم .

شكرك، لأن الله يقول : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ؛ فقال : إن هذا في كتاب الله؟
فقال : اللهم نعم ؛ فأنشأ الأعرابي يقول :

يَا رَبِّ لَا تُشْكِرْ فَلَا تَزِدْنِي * أَسْرَفْتُ فِي شُكْرِكَ فَاعْفُ عَنِّي
بَاعِدْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي

فبلغ الحجاج نخلي سبيله . جاء أعرابي إلى صيرفي بدرهم ؛ قال : هذا سئوؤ ؛ فقال
الأعرابي : وما هو السئوؤ بأبي أنت؟ قال : داخله نحاسٌ وخارجه فضة ؛ قال :
ليس كذلك ؛ قال : أكسره فإن كان كذلك فأنا منه برىء؟ قال : نعم ؛ فكسره فلما
رأى النحاس قال : بأبي أنت ، متى أموت؟ فأنا أشهد أنك تعلم الغيب .

لما حضرت الحطيئة الوفاة قال : أحملوني على حمار فإنه لم يمُت عليه كريم قط
فلعل أن أبقى ، ثم تمثل :

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنِّي * رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيدٍ

المدائني قال : دعا رجل بمكة لأمه ؛ فقال له قائل : فما بال أهلك؟ قال : هو
رجل محتال لنفسه . قيل لأشعب : رأيت أحداً قط أطمع منك؟ قال : نعم
خرجت إلى الشام فزلت أنا ورفيق لي بدير فيه راهب ، فتلاحينا في أمرٍ فقلتُ :
الكاذبُ منا كذا من الراهب في كذا من أمه ، فأتى الراهب وقد أنعظ وهو يقول :
بأبي من الكاذب منكما؟ . مرة إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي يقاص وهو يقرأ :
(يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ) ، فتنفس ثم قال : اللهم آجعلنا ممن يتجرعه ويسیغه .

الأصمعي عن أبيه : قلت لأعرابي : أفیکم زنا؟ قال : بالحرائر؟ ذاك عند الله
عظيم ، ولكن مساعاةً بهذه الإمام . موسى بن طلحة قال : جاءنا علي بن أبي طالب
رحمه الله ونحن في المسجد شباب من شباب قريش . فنحنينا له عن الأسطوانة

وقلنا : ها هنا يا عم ، فقال : يا بني أحمى ، أتم لشيوخكم خير من مهرة ^(١) فإنه إذا كبر الشيخ فيهم شدوه عقالا ثم يُقال له : ثب فيه ، فإن وثب خلوا سبيله وقالوا : فيه بقية من علالة ، وإن لم يثب قدموه فضربوا علاوته وقالوا : لا يصيبك عندنا بلاء .

قيل لبحر بن الأحنف : ما يمنعك أن تكون مثل أبيك؟ قال : الكسل . وقال

يوماً لزبراء جارية أبيه : يا زانية ، فقالت : لو كنت كذلك جئتُ أباك بمثلك .

أبو الحسن قال : جاء قوم إلى رجل من الوجوه فقالوا له : مات جارك فلان

فمرنا بكفن ، فقال : ما عندنا اليوم شيء ولكن تعودون ، قالوا : أفنملي إلى أن

يتيسر عندك شيء! . وأتى رجل رجلا فقال له : أصلحك الله ، تعيرنا ثوبا نكفن فيه

ميتا؟ . قال قاسم التمار في كلام له : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض .

وقال أيضا : رأيتُ إيوان كسرى فإذا هو كأنما رُفعت اليد عنه أول من أمس .

كان عبد الملك بن هلال الهينابي ^(٣) له زبيل مملوء حصا للتسبيح ، فكان يسبح

بواحدة واحدة ، فإذا ملَّ طرح ثنتين ثنتين ثم ثلاثا ثلاثا ، فإذا زاد ملاله طرحه

قبضة قبضة وقال : سبحان الله عددك ، فإذا صجر أخذ يعري الزبيل وقال : الحمد لله

بعد هذا كله . دخل قوم منزل الرستمي لأمرٍ وقع ، فحضر وقت صلاة الظهر فقالوا :

كيف القبلة في دارك هذه؟ فقال : إنما نزلناها منذ شهر .

المداخعي عن علي بن مجاهد عن حميد بن أبي البختري ^(٤) أن الشعبي قال : مررتُ

فلقيت ابن الحز فامرني أن أمشي كل يوم إلى الثوية ، فكنت أغدو كل يوم إليها ،

(١) مهرة : حى من العرب وإليه تنب الإبل المهرية .

(٢) العلارة : أعلى الرأس والعنق .

(٣) كذا بالأصلين ولم نجد لهذه النسبة أصلا في أسماء الأشخاص والقبائل والبلدان وغيرها .

(٤) كذا في الأصل الفتوغرافي وتويده كتب اللغة والأنساب ، وفي الألمانية «البختري» بالحاء المهملة .

فانصرفت ذات يوم فلما كنت في جُهينة الظاهرة ^(١) إذا شيخٌ منهم قاعد على طنفسةٍ مَتَكِيٌّ على وِسادةٍ ، فسَلَّمْتُ ثم أَلْقَيْتُ نَفْسِي على الرَّمْلِ ؛ فَقَالَ : لَقَدْ جَلَسْتَ جِلْسَةً عَاجِزًا أَوْ ضَعِيفًا ؛ قُلْتُ : قَدْ جَمَعْتُهُمَا ؛ قَالَ : أَدَامَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ . ثم قال : إن أهل كانوا يتخوفون على ثلاثا : نقصان البصر وترك النساء والقَطَاف في المشي ، فوالله إنهم ليرون الشخص واحدًا وأراه اثنين ، ولقد تركت النساء فمالى فيهن من حاجة ، وإني لأمشي فأهملج ؛ قلت : أدام الله لك ذلك .

قال المدائني : ركب يزيد بن زهشل النهشلي بعيرا وقال : اللهم إنك قلت (وما كُتِّلهُ مُقَرَّرِينَ) وإني لبعيرى هذا لمُقَرَّرِينَ ؛ فنفر به فطرحه وبقيت رجله في الغرز ، فجعل يضرب برأسه كل حجر ومدبر حتى مات .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي ^(٢) قال : أختصمت الطفاوة وبنو راسب في رجل يدعيه الفريقان إلى ابن عريابض ، فقال : الحكم بينكم أيُّن من ذلك ، يُلْقَى في النهر فإن طفا فهو لطفافة ، وإن رَسِب فهو لبني راسب .

المدائني قال ؛ لما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له : أوص ؛ قال : بم أوصي ! مالى للذكور دون الإناث ؛ فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا ؛ فقال : لكنى أمر به ، ثم قال : ويلٌ للشعر من راوية الشعر ؛ فقيل له : أوص يا أبا مليكة للساكين بشيء ؛ قال : أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبور . قيل : أعتق عبدك يسارًا ؛ قال : أشهدوا أنه عبد مابق . قيل : فلان اليتيم ماتوصى فيه ؟ قال : أوصى أن تأكلوا ماله وتنيكوا أمه ؛ قالوا : ليس إلا هذا ! قال : أحملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم لعل أنجوب ؛ ومات مكانه .

(١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل الفنوغرافي : «الظاهرة» .

(٢) الطفاوة وبنو راسب : حيان من العرب .

لما حضرت سعد بن زيد الوفاة جمع ولده وقال : يا بني أوصيكم بالناس شراً ،
كلّوهم تزرأ ، وأنظروا اليهم شزراً ، ولا تقبلوا لهم عُذراً ، قَصَّروا الأَعِنَّة ، وآشَحَذُوا الأَسِنَّة ،
تأكلوا القريب ، ويرهبكم البعيد . ولما حضرت وكيعاً الوفاة دعا بنيه فقال : يا بني
إني لأعلم أن قوما سيأتونكم قد أفرحوا جباههم وعرضوا لحاهم يدعون أن لهم على
أبيكم ديناً فلا تقضوهم ، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفر الله له لم تضرُّه ،
وإلا فهي مع ما تقدم .

تقدم رجل من بني العنبر الى سوار فقال : إن أبي مات وتركني وأخالي ، وخط
خطين ناحية ، ثم قال : وهيينا لنا ، ثم خط خطأ آخر ناحية ، ثم قال : كيف ينقسم
المال بيننا ؟ فقال : المال بينكم أثلاثاً إن لم يكن وارثٌ غيركم ، فقال له : لا أحسبك
فهمت ، إنه تركني وأخي وهيينا لنا ، فقال سوار : المال بينكم سواء ، فقال الأعرابي
أياخذ الهجين كما أخذ وياخذ أخي ؟ قال أجل ! فغضب الأعرابي وقال : تعلم والله
أنك قليل الخالات بالدهناء ، فقال سوار : إذا لا يضرنى [ذلك] عند الله شيئاً .

قال بعض العمال لأعرابي : ما أحسبك تدري كم تصلى في كل يوم وليلة ؟ فقال :
أرأيت إن أنباتك بذلك تجعل لي عليك مسألة ؟ قال : نعم ، قال الأعرابي :
إن الصلاة أربع وأربع * ثم ثلاث بعدهن أربع
* ثم صلاة الفجر لا تُصَّع

قال : قد صدقت ، فسئل ، قال : كم فقار ظهرك ؟ قال : لا أدري ، قال : أفتحكم
بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك !

أخبرني رجل حضر مجلس محمد بن الجهم البرمكي أنه دخل عليه رجل يكتب
في حوائج له ، فقرأها ووعدته قضاءها ، فنهض وهو يدعو له وقال : أبقاك الله وحفظك
وأتم نعمته عليك ، فقال له محمد بن الجهم : كتابي اليك وأنا في عافية .

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٩٢

طبائع الإنسان

حدّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه أنه وجد في التوراة:
 إني حين خلقتُ آدم ركبّت جسده من أربعة أشياء ثم جعلتها وراثته في ولده تمي
 في أجسادهم ويَنمُون عليها الى يوم القيامة: رطب ويابس وُسخن وبارد، وذلك لأنّ
 خلقته من ترابٍ وماء ثم جعلت فيه نفساً وروحاً، فيبوسة كل جسد من قبل التراب،
 ورطوبته من قبل الماء، وحرارته من قبل النفس، وبرودته من قبل الروح، ثم خلقت
 الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق الآخر وهي ملاك الجسد بإذني
 وقوامه، لا يقوم الجسد إلا بهن ولا تقوم واحدة إلا بهن، المِرة الصفراء والمِرة السوداء
 والدم والبلغم، ثم أسكنتُ بعض هذه الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المِرة
 السوداء ومسكن الرطوبة في الدم ومسكن البرودة في البلغم ومسكن الحرارة في المِرة
 الصفراء، فأما جسد اعتدلت فيه هذه الفِطر الأربعة فكانت كل واحدة منهن ربعا
 لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدل بنيانه، وإن زادت واحدة منهن غلبت
 وقهرت من ومالت بهن ودخل على أخواتها السقم من ناحيتها بقدر ما زادت وإذا كانت
 ناقصة تقل عنهن^(١) ملن بها وعلونها وأدخلن عليها السقم من نواحيهن لقلتها عنهن حتى
 تضعف عن طاقتهن وتعجز عن مقاومتهم^(٢)، قال وهب: وجعل عقله في دماغه وشرهه^(٣)
 في كليلته، وغضبه في كبيده، وصرامته في قلبه، ورُعبه في رثته، وضحكه في طعّاله،
 وحرته وفرحه في وجهه، وجعل فيه ثلاثمائة وستين مفصلا .

(١) في الألمانية: «وإذا كانت ناقصة تقلن عنها وملن...» .

(٢) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ وفي الأصلين: «عن مقاربتين» والفعالان فيهما (تضعف وتعجز)

بالياء والسياق يقتضى تا. التأنيث كما وضعنا .

(٣) في الأصلين وشره . وما ذكرناه عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١

- قال : حدثني زيد بن أنحزم^(١) قال : حدثنا بشر بن عمر عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب". وقالت الحكماء : الخنث يعترى الأعراب والأكراد والزنج والمجانين وكل صنف إلا الخصيائ فإنه لا يكون خصى^(٢) مخنث . وقالوا : كل ذي ریح مُنننه وذفر كالنيس وما أشبهه ، إذا خصى نقص ننته وذهب صنانه غير الإنسان فإن ننته يشند وصنانه يخبذ وعرقه يخبث وريجه^(٢) . وكل شيء من الحيوان يخرى فإن عظمه يدق ، فاذا دق عظمه استرخى لحمه وتبرأ من عظمه خلا الإنسان فإنه إذا خصى طال عظمه وعرض . وقالوا : الخصى والمرأة لا يصلغان ، والخصى تطول قدمه وتعظم . وبلغني أنه كان لمحمد بن الجهم رذون رقيق الحافر فخصاه بخاد حافر ، اعتبر ذلك بالإنسان إذا خصى عظمت رجله . قالوا : والخصى يشند وقع رجله لأن معاقد عصبه تسترخى ، ويعتره الأعوجاج والقدح في أصابعه ، وتسرع دمعه ، ويتخذ جلده ، ويسرع غضبه ورضاه ، ويضيق صدره عن كتمان السر . ويزعم قوم أن أعمارهم تطول لترك الجماع ، قالوا : وتلك علة طول عمر البغل . وقالوا : علة قصر عمر العصفور كثرة سفاده . قالوا : وشأن الغريق إذا كان رجلاً ثم ظهر على الماء أن يظهر على قفاه ، وإن كان امرأة أن تظهر على وجهها . والرجل إذا ضربت عنقه سقط على وجهه ثم يقليه ذكوره إذا أنتفخ . قالوا : وفي الغلمان من لا يحتلم أبداً ، وفي النساء من لا تحيض أبداً ، وذلك عيب . وفي الناس من لا يسقط ثغره ولا يستبدل منه ، منهم عبد الصمد بن علي ذكروا أنه دخل قبره برواضه .

(١) في الأصل : أنحزم . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا في النسخة الفلورغرافية ، وفي النسخة الألمانية أربعة أصفار بعد قوله وريجه ، وكتب في التعليق عليه باللغة الألمانية : سقطت كلمة . وفي العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ : وخبث عرقه وريجه .

والضَّب لا تسقط له سن . وكذلك الخنزير لا يُلبق شيئاً من أسنانه . ولذلك تقول^(١)
العرب في مثل لها : "لا آتيك سن الحسل"^(٢) يريدون لا آتيك أبداً . وتقول الأطباء :
إنه ليس شيء من الحيوان يستطيع أن ينظر الى أديم السماء إلا الإنسان ، وذلك لكرامته
على الله . ويقول بعضهم : إن الجنين يفتدى دم الحيض يسيل اليه من السرة بغذائه ؛
وقالوا : لذلك لا تحيض الحوامل . وقد رأينا من الحوامل من تحيض . والعرب
تقول : حملت فلانة سهواً ، إذا حاضت على الحمل . قال الهذلي يمدح رجلاً^(٣) :
ومبرأً من كل غير حيضة * ورضاع مغيلة وداء معضل^(٤)
فأعلمك أنها لم تر عليه دم حيض في حملها ، ودل على أنه قد يكون . قالوا : فإذا
خرج الجنين من الرحم دفعت الطبيعة ذلك الدم الذي كان يفتديه الى الثديين ،
وهما عضوان تاهدان عصبين فغيراه وجعله لبناً . يقول الله عز وجل : (وَإِنَّ لَكُمْ
فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسِقُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) .
قالوا : والإنسان يعيش حيث تحيا النار ويتلف حيث لا تبقى النار . وأصحاب المعادن
والحفائر إذا هجموا على نفق في بطن الأرض أو مغارة قدموا شمعة في طرف قناة فإن
ثبتت النار وعاشت دخلوا في طلب ما يريدون وإلا أمسكوا . والعرب تتشاءم بذكر
ولد الرجل إذا كان ذكراً . وكان قيس بن زهير أزرق بكرة بين بكرين .

(١) في الأصلين : « وكذلك ... » وظاهر أن ما ذكرناه هو الأنسب بالسياق . (٢) الحسل
ولد الضب . (٣) هو نابض شراً . (٤) كذا في الأصل ، وفي اللسان في مادة « غير » والعقد
الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ وشرح الحماسة للبريزي ج ١ ص ٤٣ :
« فساد مرضعة وداء مغيل » وقد أورده صاحب اللسان هكذا مجروراً وقال هو معطوف على قوله :
« ولقد سريت على الظلام بمغشم » وهو صدر بيت متقدم في القصيدة . وفي شرح الحماسة للبريزي :
يروي مبرأً بالنصب ومبرأً بالجر ، فالنصب على قوله « غير مهبل » والجر عطف على قوله جلد من الفتيان .
والغبر نقايا الحيض ، المغيلة : الحيل أو التي تُغشى وهي ترضع ؛ ولكن الذي ورد في اللسان والقاموس :
أغيات المرأة فهي مغيل . (٥) كذا في الألمانية ، وفي الفونوغرافية « بادات » .

حدثني محمد بن عائشة عن حماد عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : يكر
البيكرين شيطان مخلد لا يموت الى يوم القيامة ، يعنى من الشياطين . قالوا : وابن المذكرة
من النساء والمؤنث من الرجال أخبث ما يكون ، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه
وخصال أمه . والعرب تذكر أن الغيرى لا تُنجب . قال عمرو بن معد يكرب
ألسَتَ تصيرُ إذا ما نُسبَتَ بين المَغارةِ والأحمقِ^(١)

وقال بعض الحكماء : كل امرأة أودابة تُبطئ عن الحبل ، إذا واقعها الفحل في الأيام
التي يجرى الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله . قال عبيد الله بن الحسن : إذا أردت
أن تُذكر المرأة فأغضبها ثم قع عليها . وقال الحارث بن كلدة : إذا أردت أن تحبل المرأة
فشها في عرصنة الدار عشرة أشواط فإن رجمها ينزل فلا تكاد تُخلف . والعرب
تقول : إن المرأة إذا لقحت في قُبَلِ الطهرِ في أول الشهر عند تبليج الفجر ثم أذكرت
جاءت به لا يطاق . قال الشاعر وجمع هذه المعاني :

لَقِحت في الهلال عن قُبَلِ الطهرِ * وقد لاح للصباح بشيرُ

ويقولون : إذا أكره الرجل المرأة وهي مذعورة ثم أذكرت أنجبت . قال أبو كبير الهذلي :

حملت به في ليلة مزودة * كرها وعقد نطقها لم يُحلل^(٤)

فأتت به حوش الجنان مبطنًا * سهدًا إذا ما نام ليل الهوجل^(٥)

ومبرأ من كل غير حيصية * ورصاع مغيلة وداء مفضل

(١) في الاصل : قصيرا ، والتصويب عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ (٢) المغارة : من أغارها
زوجها بتزوجه عليها . (٣) قبل الطهر : أوله . (٤) مزودة : مذعورة ، وفي تعليقات الشيخ
الشنتي على أشعار الهذليين المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش : كان أبو عبيدة ينصب
مزودة والأصمعي يجرها بجمل الزود لليلة . وساق هذا البيت صاحب معنى الليب في أواخر الكتاب وقال :
يرى بالحرصفة لليلة وبالنصب حالا من الضمير في حملت . وضعف هذا الوجه بأن ذكر الليلة حينئذ لا كبير
فائدة فيه . (٥) حوش الجنان : حديده . ومبطن : ضامر البطن نحيصه . وسهد : قليل النوم .
والهوجل : البطي ، الثقيل . وقد روى في الأصل الفتوغرافي : إذا ما قام ليل الهوجل * وهو
تحريف والتصويب عن النسخة الألمانية ولسان العرب في مادة «حوش» .

يقول : لم تر عليه في حملها دما باقيا من حيضة ولا حملته وهي تُرضع ولا أرضعته وهي حامل ؛ فكانت العرب تكره ذلك وتسب به . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد هممت أن أنهي عن الغيلة^(١) ثم ذكرت أن فارس والروم يفعلونه فلا يضرمهم" وفي حديث آخر : "إنه ليدرك الفارس فيدعثره" أي يطرحه .

حدثني إسحاق بن راهويه قال : أخبرنا يحيى بن آدم عن الحسن قال : رأيت جدّة أبنّة إحدى وعشرين سنة . قال : وأوّل أوقات حمل المرأة تسع سنين ، وهو أوّل وقت الوطاء . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وهي بنت تسع . وقال عبد الله ابن صالح : حدثني الليث عن ابن عجلان أن أمراة حملت له مرّة وأقامت خمس سنين حاملا ثم ولدت له ، وحملت له مرّة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت . قال الليث : وحملت مولاة لعمر بن عبد العزيز ثلاث سنين حتى خافت أن يكون في جوفها داء ثم ولدت غلاما ، قال الليث : ورأيت أنا ذلك الغلام وكانت أمه تأتي أهلنا . وفي بعض الحديث أن عيسى بن مريم عليه السلام ولدته أمه لثمانية أشهر ، ولذلك لا يولد مولود لثمانية أشهر فيعيش . وروى زيد بن الحباب عن ابن سنان قال : حدثني ثابت بن جابان العجليّ أن الضحّاك بن مزاحم ولد وهو ابن ستة عشر شهرا . فأما يزيد بن هارون فإنه روى عن جوير أن الضحّاك ولد لستين . وولد شعبة لستين . حدثنا الرياشيّ أو رجل عنه قال حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن مؤمل عن ابن أبي مليكة أن عمر رحمه الله قال : يا بني السائب ، إنكم قد أضويتم^(٢) فأنكحوا في النزاع^(٣) . قال : وقال

(١) ورد هذا الحديث في طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٧٧ طبع مدينة ليدن وفيه مخالفة غير جوهرية

لرواية الأصل ، وفيها : "قال مالك بن أنس : الغيلة أن يمس الرجل أمراة وهي ترضع" .

(٢) أضوى الرجل : ولد له غلام ضاوى ، والضاوى : الضعيف . (٣) النزاع جمع نزعة وهي المرأة التي تهرج في غير عشيرتها .

الأصمعيّ قال رجل : بنات العم أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رءوس الأبطال
كأبن عجمية . والعرب تقول : آغربوا لا تُضوّوا ، أي أنكحوا في الغرائب فإن
الغرائب يضيون الأولاد . قال الشاعر :

إنّ بلاّلاً لم تشينه أُمّه * لم يتناسب خاله وعمّه

وقال آخر :

تتجّبها للنسل وهي غريبة * بغاءت به كالبدر خرقاً معماً^(٢)

فلوشاتم الفتيان في الحى ظالماً * لما وجدوا غير التكذب مسلماً

وكان يقال : أنجب النساء الفروك^(٣)، لأن الرجل يغلبها على الشبه لزهدها في الرجال .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ أن المنجبة التي تترع بولدها إلى أكرم الجدين .

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : حدثنا حرب بن قطن قال : يقال : إن الرجل يستفرغ
ولد امرأتين ، يُولد له وهو ابن تسعين سنة . وقالت عائشة : لا تلد امرأة بعد خمسين

سنة . قالت الحكماء : الزنج شرار الخلق وأردؤهم تركيا لأن بلادهم سخنت فأحرقتهم

الأرحام ، وكذلك من بردت بلاده فلم تطبخه الأرحام ، وإنما فضل أهل بابل لعلّة

الاعتدال ؛ قالوا : والشمس شيطت شعورهم فقبضتها ، والشعر إذا أدنيت إلى النار

تجمد ، فإن زدته تفلن ، فإن زدته أحترق . وقالوا : أطيب الأمم أفواها الزنج وإن لم

تستن^(٤) ، وكل إنسان رطب الفم كثير الريق فهو طيب الفم ؛ وخلوف فم الصائم يكون

لخثورة الريق^(٥) ؛ وكذلك الخلوف في آخر الليل . وقالت الحكماء : كل الحيوان إذا ألق

في الماء سبج إلا الإنسان والقرد والفرس الأعسر^(٦) ، فإن هذه تفرق ولا تسبج إلا أن

(١) كذا بالأصلين ، وأورده صاحب النهاية واللسان على أنه حديث . (٢) الخرق : الفتي الحسن

الكريم الخليفة . (٣) الفروك : المرأة تبغض زوجها . (٤) تستن : تناك .

(٥) الخثورة ضد الرقة . (٦) الأعسر : الذي يعمل بالشمال دون اليمن .

يتعلم الإنسان السباحة . قالوا : والرجل اذا ضربت عنقه فألقى في الماء قام في وسط الماء وانتصب ولم يلزم القعر جاريا كان الماء أو ساكنا ، حتى اذا جيف قلب وظهر بدنه كله مستلقيا إلا المرأة فإنها تظهر منكبها على وجهها . وقالوا : كل من قطعت يده لم يجيد العدو ، وكذلك الطائر إذا قطعت رجلاه لم يجيد الطيران . قالوا : وليس في الأرض هارب من حرب أو غيرها يستعمل الحضر^(١) إلا أخذ عن يساره إلا أن يترك عزمه أو سؤم طبيعته . ولذلك قالوا : بجأك على وحشيه^(٢) ، وأنحى على شؤمي^(٣) يديه . وقالوا : كل ذى عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشية والإنسية فإنما الأشفار^(٤) لحفته الأعلى إلا الإنسان فإن الأشفار — نعى الهدب — لحفته : الأعلى والأسفل . قالوا : ليس في الأرض إنسان إلا وهو يطرب من صوت نفسه ويعتريه الغلط في شعره وولده . قال الطائي :

ويُسئء بالإحسان ظنًا لا كمن^(٤) * هو بابنه وبشعره مفتون

وقالوا : كل ذى جلد فإن جلده ينسلخ إلا جلد الإنسان ؛ فإنه لا ينسلخ كما تنسلخ جلود الأنعام ولكن اللحم يتبعه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي طرفة الهذلي عن جندب بن شبيب^(٥) قال : إذا رأيت المولود قبل أن يغتدى من لبن أمه فعلى وجهه مصباح من البان ؛ يريد أن ألبان النساء تُغيره ؛ ولذلك قولهم : اللبن يُستبه عليه ؛ يراد أنه يزرع بالمولود في شبه الظئر . قال الشاعر :

لم أرضع الدهر إلا تدي واحدة * لإوضح الوجه يجي ساحة الدار

(١) الحضر : ارتفاع الفرس في دونه . (٢) وحشي كل شيء . شفه الأيسر وفي الأصلين «وحنة» وما وضعناه هو الذي يناسب السياق . (٣) أنحى على شؤمي بدنه : اعتمد عليها ، وشؤمي اليمين هي اليسرى . وفي الأصلين «ألحى» بدل «أنحى» . (٤) في الأصل «كل من» والتصويب عن البيهقي . (٥) المراد من البان هنا الصفاء والإشراق .

وحدثني الزياتي قال : حدثنا عبد الوارث عن يونس عن الحسن أن عمر أتى
بأمرأة ولدت لسنة أشهر فهمم بها ، فقال له علي : قد يكون هذا ، قال الله عز وجل :
(وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) وقال : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) .
أبو حاتم عن الأصمعي قال : آختم رجلا في غلام كلاهما يدعيه ، فسأل عمر
أمه ، فقالت : غشيتني أحدهما ثم هرقت دما ، ثم غشيتني الآخر ، فدعا عمر قائنين فسألتهما ،
فقال أحدهما : أعلن أم أسير ؟ قال : أسير ، قال : أشركا فيه ، فضر به عمر حتى أضطجع
ثم سأل الآخر ، فقال مثل قوله ، فقال : ما كنت أرى أن مثل هذا يكون . وقد علمت
أن الكلبة يسفدها الكلاب فتؤدى إلى كل فحل نجله . وركب الناس في أرجلهم
وركب ذوات الأربع في أيديها ، وكل طائر كفه في رجليه .

ما نقص خلقه من الحيوان

حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : الفرس لا يطحال له ، والبعير لا مראה له ،
والظليم لا يخ لعظمه . قال زهير :

كأن الرجل منها فوق صعل^(٤) * من الظلمات جوجؤه^(٥) هواء

وكذلك طير الماء وحياتان البحر لا السنة لها ولا أذمغة . وصفت^(٦) البعير لا بيضة
فيه . والسمة لا رئة لها ولذلك لا تنفس ، وكل ذي رئة يتنفس .

(١) القائف : الذي يتبع الأناور ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه رايه .

(٢) كذا في النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما في العقد الفريد . وفي الألمانية : ركه .

(٣) الظليم : الذكر من النعام .

(٤) الصعل : الطويل . وفي الفتوغرافية «صقل» .

(٥) الجوجؤ : الصدر .

(٦) الصفت : وعاء الخصية .

المشتركات من الحيوان

(١) الراعى بين الورشان والحمامة . والبخاتي (٤) من الإبل بين العراب (٥) والفواج (٦) . والحمير
الأخدرية من الأخدر وهو فرس كان لأردشير توحش فخمى عانات (٧) من الحمير
فغرب فيها ، وأعمارها كأعمار الخيل . والزرافة بين الناقة من نوق الوحوش وبين
البقرة الوحشية وبين الضبعان (٨) ، وأسماها اشتراكا وپلنك أى بين الجمل والكركند (١٠) ، وذلك
أن الضبعان ببلاد الحبشة يسفد الناقة فتجىء بولد خلة بين الناقة والضبع ، فإن كان
ولد الناقة ذكرا عرض للمهاة (١١) فالفحها زرافة . ومسميت زرافة لأنها جماعة وهى واحدة
كانها جمل وبقرة وضبع ، والزرافة فى كلام العرب الجماعة . وقال صاحب المنطق :
الكلاب تسفدها الذئاب فى أرض سلوقية (١٢) فىكون منها الكلاب السلوقية . (١٣)

- (١) الراعى : طائر متولد بين الورشان والحمام كثير النسل يعيش طويلا . (٢) الورشان : ذكر
القمارى كما فى حياة الحيوان . (٣) فى الأصل « الحمامة » وما أثبتناه عن العقد الفريد ج ٣
ص ٣٥٣ وحياة الحيوان ج ١ ص ٤٥٥ (٤) البخاتي جمع بختى وهى الإبل الخراسانية .
(٥) العراب : إبل خلاف البخاتي كما فى اللسان . (٦) جمع فالج وهو جمل ضخم ذو سنامين يحمل
من السند للفحلة . (٧) جمع عانة وهى القطيع من حمر الوحش . (٨) هو الذكر من الضباع وهو
مفرد . (٩) كلمة فارسية كما فى القاموس والصحاح مركبة من أشرأى البعير وكأوى البقر وپلنك أى الفر
وفى حياة الحيوان ج ٢ ص ٥ وپلنك الضبع ، والأول هو المعروف فى الفارسية . (١٠) فى النسخة
الألمانية « الكركن » وهو قريب مما أثبتناه وفى النسخة الفنونجرافية « الكركى » وهو طائر كبير معروف .
والكركند كما فى حياة الحيوان حيوان طولها مائة ذراع فأكثر وسناده الجاحظ الكركدن ، ومعادنه بلاد
الهند والنوبة وهو دون الجاموس ويقال إنه متولد بين الفرس والقبيل . وتفسير المؤلف لكلمة (أشتركار پلنك)
يخالف بعض المخالفة تفسير القاموس ، وتفسير صاحب حياة الحيوان . (١١) المهاة : البقرة
الوحشية ، وفى الأصلين : « المهرة » والسياق يحتم ما وضعنا . فلعل ما فى الأصل تحريف من الناصح .
(١٢) نسبة الى سلوق وهى قرية باليمن تنسب اليها الدروع والكلاب . (١٣) فى الاصل « بينها »
وما أثبتناه عن العقد الفريد .

المتعاديات

- بين البوم والغراب عداوة . وبين الفأرة والعقرب عداوة . وبين الغراب
 وابن عرس عداوة . وبين الحدأة والغداف^(١) عداوة . وبين العنكبوت وبين العظاءة^(٢)
 عداوة . وبين الحية وبين ابن عرس عداوة . وبين ابن آوى^(٣) والدجاج عداوة .
 وبين السنور والحمام عداوة . وبين البوم وبين جميع الطير عداوة ، لأن البومة ردية
 البصر ذليلة بالنهار فإذا كان الليل لم يقو عليها شيء ، والطير تعرف ذلك من حالها فهي
 بالنهار تضربها وتنتف ريشها ، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصبها للطير . وبين
 الحمار وبين عصفور الشوك عداوة ، ومتى نهق الحمار سقط بيض عصفور الشوك .
 وبين الحمار وبين الغراب عداوة . وبين الحية والخنزير عداوة . والغراب مصادق
 للثعلب . والثعلب مصادق للحية . والجمل يكره قرب الفرس أبدا ويقاتله . وبين
 الأسد وبين الفيل عداوة . ويقال : إن الأسد والنمر مختلفان ، والأسد والببر متفقان .

الأمثال المضروبة بالطبائع

- يقال : فلان « أسمع من قراد »^(٢) ، والقردان تكون عند الماء فإن قربت الإبل منها
 تحزكت وأنتعشت ، فيستدلون بذلك على إقبال الإبل . و« أسمع من فرس » . و« أحزم من
 فرخ العقاب » ، وذلك أنه يكون في عرض الجبل فلا يتحرك فيسقط . و« أحلم من

- (١) الغداف : الغراب وخص بعضهم به غراب القيظ الضخم الوافر الجناحين . لسان العرب .
 (٢) هذه لغة أهل العالية ، ولغة بني تميم « العظاية » بالياء ، قال صاحب حياة الحيوان نقلا عن الأزهري :
 هي دويبة . لمساء تعدو وتتردد كثيرا تشبه ساتم أبرص إلا أنها أحسن منه ولا تؤذى ، وتسمى شحمة الأرض
 وشحمة الرمل . (٣) ابن آوى : حيوان طويل المخالب والأظفار ، يأكل الطيور ، وخوف
 الدجاج منه أشد من خوفها من الثعلب ، ويذكر الدميري أن ابن آوى إذا مرت تحت الدجاج وهي على الشجرة
 أو الجدار تساقطت وإن كانت عددا كثيرا . (٤) البير مضبوط في اللسان والقاموس بفتح الباء الأولى
 وسكون الثانية وصرح في حياة الحيوان أنه بفتح الأولى وكسر الثانية : نوع من السباع شبيه بأبن آوى .
 (٥) القراد بالضم واحدة قرادة وهي دويبة تتعلق بالبعير ونحوه .

حية» . و«أهدى من قِطَاةٍ وَحَمَامَةٍ» . و«أخف رأساً من الذئب» . و«أنوم من فهد» .
 و«أظلم من حية» ، وذلك لأنها تدخل بحجرة الحشرات وتخرجها . و«أحذر من
 غراب» . و«أصنع من تنوط» ، وهو طائر يصنع عشاً مدلى من الشجر . و«أصنع
 من سُرْفَةٍ» ، وهي دويبة تعمل بيتاً من قطع العيدان . و«أسرق من زبابة» ، وهي
 فأرة بريّة . و«أسرق من كُنْدُشٍ» وهو العققق ؛ ويقال أيضاً : «أحمق من عققق»
 لأنه من الطير الذي يُضَيِّعُ فِرَاحَهُ . و«أحرق من حمامة» ، وذلك لأنها لا تُجيد
 عمل العشّ فربما وقع البيض فانكسر . قال عبيد بن الأبرص :

عَبَّوْا بِأَمْرِهِمْ كَمَا * عَيَّتْ بَيِّضَتِهَا الْحَمَامَةُ
 جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ * نَشْمٍ وَأَنْحَرٍ مِنْ ثَمَامَةٍ^(١)

يقول : قرنت النشم بالثمام وهو ضعيف فتكسر ووقع البيض فانكسر . وفي الإنجيل
 أن المسيح عليه السلام قال للمخواريين : كونوا حُلَمَاءَ كَالْحَيَاتِ وَبُلَهَاءَ كَالْحَمَامِ . و«أعق
 من ضَبٍّ» ، لأنه يأكل ولده من الجوع . و«أبر من هيرة» ، وهي تأكل ولدها من
 شدة محبته . و«أروغ من تعلب» . و«أموق من رنحة»^(٢) . و«أزهي من ذباب»
 لأنه يقع على أنف الملك وتاجه . و«أصنع من الدبر» ، وهي النحل . و«أسمع من
 لافظة» ، ويقال : هي العنز تسمع بالحلب ، ويقال : الرحاء ، لأنها تليظ ما تطحنه
 لا تحبس منه شيئاً . و«أصرد من عين حرباء»^(٣) . و«ألح من الخنفساء» . و«أخيل
 من مدالة» ، وهي الأمانة تُهان وهي تخبتر . و«أحلم من فرخ الطائر» . و«أكيس
 من قشة» ، وهي القردة . و«أجبن من صافير» ، وهو ما صفر من الطير ، ويقال : هو

(١) النشم بالنحر يك : شجر جبليّ تتخذ منه القسي ، والثمام واحدة النمام : نبت ضعيف .
 (٢) أموق : أحمق ، من الموق وهو الحق . (٣) في مجمع الأمثال للبدائي : الحرباء . بالتعريف ، وعمله
 بأن الحرباء تستقبل الشمس أبداً بعينها تستجلب إليها الدف . . وورد فيه بعض هذه الأمثال بالتعريف أيضاً .

- (١) الصّافر بالمرأة للريبة . و «أتمّ من صُبح» . و «أبعد من بيض الأُنوق» ، والأُنوق : الرّحمة تبيض في أعالي الجبال والشواحق حيث لا يبلغه سُبُع ولا طائر . و «أشجع من لَيْثِ عِفْرَيْن» ، قال بعضهم : هو الأسد ، كأنه قال : أشجع من لَيْثِ لُيُوثِ تَعْفِرٍ من نازعها وتصرّعه ، وقال الأصمعيّ : هو دابةٌ مثل الخِرْبَاءِ يتحدّى الراكب ويضربه بذنبه . و «أحنُّ من شاريْف» ، وهي الناقة المُسنّة . و «أسرع من عدوى الثُّوباء» .
- و «أروى من النّقاقة» ، وهي الضّفادع . و «أزنى من قِرْدٍ» ، ويقول بعضهم : إنه رجل من هذيل كان كثير الزنا . و «أخدعُ من ضبّ» . و «أشام من الزرقاء»^(٢) وهي ناقة .

الأنعام

- ١٠ حدثني يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهليّ عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما خلق الله دابةً أكرم عليه من النعجة» وذلك أنه ستر عورتها ولم يستر عورة غيرها .

وقال : حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن إهاب بن عمير قال : كان لنا جمل يعرف كَشَحَ الحامل من غير أن يُسمّها^(٤) . قيل لأبنة الخُسّ : ما تقولين في مائة من المعزّ؟

- ١٥ (١) وفي النسخة الألمانية : «بالمرأة المريبة» وعبارة الأساس «هو الذي يصفر لريبه فهو وجل أن يُظهرّ عليه» ، وقيل : هو طائر ينكس رأسه ليلا ويتعلق برجليه وهو يصفر خيفة أن ينام فيؤخذ .
- (٢) في الأصلين «تفر» والسياق يقتضى ما وضعنا إذ سبق الفعل لبيان الاشتقاق . (٣) في جمع الأمثال للبدائي : «أشام من ورقاء» وقال : يعنون الناقة وهي مشومة وذلك أن أربما نقرت فذهبت في الأرض . وما في الأصل حكاه المبدائي عن أبي الندى وقال : الزرقاء ناقة نقرت براكها فذهبت في الأرض . (٤) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وقد وردت هذه الكلمة في الأصل الفتوغرافي هكذا «يسها» وفي النسخة الألمانية «يسهي» . (٥) أبنة الخس : امرأة من إباد جاءت عنها الأمثال وأسمها هند وكانت معروفة بالفصاحة .

قالت : قَيْتِي ؛ قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غَنِيٌّ ؛ قيل : فمائة من الإبل ؟
قالت : مُنَى . والعرب تضرب المثل في الصَّرْدِ بِالْمِعْزَى فتقول : « أَصْرَدُ مِنْ عَتْرِ
جَرَبَاءِ » . وسئل دَعْفَلٌ عن بنى مخزوم ، فقال : مِعْزَى مَطِيْرَةٌ ، عليها قَشْعْرِيْرَةٌ ،
إلا بنى المَغِيْرَةِ ؛ فإن فيهم تشادقُ الكلام ، ومُصَاهِرَةٌ الكِرَامِ .

وقالت العرب فيما تقول على ألسنة البهائم : قالت المِعْزَى : الأَسْتُ جَهْوَى^(٢) ،
والذَنْبُ أَلْوَى ؛ والجِلْدُ رُقَاقٌ ، والشَعْرُ دُقَاقٌ . قالوا : والضأن تضع مرة في السنة
وتُفْرِدُ ولا تُنْتِمُ ، والماعِزُ قد تلد مرتين في السنة ، تضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنمَاءُ
والبركة والعدد في الضأن ؛ وكذلك الخنازير تضع الأثني منها عشرين خصوصاً ولا تنمأ
فيها . ويقال : الجَوَامِيسُ ضأنُ البقر ، والبُخْتُ ضأنُ الإبل ، والبراذين ضأنُ الخيل ،
والجرذان ضأنُ الفأر ، والدُّدُلُ ضأنُ القنَافذ ، والنمل ضأنُ الذر . ويقول الأطباء في لحم
الماعِزِ : إنه يورث الهم ويحرك السوداء ويورث النسيان ويُجَبِّلُ الأولادَ ويُفسد
الدم ، ولحم الضأن يضر بمن يُصرَعُ من المِرةِ إضراراً شديداً حتى يصرَعَهُم في غير
أوان الصَّرَعِ . وأوان الصَّرَعِ الأَهْلَةُ وأنصافُ الشهور ؛ وهذان الوقتان هما وقت مد
البحر وزيادة الماء والدم . ولزيادة القمر إلى أن يصير بدراً أثر في زيادة الدم والدماغ
وجميع الرطوبات ؛ قال الشاعر :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عَشَوْا لِحْمِ ضَائِنٍ * فَهَمَّ بِعِجُونٍ قَدِمَالَتْ طَلَاهِمُ^(٣)

وفي الماعِزَةِ : إنها ترضع من خَلْفِهَا وهي مُحْفَلَةٌ^(٤) حتى تأتي على كل ما فيه ؛ قال
ابن أحمَرَ

(١) الصرد : البرد ، لأن المعزى لاتدأ لقله شعرها . (٢) جهوى : مكشوفة (٣) الرجل البعج :
الضعيف المشى كأنه مبعوج البطن ، وفي النسخة الألمانية : « فهم يعجون » بالياء، المناة وهو محرف .
(٤) الخلف بالكسر : حلبة الصرع . (٥) المحفلة : التي ترك حلبها أيا ما ليجتمع اللبن في ضرعها .

إني وجدتُ بني أعيًا وجاملهم * كالعنز تعطف روقها فترتضع^(٣)

وإذا رعت الضائنة والماعزة في قصير نبت لم ينبت ما تأكله الماعزة لأن الضائنة تقرضه بأسنانها والماعزة تقتلعه وتجذبه فتثره من أصله . وإذا حمل على الماعزة فحملت أنزل اللبن في أول الحمل إلى الضرع ، والضائنة لا تنزل اللبن إلا عند الولاد ، ولذلك تقول العرب «رمدت المعزى فرنق رنق» و«رمدت الضأن فربق ربق»^(٥) .
وذكور كل شيء أحسن من إناثه إلا الثيوس فإنها أقبح من الصفايا . وأصوات الذكور من كل شيء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر فإنها أجهر أصواتا من ذكورها .
قيل لأعرابي : بأي شيء تعرف حمل شاتك ؟ قال : إذا ورم حياؤها ورجت شعرتها وأستفاضت خاصرتها .

قال الأصمعي : لبي عقيل ماعزة لا ترد ، تجترى بالرطب . وقرأت في كتاب من كتب الروم : إن أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة فانظر إلى لسانها فإن الجنين يكون على لونه . وقرأت فيه أن الإبل تتحامي أمهاتها وأخواتها فلا تسفدها .
قالوا : وكل ثور أفتس^(٦) ، وكل بعير أعلم^(٧) ، وكل ذباب أقرح^(٨) . وقالوا : البعير إذا صعب وخافه الناس أستعانوا عليه حتى يُبرك^(٧) ويُعقل ثم يركبه فحل آخر فينل . والعرب تعرف

- ١٥ (١) كذا في الأصل والصحاح والذي في اللسان في مادة «رضع» : * إني رأيت بنى مهم وعزمهم *
و«أعيًا» أبو بطن من أسد كما في اللسان . (٢) الجامل قطع من الإبل معها رعيانها وأربابها .
(٣) الروق : القرن ، يريد أنهم لا يحتلبون نياقهم وإنما يرتضونها خشية أن يسمع العاقون صوت الحلب فيطلبون اللبن منهم . (٤) الترميد : أن تعظم الضروع . والترقيق : الانتظار . والمعنى أن عظم ضرع الماعزة لا يدل على قرب ولادتها . (٥) أي هي لأولادها الأرباق (جمع ربق بالكسر وهو جبل فيه عدة عرى يُشد به البهم . كل عروة ربة بالكسر والفتح) يعني أن عظم ضروع الضأن يدل على قرب ولادتها ، وهو مثل يضرب لما لا ينتظر وقوعه انتظارا طويلا على عكس المثل الأول .
٢٠ (٦) الأفتس : الذي تظلمت قصبة أنفه وانتشرت أو أنشرم أنفه في وجهه . (٧) الأعلم : المشقوق المشفر الأعلى . (٨) الأقرح : الذي بوجهه قرحة تظهر كالغرة .

البعير المُفْعَدُ بِسُقُوطِ الذَّبَابِ عَلَيْهِ . وَيَقُولُونَ : بَعِيرٌ مَذْبُوبٌ إِذَا عَرَّضَ لَهُ دَاءٌ يَدْعُو
الذَّبَابَ إِلَى السَّقُوطِ عَلَيْهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْقُصَّاصِ : مِمَّا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ الْكَبْشَ أَنْ جَعَلَهُ
مَسْتَوْرَ الْعَوْرَةِ مِنْ قُبُلٍ وَمِنْ دُبُرٍ ، وَمِمَّا أَهَانَ بِهِ التَّيْسَ أَنْ جَعَلَهُ مَهْتُوكَ السَّتْرِ
مَكشُوفَ الْقَبْلِ وَالدَّبْرِ .

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أمية عن وهب بن منبه أنه قال : كان
في مناجاة عُزَيْرٍ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ آخَرْتِ مِنَ الْأَنْعَامِ الضَّائِئَةَ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الْحَامَةَ ، وَمِنَ النَّبَاتِ
الْحَبْلَةَ ، وَمِنَ الْبَيْوتِ بَكَّةً وَإِيلِيَاءَ ، وَمِنَ إِيلِيَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَمْرَأَةَ
أَتَتْ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، إِنِّي آتَخَذْتُ غَنِمًا أَبْتغِي
نَسْلَهَا وَرِسْلَهَا وَإِنِّي لَا تَتَمُّوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَا أَلْوَانُهَا" ، قَالَتْ :
سُودٌ ، فَقَالَ : "عَفْرِي" ، وَبَعَثَ إِلَى الرُّعْيَانِ "مَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ سُودٌ فَلْيَخْلِطْهَا بِعَفْرٍ
فَإِنَّ دَمَ عَفْرَاءٍ أَزْكَى مِنْ دَمِ سَوْدَاوِينَ" . وَقَالَ : "الْغَنَمُ إِذَا أَقْبَلَتْ وَأَقْبَلَتْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ
أَقْبَلَتْ ، وَالْإِبِلُ إِذَا أَدْبَرَتْ أَدْبَرَتْ وَإِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ وَلَا يَأْتِي نَفْعُهَا إِلَّا مِنْ جَانِبِهَا
الْأَشَامِ" . وَالْأَقِطُ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْمِعْزَى ؛ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

لَنَا غَنَمٌ نُسَوِّقُهَا غِزَارٌ * كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتْهَا عِصِيٌّ
فَتَمَلَأَ بَيْتَنَا أَقِطًا وَسَمْنًا * وَحَسْبُكَ مِنْ غَنِيٍّ شَيْعٌ وَرِيٌّ

وَقَالُوا : شَيْعُ شِقَّةِ الْبَعِيرِ : لَمَّاتُهُ يُخْرِجُهَا . وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْغَنَمِ قَوْلُ مُحَارِقِ
أَبْنِ شِهَابٍ فِي تَيْسِ غَنَمِهِ :

(١) أُنْعِدَ الْبَعِيرُ : أُصِيبَ بِالْفَعْدَةِ ، وَهِيَ طَاعُونُ الْإِبِلِ . (٢) فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ "فِي مَنَاجَاةِ
عُزَيْرِ اللَّهِ إِنَّكَ . . ." وَظَاهِرٌ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ . (٣) الْحَبْلَةُ تَطْلُقُ عَلَى بَقْلَةٍ طَلِيَّةٍ مِنْ ذُكُورِ الْبَقْلِ
وَعَلَى الْكُرْمِ وَعَلَى شَجَرِ الْعِضَاهِ . (٤) بَكَّةٌ : مَكَّةُ . وَإِيلِيَاءُ : اسْمُ مَدِينَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .
(٥) الرِّسْلُ : اللَّبَنُ . (٦) عَفْرِيٌّ : مِنَ الْفَعْرِ وَهُوَ الْبَيَاضُ . (٧) الْأَشَامُ : الشَّهَالُ .

- وراحت أصيلانا كأنَّ ضروعها * دلاء وفيها واندُ القرن لبلب^(٢)
 له رعشات كالشُيوفِ وغرة^(٤) * شديخ^(٥) ولون كالوذيلة مذهب^(٦)
 وعينا أحم المقلتين وعصمة^(٧) * يواصلها دان من الظلف مكذب^(٨)
 إذا دوحة من مخرف الضال أذبلت * عطاها كما يعطو ذرى الضال قرهب^(٩)
 أبو الحور والنُز اللواتي كأنها * من الحسن في الأعناق جِزَع مُثَقَّب^(١٠)
 ترى ضيفها فيها بيت يغبطة * وضيفُ ابن قيس جائع يتحوب^(١١)
 فوفدَ ابن قيس هذا على النعمان فقال: كيف المخارق فيكم؟ قال: سيد كريم من رجل^(١٢)
 يمدح تيسه ويهجو ابن عمه. قال العجاج في وصف شاة: حمراء المُقدَّم شعراء المؤخر
 إذا أقبلت حسبتها نافرا، وإذا أدبرت حسبتها ناثرا، أي كأنها تعطس، يريد من أي
 أقطارها رأيتها وجدتها مشرقة.

١٠

- (١) واند القرن : متصبه . (٢) قال صاحب اللسان : أراد باللبب شففته على المعزى التي
 أرسل فيها فهو ذو لبلة عليها أي ذو شفقة . (٣) رعشا الشاة : زبماتها تحت الأذنين . وفي الاصل
 الفتوغرافي : غرناث وهو مخريف . (٤) جمع شنف وهو القرط ، وفي الأصل الفتوغرافي
 كالسيوف وهو مخريف . (٥) غرة شادخة وشديخ : غشت الوجه من الناصية الى الأنف .
 (٦) المرآة أو قطعة من الفضة مجلوة . (٧) العصمة : البياض في ذراعى الظبي أو الوعل .
 (٨) الظلف : ظفر كل ما أجتره ، وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها .
 (٩) مكذب : غليظ ، من الكذب وهو غلظ يد الرجل والخف والحافر واليد .
 (١٠) المخرف : الذي حان نرافه أي أقتطاف ثمره .
 (١١) من العطو وهو التناول . (١٢) القرهب من الثيران : المسن الضخم .
 (١٣) الجزع بالفتح ويكسر : الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض .
 (١٤) يتحوب : يتوجع . كذلك وردت في كتاب الحيوان ج ٥ ص ١٤٤ وفي الفتوغرافية : « يتحوب »
 ولم نجد هذا الفعل وإنما ورد الخوبة : المجاعة .
 (١٥) هكذا بالأصول ، والذي في كتاب الحيوان للمحافظ ج ٥ ص ١٤٠ « سيد شريف يمدح » الخ
 بدون من رجل .

٢٠

قال الأصمعي: قال أعرابي يهزأ بصاحبه: اشتري لي شاة فقهاء كأنها تضحك، مندلقة^(٢) خاصرتها، لها ضرع أرقط كأنه جيب، قال: فكيف العطل؟ قال: أتى لهذه عطل! العطل: العنق. يقول: من سمنها يحسب أنه لا عنق لها.

ومما تقوله العرب على السنة البهائم. قالت الضائنة: أولد رُخالا وأجر جُفالا وأحلب كُنبًا ثقالا ولم ترمثي مالا حُفالا^(٤). تقول: أجز مرة وذلك أن الضائنة إذا جرت لم يسقط من صوفها شيء إلى الأرض حتى يوتى عليه؛ والكُنب جمع كُنبه وهي الدفعة من اللبن، تقول: أحلب دُفعا ثقالا من اللبن، وذلك لأن لبنها أدسم وأخثر من لبن المعز فهو أثقل.

السباع وما شاكلها

يقال: إنه ليس شيء من السباع أطيب أفواها من الكلاب، ولا في الوحوش أطيب أفواها من الطباء. ويقال: ليس شيء أشد بئرا من أسد وصقر، ولا في السباع أسبع من كلب. وليس في الأرض فحل^(٥) من جميع أجناس الحيوان لذكركه حجم ظاهر إلا الإنسان والكلب. والأسد لا يأكل الحار ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض وكذلك أكثر السباع. وتقول الروم: إن الأسد يدع بصوت الديك ولا يدنو من المرأة الطامث^(٨). والأسد إذا بال شغركا يشغركا^(٩) وهو قليل الشرب للماء، وتجوّه

(١) الفقم: تقدم الثنايا العليا. (٢) في الأصل الفتوغرا في مندلقة بالذال المعجمة والفاء وفي الألمانية «مندلقة» بالذال المعجمة والقاف. ولعل الصواب ما أبتناه؛ والاندلاق: الأسترخا. (٣) الرخال: جمع رخل بالكسر وبها. وككنف: الأثني من ولد الضان. (٤) الحفال كغراب: العظيم. (٥) كذا في المقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٦ وهي أنسب بالسياق. وفي الأصلين: «الكلب». (٦) كذا في المقد الفريد وفي الأصلين: «المحوضة». (٧) كذا في النسخة الألمانية، وفي الفتوغرافية: من صوت «الذئب». وعبارة الدميري «يفزع من صوت الديك وتقر الطست». (٨) من الطمث وهو الحوض، وعبارة الدميري «ولا يدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد». (٩) شغركا: رفع إحدى رجليه بال أولم ييل.

يشبه نجو الكلب ، ودواء عَضَّتْه دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْب . وقالوا : العيون التي تضيء بالليل عيون الأسد والثور والسنابير والأفاعي . والعرب تقول هو «أحمق من جَهِيْزَة» وهي الذئبة لأنها تدع ولدها وتُرضع ولد الضبع . ويقولون : الضبع إذا صيدت أوقلت آل الذئب أولادها وأناها باللحم ؛ قال الكميّ :

كما خامرت في بيتها أم عامر^(١) * لدى الحبل حتى عال أوس^(٢) عيالها^(٣)

أوس : الذئب .

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع في قيئها : الأسد والكلب والسنور ، ويقال : الضب أيضا . وأمراض الكلاب ثلاثة : الكلب وهو جنون ، والذئبة والنقرس . والعرب تقول : دماء الملوك شفاء من عَضَّة الكَلْب الكَلْب والجنون والحبل ؛ قال الفرزدق :

من الدارميين الذين دماؤهم * شفاء من الداء المجنة والحبل

ويبلغني عن الخليل بن أحمد أنه قال : دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْب الذراريح^(٤) والعدس والشراب العتيق يصنع ؛ وقد ذكر كيف صنّعه وكُم يشرب منه وكيف يتعالج به ، والكَلْب الكَلْب إذا عض إنسانا فر بما أحاله نبأحا مثله ثم أحبله وألقحه بأجر صغار^(٥) تراها علقا في صور الكلاب .

(١) أم عامر : كنية الضبع .

(٢) الحبل على هذه الرواية حبل الرمل وروى «لدى الحبل» والمراد بذى الحبل الصائد الذي يعلق الحبل في عرقوب الضبع .

(٣) كذا في الأصلين وفي لسان العرب في مادة عال . وأورده صاحب اللسان أيضا في مادة أوس :

غال أوس بالفتن المعجمة وقال في تفسيرها : يعني أكل جراًها .

(٤) الذراريح جمع ذروح وهي دويبة حراء . منقطة بسواد أعظم من الذباب شيئا .

(٥) جمع جرر .

قال أبو اليقظان : كان الأسود بن أوس بن الحجرة أتى النجاشي فعلمه دواء الكلب، فهو في ولده الى اليوم. فمن ولده المجل، وقد داوى المجل عتيبة بن مرداس فأخرج منه مثل جراء الكلاب علقًا، قال ابن فسوة حين برأ :

ولولا دواء ابن المجل وعلمه * هررت اذا ما الناس هرر كلبها
وأخرج بعد الله أولاد زارِع * مَوْلَعَةٌ ^(٤) أَكْتَأُهَا ^(٣) وَجُنُوبُهَا ^(٢)

الكلب : جمع كلب على غير قياس مثل عبد وعبيد .
وعص رجلا من بني العنبر كلب كلب فبال علقًا في صور الكلاب، فقالت امرأته :
أبالك أدرأصًا وأولاد زارِع * وتلك لعمري نُهية المتعجب

ويزعمون أنه يطلب الماء أشد طلب، فاذا أتوه به صاح عند معاينته : لا أريد
لا أريد، أو شيئًا في معنى ذلك . قالوا : وتام حمل الكلبة ستون يومًا، فإن وضعت
في أقل من ذلك لم تكد أولادها تعيش . وإناث الكلاب تحيض في كل سبعة أيام،
وعلاوة ذلك أن يرم نقر الكلبة ولا تُريد السفاد في ذلك الوقت . وذكور السلوقية
تعيش عشرين سنة، والإناث تعيش اثنتي عشرة سنة . وليس يلقى الكلب شيئًا من
أسنانه سوى النابين .

قالوا : وعلاوة سرعة الكلب أن يطول ما بين يديه ورجليه ويكون قصير الظهر،
ويوصف الكلب بصغر الرأس وطول العنق وغلظها وإفراط الغضف ^(٨) وزرق العينين

(١) ابن فسوة كنية عتيبة بن مرداس، وظاهر ما في الأصل أن البتين لعتيبة نفسه ولكن المؤلف
في كتابه الشعر والشعراء قال : فقال فيه الشاعر، ثم ساق البتين . (٢) زارع : اسم كلب، ومنه
قيل للكلاب أولاد زارع . (٣) التوليع أن يكون في الدابة ضروب من الألوان .
(٤) في النسخة الألمانية : « أكتأها » . (٥) جمع درص — بالفتح ويكسر — وهو ولد القنفذ
والأرب واليربوع والقارة والهرة ونحوها . (٦) في النسخة الفنوغرافية « وأيام » .
(٧) الثفر — بالفتح وبضم — للباع والمخالب كالحيا للناقة . (٨) الغضف : استرخاء الأذن .

وعظم المقلتين وطول الخطم مع اللطافة وسعة الشدقين وتواء الحدقة وتواء الجبهة وعرضها، وأن يكون الشعر الذي تحت حنكه طاقةً طاقةً ويكون غليظاً، وكذلك شعر خديه، ويكون قصير اليدين طويل الرجلين عريض الظهر طويل الصدر، في ركبته أنحاء . ويكره للذكور طول الأذنان . ومن علامة الفراهة التي لا تكاد تخلف أن يكون على ساقيه أو على أحدهما أو على رأس الذنب مخضبٌ ، وينبغي أن يُقطع من الساقين . وسود الكلاب أعقرها، ولذلك أمر بقتلها .

قالوا : وإذا هريم الكلب أُطعم السمن مراراً فإنه يعود كالشباب ، وإذا حنى دهن آسته وأجم^(١) ومسح على يديه ورجليه القطران . وإذا بلغ أن يشغر فقد بلغ الإلقاح . والكلب من الحيوان الذي يحتلم . قالوا في الكلبة : إنه يسفدها كلب أسود وكلب أبيض وكلب أصفر فتؤدى الى كل سافد شكله وشبهه .

فقد جماعة من أصحابنا يعدون ما جاء في الكلب من الأمثال فحفظت منه : «الأم من كلب على عرق»^(٢) و«أجع كلبك يتبعك» و«نعيم كلب في بؤس أهله» و«أسمن كلبك يا كلك» و«أحرص من كلب على عقي صبي»^(٤) و«أجوع من كلبة حومل»^(٥) و«أبول من كلب» و«جلس فلان مزبجر الكلب» و«الكلاب على [البقر]» و«الكلب أحب أهله اليه الظاعن» و«هو كالكلب في الأذى لا يعتلف ولا يدع الدابة تعتلف» .

(١) كذا في الأصل الفئوغرافي، وفي النسخة الألمانية : «أرجم» . وأجم : ترك ليستعيد قوته .

(٢) في الأصلين : «قالوا وفي الكلبة» وظاهر أن الواو زائدة .

(٣) العرق : العظم أكل لحمه ، أو العظم بلحم .

(٤) العيق : أول حدث الصبي .

(٥) الزيادة من جمع الأمثال ، وهو مثل يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة .

الذئب

الذئب إذا سفد الذئبة فالتحم القرجان وهجم عليهما هاجم قتلها كيف شاء، إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك، لأن الذئب إذا أراد السفاد توخى موضعا لا يطؤه أنيس خوفا على نفسه . وتقول الروم: إن الذئب إذا نهش شاة ثم أفلتت منه طاب لحمها وخف وسلمت من القردان . قالوا : والذئب إذا رأى إنسانا قبل أن يراه الإنسان أبح الذئب صوت ذلك الإنسان . وقالوا : في طبع الذئب محبة الدم، ويبلغ به طبعه أنه يرى الذئب مثله قد دمي فيثب عليه فيمزقه؛ قال الشاعر :
 وكنت كذئب السوء لما رأى دما * بصاحبه يوما أحال على الدم^(١)

قالوا : والفرس إذا وطئ أثير الذئب ثقلت قائمته التي وطئ بها . وفي كتاب علي رضي الله عنه إلى ابن عباس: لما رأيت العدو على ابن عمك قد حرب، والزمان قد كلب، قلبت لابن عمك ظهر المحجن بفراقه مع المفارقين، وخذلانه مع الخاذلين، وأختطفت ما قدرت عليه من الأموال آختطاف الذئب الأزل^(٢) دامية المعزى . ويقولون : إن الذئب ربما نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى؛ وقال حميد بن ثور:
 ينام بإحدى مقلتيه ويتقى * بأخرى المنايا فهو يقظان^(٣) هاجع^(٤)

والذئب أشد السباع مطالبة، وإذا عجز عوى عواء استغاثة قسامت الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله؛ وليس شيء من السباع يفعل ذلك .

(١) هو الفرزدق (راجع ص ٢٦ من ديوانه طبع باريس سنة ١٨٧٠) .

(٢) أحال على الدم : أقبل عليه .

(٣) الذئب الأزل : الأرمع (الخفيف الوركين) يتولد بين الضبع والذئب .

(٤) في العقد الفريد وغيره :

* بأخرى الأعادي فهو يقظان نام *

الفيل

قالوا: لسان الفيل مقلوب طَرَفُهُ إلى داخل . والهند تقول: لولا أن لسانه مقلوبٌ لتكلم . والفيل إذا ساء خُلِقَهُ وَصَعِبَ عَصَبُ^(١) عَصَبُوا رجليه فسكن . وليس في جميع الحيوان شيء لذكوره ثدى في صدره إلا الإنسان والفيل . والفيل المغتلم إن سمع صوت خنوص من الخنازير ارتاع ونفر . والفيل يفرع من السنور . وتزعم الهند أن نأبى الفيل هما قرناه يخرجان مستبطين حتى يخرقا الحنك ويخرجا أعقفين . وقال صاحب المنطق : ظهر فيل عاش أربعائة سنة . وقال حدثني شيخ لنا قال : رأيت فيلا أيام أبي جعفر قيل : إنه سجد لسابور ذي الأكتاف ولأبي جعفر ، والفيلة تضع في سبع سنين .

الفهد

قالوا: السباع تشبه رائحة الفهد ، فإذا سمن الفهد عرف أنه مطلوب وأن حركته قد ثقلت فأخفى نفسه حتى ينقضى الزمان الذي تسمن فيه الفهود . ويعتري الفهد داء يقال له خائفة الفهود ، فإذا اعتراه أكل العذرة فبراً . والوحشي المسمن منها في الصيد أنفع من الجر والمرب^(٢) .

الأرنب

قالوا : الأرنب تحيض ولا تسمن إلا بزيادة اللحم . وقضيب الذكر من الأرنب ربما كان من عظم ، وكذلك قضيب الثعلب . والأرنب تنام مفتوحة العين . وإنفحة الأرنب إذا شربتها المرأة من بعد أن تطهر من المحيض منعت من الحمل . والكاف^(٣) إن طلي بدم الأرنب أذهب .

٢٠ (١) بالأصلين : « وضعف » وظاهر أن ما أثبتناه هو الذي يلائم السياق . (٢) المرثب : الذي يربونه لأن الجر ويخرج نجاً ويخرج المسن على أناديب صجورا غير نجب . كذا في كتاب الحيوان للمجاهد (ج ٦ ص ١٦٠) . (٣) الكلف بالتحريك : شيء يعلو الوجه كالسهم ويعرف بالشمس .

القرود والدَّب

قال : حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدثني سلم بن قتيبة عن هشام عن حصّين وأبي بلج عن عمرو بن ميمون قال : زنت قرودة في الجاهلية فرجمها القروود ورجمها معهم ، قالوا : وليس شيء يجتمع فيه الزواج والغيرة إلا الإنسان والقرود ؛ قالوا : والدبّيسم جرو الدبّ تضعه أمه وهو كقدره لحم فتهرب به في المواضع العالية من الذر والنمل حتى تستد أعضاءه .

مصايد السباع العادية

السباع العادية : تُصطاد بالزبي والمغويات^(١) وهي آبار تُحفر في أنساز الأرض^(٢) ، فلذلك يقال : قد «بلغ السيل الزبي»^(٣) ، قال صاحب الفلاحة : ومما تُصاد به السباع العادية أن يؤخذ سمك من سمك البحر الجبار السمان فتقطع قطعاً ثم تُسرح ثم تُكَلُّ كُكلاً ثم تُوجج نار في غائط^(٤) من الأرض يقرب فيه السباع ثم تقذف تلك الكُل في النار واحدة بعد واحدة حتى ينتشر دخان تلك النار وقنار تلك الكُل في تلك الأرض ثم تُطرح حول تلك النار قطعاً من لحم قد جعل فيها الحريق الأسود والأفيون وتكون تلك النار في موضع لا تُرى فيه حتى تُقبِل السباع لريح القنار وهي آمنة فتأكل من قطع اللحم ويغشى عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاءوا .

(١) المغويات بفتح الواو مشددة : جمع المغواة وهي حفرة كالزبية تحضر للأسد .

(٢) أنساز جمع نسر وهو المكان المرتفع .

(٣) الزبي جمع زبية وهي الزابية لا يعلوها ماء ، وهي كذلك حفرة للأسد .

(٤) الغائط : المطنن الواسع من الأرض .

(٥) القنار : ریح الشواء .

(٦) الحريق بكسر الهمزة : نبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله .

النَّعَام

قالوا في الظلم : إن الصيف إذا أقبل وأبتدأ البسر في الحمرة أبتدأ لون وظيفه^(١)
بالحمرة ولا يزالان يتلونان ويزدادان حمرة إلى أن تنتهي حمرة البسر، ولذلك قيل له :
خاضب . وفي الظلم : إن كل ذي رجلين إذا أنكسرت إحدى رجله قام على الأخرى
وتحامل على ظلع غيره فإنه إذا أنكسرت إحدى رجله جثم ، ولذلك قال الشاعر
في نفسه وأخيه :

فإني وإياه كرجلي نعامة * على ما بنا من ذي غني وفقير

يقول : لا غنى بواحد منا عن الآخر . وقال آخر :

إذا أنكسرت رجل النعامة لم تجد * على أختها نهضا ولا باستها حبوا^(٢)

قالوا : وعلّة ذلك أنه لا تخ له في ساقه ، وكل عظم فهو ينجر إلا عظام لا تخ فيه ،
وزمانح^(٤) الشاء لا تنجر ، قال الشاعر :

أجدك لم تطلع برجل نعامة * ولست بنهاض وعظمك زنجر^(٥)

أي أجوف لا تخ فيه . والظلم يغتذي المرؤ والصخر فتذيه قانصته بطبعها حتى
يصير كالماء ، قال ذو الرمة يذكره :

(١) الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها والجمع أوظف ووظف .

(٢) في العقد الفريد : ولا دونها صبرا .

(٣) كذا في حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤٢٠) وفي الأصل : «جبرا» .

(٤) الزمانح جمع زنجر وهي كل عظم أجوف لا تخ فيه .

(٥) القوانص للطير كالمصارين وغيرها .

ألهاء آء وتَّسومٌ وعَقْبَتُهُ ^(٣) * من لائح المَرُو والمَرَعَى له عَقْبٌ ^(١)

قال أبو النجم :

والمَرُو يُلْقِيهِ إِلَى أَمْعَائِهِ * فِي سَرَطِمٍ هَادٍ عَلَى التَّوَائِهِ ^(٤)

والظلم يبتلع الجمرة وربما ألقى الحجر في النار حتى إذا صار كأنه جمرة قذف به بين يديه فيبتلعه وربما أبتلع أوزان الحديد . وفي النعامة إنها أخذت من البعير المنسجم والوظيف والعنق والخزامة ؛ ومن الطائر الريش والجناحين والمنقار فهو لا يعير ولا طائر ؛ وقال أوس بن حجر :

وَتَنَهَى ذَوَى الْأَحْلَامِ عَنِّي حُلُومَهُمْ * وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ الْمَخْزَمِ

جعله مخزما للخرقين اللذين في عرض أنفه في موضع الخزامة من البعير . قال

يحيى بن نوفل :

ومثل نعامة تُدْعَى بِعَيْرًا * تُعَاصِينَا إِذَا مَا قِيلَ طَيْرِي ^(٥)
فإن قيل أحمل قالت فإني * من الطير المُرَبَّةِ فِي الْوُكُورِ ^(٦)

وتقول العرب في المثل : هذا «أموق من نعامة» وذلك أنها ربما خرجت لطلب الطعم فمزت بيض نعامة أخرى فحضنته وتركت بيضها ؛ ولذلك قال الشاعر وهو

أبن هرمة :

(١) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . (٢) قال ابن سيده : النوم : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ، ويتفلق من حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الوراق ، وواحدة تنومة . (٣) قال في اللسان : وعقبة المشاة في المرعى أن ترعى الخلة عقيبها ثم تتحول إلى الخض ، فالخض عقيبها ، وكذلك إذا تحولت من الخض إلى الخلة ، فالخلة عقيبها . (٤) السرطيم : البلعوم . (٥) كذا في حياة الحيوان للدميري . وفي الأصل «تعاظمها» . (٦) المربة :

المقبية ؛ وفي حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤١٨) «المرقة» .

وإني وتركي ندى الأكرمين * وقدحى بكفى زندا شحاها
كتاركة بيضا بالعراء * وملبسة بيض أخرى جناحا

وقال سہم بن حنظلة :

إذا ما لقيت بني عامر * رأيت جفاء ونوكا كبيرا^(١)
نعام تمد بأعناقها * ويمنعها نوكها أن تطيرا

ويضربُ بها المثل في الشراء والنفاة؛ قال بشر بن أبي خازم :

وأما بنو عامر بالنسار^(٢) * فكانوا غداة لقونا نعاما

يريد: مروا منهزمين . وربما حضنت النعامة أربعين بيضة أو نحوها وأخرجت

ثلاثين رأيا؛ قال ذو الرمة :

كأنه خاضب بالسبي^(٣) مرتعة^(٤) * أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب

والبواقى من بيضا الذى لا تنقفه^(٥) يقال لها : الترائك . وأشد ما يكون الظلم عدوا
إذا استقبل الريح لأنه يضع عنقه على ظهره ثم يخرق الريح وإذا استدبرها كبته من
خلفه . والنعامة تضع بيضا طولا ثم تغطيها كل بيضة بما يصيدها من الحزن ؛
قال ابن أحر :

* وُضِعْنَ وَكُلُّهُنَّ عَلَى غِرَارِ *

وقال آخر :

* عَلَى غِرَارٍ كَأَسْتَوَاءِ الْمَطْمَرِ *

(١) النوك : الحق . (٢) النسار : موضع ، وقيل : هو ماء لبني عامر ، ومنه يوم النصار لبني أسد
وذبيان على جشم بن معاوية . (٣) كذا في الأصل الفتوغرافي . وفي لسان العرب في مادة « خضب »
« أذاك أم خاضب ... الخ » وهي رواية الديوان ، يعنى : أذاك الثور الذى وصفته يشبه ناقى في سرعتها
أم ظلم هذه صفته . (٤) السبي : الفلاة . (٥) نفقت النعامة البيضة : نقبتها وأستخرجت ما فيها .

والمِطْمَر خِيطُ البِنَاءِ، إلا أن ثعلبة بن صَعِير خالف ذلك فقال يذكر الظليم
والنعامة :

فَدَتَرَ^(١) ثَقْلًا رَثِيدًا بَعْدَ مَا * أَلْقَتْ ذُكَاؤُ^(٢) يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ

والرثيد : المنضود بعضه على بعض . قالوا : الوحش في الفلوات ما لم تعرف

الإنسان ولم تره لا تنفر منه إذا رأته خلا النعام فإنه شارد أبداً؛ قال ذو الرمة :

وَكَلَّ أَحْمَ^(٣) المَقْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ * أَخُو الْإِنْسِ مِنْ طَوَّلِ الْخَلَاءِ الْمَغْفَلِ^(٤)

يريد : أنه لا ينفّر من الناس لأنه في خلاء ولم ير أحداً قبل ذلك . وقال الأحيمر

السعديّ : كُنْتُ حِينَ خَلَعْنِي قَوْمِي وَأَطَّلَ السُّلْطَانَ دَمِي وَهَرَبْتُ وَتَرَدَدْتُ فِي الْبُؤَادِي

ظَنَنْتُ أَنِي قَدْ جُرْتُ نَحْلَ وَبَارٍ أَوْ قَرِيبٍ مِنْهَا، وَذَلِكَ أَنِي كُنْتُ أَرَى النَّوْيَ فِي رَجْعِ

الذئاب وكنت أغشى الظباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر مني؛ لأنها لم تر أحداً

قبل وكنت أمشي إلى الظبي السمين فأخذه، وعلى ذلك رأيت جميع تلك الوحوش

إلا النعام فإنه لم أره قط إلا نافرًا فرّعا .

الطير

قال حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا أبو عتّاب قال حدثنا طلحة بن يزيد الشاميّ

عن بَقِيَّةِ بن الوليد عن عبد الله بن أبي كبشة عن أبيه قال : كان النبيّ عليه السلام

يُعْجِبُهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْأُتْرُجِ وَإِلَى الْحَمَامِ الْأَحْمَرِ .

حدثني الرياشيّ قال : ليس شيء يغيبُ أذناه إلا وهو يبيض؛ وليس شيء يظهر

أذناه إلا وهو يبلد، وروى ذلك عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

(١) الثقل بالتحريك : مناع المسافر وحشيه . (٢) ذكاؤ : هي الشمس ، والكافر هو

الليل ، من الكفر وهو السر والغطية ، يريد أنهما تذكرتا متاعهما بعد الغروب . (٣) أحم :

أسود . (٤) المغفل : المجهول ، وفي الأصلين «المعقل» والتصويب عن الديوان .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن جريح قال ابن شهاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أربع لا يُقتان النملة والنحلة والهُدُود^(١) والصدرد". بلغني عن مكحول قال : كان من دعاء داود النبي عليه السلام : يا رازق النَّعَابِ في عُشِّه . وذلك أن الغراب إذا قَقَصَ عن فراخه خرجت بيضا فإذا رآها كذلك نقر عنها فتفتح أفواهها ويُرسِلُ الله لها ذبابا فيدخل في أجوافها فيكون غذاءها حتى تسرد ، وإذا أسودت عاد الغراب فغذاها ويرفعُ الله عنها الذباب .

قال حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن عباد عن الوليد بن كثير عن عبد الملك ابن يحيى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تطرقوا الطير في أوكارها فإن الليل أمانُ الله" .

حدثني أبو سفيان الغنوي عن معاوية بن عمرو عن طلحة بن زيد عن الأحوص ابن حكيم عن خالد بن معدان عن رجل من الأنصار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الذئب الأبيض صديق و صديق صديق وعدو عدو الله يحرس دار صاحبه وسبع أدور"^(٢) . وكان النبي عليه السلام يبيته معه في البيت .

قالوا : الطير ثلاثة أضرب ، بهائم الطير وهو ما لقط الحبوب والبزور ، وسباع الطير وهي التي تغتذي اللحم ، والمشارك وهو مثل العصفور يشارك بهائم الطير في أنه ليس بذئ مخلب ولا منسير وإذا سقط على عود قدم أصابعه الثلاث وأخر الدائرة . وسباع الطير تهم إصبعين وتؤخر إصبعين ويشارك سباع الطير بأنه يلقم فراخه ولا يزق وأنه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والنمل .

(١) الصدرد : طائر أبيض البطن أخضر الظهر ضمن الرأس والمنقار له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير ويكنى بأبي كثير . (٢) هذا الحديث موضوع وقد نبه عليه ابن الجوزي وملا على القاري في موضوعاتها (راجع موضوعات ملا على القاري ضمن مجموعة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٤ حديث) .

قالوا: والعصفور شديد الوطء، والفيل خفيف الوطء، والورشان^(١) يصرع في كل شهر مرة. قالوا: وأسوأ الطير هداية الأسود، والأبيض لا يجيء من الغاية لضعف قوته وأجودها هداية الغبر والتمر.

قال صاحب الفلاحة: الحمام يعجب بالكمون ويألف الموضع الذي يكون فيه الكمون، وكذلك العدس ولا سيما إذا أُنقعا في عصير حلوه. ومما يصالحن عليه ويكثرن أن تدخن بيوتهن بالعلك، وأسلم مواضعها وأصلحها أن يُبنى لها بيت على أساطين خشب ويُجعل فيه ثلاث كوى: كوة في سَمك البيت وكوة من قِبَل المشرق وكوة من قِبَل المغرب، وبابان من قِبَل مَهَبِ الجَنوب. قال: والسذاب^(٢) إذا أُلقي في البرج تحامته السناير البرية.

حدثني ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن أبي المنذر هشام بن محمد قال: حدثني الكلبي أن أسماء كائن^(٣) نوح إذا كُتبت في زوايا بيت حمام نمت الفروخ وسلمت من الآفات. قال هشام: قد جرّبته أنا وغيري فوجدته كما قال أبي. قال: وأسم امرأة سام بن نوح «محلث محو»، واسم امرأة حام «أذنف نشا»، واسم امرأة يافث «زذقت نبث».

قالوا: وأمراض الحمام أربعة: الكجَاد^(٥) والخنان^(٦) والسَلُّ^(٧) والقُمَّل^(٨)، فدواء الكجَاد الزعفران^(٩) والسكر الطبرزد^(١٠) وماء الهندباء^(١١) يُجعل في سكرجة^(١٢) ثم يُمجج في حلقه قبل أن يلتقط شيئاً.

(١) في الأصلين: الغابة، والتصويب عن كتاب الحيوان للمباض. والغاية الموضع الذي يرسل إليه الحمام المذب على إبلاغ الرسائل. (٢) السذاب: اسم نبات له خواص وطبائع ذكرها ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٣ ص ٥). (٣) الكائن: جمع كنة بالفتح، وهو جمع نادر، كأنهم توفوا فيه فعيلة ونحوها مما يكثر على فاعل. والكنة امرأة الأبن أو الأخ. (٤) عبارة العنق الفريد (ج ٣ ص ٣٥٥) واسم امرأة سام بن نوح «محلث محم» واسم امرأة حام «نفا» واسم امرأة يافث «فار». (٥) الكجَاد كغراب: وجع الكبد. (٦) الخنان: داء يأخذ الطير في حلقها. (٧) الطبرزد: السكر الأبيض الصلب. (٨) الهندباء: بقل معروف يؤكل، له مضار ومنافع ذكرها ابن البيطار في مفرداته، وداود الأنطاكي في تذكرته. (٩) السكرجة: الصفحة.

ودواء الخنكان أن يُلين لسانه يوماً أو اثنين بدهن البنفسج ثم بالرماد والملح وكذلك
 بهما حتى تنسلخ الجلدة العليا التي غشيت لسانه ثم يُطلى بعسلٍ ودهن ورد حتى يبرأ .
 ودواء السَّل أن يُطعم الماش^(١) المقشور ويُمجج في حلقه لبن حليبٍ ويُقطع من وظيفيه
 عرقان ظاهران في أسفل ذلك مما يلي المفصل . ودواء القمل أن تُطلى أصول ريشه
 بالزيت^(٢) المخلوط بدهن البنفسج ، يُفعلُ به ذلك مراراً حتى يسقط قملُه ، ويكنس مكانه
 الذي يكون فيه كنسا نظيفاً .

قالوا : والطير الذي يخرج من وكرة بالليل البومة والصدى والهامة والضوع^(٣)
 والوطواط والخفّاش وعراب الليل . قالوا : إذا خرج فرخ الحمامة نفخ أبواه في حلقه
 الريح لتتسع الحوصلة من بعد استحمامها وتثنيق^(٤) ، فإذا آتست زقاه عند ذلك اللعاب
 ثم زقاه سورج أصول الحيطان ليذبغاً به الحوصلة ، ثم زقاه بعد الحب .

قال المثنى بن زهير : لم أر شيئاً قط في رجل وأمرأة إلا وقد رأيتَه في الحمام ،
 رأيت حمامة لا تريد إلا ذكراً ، ورأيت حمامة لا تمتنع شيئاً من الذكور ، ورأيت
 حمامة لا تزيف^(٥) إلا بعد شدة طلب ، ورأيت حمامة تزيف للذكر ساعة يطلبها ،
 ورأيت حمامة وهي تُمكن آخر ماتعدوه ، ورأيت حمامة تقمط حمامة ، ورأيت حمامة
 تقمط الذكر ، ورأيت ذكراً يقمط الذكر ، ورأيت الذكر يقمط مالتى ولا يزوج ،
 ورأيت ذكراً له أنثيان يحضن مع هذه وهذه ويزق [مع] هذه وهذه .

(١) الماش : حب مدور أصفر من الحمص أسمر اللون يبيل إلى الخضرة يؤكل مطبوخاً وأجوده الهندي
 ثم اليمنى وأردؤه الشامي . (٢) الزيت بالنون : دهن الياسمين . وفي النسخة الألمانية « الزيت » بالياء .
 (٣) الضوع : طائر من طير الليل ، قيل هو الكروان ، وقيل هو ذكر البوم . (٤) كذا بالأصلين ،
 ولعله « الصاروج » وهو الكلس تبنى وتطلى به حيطان البيت . وفي « كتاب الحيوان » للمبالحظ (ج ٣ ص ٤٧)
 « فإكلان من صروح الحيطان وهي شئ . بين الملح والحض وبين التراب الخالص فيزقان الفرخ... الخ » .
 (٥) في اللسان : الحمامة تزيف بين يدي الحمام الذكر ، أي تمشى مدلة . (٦) الزيادة عن
 « كتاب الحيوان للمبالحظ » .

البيض

قالوا : والبيض يكونُ من أربعة أشياء : منه ما يكونُ من السفاد؛ ومنه ما يكونُ من التراب؛ ومنه ما يكونُ من نسيم الريح يصل إلى أرحامها؛ ومنه شيء يعترى ^(١) المحجل وما شاكلة في الطبيعة، فإن الأثني منه ربما كانت على سُقَالَةِ الريح التي تهبُّ من شقِّ الذكر في بعض الزمان فتحتشي من ذلك بيضا، وكذلك النخلة تكون يجنب ^(٢) الفحال وتحت ريمه فتلقح بتلك الريحة وتكتفى بذلك، والدجاجة إذا هيرمت لم يكن لبيضها ملح، وإذا لم يكن للبيضة ملح لم يُخلق فيها فرخ، لأنه لا يكون له طعام يغذوه، والفرخ والفتروج يُخلقان من البياض وغذاؤهما الصفرة، وإذا باضت الدجاجة بيضتين في اليوم كان ذلك من علامات موتها، والطار إذا تُنف ريشه آحتبس بيضه وإذا سمع صوت الرعد الشديد .

الخفّاش

قالوا: عجائب الخفّاش ^(٣) أنه لا يبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة وتجبُّ وتلد وتبيض وتضع وتطير بلا ريش، وتحمّل الأثني ولدها تحت جناحها وربما قبضت عليه بنفها خوفا عليه، وربما ولدت وهي تطير. ولها أذنان وأسنان وجناحان متصلان برجليها، وأبصارها تصح على طول العمر، وإنما يظهر في القمر منها المسنات، وقال بعض الحكماء : الخفّاش فأر يطير .

(١) المحجل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالفقار والرطلين ويسمى دجاج البر . (راجع حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٢٨٤) .
 (٢) الفحال : ذكر النخل خاصة .
 (٣) الخفّاش مشتق من الخفش وهو ضعف في البصر، وضيق في العين، وقيل : هو فساد في جفن العين وأحرار تضيق له العيون من غير وجع ولا فرح .

الْحُطَّافُ وَالزُّرْزُورُ

قالوا : الحُطَّافُ^(١) والزُّرْزُورُ^(٢) يتبعُ الربيعَ حيثُ كان . قالوا : وتُقَلَعُ إحدى عينيه فترجعُ . والزُّرْزُورُ لا يمشي ومتى وقع بالأرض لم يَسْتَقِلَّ^(٣) وأخذ ، وإنما يُعَشِّشُ في الأماكن المرتفعة فإذا أراد الطيران رمى بنفسه في الهواء فطار ، وإذا أراد أن يشربَ الماءَ أنقضَ عليه فشرب منه اختلاسا من غير أن يسقطَ بالأرض .

العُقَابُ وَالْحِدَاةُ

قالوا : العُقَابُ تبيض ثلاث بيضات في أكثر حالاتها فإذا فرخت غدت آسنة وواعدت عنها واحدا فيتعهد فرخها طائر يقال له : كاسر العظام^(٤) ، ويندوه حتى يكبر ويقوى . وقال صاحب الفلاحة : العُقَابُ وَالْحِدَاةُ يتبدلان فتصير العُقَابُ حِدَاةً وَالْحِدَاةُ عُقَابًا ، قال : وكذلك الأرنبُ^(٥) تبديل فيصير الذكر منها أنثى وتصير الأنثى ذكرا . قال صاحب المنطق : العُقَابُ إذا أشتكت كبدها من رفعها الثعلب والأرنب في الهواء وحطها لذلك وأشباهه تعالجت بأكل الأجداد حتى تبرأ .

(١) الحطاف : العصفور الأسود ، وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة .

(٢) الزرزر بضم الزاي : طائر من نوع العصفور سمي بذلك لزرزرتة أي تصويته .

(٣) أي لم ينض .

(٤) كاسر العظام : طائر يسمى « المكفة » لأن العقاب لما كانت سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات فتخرج فراخها وتلق واحد منها فيأخذه هذا الطائر الذي يتكلف به . (راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٣٨٧) .

(٥) في الأصلين « يتبدلان » .

الغراب

الغرابان لا تقرب النخل المواقير وإنما تسقط على النخل المصرومة فتلقط ما يسقط^(٢)
من التمر في القلبة وأصول الكرب^(٤). وعلى إناث الغرابان الحصن وعلى الذكور أن تأتي
الإناث بالطعم * والإوزة دون الذكر * والغرابان أكرم شيء للسفاد .^(٥)

القطا

قالوا : والقطا لا تضع بيضها أبدا إلا أفرادا، قال أبو وجزة :
وهن ينسبن وهنأ كل صادقة * باتت تباشر عرما غير أزواج^(٦)
الحيوان الذي لا يصلح شأنه إلا برئيس أو رقيب : الناس، والغرائيق^(٨)، والكراكي
والنحل، فأما الإبل والبقر والحمر فتتخذ رئيسا من غير رقيب .

باب مصائد الطير

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يمتال للطير والدجاج حتى يتحيرن ويغشي
عليهن حتى يصيدهن عمدا إلى الخلتيت فدافه بالماء ثم جعل في ذلك الماء شيئا^(٩)
من عسل ثم ألقه فيه برأ يوما وليلة ثم ألقى ذلك البر للطيور فإنها إذا التقطته تحيرت

(١) النخل المواقير: الكثيرة الحمل . (٢) المصرومة من صرم النخل إذا جره وقطعه . (٣) القلبة
جمع قلاب وهو شحمة النخل وله أو أجود خوصه . وفي التهذيب : القلب بالضم : السعف (يريد النخل أو ورقه)
الذي يطلع من القلب (راجع شرح القاموس مادة «قلب») . (٤) الكرب بالتحريك : أصول السعف
الغلاظ العراض . (٥) وردت هذه الجملة في الأصلين هكذا ولا علاقة لها بالسياق . ولعلها زائدة
من النسخ . (٦) كذا في الأصلين ، وفي اللسان في مادة «عرم» وفي كتاب الحيوان للمجاط
(ج ٥ ص ١٦٦) : ما زلن . (٧) العرم : بيض القطا . (٨) الغرائيق : الذكور من طيور
الماء سود وقيل بيض وهي في قدر البط . (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢١٥) . (٩) الخلتيت :
صمغ الأنجوزان يفتح الهمزة وضم الجيم وهو نبات أسود وأبيض وأصلا أنماط من الإصبع يتفرع كثيرا وله
قرون كقرون اللوربياء فيها بذر كالعدس أسود حار وأبيض لطيف

وغشي عليها فلم تقدر على الطيران إلا أن تُسقى لبنا خالطه سمن^١. قال : وإن عُمد إلى طحين بر غير منخول فعجن بخر ثم طرَح للطير والمجَل فاكن منه تحيرن. وإن جعل نحر في إناء وجعل فيه بنج^٢ فشربن منه غشي عليهن. قال : ومما يُصاد به الكراكي وغيرها من الطير أن يوضع لهن في مواقعهن إناء فيه نحر وقد جعل فيه نحر^٣ أسود وأنقع فيه شعير^٤ فإذا أكلن منه أخذهن الصائد كيف شاء .

قال غيره : ومما تُصاد به العصافير بأسهل حيلة أن تُؤخذ شبكة^(١) في صورة المحبرة اليهودية المنكوسة ويُجعل في جوفها عصفور^٢ فتنقض عليه العصافير ويدخلن عليه وما دخل منها لم يقدر على الخروج فيصيد الرجل في اليوم الواحد مائتين وهو وادع^٣. قال : ويصاد طير الماء بالقرعة وذلك أن تُؤخذ قرعة^٤ يابسة صحيحة^٥ فيرمى بها في الماء فإنها تتحرك فإذا أبصرها الطير تتحرك فزع فإذا كثر ذلك عليه أسر حتى لربما سقط عليها، ثم تُؤخذ قرعة^٦ فيقطع رأسها ويُحرق فيها موضع عيين ثم يدخل الصائد رأسه فيها ويدخل الماء فيمشي إليها مشياً رويداً فكلما دنا من طائر أدخل يده في الماء فقبض على رجله ثم غمسه في الماء ثم دق جناحه وخلا. فبقى طافيا فوق الماء يسبح برجله ولا يطيق الطيران، وسائر الطير لا يمكن أنغمسه فإذا فرغ من صيد ما يريد رمى بالقرعة ثم يلتقطها ويحملها .

الحشرات

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا عبد الله بن الربيع قال : أخبرنا هشام بن عبد الله عن قتادة عن عبد الله بن عمرو أنه قال : الفأرة يهودية ولو سقيتها ألبان الإبل ما شربتها، والفار أصناف : منهن الزباب وهو أصم، قال الحارث بن حلزة :

(١) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) وفي الأصلين : «تؤخذ سلّة في صدرها المحبرة» وفي كتاب الحيوان للمجاهد (ج ٥ ص ٧٦) «يعملون لها مصيدة ويجعلون لها بنية في صورة المحبرة التي يقال لها اليهودية المنكوسة الأنبوبة» . (٢) جمع زبابة وهي كما قال الدميري في حياة الحيوان : فأرة برية تسرق ما تحتاج إليه وما تستغنى عنه .

وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ * لَا تَسْمَعُ الْأَذَانُ رَعْدًا^(١)

والخلد وهو أعمى؛ وتقول العرب: هو «أسرق من زبابة»، وفارة البيش، والبيش سم قاتل؛ ويقال: هو قرون السنبل، وله فارة تغتذيه لا تأكل غيره، ومن غير هذا فارة المسك وفارة الإبل [فاحت] ^(٢) وأرواحها إذا عيرت. قالوا: ومن الحيات ما يقتل ولا يخطئ: الثعبان والأفعى والهندية؛ فأما سوى هذه فإنما يقتل بما يمدّه من الفرع، لأنه إذا فرغ تفتحت منافسه فوغل السم إلى مواضع الصميم وعمق البدن، فإن نهشت النائم والمغمى عليه والطفل الصغير والمجنون الذي لا يعقل لم تقتل.

وأذنان الأفاعي تقطع فتنبت ونابها يقطع بالعاكز فينبت حتى يعود في ثلاث ليال؛ والحية إن نقت في فيها حمّاض الأترج وأطبق لحبها الأعلى على الأسفل لم تقتل بعضها أياما صالحة. ومن الناس من يبصق في فم الحية فيقتلها بريقه، والحيات تكره ريح السذاب والشيح، وتعجب باللفاح ^(٥) والبطيخ ^(٦) والحردل ^(٧) الموحف واللبن والخمر، وليس في الأرض حيوان أصبر على جوع من حية؛ ثم الضب بعدها، فإذا هيرمت صغرت في بدنها وأقنعتها النسيم ولم تسته الطعام، ولذلك قال الراجز:

* حارية ^(٨) قد صغرت من الكبر *

(١) أي لا تسمع آذانهم صوت الرعد. (٢) اختلف في فارة الإبل وفارة المسك؛ حل يهزان أو لايهزان؟ فذكر صاحب القاموس فارة المسك في «ف أ ر» وقال: أو الصواب إيرادها في «ف ور» لفوران وانحتها. وفارة الإبل في «ف ور» وعله الصاغاني بأن فارة الإبل من الفوران قطعا؛ وأورد المرتضى فارة الإبل في «ف أ ر». مستدركا به على صاحب القاموس. (٣) زيادة في النسخة الألمانية، وهي ساقطة في الأصل الفنوغرافي، ولعلها «فوح»، ففي القاموس واللسان مادة «فور»: «وفارة الإبل فوح جلودها إذا نديت بعد الورد» أي فاحت منها رائحة طيبة. (٤) العكاز: عصا ذات زج. (٥) اللقاح: نبات يقطيني أصفر شبيه بالبادنجان طيب الرائحة. (٦) الحرف بالضم: حب الرشاد. (٧) الموحف: المعجون. (٨) في الأصل جارية، والتصويب عن المخصص (ج ٨ ص ١٠٩) والحارية اسم للأفعى، لأن جسمها قد تحرى أي نقص من طول العمر.

وقال صاحب الفلاحة : إن الحية إن ضربتها بقصبة مرة أو هنتها القصبه في تلك الضربة وحيرتها ، فإن ألمحت عليها بالضرب أنسابت ولم تكثرث . قال : ومن جيد ما يعالج به الملسوع أن يُسَّق بطنُ الضفدع ثم يُرَفَد به موضعُ لسعة العقرب . والضفدع لا يصيحُ حتى يُدخَلَ حنكه الأسفل في الماء ، فإذا صار في فيه بعضُ الماء صاح ، ولذلك لا تسمع للضفادع تقيقا إذا خرجن من الماء ، قال الراجز :

يُدخَلُ في الأشداق ماء يُنصفه ^(١) حتى ينقِّ والنقيق يُتلفه

يريد أن النقيق يدل عليه حية البحر ، كما قال الآخر :

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

وقال في السبخ : إنه إن أنخرق فيه حرق بمقدار منخر الثور حتى تدخله الريح أستحال

ذلك السبخ ضفادع . والضفادع لا عظام لها ، ويضرب بها المثل في الرشح ^(٢) ، فيقال : « أرسح من ضفدع » و « أبحظ عينا من ضفدع » .

قالوا : وكل شيء يأكل فهو يحرك فكذلك الأسفل إلا التماسح فإنه يحرك فكذلك الأعلى . وبمصر سمك يُقال له الرَّعَادُ ، من صاد منه سمكة لم تزل يده ترعد وتنفض مادام في شبكته أو شيصه ^(٣) . والجعل ^(٤) إذا دفنته في الورد سكنت حركته حتى يتوهم من رآه أنه قدمات ، فإذا أعدته إلى الروث تحرك ورجع في حسه . والبعير إذا ابتلع

(١) في الأصلين " ينظفه " والتصويب عن حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ١٠٢) قال : وليس المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكذلك الأعلى . (٢) الرشح : خفة لحم العجز والفخذين . (٣) الشص بالكسر والفتح : حديدة عتقا . يصاد بها السمك [وهي المعروفة بالصنارة] . (٤) الجعل كسر ، والناس يسمونه « أبا جهران » وهو دويبة تعض البهائم في فروجها فتهرب ، ودوا أكثر من الخنفساء ، شديد السواد ، في بطنه لون حمرة ، يوجد كثيرا في مراح البقر والجواميس وهو واضع الروث ، ويتولد غالبا من أختاء البقر ، ومن شأنه جمع النجاسة وأذخارها . ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب فإذا أعيد إلى الروث عاش (راجع حياة الحيوان ج ١ ص ٢٤٤) .

في علفه خنفساء قتله إن وصلت إلى جوفه حية . وأطولُ شئ ذمماً الخنفساءُ فإنها
يسرج على ظهرها فتصبر وتمشي .

والضبُّ يُذبحُ فيمكث ليلة ثم يُقربُ من النار فيتحرك . والأفعى إذا ذُبجت
تبقى أياماً تتحرك وإن وطئها واطئ نَهشته ، ويُقطعُ نلتها الأسفل فتعيشُ وينبتُ
ذلك المقطوعُ . والكلبُ والخنزيرُ يُجرحانِ الجرحَ القاتلَ فيعيشانِ .

قالوا : وللضبِّ ذكرانٍ وللضبةِ حرانٍ ، خبرني بذلك سهل عن الأصمعي أو غيره .
قال : ويقال لذكره نَزْكٌ وأنشد :

سِبْجَلٌ لَهُ نَزْكَانِ كَانَا فَضِيلَةً * عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْبِلَادِ وَنَاعِلٍ^(٥)

وكذلك الحرذونُ .^(٦) والذَّبَّانُ لا تَقْرَبُ قِدْرًا فِيهَا كَمَاءٌ^(٨) . وسَأْمُ أَرْضِ لا يدخل بيتنا
فيه زعفرانٌ . ومن عَضَهُ الكلبُ الكلبُ آحْتاجُ إلى أن يستر وجهه من الذباب لئلا
يسقط عليه . وخرطومُ الذباب يده ، ومنه يُغنى ، وفيه يُجري الصوت كما يُجري الزامرُ
الصوت في القصبة بالنفخ .

(١) وعبرة الحيوان للمحافظ (ج ٣ ص ١٦٠) : «وقال لي الفضل العنبري : يقولون للضب أطول

شئ . ذمماً ، والخنفساء أطول منه ذمماً ، وذلك أنه يفرز في ظهرها شوكة ناقبة وفيها ذبالة تستوقد وتصبح

لأهل الدار وهي تدب بها وتجول» . (٢) الذمما ممدود : بقية النفس . (٣) يسرج : يوقد .

(٤) السبجل كقمطر : الضخم . (٥) في اللسان مادة نرك «في الأناج» . وذكر هذا البيت ضمن

أبيات قالها حمران ذو النصة يصف بها ضباباً أهداها لخالد بن عبد الله القسري .

(٦) الحرذون بكسر الحاء وبالذال المعجمة : دويبة شبيهة بالضب ، وقيل هو ذكر الضب ، لأن له ذكرين

مثله وهو من ذوات السموم له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع إلى الأناجل (راجع حياة الحيوان) .

(٧) جمع الذباب . (٨) الكماء : نبات يقال له شحم الأرض ، والعرب تسميه : «جدرى الأرض»

وقيل هو أصل مستدير كالقلماس لا ساق له ولا عرق ، لونه إلى الحمرة ، يوجد في الربيع تحت الأرض

وهو عديم الطعم ، وأنواعه كثيرة ، يؤكل نيئاً ومطبوخاً (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٧٨) .

- قالوا : ليس شيء يذخر إلا الإنسان والنملة والقارة . ^(١) والذرة تذخر في الصيف للشتاء فإذا خافت العفن على الحبوب أخرجتها الى ظاهر الأرض فشررتها ، وأكثر ما تفعل ذلك ليلا في القمر . فإن خافت أن ينبت الحب تقرت وسط الحبة لئلا تنبت .
والسحفاة اذا أكلت أفعى أكلت سعترًا جبليا . ^(٢) وأبن عريس إذا قاتل الحية أكل السذاب . ^(٣) والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح . ^(٤) والأيل إذا نهشته الحية أكل السراطين . ^(٥) قال ابن مسويه : فلذلك يظن أن السراطين صالحة لمن نهش من الناس . ^(٦) والوزغ يزاق الحيات ويقاربهما ، ^(٧) ويكرع في اللبن والمرق ثم يمج في الإناء . وأهل السجين يعملون من الوزغ سما أنفذ من [سم] البيش ومن ريق الأفاعي .
وذلك أنهم يدخلون الوزغة قارورة ثم يصبون فيها من الزيت ما يغمرها ويضعونها في الشمس أربعين يوما حتى تهترأ في الزيت ، ^(٨) فإن مسحت على اللقمة منه مسحة في الشمس أربعين يوما حتى تهترأ في الزيت ، ^(٩) فإن مسحت على اللقمة منه مسحة وأكله آكل مات من يومه .

- (١) الذرة واحدة الذروهي صفار النمل . (٢) شررتها : نشرتها في الشمس لتجف .
(٣) السعتر نبات طيب الرائحة حريف ، زهره أبيض الى الغيرة ، ويقال له الصعتر بالصاد ، وهي اللغة الجيدة ، والعاملة تبدل السين زايا . (٤) في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « دا » .
(٥) الأيل بتشديد اليا . المكسورة : ذكر الأرعال وهي النبوس الجبلية . (٦) جمع سرطان وهو حيوان مائي ويعيش في البر أيضا ، وهو جيد المشي سريع العدو ذو فكين ومخالب وأظفار حداد (راجع حياة الحيوان) . (٧) الوزغ جمع وزغة بالتحريك : حشرة من جنس «سام أبرص» .
(٨) في الأصل الفئوغرافي « ويفارها » وما أثنناه عن النسخة الألمانية والحيوان للمحافظ (ج ٤ ص ٩٧) . (٩) كذا في الأصل ، وفي العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « وبمض الناس » وفي الحيوان للمحافظ ج ٤ ص ٩٧ « وأهل السحر » . (١٠) الزيادة عن الحيوان (ج ٤ ص ٩٧) والبيش بالكسر نبات كالزنجبيل رطبا ويابس وربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان .
(١١) كذا في الحيوان للمحافظ ج ٤ ص ٩٧ وفي الأصلين : « ليلة » . (١٢) من تهترأ اللحم إذا طبخ حتى يتفسخ .

والجراد إذا طلع فعمد إلى الترمس والحنظل فطبخا بماء ثم نضح ذلك الماء على
 زرع تنكبه الجراد . وإذا زرع خردل في نواحي زرع نجا من الدبى .^(١) وإذا أخذ
 المراداسنج فعجن بعجين ثم طرح للفار فاكلته مؤتمن عنه ، وكذلك برأيه الحديد . وإذا
 أخذ الأفيون والشونيز والبارزد وقرن الأيل وبابونج وظلف من أظلاف المعز فخبط
 ذلك جميعا ثم دق وعجن بخل عتيق^(٢) ثم قُطِعَ قطعا فدُخِّنَ بقطعة منه نفرت لذلك
 الحيات والهوام والنمل والعقارب ، وإن أحرِقَ منه شيء ودُخِّنَ به هرب ما وجد
 منها تلك الريح . والنمل تهرب من دخان أصول الحنظل . وإن عمِدَ إلى كبريت
 وسذاب^(٣) وخرق فدق ذلك جميعا وطرح في قرية النمل قتلها ومنعها ظهورهن من
 ذلك الموضع ذهب .^(٤) والبعوض تهرب من دخان القلقديس إذا دُخِّنَ به ومعه حب^(٥)
 السوس ، وتهرب من دخان الكبريت والعلك .^(٦)

وقالت الأطباء : لحم ابن عرس نافع من الصرع . ولحم القنفذ نافع من الجذام
 والسَّل والتشنج ووجع الكلى ، يُجفَّفُ ويُشرب ويُطعمه العليل مطبوخا ومشويا
 ويضمده به المتشنج .^(٧) والعقرب إذا شق بطنها ثم شد على موضع اللسعة نفعت . وقد

- (١) كذا في النسخة الألمانية ، والدبى : أصفر الجراد والنمل . وفي الأصل الفتوغرافي (الوبا) .
 (٢) كذا بالأصل ، ومفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ١٥٠) وقال هو المرتك وفي القاموس :
 المراداسنج معروف وقد تسقط الراء معرب مراداسنك ومعناه الحجر الخبيث . (٣) الشونيز :
 الحبة السوداء . (٤) البارزد في القاموس : « بيزرد » بكسر الباء الفارسية : صنع نبات يشبه
 القنا في شكله ، وينبت في أرض سررية ، وهو من النباتات النافعة لأمراض نذة . وقد ذكر خواصه ومنافعه
 ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٤ ص ٣٧) . (٥) في الأصل الفتوغرافي : نقيف ، وفي النسخة
 الألمانية نقيف ، والتصويب عن العمدة الفريد (ج ٣ ص ٣٥٧) . (٦) السذاب : اسم نبات .
 (٧) كذا في الأصل ، والمراد من العبارة ظاهر . (٨) القلقديس كلمة يونانية معربة معناها
 في الكيمياء الحديثة : كبريتات الحديد ، وقيل معناها : الصبغة السوداء لصانعي الأحذية .
 (٩) السوس : شجر في عروقه حلاوة وفي فروعه مرارة . (١٠) كذا في النسخة الألمانية .
 وفي الأصل الفتوغرافي «التشنج» .

- تجعل في جوف فخار مشدود الرأس مُطَيّن الجوانب ثم يوضع الفخار في تنور، فإذا صارت العقرب رمادا سُقِيَ من ذلك الرماد من به الحصاة مقدار نصف دائق وأكثر فُفِّتَت الحصاة من غير أن يضرّ بشيء من سائر الأعضاء والأخلاق، ^(١) وقد تَلَسَّعُ العقربُ من به حمى عتيقة فتَقْلَعُ، وتَلَسَّعُ المفلوجُ فيذهب عنه الفالج، وتُلَقَى في الدهن وتُتْرَك فيه حتى يأخذ الدهن منها ويَجْتَذِبُ قواها فيكون ذلك الدهن مُفَرِّقًا للأورام الغليظة .
- ومن طبع العقرب أنك إن ألقيتها في ماء غمير بقيت في وسط الماء لا تطفو ولا ترسب، وهي من الحيوان الذي لا يسبح . وعين الجراددة وعين الأفعى لا تدوران . وإنما تنسج من العناكب الأثني، والذكر هو الخدرنق . وولد العنكبوت ينسج ساعة يولد . والقمل يُخْلَقُ في الرأس على لون الشعر إن كان أسود أو أبيض أو مخضوبا بالحناء . الخلكاء ^(٢) دويبة تغوص في الرمل كما يغوص طائر الماء في الماء . وبنات النقا كذلك، وهي التي يُقال لها : شحمة الأرض . وأم حبين ^(٣) لا تُقِيمُ بمكان تكون فيه السُرْفَةُ ، والسُرْفَةُ دويبة يُضْرَبُ بها المثل في الصنعة فيقال : «أصنع من سُرْفَةٍ» .
- ومن أحسن ما قيل في الأفعى قول امرأة من الأعراب ^(٥) :

(١) أخلاط الإنسان عند الأطباء : الدم والبلغم والصفراء والسوداء .

(٢) الخلكاء : دويبة تسكن الرمل كأنها سمكة ، ملساء فيها بياض وحمرة ؛ والعرب سميها : « بنات النقا » .

(٣) أم حبين : دويبة على خلفه الحرباء عريضة الصدر عظيمة البطن ؛ وقيل : هي دويبة على قدر الخنفساء يلعب بها الصبيان .

(٤) السُرْفَةُ بالضم : دويبة سوداء الرأس وسايرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دفاق العبدان على مثل الناووس بعضها الى بعض بلعابها وتدخله فتموت فيه (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٤) .

(٥) في اللسان مادة «فرطح» أن القائل لهذه الأبيات أحد شعراء العرب ، ونص على ذلك بقوله :
« وأنشد لرجل من بلعارث بن كعب يصف حية ذكرا وهو ابن أحمربجلى ليس الباهل :
خلقت لها زمه عزيزين ورأسه * كالقرص فرطح من طحين شعير »

خَاقَتْ لَهَا زِمَهُ عِزِينَ وَرَأْسَهُ * كَالْقُرْصِ فَرَطِحَ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرِ^(٣)
 وَكَأَنَّ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَنْوَفَةٍ * مَلَقَاكَ كَكَفَّةٍ مِنْجَلٍ مَاطُورِ^(٦)
 وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ كَأَنَّهَا * سَمْرَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفِيضِ بَرِيرِ^(٨)^(٩)

قيل لمسرجويه : تجد ملسوع العقرب يعالج بالاسفيوش فينفعه ، وآخر يعالج
 بالبندق فينفعه ، وآخر يشرب الأتقاس فتنفعه ، وآخر يأكل التفاح الحامض فينفعه ،
 وآخر يطليه بالقبأ والخل فيحمده ، وآخر يصب عليه الثوم الحار المطبوخ ، وآخر يدخل
 يده في مرجل حار لا ماء فيه فيحمده ، وآخر يعالجه بالنخالة الحارة فيحمدها ، وآخر يحجم
 ذلك الموضع فيحمده ، ثم رأينا يتعالج بعد ذلك الشيء للسهة أخرى فلا يحده !

- (١) المهازم : أصول الحنكين واحدها لهزمة بالكسر ، وقيل إنها عظامان ناتتان في اللحمين تحت الأذنين .
 (٢) عزين : متفرقة . (٣) وردت هذه الكلمة في اللسان في مادة « فرطح » بالراء وفي مادة
 « فططح » باللام ، وأستشهد بالبيت في المادتين ، وجاء فيه : « وكل شيء عرضته فقد فططحته وفرطحته »
 ووردت في الأصل الفتوغرافي « قطع » وفي النسخة الألمانية « أقطع » وفي كتاب الحيوان للملاحظ (ج ٤
 ص ٦٠) « أفتح » . (٤) التنوفة : الأرض الواسعة البعيدة الأطراف . (٥) المنجل بالكسر :
 آلة حديد معوجة يقطع بها الزرع وغيره ، وفي الأصل الفتوغرافي « منخل » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية
 والحيوان للملاحظ . (٦) ماطور من الأطر وهو عطف الشيء تقبض على أحد طرفيه فتعوجه .
 (٧) كذا في الأصل الفتوغرافي وفي اللسان « لوداع » ، وفي النسخة الألمانية وكتاب الحيوان
 للملاحظ : « للوقاح » . (٨) النفيض فعيل من النفض وهو التحريك ، ورواية اللسان في مادة
 « فرطح » تقبض بالقاف والصاد . (٩) البرير : ثمر الأراك عامة . وفي اللسان بعد هذا البيت :
 وكان شديقه إذا استقبلته * شديقا يجوز مضمضت لظهور
 (١٠) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل الفتوغرافي « بالاسفيون » بالنون ولعله محرف ، لأن
 هذا الاسم ورد في مفردات ابن البيطار هكذا « الاسفيوس » بالسین المهملة في آخره ، وورد في تذكرة داود
 « الاسفيوش » بالشين المعجمة في آخره ، وهي كلمة فارسية معناها « بزر فطونا » . (١١) الأتقاس :
 الحوامض وفي النسخة الألمانية « الأتقاس » بالفاء . (١٢) القلى بالكسر : شب العصفرو له منافع
 كمنافع الملح إلا أنه أهد منه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٣١) .

فقال : لما اختلفت السموم في انفسها بالجنس والقدر والزمان، وباختلاف ما لاقاه
اختلف الذي يوافقه على حسب اختلافه . قالوا : واشد ما تكون لسعتها إذا خرج
الإنسان من الحمام، لتفتح المنافس وسعة المجارى وسخونة البدن .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال أبو بكر البصري^(١) : ما من شيء يضرب

- ٥ إلا ويرى منفعة . وقيل لبعض الأطباء : إن قائلًا قال : أنا مثل العقرب أضرب
ولا أنفع، فقال : ما أقل علمه بها، "إنها لتنفع إذا شق بطنها ثم شدت على موضع"
"السعة، وقد تجعل في جوف نخار مشدود الرأس مطين الجوانب ثم يوضع الفخار"
"في ثور فإذا صارت العقرب رمادا سقى من ذلك الرماد مقدار نصف دانق أو أكثر"
"قليلًا من به الحصاة ففتها من غير أن يضرب شيء من سائر الأعضاء والأخلاق ."
١٠ "وقد تلسع العقرب من به الحمى العتيقة فتقلىع عنه . ولسعت العقرب رجلا مفلوجا"
"فذهب عنه الفالج . وقد تلقى العقرب في الدهن وترك فيه حتى يأخذ الدهن منها"
"ويجتذب قواها فيكون ذلك الدهن مفترقا للأورام الغليظة" .

قال أبو عبيدة : ولسعت أعرابيا عقرب بالبصرة، وخيف عليه فاشتد جزعه،

فقال بعض الناس له : ليس شيء خيرا من أن تغسل له خضبة زنجبي عرق ففعلوا،
وكان ذلك في ليلة ومدة^(٢)، فلما سقوه قطب، فقيل له : طعم ماذا تجد؟ قال : أجد
١٥ طعم قربة جديدة .

قال المأمون : قال لي بختيشوع وسامويه وابن ماسويه : إن الذباب إذا دلك على

موضع لسعة الزنبور هدا وسكن الألم، فليسغى زنبور فحككت على موضعه أكثر

- ٢٠ (١) كذا بالأصلين، وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) : « المهجري » ولم نجد هاتين النسبتين
في كتب الأنساب التي تحت أيدينا . (٢) السطور المحصورة بين هذه " " مكررة لأنها تقدمت
في ص ٩٥ من هذا الجزء بكلماتها وألفاظها مع اختلاف بسيط وقد أبقيناها هنا لورودها في الأصلين،
وأكتفينا بهذه الإشارة تنبها للقارئ . (٣) ليلة ومدة : شديدة الحر .

من عشرين ذبابة فما سكن الألم إلا في قدر الزمان الذي كان يسكن فيه من غير علاج، فلم يبق في يدي منهم إلا أن يقولوا: كان هذا الزنبور حنتفاً قاضياً، ولولا ذلك العلاج قتلك. قالوا: وما ينفع من اللسعة أن يُصيروا على، وضعها قطعة رصاص رقيقة وتشد عليه أياماً. وقد يموت بهذا قوم فيجعلونه خاتماً فيدفعونه إلى الملسوع إذا نُسِئ في إصبغه.

قال محمد بن الجهم: لا تنهونوا بكثير مما ترؤن من علاج العجائز، فإن كثيراً منه وقع اليهن من قدماء الأطباء، كالذبان يلقى في الإثمد فيسحقُ معه، فيزيد ذلك في نور البصر ونفاذ النظر وتشديد مراكز الشعر في حافات الجفون. قال: وفي أمة من الأمم قوم يأكلون الذبان فلا يرمدون، وليس لذلك يأكلونه، ولكن كما يأكل غيرهم فراخ الزنابير.

وقال ابن ماسويه: المجرب للسع العقرب أن يُسقى من الزراوند المدحرج ^(١) ويُشرب عليه ماء بارد، ويُمضغ ويوضع على اللسعة. قال: وللسع الأفاعي والحيات ورق الآس ^(٢) الرطب يُعصر ويُسقى من مائه قدر نصف رطل، وكذلك ماء المرزنجوش ^(٣) وماء ورق التفاح المدقوق والمعصور مع المطبوخ، ويُضمّد الموضع بورق التفاح المدقوق. وللأدوية والسموم القاتلة البندق ^(٤) والتين والسذاب يُطعم ذلك العليل. قال والثوم والملح وبقر

١٥ (١) الزراوند المدحرج وهو أردأ أنواعه: نبت غصونه دقيقة عريض الأوراق يحيط بشيء أحمر قليل الرائحة، وهو كثير بأرض الشام، كما في تذكرة داود؛ وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته.

(٢) الآس: نبت يزرع كثيراً بأرض العرب بالسهم والجبل، ونخضرتها دائمة، ويسمو حتى يكون شجراً عظيماً وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمره سوداء. إذا أئعت تحلوا فيها مع ذلك علقمة.

(٣) المرزنجوش ويقال له مرزجوس ومردقوس: فارسي، والعرب تسميه: السمق (الياسمين) وهو نبت كثير الأغصان يقبض في نباته، وله ورق مستدير، وهو طيب الرائحة جداً. له منافع وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته.

(٤) في النسخة الألمانية «البيش».

- الغنم نافع جدا إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحية إلا أن تكون أصلة^(١)، فإن الأصلة^(١) تُوضع على لسعها الكائتان جميعا بالزيت والعسل . والحطمي^(٢) إذا أخذ ورقه فدق ثم وُضِعَ على لسع قملة^(٣) النسر كان دواء له . وإن طلى أحد به يديه أو جسده لم يدغ ذلك الموضع منه زنبور^(٤) . وإن لدغ أحدا زنبور فأذاه فشرّب من مائه نفعه . والبشكول وهو الطرشقون إن دق فضمده لسعة العقرب نفع إذا أغلى أو شرب من عصيره . قالوا : وإن أخذ من حذر على نفسه السموم القاتلة التين مع الشونيز على الريق وقاه .

النبات

- حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا قريش بن أنس عن كليب أبي وائل رجل من المطّوءة قال : رأيت ببلاد الهند شجرا له ورد أحمر مكتوب فيه بياض «محمد رسول الله» . والعرب تقول في مثل هذا هو : «أشكر من البروقة»^(٥) ، وهو نبت ضعيف ينبت بالغيم . ويزعم قوم أن النارجيل هو نخل المقل قلبه طباع البلد . وقال صاحب الفلاحة : بين الكرنب وبين الكرم عداوة ، فإذا زرع الكرنب بمحضرة الكرم ذبل أحدهما وتشنج ، ولذلك يبطئ السكر عن أكل منه ورقات على ريق النفس ثم شرب . وقضبان الرمان إذا ضرب بها ظهر رجل آشتد عليه الألم . قالوا :

- ١٥ (١) الأصلة بفتح الهمزة والصاد واللام : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم تب على الفارس فتقتله ، كذا في حياة الحيوان للذميري نقل عن ابن الأنباري . (٢) الحطمي بالكسر ويفتح : نبات محلل ملين نافع لعسر البول والحصى ، وهو مع الخلل مفيد لوجع الأسنان مضمضة ونهش الهوام . (٣) قملة النسر : دويبة أعظم من القمل وإذا عضت قتلت ، وتكون في بلاد الجبل (مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم) وسميت قملة النسر ، لأنها تخرج منه . (٤) كذا في الأصلين . وفي مفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ٢٠٠) : «البلخشكوك» ، وخاصيته النفع من لسع الهوام إذا أكل أو شرب ماؤه . (٥) في جمع الأمانال والقاموس واللسان «بروقة» وهي كما قال المبداني : شجرة تخضر من غير مطر بل تنبت بالصحاب إذا نشأ فها يقال ،

وكل زهر ونور فإنه ينحرف مع الشمس ويحول إليها وجهه ؛ ولذلك يقال : هو
يُضاحكُ الشمسَ . قال الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزنِ معشبةٌ * خضراءُ جادَ عليها مسيلٌ هطلٌ ^(١)
يُضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ شريقٌ * مؤزرٌ يعميمُ النَّبتِ مكتهلٌ ^(٢)

وقال آخر :

* فنواره ميلٌ إلى الشمسِ زاهره ^(٣) * ^(٤)

والخبازي ينضم ورقه بالليل وينفتحُ بالنهار . والنيلوفر ينبتُ في الماء فيغيب
الليل كله ويظهرُ إذا طلعتِ الشمسُ . وقالوا في الطحلب ^(٥) : إن أخذ بحفف

(١) الحزن : ما ارتفع من الأرض . (٢) مسيل : مطر ، من السبل بفتحين وهو المطر .
(٣) هطل ، من الهطل بالسكون وهو تتابع المطر المتفرق العظيم القطر . (٤) الكوكب : ما طال
من النبات ، والشرق : الريان . (٥) مؤزر : ملتف . (٦) مكتهل : تام الطول .
(٧) النوار : واحدة نواره بالضم ، وهي الزهرة المشرقة . (٨) عجزييت للخطيبة ، صدره :

* بمسند القران حوَّباته *

وقبله عفا مسملان من سليمي فخامره * تمشي به ظلها نه وجأذره

(راجع ص ٦٢ من ديوان الخطيبة طبع ليبسك سنة ١٨٩٣ م) . ونسب الجاحظ في كتاب الحيوان البيت
(بمسند ... الخ) الى قطران العبسي (راجع ج ٥ ص ٣٥) .

(٩) الخبازي ويقال : الخيزري : اسم لكل نبت يدور مع الشمس حيث دارت ؛ ويطلق في العرف
الشائع على نبت برقي مستدير الورق في وسط أوراقه شيء مجوف دقيق ، له زهر الى الصفرة وبزر الى السواد
مفرطح ، كذا قال داود الأنطاكي في تذكرته . (١٠) النيلوفر : نبات هندي سمي بلقتهم وأكثر
ما ينبت في مستنقعات المياه وراكدها والآجام ، ولا ينبت إلا في الماء العذب القائم في أرض طيبة تربة
سليحة من كل الفساد . ومن عادته أنه يحول وجهه الى الشمس اذا طلعت وارتفعت ، فإذا وقع شعاعها
عليه أو لم يقع انفتحت وردته كلها ، ولا يزال تفتيحه يزيد بزيادة الشمس الى أن تقرب من أول العصر
وتطالب الغروب فينتدى ينضم على ذلك الترتيب الذي كان تفتح حتى تغرب الشمس فيضم في كرة ويبقى مضموما
الليل كله الى الصباح . راجع الجزء الأول من كتاب الفلاحة النبوية لأبن وحشية ص ٣٢ من النسخة الخطيبة
المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ زراعة) . (١١) الطحلب : الخضرة التي تملو المياه
الراكدة ، وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

في الظل ثم سقط في النار لم يحترق . وذكروا أن قساً راهن على صليب في عنقه من خشب أنه لا يحترق، وقال : هو من العود الذي صلب عليه المسيح، فكاد يفتن بذلك خلقاً حتى فطن له بعض أهل النظر فأتاهم بقطعة عود تكون بكرمان فكان أبق على النار من صلبه . والطلق^(١) كذلك لا يصير جمرًا . وطلاء النفاطين^(٢) طلق وخطمي ومغرة . وقالوا : إذا أخذ زر السذاب البري وزرع وطال به ذلك تحول حرملًا، والنمام^(٣) إذا اعتق تحول حبقًا . قالوا : والقسط^(٥) إنما هو جزر بحري . قالوا : بالسند نبت من الحشيش يسمى تريبة، إذا أخذ فطبخ ثم صفي مائه فجعل في وعاء لم يلبث إلا يسيرا حتى يشتد ويسكر شارب به إسكار الخمر .

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يضر بمقلّة عمّد إلى شيء من خرد البط نخاط به مثله من ملح ثم طرّحاً في ماء فديفا فيه فينضح ذلك الماء على البقل فإنه يفسد . قال : ومن أراد إفساد الرمان الكثير ألقى في أضغافه نوى التمر والملح والجريش . ومن أراد قتل السمك في الماء القائم عمّد إلى نبت يسمى "ما هي زهره"^(٦) فدق وطرح في الماء فإنه يموت سمك ذلك الماء، والمازريون يفعل ذلك . قال : ومما يجف له الشجر أن يعمّد إلى مسمار من حديد فيحمى بالدار حتى تشتد حمرته ثم يدق في أصل الشجرة، وأن يعمّد إلى وتد من طرفاء فيثقب أصل الشجرة يثقب حديد

(١) الطلق : حجر براق يتخذ منه مضوى للحامات بدلا عن الزجاج . (٢) النفاطون : الرأفة بالنفط وهو القطران . (٣) النمام : نبت ورقه كالسذاب، له زركالريحان عطري قوي الرائحة سمى بذلك لسطوع رائحته، الواحدة نمامة . (٤) الحبق : نبات يشبه النمام، ويكثر نيابه على الماء، ويسمى بالفارسية الفودنج . (٥) القسط : عقار من عقاقير البحر، والعقار : العشب . (٦) لفظ فارسي وتعريبه سم السمك . (٧) المازريون : نبت له أنصان طولها شبر، ورقه شبيه بورق الزيتون إلا أنه أدق منه، وهو مر يلدغ اللسان؛ له فوائد ومنافع ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

ثم يُجَعَلُ ذلك العودُ على قدرِ الثَّقبِ^(١) في المِنقَبِ فتجفُّ الشجرةُ إن كان غلظُ العودِ على قدرِ الثَّقبِ .

قيل لِماسرجويه : ما بالُ الأَكْرَةِ^(٢) وسُكَّانِ البساتينِ مع أكلهم الكُرَّاثِ والتَّمَرِ وشربهم الماءَ الحارَّ على السَّمِكِ المالحِ أَقلُّ عُمِيانًا وعُورَانًا وعمشَانًا؟ قال : فَكَّرْتُ في ذلك فلم أَجدْ عِلَّةً إلا طولَ وَقوعِ أَبصارهم على الخضرِ

المجارة

قال أرسطاطاليس : حَجْرٌ سَقِيلاً إذا رُبِطَ على بطنِ صاحبِ الأَسْتِسْقَاءِ نَشَفَ منه الماءُ، والدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن كان على بطنه فيوجدُ قد زاد في وزنه؛ وذا كَرَّتْ بهذا رجلاً من علماء الأَطْبَاءِ فعرفه، وقال : هذا المجرمذكور في التوراة . وحجر المغناطيس يجذب الحديد من بُعدٍ [و] إذا وُضِعَ عليه علقه، فإن ذلك بالثوم بطل عمله . قالوا : والزمانُ والقلي يدبران فيستحيلان حجارة سوداً تصلح للأرحاء . ومن الحجارة حصاةٌ في صورة النواة تسبجُ في الخَلِّ كأنها سمكةٌ . ومنها حَرَزَةُ العُقْرانِ^(٤) كانت في حَقْوِ المرأة فلا تَحْبَلُ . وحجر يُوضَعُ على حرف التنور فيتساقط خبز التنور كله . وبمصر حجر من قبض عليه يجمع كَفْيهِ فأكل شيئاً في جوفه فإن هو لم يَبْدَهُ من كفه خيف عليه . ومن الحجارة النَشَفُ^(٦)، ليس شيء من الحجارة يَطْفُو على الماء غير وفيه حفر صغارٌ .

- (١) كذا بالنسخة الألمانية؛ وفي الأصل الفنوغرافي : « على قدر في المنقب » .
 (٢) الأكرة جمع أكار وهو الحزات لحفرة الأرض، كأنه جمع آكر في التقدير . (٣) كذا بالأصلين؛ ولم نجد ذكر هذا الحجر ضمن الأحجار المذكورة في مفردات ابن البيطار، ولا في تذكرة داود، ولا في مجائب المخلوقات للفزويجي . (٤) العقر : العمق، وهو استعقام رحم المرأة فلا تحبل .
 (٥) الحقو : الخصر . (٦) النشف : حجارة سود كأنها محترقة، وهي التي ينقي بها الوح في الحمامات .

قالوا : الرصاص قد يدبر فيستحيل مُردَّاسَنَجًا ^(١) . وإقليمياء النحاس يدبر فيصيرُ
توتياء . وحجر البازهر يُفرَّقُ الأورام ^(٢) . وباليمن جبل يقطر منه ماء ، فإذا صار إلى الأرض
وييس استحال وصار شتبا ، وهو هذا الشبَّ اليماني .

حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا
باليمن : الورس ^(٣) والكندر ^(٤) والخطر ^(٥) والعصب ^(٦) . وبمصر حجر يُحركه فتسمع في جوفه
شيئا يتقلقل كالنواة .

حدثني شيخ لنا عن علي بن عاصم عن خالد الحداء عن محمد بن سيرين قال :
أختصم رجلان إلى شريح ، فقال أحدهما : إني استودعتُ هذا وديعة فإني أن
يردها علي ، فقال له شريح : ردَّ علي هذا الرجل وديعته ، قال : يا أبا أمية ، إنه حجرٌ
إذا رآته الجبلي ألفت ولدها ، وإذا وقع في الخلل غلَى ، وإذا وُضع في التنور بردَّ ،
فسكت شريحٌ ولم يقل شيئا حتى قاما .

الجن

قالوا : الشياطين مُردَّةُ الجن ، والجان ضَعْفَةُ الجن . وبلغني عن يحيى بن آدم
عن شريك عن ليث عن مجاهد قال قال — يعني إبليس عليه لعنة الله — : أُعطينا
أنا نرى ولا نرى ، وأنا ندخل تحت الثرى ، وأن شيخنا يردَّ فتى .

(١) الإقليمياء بالكسر : نُقل يعلو السبك أو دخان . (٢) البازهر معرب بادزهر : حجر تنسب
إليه قوى غريبة في مقاومة السموم ، فارسي مركب من باد ومعناه : روح أو ضد ، وزهر ومعناه : سم ؛
وله منافع وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته . (٣) نبات الورس — كما في مفردات ابن البيطار —
كنبات السمسم ، فإذا جف عند إدراكه تفتقت سنفته (وعاء ثمرته) فينتفض منه الورس ، يثبت كل سنة
ويثمر ، وأجوده حديته . وهو أنواع : بعضه يخرج صبغه أصفر خالص الصفرة ، وبعضه في صبغته حمرة .
(٤) الكندر كلمة فارسية معناها : اللبان . (٥) الخطر بالكسر : نبات يخضب به .
(٦) العصب : صمغ لا يثبت إلا باليمن . وكتب بهامش الأصل الفتوغرافي مانصه : « قلت : وعصرنا
زاد خامسا وهو القهوة » .

حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال : حدثني يعلى بن عتبة - شيخ من أهل المدينة مولى لآل الزبير - : أن عبد الله بن الزبير أت بالقفرة ، فقام ليرحل فوجد رجلا طوله شبران عظيم اللحية على الولية^(١) ، فنفضها فوق ثم وضعها على الراحلة ، وجاء وهو بين الشرخين^(٢) ، فنفض الرجل ثم شده ، وأخذ السوط ثم أتاه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا أرب قال : وما أرب ؟ قال : رجل من الجن ، قال : أفتح فاك أنظر ، ففتح فاه ، قال : أهكذا حلوكم ! لقد شوّه حلوكم ! ثم قلب السوط فوضعه في رأس أرب حتى شقه .

حدثني خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا عمر بن يونس قال حدثنا عكرمة ابن عمار قال حدثنا إسحاق بن أبي طلحة الأنصاري قال حدثني أنس بن مالك قال : كانت بنت عوف بن عفراء مضطجعة في بيتها قائلة إذ استيقظت وزنجي على صدرها أخذًا بحلقها ، قالت : فأمسكني ما شاء الله وأنا حينئذ قد حرمت على الصلاة ، فبينما أنا كذلك نظرت إلى سقف البيت ينفرج ، حتى نظرت إلى السماء فإذا صحيفة صفراء تهوى بين السماء والأرض حتى وقعت على صدري ، فنشرها وأرسل حلق فقرأها ، فإذا فيها : من رب لكيز إلى لكيز ، اجتنب ابنة العبد الصالح إنه لا سبيل لك عليها ، ثم ضرب بيده على ركبتي وقال : لولا هذه الصحيفة لكان دم ، أي لذبحتك ، فاسودت ركبتي حتى صارت مثل رأس الشاة ، فأتيت عائشة ، فذكرت لها ذلك ، فقالت لي : يا بنو أختي ، إذا حضيت فالزمي عليك ثيابك فإنه لا سبيل له عليك إن شاء الله . فحفظها الله بأبيها وكان أسشهد يوم بدر .

أبو يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير عن الشعبي عن زياد بن النضر أن عجوزا سألت جنيا فقالت : إن بنتي عروس وقد تمزط شعرها من حمى ربيع بها ، فهل

(١) في الأصل الفتوغرافي «الوية» وفي النسخة الألمانية «الوية» والتصويب عن لسان العرب ، والولية : البرذعة . (٢) شرخا الرجل : حرفاه وجانباه ، وقيل : خشبناه من وراء ، ومقدم . (٣) في الأصلين : «لها» والسياق يقتضي ما أبتناه . (٤) تمزط الشعر : تساقط وثجات .

عندك دواء؟ فقال: آخمدى إلى ذباب الماء الطويل القوائم الذى يكون بأفواه الأنهار فاجعله في سبعة ألوان من العهن^(۱): أصفر وأحمر وأخضر وأزرق وأبيض وأسود وأغبر، ثم اجعله في وسطه وأفتله بأصبعك هكذا ثم أعقديه على عضدها اليسرى؛ ففعلت فكانها أنشطت من عقال .

٥ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: أخبرني محمد بن مسلم الطائفي في حديث ذكره أن الشياطين لا تستطيع أن تغير خلقها ولكنها تسخر .

وقال الأصمعي: حدثنا أبو عمرو بن العلاء قال حدثنا النهاس بن قهم^(۲) قال: دخلت مربدا لنا فإذا فيه شيء كالعجول^(۳) له قرنان وله ريش ينظر إلى كانه شيطان .

١٠ حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله عن عمه قال: سمع رجلا بأرض ليس بها أحد قائلا من تحته يقول: من يحرك شعيراتي؟ ذاك مقبلي، وظل مظلي، حاشا الغزير وعبد الملك وجمعه الأدم؛ وكانوا يرون أن الأصمعي سمع هذا، وذاك أنه كان في آخر عمره وقد أصابه مس ثم ذهب عنه .

١٥ حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال أخبرنا عمر بن الهيثم عن عمير بن ضبيعة قال: بينا أنا أسير في فلاة أنا وأبن ظبيان - أوريق له آخر ذكره - عرضت لنا عجوز - كذا سمعته يقول، إن شاء الله - أو شيخ - ورأيت في كتاب محمد آية - وصبي يبكي؛ فقال: إني منقطع بي في هذه الفلاة فلو تحلمتاني! فقال صاحب عمير: لو أردفته! فحمله خلقه؛ فكشنا ساعة فنظر في وجه عمير وتنفس فخرج من فيه نار

(۱) العهن: الصوف أو المصوغ ألوانا . (۲) كذا بالأصل الفتوغرافي، وفي النسخة

الألمانية «أفتله» بالقاف . (۳) في النسخة الألمانية «المناسب» وهو تحريف .

(۴) في الأصلين: فهم بالفاء، وهو تحريف، والنصيب عن تقريب التهذيب وشرح القاموس .

(۵) العجول: العل . (۶) كذا في الأصل الفتوغرافي، وفي النسخة الألمانية: «الغريد» .

مِثْلُ نَارِ الْأَتُونِ فَأَخَذَ لَهُ عَمِيرُ السِّيفِ ؛ فَبَكَى وَقَالَ : مَا تُرِيدُ مِنِّي ؟ فَكَفَّ عَنْهُ
وَلَمْ يُعَلِّمْ صَاحِبَهُ بِمَا رَأَى ؛ فَكَثَّ هُنَيْهَةً ثُمَّ عَادَ ، فَأَخَذَ لَهُ السِّيفَ ؛ فَبَكَى وَقَالَ :
مَا تُرِيدُ مِنِّي ؟ وَبَكَى ؛ فَتَرَكَهُ وَلَمْ يُعَلِّمْ صَاحِبَهُ ؛ ثُمَّ عَادَ الثَّلَاثَةَ فَفَغَرَ فِي وَجْهِهِ ؛ فَحَمَلَ عَلَيْهِ
بِالسِّيفِ ؛ فَلَمَّا رَأَى الْجِدَّ وَثَبَ وَقَالَ : قَاتَلَكَ اللَّهُ مَا أَشَدَّ قَلْبَكَ ! مَا فَعَلْتَهُ قَطُّ فِي وَجْهِ
رَجُلٍ إِلَّا ذَهَبَ عَقْلُهُ .

بلغنى عن محمد بن عبد الله الأسدى عن سفيان عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن
عبد الرحمن عن أبي أيوب الأنصارى أنه كان في سفرة له وكانت الغول تجىء ،
فشكاها الى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : « إذا رأيتهما فقل باسم الله أجيبى رسول
الله » ؛ فجاءت فقال لها ذلك ؛ فأخذها فقالت : لا أعود ؛ فأرسلها ؛ فقال له النبي
عليه السلام : « ما فعل أسيرك » ؟ فأخبره ؛ فقال : « إنها عائدة » ، ففعلت ذلك
مرتين أو ثلاثا ، وقالت في آخرها : أرسلنى وأعلمك شيئا تقوله فلا يضرّك شيء ؛
آية الكرسي ؛ فاتى النبي عليه السلام فأخبره ؛ فقال : « صدقت وهى كذوب » .
حدثنى زيد بن أنحزم قال : حدثنا عبد الصمد عن همام عن يحيى بن أبي كثير أن
عامل عُثْمَانَ كتب الى عمر بن عبدالعزيز : إنا أتينا بساحرة فألقيناها في الماء فطفت ؛
فكتب اليه عمر : لسنّا من الماء في شيء ، إن قامت البينة وإلا نخّل عنها .

حدثنى زيد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا ابن جريج عن ابن
أبي الحسين المكي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعِمَّتِ الدُّخْنَةُ اللَّبَانُ
وَاللَّبَانُ دُخْنَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَلَنْ يَدْخُلَ بَيْتًا دُخِّنَ فِيهِ بِلَبَانٍ سَاحِرٍ وَلَا كَاهِنٍ » .

حدثنى عبد الله بن أبي سعيد قال حدثنى عبد الله بن مروان بن معاوية من ولد
أسماء بن خارجة قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعت أعرابية تقول : من

(۱) فغرق وجهه : فتح له فاه .

يشتري مني الحزأ؟ فقلت: وما الحزأ؟ قالت: يشتريه أكيس النساء للطشة والخافية والإقلاط؛ قال عبد الله: سألت ابن مناذر فقال: الطشة: شيء يصيب الصبيان كالزكام. والخافية: الحز. والإقلاط: قلة الولد. يريد أن المرأة إذا ولدت يموت أولادها فلا يبقى لها ولد؛ يقال: امرأة مقلات.

- بلغني عن شيخ من بني نمير أنه قال: أضللت أبا عمر لي بالشريف^(١) فخرجت في بغايا فدابت أياما فأمسيت عشية بوادٍ موحش وقد كددت راحتي فأختليت لها^(٢) من الشجر وأصبت لها من الماء ثم قيدتها وأضطجعت مغموما، فلما جرى وسن النوم في عيني إذ همس قدم قريبا مني، فانتبهت فزعاً وإذا شيخ يتحنح وهو يقول: لا ربيعة عليك! ثم سلم وجلس؛ ثم جاء آخر وآخر حتى تألفوا أربعة فقالوا: ما بك أيها المسلم؟ فقلت: أضللت أبا عمر لي وأنا في طلبها منذ أيام؛ فقال لي الأول منهم: كئن لك ما كنت، وقد ودعن فين، وصرن حيث صرن، فلا لتعنين؛ فأجترت على المسئلة فقلت: أمين الخافية أتم نشدتكم بإلهكم؟ قالوا: نعم وإلهنا وإلهكم واحد؛ فقلت: علموني مما علمكم الله شيئا أنتفع به؛ قالوا: إذا أردت حفظ مالك فاقرا عليه: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) إلى آخر ثلاث الآيات، وآية الكرسي، وإذا أمسيت في خلأ وحدك فاقرا المعوذتين، وإن أحببت ألا يعبت بك ولا بأهلك وولدك عابت منا فعليك بالديك الأبيض؛ وأجعل في حجور صبيانك بريما، يعني خيطا من صوف أبيض وأسود، وأحشوا بالإذخر^(٤) ينشر في الصوف، فحدثوني كحديثنا تلك الليلة، فلما أصبحت رجعت.

- ٢٠ (١) الشريف: اسم ماء لبني نمير. (٢) اختليت من الاختلا، وهو اجتزاز الحلي وهو الحشيش تغلف به الدواب. (٣) لا ربيعة: لافزع، من راع يربع إذا فزع. (٤) الإذخر بالكسر: نبات مزهر طيب الرائحة.

قال المدائني : كانت وفاة زياد بالعرفة^(١) ظهرت في إصبعه ، وأشتد عليه الوجع
بجمع الأطباء فشاورهم في قطع إصبعه ، فأشار عليه بعضهم بذلك ، وقال له رجل منهم :
أتجد الوجع في الإصبع أم تجده في قلبك والإصبع ؟ قال : في قلبي وفي إصبعي ؛ قال :
عش سلماً ومث سلماً ، وأمره أن يغمسها في الخل ، فكان ذلك يخفف عنه بعض الوجع ،
فمكث بذلك سبعة عشر يوماً ثم مات ؛ وسمع أهل الحبس ليلة مات قائلاً يقول : أنا
النقاد ذو الرقية قد كفيتمكم الرجل . والعرب تدعو الطاعون رماح الجن . وقال النبي
صلى الله عليه وسلم « إنه وخر من الجن » يعني الطاعون . والله أعلم .

(١) العرفة : قرحة تخرج في بياض الكف .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي]

تم كتاب الطبائع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لابن قتيبة ويتلوه في الكتاب
الخامس كتاب العلم . والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي
وآله وصحبه وأهل بيته أجمعين .

وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الخزري ؛
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسة مائة هجرية . .

الى هنا ينتهي آخر القسم المطبوع من هذا الكتاب بمدينة جوتنجن سنة ١٨٩٩ م .
وسنعمد في مراجعة الجزء الخامس الى آخر الكتاب على الأصل الفتوغرافي وعلى
المصادر التي يعول عليها في تصحيح الكتاب .

[جاء بعد خاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي :]

كان سديف مولى بنى هاشم يقول : اللهم إنه قد صار فيئنا دولةً بعد القسمة ، وإمارتنا غلبةً بعد المشورة ؛ وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة ، وأشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة ؛ وحكم في ابشار المسلمين أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة . اللهم وقد استحصد زرع الباطل ، وبلغ نهيته ، وأستجمع طريده ، اللهم فافتح له من الحق يداً حاصدةً تبدد شمله ، وتفرق نامته ، ليظهر الحق في أحسن صورته ، وأتم نوره . والسلام .

وقيل : كانوا يتوقون ظلم السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا هذا الدعاء :
« باسم الله ، إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . إخشوا فيها ولا تكلمون .
أخذت سمعك وبصرك بسمع الله وبصره ، وأخذت قوتك بقوة الله ، بيني وبينك ستر النبوة الذي كانت الأنبياء تستتر به من سطوات الفراعنة ؛ جبريل عن يمينك ، وميكائيل عن شمالك ، ومحمد أمامك ، والله مطلق عليك يحجزك مني ويمنعني منك .
والسلام» .

وكتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله : « أما بعد ، فإذا دعيتك قدرتك على الناس الى ظلمهم ، فاذكر قدرة الله عليك ونفاد ما تأتي اليهم ، وبقاء ما يأتون اليك .
والسلام» .

(١) أبشار : جمع بشر ، والبشر : الخلق والشخص يطلق على الأنثى والذكر والاثنين والجمع وقد ينثى على بشرين ويجمع على أبشار (اللسان) . (٢) النائمة والنائمة : الحس والحركة وحياة النفس .
(٣) في الأصل «التي» والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وقَدِمَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ النُّوَاحِي قَقِيلَ لَه : كَيْفَ تَرَكْتَ النَّاسَ ؟ قَالَ : مَظْلُومًا
لَا يَنْتَصِرُ ، وَظَالِمًا لَا يُنْتَهَرُ . وَالسَّلَامُ .

فِي الْحَبْسِ :

مَا يَدْخُلُ السَّجْنَ إِنْسَانٌ فَتَسَأَلُهُ * مَا بَالُ سَجْنِكَ إِلَّا قَالَ مَظْلُومٌ

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

إِنَّ اللَّيَالِيَّ الَّتِي سُغِفْتُ بِهَا * غَيْبًا الدَّهْرُ فِي تَقَلُّبِ
لِلَّهِ أَمْرِي مَا مَلْتُ قَطُّ إِلَى * شَيْءٍ بِقَلْبِي إِلَّا لِحُفَّتْ بِهِ
عَرَفْتُ حَظِّي مِنَ الزَّمَانِ فَلَا * أَلُومَ خَلَقًا عَلَى تَجَنُّبِهِ
وَكُلَّ سَهْمٍ أَعَدَدْتُهُ وَقَفْتُ * بِهِ اللَّيَالِيَّ حَتَّى رُمِيْتُ بِهِ

وَحَكَى أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ أَتَوْهُ بِرَجُلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ فَأَرَادَ قَتْلَهُ ، فَأَدْخَلَ
عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنَ لَه صَغِيرًا وَهُوَ بَيْكِي ، فَقَالَ الْخَارِجِيُّ : دَعِهِ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَإِنَّ
ذَلِكَ أَرْحَبُ لَشِدْقِهِ ، وَأَصَحُّ لِدِمَاغِهِ ، وَأَذْهَبُ لَصَوْتِهِ ، وَأَحْرَى أَلَّا تَأْبَى عَلَيْهِ عَيْنُهُ
إِذَا حَفَزْتُهُ طَاعَةَ اللَّهِ فَاسْتَدْعَى عَثْرَتَهَا ، فَأَعْجَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِقَوْلِهِ وَقَالَ لَهُ مَتَّعْجِبًا :
أَمَا يَسْغَلُكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : مَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْغَلَ الْمُؤْمِنَ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ
شَيْءٌ ، فَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِجَبْسِهِ ، وَصَفَّحَ عَنْ قَتْلِهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب العلم والبيان

العلم

حدثني الزيادي قال حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن عبد الله بن سعد
عن الصنابحي^(١) عن معاوية بن أبي سفيان قال : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنِ الْأَغْلُوطَاتِ ، قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : يَعْنِي صِعَابَ الْمَسَائِلِ .^(٢)

حدثني سهيل بن محمد عن الأصمعي قال سمعت عمران بن حدير يحدث عن رجل
من أهل الشام قد سماه ، قال : قال كعب الأحبار لقوم من أهل الشام : كيف
رأيكم في أبي مسلم الخولاني؟ فقالوا : ما أحسن رأينا فيه وأخذنا عنه ! فقال : إن^(٣)

- ١٠ (١) في الأصل «الصنابحي» (بياء مثناة وجيم بعد الألف) وهو تحريف ، إذ هو عبد الرحمن بن عسيلة
الصنابحي (بياء موحدة وحاء بعد الألف) ، نسبة إلى صنابح من حير ، كما ذكر المؤلف في كتابه (المعارف)
(ص ٣١٥) طبع جوتنجن سنة ١٨٥٠ م والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) وتهذيب التهذيب (ج ٥
ص ٢٣٥) . (٢) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث ، لأنه لا معنى لأن ينهى النبي عن صعبات
المسائل ، والأوجه ما فسرنا به الزمخشري إذ قال في الأساس : «وهي المسائل التي يغالط بها» ؛ ويؤيد هذا
التفسير ما جاء بالعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) : «وكان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة قال
للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك «إبليس» . (٣) هو عبد الله بن ثوب بضم المثلثة وفتح
الواو بعدها موحدة وقيل باشباع وقيل ابن أثوب وزن أحمر : عابد رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم
يدركه ، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية (تقريب التهذيب) .

أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الْحَاكِمِ أَهْلُهُ ، وَإِنْ مِثْلَ ذَلِكَ مِثْلَ الْجَامَةِ تَكُونُ فِي الْقَوْمِ فَيَرْغَبُ فِيهَا
الْغُرَبَاءُ ، وَيَزْهَدُ فِيهَا الْقُرَبَاءُ ، فَبَيْنَا ذَلِكَ غَارَ مَاؤُهَا ، وَأَصَابَ هَوْلًا مَنفَعَتُهَا ، وَبَقِيَ
هَوْلًا يَتَفَكَّرُونَ ، أَمْ يَتَنَدَّمُونَ .

وفي الإنجيل أن عيسى صلى الله عليه لما أراهم العجائب ، وضرب لهم الأمثال
والحكمة ، وأظهر لهم هذه الآيات ، قالوا : أليس هذا ابن النجار ! أوليست أمه^(۲)
مريم وأخوه يعقوب ويوسف وشمعون ويهوذا وأخواته كلهن عندنا ! فقال لهم
عيسى : إنه لا يُسَبُّ النَّبِيَّ وَلَا يُحَقَّرُ إِلَّا فِي مَدِينَتِهِ وَبَيْتِهِ .^(۳)

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال : قيل لدغفل النسابة : بم أدركت
ما أدركت من العلم؟ فقال : بلسان سؤول وقلب عقول ، وكنيت إذا لقيت عالماً
أخذت منه وأعطيته .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا العلاء بن أسلم عن رؤية بن العجاج
قال : أتيت النسابة البكري فقال لي : من أنت ؟ فقلت أنا ابن العجاج ،
قال : قصرت وعزفت ، لعلك من قوم إن سكت عنهم لم يسألوني ، وإن تكلمت لم
يعوا عني ، قلت : أرجو ألا أكون كذلك ، قال : ما أعداء المرأة؟ قلت : تُخبرني ،
قال : بنو عم السوء إن رأوا حسناً ستروه ، وإن رأوا سيئاً أذاعوه ، ثم قال : إن للعلم
آفةً وهجنةً ونكداً ، فأفته نسيانه ، ونكده الكذب فيه ، وهجته نشره عند غير أهله .
كان يقال : لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أن قد علم فقد جهل .

(۱) لعلها الجملة قال في اللسان : والجموم : البئر الكثير الماء ، وبزجة وجموم : كثيرة الماء .

(۲) في الإصل « ليس » بغير تاء التانيث .

(۳) في هامش الأصل الفتوغرافي عن نسخة أخرى : بهه .

حدثني شيخنا عن محمد بن عبيد عن الصلت بن مهران عن رجل عن الشعبي عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من تعلم العلم لأربعة دخل النار ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يميل به وجوه الناس أو يأخذ به من الأمراء» .

وحدثني عن أبي معاوية عن حجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما من عبد يُخلص العبادة لله أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» . وقرأت في حِكْمِ لُقْمَانَ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ ، اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُحِبًّا ، وَلَا تَكُنِ الْخَامِسَ فَتَهْلِكُ .

حدثني محمد بن داود عن سُويد بن سعيد عن إسماعيل عن ابن عيَّاش عن مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَجْمَلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُوهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِيْنَ^(١) وَأَتِّحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ» .

وروى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبي إسحاق قال قال علي عليه السلام : كَلِمَاتٌ لَوْ رَحَلْتُمْ الْمَطِيَّ فِيهِنَّ لَا تُصِيبُوهُنَّ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكُوا مِثْلَهُنَّ : لَا يَرْجُونَ^(٢) عَبْدَ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ ، وَلَا يَسْتَحْيِي مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَلَا يَسْتَحْيِي إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ : اللَّهُ أَعْلَمُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَنزِلَةَ الصَّبْرِ مِنَ الْإِيمَانِ كَمَنزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، فَإِذَا ذَهَبَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ ، وَإِذَا ذَهَبَ الصَّبْرُ ذَهَبَ الْإِيمَانُ . وَكَانَ يَقُولُ : مَنْ حَقَّ الْعَالِمُ عَلَيْكَ إِذَا أَتَيْتَهُ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ عَاقِمَةٌ وَتُخَصَّصَ بِالتَّحِيَّةِ ، وَأَنْ

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧) طبع بولاق ، وفي الأصل «به» . (٢) كذا في الأصل

ومثله في أدب الدنيا والدين . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠١) «تحريف القائلين» .

(٣) في أدب الدنيا والدين (ص ٦٧) ما نصه : «وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : خمس خدوش

عني ، فلوركيتم الفلك ما وجدتموهن إلا عندي : ألا لا يرجون أحد إلا ربه ... الخ» .

(١) تَجْلِسَ قَدَامَهُ وَلَا تُشِيرَ بِيَدِكَ ، وَلَا تَغْمِزَ بَعَيْنِكَ ، وَلَا تَقُولَ قَالَ فُلَانٌ خِلَافًا لِقَوْلِهِ ، وَلَا تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا تَسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا تَأْخُذَ بِشُوبِهِ ، وَلَا تُلَحَّ عَلَيْهِ إِذَا كَسَلَّ ، وَلَا تَفْرُضَ (٢) مِنْ صَحْبَتِهِ لَكَ ، فَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ . وَفِيهَا قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا كَيْلُ ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ ، وَالْعِلْمُ يَزُكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ . وَقَالَ : قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ . وَيُقَالُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

بَعْدَ رَفِيعِ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَالِمًا * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبٍ
وَإِنْ حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعِلْمِهِ * وَمَا عَالِمٌ فِي بَلَدَةٍ بِغَرِيبٍ

قَالَ بَزْرُجَمِهْرٌ : مَا وَرَّثَتِ الْآبَاءُ الْأَبْنَاءَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْأَدَبِ ، لِأَنَّهَا تَكْتَسِبُ الْمَالَ بِالْأَدَبِ وَبِالْجَهْلِ تُتْلَفُ فَتَقْعُدُ عِنْدَمَا مِنْهُمَا . قَالَ رَجُلٌ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ :

مَالِي إِذَا رَأَيْتُمْ تُتَذَاكَرُونَ الْأَخْبَارَ ، وَتُتَدَارِسُونَ الْآثَارَ ، وَتُنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ ، وَقَعَ عَلَى النَّوْمِ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ حِمَارٌ فِي مَسْلَاحٍ (٦) إِنْسَانٍ .

نَحْرَجُ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ حَاجًّا وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَكَانَا بَعْضَ الطَّرِيقِ يَلْعَبَانِ بِالشَّطْرُنْجِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ تَقِيفٍ فَأَذِنَ لَهُ وَسَتَرَ

(١) عبارة العقد الفريد «خلاف قولك» . (٢) لا تفرض : لا تضجر . وفي الأصل «فرض» بانقائه وهو تحريف . وعبارة العقد «ولا تلح عليه في السؤال» ، وإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء» . (٣) في الأصل : «تكيل العلم خير من المال» وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، فقد جاء في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٠) ما نصه «عن كميل النخعي قال : أخذ بيدي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فخرج بي إلى ناحية الجبانة فلما أصحرت تنفس الصعداء ثم قال : يا كميل ، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فأحفظ عني ما أقول لك ... الخ» وكذلك وردت العبارة في الإحياء (ج ١ ص ٧) طبعة بولاق . (٤) أرذله الله : لم يرض عنه . (٥) في العقد الفريد «عاقلا» . (٦) المسلاخ : الجلد .

الشَّطْرَنْجِ بِمَنْدِيلٍ ، فلما دخل سلم فسأله حاجته ؛ فقال له الوليد : أقرأت القرآن ؟
قال : لا ، يا أمير المؤمنين ! شغلتنى عنه أمورٌ وهنأت ، قال : أفتعرف الفقه ؟
قال : لا ، قال : أفرويت من الشعر شيئاً ؟ قال : لا ، قال : أفعلمت من أيام
العرب شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فكشفت المنديل عن الشَّطْرَنْجِ وقال : شاهك ،
فقال له عبد الله بن معاوية : يا أمير المؤمنين ! قال : اسكت فسامعنا أحد .

وفي كتاب للهند : العالم إذا أغرب فعه من علمه كافٍ ، كالأسد معه قوته
التي يعيش بها حيث توجه . وكان يقال : العلم أشرف الأحساب ، والمودة أشد
الأسباب ، قال الشاعر :

الحِلْمُ والعِلْمُ خَلْتَا كَرِيم * للمرء زَيْنٌ إذا هما اجتمعا
صِنْوَانٌ لا يَسْتَمُّ حَسْنُهُمَا * إلا يجمع لذا وذاك معا
كم من وضع سماءه العلمُ والعِلْمُ * فحال العلاءَ وأرتفعا
ومن رفيع البنا أضعاهما * أحمله ما أضع فأتضعا

قال الأحنف : كاد العلماء أن يكونوا أرباباً ، وكلُّ عزٍّ لم يُؤكَّدْ^(١) بعلمٍ فالى ذلُّ
ما بصير . وقال ابن المقفع : إذا أكرمك الناس لمالٍ أو سلطانٍ فلا يُعجبك ذلك ،
فإن زوال الكرامة بزوالها ، ولكن يُعجبك إن أكرموك لدينٍ أو أدبٍ . وفي بعض
الحديث المرفوع : «مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء» . وكان يقال :
استدل على فضل العلم أنه ليس أحدٌ يحب أن له بحظه منه خطراً . قال يونس بن
حبيب : علمك من رُوحك ، ومالك من بدئك . قال أبو الأسود : الملوك حُكَّامٌ
على الناس ، والعلماء حُكَّامٌ على الملوك .

(١) في العقد (ج ١ ص ٢٠١) «يكسب» .

قيل لُبْرُجْمَهْر : العلماءُ أفضلُ أم الأغنياءُ؟ فقال : العلماءُ، فقيل له : فما بالُ
 العلماءِ بأبواب الأغنياءِ أكثرُ من الأغنياءِ بأبواب العلماءِ؟ فقال : لمعرفة العلماءِ بفضل
 الغنيِّ وجهل الأغنياءِ بفضل العلم . وفي الحديث : «ليس الملقُّ من أخلاق المؤمن
 إلا في طلب العلم» . قال ابن عباس : ذللتُ طالبا، فعززتُ مطلوبا، وكان يقول :
 وجدتُ عاقمة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحي من الأنصار، إن
 كنتُ لأقيل بباب أحدهم ولو شئتُ أذن لي ، ولكن أبتغي بذلك طيب نفسه .
 وكان يقال : أولُّ العلم الصمتُ والثاني الاستماعُ ، والثالث الحفظُ ، والرابع العقلُ ،
 والخامس نشره . ويقال : إذا جالستَ العلماءَ فكن على أن تسمعَ أحرص منك
 على أن تقول . قال الحسن : من أحسنَ عبادةَ الله في شبابه لقاها الله الحكمة
 في سنه ، وذلك قوله : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ﴾ قال بعض الحكماء من الصحابة : تقول الحكمة : من آتسنى فلم يجذني
 فليفعل بأحسن ما يعلم ، وليترك أقبح ما يعلم ، فإذا فعل ذلك فأنا معه وإن لم يعرفني .
 وكان يقال : لا يكون الرجلُ عالما حتى يكونَ فيه ثلاثٌ : لا يحقرُ من دونه في العلم ،
 ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ على علمه ثمنا . وقال ابن عيينة : يُستحبُّ للعالم إذا
 علمَ ألا يعنف ، وإذا علمَ ألا يأنف . وفي كلام لغيلان ، لا تكن كعلماء زمن الهرج
 إن علموا أنفوا وإن علموا عنفوا . وفي حكمة لقمان : إن العالمَ الحكيمَ يدعو الناسَ
 إلى علمه بالصمت والوقار ، وإن العالمَ الأخرقَ يطردُ الناسَ عن علمه بالهذر
 والإثار . قال إبراهيم بن المنصور : سلَّ مسألةَ الحنقيِّ وأحفظَ حفظَ الأيكاس .
 وأنشد ابن الأعرابي :

(١) الهرج : الفتنه .

ما أقرب الأشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها إذا لم تقدر
 فسلي الفقيه تكن فقيها مثله * من يسع في عمل يفقه يمهر
 وتدبر الأمر الذي تُعنى به * لاخير في عملٍ بغير تدبر
 فلقد يجتد المرء وهو مقصر * ويحيب جد المرء غير مقصر
 ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمرٍ منكر
 وبقيت في خلف يزين بعضهم * بعضا ليدفع معور^(۱) عن معور

وقال الشاعر^(۲) :

شفاء العمى طول السؤال وإنما * تمام العمى طول السكوب على الجهل

- وقال بعضهم: خير خصال المرء السؤال، ويقال: إذا جلست إلى عالم فسلي تفقها
 ولا تسأل تعنتا. قال الحسن: من استتر عن الطلب بالحياء ليس للجهل سر بالله، فقطعوا
 سراييل الحياء، فإنه من رق وجهه رق علمه؛ وقال: إني وجدت العلم بين الحياء
 والستر. وقال الخليل: منزلة الجهل بين الحياء والأنفة. وقال علي بن أبي طالب
 عليه السلام: قرنت الهيبة بالحيية، والحياء بالحرم، والحكمة ضالة المؤمن فليطلبها
 ولو في يدي أهل الشرك. وقال عمرو بن الزبير لبيته: تعلموا العلم فإن تكونوا صغار
 قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين، فياسوءنا ماذا أقبح من جهل بشيخ! وكان
 يقال: علم علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت
 وحفظت ما علمت.

قيل لبزرجيمهر: يم أدركت ما أدركت من العلم؟ فقال: يسكور بسكور

الغراب، وحريص كحرص الخنزير، وصبر كصبر الحمار. وقال الحسن: طلب العلم

- ۲۰ (۱) معور من أعور الشيء إذا بدت عورته. (۲) هو بشار بن برد كما في أدب الدنيا والدين
 (ص ۴۹ طبعة بولاق) وبعد البيت :

فكن سائلا عما هناك وإنما * دعبت أخوا عقل لتبعث بالعقل

في الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ، وَطَلَبُ الْعِلْمِ فِي الْكِبَرِ كَالنَّقْشِ عَلَى الْمَاءِ. وَيُقَالُ: التَّفَقُّهُ .
تَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَحِمَارِ الطَّاحُونَةِ يَدُورُ وَلَا يَبْرَحُ . وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ « اِرْحَمُوا عَزِيزًا ذَلَّ
اِرْحَمُوا غَنِيًّا افْتَقَرَ اِرْحَمُوا عَالِمًا ضَاعَ بَيْنَ جُهَالٍ » وَيُقَالُ : أَحَقُّ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ عَالِمٌ
يَجُوزُ عَلَيْهِ حُكْمُ جَاهِلٍ .

قال المسيح عليه السلام : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تُلْقُوا اللَّؤْلُؤَ إِلَى الْخَنَازِيرِ، فَإِنَّهَا
لَا تَصْنَعُ بِهِ شَيْئًا، وَلَا تُعْطُوا الْحِكْمَةَ مَنْ لَا يُرِيدُهَا، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ اللَّؤْلُؤِ،
وَمَنْ لَا يُرِيدُهَا شَرٌّ مِنَ الْخَنَازِيرِ. قَالَ دِيمَقْرَاطُ : عَالِمٌ مُعَانِدٌ خَيْرٌ مِنْ مُنْصَفٍ جَاهِلٍ .
وَقَالَ آخَرُ : الْجَاهِلُ لَا يَكُونُ مُنْصِفًا؛ وَقَدْ يَكُونُ الْعَالِمُ مُعَانِدًا . ذَالُ سُقْيَانٍ : تَعَوَّدُوا
بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَفِتْنَةُ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ . قِيلَ لِلْحَسَنِ : الْحِرْفَةُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ؛
وَلِغَيْرِهِمُ الثَّرْوَةُ، فَقَالَ : إِنَّكَ طَلَبْتَ قَلِيلًا فِي قَلِيلٍ فَأَعْجَزَكَ، طَلَبْتَ الْمَالَ وَهُوَ قَلِيلٌ
فِي النَّاسِ، فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَهُمْ قَلِيلٌ فِي النَّاسِ . وَقَالَ الْخَزَّيْمِيُّ :
لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى عَقْلٍ وَلَا أَدَبٍ * إِنَّ الْجُدُودَ قَرِينَاتُ الْحِمَاقَاتِ

وقال آخر :

مَا أَزْدَدْتُ مِنْ أَدَبِي حَرْفًا أُسْرِبُهُ * إِلَّا تَزَيْدْتُ حَرْفًا تَحْتَهُ سُومٌ
إِنَّ الْمُقَدَّمَ فِي حِدْقٍ بَصْنَعْتَهُ * أَلَّى تَوَجَّهَ مِنْهَا فَهُوَ مَحْرُومٌ

وقال الطائي لمحمد بن عبد الملك :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهَالََةَ أُمَّهَا * وَلَوْ دُرُّ وَأُمُّ الْعِلْمِ جَدَاءٌ حَائِلٌ^(٣)

(١) في الأصل : « العالم » وظاهر أنه تحريف .

(٢) جذاء : من الجذ وهو القطع ، والمراد أنها مقطوعة النسل .

(٣) الحائل : كل أنثى لا تحمل .

قال الثوري: من طلب الرياسة بالعلم سريعا فاته علم كثير^(١) وقال: يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل. قال بعض أهل العلم: يُفقر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يُفقر للعالم ذنبا واحدا. قال بلال بن أبي بردة: لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون. وقال الخليل بن أحمد:

٥. اعْمَلْ بِعِلْمِي وَلَا تَنْظُرْ إِلَى عَمَلِي * يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

كتب رجل إلى أخ له: إنك قد أوتيت علما فلا تُطْفِئْ نورَ علمك بظلمة الذنوب فتبقي في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم.

وقال بعض الحكماء: لولا العلم لم يُطلب العمل، ولولا العمل لم يُطلب العلم، ولأن أدع الحق جهلا به أحب إلى من أن أدعه زهدا فيه. وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا^(٢). ونحوه قول زياد: إذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان.

ويقال: العلماء إذا علموا يملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طُلبوا فإذا طُلبوا هربوا. قال الحسن: ما أحسن الرجل ناطقا عالما ومستمعا واعيا وواعيا عاملا. وقال ابن مسعود: إنى لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها. وقال ابن عباس: إذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله. وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك:

إذا ما تحدثت في مجلس * تنأى حديثي إلى ما علمت

ولم أعد علمي إلى غيره * وكان إذا ما تنأى قصرت

٢٠ (١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٦٩ طبعة بولاق) وفي الأصل: "يهتف" وظاهر أنه تحريف. (٢) ورواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢١١) «اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي» وفي أدب الدنيا والدين «اعمل بقولي...». (٣) الصفا جمع صفاة، وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت.

وقال آخر: ^(١)

إذا ما انتهى علمي تناهيتُ عنده * أطال فأملِي أم تناهي فأقصرا
ويُخبرني عن غائب المرء فعلمه * كفى الفعل عما غيب المرء مُخبراً

قال عمر بن الخطاب: لا أدركتُ لأنا ولا أنت زمانا يتغايرون في العلم
كما يتغايرون على الأزواج . قال سلمان : علمٌ لا يُقال به ككثرة لا يُنْفَق منه .
وفي الحديث المرفوع : « العلم علمان علمٌ في القلب فذلك العلم النافع وعلمٌ على اللسان
فذلك حُجَّةُ الله على ابن آدم » قال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيئاً إلى شيء أحسن
من حلم إلى علم ومن عفو إلى قُدرة . قال أبو الدرداء : من يزدد علماً يزدد
وجعاً .

قال أفلاطون : لولا أن في قول لا أعلم سبباً لأنني أعلم لقلتُ إنني لا أعلم .
وقال آخر : ليس معي من فضيلة العلم إلا علمي بأنني لست أعلم .

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجلٌ يدرى ويدري أنه يدرى فسأوه ،
ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذاك ناسٌ فذكروه ، ورجل لا يدرى ويدري أنه
لا يدرى فذلك مسترشد فعلموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك
جاهل فرفضوه .

كتب كسرى إلى بزرجمهر وهو في الحبس : كانت ثمرة علمك أن صرتَ بها
أهلاً للحبس والقتل ، فكتب إليه بزرجمهر : أما ما كان معي الجَدَّ فقد كنتُ أنتفعُ
بثمرة العلم فالآن إذ لا جدَّ فقد صرتُ أنتفع بثمرة الصبر مع أني إن كنتُ فقدتُ كثيرَ
الخير فقد استرحت من كثير الشر .

(١) هو زيادة بن زيد كما في أدب الدنيا والدين (ص ٦٦) .

قال بزرجيهر : من صلح له العمر صلح له التعلم . وقيل لبعض الحكماء :
أيحسن بالرجل أن يتعلم ؟ فقال : إن كانت الجهالة تقبح به فإن العلم يحسن به .
ويقال : التودد زين العلم .

قال عمر بن الخطاب : ما من غاشية أدوم أرقاً ، وأبطأ شبعاً من عالم . قال
مالك بن دينار : من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكتفى ، ومن طلبه للناس
فخواجج الناس كثيرة .

قال إبقراط : العلم كثير، والعمر قصير، والصنعة طويلة ، والزمان جديد ،
والتجربة خطأ .

قال المسيح عليه السلام : إلى متى تصفون الطريق للمُدبلجين ، وأتم مقيمون مع
المتحيرين ؛ إنما ينبغي من العلم القليل ، ومن العمل الكثير . قال سلمان : لو حدثت الناس
بكل ما أعلم لقالوا رحم الله قاتل سلمان . كان يقال : لا تقل فيما لا تعلم فتتهم فيما تعلم .
وكان يقال : العلم قائد ، والعمل سائق ، والنفس حرون ، فإذا كان قائد بلا سائق بلدت
وإذا كان سائق بلا قائد عدلت يمينا وشمالا ، فإذا اجتمعا أنابت طوعا وكرها . قال
أيوب : لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يعرف الاختلاف . ويقال : غيرزة
العقل أنثى وما يُستفاد من العلم ذكر ولن يصلحا إلا معا .

قال المسيح عليه السلام : إن أبغض العلماء إلى الله رجل يحب الذكر بالمغيب ،
ويوسع له في المجالس ، ويدعى إلى الطعام ، وتفرغ له المزود ، بحق أقول لكم : إن
أولئك قد أخذوا أجورهم في الدنيا ، وإن الله يضاعف لهم العذاب يوم القيامة .

(١) الغاشية : السؤال الذي يفشونك يرجون فضلك ومعروفك . (٢) وفي العقد الفريد
(ج ١ ص ١٩٨) : « وقد قالت الحكماء : العلم قائد والعقل سائق والنفس ذود فإن كان قائد بلا سائق
هلك ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا وإذا اجتمعا أنابت طوعا وكرها » .
(٣) المزود جمع مزود كبير وهو وعاء الزاد .

لما دلت زید بن ثابت فی قبره قال ابن عباس : من سره أن یرى کیف ذهب العلمُ فهكذا ذهابُ العلم .

ویقال : إذا أردت المحبة من الله فكن عالماً بجاهل . وقال بعض الشعراء

فی تلاقی العلماء :

إذا تلاقى الفیولُ وأزدحمت * فكیف حالُ البعوض فی الوسیط

وقال ابن الرقاع :

ولقد أصبت من المعیشة لذَّة * ولقیبت من شظیف الخطوب شدادها

وعلمت حتی لست أسأل عالماً * عن حرفٍ واحدة لکی أزدادها

ویقال : أربع لا یأنف منهن الشریف : قیامه عن مجلسه لأبيه ، وخدمته

لضیفه ، وقیامه علی فرسه وإن كان له مائة عبید ، وخدمته العالم لیأخذ من علمه .

فیل لعطاء بن مضعب : کیف غلبت علی البرامكة وعندهم من هو آدب منك؟

قال : لیس للقرباء ظرافة الغرباء ، كنت بیعد الدار ، غریب الأسم ، عظیم الکبر ،

صغیر الحرم ، کثیر الایواء ، شحیحا بالإملاء ، فقر بنی الیهم تباعدی منهم ، ورغبهم

فی رغبتی عنهم .

قال أبو یعقوب الخزیمی^(٢) : تلقانی سعید بن وهب مع طلوع الشمس فقلت :

أین تُرید؟ قال : أدورُ لعلی أسمع حدیثاً حسناً ، ثم تلقانی أنس بن أبی شیخ فقلت :

أین تُرید؟ قال : عندی حدیثٌ حسنٌ فأنا أطلبُ له إنساناً حسنَ الفهم حسنَ

الاستماع ، قلت : حدثنی به قال : أنت حسنُ الفهم سبی الاستماع ، وما أرى لهذا

الحدیث إلا إسماعیل بن غزوان . وقال الطائی فی نحو هذا :

(١) جمع فیل . (٢) هو إسحاق بن حسان و یکنى أبا یعقوب الخزیمی [بالراء المهمله] كما ذكره

المؤلف فی کتابه : «الشعر والشعراء» (ص ٥٤٢) طبع مدینة «لیدن» سنة ١٩١٢ م .

وَكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قُنُوعٍ * تَعَوَّضَهُ صَفُوحٌ مِنْ مَلُولٍ^(١)
فِصْرَتْ أَدَلَّ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ * بِهِ فَفَسَّرْتُ إِلَى فَهْمٍ جَلِيلٍ

كان يقال : إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد لفن من العلم ، وإذا أردت أن

تكون أدبياً فخذ من كل شيء أحسنه . قال إبراهيم بن المهدي :

٥ قد يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَمْ تَتَّعِبْ رِوَاحِلَهُ * وَيُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُؤْتِ مِنْ تَعَبِ
مَعْ أَنِّي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً * الرِّزْقُ أَرْوَعُ شَيْءٍ عَنِ ذَوِي الْأَدَبِ
وَخَلَّةٌ لَيْسَ فِيهَا مَنْ يُخَالَفُنِي * الرِّزْقُ وَالنُّوْكَ مَقْرُونَانِ فِي سَبَبِ^(٢)
يَا نَائِبَ الْعَقْلِ كَمْ عَايَنْتَ ذَا حُمُقٍ * الرِّزْقُ أَغْرَى بِهِ مِنْ لَازِمِ الْجَرَبِ

قال أنوشروان للموبذ^(٣) : ما رأسُ الأشياءِ؟ قال : الطبيعة النقية تكتفي من الأدب

١٠ برأحتها ، ومن العلم بالإشارة إليه ، وكما يذهب البدر في السباخ ضائعا ، كذلك الحكمة
تموت بموت الطبيعة ، وكما تغلب السباخ^(٤) طيب البدر إلى العفن ، كذلك الحكمة
تفسد عند غير أهلها ؛ قال كسرى : قد صدقتَ وبحق قأدناك ما قلدناك .

١٥ قال بعضُ السلفِ^(٥) : يكون في آخر الزمان علماء يُزهدون في الدنيا ولا يزهدون ،
ويرغبون في الآخرة ولا يرغبون ، ينهون عن غشيان الولاية ولا ينتهون ، يقربون

١٥ (١) كذا في الأصل الفلوجرافي ، وفي نسخة ديوان أبي تمام الخطية المحفوظة بدارالكتب المصرية رقم ١٠٦ أدب ص ٢٣٤ وفي ديوانه المطبوع : « عن جهول » .

(٢) كذا في المحاسن والأضداد للمحافظ : (ص ١٣٤ طبع مدينة ليدن) والسبب : الحبل .
وفي الأصل الفلوجرافي : « نسب » .

(٣) الموبذ بضم الميم وفتح الباء ومثله الموبذان : فقيه الفرس وحاكم الميوس .

٢٠ (٤) السباخ جمع سبخة محرّكة ومسكنة وهي الأرض ذات التز والملاح .

(٥) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٥ طبع بولاق) « قال عيسى بن مريم عليه السلام سيكون... الخ » .

الأغنياء ويُباعدون الفقراء، وَيَنْقَبِضُونَ عند الحُقَرَاءِ، وَيَنْبَسُطُونَ عند الكِبَرَاءِ (٢) :
أولئك الجَبَّارون أعداءُ الرحمن .
نافع عن ابنِ عُمَرَ قال : العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنةٌ ماضية ، ولا أدري .

الْكُتُبُ والحِفْظُ

حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني قريش بن أنس قال سمعت الخليل بن أحمد
يقول : اسلم من الوَحْدَةِ ، فقبيل له : قد جاء في الوَحْدَةِ ما جاء ، فقال : ما أفسدها
للجاهل ! . قال بعض الشعراء في قوم يجمعون الكُتُبَ ولا يعلمون :
زوامِلٌ للأَسْفارِ لا عِلْمَ عندهم * بجيِّدِها إلا كَعِلْمِ الأَبَاعِرِ (٤)
لعمرك ما يَدْرِى المَطِيُّ إذا غدا * بأحمالها أوراَحَ ما في الفَرَائِرِ (٥)

قال يحيى بن خالد : الناس يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن
ما يكتبون ، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون . قال الشَّعْبِيُّ : لو أن رجلاً حفظ
ما تسيئتُ كان عالمها . ووصف رجلٌ رجلاً فقال : كان يغلطُ في علمه من وجوه
أربعة : يسمع غير ما يُقال له ، ويحفظ غير ما يسمع ، ويكتب غير ما يحفظ ،
ويحدثُ بغير ما يكتب .

قيل لأبي نُوَاسٍ : قد بعثوا إلى أبي عبيدة والأصمعي ليُجمعَ بينهما ، فقال :
أما أبو عبيدة فإن أمكنوه من شُقره قرأ عليهم أساطير الأقران ، وأما الأصمعي فبابل
في قفص يطربهم بنغماته .

(١) في العقد الفريد « ويعدون » . (٢) في العقد الفريد « وينبسطون للكبراء . وينقبضون
عن الحُقَرَاءِ » : (٣) في العقد الفريد « أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن » . (٤) زوامل جمع
زاملة وهي التي يحمل عليها من الإبل وغيرها . (٥) الفرائر جمع غرارة بالكسر وهي ما يحمل فيه التبن ونحوه .
(٦) الشقر مصدر : الكذب ، وفي المثل : « جاء بالشقر والبقر » أي جاء بالكلام المغير عن وجه الصدق .

القرآن

حدثني الزيادي قال : حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الحريري عن عبد الله بن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون بيع المصاحف ويرونه عظيماً ، وكانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم الغلمان شيئاً .

حدثني محمد بن عبد العزيز عن خالد الكاهلي عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي عليه السلام قال : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الریحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أمية وليث بن أبي سليم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو فإني أخاف أن ينانه العدو » .

حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثنا عمير بن عمران العلاف قال : حدثنا خزيمة بن أسد المرّي قال : كان سعيد بن المسيّب يستفتح القراءة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) ويقول : إنها أول شيء كتبت في المصحف ، وأول الكتب ، وأول ما كتبت به سليمان بن داود الى المرأة .

(١) ورد في الأصل «أبيه» وهو تحريف لأن إسماعيل بن أمية المذكور من روى عنه «أبو إسحاق الفزاري» ومعارية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي إسحاق الفزاري أيضاً فنعين بما ورد في الأصل أن «أبا إسحاق» هو المقصود في هذه الرواية راجع تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٢٨٣ ، ج ١٠ ص ٢١٥) . (٢) هي بلقيس بكر الباء والقاف : ملكة سبا رقصتها معروفة .

وحدثني أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعي قال : حدثنا رجل عن عمران بن حدير قال : قرأت على أعرابي آخراً سورة « براءة » فقال : كان هذا من آخر ما نزل . قالوا : كيف ؟ قال : أرى أشياء تُقضى وعهوداً تُنبذ . قال : وقرأت عليه سورة الأحزاب فقال : كأنها ليست بتامة .

حدثني محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قال ابن مسعود : (حم) ديباج القرآن ، قال : وزاد فيه مسعراً ، قال عبد الله : إذا وقعت في آل (حم) وقعت في روضات دمنات أتناق فيهن .

حدثني شيخ لنا عن المحاربي قال : حدثنا بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن الحسن قال : قرأ القرآن ثلاثة : رجل آتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر ، يطلب به ما عند الناس ، وقوم حفظوا حروفه ، وضيعوا حدوده ، وأستدروا به الولاية ، وأستطالوا به على أهل بلادهم — وقد كثرت الله هذا الضرب في حملة القرآن لا كثرتهم الله — ورجل قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه ، فسهر ليله وهملت عيناه ، تسربلوا الخشوع ، وأرتدوا بالحزن ، وركدوا في محاريبهم ، وجثوا في برانسهم ، فبهم يسقى الله الغيث ، ويُنزل النصر ، ويرفع البلاء ، والله لهذا الضرب

(١) هو مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الرواسي ، أحد الأعلام (راجع تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١١٣) . (٢) في النهاية لابن الأثير مادة « دمت » : إذا قرأت « آل حم الخ » . وفي مادة « أنق » : إذا وقعت « في آل حم الخ » . (٣) دمنات : سهلة لينة . (٤) بالمعجمة والتون آخره سين مهملة مصغراً كذا في تهذيب التهذيب والتفريب والخلاصة . وفي الأصل « خنيس » بالمعجمة في آخره وظاهر أنه تحريف . (٥) كذا في الأصل بوار الجماعة والمقام يقضى الإفراد لقوله : « ورجل قرأ القرآن... الخ » ويؤيد هذا ما ورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبعة بولاق) ونصه : «... ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسهر ليله وهملت عيناه وتسربل الخشوع وأرتدى الوقار واستشعر الحزن ورواه... الخ » . (٦) في الأصل : خنوا . (٧) البرانس جمع برنس بالضم وهو قلندوة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام ، وكل ثوب رأسه ملتقى به .

في حَمَلَةِ الْقُرْآنِ أَقْلُ مِنَ الْكِبْرِيَّتِ الْأَحْمَرِ . رَوَى الْحَارِثُ الْأَعْوَرُ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا قَبْلَكُمْ وَنَبَأٌ مِمَّا بَعْدَكُمْ
وَحُكْمٌ مِمَّا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْمَزَلِ هُوَ الَّذِي لَا تُرِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ
الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ
اللَّهُ وَمَنْ آتَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمِ وَالصِّرَاطُ
الْمُسْتَقِيمُ » ؛ خَذَهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ .

المُحَارِبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ عَمَّنْ أَخْبَرَهُ عَنِ الْمُسَيْبِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلِيلِهِ إِذَا النَّاسُ نَامُوا ، وَيُجْزَنُ
إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ ، وَيَبْكَاةُ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ ؛ وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ
عَلِيًّا حَكِيمًا لَيْنًا مُسْتَكِينًا .^(٢)

وَكَيْعٌ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ الْمَدِينِيِّ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيظٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنْ تَعْظِيمِ جَلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشُّبَيْةِ فِي الْإِسْلَامِ وَإِكْرَامَ
الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَإِكْرَامَ حَامِلِ الْقُرْآنِ » . قَالَ بَعْضُ الْمَفْسَرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :
(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) أَحْرِمُهُمْ فَهَمَّ الْقُرْآنُ .^(٤)

- ١٥ (١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طعة بولاق) «على» . (٢) ورد في الأصل
«معول» بالعين المهملة وهو تحريف . وصوابه بالمعجمة كما في الخلاصة وتهذيب التهذيب .
(٣) في الأصل «سكينا» وما أثبتناه عن الإحياء (ج ١ ص ٢٦٠) طعة بولاق ، وعبارة الإحياء
عن ابن مسعود «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون ، وبنتاره إذا الناس يفرطون ،
ويجزئه إذا الناس يفرحون ، ويبكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يحوضون ؛ وبخشوعه
إذا الناس يخنلون ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا مامريا
ولا صياحا ولا صحابا ولا حديدا» . (٤) ذكره ابن حبان في الثقات وقال : كل ما يجيء في الأخبار
«كريز» يعني بضم الكاف إلا هذا تهذيب .

سمع أعرابي ابن عباس وهو يقرأ (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) فقال : والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يدخلهم فيها ؛ فقال ابن عباس : خذها من غير فقيه .

الحديث

٥ حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال : حدثنا محمد بن فضيل عن الأعمش قال : كان إسماعيل بن رجاء يجمع صبيان الكتاب فيحدثهم كيلا ينسى حديثه . وحدثني إسحاق الشهيد^(١) قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش قال : قال لي حبيب بن أبي ثابت : لو أن رجلا حدثني عنك بحديث ما باليت أن أرويّه عنك .

١٠ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : ألف عن ألف خير من واحد عن واحد إن فلانا عن فلان ينتزع السنة من أيديكم . حدثني الرياشي قال : روى عن محمد بن إسماعيل عن معتمر قال : حدثني منقذ عن أيوب عن الحسن قال : ويح : رحمة .

١٥ حدثنا الرياشي قال : روى ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد ؛ قال ربيعة : ثم ذا كرت سهيلا بهذا الحديث فلم يحفظه ، فكان بعد ذلك يرويّه عنّي عن نفسه عن أبيه عن أبي هريرة .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن شعبة قال : كان قتادة إذا حدث بالحديث الجيد ثم ذهب يجيء بالثاني غدوة .

٢٠ (١) هو إسحاق بن إبراهيم بن حبيب المذكور قبله .

بَلَّغْنِي عَنْ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ : سَأَلَ شُعْبَةَ : مَنْ الَّذِي يُتْرَكُ حَدِيثُهُ ؟ فَقَالَ : الَّذِي يُتَّهَمُ بِالْكَذِبِ ، وَمَنْ تَكَثَّرَ بِالْغَلَطِ ، وَمَنْ يُخْطِئُ فِي حَدِيثٍ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ فَلَا يَتَّهَمُ نَفْسَهُ وَيُقِيمُ عَلَى غَلَطِهِ ، وَرَجُلٌ رَوَى عَنِ الْمَعْرُوفِينَ مَا لَا يَعْرِفُهُ الْمَعْرُوفُونَ .

وَعَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ : لَا يُؤْخَذُ الْعَلْمُ مِنْ أَرْبَعَةٍ : سَفِيهِ مَعْلَمٍ بِالسَّفْهِ ، وَصَاحِبِ هَوًى ، وَرَجُلٍ يَكْذِبُ فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ وَإِنْ كُنْتَ لَا تَتَّهَمُهُ فِي الْحَدِيثِ ، وَرَجُلٍ لَهُ فَضْلٌ وَتَعَفُّفٌ وَصَلَاحٌ لَا يَعْرِفُ مَا يُحَدِّثُ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ رَأَى سَفْيَانَ بْنَ عَيْنَةَ فَقَالَ :
 قَلْبِيكَ سَفْيَانٌ بَاغَى سُنَّةَ دَرَسَتْ * وَمُسْتَيْبِتٌ أَنْارَاتٍ وَأَنْارٍ^(٤)
 وَمُبْتَغِي قُرْبِ إِسْنَادٍ وَمَوْعِظَةٍ * وَأَفْقِيُونَ^(٥) مِنْ طَارٍ وَمِنْ طَارٍ
 أَمْسَتْ مَجَالِسُهُ وَخَشًا مُعْطَلَةٌ * مِنْ قَاطِنِينَ وَحُجَّاجٍ وَعُمَّارٍ
 مَنْ لِلْحَدِيثِ عَنِ الزُّهْرِيِّ حِينَ نَوَى * أَوْلَ الْأَحَادِيثِ عَنِ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ^(٦)
 لَوْ يَسْمَعُونَ بَعْدَهُ مَنْ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ مِنْ أَهْلِ بَدْوٍ أَوْ بِأَحْضَارٍ
 لَا يَهِنُ الشَّامِتُ الْمَسْرُورَ مَضْرَعُهُ * مِنْ مَارْقِينَ وَمِنْ جُحَّادٍ أَقْدَارٍ^(٧)

(١) قَالَ ابْنُ خُلِكَانَ : كَانَ إِمَامًا عَالِمًا تَبَنَّأَ زَاهِدًا وَرِعًا جَمَعَا عَلَى صِحَّةِ حَدِيثِهِ وَرَوَايَتِهِ ؛ تُوْفِيَ آخِرَ يَوْمٍ
 مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ١٩٨ هـ (٢) الْمُسْتَيْبِتُ : الْفَقِيرُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الطَّالِبُ . (٣) جَمْعُ أَنْارَةٍ
 وَهِيَ الْبَقِيَّةُ مِنَ الْعِلْمِ تُوْثِرُ . (٤) جَمْعُ أَزْرٍ وَهُوَ الْخَبْرُ . (٥) أَفْقِيُونَ جَمْعُ أَفْقٍ أَوْ أَفْقِيٍّ (نِسْبَةٌ
 إِلَى الْآفَاقِ أَوْ إِلَى الْأَفْقِ) . (٦) هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْأَعْلَامِ النَّاصِبِينَ
 بِالْمَدِينَةِ رَأَى عَشْرَةَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ ، مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَسَفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ وَسَفْيَانُ
 الثَّوْرِيُّ ، تُوْفِيَ سَنَةَ ١٢٤ هـ لِسَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ (رَاجِعْ بِنَ خُلِكَانَ) . (٧) هُوَ عَمْرٍو بْنُ
 دِينَارِ الْمَكِّيِّ ، كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ إِتْقَانًا لِلْحَدِيثِ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ الزُّبَيْرِ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ؛ تُوْفِيَ
 سَنَةَ ١٢٥ هـ أَوْ ١٢٦ هـ .

وَمِنْ زَنَادِقَةٍ ، جَهْمٌ يَقُودُهُمْ * قَوْدًا إِلَى غَضَبِ الرَّحْمَنِ وَالنَّارِ
وَمُلْحِدِينَ وَمُرْتَابِينَ قَدْ خَلَطُوا * بِسُنَّةِ اللَّهِ أَهْتَارًا بِأَهْتَارِ^(٢)

وقال آخر في مالك بن أنس الفقيه :

يَأْبَى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِي الْأَذْقَانِ
هَدَى التَّقَى وَعِزُّ سُلْطَانِ التَّقَى * فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا محمد بن سوار قال حدثنا هشام بن حسان قال :
كان الحسن يُحدثنا اليوم بالحديث ويرده الغد ويزيد فيه وينقص إلا أن المعنى
واحد .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال :
قال حذيفة بن اليمان : إنا قومٌ عربٌ فنفسدُ وتؤخر وتزيد وتنقص ، ولا نريد
بذلك كذبا .

أبو معاوية قال : قال أبو إسحاق الشامي : لو كان هذا الحديث من الخبر نقص .
أبو أسامة قال : قال مسعر : من أبغضني ففعله الله محدثا ، أبو معاوية قال :
سمعت الأعمش يقول : والله لأن أتصدق بكسرة أحب إلي من أن أتحدث
بستين حديثا .

أبو أسامة قال : سمعت سُفْيَانَ يقول : لوددتُ أنها قُطِعَتْ من هاتمي ، وأوما
إلى المنكب ، وأني لم أسمع منه شيئا .

(١) هو جهم بن صفوان صاحب الجهمية وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمز وقنله سالم
ابن أحوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء ذكرها
الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ٦٠) .
(٢) جمع هترو وهو السقط .

قال ابن عيينة : ما أحب لمن أحب أن يكون أحفظ الناس للحديث . قال بعضهم : إني لأسمع الحديث عطلا فأشغفه وأقرطه وأقلده فيحسن ، وما زدت فيه معنى ، ولا نقصت منه معنى .

أبو أسامة قال : سأل حفص بن غياث الأعمش عن إسناد حديث فأخذ يحلقه وأسنده الى الخائط وقال : هذا إسناده .

وحدث ابن السماك بحديث فقال له رجل : ما إسناده ؟ فقال : هو من المرسلات عرفا . وحدث الحسن بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد، عن قال وما يصنع بعمن ؟ أما أنت فقد نالتك موعظته ، وقامت عليك حجته .

بعلی قال : قال الأعمش : إذا رأيت الشيخ لم يطلب الفقه أحببت أن أصفعه .

١٠ ابن عيينة قال : قال الأعمش : لولا تعلم هذه الأحاديث كنت كبعض بقالي الكوفة .

ازدحم الناس يوماً على باب ابن عيينة أيام الموسم وبالقرب منه رجل من حاج خراسان قد حط بجمله فديس وكسر ما كان معه وأتهب كعكه وسويقه ، فقام يسير إلى سفیان ويدعو ويقول : إني لا أحل لك ما صنعت ؛ فقال سفیان : ما يقول ؟ فقال بعضهم : يقول لك : زدنا في السماع رحمك الله .

١٥ أنشدني أبو حاتم عن الأصمعي للعلاء بن المنهال الغنوي في شريك :^(١)

(١) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي . تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ثم عزله موسى الهادي ، وكان عالماً فقيهاً فهما ذكيا فطنا . توفي سنة ١٧٧ هـ (ابن خلکان ج ١ ص ٣١٧ طبعة باريس سنة ١٨٣٨) . وقد ورد هذان البيتان مع أبيات أخرى للنهال قالها في شريك أيضا في المجلد الأول من هذا الكتاب (ص ١٧ و ٦٨) .

(١) لَيْتَ أبا شَرِيكَ كَانَ حَيًّا * فَيُقَصِّرَ حِينَ يُبْصِرُهُ شَرِيكَ
وَيَتْرُكَ مِنْ تَدْرِيهِ عَلَيْنَا * إِذَا قَلْنَا لَهُ هَذَا أَبُوكَ

وقال آخر :

تَحْرَزُ سُفْيَانٌ وَفَرَّ بِدِينِهِ * وَأَمْسَى شَرِيكَ مَرَّصِدًا لِلدَّرَاهِمِ

وقال آخر في شهر بن حوشب :

لَقَدْ بَاعَ شَهْرُ دِينَهُ بِخَرِيطةٍ * فَمَنْ يَأْمَنُ الْقُرَاءَ بِعَدِكَ يَا شَهْرُ

وذلك أنه كان دخل بيت المال فسرق خريطة، ورافق رجلا من أهل الشام

فسرق عيَّته . وقال ابن مناذر^(٣) :

(١) هكذا وردت في الأصل ، وفي اللسان (ج ١ ص ٦٦) و(ج ٢٠ ص ٧١) ووردت في المجلد

الأول من هذا الكتاب (ص ٢٨) : « فليت » .

(٢) في الأصل : « تدرِّبه » بالذال المعجمة والباء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان

(ج ١ ص ٦٦ و ج ٢٠ ص ٧١ و ٧٢) وجاء في اللسان (ج ١ ص ٦٦) « قال ابن سيده : إنما أراد

من تدرَّته (أي من تطاوله وتكبره) فأبدل الهمزة إبدالا صحيحا حتى جعلها كأن موضوعها الياء وكسر الراء لمجاورة

هذه الياء المبدلة كما كان يكسرها لو أنها في موضوعها حرف علة كقولك : تقضيها وتخليها ، ولو قال : من

تدرته لكان صحيحا ، لأن قوله : تدرته مفاعلتن ؛ قال : ولا أدري لما فعل العلاء. هذا مع تمام الوزن

وخلوص تدرته من هذا البديل الذي لا يجوز مثله إلا في الشعر ، اللهم إلا أن يكون العلاء. هذا

لغة البديل » .

(٣) في شرح القاموس مادة « نذر » مانصه : « وأبن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف و يضم فيصرف

قال الجوهري : هو محمد بن مناذر شاعر بصري فن فتح الميم منه لم يصرفه ويقول إنه جمع منذر لأنه محمد

ابن المنذر بن المنذر من المنذر ومن ضمه صرفه » اه . وقد ورد ما يؤكد أنه بالضم لا غير فقد جاء في معجم

البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينة « ليدن ») مانصه : « ذكر المبرد أن محمد بن مناذر

الشاعر كان إذا قيل ابن مناذر بفتح الميم يفضب ويقول أمناذر الكبرى أم مناذر الصغرى وهي كورتان من

كور الأهواز ، إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر يناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب » وقد ورد

في المشتبة في أسماء الرجال للذهبي (ص ٤٥٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضا .

ومن يبيع الوصاة فإن عندي * وصاة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عوف * ولا ترووا أحاديث ابن داب^(١)

- عبد العزيز بن أبان عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال : طلبنا هذا الأمر
وما لنا فيه نية ، ثم إن النية جاءت بعد ؛ فقال سفيان : قال زيد بن أسلم : رأيت
رجلا مديرجله فقال : اقطعوها سوف أجبرها . قيل لرقبة : ما أكثر شكك ! فقال :
محاماة عن اليقين . وقال بعضهم : سأل شعبة^(٢) أيوب السخيتي عن حديث فقال :
أنا أشك ، فيه فقال : شكك أحب إلى من يقين سبعة .

حدثني زيد بن أنزم قال : سمعت عبد الله بن داود يقول : رأيت الاعمش يضم
كفيه ثم يضرب بهما صدره ويقول : اسكن .

- حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثني بعض الرواة قال : قلت للشرقي بن^(٢)
قطامي : ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتاها؟ فقال : لا أدري ، فأكذب
له ؛ فقلت : كانوا يقولون :

ما كنت وكواكا ولا بزونك * رويدك حتى يبعث الحق بإئه^(٣)

وكواك : غليظ ، وزونك : قصير ؛ قال : فإذا أنا به يُحدث به في المقصورة يوم
الجمعة ؛ قال أبو نؤاس :

١٥

(١) ابن داب الذي يقصده الشاعر هو عيسى بن يزيد كان يضع الحديث بالمدينة كما في تهذيب التهذيب
(ج ٩ ص ١٥٣) طبع الهند واستشهد بالبيت .

(٢) في الأصل «الشرقي بن القطامي» وما أئتناه عن المشتبه للذهبي وشرح القاموس والخلاصة .

(٣) ورد هذا البيت في لسان العرب في مادة «زنك» هكذا :

٢٠

ولست بوكواك ولا بزونك * مكانك حتى يبعث الخلق !

(١) حدثني الأزرق المحدث عن * عمرو بن شمر عن ابن مسعود
لا يُخلف الوعد غير كافر^(٢) * وكافر في الجحيم مصنفود
حدثني مهيار قال : حدثني هذبة بن عبد الوهاب عن شقيق البلخي أنه أظري
يوما أيا حنيفة رحمه الله بمرؤ فقال له علي بن إسحاق : لا تُظريه بمرؤ فإنهم لا يهتملون
ذلك ؛ فقال شقيق : قد مدحه مساور الشاعر فقال :

إذا ما الناس يوما قانسونا * بأيدة من الفتيا ظريفه

أتيناهم بمقياس صحيح * تلالد من طراز أبي حنيفة

إذا سمع الفقيه بها وعاهها * وأثبتها بحبر في صحيفه

فقال له : قد أجابه بعض أصحابنا :

إذا ذو الرأي خاصم في قياس * وجاء ببدعة هنة تخيفه

أتيناهم بقول الله فيها * وآثار مبرزة شريفه

فكم من فرج محصنة عفيف * أحل حرامه بأبي حنيفة

أقال أبو حنيفة بنت صلب * تكون من الزنا عرسا صحيفه

سمع رجل مناديا يُنادي : من يدلنا على شيخ ضل ؟ فقال : ما سمعتُ كالיום
شيوخ يُنادي عليه ؛ ثم جاء به الى بشر المريسي فقال : هذا شيخ ضال نُقد بيده ؛
وكان بشر يقول بخلق القرآن :

الأهواء والكلام في الدين

قال المأمون يوما لعلي بن موسى الرضى عليهما السلام : بم تدعون هذا الأمر؟

قال : بقرابة علي من النبي صلى الله عليه وسلم ، وبقرابة فاطمة رضى الله عنها ؛ فقال

(١) لم نجد هذين البيتين في ديوانه المطبوع بمصر سنة ١٨٩٨ م . (٢) كذا في الأصل بمعنى

« جاحده » ولعلها « خافره » لأن الخفر معناه نقص العهد والبدر به وهو يتان والسباق .

المأمون : إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة ففي خَلْفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته مَنْ هو أقربُ إليه من عليّ ، وَمَنْ هو في القرابة مثله ؛ وإن كان بتعزابة فاطمة من رسول الله ، فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعليّ في هذا الأمر حق وهما حيّان ؛ وإذا كان الأمر على ذلك ، فإن عليّاً قد آتتهما جميعاً وهما حيّان صحیحان ، وأستولى عليّ على ما لا يجبُ له ؛ فما أحرار عليّ بن موسى نطقاً .

حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعيّ ينشد :

وإني لأغني الناس عن متكلم * يرى الناس ضلّالاً وليس بمهتدي

وأنشدني أيضاً الرياشي :

وعاجز الرأي مضياح لفرصته * حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

وقال آخر :

إذا عيروا قالوا مقادير قُدرت * وما العار إلا اتجر المقادير

وأنشدني سهل عن الأصمعيّ :

يا أيها المضمير هم لا تُهم * إنك إن تُقدر لك الحمى تُحم

ولو غدوت شاهقاً من العلم * كيف توقيك وقد جف القلم^(٢)

وأنشدني غيره :

هي المقادير فلمني أو قدر * إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

قال أبو يوسف : مَنْ طلب الدين بالكلام تَزندق ، وَمَنْ طلب المال بالكيمايا

أفلس ، وَمَنْ طلب غرائب الحديث كذب . كان مُسليمُ بنُ أبي مريم - وهو

(١) ما أحرار نطقاً : ما رَدَّ جواباً .

(٢) العلم : الجبل ، والشاهق : ما أرتفع منه .

مَوَّلَى لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَقَدْ حُمِلَ عَنْهُ الْحَدِيثُ ^(١) — شَدِيدًا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ ^(٢)، عَائِبًا لَهُمْ وَلِكَلَابِهِمْ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ فَتَرَكَهَا وَلَمْ يَجْبُرْهَا، فَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: يَكْسِرُهَا هُوَ وَأَجْبُرُهَا أَنَا! لَقَدْ عَانَدْتَهُ إِذَا . قَالَ رَجُلٌ لِهَيْشَامِ بْنِ الْحَكَمِ: أَتَرَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَعَدْلِهِ كَلَّفْنَا مَا لَا نَطِيقُ ثُمَّ يُعَدِّبُنَا؟ فَقَالَ هَيْشَامُ: قَدْ وَاللَّهِ فَعَلَ، وَلَكِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَكَلَّمَ .

حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ: صَاحَبَ رَجُلٌ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ مَجُوسِيًّا فِي سَفَرٍ فَقَالَ لَهُ الْقَدَرِيُّ: يَا مَجُوسِيَّ، مَا لَكَ لَا تُسَلِّمُ؟ قَالَ: حَتَّى يَسْأَلَ اللَّهَ! قَالَ: قَدْ سَأَلَ اللَّهَ ذَلِكَ، وَلكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَدْعُكَ، قَالَ الْمَجُوسِيُّ: فَأَنَا مَعَ أَقْوَامِهِمَا .

اجْتَمَعَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ وَعَمْرٍو بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَ عَمْرٍو: إِنْ اللَّهَ وَعَدَّ وَعَدَا وَأَوْعَدَ إِيْعَادًا وَإِنَّهُ مُنْجِزٌ وَعَدَّهُ وَوَعِيدَهُ . فَقَالَ لَهُ أَبُو عَمْرٍو: أَنْتَ أَعْجَمُ! لَا أَقُولُ إِنَّكَ أَعْجَمُ اللِّسَانَ، وَلَكِنَّكَ أَعْجَمُ الْقَلْبَ! أَمَا تَعْلَمُ، وَيَتَحَكَّ! أَنْ الْعَرَبَ تَعُدُّ إِيْنجَازَ الْوَعْدِ مَكْرُمَةً، وَتَرْكُ إِيْقَاعِ الْوَعِيدِ مَكْرُمَةً؟ ثُمَّ أَنْشَدَهُ:

وَيَأْتِي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ * لِمُخْلِيفِ إِيْعَادِي وَمُنْجِزِ مَوْعِدِي ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلِ: «تَشْدِيدًا» . (٢) الْقَدَرِيَّةُ — مَحْزَكَةٌ — جَاوِدُو الْقَدْرِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مَوْلُودَةٌ . قَالَ بَعْضُ مُتَكَلِّمِيهِمْ: لَا يَلْزِمُنَا هَذَا الْقَلْبُ لِأَنَّ نَفْسَ الْقَدْرِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ أَثْبَتِهِ فَهِيَ أَوْلَى بِهِ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَهَذَا تَمْيُيزٌ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ يَشْتَبُونَ الْقَدْرَ لِأَنَّهُمْ، وَلِذَلِكَ سَمَّوْا قَدَرِيَّةً (رَاجِعْ شَرْحَ الْقَامُوسِ) . (٣) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٥٥) «إِنْ أَدْنَى اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ كَانَ» وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِي حَدِيثِ جَرِي بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ وَبَيْنَ مَجُوسِيٍّ رَكِبَ مَعَهُ سَفِينَةً بِصِيفَةٍ تَخَالَفَ بَعْضَ الْمُخَالَفَةِ مَا هُنَا وَمَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (رَاجِعْ ص ٥١ مِنَ الْمَجْمُوعَةِ رَقْمَ ٣٥٢ تَوْحِيدَ بَدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ) .

(٤) عِبَارَةٌ تَحَابُّ الْمُنِيَّةِ وَالْأَمَلِ فِي شَرْحِ تَحَابُّ الْمَلِّ وَالنَّحْلِ (ص ٤٧ طَبْعَةُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ النَّظَامِيَّةِ بِمَجِيدِ رَأْبَادِ) وَرَوَى أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ [الْجَلْبَانِيُّ] نَظَرَ بَعْضَهُمْ فِي الْإِرْجَاءِ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالزُّبَيْرِ حَاضِرَانِ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ لَقِيَ عَمْرٍو بْنَ عُبَيْدٍ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنَّكَ أَعْجَمِيٌّ، وَلَسْتُ بِأَعْجَمِيٍّ اللِّسَانَ، وَلَكِنَّكَ أَعْجَمِيٌّ الْفَهْمَ، إِنْ الْعَرَبُ إِذَا وَعَدَتْ أَنْجِزَتْ وَإِذَا أَوْعَدَتْ أَخْلَفَتْ؛ وَأَنْشَدَ =:

حبيب بن الشهيد قال : قال إياس بن معاوية ^(١) : ما كلمتُ أحداً بعقلي كله إلا صاحبَ القدر ^(٢) ؛ قلت : ما الظلمُ في كلام العرب ؟ قال : هو أن يأخذ الرجل ما ليس له ؛ قلت : فإن الله له كل شيء .

وفي كتاب للهند : اليقينُ بالقدر لا يمنعُ الحازمَ توقي المهلك ، وليس على أحدٍ النظرُ في القدرِ المغيَّب ، ولكن عليه العمل بالحزم ، ونحنُ نجمعُ تصديقا بالقدر وأخذاً بالحزم .

حدثني خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا شبابة بن سوار قال : سمعتُ رجلاً من الرافضة يقول : رحم الله أبا لؤلؤة ! فقلت : تترحم على رجلٍ مجوسي قتل عمرَ ابن الخطاب رضي الله عنه ! فقال : كانت طعنته لعمر إسلامه .

١٠ = وإني وإن أوعده الخ البيت ، فقال أبو علي : إن أبا عثمان أجابه بالمسكت ، قال له : إن الشاعر قديكذب ويصدق ، ولكن حدثني عن قول الله تعالى عز وجل : (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) إن ملأها أتقول صدق ؟ قال : نعم ، قال : فإن لم يملأها أفقول صدق ؟ فسكت أبو حنيفة . (١) هو الذي يضرب به المثل في الذكاء ، توفي رحمه الله سنة ١٢٢ هـ . (-) عبارة العقد الفريد : « كلمت الفرق كلها ببعض عقلي ، وكلمت القدرى بعقلي كله ، فقلت له : دخولك فيما ليس لك ظلم منا . قال : نعم ، قلت : فإن الأمر كله لله »

١٥ (٣) الرافضة : فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين ، فأبى وقال : كانا وزيرى جدى . فتركوه ورفضوه ؛ قال عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ في كتابه «الفرق بين الفرق» (ص ٢٥ طبع مطبعة المعارف بالقاهرة) ما نصه : « كان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والى العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين ، فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له : إنا نصرحك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب . فقال زيد : إني لا أقول فيهما إلا خيراً ، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيراً ، وإنما خرجت على بنى أمية الذين قاتلوا جدى الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رهوا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ، ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم : رفضتموني ، ومن يومئذ سموا رافضة » .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا الأصمعي قال أخبرني عاصم بن محمد
العمري قال: كنتُ جالساً عند أميرٍ من أمراء المدينة فأتني برجلٍ شتم أبا بكر وعمرَ
فأسلمه حجاباً حتى حذق .

وذا بعض شعراء الرافضة في محمد بن الحنفية ^(١) :

ألا قل للوصي فدتك نفسي * أطلت بذلك الجبل المقاما ^(٢)
أضرب بمعشير والوك منا * وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طراً * مقامك عنهم ستين عاماً
وما ذاق ابن خولة طعم موت * ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمورقٍ شغب رضوى ^(٥) * تراجع الملائكة الكلاما ^(٦)

وقال كثير عزة فيه وكان رافضياً يقول بالرجعة :

ألا إن الأئمة من قريش * ولأه الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه * هم الأسباب ليس بهم خفاء
فسيب سبب إيمان وير * وسيب سبب غيبته كربلاء

(١) هو السيد الجبيري . كما ذكر صاحب الأغاني (راجع ج ٨ ص ٣٢ طبعة بولاق) . (٢) هو
أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والحنفية أمة ، وهي خولة بنت جعفر بن قيس ، وقبل
بل كانت من سبي الإمامة وصارت الى علي ، وقبل بل كانت سندية سوداء وكانت أمة لبني حنيفة ولم تكن
منهم ، الى آخر ما ذكر ابن خلكان ؛ توفي رحمه الله في أول المحرم سنة ١٨١ هـ وقبل ١٨٣ هـ ودفن
بالقيع ، وقبل دفن ببلاد أيلة . (٣) هو جبل رضوى ، وكان قوم من القائلين بإمامة محمد بن الحنفية
يزعمون أنه حتى لم يموت وأنه في جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من العسل يأخذ منها رزقه ، وعن
يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه الى وقت خروجه (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٧) .

(٤) كذا في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) والفرق بين الفرق (ص ٣٠) . وفي الأصل : « واروك » .

(٥) كذا في الأصل ، ومثله في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) وفي الفرق بين الفرق : « بجري » .

(٦) في الأصل « الكراما » وما أثبتناه عن الأغاني .

وَسِبْطٌ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى * يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا الْأَوَّاءُ
تَغِيَّبُ - لَا يَرَى - عَنْهُمْ زَمَانًا * بَرَضَوِي عِنْدَهُ تَحَسَّلُ وَمَاءُ

وهم يذكرون أنه دخل شعبا باليمن في أربعين من أصحابه فلم ير لهم أثر.

قال طلحة بن مصرف لرجل : لولا أنى على وضوءٍ لأخبرتك بما تقول الشيعة .
قال هارون بن سعد العجلي وكان رأس الزيدية :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرَّافِضِينَ تَفَرَّقُوا * فَكُلُّهُمْ فِي جَعْفَرٍ قَالَ مُنْكَرًا
فَطَائِفَةٌ قَالُوا إِلَهُ^(١) وَمِنْهُمْ * طَوَائِفٌ سَمَّيْتُهُ النَّبِيَّ الْمُطَهَّرَا
فَإِنْ كَانَ يَرْضَى مَا يَقُولُونَ جَعْفَرٌ * فَإِنِّي إِلَى رَبِّي أَفَارِقُ جَعْفَرَا
وَمَنْ تَعَجِبَ لَمْ أَقْضِهِ جِلْدُ جَعْفَرِهِمْ^(٢) * بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مَنْ تَجَفَّرَا
بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ رَافِضٍ * بِصَيْرِيَابِ الْكُفْرِ، فِي الدِّينِ أَعُورَا
إِذَا كَفَّ أَهْلُ الْحَقِّ عَنْ بِدْعَةِ مَضَى * عَلَيْهَا وَإِنْ يَمْضُوا عَلَى الْحَقِّ قَصْرَا
وَأَوْ قَالَ إِنْ الْفَيْلَ ضَبُّ لَصَدَقُوا * وَلَوْ قَالَ زَيْجِي تَحْوَلُ أَحْمَرَا
وَأَخْلَفُ مِنْ بَوْلِ الْبَعِيرِ فَإِنَّهُ^(٣) * إِذَا هُوَ لِلْإِقْبَالِ وَجَّهٌ أَدْبَرَا
فَقُبَّحَ أَقْوَامٌ رَمَوْهُ بِفِرْيَةٍ^(٤) * كَمَا قَالَ فِي عَيْسَى الْفِرْيِ مَنْ تَنَصَّرَا

١٥ (١) في الأصل «إمام» وما أثبتناه عن كتاب «الفرق بين الفرق» ويستأنس له بما جاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني (ص ١٣٦) طبع ليبسج سنة ١٩٢٣ م : «زعم أبو الخطاب (محمد بن أبي زينب الأجدع) أن الأئمة أنبياء ثم آلهة وقال بأهلية جعفر بن محمد وأهلية آبائه وهم أبناء الله وأحباؤه» .

٢٠ (٢) في كتاب «الفرق بين الفرق» (ص ٢٣٩) «ومن أعجب الأشياء أن الخطابية زعمت أن جعفرا الصادق قد أودعهم جلدا فيه علم كل ما يحتاجون إليه من الغيب وسماوا ذلك الجلد جفرا، وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم» هـ .

(٣) في الأصل «قول» ولعله تحريف من الناسخ .

(٤) وفي الأصل «بقرية» وهو تحريف .

سمعت بعض أهل الأدب يقول : ما أشبه تأويل الرافضة للقرآن بتأويل رجل
 للشعر، فإنه قال يوما : ما سمعتُ بكذب من بني تميم ! زعموا أن قول القائل :
 بيت، زُرارةٌ محتبٌ ^(٢) بفتائه * ومجاشعٌ وأبو الفوارسِ نهشلُ
 إنما هو في رجال منهم ؛ قيل له : ما تقول أنت ؟ قال : البيت بيت الله ، وزُرارة
 الحجر، قيل له : فمجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالماء ؛ قيل له : فأبو الفوارس ؟
 قال : أبو قبيس ؛ قيل : فنهشل ؟ قال : نهشل أشد ، وفكر ساعة ثم قال : نعم ،
 نهشل ! مصباح الكعبة طويلٌ أسودٌ فذاك نهشل ! .

قال أعشى همدان يذكر قتل الرافضة الناس :
 إذا سرت في عجل فسِر في صحابة * وكندة فاحذرها حدارك للخنسِ
 وفي شبيعة الأعمى زياد وغيلة ^(٤) * ولَسب وإعمال بلخندلة القذف ^(٥)
 الأعمى هو المغيرة . وزياد يعني الخنق . واللَّسب : السِّم ؛ وإعمال بلخندلة القذف :
 يريد رخصتهم رعوس الناس بالحجارة . ثم قال :

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠) وردت هذه العبارة باختلاف في كثير من الألفاظ
 نسبتها هنا لوضوحها ، ونصها : «قال الشعبي» : ما شئت تأويل الروافض في القرآن إلا بتأويل رجل
 مضعوف من بني مخزوم من أهل مكة وجدته قاعدا بفتاء الكعبة ، فقال للشعبي : ما عندك في تأويل هذا
 البيت ؟ فإن بني تميم يغلطون فيه يزعمون أنه مما قيل في رجل منهم وهو قول الشاعر (ورواه هكذا) :
 بيتا زُرارةٌ محتبٌ بفتائه * ومجاشعٌ وأبو الفوارسِ نهشلُ
 (وظاهر تحريفه) فقلت له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هذا البيت ، وأشار بيده الى الكعبة .
 وزرارة : الحجر زَرَّر حول البيت ؛ فقلت له : فمجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالماء . قلت : فأبو الفوارس ؟
 قال : هو أبو قبيس جبل مكة . قلت : فنهشل ؟ فقكر فيه طويلا ثم قال : أصبته ، هو مصباح الكعبة
 طويل أسود وهو النهشل . (٢) الأحناء هو أن يضم الإنسان رجله الى بطنه بثوب يجمعها به
 مع ظهره ويشده عليها . (٣) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل «الجبي» وهو تحريف .
 (٤) في آب الحيوان للباحظ (ج ٦ ص ١٢٩) «خنق» . (٥) يقال : قتل غيلة إذا خدعه
 فذهب به الى موضع فقتله .

وَكُلُّهُمْ شَرٌّ عَلَىٰ أَنْ رَأَسَهُمْ * حَمِيدَةٌ ^(٢) وَالْمَيْلَاءُ حَاضِنَةُ الْكِسْفِ ^(٣)

وَالْكِسْفُ هَذَا هُوَ أَبُو مَنْصُورٍ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: فِي نَزَلٍ: (وَإِنْ

يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا) وَكَانَ يَدِينُ بِخَتَقِ النَّاسِ وَقَتْلِهِمْ. ثُمَّ قَالَ:

مَتَى كُنْتُ فِي حَيٍّ بِجَبَلَةٍ فَاسْتَمِعْ * فَإِنَّ لَهُمْ قَصْفًا يَدُلُّ عَلَى حَتْفِ

كَانَ الْمَغِيرَةَ بِجَلِيًّا مَوْلَى لَهُمْ

إِذَا أَعْتَرَمُوا يَوْمًا عَلَى قَتْلِ زَائِرٍ * تَدَاعَوْا عَلَيْهِ بِالنَّبَاحِ وَالْعَزْفِ ^(٥)

وَكَانَ ابْنُ عَيْنَةَ يُنْشِدُ:

إِذَا مَا سَرَّكَ الْعَيْشُ * فَلَا تَأْخُذْ عَلَى كِنْدَةٍ ^(٦)

يُرِيدُ أَنْ الْخَنَاقِينَ مِنَ الْمَنْصُورِيَّةِ أَكْثَرَهُمْ بِالْكُوفَةِ مِنْ كِنْدَةٍ، مِنْهُمْ أَبُو قُطَيْبَةَ ^(٧)

الْخَنَاقِ.

(١) فِي الْأَصْلِ «رَأَسَ» وَمَا أُثْبِتَاهُ عَنْ كِتَابِ الْحَيَّوَانِ لِلْمُحَاطِظِ (ج ٦ ص ١٣٠). (٢) حَمِيدَةٌ كَانَتْ مِنْ أَصْحَابِ لَيْلَى النَّاعِطِيَّةِ وَطَارِيضَةِ فِي الْغَالِيَةِ (الْفَرْقَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ مَذْهَبِ الشِّيْعَةِ) وَالْغَالِيَةُ هِيَ الدِّيَارُ غُلَا فِي حَقِّ أَثْمَتِهِمْ حَتَّى أُنْجِرُوا مِنْ حُدُودِ الْخَلْقِيَّةِ وَحُكِمُوا فِيهِمْ بِأَحْكَامِ الْإِسْلَامِ. (رَاجِعِ الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ ص ١٣٢ طَبْعُ لَيْبَسِجٍ، وَالْحَيَّوَانِ ج ٦ ص ١٣٠، وَمَفَاتِيحُ الْعُلُومِ لِلْمُخَوَّارِزْمِيِّ ص ٣٠ طَبْعُ أَوْرِيَا).

(٣) الْمَيْلَاءُ حَاضِنَةُ أَبِي مَنْصُورِ الْعَجَلِيِّ صَاحِبِ الْمَنْصُورِيَّةِ الَّذِينَ اسْتَعْلَمُوا خَتَقَ مُخَالِفِيهِمْ. (٤) هُوَ أَبُو مَنْصُورِ الْعَجَلِيُّ أَحَدُ الَّذِينَ آذَعُوا الْإِمَامَةَ، وَزَعَمَ أَنَّهُ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَرَأَى مَعْبُودَهُ فَسَحَّ بِيَدِهِ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُ: يَا بَنِيَّ، انْزِلْ فَلْيَعْنِي؛ ثُمَّ أَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَهُوَ الْكِسْفُ السَّاقِطُ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَدْ وَقَفَ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِو النَّقْفِيِّ وَالِي الْعِرَاقِ فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى قِصَّةِ وَخَبَثِ دَعْوَتِهِ فَأَخَذَهُ وَصَلَبَهُ (رَاجِعِ الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ ص ١٣٦). (٥) قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ الْحَيَّوَانِ: (ج ٦ ص ١٣٠): «وَذَلِكَ أَنَّ الْخَنَاقِينَ لَا يَسِيرُونَ إِلَّا مَعًا وَلَا يُقِيمُونَ فِي الْأَمْصَارِ إِلَّا كَذَلِكَ، فَإِذَا عَزِمَ أَهْلُ دَارٍ عَلَى خَتَقِ إِنْسَانٍ كَانَتْ الْعِلَامَةُ بَيْنَهُمُ الضَّرْبُ عَلَى دَفِّ أُرْطَبِلٍ عَلَى مَا يَكُونُ فِي دُورِ النَّاسِ، وَعِنْدَهُمْ كِلَابٌ مَرْتَبِطَةٌ، فَإِذَا تَجَاوَرُوا بِالْعَزْفِ لِيَخْتَفِيَ الصَّوْتُ ضَرَبُوا تِلْكَ الْكِلَابَ فَتَبَحَّتْ، وَرَبَّمَا كَانَتْ مِنْهُمْ مَعْلَمٌ يُؤَدِّبُ فِي الدَّرْبِ، فَإِذَا سَمِعَ تِلْكَ الْأَصْوَاتَ أَمَرَ الصَّبِيَانَ بِرَفْعِ الْهَجَاءِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْحِسَابِ» هـ. (٦) فِي كِتَابِ الْحَيَّوَانِ «تَمَرُّ». (٧) كَانَتْ دَارُ أَبِي قُطَيْبَةَ الْخَنَاقِ بِالْكُوفَةِ فِي كِنْدَةٍ وَقَدْ قُتِلَ وَصَلَبَ (رَاجِعِ الْحَيَّوَانِ ج ٦ ص ١٢٩).

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن ابن أبي زائدة قال: قال هشام بن القاسم:
أخذ خالد بن عبد الله المغييرة فقتله وصلبه بواسط عند منظر العاشر، فقال الشاعر:
طال التجاور من بيان واقفا * ومن المغييرة عند جذع العاشر
باليته قد شال جذعا نخلة * بأبي حنيفة وابن قيس الناصر
وبيان هذا هو بيان التبان وكان يقول: إلى أشار الله إذ يقول: (هذا بيان
للناس) وهو أول من قال بخلق القرآن .

(١) في الأصل «خلف» وظاهر أنه تحريف (راجع الطبري ص ١٦١٩ — ١٦٢١ ج ٦ من القسم
الثاني طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٩ م، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م،
والكامل للبردج ١ ص ٢٠ طبع ليدن سنة ١٨٦٤ م) .

(٢) واسط: اسم مدينة بالعراق اختطها الحجاج بن يوسف في سنتين .

(٣) المنظر: الموضع الذي ينظر منه وقد يظن هذا على المواضع العالية التي يشرف منها على الطريق
وغيره؛ اتخذها الحجاج بن يوسف بين قزوين وواسط، وكان إذا دخن أهل قزوين دخن المناظر إن
كان نهارا وإن كان ليلا أشعلوا نيرانا (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٨٦ طبع ليدن سنة ١٨٨٦ م) .

(٤) هو بيان بن سميان التميمي الذي زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه
وأنه يقنى كله إلا وجهه، وتأول على زعمه قوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) وقوله تعالى؛

(كل من عليها فان ويبقى وجه ربك) وكان يزعم أنه يعرف الاسم الأعظم، وأنه يهزم به العاكر؛ وأنه يدعو
به الزهرة فتجيبه، رفع خبره إلى خالد بن عبد الله القسري في زمان ولايته في العراق فأختال عليه حتى

ظفر به وصلبه سنة ١١٩ هـ وقال له: ان كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فأهزم به أعوانك
(راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ — ٢٢٨ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن

سنة ١٨٧٠ م) .

(٥) هو المغييرة بن سعيد العجلي زعم أنه هو المهدي المنتظر، وزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج
من نوره أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة، وأن أعضائه على صور حروف الهجاء؛ سمع خالد بن عبد الله
القسري بخبره وضلالاته فطلبه وقتله سنة ١١٩ هـ (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٣١ والملل والنحل

ص ١٣٤ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م) .

(٦) التبان: بائع التبن .

وأما المغيرة فكان مولى لبجيلة وكان سبائياً وصاحب نيرنجات^(٢). قال الأعمش : قلت للمغيرة : هل كان عليُّ يُحِبُّ المَوْتَى؟ فقال : لو شاء لأحيا عاداً وثمودَ وقروناً بين ذلك [كثيراً]^(٣).

بلغني عن أبي عاصم عن إسماعيل بن مسلم المكي قال : كنت بالكوفة فإذا قوم من حيراني يُكثرون الدخول على رجل ، فقلت من هذا الذي تدخلون عليه؟ فقالوا : هذا علي بن أبي طالب ، فقلت : أَدْخِلُونِي معكم فمضيت معهم وخبأتُ معي سوطاً تحت ثيابي فدخلتُ فإذا شيخٌ أصلعٌ بطين ، فقلت له : أنت علي بن أبي طالب؟ فأومأ برأسه : أي نعم ، فأخرجتُ السوطَ فما زلتُ أَقْنَعُهُ وهو يقول : لتأوى لتأوى . فقلتُ لهم : يا فسقة! علي بن أبي طالبٍ نَبِطِي^(٤)! ثم قلتُ له : وَيْلَكَ! ما قِصَّتْكَ؟

١٠ (١) في الأصل « سبائيا » [ببأين موحدتين بينهما ألف] وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص ٣١ طبع أرنبا) « السبائية » وكذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧) وشرح القاموس مادة « سبأ » وهم أتباع عبد الله بن سبأ (صاحب السبائية) الذي غلا في علي رضي الله عنه ، وزعم أنه كان نبياً ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة ، وذهب بعضهم في علي مذهب النصارى في المسيح ، وفيهم يقول السيد الخيري :

١٥ قوم غلوا في علي لا أباهم * وأجشوا أنفسا في حبه تعبا
قالوا هو الإبن جل الله خالقنا * من أن يكون له ابن أو يكون أبا
رفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين حتى قال بعض الشعراء في ذلك :
لترم بي الحوادث حيث شئت * إذا لم ترم بي في الحفرتين

ثم إن أبا رضي الله عنه خاف من إحراق الباقيين منهم شامة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليه فنفي ابن سبأ إلى سباط المدائن (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والملل والنحل ص ١٣٢ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧) . (٢) النيرنجات : أخذ كالمحمر ليست بحقيقته إنما هي تشبيه وتلبيس (معرفة) .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧)

(٤) يقال : قنع رأسه بالسوط : علاه به .

(٥) النبطي نسبة إلى النبط وهم قوم من الأماجم ينزلون سواد العراق .

قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أنا رجلٌ من أهل السَّوَادِ أَخَذَنِي هُوَلَاءُ فَقَالُوا : أنت علي-
ابن أبي طالب .

حدثني رجل من أصحاب الكلام قال : دخل هشامُ بن الحكم على بعض [الولاة] ^(٣)
العباسيين فقال رجل للعباسي : أنا أُقَرَّرُ هِشَامًا بَأَنِّ عَلِيًّا كَانَ ظَالِمًا ، فقال له : إن
فعلت ذلك فلك كذا ؛ فقال له : يا أبا محمد ، أما علمت أن عليًّا نازع العباس إلى
أبي بكر؟ قال : نعم ، قال : فأيهما كان الظالم لصاحبه ؟ فتوقف هشامُ وقال : إن
قلتُ العباس خيفتُ العباسي ^(٤) ، وإن قلتُ عليًّا ناقضتُ قولي ، ثم قال : لم يكن
فيهما ظالمٌ ، قال : فيختصم آثان في أمر وهما مُحِقَّانِ جميعاً ؟ قال : نعم ، آختصم
المَلِكُ إلى دَاوُدَ وليس فيهما ظالمٌ إنما أرادا أن يُنَبِّهَا على ظُلمه ، كذلك آختصم
هذان إلى أبي بكر ليعرفاه ظُلمه [فأسكت الرجل وأمر الخليفة لهشام بصلة] ^(٦) .

قال حسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسله وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما :
ثَلَاثَةٌ بَرَزُوا بِسَبْقِهِمْ * نَضَرَهُمْ رَبِّهِمْ إِذَا نُتِرُوا ^(٨)
عَاشُوا بِلا فُرْقَةٍ حَيَاتِهِمْ * وَأَجْتَمَعُوا فِي الْمَمَاتِ إِذْ قُبِرُوا
فليس من مسلم له بصرٌ * يُنْكِرُ من فضلهم إِذَا ذُكِرُوا

(١) السواد : قرى العراق . (٢) ورد هذا الخبر في العقد الفريد بأختلاف في بعض الكلمات
لا يخرج عن المعنى المراد هنا (راجع ج ١ ص ٢٧٠) . (٣) الزيادة عن العقد الفريد
(ج ١ ص ٢٧٠) . (٤) في العقد الفريد « الخليفة » . (٥) الملكان هما اللذان بمشما الله
تعالى إلى داود عليه السلام في صورة إنسانين ؛ وهذه القصة وردت في القرآن الكريم في سورة «ص»
في قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا أَنبِيُّ لَهُ نَسْعٌ وَتَسْعُونَ نَعَجَةً . الآية) وشرحها المفسرون . (٦) الزيادة عن
العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٧) نَضَرَهُمْ رَبِّهِمْ : نعمهم وحسنهم . (٨) هذه الأبيات
لم ترد في ديوانه المطبوع بمدينة لندن سنة ١٩١٠ م ولا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية
تحت رقم ٦ أدب ش ولا في ترجمته بالأغاني (ج ٤ ص ٢ — ١٧ طبع بولاق) ولا في كتب الأدب التي
تحت أيدينا .

وقال أعرابي لعبد الله بن عمر :

إليك ابن خير الناس إلا محمداً * وإلا أبا بكرٍ نروح ونفتدي

وقال أبو طالب في سهيل بن بيضاء، وكان أسيراً فأطلقه رسول الله صلى الله عليه

وسلم بغير فداء، لأنه كان مسلماً مكرهاً على الخروج :

وهم رجعوا سهيل بن بيضاء راضياً * وسراً أبو بكرٍ بها ومحمد

وقال عبيد الله بن عمر :

أنا عبيد الله يميني عمر * خير قرين من مضى ومن غير

بعد رسول الله والشيخ الأغر * مهلاً عبيد الله في ذلك نظر

وقال حسان بن ثابت يرثي أبا بكرٍ رضي الله عنه :

إذا تذكرت تجعوا من أحي ثقية * فاذا ذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعد لها * بعد النبي وأوقاها بما حملا

والثاني الصادق المحمود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسل^(١)

وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا^(٢)

حدثني مهيبار الرازي قال : قال جرير بن ثعلبة : حصرت شيطانا مرة فقال :

أرفق بي فإني من الشيعة ، فقلت : فمن تعرف من الشيعة ؟ قال : الأعمش ،

نخلت سبيله . قال أبو هريرة العجلي لمحمد بن علي بن الحسين عليهم السلام :

أبا جعفر أنت الوليُّ أحبه * وأرضي بما ترضى به وأتابع

أنتنا رجالٌ يحملون عليكم * أحاديث قد ضاقت بهن الأضالع

أحاديث أفشاها المغيرة فيهم * وشراً الأمور المحدثات البدائع

(١) ورد في الأصل «الثاني التال ... الخ» وما أثبتناه عن ديوانه المطبوع وكذا المخطوط .

(٢) لم يرد هذا البيت في ديوانه المطبوع ولا المخطوط وورد فيها بدله هذا البيت :

عاش جيداً لأمر الله متبعاً * بهدي صاحبه الماضي وما أنتقلا

حدثني هارون بن موسى عن الحسن بن موسى الأشيب عن حماد بن زيد عن
يحيى بن سعيد قال : قال عمر بن عبد العزيز : مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ
أَكْثَرَ التَّنْقُلِ . قال :

مَاضِرٌ مَنْ أَصْبَحَ الْمَأْمُونُ سَائِسُهُ * إِنْ لَمْ يَسُسْهُ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ

الرد على الملحدين

قال بعض الملحدين لبعض أصحاب الكلام : هل من دليل على حدوث العالم؟
[قال : الحركة والسكون] فقال : الحركة والسكون من العالم ، فكأنك إذا قلت :
الدليل على حدوث العالم العالم ؛ فقال له : وسؤالك إياي من العالم ، فإذا جئت
بمسئلة من غير العالم جئتك بدليل من غير العالم .

قال المأمون لثنوي يناظر عنده : أسألك عن حرفين قط ، خبرني : هل ندم
مسيء قط على إساءته ؟ قال : بلى ؛ قال : فالندم على الإساءة إساءة أو إحسان ؟
قال : بل إحسان ؛ قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيره ؟ قال : بل هو الذي
أساء ؛ قال : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر ، وقد بطل قولكم ، إن الذي ينظر
نظر الوعيد هو الذي ينظر نظر الرحمة ؛ قال : فإني أزعج أن الذي أساء غير الذي
ندم ؛ قال : فنديم على شيء كان من غيره أو على شيء كان منه ؟ فأسكتته .

(١) في الأصل «حدث» . (٢) زيادة يقتضها السياق .

(٣) الثنوي واحد الثنوية وهم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان
بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه ؛ وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم واختلافهما
في الباهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح (راجع الملل والنحل ص ١٨٨) .

(٤) كذا في الأصل . وفي الحيوان للمحقق (ج ٤ ص ١٤١) « فقط » وعبرة العقيد الفريد
(ج ١ ص ٢٥٥) « عن حرفين لا أزيد عليهما » .

وجاءه رجلٌ مُلحدٌ فقال له : أنا أقول بالآئين وقد عرفتُ إنصافك فلستُ أخاف
مُشاغبتك ؛ فقال هشامٌ وهو مشغولٌ بثوبٍ ينشره ولم يُقبلْ عليه : حَفِظْكَ اللهُ ، هل
يَقْدِرُ أَحَدُهُمَا أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا لَا يَسْتَعِينُ بِصَاحِبِهِ عَلَيْهِ ؟ قال : نعم ؛ قال هشامٌ :
فَمَا تَرْجُو مِنْ آئِينَ ! وَاحِدٌ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ أَصْحَحُ لَكَ ! فقال : لم يُكَلِّمْنِي بِهَذَا أَحَدٌ قَبْلَكَ .

قال المأمون مُرْتَدًّا إِلَى النُصْرَانِيَّةِ : خَبَرْنَا عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي أَوْحَشَكَ مِنْ دِينِنَا بَعْدَ
أَنْسِكَ بِهِ وَأَسْتِيحَاشِكَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ وَجَدْتَ عِنْدَنَا دَوَاءَ دَائِكَ تَعَالَجْتَ بِهِ ،
وَإِنْ أَخْطَأَ بِكَ الشِّفَاءُ وَنَبَأَ عَنِ دَائِكَ الدَّوَاءُ كُنْتَ قَدْ أَعْذَرْتَ وَلَمْ تَرْجِعْ عَلَى نَفْسِكَ
بِالْأَمَّةِ ، وَإِنْ قَتَلْنَاكَ قَتَلْنَاكَ بِحُكْمِ الشَّرِيعَةِ ، وَتَرْجِعُ أَنْتَ فِي نَفْسِكَ إِلَى الْأَسْتَبْصَارِ
وَالثَّقَةِ وَتَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تُقْصِرْ فِي اجْتِهَادٍ وَلَمْ تُفَرِّطْ فِي الدُّخُولِ مِنْ بَابِ الْحَزْمِ ؛ قَالَ الْمُرْتَدُّ :
أَوْحَشَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَخْتِلَافِ فِيكُمْ ؛ قَالَ الْمَأْمُونُ : لَنَا اخْتِلَافَانُ : أَحَدُهُمَا
كَالْأَخْتِلَافِ فِي الْأَذَانِ ، وَالتَّكْبِيرِ فِي الْجَنَائِزِ ، وَالتَّشَهُدِ ، وَصَلَاةِ الْأَعْيَادِ ، وَتَكْبِيرِ
التَّشْرِيقِ ، وَوُجُوهِ الْقِرَاءَاتِ ، وَوُجُوهِ الْفُتْيَا ، وَهَذَا لَيْسَ بِاخْتِلَافٍ ، إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيرٌ
وَسَعَةٌ وَتَخْفِيفٌ مِنَ الْمِحْنَةِ ، فَمَنْ أَدَّانَ مَثْنِي وَأَقَامَ مَثْنِي لَمْ يُخْطِئْ مِنْ أَدَّانَ مَثْنِي وَأَقَامَ
فُرَادَى ، وَلَا يَتَعَارُونَ بِذَلِكَ وَلَا يَتَعَابُونَ ، وَالْأَخْتِلَافُ الْآخَرُ كَنَحْوِ اخْتِلَافِنَا فِي تَأْوِيلِ
الآيَةِ مِنْ كِتَابِنَا ، وَتَأْوِيلِ الْحَدِيثِ مَعَ اجْتِمَاعِنَا عَلَى أَصْلِ التَّنْزِيلِ وَاتِّفَاقِنَا عَلَى عَيْنِ
الْخَبَرِ ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَوْحَشَكَ هَذَا حَتَّى أَنْكَرْتَ هَذَا الْكِتَابَ ، فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
اللَّفْظُ بِجَمِيعِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مُتَّفَقًا عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا يَكُونُ مُتَّفَقًا عَلَى تَنْزِيلِهِ ، وَلَا يَكُونُ

(١) ورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٢٥) أن هذه القصة وقعت مع المأمون لا مع هشام بن الحكم .

(٢) نبأ في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «قال المأمون للمرتد الخراساني الذي أسلم على يديه وحمله

معه إلى العراق فارتد عن الإسلام : أخبرني... الخ» وقد ورد فيه هذا الخبر بزيادة عن الأصل مع

اختلاف في العبارة . (٣) كذا في الأصل . وفي العقد الفريد : «السعة» .

بين جميع اليهود والنصارى اختلاف في شيء من التأويلات؛ وينبغي لك ألا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها؛ ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسوله لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكننا لم نر شيئا من الدين والدنيا دفع إلينا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة، وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله الدنيا. قال المرتد:

أشهد أن لا إله إلا الله، وأن المسيح عبد، وأن محمدا صادق، وأنت أمير المؤمنين حقا.

الإعراب واللحن

حدثني أبو حاتم عن الأصبغى قال: سمعت مؤلّا لآل عمر بن الخطاب يقول:

أخذ عبد الملك بن مروان رجلا كان يرى رأى الخوارج رأى شيب، فقال له:

ألسن القائل:

ومنا سويد والبطين وقعب * ومنا أمير المؤمنين شيب^(١)

فقال: إنما قلت: «ومنا أمير المؤمنين شيب» بالنصب، أي يا أمير المؤمنين فأمر بتخليه سبيله.

(١) هو شيب بن يزيد الخارجي صاحب الشيبية، كان من أصحاب صالح بن مسرح التيمي ثم تولى الأمر بعده على جنده وبايعه أتباعه إلى أن خالف صالحا في شيء واحد وهو أنه مع أتباعه أجازوا إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمرهم وخرجت على مخالفتهم. وزعموا أن غزاة أم شيب كانت الإمام بعد قتل شيب إلى أن قتلت؛ وأستدلوا على ذلك بأن شيبا لما دخل الكوفة سنة ست وسبعين هجرية أقام أمه على منبر الكوفة حتى خطبت.

كان من أهل القوة البالغة والبأس الشديد والمعرفة التامة بأمر الحروب؛ انصر على جيوش الحجاج الكثيفة وبارقواها بحسن تدبيره؛ وكان يصيح في جنات الجيش فلا يلوى أحد على أحد. وفيه يقول الشاعر:

إن صاح يوما حبت الصخر منعدرا * والريح عاصفة والموج يلتطم =

حدثني عبد الله بن حيان قال : كتب ربيع بن سلمة المعروف بدماد إلى
أبي عثمان النحوي :

تَفَكَّرْتُ فِي النُّحُو حَتَّى مَلَيْتُ * وَأَتَعِبْتُ نَفْسِي بِهِ وَالْبَدَنُ
وَأَتَعِبْتُ بَكْرًا وَأَصْحَابَهُ * بطول المسائل في كل فن
[فَمِنْ عَلَيْهِ ظَاهِرٌ بَيْنَ * وَمِنْ عَلَيْهِ غَامِضٌ قَدْ بَطَّنُ] ^(٣)
فَكُنْتُ بِظَاهِرِهِ عَلِيمًا * وَكُنْتُ بِبَاطِنِهِ ذَا فِطْرُنُ
خَلَا أَنْ بَابًا عَلَيْهِ الْعَفَا * لُ لِفَاءِ يَالَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
وَاللَّوَاوِي بَابٌ إِلَى جَنِيهِ * مِنْ الْمَقْتِ أَحْسَبُهُ قَدْ لُئِنُ
إِذَا قُلْتُ هَاتُوا لِمَاذَا يُقَالُ لَسْتُ بِأَتِيكَ أَوْ تَاتِينُ ^(٤)
أَجِيبُوا لِمَا قِيلَ هَذَا كَذَا * عَلَى النَّصْبِ قَالُوا لِأَضْمَارِ أَنْ ^(٥)

= وسويد بن سليم ، والبطين بن قعنبن ، وقعنبن بن سويد ، كانوا من رؤساء جيش شيب وقادة جنده
وأهل الرأي فيهم . ينزلون إلى الهيجا في شجاعة الأسد ، وبأس الحديد ، ومضاء السيف ، ومروق السهم ،
وأنقضاء النسر ، وآلتها النار ، مع سعة العلم بتدبير الحروب والتمرن على أعمالها ، وتمام الخبرة بحيلها ومكايدها .
(راجع أخبار شيب والخوارج في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣١٧ - ٣٥٠ طبع مدينة ليدن
سنة ١٨٦٩ والعقد الفريد ج ١ ص ٤٤ والفرق بين الفرق ص ٨٩ - ٩٢ وتاريخ الطبري ج ٣ و ٤
ص ٨٨١ - ٩٧٥ من القسم الثاني طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٥ وملخص تاريخ الخوارج للرحوم
الأسناد الشيخ محمد شريف سليم طبع مصر سنة ١٩٢٤ م) .

(١) في الأصل : « غسان بن ربيع » وما أثبتناه عن أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) طبع مطبعة
دار الكتب المصرية . والكامل للبرد (ج ١ ص ٢١٤) طبع ليبسج سنة ١٨٦٤ م وكنيته « أبو غسان »
كافي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .

(٢) في أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) : « يعني بيكر أبا عثمان المازني » فبلغ ذلك المازني فقال :
والله . أحسب أنه سألني قط فكيف أتعبني » . (٣) الزيادة عن أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) .
(٤) رواية القالي في أماليه : إذا قلت هاتوا لما قيل ذا * فليست بأتيك أو تاتين
(٥) رواية القالي في أماليه : بما نصبوه أبنوه لي * فقالوا جميعا بإضمار أن

[وما إن رأيتُ لها موضعا * فأعريف ما قبل إلا يظنُّ
فقد خفتُ يا بكرٍ من طول ما * أفكر في أمرٍ «أن» أن أجنُّ]

قال ابن سيرين : ما رأيتُ على رجل أحسن من فصاحة ، ولا على امرأة
أحسن من شحم .

وقال ابن شبرمة : إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا ، ويصغر
في عينك من كان في عينك عظيما فتعلم العربية ، فإنها تُجريك على المنطق وتُذريك
من السلطان . ويقال : النحو في العلم بمنزلة الملح في القدر والرامك في الطيب .
ويقال : الإعراب حلية الكلام وشبهه . وقال بعض الشعراء :

النحو يبسط من لسان الألكن * والمرء تكريمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها منها مقيم الألسن

قال رجل لأعرابي : كيف أهلك بكسر اللام ؟ - يريد كيف أهلك - فقال
الأعرابي : صلباً ؛ ظن أنه سأله عن هلكته كيف تكون .

وقيل لأعرابي : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إني إذا لرجلٌ سوء ؛ قيل له : أتجروء
فلسطين ؟ قال : إني إذا لقوي . وقيل لآخر : أتهمز الفارة ؟ فقال : الهرة تهمزها .

وقيل : كان بشر المريسي يقول لأصحابه : قضى الله لكم الحوائج على أحسن
الوجوه وأهنؤها ؛ فقال قاسم التمار : هذا كما قال الشاعر :

(١) الزيادة عن أمالي القالي .

(٢) الرامك : شيء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٣) هو إسحاق بن خلف النهراني كما في الكامل

للبرد (ج ١ ص ٢٣٩) . (٤) الصلب : قنلة معروفة وهي أن يشد الرجل من يديه ورجليه على

جنح . (٥) «قالوا» : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضم والفتح . كذا في كتاب

الصاحي لابن فارس ص ٨ طبعة القاهرة .

إِنَّ سُلَيْمِيَّ وَاللَّهُ يَكَلِّمُهَا * ضَنْتُ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزُوها^(١)

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ مُؤَدِّنًا يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ مَجْدًا رَسُولَ اللَّهِ بِنَصَبِ رَسُولٍ ، فَقَالَ :
وَيْحَكَ ! يَفْعَلُ مَاذَا ؟ .

قال مسلمة بن عبد الملك : اللحن في الكلام أقبح من الجُدري في الوجه . وقال
عبد الملك : اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس . قال أبو الأسود :
إني لأجد للحن غمزا كغمز اللحم .

قال الخليل بن أحمد : أنشدني أعرابي :

وإن كلاباً هذه عشر أبطن^(٢) * وأنت بريء من قبائلها العشير^(٣)

فجعلتُ أعجب من قوله : عشر أبطن حين أنت لأنه عنى القبيلة ، فلما رأى عجبى
من ذلك ، قال : أليس هكذا قول الآخر :

فكان مجنني دون من كنت أتقى * ثلاث شخصٍ كاعبانٍ ومعصر^(٥)

(١) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٦) وفي المحاسن والأضداد ص ٩ طبع مدينة ليدن
سنة ١٨٩٨ م وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠ طبع مصر سنة ١٣٣٢هـ) . ورواية الأصل :
ظنت . وجاء في العقد بعد هذا البيت : "وبشر المريسي رأس في الرأي ، وقاسم التمار متقدم في أصحاب
الكلام وأحتججه لبشر أعجب من لحن بشر" . وعبارة المحاسن والأضداد والبيان والتبيين : «فكان احتجاج
القاسم أطيب من لحن بشر» ذلك بأن كلامه كان مضحكا لخلو البيت من الشاهد المراد . (٢) كذا بالعقد
الفريد ، والذي بالأصل : «النقش» . (٣) قائل البيت رجل من بني كلاب يسمى «النواح» كما
في خزنة الأدب (ج ٤ ص ٤٨٤) . (٤) قائل البيت هو عمر بن أبي ربيعة من قصيدة طويلة منها :
فلها فقدت الصوت منهم وأطففت * صابيح شبت بالعشاء وأنور

(راجع الكامل للبرد ص ٣٨١ - ٣٨٥) .

(٥) المجنن : الترس . والمراد في هذا البيت قوله «ثلاث شخصٍ» حيث أنت لأنه يريد بالشخص
النفوس وكاعبان مثنى كاعب وهي التي يبدونديها للهود ، وكاعبان مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره من
كاعبان ومعصر ، والمعصر هي التي دخلت عصر شبابها وبلغته . (راجع شرح العيني بهامش خزنة الأدب
للبيدادي ج ٤ ص ٤٨٣) .

قال رجل من الصالحين : لئن أعربنا في كلامنا حتى ما نلحن لقد لحنا في أعمالنا حتى ما نعرب ^(١) .

دخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون ، فقال : سبحان الله ! يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح ! .

٥ دخل رجل على زياد فقال له : إن أئبنا هلك ، وإن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا ، فقال زياد : ما ضيقت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك ^(٢) .

قال الرياشي عن محمد بن سلام عن يونس قال قال بلال لشيب بن شيبه وهو يستعدي على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال : أحضرني ، قال : قد دعوتك لكل ذلك يابى ، برفع كل ، قال بلال : فالذنب لكل . قال بعض الشعراء :

١٠ إقامتري وأثوابي مقاربة ^(٣) * ليست بخزولا من تسج كان
فإن في المجد هماتي وفي لغتي * علوية ولساني غير لحان

وقال فيل مولى زياد لزياد ^(٤) : أهدوا لنا همار وهش ^(٥) ، فقال : ماتقول ؟ ويملك !
فقال : أهدوا لنا أيرا ^(٦) ، فقال زياد : الأول خير .

(١) رواية البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٤) : «وقال بعض النساك : أعربنا في كلامنا فانلحن حرفا ولحنا في أعمالنا فنعرب حرفا» .
١٥ (٢) عبارة البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٥ طبع القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) «الذي أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك» . (٣) مقاربة بكسر الراء ، أى ليست بنفسية . (٤) هو زياد بن أبي سفيان ، كما في القاموس . (٥) فى الأصل «أهدوا لنا همارجهش» وما أبتناه عن البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠) ونهاية الأرب للتورى (ج ٣ ص ٣٩٢ طبع دارالكتب المصرية) يريد «أهدوا لنا حماروحش» وفى نهاية الأرب «أهدوا» بابدال الهاء حاء ، وهذا الإبدال يعرف بالكنة وهى عجمة فى اللسان وعى . (٦) يريد عيرا وهو الحمار أيا كان أهليا أو وحشيا وقد غلب على الوحشى .
٢٠

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ وَالْيَا يَخْطُبُ فَلَحَنَ مَرَّةً أَوْ اثْنَتَيْنِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ مَلَكَتَ بِقَدْرٍ،
 وَسَمِعَ أَعْرَابِيٌّ إِمَامًا يَقْرَأُ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ [بفتح ناء تنكحوا]
 فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ قَبِيحٌ فَكَيْفَ بَعْدَهُ! فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ لَحَنَ،
 وَالْقِرَاءَةُ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ فَقَالَ: قَبِحَهُ اللَّهُ، لَا تَجْعَلُوهُ بَعْدَهَا إِمَامًا فَإِنَّهُ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ
 اللَّهُ. قَالَ الشَّاعِرُ فِي جَارِيَةٍ لَهُ:

أَوَّلُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا فِي السَّحَرِ * تَذَكِيرُهَا الْأُنْثَىٰ وَتَأْنِيثُ الذَّكَرِ
 * وَالسُّوءَةُ السُّوءَاءُ فِي ذِكْرِ الْقَمَرِ *^(٢)

قَالَ الْجَجَّاجُ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ نَخَّاسٍ: أَتَبِيعُ الدَّوَابَّ الْمَعِيْبَةَ مِنْ [جُنْدِ] السُّلْطَانِ؟
 فَقَالَ: «شَرِيكَاتِنَا فِي هَوَازِهَا وَشَرِيكَاتِنَا فِي مَدَائِنِهَا وَكَمَا تَجِيءُ تَكُونُ» فَقَالَ الْجَجَّاجُ:
 مَا تَقُولُ؟ فَفَسَّرُوا لَهُ ذَلِكَ؛ فَضَحِكَ وَكَانَ لَا يَضْحَكُ.

أَمَّ الْجَجَّاجُ قَوْمًا فَقَرَأَ ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ وَقَرَأَ فِي آخِرِهَا ﴿أَنْ رَبَّهُمْ بِهِنَّ يَوْمَئِذٍ﴾
 بِنَصْبِ أَنْ، ثُمَّ تَنَبَّهَ عَلَى اللَّامِ فِي نَحْوِهَا وَأَنَّ «إِنَّ» قَبْلَهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مَكْسُورَةً فَحَذَفَ
 اللَّامَ مِنْ نَحْوِهَا، فَقَرَأَ ﴿أَنْ رَبَّهُمْ بِهِنَّ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ﴾.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: قُلْتُ لِلخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ: لِمَ قَالُوا فِي تَصْغِيرِ وَاصِلٍ أَوْ يَصِلُ وَلَمْ
 يَقُولُوا وَوَيَصِلُ؟ فَقَالَ: كَرِهُوا أَنْ يُسَبَّهَ كَلَامُهُمْ بِنَجِّ الْكَلَابِ.

(١) رواية البيان والتبيين ونهاية الأرب «أكثر». (٢) السوءة السوءاء: الخلة الفسيحة.
 (٣) لأنها كانت إذا أرادت أن تقول: «القمر» قالت: «الكر» والكر جمع كمره وهي حشفة الذكر؛
 وهذا الإبدال يعرف باللغثة وهي أن تعدل الحرف إلى حرف غيره. (٤) هو أبو الجهم الخراساني
 النخاس كما في البيان والتبيين والنخاس: بياع الدواب والرقيق. (٥) الزيادة عن البيان والتبيين
 (ج ١ ص ٩٠). (٦) كذا في البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠)؛ وفي الأصل: «شريكاتنا في هواز
 ومدائنها وكما تجيء بكون» وقد أثبتنا عبارة البيان والتبيين لوضوحها. (٧) جاء في البيان والتبيين
 (ج ١ ص ٩٠) «فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام الملوح بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك
 يقول شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها».

التشادق والغريب

حدثني سهل عن الأصمعي قال : كان عيسى بن عمر لا يدع الإعراب لشيء .
 وخاصم إلى بلال بن أبي بردة في جارية اشتراها مصابة ، فقال : لأن يذهب بعض
 حق هذا أحب إليه من أن يلحن ؛ فقال له : ومن يعلم ما تقول ؟ فقال : ابن
 طرنوبة . وضربه عمر بن هبيرة ضربا كثيرا في وداعة أودعها إياه إنسان فطلبها ،
 فما كان يزيد على أن يقول : والله إن كانت إلا أثيابا في أسيفاط قبضها عشاروك .
 تبع أبو خالد الثميري صاحب الغريب جارية متتعبة فكلمها فلم تكلمه ، فقال :
 يا خريذة ، لقد كنت عندي عربيا أنمقك وتسنينا !
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧)

وقال سهل بن هارون لجارية له رومية أعجمية : إن أقل ما ينطوي عليه ضميري
 من رسيس حبك لأجل من كل جليل ، وأكثر من كل كثير .
 وقال مالك بن أسماء في جارية له :

أمغطى مني على بصرى للحب أم أنت أكل الناس حسنا ؟
 (٨) (٩)

- (١) كذا في الأصل ولم نوفق إلى معرفة هذا الاسم في الكتب التي بين أيدينا . (٢) أثياب : جمع ثوب مع تصغير لفظ الجمع . (٣) الأسيفاط : جمع سَفَط بالتحريك وهو الذي يعي فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . (٤) عشاروك : جمع عشار وهو أخذ العشر وجايبه وملزومه . (٥) الخريذة : الحية . (٦) العروب : الحسنة التجل . وقيل المرأة المنحبة إلى زوجها . (٧) نمقك : نمقك . وتسنينا : تبغضينا . وفي الأصل «ولشئنا» وهو تحريف . والتصويب عن الكامل للبرد (ص ١٨٤ طبعه ليبسج) وقد وردت هذه العبارة فيه هكذا : «لقد كنت أحسبك عربيا ، فإنا نمقك وتسنينا ! فقالت : يا ابن الخبيثة أنجشني !» . أي أننا نزلنا وتلاعبننا . (٨) رسيس الحب : بغيته وأثره . (٩) كذا في خطبة هذا الكتاب في المجلد الأول من هذه الطبعة ، والبيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) . وفي الأصل هنا :

أينطى مني على بصرى بالحب أم أنت أكرم الناس حسنا

وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا * يَشْتَهَى النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا^(١)
مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا * نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا

قال ابن دريد : استثقل منها الإعراب .

دخل أبو علقمة على أعين الطبيب فقال له : أمتع الله بك ، إني أكلت من لحوم
هذه الجوازِلِ فطسنتُ طسأةً ، فأصابني وجعٌ ما بين الوايلة^(٢) إلى داية العنق فلم يزل
يربو ويثمي حتى خالط الخلب^(٣) والشراسيف^(٤) ، فهل عندك دواءٌ ؟ فقال أعين : نعم ،
خذ تحربقا^(٥) وشلفقا^(٦) وشبرقا^(٧) فزهرقه وزقزقه وأغسله بماء روث وأشربه ، فقال
أبو علقمة : لم أفهم عنك ، فقال أعين : أفهمتكم كما أفهمتني . وقال له يوما آخر :
إني أجد معمعة في بطني وقرقرة ، فقال له : أما المعمعة فلا أعرفها ، وأما القرقرة
فهي ضراط لم ينضج .

(١) كذا بالأصل هنا وفي المقدمة ، وفي أمالي القالي : « تشتهى النفوس » وفي البيان والتبيين (ج ١
ص ٨٢ و ١٢٧) : « ينعى الناعتون » . (٢) كذا في الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .
وفي المحاسن والأضداد للمحافظ (ص ١٤ طبعة لندن) والمحاسن والماوى للبيهقي (ج ٣ ص ٤٧٠ طبعة
ليبسج) : « الجوازي » . والجوازل : فراخ الحمام ، وقيل يعم الجوزل نوع الفراخ . (٣) طسئ : انخم
من الطعام . (٤) الوايلة : طرف العضة في الكنف . (٥) الداية : فقرة العنق . (٦) الخلب :
حجاب بين القلب وسواد البطن . (٧) الشراسيف : جمع شرسوف وهو رأس الضلع مما يلي البطن .
(٨) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) وفي الأصل : « خرنقا » بالنون والخربق بكعفر : ضرب
من الأدوية ونبت كالسم يعنى على آكله ولا يقتله ؛ وقيل : نبت كلسان الحمل أبيض وأسود ينفع
الصرع والجنون والبهق والقالج . (٩) هكذا وردت في الأصل « شلفقا » بالشين والقاف والقاف بعد
اللام ولم تنقف لها على معنى . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) والمحاسن والماوى للبيهقي « سلفقا »
وفي البيان والتبيين : « سلفقا » . (١٠) كذا في الأصل والعقد الفريد . والشبرق كزبرج :
نبت من جنس الشوك إذا كان رطبا فهو شبرق فإذا يبس فهو الصريع . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٤٢) :
« جرفقا » وفي المحاسن والأضداد للمحافظ « سربقا » .

أتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مطله حقه فقال : أصلح الله الأمير، إن لي على هذا حقا قد غلبني عليه ؛ فقال له الآخر : أصلحك الله، إن هذا باعني عنجدًا^(١) وأستنساه حولا وشرطت عليه أن أعطيه مشاهرة فهو لا يلقاني في لقيم^(٢) إلا آقتضاني ؛ فقال له الهيثم : أمن بنى أمية أنت ؟ قال : لا ؛ قال : فمن بنى هاشم ؟ قال : لا ؛ قال : فمن أكفائهم من العرب ؟ قال : لا ؛ قال : ويلى عليك ! انزع ثيابه يا جلواز،^(٣) فلما أرادوا نزع ثيابه قال : أصلحك الله، إن إزارى مرعبل^(٤) ؛ قال : دعوه، فلو ترك الغريب في وقت لتركه في هذا الوقت .

ومر أبو علقمة ببعض الطرق بالبصرة فهاجت به مرة فسقط ووثب عليه قوم فأقبلوا يعصرون إبهامه ويؤذنون في أذنه، فأفلت من أيديهم وقال : ما لكم تتكاثون^(٥) علي كما تتكاثون على ذى جنة ! افرقوا عني ؛ فقال رجل منهم : دعوه فإن شيطانَه هندی، أما تسمعونه يتكلم بالهندية . وقال لجمام يجممه : أنظر ما أمرك به فاصنعه، ولا تكن كمن أمر بأمر فضيعة، أنق غسل الحاجم وأشدد قصب الملازم^(٦)

(١) العنجد بكسر وفتح وجذب : الزبيب .

(٢) استنساه : سأله أن ينسئ دينه، أى يؤخره . (٣) فى المحاسن والأضداد للمحافظ (ص ١٥)

والمحاسن والمسارى للبيهق (ج ٣ ص ٤٧٠) : « مياومة » .

(٤) اللقم محركة وكسرد : الطريق أو وسطه .

(٥) الجلواز : الشرطى .

(٦) مرعبل : ممزق .

(٧) كذا فى المحاسن والمسارى للبيهق والمحاسن والأضداد للمحافظ . وفى الأصل : « الطريق » .

(٨) فى المحاسن والأضداد، والمحاسن والمسارى « بعضون » .

(٩) تتكاثون : لتجمعون . افرقوا : تفرقوا .

(١٠) الملازم جمع ملزم بكسر الميم : خشبات مشدود أوساطهما بحديدة تجعل فى طرفها قاعة

(مفتاح معوج طويل) فتلزم ما فيها لزوما شديدا، تكون مع الصياقلة والآبارين ومجلى الكتب وغيرهم .

وَأَرْهِفُ ظُبَاتِ الْمَشَارِطِ وَأَسْرِعُ الْوَضْعَ وَعَجَّلُ النَّزْعَ، وَلِيَكُنْ شَرْطُكَ وَنَحْرًا، وَمُصْكُ
نَهْرًا، وَلَا تُكْرِهَنَّ آبِيَاءَ، وَلَا تُرْدَنَّ آتِيَاءَ، فَوْضِعَ الْجَمَامِ مَحَاجِمَهُ فِي جُوتِهِ وَمَضَى .

سَمِعَ أَعْرَابِيَّ أَبَا الْمَكْنُونِ النَّحْوِيَّ فِي حَلْقَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ فِي دَعَاءِ الْأَسْتِسْقَاءِ :

اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَإِلَهَنَا وَمَوْلَانَا صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا يَا اللَّهُمَّ وَمَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَأَحِطْ ذَلِكَ

السُّوءَ بِهِ كِحَاطَةِ الْقَلَانِدِ عَلَى تَرَائِبِ الْوَلَانِدِ، ثُمَّ أَرَسِخْهُ عَلَى هَامَتِهِ كَرُسُوخِ السَّجِيلِ،

عَلَى هَامِ أَصْحَابِ الْفَيْلِ يَا اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثًا مَغِيثًا مَرِيئًا مَرِيئًا مَجْلَجِلًا مَسْحَنِفِرًا هَزِجًا سَحَا

سُفُوحًا طَبَقًا غَدَقًا مُثَعْنَجِرًا، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : يَا خَلِيفَةَ نُوحٍ [هَذَا] الطُّوفَانَ وَرَبَّ

الْكَعْبَةِ، دَعْنِي آوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ .

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : كَانَ غَلَامٌ يَقَعَّرُ فِي كَلَامِهِ، فَأَتَى أَبَا الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ يَلْتَمِسُ مَا عِنْدَهُ؛

فَقَالَ لَهُ أَبُو الْأَسْوَدِ : مَا فَعَلَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : أَخَذْتَهُ الْحُمَّى فَطَبَخْتَهُ طَبْخًا وَفَضَخْتَهُ

(١) أَرْهِفُ : حَدَّدَ (٢) ظُبَاتُ جَمْعُ ظُبَةٍ دَثْبَةٌ، وَهِيَ حَدُّ السِّيفِ أَوْ السِّنَانِ وَنَحْوُهُ .

(٣) فِي الْمَحَاسِنِ وَالْأَضْدَادِ لِلْمَحَاطِظِ (ص ١٥) وَالْمَحَاسِنُ وَالْمَسَاوِيُّ لِلْبَيْتِ (ج ٣ ص ٤٧١) :

« وَنَخَفَ » . (٤) الْجَوْنَةُ بَضْمُ الْجِيمِ : سَلِيلَةٌ مَغْشَاةٌ أَدْمًا تَكُونُ مَعَ الْعَطَّارِينَ . (٥) فِي الْعَقْدِ

الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : « بِأَعْنَاقِ » . (٦) السَّجِيلُ : حِجَارَةٌ كَالْمَدْرِ، وَقِيلَ هُوَ حَجَرٌ مِنْ طِينٍ،

دَخِيلٌ مَعْرَبٌ مِنْ « سَنَكٌ وَكُلُّ » أَيْ حِجَارَةٌ وَطِينٌ . (٧) الْمَجْلَجِلُ مِنَ السَّحَابِ : الَّذِي فِيهِ صَوْتُ الرَّعْدِ .

(٨) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الْمَسْحَنِفِرُ : الْكَثْرَةُ الصَّبُّ الْوَاسِعُ . (٩) الْمَرْجُ مِنَ الْمَرْجِ وَهُوَ صَوْتُ

الرَّعْدِ . (١٠) طَبَقَ : عَاقَمَ وَاسِعًا . (١١) الْغَدَقُ : الْمَطَرُ الْكَثِيرُ . (١٢) الْمَثَعْنَجِرُ :

السَّيْلُ الْكَثِيرُ . وَفِي الْأَصْلِ « مَثَعْنَجِرًا » . (١٣) الزِّيَادَةُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) .

(١٤) يَقَعَّرُ فِي كَلَامِهِ : يَنْشَدُقُ وَيَتَكَلَّمُ بِأَفْصَى حَلْقَتِهِ . (١٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ

(ج ١ ص ٢٠١) . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : « وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ لِأَبِي عُلْقَمَةَ :

مَا حَالُ أَبْنِكَ ... الخ » . (١٦) فَضَخْتَهُ : دَفَعْتَهُ .

(١) فَضْحًا وَفَنَحْتَهُ فَنَحَا فَتَرَكْتَهُ فَرَحًا؛ قال أبو الأسود: فما فعلت امرأته التي كانت تُجَارُهُ
(٢) وَتُسَارُهُ وَتُزَارُهُ وَتُهَارُهُ؛ قال: طلقها فتزوجت غيره فَرَضِيَتْ وَحَطِيَّتْ وَبَطِيَّتْ،
(٣) قال أبو الأسود: قد عرفنا حَطِيَّتْ، فَا بَطِيَّتْ؟ قال: حرف من الغريب لم يبلغك؛
(٤) قال أبو الأسود: يَا بِنَ أَخِي، كَلَّ حَرْفٌ مِنَ الْغَرِيبِ لَمْ يَبْلُغْ عَمَكَ فَاسْتُرَهُ كَمَا تَسْتُرُ
السُّنُورُ نُرَاهَا.

قال زيد بن كثر: أَيْتُ بَابَ كَبِيرٍ دَارٍ وَهَنَّاكَ حَدَادٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلِجَ الدَّارَ فَدَلَّظَنِي
(٦) دَلْظَةً وَادْرَسَ النَّاسَ عَلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ إِنْ زَلْنَا نَظَّارَ نَظَّارٍ حَتَّى عَقَلَ الظَّلُّ. وقال أيضا:
(٧) أَيْتُ بَابَ كَبِيرٍ وَإِذَا الرِّجَالُ صَبَّتَانِ وَإِذَا أَرْمِدَاءُ كَثِيرَةٌ وَطُهَاءٌ لَا أُحْصِيهِمْ وَحِجَامٌ
كَانَهَا أَكَامٌ. وقال الطائي:

أَبُوسُفٌ جِئْتُ بِالْعَجَبِ الْعَجِيبِ • تَرَكْتُ النَّاسَ فِي شَكِّ مُرِيبِ
سَمِعْتُ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ نَادٍ • وَلَمْ أَسْمَعْ بِسُرَّاجِ أَدِيبِ

- (١) كذا في البيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠١) ونفخه: أوهته وأضعفته. وفي الأصل: «فَنَحْتَهُ» بالناء المثناة، ولم نجد هذه الكلمة في كتب اللغة معنى يناسب المقام. (٢) الفرخ: الضعيف المنهوك. (٣) تُجَارُهُ: تطاوله. وَتُسَارُهُ: تتخاصمه. وَتُزَارُهُ: تعضه. وَتُهَارُهُ: تهز في وجهه كما يهز الكلب. (٤) في البيان والتبيين (ج ١ ص ١٠٢): «وقد ملنا رضيت وحطيت فابطيت...»
(٥) أتى باللفظ «بطيت» إتياما لحطيت مثل حسن بسن، لأنه ليس في كلامهم «بظى» أنظر اللسان مادة «بظا». (٦) الحداد: البواب. (٧) دلظه: دفعه في صدره. (٨) هذه العبارة واردة في الأصل هكذا ولم نوفق إلى تحقيقها. (٩) نظار مثل نظام: اسم فعل أمر بمعنى انتظر والمعنى: فازلنا يقال لنا نظار نظار الخ. (١٠) عقل الظل: قام قائم الظهيرة. (١١) صنينان: فرقان. (١٢) الأرمداء: جمع رماد. (١٣) هو يوسف السراج الشاعر المصري
كما في ديوان أبي تمام طبع محمد جمال بتلخيص محي الدين الخياط. (١٤) الزاد: نعت للداهية أو بدل منها والمراد داهية شديدة.

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا * إِذَا لِنَفَذْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ^(١)
فَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ * تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ

قال رؤبة بن العجاج : خرجت مع أبي ، زيد سليمان بن عبد الملك ، فلما صرنا
في الطريق أُهْدِيَ لَنَا جَنْبٌ مِنْ لَحْمٍ عَلَيْهِ كَرَّافِي الشَّحْمِ وَخَرِيطَةٌ مِنْ كَكَاةٍ وَوُطْبٌ^(٢)
مِنْ لَبَنٍ فَطَبَخْنَا هَذَا هَذَا ، فَمَا زَالَ ذِفْرِيَايَ تَنْتَحَانُ مِنْهُ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ . (الكراfi :
الطبقات ، وكذلك كراfi السحاب) .

وصايا المعلمين

قال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده :^(٨) لِيَكُنْ إِصْلَاحُكَ بَنِي
إِصْلَاحُكَ نَفْسِكَ ، فَإِنْ عُيُوبُهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْبِكَ ، فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَحْسَنْتَ ،
وَالْقَبِيحُ مَا اسْتَقْبَحْتَ ؛ وَعَلَمُهُمْ سَيْرَ الْحِكْمَاءِ ، وَأَخْلَاقُ الْأَدْبَاءِ ، وَتَهْدَدُهُمْ بِي وَأَدَّبَهُمْ
دُونِي ؛ وَكُنْ لَهُمْ كَالطَّيِّبِ الَّذِي لَا يَعْجَلُ بِالِدَوَاءِ حَتَّى يَعْرِفَ الدَّاءَ ؛ وَلَا تَتَكَلَّنْ عَلَى عُذْرٍ
مَنِي ، فَإِنِّي قَدْ أَتَكَلْتُ عَلَى كِفَايَةِ مِنْكَ .

قال الحجاج لمؤدب بنيه : عَلِمَهُمُ السَّبَاحَةُ قَبْلَ الْكِتَابَةِ ، فَإِنَّهُمْ يَجِدُونَ مَنْ يَكْتُبُ
عِنَهُمْ ، وَلَا يَجِدُونَ مَنْ يَسْبِخُ عَنْهُمْ .

- ١٥ (١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : « لرسمت » . (٢) كذا في الكامل للبرد (ص ١٤٠
طبعة ليبسج سنة ١٨٦٤) وفي الأصل : « يزيد » . (٣) الخريطة : وعاء من آدم وغيره .
(٤) الككاة : نبات لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الغيرة ، يوجد في الربيع تحت الأرض ، وهو عديم الطعم
بؤكل نيته ومطبوخه . (٥) الوطب : سقاء اللبن . (٦) ذفرياي تنية ذفري ، وهو العظم الشاخص
خلف الأذن . (٧) كذا في الكامل للبرد (ص ١٤٠) وتنتعان : ترشخان بالعرق .
٢٠ وفي الأصل « بنجان » . (٨) وردت هذه العبارة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٥) طبعة القاهرة
سنة ١٣٣٢هـ) وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) بزيادة عماها واختلاف يسير في بعض التراكيب لا يخرجها
عن المعنى المراد ؛ إلا أنها تنسب في العقد الفريد لعمر بن عتبة .

وقال عبد الملك لمؤدب ولده : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ؛ وجنبهم السفلة
فإنهم أسوأ الناس رعة^(١) وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة ؛ وأحف^(٢)
شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم يقووا ؛ علمهم الشعر يجددوا ويجدوا ، ومرهم
أن يستاكوا عرضا ويمصوا الماء مصا ولا يعبوه عبا ؛ وإذا احتجت إلى أن تناولهم
بأدب فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهنونوا عليه .

وقال آخر لمؤدب ولده : لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن أصطكاك
العلم في السمع وأزدحامه في الوهم مضلة للفهم .

وكان لشريح ابن يعرب بالكلاب ، فكتب شريح^(٣) إلى معلمه :

١٠ ترك الصلاة لأكل^(٤) يسعى بها * طلب الهراش مع الغواة الرجس
فإذا خلوت^(٥) فعضه بلامة * وعظنه وعظك للأريب الكيس
وإذا هممت بضربه فيدرة * وإذا بلغت بها ثلاثا فأحبس
وأعلم بأنك ما فعلت بنفسه * مع ما يجرعني أعز الأنفس

وقال آخر لرجل يعرب بالكلاب :

١٥ أيها المتلى بحب الكلاب * لا يحب الكلاب إلا الكلاب
لو تعريت وسطها كنت منها * إنما فقتها بلبس الثياب^(٦)

(١) يقال : فلان سي الرعة إذا كان قليل الورع .

(٢) أحفى الرجل رأسه أو شاربه : بالغ في قصه .

(٣) في المحاسن والمساريف للبيهقي (ج ٣ ص ٦٢١) : « الزواح » .

(٤) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « يبغي » .

(٥) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « أنك » .

(٦) كذا في الأصل ، وفيه الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروي في الإعراب . ولو ورد هكذا :

لا يحب الكلاب غير الكلاب ، لخلا من هذا العيب .

وقال آخر :

لَتَبِكَ أبا أَحْمَدٍ فِرْدَةٌ * وَكَلْبُ هِرَاشٍ وَدِيكَ صَدُوحُ
وَطِيرٌ زَجَالٌ وَقُمْرِيَّةٌ^(١) * هَتُوفُ الْعَيْشَى وَكَبِشٌ نَطُوحُ

بلغنى عن أبي الحسن العُكَلِيِّ عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني قال : سمعت
أبي يقول قال لقمان : ضربُ الوالدِ ولده كالسَّامِدِ للزَّرعِ .

حدثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن
أسامة بن زيد عن مكحول قال : كتب عمر إلى أهل الشام : علموا أولادكم السَّباحَةَ
والرَّمَى والقُرُوسِيَةَ .

وكانت العرب تُسمَّى الرجل ، إذا كان يكتب ويحسِّن الرَّمَى ويحسِّن القوم
وهي السَّباحة ويقول الشعر، الكامل .

البيان

حدثنى عبدة بن عبد الله قال حدثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن
عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : "إن من البيان سحراً"^(٢) فاطيلوا الصلاة وأقصرُوا الخُطْبَ . وقال العباس :
يا رسول الله، فيم الجمال؟ قال : "في اللسان" .

وكان يقال : عَقْلُ الرجل مدفونٌ تحت لسانه .

وقال يزيد بن المهلب : أئْكَرُهُ أَنْ يَكُونَ عَقْلُ الرجلِ عَلَى طَرْفِ لسانه . يريد أنه
لا يكون عقله إلا في الكلام . وقال الشاعر :

(١) القمرية : ضرب من الحمام . (٢) بعض الروايات : «لسحراً» باللام .

كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ تَرَاهُ * لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانٌ
وَمَا حُسْنُ الرِّجَالِ لَهُمْ بَزِينٌ ^(١١) * إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الحِصْنَ البَيَانَ .

وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك، فإنه كان يقري العين جمالاً، والأذن بيانا . وقال الثمر بن توبل :

أَعْدَنِي رَبٌّ مِنْ حَصِيرٍ وَعِيٌّ * وَمَنْ نَفْسٌ أَعَالَجُهَا عِلَاجًا
وَمَنْ حَاجِبٌ نَفْسِي فَأَعِصَمَنِي * فَإِنْ لَمْ تُضْمَرَاتِ النَفْسِ حَاجَا

وصف أعرابي رجلا يتكلم فيحسب فقال :

* يَضَعُ الهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ ^(١٢) *

ومثله قولهم : فَلَانَ يُجِيدُ الحِزْرَ، وَيُصِيبُ المَفْصِلَ؛ وربما قالوا : يَقِلُّ الحِزْرَ ^(١٣) .

وقال معاوية في عبد الله بن عباس :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ * لِيَعِيَ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ
يُصَرِّفُ بالقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا أَنْتَهَى * وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقِيرِ

وقال حسان فيه :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ * بِلَتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلًا

- ١٥ (١) كنا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٥ طبعة بولاق) . وفي الأصل : «دا» .
(٢) الهناء : القطران . والنقب : جمع نقبة وهي أول ما يبدو من الحرب ، أي أنه لا يتكلم إلا فيما يجب فيه الكلام ، مثل الطالبي الرفيق الذي يضع الهناء مواضع النقب (راجع العقد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .
(٣) هذا وما قبله من الأمثال التي تضرب في البلاغة ، وذلك أنهم شبهوا البليغ الموجز الذي يقل الكلام ويصيب المعاني ، بالجزار الرفيق يقل حز اللحم ويصيب مفاصله (راجع العقد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .
- ٢٠

شَفَى وَكَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ * لَدَى إِرْبَةِ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا
سَمَوَتْ إِلَى الْعَلِيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ * فَنِلَتْ ذُرَاهَا لَا دَنِيًّا وَلَا وَغْلًا^(١)

ويقال : الصمتُ منامٌ والكلامُ يقظةٌ . ويقال : خير الكلام ما لم يُحتجَّ بعده

إلى الكلام .

ذكر العباس بن الحسن الطالبي رجلاً فقال : أفاضه قوالبُ معانيه . ومدح

أعرابي رجلاً فقال : كلامه الوبلُّ على المحلِّ ، والعذبُّ الباردُ على الظمِّ .

وقال الحطيئة :

وأخذتُ أقطارَ الكلامِ فلم أدع * ذمًّا يضرُّ ولا مديحًا ينفعُ

وكان الحطيئة يقول : إنما شعري حسَبُ موضوعٍ ، فسمع ذلك عمرو بن عبيد

فقال : كذبٌ ، ترحه الله ، إنما ذلك التقوى .

قيل لعمرو بن عبيد : ما البلاغة ؟ فقال : ما بلغت الجنة ، وعادل بك عن النار

[قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : ف] ما بصرِكِ مواقعَ رشدك ، وعواقبَ

غيبك ؛ قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : من لم يُحسِنِ الاستماعَ لم يُحسِنِ

القول ؛ قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إنا معشر

الأنبياء بكاءٌ " ، وكانوا يكرهون أن يزيدَ منطلقَ الرجل على عقله ؛ قال : ليس هذا

أريد ؛ قال : كانوا يخافون من فتنة القول [ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من

(١) في الأصل : «وعلا» بالعين . وما أنبتناه عن ديوان حسان (ص ٧٤ طبعة لندن سنة ١٩١٠م)

وهو الأنسب للقام ؛ والوغل : الضعيف النذل الساقط انقصر في الأشياء . (٢) الوبل : المطر الشديد .

(٣) المحل : الجذب . (٤) ترحه الله : أجزته ونقصه . (٥) الزيادة عن القدر القريد

(ج ١ ص ٢١٣) . وفي الأصل : «وما بصرِكِ ...» بالواو عطفًا على ما قبله . (٦) بكاء جمع بكي .

وهو ما نقل كلامه خلقه . (٧) كذا في البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) . وفي الأصل : «بكرهون» .

فتنة السكوت^(١) [ومن سَقَطَات الصَّمْت؛ قال : ليس هذا أريد؛ قال : فكأنك إنما تريد تخيير اللفظ في حسن إيفهام] قال : نعم؛ قال^(١) : إنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين^(٢) ، وتخفيف المئونة على المستمعين ، وتزيين تلك المعاني في قلوب المرئدين ، بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة من الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب ، وأستوجبت على الله جزيل الثواب .

قال بعضهم : ما رأيت زياداً كاسراً إحدى عينيه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يُخاطب رجلاً إلا رحمتُ المخاطب . وقال آخر : ما رأيتُ أحداً يتكلم فيُحسن إلا أحببتُ أن يصمتَ خوفاً من أن يُسِيءَ إلا زياداً فإنه كلما زاد زاد حسناً ، وقال^(٣) :
وقبلك ما أعيتُ كاسرَ عينه * زياداً فلم تقدرُ على حباثته^(٤)

قال محمد بن سلام : كان عمر بن الخطاب إذا رأى رجلاً يُجلجج في كلامه قال : خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد ! .

وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق ، فقال عبد الملك : لقد رجوتُ عثرته لما تكلم ، فأحسن حتى خَشيتُ عثرته إن سكت .

١٥ (١) التكلية عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) والعقد الفريد . (٢) في البيان والتبيين والعقد الفريد : « المتكلمين » . (٣) قائل هذا البيت الفرزدق ، قاله لجرير من قصيدة تقع في ثلاثة وتسعين بيتاً مثبتة في كتاب النفاض (طبع مدينة « ليدن » سنة ١٩٠٨ م ص ٦٠٠ - ٦٢٩) وبعد البيت :

فأقسمت لا آتية سبعين حجة * ولو نشرت عين القبايع وكاهله

٢٠ والقبايع : لقب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وكان أميراً على البصرة لقبه أهلها به ، وذلك أنه مرّ يقوم يكلمون بقفيز فقال : إن قفيزكم لقبايع . أي كبير واسع (راجع النفاض ص ٦٠٧) . (٤) لعل « ما » هنا مصدرية أو زائدة . (٥) كذا في النفاض والبيان والتبيين (ج ١ ص ١١٠) . وفي الأصل : « تعلق » .

أبو الحسن قال: قال معاوية لصدّار العبدى: ما هذه البلاغة التي فيكم؟ فقال: شيءٌ تَجِيئُ به صدورنا ثم تَقْدِفُهُ على ألسنتنا؛ فقال رجلٌ من القوم: هؤلاء بالبسر أبصر؛ فقال صَحَّار: أجل، والله إنا لنعلم أن الرِّيحَ تُلْقِحُه وأن البردَ يُعْقِدُه وأن القمرَ يَصْبِغُه وأن الحزَّ يَنْضِجُه؛ فقال معاوية: ما تعدّون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز؛ قال: وما الإيجاز؟ قال: أن تُجيب فلا تُبْطِئَ، وتقول فلا تُحْطِئَ؛ ثم قال: يا أمير المؤمنين، حسن الإيجاز ألا تُبْطِئَ ولا تُحْطِئَ.

أبو الحسن قال: وقد الحسن بن عليّ على معاوية الشام، فقال عمرو بن العاص: إن الحسن رجلٌ أفه فلو حملته على المنبر فتكلم فسمع الناس من كلامه عابوه؛ فأمره فصعد المنبر فتكلم فأحسن؛ وكان في كلامه أن قال: أيها الناس، لو طلبتم أبنا لنبيكم ما بين جابرس إلى جابلق لم تجدوه غيري وغير أنحى وإن أدري لعله فتنه لكم ومتاع إلى حين. فسأ ذلك عمرا وأراد أن يقطع كلامه، فقال: يا أبا محمد، هل تنعت الرطب؟ فقال: أجل، تُلقِحه الشمال وتخرجه الجنوب وينضجه برد الليل بجز النهار؛ قال: يا أبا محمد، هل تنعت الخراة؟ قال: نعم، تُبعِد الممشى في الأرض الصّحصح حتى

(١) كلمة «البسر» مطموسة في الأصل وأسما على معرفتها بما في البيان والتبين الذي وردت فيه العبارة

هكذا: «فقال له رجل من عرض القوم: يا أمير المؤمنين، بالبسر والرطب أبصر منهم بالخطب... الخ»
والبسر: الترفيل إرطابه وذلك إذا لون ولم ينضج.

(٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٤) بعد قوله فلا تبطئ ولا تحطئ: «أقلنى يا أمير المؤمنين؛ قال:

قد أفلتت، قال: لا تبطئ ولا تحطئ». قال أبو حاتم: استنطال الكلام الأول فاستقال وتكلم بأوجز منه.

(٣) كذا في الأصل والعقد الفريد. والأوصاف الخلقية الظاهرة أكثر ما تجرى على «أفعل» والذي في كتب

اللغة أن الوصف من الفهاهة (وهى السى في المنطق): فه كضخم وفهيه وفهفه. (٥) جابرس: مدينة

بأقصى المشرق. (٦) جابلق: مدينة بأقصى المغرب. (٧) الخراة بالكسر: التخلل والقعود

للحاجة. (٨) الصصح بصادين مهملتين: ما استوى من الأرض مع الاتساع. وفي الأصل:

«الصصحح بصادين مهملتين»

تَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ، وَلَا تَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدِيرْهَا، وَلَا تَسْتَنْجِي بِالرُّوْتَةِ وَلَا الْعَظْمِ، وَلَا تَبُولُ فِي الْمَاءِ الرَّاكَدِ؛ وَأَخَذَ فِي كَلَامِهِ .

وكان يقال : كل شيء ثنيتَه يقصر ما خلا الكلام، فإنك كلما ثنيتَه طال . قال الحسن : الرجال ثلاثة : رجلٌ بنفسه، ورجلٌ بلسانه، ورجلٌ بماله .

٥ تكلم صَعَصَعَةُ بنُ صُوحَانَ عند معاوية فَعَرِقَ ؛ فقال معاوية : بهرك القول ! فقال صعصعة : إن الحَيَادَ نَضَاحَةٌ لِلْمَاءِ .

ويقال : أبلغُ الكلامِ ما سبق معناه لفظه .

١٠ وفي كتاب للهند : أولُ البلاغةِ اجتماعُ آلهِ البلاغةِ، وذلك أن يكون الخطيبُ رابطَ الجأشِ^(١)، ساكنَ الجوارحِ قليلَ اللَّحْظِ مُتَخَيِّرًا لِلْفِظِّ، لا يكلمُ سَيِّدَ الأُمَّةِ بكلامِ الأُمَّةِ، ولا الملوكةَ بكلامِ السُّوقَةِ، ويكون في قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ، ولا يُدَقِّقُ المعانيَ كُلَّ التدقيقِ، ولا يُنقِّحُ الألفاظَ كُلَّ التنقيحِ ولا يُصَفِّيها كُلَّ التَّصْفِيَةِ [ولا يَهْدِيها غايةَ التهذيبِ، ولا يفعل ذلك حتى يُصَادِفَ حَكِيمًا أو فيلسوفًا عليًا] ويكون قد تعودَ حَذَفَ فُضُولَ الكلامِ وإسقاطَ مُشْتَرَكاتِ الألفاظِ، قد نَظَرَ فِي صِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ عَلَى جِهَةِ الصَّنَاعَةِ وَالْمُبَالَغَةِ لَا عَلَى جِهَةِ الْأَعْتِرَاضِ وَالتَّصْفِيحِ .

١٥ ونحو هذا قول جعفر بن يحيى البرمكي وقيل له : ما البيان ؟ فقال : أن يكون الاسمُ يُحِيطُ بِمعنَاكَ وَيُحْكِي عَنْ مَعْرَاكَ^(٤)، ويُخْرِجُهُ مِنَ الشَّرْكَةِ وَلَا تَسْتَعِينُ عَلَيْهِ بِالْفِكْرَةِ، والذي لا بُدَّ لَهُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ سَلِيماً مِنَ التَّكْلِيفِ، بعيداً مِنَ الصَّنْعَةِ، بريئاً مِنَ التَّعَقُّدِ، غَنِيًّا عَنِ التَّأْوِيلِ .

(١) الجأش : روع القلب إذا اضطرب عند الفزع . (٢) الزيادة عن البيان والبيان (ج ١

ص ٥٢) . (٣) عبارة البيان والبيان : «ومن قد تعود... الخ» . (٤) في البيان والبيان

(ج ١ ص ٥٨) : «يجلي» . (٥) هكذا في الأصل . وفي البيان والبيان : «والذي لا بد منه... الخ» .

قال الأصمعي: البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر.

قال المدائني: كتب قتيبة بن مسلم إلى الججاج يشكو قلة مرزئته^(١) من الطعام وقلة غشيانه النساء وحصره على المنبر، فكتب إليه: استكثر من الألوان لتصيب من كل صحفة شيئاً، واستكثر من الطرورة^(٢) تجد بذلك قوة على ما تريد، وأنزل الناس بمنزلة رجل واحد من أهل بيتك وخاصتك، وأرم ببصرك أمامك تبلغ حاجتك.

قال بعض الشعراء:

إن كان في العي آفات مقدره * ففي البلاغة آفات تساويها

تكلم رجل عند معاوية فهذر، فلما أطل قال: أأسكت يا أمير المؤمنين؟ قال:

وهل تكلمت!

ويقال: أعي العي بلاغة يعي، وأقبح اللحن لحن بإعراب.

وقال أعرابي: الحظ للراء في أذنه، والحظ لغيره في لسانه.

ويقال: رب كلمة تقول دعني.

ويقال: الصمت أبلغ من عي ببلاغة. ونحوه قول الشاعر:

أرى الصمت أدنى لبعض الصواب * وبعض التكلم أدنى لعي

وقال جعفر البرمكي: إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً، وإذا كان

الإيجاز كافياً كان الإكثار عياً.

(١) المرزنة من الطعام: الإصابة منه. (٢) الطرورة: زوجة الرجل، وأنثى الفعل.

(٣) هذر في كلامه: خلط وتكلم بما لا ينبغي. (٤) في الأصل: «أعي التي بلاغة بني».

(٥) يريد أن حظ الرجل في أذنه لنفسه لأنه بها يسمع ما يقال، والحظ في لسانه لغيره لأنه إذا تكلم

فإنما الحظ والفائدة فيه لغيره.

قال ابن السماك : العربُ تقول : العَيُّ الناطقُ أعيًا من العَيِّ الصامت .

قال أنوشروان لبزرجهر : متى يكون العَيُّ بليغًا ؟ فقال : إذا وُصفَ حَيِّيا .

قال يونس بن حبيب : ليس لعَيٌّ مَرُوَّةٌ ، ولا لمتقوص البيان بهاءٌ ، ولو بلغ يَأْفُوخُهُ أَعْنَانُ السَّمَاءِ . قال بعض الشعراء :

نَجِبْتُ لِإِدْلَالِ الْعَيِّ بِنَفْسِهِ * وَصَمِتَ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْحَقِّ أَعْلَمَا
وَفِي الصَّمْتِ سَتْرٌ لِلْعَيِّ وَإِنَّمَا * صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

قال سعيد بن العاص : مَوْطِنَانِ لَا أُسْتَحْيِي مِنَ الْعَيِّ فِيهِمَا : إِذَا أَنَا خَاطَبْتُ
جَاهِلًا ، وَإِذَا أَنَا سَأَلْتُ حَاجَةً لِنَفْسِي .

ذكر أعرابي رجلا يعيا فقال : رأيت عورات الناس بين أرجلهم ، وعورة
فلان بين فكَّيه .

وعاب آخر رجلا فقال : ذاك من يتامى المجلس ، أبلغ ما يكون في نفسه أعيًا
ما يكون عند جلسائه .

قال ربعة الرأي : الساكتُ بين النَّائِمِ وَالْأَنْحَرَسِ .

تذاكر قوم فضل الكلام على الصمت وفضل الصمت على الكلام ، فقال
أبو مسهر : كَلَّا ! إِنَّ النُّجْمَ لَيْسَ كَالْقَمَرِ ، إِنَّكَ تَصِفُ الصَّمْتَ بِالْكَلَامِ ، وَلَا تَصِفُ
الْكَلَامَ بِالصَّمْتِ .

(١) البافوخ : هو الموضع الذي يلتق فيه عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره . (٢) أعنان السماء :
نواحيها .

وذم قومٌ في مجلس سليمان بن عبد الملك الكلام، فقال سليمان: اللهم غفراً، إن
من تكلم فأحسن قدر أن يصمت فيحسب؛ وليس من صمت فأحسن قادراً على أن
يتكلم فيحسب.

قال بكر بن عبد الله: طول الصمت حبة^(١)، ونحوه قول عمر بن الخطاب: ترك
الحركة عقلة.

وكان نوفل بن مساحق إذا دخل على امرأته صمت، وإذا نرج من عندها تكلم؛
فقال له: أما عندي فتطرق، وأما عند الناس فتنتطق! فقال: أدق^(٢) عن جليلك
وتجلى عن دقيق.

وفي حكمة لقمان: يا بني، قد تدمت على الكلام ولم أندم على السكوت.
قال ابن إسحاق: الناس خلق باليمين لأحدهم عين ويد ورجل يقفز بها، وأهل
اليمين يصطادونهم؛ فخرج قوم في صيدهم فرأوا ثلاثة نفر منهم فأدركوا واحداً فعقروه
وذبحوه وتوارى آثان في الشجر، فقال الذي ذبحه: إنه لسمين، فقال أحد الأثنين:
إنه أكل ضرّوا، فأخذوه فذبحوه، فقال الذي ذبحه: ما أنفع الصمت! قال
الثالث: فهأنا الصميت فأخذوه وذبحوه.^(٥) (الضرّ: حبة الخضراء).

كان يقال: إذا فاتك الأدب فالزم الصمت.

(١) في البيان والتبيين (ج ١ ص ١٥٠) والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤): «خربة» . والحبة
بالضم: اسم من الاحتباس وهو تعذر الكلام عند إرادته. (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٦):
«قال: إنى أجل عن دقيقك، وتدقن عن جليلي». (٣) وردت هذه الحكاية في كتاب الحيوان
للدميري (ج ٢ ص ٤١٥) باختلاف يسير في بعض ألفاظها لا يخرجها عن المعنى المراد. (٤) كذا
في حياة الحيوان. وفي الأصل: «ينقر».

وقال بعضهم : لا يجترى على الكلام إلا فائق أو مائق^(۱) .

وقال الشاعر يمدح رجلا :

صُموتٌ إذا ما الصمتُ زينَ أهله * وفَتاقُ أبكارِ الكلامِ المَختمِ^(۲)

قال أبو الدرداء : أنصف أذنيك من فيك ، فإنما جعل لك أذنان [اثنتان] وفم^(۳)

واحد ، لتسمع أكثر مما تقول .

حضر قشيريُّ مجلسا من مجالس العرب فأطال الصمتَ ، فقال له بعضهم : بحق سئمتُ حرس العرب ، فقال القشيريُّ : يا أخي ، إن حظَّ الرجل في أذنه لنفسه ، وحظُّه في لسانه لغيره .

وقال بعضُ الحكماء : أكثر الصمتِ ما لم تكن مسئولا فإن قوت الصواب أيسرُ

من خطل القول ؛ وإذا نازعتك نفسك إلى مراتب القائلين المصيبين ، فأذكر ما دون الصواب من وجل الخطأ وفضائح المقصرين .

تكلم رجلٌ في مجلس الهيثم بن صالح بخطأ ، فقال له الهيثمُ : يا هذا ، بكلام

مثلك رزق أهل الصمت المحبة . وقال أبو نؤاس :

خَلَّ جَنَيْكَ لِرَامٍ * وَأَمْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ

مَتَّ بَدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ * لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ

إِنَّمَا السَّالِمُ مِنَ الْكَلَامِ فَاهُ^(۴) بِلِجَامِ

(۱) الفائق : الأديب العالم . والمائق : الهالك حقا وغباوة .

(۲) في الأصل « المحتر » وهو تحريف ، لأن القافية ميمية ؛ وهذا البيت لعبد الله بن المبارك صاحب

الرقائق برئى مالك بن أنس المدني كما في العقد الفريد لأبن عبد ربه (ج ۱ ص ۲۹۳) وبعده :

وعى ما وعى القرآن من كل حكمة * ونيطت له الآداب باللحم والدم

(۳) الزيادة عن العقد الفريد (ج ۱ ص ۲۹۳) . (۴) في البيان والتبيين (ج ۱ ص ۱۴۹) :

« الملم » .

وقال آخر :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ * إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا صاحبنا عن مالك بن دينار أنه قال : لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا الكلام .

وقال الأصمعي : إذا تظرف العربي أكثر كلامه ، وإذا تظرف الفارسي أكثر

سكوته .

قال حاتم طيء : إذا كان الشيء يَكْفِيكَه اتركه فتركه .

قال عبد الله بن الحسن لأبيه : استعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى القول ، فإن للقول ساعات يضرب فيها الخطأ ولا ينفع فيها

الصواب .

وقال إياس بن قتادة :

تُعَاقِبُ أَيْدِينَا وَيَجْلُمُ رَأْيُنَا * وَتَسْتُمُّ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

تكلم ابن السَّمَاك يومًا وجارية له تسمع كلامه ، فلما دخل إليها قال : كيف رأيت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه لولا أنك تكثر تردداده ! قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه ، قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه قد مله من فهمه !

قال عيسى بن مريم : من كان منطقه في غير ذكرٍ فقد لغا ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته في غير فكرٍ فقد لها .

(۱) في نهاية الأرب (ج ۶ ص ۶) وحاشية أبي تمام شرح التبريزي (طبع مدينة بن) : « ونجهل أيدينا ... الخ » ونسب البيت فيما إلى معبد بن علقمة . ونسب في أدب الدنيا والدين (ص ۲۵۳) إلى

إياس بن قتادة ، كما في الأصل هنا .

كان العباس بن زُفر لا يُكَلِّمُ أحداً حتى تَبَسَّطَ الشَّمْسُ، فإذا أَنْقَلَتْ^(١) عن صَلَاتِهِ
ضَرَبَ الأَعْنَاقَ وَقَطَعَ الأَيْدِي والأَرْجُلَ . وكان جَرِيرٌ لا يَتَكَلَّمُ حتى تَبْزُغَ الشَّمْسُ ،
فإذا بَزَغَتْ قَدَفَ المُحَصَّنَاتِ .

قال قَتَادَةُ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ : لا يُعَادُ الحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ .

قال الزُّهْرِيُّ : إِعَادَةُ الحَدِيثِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الصَّخْرِ .

وفي كَتَبِ العَجَمِ : أَنَّ أَرْبَعَةً مِنَ المُلُوكِ اجْتَمَعُوا فَقَالُوا كُلُّهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً كَأَنَّهَا
رَمِيَةٌ بِسَهْمٍ : مَلِكُ فَارِسَ ، وَمَلِكُ الهِنْدِ ، وَمَلِكُ الرُّومِ ، وَمَلِكُ الصِّينِ . قال أحدهم :
إذا تَكَلَّمْتُ بِالكَلِمَةِ مَلَكْتَنِي وَلَمْ أَمْلِكْهَا . وقال آخَرُ : قَدْ نَدِمْتُ عَلَى ما قُلْتُ وَلَمْ أُنْدَمْ
عَلَى ما لَمْ أَقُلْ . وقال آخَرُ : أَنَا عَلَى رَدِّ ما لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ ما قُلْتُ . وقال آخَرُ :
ما حَاجَتِي إِلى أَنْ أَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ ، إِنْ وَقَعْتُ عَلَى ضَرْبَتِي ، وَإِنْ لَمْ تَقَعْ عَلَى لَمْ تَنْفَعْنِي .
قال زُبَيْدُ اليَاسَمِيِّ^(٢) : أَسَكَّتَنِي كَلِمَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ عَشْرِينَ سَنَةً : مَنْ كَانَ كَلَامُهُ
لا يوافق فَعْلَهُ فَإِذَا يُوجِّحُ نَفْسَهُ .

وفي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدَمْنَةَ : ثَلَاثَةٌ يُؤْمَرُونَ بِالسَّكُوتِ : الرَّاقِي فِي جَبَلِ طَوِيلٍ ،
وَأَكْلُ السَّمَكِ ، وَالْمُرُوءِيُّ فِي الأَمْرِ الجَسِيمِ . قال بعضُ الشَّعْرَاءِ^(٤) :

قَدْ أَفْلَحَ السَّالِمُ الصَّمُوتُ * كَلَامٌ وَاعَى الكَلَامِ قَوْتُ

(١) انقلت عن صلته : انصرف عنها . (٢) كذا في الأنساب للسمعاني ؛ وتهذيب التهذيب ؛
وتاج العروس . وهو زييد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب الياسمي نسبة الى بطن من همدان .
وفي الأصل « زييد النامي » بالنون وهو تحريف . (٣) المروئي : من روى في الأمر ويقال روى
(بالهمزة) اذا نظرفيه وتعقبه ولم يعجل بجواب . (٤) هو محمد بن أبي العتاهية كما في الأغاني (ج ٣
ص ١٧٠ طبع بولاق) وهو مذكور أيضاً في ديوان والده أبي العتاهية (ص ١٤ طبع بيروت) .

ما كلُّ نطقٍ له جوابٌ * جوابٌ ما يُكرهُ السكوتُ
يا عجباً لأمري ظُلومٌ * مُستيقِنٌ أنه يموتُ

بلغني عن أبي أسامة عن ابن عَوْن عن الحسن قال : جلسوا عند معاوية فتكلموا
وصمَّت الأحنفُ ؛ فقال معاوية : يا أبا بَحر، مالك لا تتكلم ؟ قال : أخافكم إن
صدقتكم ، وأخاف الله إن كذبت .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا الحميدي قال حدثنا أبو الحكم مروان بن
عبد الواحد عن موسى بن أبي درهم عن وهب بن منبه قال قال ابن عباس :
كفى بك ظالماً ألا تزال مُحاصِماً ، وكفى بك آثماً ألا تزال مُمارِياً ، وكفى بك كاذباً
ألا تزال مُحدِّثاً بغير ذكر الله تعالى :

وقال بعضهم :

يموتُ الفتي من عَثْرَةٍ بلسانيه * وليس يموتُ المرءُ من عَثْرَةِ الرَّجْلِ^(١)
فعثرتُه من فيه ترمي برأسه * وعثرتُه بالرجل تبرا على مهل

سُئل بعضُ الحكماء عن البلاغة ، فقال : من أخذ معاني كثيرة فأداها بالفاظ
قليلة ، أو أخذ معاني قليلة فولد فيها ألفاظا كثيرة .

بلغني عن أبي إسحاق الفزاري قال : كان إبراهيم يُطيلُ السكوتَ ، فإذا تكلم
أنبسط ، فقلت له ذات يوم : لو تكلمت ! فقال : الكلام على أربعة وجوه ، فمنه
كلامٌ ترجو منفعتَه وتخشى عاقبته ، فالفضلُ منه السلامة ؛ ومنه كلامٌ لا ترجو منفعتَه
ولا تخشى عاقبته ، فأقلُّ مالك في تركه خِفةُ المؤونة على بَدنك ولسانك ؛ ومنه كلامٌ

(١) هذان البيتان لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كما في العقد الفريد

لا ترجو منفعتَه وتخشى عاقبته ، وهذا هو الداءُ العُضالُ ؛ ومن الكلام كلامُ ترجو منفعتَه وتأمُنُ عاقبته ، فهذا الذي يجب عليك نشرُه ؛ قال : فإذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام .

الاستدلال بالعين والإشارة والنُصبة^(١)

يقال : رَبُّ طَرْفٍ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانٍ . قال أعرابيٌّ :
 إِن كَأْتَمُونَا الْقَلِيَّ تَمَّتْ عِيُونُهُمْ * وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ
 وقال آخر :

إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرَتْ غَيْرَ مَا * تُضْمِرُهُ أَنْبَتَكَ عَنْهَا الْعُيُونُ

آخر :

أَمَّا تُبْصِرُ فِي عَيْنِي * عَنْوَانَ الَّذِي أُبْدِي

وقال ذو الرمة :

نَعَمْ هَاجَتِ الْأَطْلَالُ شَوْقًا كَفَى بِهِ * مِنَ الشَّوْقِ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ
 فَارِزْتُ أَطْوَى النَّفْسِ حَتَّى كَأَنَّهَا * بِذِي الرَّمْثِ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِ ذَاكِرِ
 حَيَاءً وَإِشْفَاقًا مِنَ الرُّكْبِ أَنْ يَرَوْا * دَلِيلًا عَلَى مُسْتَوَدَّعَاتِ الضَّمَائِرِ

وقال الحارثيُّ يذُكُرُ مِنَّا :

أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأَجَدْنَا قِرَى^(٣) * مِنَ الْبَثِّ^(٤) وَالِدَاءِ الدَّخِيلِ الْخَامِصِ
 وَأَوْسَعَنَا عِلْمًا بَرْدًا جَوَابِنَا * فَأَعْجِبْ بِهِ مَنْ نَاطِقِي لَمْ يُجَاوِرِ

(١) النُصبة بالضم : هي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيئة بغير البدن (عن البيان والتبيين ج ١ ص ٤٥) .

(٢) أطوى النفس : أضمرها على شيء من حب مية . وذو الرمث : اسم واد لبني أسد .

(٣) أجدنا : أشبعنا . (٤) البث : الفم والحزن ، وقيل أشده .

ومثل هذا قول القائل^(١) : سَلِ الْأَرْضَ قَلِّ لَهَا : مِنْ شَقِّ أَنْهَارِكَ ، وَغَرَسِ
أَشْجَارِكَ ، وَجَنِّ ثِمَارِكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حَوَارًا ، أَجَابَتْكَ أَعْتَابًا . قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ^(٣) :

وَلَلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ * دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ * مَقَائِيسٌ وَأَشْبَاهُ

يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ * إِذَا مَا هُوَ مَا شَأُهُ

وَفِي الْعَيْنِ غِنًى لِلْعَيْنِ^(٤) أَنْ تَنْطِقَ أَفْوَاهُ

الشعر

يَقَالُ : خَيْرُ الشَّعْرِ مَا رَوَّكَ نَفْسَهُ . وَيَقَالُ : خَيْرُ الشَّعْرِ الْحَوْلِيُّ الْمُنْتَعَجُ الْمُحْكَمُ .

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يُنْشِدُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : سُكَّرَ

لَا حَلَاوَةَ لَهُ . قِيلَ لِبَعْضِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ : أَرَأَيْتَ الشَّاعِرِينَ يَجْتَمِعَانِ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ

فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ؟ فَقَالَ : عُقُولُ رَجَالٍ تَوَافَتْ عَلَى أَسْتَمَتِهَا .

قَالَ بَشَّارٌ يَصِفُ نَفْسَهُ :

زُورُ مُلُوكٍ عَلَيْهِ أُمَّةٌ * يُعْرِفُ مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ حُطْبَتِهِ^(٥)

لَهُ مَا رَاحَ فِي جَوَانِحِهِ * مِنْ لُؤْلُؤٍ لَا يَنَامُ عَنْ طَلْبِهِ

يَخْرُجُنْ مِنْ فِيهِ فِي النَّدَى كَمَا * يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاجِ مِنْ لَهْبِهِ^(٦)

(١) القائل هو الرقاشي كما في الصناعتين لأبي هلال العسكري (ص ١١ طبعة الآستانة سنة ١٣١٩هـ) .

(٢) الحوار بكسر الحاء : من حاوره إذا جاوره وراجعه في الكلام . (٣) لم نجد هذه الأبيات في ديوان

أبي العتاهية المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٨ م . (٤) في البيان والتبيين (ج ١ ص ٤٤ طبعة القاهرة

سنة ١٣٣٢هـ) : «لله» . (٥) الزور : الزائر . (٦) كذا في الأصل ، وفي ديوان بشار

(ص ١٠٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ م) : «يخرج ... للندي ... الخ» .

تَرْنُو إِلَيْهِ الْحُدَاثُ غَادِيَةٌ * وَلَا تَمَلُّ الْحَدِيثَ مِنْ عَجَبِهِ
تَلْعَابُهُ تَمَكُّفُ الْمَلُوكِ بِهِ * تَأْخُذُ مِنْ جِدِّهِ وَمَنْ لَعِبِهِ
يَزْدِحِمُ النَّاسُ كُلَّ شَارِقَةٍ * يَبَاهُ مُسْرِعِينَ فِي أَدْبِهِ

وقال الطائي يذكر الشعر :

٥. إِنْ الْقَوَافِي وَالْمَسَاعِي لَمْ تَزَلْ * مِثْلَ النَّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيدَا
هِيَ جَوْهَرٌ نَثْرٌ فَإِنَّ الْفَتَى * بِالشَّعْرِ صَارَ قَلَانِدًا وَعَقُودَا
مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَانَتْ الْعَرَبُ الْأَلَى * يَدْعُونَ هَذَا سُؤْدَدًا مَجْدُودَا
وَتَبْدُ عِنْدَهُمُ الْعُلَا إِلَّا عَلَا * جُعِلَتْ لَهَا مِرْرُ الْقَرِيضِ قِيُودَا

وقال أيضا :

١٠. وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ تُدْعَى حُقُوقُهُ * مَفَارِمَ فِي الْأَقْوَامِ وَهِيَ مَغَانِمُ
وَإِنَّ الْعُلَا مَا لَمْ تَرَ الشَّعْرَ بَيْنَهَا * لِكَالْأَرْضِ غُفْلًا لَيْسَ فِيهَا مَعَالِمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَسْرِي فَيَغْتَدِي * لَهُ غُرْرٌ فِي أَوْجِهِ وَهَوَاسِمُ
يُرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاهَةٌ * وَيُقَضَى بِمَا يَقْضَى بِهِ وَهُوَ ظَالِمُ
وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَنِ الشَّعْرِ مَا دَرَى * بُغَاةُ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

- ١٥ (١) رجل تلعبه بكسر التاء : كثير المزح والمداعبة .
(٢) في ديوان أبي تمام المطبوع (ص ٩٠) : « الجمان » .
(٣) في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٦ أدب (ص ٤٨) وديوانه المطبوع أيضا (ص ٩٠) : « محدودا » بالخاء المهملة .
(٤) المرر جمع مرة ، والأصل في المزة طاقة الحبل .
(٥) رواية الديوان (ص ٢٨٦) : « ولا كالعلا ما لم ير ... فكالأرض ... الخ » .
٢٠ (٦) النفل من الأرض : مالا علاة فيه .
(٧) كذا في ديوانه . وفي الأصل « تزي » .

وقال عُمر بن لُحَيٍّ لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ؛ قال : ولمَ ذاك ؟ قال :
لأنِّي أقولُ البيتَ وأخاه ، ولأنك تقول البيتَ وابنَ عمِّه .
قيل لعقيل بن عُفَّة : ألا تُطيلُ الهجاء ؟ فقال : يكفيك من القلادة ما أحاط
بالعنق .

وقال بعضهم : خيرُ الشعرِ المطمئع .

قيل لكثير : يا أبا صخر ، كيف تصنع إذا عسر عليك قولُ الشعر ؟ قال :
أطوف بالرباع المخلية^(١) والرياض المعشبة ، فيسهل على أرضنه ويسرع إلى أحسنه .
ويقال : إنه لم يستدع^(٢) شارد الشعر بمثل الماء الجاري ، والشرف العالي ،
والمكان الخضر الخالي أو الخالي^(٣) .

وقال عبدُ الملك بن مروان لأرطاة بن سُهبة : هل تقول الآن شعرا ؟ قال :
ما أشرب ، ولا أطرب ، ولا أعضب ؛ وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه .

- (١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مالك لا تطيل ... الخ» .
(٢) كذا في كتاب الشعر والشعراء للؤلؤف (ص ١٨ طبعة ليدن سنة ١٩٠٢) والمخلية : الخالية
من السكان ؛ يقال : خلت الدار وأخلت . وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : « بالرباع المخلية »
وهي التي أنت عليها أحوال فقيرتها . وفي الأصل : المخلية بانخاء المهجمة .
(٣) كذا في الشعر والشعراء (ص ١٨) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٢) وفي الأصل : «لم يسرع» .
(٤) الخالي هو الخالي من الضوضاء . وقد وردت هذه العبارة في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣)
بدون الكلمة «الخالي» ثم قال صاحب العقد : «تأول بعضهم «الخالي» يريد الخالي من النوار يعني الرياض
وهو توجبه حسن» . وأما «الخالي» بالمهملة فهو المنعزل بالنوار ، ومنه قول أبي بكر بن عبد الرحمن الزهري
(ج ٢ ص ٨٩ من ديوان الحماسة لأبي تمام طبعة مصر سنة ١٣٢٢هـ) :
ولما نزلنا منزلا طله الندي « أنيقا وبستانا من النور حاليا
(٥) في الشعر والشعراء (ص ١٨) : «قال كيف أقول وأنا ما أشرب ... الخ» .

(١) وقيل لكثير: ما بقي من شعرك؟ فقال: ماتت عزة فما أطرب، وذهب الشباب فما أعجب، ومات ابن ليلى فما أرغب— يعني عبد العزيز بن مروان— وإنما الشعر بهذه الحلال.

وقيل لبعضهم: من أشعر الناس؟ فقال: أمرؤ القيس إذا ركب، والباغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب.

وقيل للعجاج: إنك لا تحسن الهجاء، فقال: إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم، وأحساباً تمنعنا من أن نُظلم، وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم!

وقلت في وصف الشعر: الشعر معدن علم العرب، وسفر حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسور المضروب على ماثرها، والخذق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النفار، والحجة القاطعة عند الحصام، ومن لم يعم عندهم على شرفه وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميد بيت منه، شذت مساعيه وإن كانت مشهورة، ودرست على مرور الأيام وإن كانت جساماً، ومن قيدها بقوافي الشعر، وأوثقها بأوزانه، وأشهرها بالبيت النادر، والمثل السائر، والمعنى اللطيف، أخلدها على الدهر، وأخلصها من الجحد، ورفع عنها كيد العدو وغص عين الحسود.

وهما جاء في الشعر كثير. وقد أفردت للشعراء كتاباً، وللشعر باباً طويلاً في كتاب العرب. وذكرت هذه التففة في هذا الكتاب كراهية أن أخليه من فن من الفنون.

(١) رواية الأمازي (ج ١ ص ٣٠ طبع مطبعة دار الكتب المصرية): «قيل لكثير: مالك لا تقول الشعر! أجبلت؟ قال: والله ما كان ذلك، ولكن فقدت الشباب فما أطرب، ورزقت عزة فما أنسب، ومات... الخ» وفسر أبو علي القالي: «أجبلت» بقوله: «أجبلت»، أي انقضت عن قول الشعر. أخذه من قولهم: أجبل الحافر إذا انتهى إلى جبل فلم يمكنه الحفر. (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣): «وقالوا: أشعر الناس، النابغة إذا رهب، وزهير إذا غضب، وجريز إذا رغب».

حُسن التشبيه في الشعر

من ذلك قولُ ابنِ الزبيرِ الأَسديّ في الثُّرَيّا :

(١) وقد لاح في الغورِ الثُّرَيّا كأنّما * به رايةٌ بيضاءُ تُخْفِقُ للطَّعِنِ

شبهه الثُّرَيّا حين تدلّت للغيّبِ برايةً بيضاءَ خَفَقَتْ للطعن .

ومن ذلك قولُ عنترَةَ في الذُّباب :

(٢) وخلا الذُّبابُ بها فليس بنازِح * هزِجاً كَفَعِلِ الشارِبِ المُتَرَمِّمِ

(٣) (٤) (٥) غَرْدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ * فِعْلَ المِكْبِ على الزنادِ الأَجْدَمِ

شبه حركته يده بيده برجلٍ مقطوع الكفّين يقدح النار بعودين .

ومن ذلك قولُ أعرابي في العنب :

(٦) يَجْمَلْنَ أوعِيَةَ السُّلافِ كأنّما * يَجْمَلْنَها بأكارِعِ النَّغْرانِ

أوعية السُّلاف : العنب ، جعله ظرفاً للتمر ، وشبهه شعب العناقيد التي تحمل

الحبُّ بأرجل النَّغْران . (والنَّغْرُ : طائرٌ مثل المصفورِ أحمر المنقار) .

(١) كذا في معاهد التنصيص ص ١٨٩ طبع مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ ، ونسخة خطية من الأغاني محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ م في أخبار أبي فيس بن الأسات . وفي نسخة خطية أخرى من الأغاني رقم ١٢٦١ : « تخفض » بدل « تخفق » وفي طبعة بولاق منه (ج ١٥ ص ١٦٦) « وقد لاح في القور... » بالقاف . وفي الأصل هنا :

وقد حرم الغور الثريا كأنها * له راية بيضاء تخفض للطعن

وفيه أيضا « خفضت » في تفسير المؤلف للبيت بدل خفقت التي أثبتناها ، تبعاً للرواية التي آثرناها

في البيت . (٢) يروى هذا البيت في شرح المعلقات للزوزني (طبع القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ) :

«... فليس يبارح ، غردا» ويروى البيت الذي بعده «هزجا يحك... قدح المكب» .

(٣) الضمير في «بها» يعود على الروضة التي تصدى عنتره لوصفها في معلقته . (٤) هزج ككتف :

مصوت . (٥) غَرْدٌ : من غَرِدَ الطائرُ إذا رفع صوته في غنائه وطرب . (٦) المكب : من

أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه . (٧) الأجدم : المقطوع اليد ؛ وقيل الذاهب الأنامل .

(٨) في اللسان مادة «نغر» : «يحملن أزفاق المدام... بأظافر... الخ» .

وقال الآخر، وكان غشي عينيه بياض أو نزل فيهما ماء، :

يقولون ماء طيب خان عينه * وما ماء سوء خان عيني بطيب
ولكنه أزمان أنظر طيب * بعيني غدافي علا فوق مرقب
كان ابن جمل مد فضل جناحه * على ماء إنسانيهما المتغيب

شبه ما علا الحدقة بجناح فرخ من فراخ الزناير قد مد على ناظره .

ومن ذلك قول امرئ القيس وذكر العقاب :

كان قلوب الطير رطباً ويا بساً * لدى وكرها العناب والحشف البالي

شبه الرطب بالعناب، واليابس بالحشف . وشبه شيتين بشيتين في بيت واحد .

ومن ذلك قول أوس بن حجر وذكر السيف :

كان مدب النمل يلتمس الرئي * ومدرج ذر خاف برداً فأسهلا

شبه فرند السيف بمدرج الذر ومدب النمل .

ومن ذلك قول أبي نواس في البازي :

ومنسر أكلف فيه شفا * كأنه عقد ثمانينا

(١) الغدافي : الشديد السواد، نسبة إلى الغداف وهو الغراب وفي الأصل : «بعيني غدافيا» .

(٢) الجمل بتقديم الجيم على الحاء : العسوب العظيم ، ودو في خلق الجرادة إذا سقط لا يضم جناحه ،
والجمع جمول وجملان . (٣) العناب كرتان : شجر معروف ، حبه كحب الزيتون في شكله .

(٤) الحشف : ما يمس من التمر، ولم يكن له طعم ولا نوى . (٥) الذر : صفار النمل ، واحده ذرة .

(٦) فرند السيف بكسر الفاء والراء : جوهره ووشيه وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل .

(٧) الشفا : زيادة في المنقار الأعلى على الأسفل مع تعقّف وانعطاف ، ولذا سميت العقاب بالشفواء .

(٨) شبه منسر البازي الذي فيه الشفا بعقد ثمانين على طريقة حساب العرب أيام جادليتهم ؛ وصفة عقد

الثمانين : أن يجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام . (راجع بلوغ الأرب للأوسى طبعة بغداد ج ٣

ص ٣٩٩) .

ومن ذلك قول أعرابي في امرأة :

قامت تصدّي له عمداً لتقتله * فلم ير الناس وجداً مثل ما وجدنا
 بجيد آدم لم تُعقد قلائده * وناهد مثل قلب الظبي ما نهدا
 فظل كالحائم الهيمان ليس له * صبر ولا يأمن الأعداء إن وردا
 شبه تديها في نهوده بقلب الظبي في صلابته ، ولا نعلم أحداً شبه الثدى بقلب
 الظبي غيره .

ومن ذلك قول جحدر العكلي في امرأة :

على قدّم مكنونة اللوين رخصية * وكعب كذفرى جوذر الرمل لدرما^(٥)
 شبه كعبها بأصل أذن الجوذور، وهو الصغير من أولاد البقر .

ومن ذلك قول حميد بن ثور يصف فرخ القطة :

كأن على أشداقه نور حنوية * إذا هو مد الجيد منه ليطعما^(٦)

ومن ذلك قول دعبل يهجو امرأة :

كأن التأليل في وجهها * إذا سمرت يد الكشمش^(٩)^(١٠)

لها شعر قرد إذا أزيئت * ووجه كبيض القفا الأبرش^(١١)^(١٢)

(١) يقال : ظبي آدم إذا أشرب لونه بياضاً . (٢) الحائم : العطشان الذي يحوم حول الماء .

(٣) الهيمان : العطشان . (٤) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . (٥) كعب أدرم :

مستور . (٦) كذا رواه المؤلف في كتابه « الشعر والشعراء » (ص ٢٣٠) . والحنوة بالفتح : نبات

سهل طيب الريح . وفي الأصل « حنوة » بانحاء وهو تحريف . (٧) في شرح حماسة أبي تمام

للتبريزي (ص ٨٢١ طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨) : « أن أبا عبيدة أنشد هذا الشعر لأبي القطمش

الحنفى » . (٨) التأليل جمع تؤول وهو الحبة تظهر في الجلد كالحمصة فادونها . (٩) البدد

جمع بدة وهي القطعة . (١٠) الكشمش بكسر الكاف والميم : العنب الصغير .

(١١) كذا في ديوان الحماسة ، وفي الأصل : « إذا زينت » . (١٢) الأبرش : ما به برش ،

والبرش كالبرص وزنا ومعنى .

ومن ذلك قولُ أبي نُؤاسٍ في وصف البطِّ :

* كَأَنَّمَا يَصْفِرُنَّ مِنْ مَلَأَقٍ ^(١) *

ومن ذلك قولُ بعض الرُّجَازِ في جارية سوداء :

كَأَنَّهَا وَالْكُحْلُ فِي مِرْوَدِهَا * تَكْمُلُ عَيْنَهَا بِيَعَضِ جِلْدِهَا

ومن ذلك قولُ الجَعْدِيِّ في فرسٍ :

خَيْطَ عَلَى زَفْرَةٍ قَتَمَ ^(٢) وَلَمْ * يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضِيمٍ ^(٣)

يقول هو متفخح الجنبين، فكأنه زفر فانتفخ جنباه ثم خيط على ذلك .

ومن ذلك قول الطَّرِيقِ يصف الثور :

يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ * سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُعْمَدُ ^(٤)

ومن ذلك قول النابغة للنعمان :

فَأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي * وَإِنْ خِلْتُ أَنْ الْمُتَأَيُّ عَنْكَ وَاسِعٌ ^(٥)

ومن ذلك قوله في المرأة :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا * نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وُجُوهِ الْعُودِ

يقول : نظرت إليك ولم تقدر أن تتكلم، كما ينظر المريض إلى وجوه عواده

وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ .

(١) عجزه كما في الشعر والشعراء ص ٥٢٠ :

* صرصرة الأقلام في المهارق *

(٢) كذا في اللسان مادق «زفر» و «هضم» وفي الأصل «الجعصري» . (٣) زفرة الفرس :

وسطه، يقال للفرس إنه لعظيم الزفرة، أي عظيم الجوف . (٤) كذا في اللسان . وفي الأصل

«ولا هرم» والمهضم : استقامة الضلوع ودخول أعاليها، وهي من عيوب الخيل التي تكون خلقة .

(٥) كذا في «الشعر والشعراء» ص ٨٠ وفي الأصل «ويعضد» . (٦) كذا في ديوان النابغة

طبع باريس واللسان مادة «نأي» وفي الأصل «قلت» . (٧) يريد بالمرأة المنجودة زوج النعمان .

ومن ذلك قولُ طَرْفَةَ :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتي * لكأطول المرثى وثنياه باليد^(١).

ومن ذلك قولُ بعض الضَّيِّين يصف أباريق الشراب :

كأن أباريق الشمول عشيَّة * إوز^(٢) بأعلى^(٣) الطف عوج^(٤) الحناجر

ونحوه قولُ أبي الهندي^(٥) :

سِغْنِي أبا الهندي عن وطيب سالم * أباريق لم يعلق بها وضر الزبد^(٦)
مقدمة قزا^(٧) كأن رقابها * رقاب^(٨) بنات الماء تفزع للرد

ومن ذلك قولُ نصيب في عبد العزيز بن مروان :

وكلبك أنس بالمعتفين * من الأم بأبتها الزائرة

ومن ذلك قولُ عدي بن الرقاع في الظبية :

ترجي أغن^(٩) كأن إبرة روقه^(١٠) * قلم أصاب من الدواء مدادها^(١١)

ومن ذلك قولُ بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسهم^(١٢) * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها

- (١) الطول : الحبل الطويل تشد به قائمة الدابة ويمسك صاحبها بطرفه ويتركها ترمي .
 (٢) القائل لهذا البيت هو شبرمة الضبي كما في اللسان مادة « برق » . (٣) الطف : ما أشرف
 من أرض العرب على ريف العراق . (٤) لذا في اللسان وهو المناسب ، لأن المراد عوج
 الرقاب . وفي الأصل : « المناخر » بانحاء المعجمة . ولعلها « المناحر » بالحاء المهملة ، جمع منحرو وهو موضع
 النحر من الخلق . (٥) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس كما في اللسان مادة « وضر » .
 (٦) الوضر : وسخ الدسم واللبن . (٧) المقدم : الإبريق الذي على فمه فدام وهو خرقة من قز
 أو غيره . (٨) يريد بنات الماء الإوز وما يشابهها من طيور الماء . (٩) ترجي :
 تسوق . (١٠) الأغن من الظباء : ما في صوته غنة . (١١) الروق : القرن .
 (١٢) كذا في الأصل والشعر والشعراء . وفي التلخيص للقرظيني « فوق رؤوسنا » وهي الرواية المشهورة .

ومن ذلك قوله :

جَفَّتْ عَيْنِي عَنْ التَّنْمِيضِ حَتَّى * كَانَتْ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

ومن ذلك قول الآخر :

وَمَوْلَى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * إِذَا مَا التَّقِينَا لَيْسَ مِمَّنْ أَعَاتِبُهُ

يقول : لا أقدرُ على النظر إليه من بغضه ، فكان الشمس بيني وبينه .

ومن ذلك قول الآخر :

كَانَ نِيرَانَهُمْ فِي كُلِّ مَثْرَلَةٍ * مُصْبَغَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قِصَارِ^(٣)

الناس يستحسنون هذا ، وأنا أرى أن أقول : الأولى أن يُنسب المصبغات

بالنيران ، لا النيران بالمصبغات .

الأبيات التي لا مثل لها

١٠

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا معتمر عن ليث عن طاوس عن ابن عباس

قال : إنها كلمة نبي :

سَتِيدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

حدثني الرياشي عن الأصمعي قال : أبرع بيت قالته العرب قول أبي ذؤيب :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا * وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

١٥

وأحسن ما قيل في الكبر قول حميد بن ثور الهلالي :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ * وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسَلَّمَ

(١) المصبغات : الثياب التي صبغت ولونت بالصبغ .

(٢) الأرسان جمع رَسَنٍ بالحرريك وهو الحبل .

(٣) القصار : الذي يحوّر الثياب ويدقها بالقصرة ، وهي قطعة من الخشب .

٢٠

وأحسن من ابتداء مرثية أوس بن حجر في قوله :^(١)
 أيتها النفس أجلى جزعا * إن الذي تكريهين قد وقعا^(٢)
 وأغرب من ابتداء قصيدة النابغة في قوله :
 كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أفا سيه بطيء الكواكب
 حدثني الخنعمي الشاعر قال : أحسن بيت قيل في الجبن قول نهشل
 ابن حري :^(٣)

فلو كان لي نفسان كنتُ مقاتلاً * بإحداهما حتى تموت وأسلما

قال : وبيت الخبيل في قساوة القلب :

بيتي علينا ولا نبكي على أحد * لنحن أغلظ أباداً من الإبل

قال : وبيت عبيد في الاستعفاف :

من يسأل الناس يجرمونه * وسائل الله لا يجيب

قال : وبيت منجوف بن مرة السلمي في الاحتفاظ بالمال :

وأدفع عن مالي الحقوق وإنه * بلحم فإن الدهر جرم مصائبه

قال : وبيت الخطيئة في إكرام النفس :

وأكرم نفسي اليوم عن بوء طعمة * ويقتني الحياء المرء والريح شاجره^(٤)

(١) في الأصل : « وأحسن من ابتداء مرثية قول أوس بن حجر » . (٢) في الشعر والشعراء (ص ٧) « تحذرين » . (٣) في الأصل : جرى بالجيم . وما أثبتناه عن الأثافي (ج ٨ ص ١٥٩) وطبقات الشعراء للجمعي ص ١٣٠ طبعة ليدن سنة ١٩١٣ م . (٤) في الأصل : « شاجر » وما أثبتناه عن ديوان الخطيئة (طبع ليبج سنة ١٨٩٣ ص ٦٤) ورواية الديوان : وأكرم نفسي ... الخ . قتي الحياء (وزان فرح) : لزمه . والبيت من قصيدة يذكر فيها الزرقان ويمدح آل شامس مطعمها :
 عفا مسعلان من سلبى فخامره * تمشى بظلمته وجساآذره

قال : وقول كعب في الإقدام ^(١) :

نِصْلُ السُّيُوفِ إِذَا قَصُرْنَ بِمُخْطُونَا * قُدْمًا وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

قال : وبيت عمرو بن الإطنابة في الصبر :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ * مَكَانِكَ تُنْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وأحسن من هذا عندي قول قطري ^(٢) :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ لِنَفْسِي * مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحِكُ لَا تُرَاعِي

فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ * عَلَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي ^(٣)

قال : وبيت مسكين الدارمي في الجود ^(٤) :

طَعَامِي طَعَامُ الضَّيْفِ وَالرَّحْلُ رَحْلُهُ * وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقْنَعُ

قال : وفي حسن الجوار قوله :

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ * وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقِدْرُ

مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوِرُهُ * إِلَّا يَكُونُ لِبَابِهِ سِتْرُ

قال : وممن رضى بالقليل جميل ، قال :

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ لِعَلَّهُ * يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ تَنْظُرُ

- ١٥ (١) هو كعب بن مالك ، كما في الكامل للبرد طبع أوربا (ص ٦٦) والأغاني (ج ١٥ ص ٣٠) وورد فيه «يوما» بدل «قدما» . (٢) روى هذا المصراع في حماسة أبي تمام هكذا : أقول لها وقد طارت شعاعا * من الأبطال ... الخ
- (٣) كذا في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٢٧) وحماسة أبي تمام . وفي الأصل : «... حياة ... من الأجل ... الخ» وفي العقد الفريد : «... حياة ... سوى الأجل ...» (٤) في شرح حماسة أبي تمام للبريزي : «قال ضبة بن بجير ، وقيل إنه لمسكين الدارمي» . وروى البيت فيه هكذا :

لحاف لحاف الضيف والبيت به * ولم يلهنى عنه غزال مقنع .

(١)
وقول الآخر :

أليس الليل يُلبسُ أمَّ عمرو * وإيانا فذاك بنا تداني
تَرَى وَصَحَّ النَّهَارُ كَمَا أَرَاهُ * وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي

قال : وبيت عمرو بن كلثوم في الجهل :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا * فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

قال : وبيت النابغة في ترك الإلحاح :

فَاسْتَبَقِي وَدَكَ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَكُنْ * قَتَبًا^(٢) يَعْضُ بِفَارِبٍ مِلْحَاحًا

قال : وفي إدراك النار قول مهلهل :

لَقَدْ قَتَلْتُ^(٣) بَنِي بَكْرِ بِرَبِّهِمْ * حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَهُمْ أَحَدٌ

قال : وبيت عروة بن الورد في تبليغ العذر في الطلب :

لِتُبَلِّغِ عُدْرًا أَوْ تُفَيْدِ غَنِيمَةً^(٤) * وَمُبْلِغُ نَفْسِ عُدْرَهَا مِثْلُ مَنْجِجٍ

قال : وبيت جميل في إنفاق المال والتوكل على الله تعالى :

كُلُوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ وَأَبْشُرُوا * فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمَنِ رِزْقَكُمْ غَدًا

قال : وفي الشجاعة قول العباس بن مرداس :

أَشُدُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لَا أَبَالِي * أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أُمَّ سِوَاهَا

(١) هو المملوط كما في كتاب الشعر والشعراء لاؤلف (ص ٢٦٧) ويروى فيه صدر البيت الثاني هكذا :

* بلى وترى السماء كما أراها *

(٢) القتب : رحل صغير على قدر السنام . وفي أساس البلاغة : « ومن المجاز قولهم للتح : هو قتب يعض بالفارب ، وقتب ملحاح » ثم ساق بيت النابغة مستشهدا به على ذلك . (٣) في خزنة الأدب للبغدادي (ج ١ ص ٢٠٣) : « أكثرت قتل ... الخ » . (٤) رواية ديوان عروة بن الورد طبع المطبعة الأهلية ببيروت (ص ٨) : « ... أو نصيب رغبة ... الخ » .

قال : وبيت المتأسس في المال وتميمه :^(١)

قليلُ المالِ تُصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ

وأخبرنا دَعْبِل بن عليّ الشاعر قال : أهجى بيتٍ قيل قولُ الطَّرِمَاحِ في تميم :

تميمٌ بطُرقِ اللُّؤمِ أهدى من القَطَا * ولو سَلَكْتَ طُرقَ المكارِمِ ضَلَّتِ

قال : وكذلك قولُ الأخطَل :

قومٌ إذا استنبح الأضيافِ كآبهم * قالوا لأُمَّهم بُولى على النارِ

قال : وكذلك قولُ الحُطَيْبَةِ للزُّبُرِقَانِ في قِصرِ الهِمَّةِ :

دَعِ المكارِمَ لا تَرَحَّلْ لِنُغَيْبِهَا * وأقعدُ فإنك أنت الطاعِمُ الكاسِي

قال غيره : وقولُ الطَّرِمَاحِ في القِلَّةِ والجُمُولِ :

لو كان يَخْفَى على الرَّحْمَنِ خافيةٌ * من خَلْفِهِ خَفِيَتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدِ

ونحوه قولُ الآخر :

وأنت مَلِيخٌ كَلَحِمِ الحُؤَا * رِلا أنت حُلُوٌّ ولا أنت مرءٌ^(٢)

وكذلك قولُ جَرِيرٍ في التِّيمِ :^(٣)

- (١) كذا في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٩ طبعة لندن سنة ١٣٠٥ هـ) والشعر والشعراء. للؤف
 (ص ٨٨) ، ونهاية الأرب للنوري (ج ٣ ص ٦٤) . ويروي صدر البيت في الأغاني والشعر
 والشعراء : « وإصلاح القليل يزيد فيه ... الخ » . ويروي في نهاية الأرب : « ... مع الفساد » .
 وفي الأصل نسب البيت « لعبيد » . (٢) مليخ : لا طعم له ، وخصه بعضهم بلحم الحوار الذي ينجر
 حين يقع من بطن أمه فلا يوجد له طعم . (٣) وقد ورد البيتان في ديوان جرير المخطوط المحفوظ
 بدار الكتب المصرية تحت رقم اثر أدب ، ضمن قصيدة طويلة مطلعها :
 أَلَا زَارَتْ وَأَهْلُ مَنِي هَجُودٌ * وَلَيْتَ خَيَالَهَا بَمَنِي يَعُودُ
 ويروي في الديوان : « ... لو لقيت ... أيهم ... الخ » ويروي : « ... ولا يستأمرن ... الخ » .
 وقد عزا صاحب الأغاني « ج ٧ ص ١٧٧ طبعة بولاق » البيت الأول مع بيت آخر من القصيدة إلى الأخطل .

وإنك لو رأيت عبيد تيم * وتيمًا قلت أيهما العبيد
ويُقضى الأمر حين تغيب تيم * ولا يُستأذنون وهم شهود

وأحسن ما قيل في الهيبة :

يُقضى حياءً ويُقضى من مهابته * فما يكلم إلا حين يتسّم

وأغرب ما قيل في مصلوب قول محمد بن أبي حمزة مولى الأنصار :
لعمري لئن أصبحت فوق مُشدب^(١) * طویل تُغفك الرياح مع القطر
لقد عشت مبسوط اليدين مرزأ^(٢) * وعُوفيت عند الموت من ضغطة القبر
وأفليت من ضيق التراب وعمه * ولم تفقد الدنيا فهل لك من شكر

وأغرب ما قيل في مجوسى قول أعرابي :

شهدت عليك بطيب المشاش^(٣) * وأنت بمرج جواد خضم
وأنت سيّد أهل الجحيم * إذا ما ترديت فيمن ظلم^(٤)

ومن أغرب ما قيل في دعى قول إبراهيم بن إسماعيل البنوى :

لو أن موى تميم كلها نُشروا * وأثبتوك لقبل الأمر مصنوع
مثل الحديد إذا ما زيد في خلق^(٥) * تبيّن الناس أن الثوب مرقوع

ونحوه قول الآخر :

أجارتنا بأن الخليط^(٦) فأبشرى * فما العيش إلا أن يبين خليط
أعاتبه في عرضة ليصونه * ولا علم لي أن الأمير لقيط

(١) جذع مشذب : مقشر مما عليه من الشوك . (٢) مرزأ : كريم بصيب الناس خيره .
(٣) في أساس البلاغة للزمخشري : « ومن المجاز : فلان طيب المشاش ، وإنه لكريم المشاش إذا
كان برا » . (٤) كذا بالأصل . وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري المخطوط المحفوظ
بدارالكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب : « النبوى » بتقديم النون على الباء ولم نوفق في المظان التي
بين أيدينا إلى استنباطه . (٥) في ديوان المعاني : « إن الحديد ... الخ » . (٦) الخليط :
القوم الذين أمرهم واحد .

ونحوه قولُ دِعْبِلٍ في مالك بن طَوْقٍ :

النَّاسُ كُلُّهُمْ يَسْعَى لِحَاجَتِهِ * ما بين ذِي قَرَجٍ مِنْهُمْ وَمَهْمُومٍ
ومالكُ ظَلَّ مشغولاً بِنِسْبَتِهِ * يَرْمٍ مِنْهَا نَحْرًا بِأَ غَيْرِ مَرْمُومٍ
بِئْسَ بِيوتًا نَحْرًا لا أَنيسَ بِهَا * ما بين طَوْقٍ الى عمرو بن كُثُومٍ

التلطف في الكلام والجواب وحسن التعريض

٥. حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : ترك عَقِيلٌ علياً وذهب الى معاوية ؛ فقال معاوية : يا أهل الشام ، ما ظنكم برجلٍ لم يصلح لأخيه ؟ فقال عَقِيلٌ : يا أهل الشام ، إن أخي خيرٌ لنفسه وشرٌّ لي ، وإن معاوية شرٌّ لنفسه وخيرٌ لي . قال : وقال معاوية يوماً : يا أهل الشام ، إن عمّ هذا أبو لهب ؛ فقال عَقِيلٌ : يا أهل الشام ، إن عمّة هذا حمالة الحطّاب ؛ وكانت أمّ جميل امرأة أبي لهب وهي بنت حرب .

١٠. وحدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدثنا أبو هلال عن قتادة قال قال عبيد الله ابن زياد لقيس بن عباد : ما تقول فيّ وفي الحسين ؟ فقال : أعفني أعفك الله ! فقال : لتقولن ؛ قال : يحيى أبوه يوم القيامة فيشفع له ، ويحيى أبوك فيشفع لك ؛ قال : قد عنمتُ غشك وخُبثك ، لئن فارقتني يوماً لأضعن بالأرض أكثرك شعراً .
١٥. قيل لميمون بن مهران : كيف رضاك عن عبد الأعلى ؟ قال : نعم المرءُ عمرو ابن ميمون .

مرّ عمر بن الخطّاب بالصبيان وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففتروا ووقف ؛ فقال له عمر : مالك لم تفر مع أصحابك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لم أجرم فأخافك ، ولم يكن بالطريق ضيقٌ فأوسع لك .

٢٠. (١) رمّ الحائط وفيه : أصله . (٢) عبد الأعلى هذا هو ابن ميمون أخو عمرو .

حدثني الفضل بن محمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة قال : قال عبد الله
آبن طاهر ذات يوم لرجل أمره بعمل : احذر أن تُخطئ فأعقبك بكذا (لأمر عظيم)
قلت له : أيها الأمير، من كانت هذه عقوبته على الخطأ فما ثوابه على الإصابة ! .

رأى رجل من قريش رجلاً له هيئة رثة، فسأل عنه، فقالوا : من تغلب، فوقف
له وهو يطوف بالبيت، فقال له : أرى رجلين قتما وطتما البطحاء ؛ فقال له :
البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة، وهي لى دونك ؛ وبطحاء ذى قار، وأنا أحق^(٢)
بها منك ؛ وهذه البطحاء وسواء العاكف فيه والبادى .^(٣)

حدثني سهل عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أو غيره : أن معاوية عرض
فرساً على عبد الرحمن بن حسان فقال : كيف تراه ؟ قال : أراه أجش هزيماً .^(٤)
يريد قول النجاشي :^(٥)

ونجى ابن حرب ساج ذو علالة^(٦) * أجش هزيم^(٧) والرماح دواني

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا أبو سلمة عن حماد بن سلمة قال أخبرنا
داود بن أبي هند عن محمد بن عباد المخزومي أن قريشاً قالت : قبضوا لأبي بكر^(٨)

(١) الجزيرة هي التي بين دجلة والفرات . (٢) بطحاء ذى قار : موضع قريب من ذى قار
الذي كانت فيه الوقعة المشهورة بين العجم والعرب وانتصرت فيه العرب (راجع ما يعول عليه في المضاف
والمضاف إليه) . (٣) يريد بطحاء مكة . (٤) يقال : فرس أجش إذا كان غليظ
الصهيل ، وهو مما يحمى في الخيل . والهزيم من الخيل : الشديد الصوت . (٥) هو قيس
ابن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب . (٦) لما بلغ معاوية أن النجاشي قال فيه هذا البيت
رفع نندوته (نندوة شدة وهي للرجل بمنزلة الندى للراة) وقال : لقد علم الناس أن الخيل لا تجرى بملى
فكيف قال هذا ! راجع الشعر والشعراء. للزلف (ص ١٨٩) . (٧) العلالة بضم العين : بقية
جرى الفرس . (٨) قبضوا : هبوا وأنخبوا له .

رجلا يأخذه، فقيضوا له طلحة بن عبيد الله؛ فأتاه وهو في القوم فقال: يا أبا بكر قم إلى؛ قال: إلام تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة الآلات والعزى؛ قال أبو بكر: من الآلات؟ قال بناتُ الله، قال: فمن أمتهم؟ فسكت طلحة وقال لأصحابه: أجيئوا صاحبكم، فسكتوا؛ فقال طلحة: قم يا أبا بكر، فإنني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسولُ الله؛ فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم.

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عبيد الله بن عمر أن عمر قال: من يُخبرنا عن قنديل^(١)؟ فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ماؤها وشل^(٢)، وتمرها دقل^(٣)، ولصها بطل؛ إن كان بها الكثيرُ جاعوا، وإن كان بها القليلُ ضاعوا؛ قال عمر: لا يسألني الله عن أحدٍ بعثته إليها أبداً.

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال: مريضٌ زيادٌ فدخل عليه شريح، فلما خرج بعث إليه مسروق^(٤) [بن الأجدع يسأله] كيف تركت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى، فقال [مسروق] ^(٤): إن شريحاً صاحبٌ تعريض فسألوه [فسألوه]؛ قال: تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء. ومات ابنٌ لشريح ولم يشعر به أحدٌ، فغداً عليه قوم يسألون به، وقالوا: كيف أصبح من تصل يا أبا أمية؟ فقال: الآن سكن عثره^(٥) ورجاه أهله.

(١) كذا في معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكري، هي مدينة بالسند. وفي الأصل: «قنديل» بالفاء.

(٢) الوشل بالتحريك: الماء القليل والكثير ضد. والمراد هنا الماء القليل.

(٣) الدقل بالتحريك: أردأ التمر.

(٤) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١).

(٥) كذا في العقد الفريد وفي الأصل: «... صاحب عويص الخ».

(٦) العثر بالتحريك: القلق والكره عند الموت.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدّثني بعض الأعراب قال : هَوِيَ رَجُلٌ
امرأةً ثم تزوجها ، فأهدى إليها ثلاثين شاةً وزقّامن نحرًا ، فشرب الرسولُ في الطريق
بعضَ الخمرِ وذبح شاةً ، فقالت للرسول لما أراد الانصراف : اقرأ علي مولاك السلام ،
وقل له إن شهرنا نقص يوماً ، وإن سحياً راعي شائناً أتنا من ثوما . فلما أتى مولاه
فأخبره ضربه حتى أقز .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : خَطَبَ أعرابي إلى قوم ، فقالوا : ما تبذل
من الصّدّاق؟ وأرتفع السّجف فرأى شيئاً كرهه ، فقال والله ما عندي نقد ، وإني
لأكره أن يكون عليّ دين .

حدّثني عبد الرحمن عن الأصمعيّ قال : قال سلم بن قتيبة للشّعبيّ : ما تشتهي ؟
قال : أعزّ مفقود ، وأهون موجود ، قال : يا غلام أسقه ماء .
المدائني قال : كان لابن عَوْنِ ابن عمّ يُؤذيه ، ولأحاه يوماً فقال له ابن عون ،
لما بلغ منه : لتسكتن أولاشتمن مسيلمة . فشهد بعد ذلك عند عبّيد الله بن الحسن ،
فردّ شهادته .

المدائني قال : قال المغيرة بن شعبة : ما خدّعتني أحدٌ قطُّ غير غلام من بلحارث بن
كعب ، فإني ذكرت امرأة منهم ، فقال : أيها الأمير ! لا خير لك فيها ، إني رأيت
رجلاً قد خلا بها يقبلها ، ثم بلغني بعدُ أنه تزوجها ، فأرسلت إليه فقلت : ألم تعلمني
أنك رأيت رجلاً يقبلها؟ فقال : بلى ! رأيت أباه يقبلها .

(۱) مرثوم : مكسور ، يقال : رُمّ أنف فلان أرفوه إذا كسرت حتى تقطر بالدم .

(۲) السجف بفتح السين وكسرها : الستر .

(۳) لاحاه : نازعه .

قال المدائني : أتى شريحاً القاضي قومٌ برجل ، فقالوا : إن هذا خطب إلينا :
فسألناه عن حرفته فقال : أبيع الدواب ، فلما زعجناه ، فإذا هو يبيع السنابير ، قال :
أفلا قلم أي الدواب تبع ! وأجاز ذلك .

المدائني قال : دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شبرمة ، فقال له :
أتعرفه ؟ [وكان رُمي عنده بريئة] قال : نعم ، إن له بيتاً وشرفاً وقدماً ، [نغلي سبيله]^(١)
فلما خرج قال له أصحابه : أعرفته ؟ قال : لا ، ولكنني أعلم أن له بيتاً يأوى إليه ،
وشرفه أذناه ومنجابه ، وقدمه هي قدمه التي يمشی عليها .

المدائني قال : سئل الشعبي عن رجل ، فقال : إنه لنافذ الطعنة ، ركين القعدة ،
يعني أنه خياط [فأتوه فقالوا : غررتنا ؛ فقال : ما فعلت ! وإنه لكما وصفت]^(٢)
^(٣)

المدائني قال : أتى العريان بن الهيثم بشاب سكران ، فقال له : من أنت ؟ فقال :
أنا ابن الذي لا يتزل الدهر قدره * وإني نزلت يوماً فسوف تعود
تري الناس أفواجا إلى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود
فظن أنه من بعض أشراف الكوفة فخلاه ، ثم ندم على ألا يكون سأل من هو ،
فقال لبعض الشرط : سل عن هذا ، فسأل ، فقالوا : هو ابن بياع الباقلي .

دخل حارثة بن بدر الغداني على زياد ، وكان حارثة صاحب شراب وبوجه أثر ،
فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك ؟ فقال حارثة : أصلح الله الأمير ، ركبت فرسا^(٤)
فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك ؟ فقال حارثة : أصلح الله الأمير ، ركبت فرسا

(١) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . (٢) في نهاية الأرب للنويري (ج ٣

ص ١٥٨) : « ركين الجلسة » . وفي البيان والتبيين (ج ١ ص ١٨٣) : « رزين المجلس » .

(٣) الزيادة عن نهاية الأرب . (٤) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠) : « الأرض » .

(٥) في الأصل : « فقال زياد » وهو سهو من النسخ .

لى أشقر فحمتنى حتى صدم بى الحائط ؛ فقال زياد : أما إنك لو ركبت الأشهب لم يُصَبِكْ مَكْرُوهٌ ؛ عَنَى زِيَادُ اللَّبَنَ ، وَعَنِى حَارِثَةُ النَّبِيدِ .

فَعَدَّ قَوْمٌ عَلَى نَيْذٍ فَسَقَطَ ذُبَابٌ فِي قَدَحِ أَحَدِهِمْ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : غَطَّ التَّمِيمَى ،^(١١)
فَقَالَ آخَرٌ : غَطَّه فَإِنْ كَانَ تَمِيمِيًّا رَسَبَ ، وَإِنْ كَانَ أَزْدِيًّا طَفَا ؛ قَالَ رَبُّ الْمَثَرَلِ :
مَا يَسْتَرْنِي أَنَّهُ كَانَ [قَالَ] بَعْضُكُمْ حَرْفًا . وَإِنَّمَا عَنِى أَنْ أَزْدَ عُمَانَ مَلَّاحُونَ .

المدائنى قال : رأى رجل فى يد امرأة كانت تأتيه خاتم ذهب ، فقال لها :
ادفعى إلى خاتمك أذكرك به ؛ فقالت : إنه ذهب ، وأخاف أن تذهب ، ولكن
خذ هذا العود لعلك تعود .

حدثنى الزيادى قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن صهيب
عن أنس قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة مُردفًا أبا بكر شيخًا يُعرف ،
ورسول الله شاب لا يُعرف ، فبَلَغَ الرَّجُلُ أبا بكر فيقول : يا أبا بكر ، مَنْ هَذَا
[الرجل الذى] بين يديك ؟ فيقول : [هذا الرجل] يهدينى السبيل ؛ فيحسب
السامع أنه يهديه الطريق ، وإنما يعنى سبيل الخير .

كان سنان بن مَکَلِّ النُمَيْرِيّ يُسَافِرُ ابْنَ هُبَيْرَةَ يَوْمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُ بْنُ
هُبَيْرَةَ : غَضُّ مَنْ بَغْلَتِكَ ؛ قَالَ : كَلَّا ! إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ . أَرَادَ ابْنَ هُبَيْرَةَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

(١) ورد هذا الخبر فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ٩٧ طبع السامى) بتفصيل عما هنا .
وملخصه أن القوم كانوا من الأزد ومعهم رجل عدوى ينصب لأصحابه من تميم . فلما رأى القوم
يهينون تميمًا عرض بأنهم ملاحون تعبيرًا لهم . (٢) زيادة من كتاب الحيوان للجاحظ .
(٣) فى الأصل : «نفسكم» وهو تحريف . وفى كتاب الحيوان : «بعضهم» . (٤) الزيادة من
صحيح البخارى فى باب الهجرة . (٥) كذا فى الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) .
وفى نهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ١٦١) : «قال عمر بن هبيرة الفزارى لأيوب بن طبيان
النميرى ... الخ» . وفى كتاب الكتابات للتعالي (ص ٢٠٧) المطبوع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ هـ :
«سأبر شريك بن محمد النميرى عمر بن هبيرة الفزارى على بغلة فجازت البغلة عمر فقال له : أغضض بغلتك ؛
فقال شريك : إنها مكتوبة ... الخ» . (٦) هو جرير .

فَغُضَّ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ مُمَيَّرٍ * فَلَا كُتْبًا بَلَغْتَ وَلَا كَلَابًا
وأراد سنان قول الآخر: ^(١)

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًا خَلَوْتَ بِهِ * عَلَى قَلْوَصِكَ وَأَكْتُبَهَا بِأَسْيَارِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: قال معاوية للأحنف: يا أحنف، ما الشيء
الملفّف في البجاد؟ فقال: هو السخينة يا أمير المؤمنين. أراد معاوية قول الشاعر:

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ * فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ بِنَجِيٍّ بَزَادٍ
بُحْبُزٍ أَوْ بَمَرٍّ أَوْ بِسَمِينٍ * أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفِيفِ فِي الْبِجَادِ ^(٢)

وأراد الأحنف أن قرئنا تعبيراً بكل السخينة .

المدائني قال: سأل الحرسيّ أبا يوسف القاضي عن السواد؛ فقال: النور
في السواد . يعني نور العينين في سواد الناظر .

المدائني قال: لقي شيطان الطاق ^(٤) خارجي فقال: ما أفارقك أو تبرأ من عليّ،
فقال: أنا من عليّ ومن عثمان برىء . يريد أنه من عليّ، وبرىء من عثمان .

سمع عمر بن الخطاب امرأة في الطّواف تقول:

فَمَنْ مِنْ نُسُقِيٍّ بَعْدِيٍّ مَرْدٍ * نَقَاحٍ فَتَلَكُمُ عِنْدَ ذَلِكَ قَرَّتِ ^(٥)
وَمَنْ مِنْ نُسُقِيٍّ بِأَخْضَرِ آجِنٍ * أَجَاجٍ وَلَوْلَا خَشْيَةُ اللَّهِ فَرَّتِ ^(٦) ^(٧)

(١) هو سالم بن دارة كما في الشعر والشعراء للزّلف (ص ٢٣٧ والكامل للبرد ص ٤٨١) ونخزاة
الأدب للبغدادي (ج ١ ص ٨٥٥ ونهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦٢) . (٢) السخينة: طعام يتخذ
من دقيق وسمن وكانت قریش تكثر من أكلها فعبّرت بها حتى سموا سخينة . (٣) البجاد: كساء
مخطط من أكسية الأعراب . (٤) الطاق: حصن بطبرستان سكن به محمد بن النعمان أبو جعفر
الأحول الملقب بشيطان الطاق؛ واليه تنسب الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة . (٥) النقاخ: الماء البارد
العذب الصافي . (٦) الآجن: الماء المتغير الطعم واللون . (٧) ماء أجاج: شديد الملوحة والمرارة .

فعلم ما تشكو ، فبعث الى زوجها فوجده متغيراً الفم ، فخبره بين خمسمائة درهم
أو جارية من الفء على أن يطلقها ، فاختر خمسمائة ، فأعطاه وطلقها .

حدثني أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب قال : كنت واقفاً بهذا المكان ، وأقبلت
امرأة من هذه الناحية ، وغلماً من الناحية الأخرى أبيضُ الوجه رائعه ، ونظرت
إليه المرأة ، فلما ألتقيا قالت له : ما أسمك يا فتى ؟ قال : محمد ، قالت : ابن من ؟
قال : ابن زانة ، وتبسم عن ثغر أفلج مختلف قبيح ، فقالت : واحرباًه على ما قال !
فقلت لها : قد وقعتُ لك عليها ، قالت : من أين ؟ قلت : من كنية أبي الخير
النصراني كاتب سعيد الحاجب . أراد أن الياء إذا نُقلت عن أبي الخير الى زانة ، صار
هذا أبا الخير ، وصار هذا ابن زانية .

مر ابن أبي علقمة يجلس بنى ناجية فبكا حماره لوجهه فضحكوا ، فقال :
ما يضحكم ! إنه رأى وجوه قريش فسجد .

قال عمرو بن بحر قال أبو الهذيل لمحمد بن الجهم وأنا عنده : يا أبا جعفر ، إنى
رجلٌ منخريق الكف لا أليق درهما ، ويدي هذه صنّاعٌ في الكسب ولكنها في الإنفاق
نحرقاء ، كم من مائة ألف درهم قسّمتها على الإخوان في مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك !
أسألك بالله يا أبا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال : يا أبا الهذيل ما أشك فيما تقول ؛
قال : فلم يرض أن حَضرتُ حتى آستشهدني ، ولم يرض إذ آستشهدني حتى
آستحلفني .

(١) أفلج : متباعد ما بين الأسنان .

(٢) ناجية : قبيلة ، وهم بنو ناجية بن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك . (ياقوت) .

(٣) هو الجاحظ وقد ورد هذا الخبر في كتابه « البغلاء » (ص ١٤٨ طبع مدينة « ليدن »

(٤) يقال : فلان ما يليق درهما : أى ما يمسك .

سنة ١٩٠٠ م) .

قال المدائني : بعث يزيد بن قيس الأرحبي ، وكان والياً لعلی ، إلى الحسن والحسين رضي الله عنهم بهدايا بعد أنصرافه من الولاية وترك ابن الحنفية ، فضرب عليّ - عليه السلام - على جنب ابن الحنفية وقال :

وما شرُّ الثلاثة أمِّ عمرو * بصاحبك الذي لا تصبحينا^(١)

فرجع يزيد إلى منزله وبعث إلى ابن الحنفية بهدية سنوية .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني موسى بن محمد قاضي المدينة ، قال : مرَّ رجل بأعرابي يوقد في أصل ميل ، فقال : كم على الميل ؟ فقال : استُّ أقرأ ، ولكن كتابه فيه ؛ قال : وما كتابه ؟ قال : ^(٢) محجنٌ وحلقة سمط وثلاثة أطباء وحاقة مذبذبة (يعني صورة نحسة) .

قال أبو اليقظان : إن عمرو بن مالك بن ضبيعة هو الذي قيل فيه :

لدى الحلم قبل اليوم ما تُقرعُ العصا * وما علم الإنسان إلا ليعلم^(٤)

وذلك أن سعد بن مالك كان عند بعض الملوك ، فأراد الملك أن يبعث رائداً يرتاد له منزلاً ينزله ، فبعث بعمره فأبطأ عليه ، فألى الملك لئن جاء ذاماً أو حامداً ليقتلنه ؛ فاما جاء عمرو وسعد عنده ، قال سعد للملك : أتأذن لي فأكلمه ؟ قال :

إذا أقطع لسانك ؛ قال : فأشير إليه ؛ قال : إذا أقطع يدك ؛ قال : فأومئ إليه ؛ قال :

أقطع جنو عينك ؛ قال : فأقرع له العصا ؛ قال : أقرع . فأخذ العصا فضرب بها

(١) كذا في معلقة عمرو بن كلثوم ؛ وفي الأصل « لا تصبحينا » ومعنى لا تصبحينا : لا تسقيه

الصبح . (٢) يريد بالمحجن : رأس الخاء ؛ وبحلقة سمط : الميم ؛ وبثلاثة أطباء : السين ،

وبحلقة مذبذبة : الهاء . والأطباء جمع طبي بكسر الطاء وتضم : حملات الضرع التي فيها اللبن من ذوات

الحافر والسباع . (٣) ورد هذا الخبر في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٤ - ٢٠٧) مع اختلاف

في الألفاظ . (٤) هو النعمان الأكبر كما في الأغاني . (٥) حوال العين : ججاجها وهو

العظم الذي ينبت عايه الحاجب .

عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هزَّها بين يديه، فلَقِنَ عمرو، فقال: أَيْتَتِ
اللَّعْنُ! أَيْتُكَ مِنْ أَرْضِ زَائِرِهَا واقف، وسا كُنْهَا خائف، والشَّبَعِيُّ بها نائمة،
والمهزولة ساهرةٌ جائعة، ولم أرِ خَصْبًا محلا، ولا جدبًا مزلا^(٢).

لما حُكِمَ أبو موسى وقَدِمَ ليحكَم، دَسَّ معاويةُ إلى عمرو رجلاً ليعلم علمه
وينظر كيف رأيه؛ فأتاه الرجل فكلَّمه بما أمره به؛ فعَضَّ عمرو على إبهامه ولم
يُجِبْه؛ فتمَضَّ الرجل فأتى معاويةَ فأخبره؛ فقال: قاتله الله! أراد أن يُعلمني أني
فَرَرْتُ قَارِحًا^(٣).

حدثني أبو حاتم قال حدثني الأصمعي قال حدثنا عيسى بن عمر قال: سألت
الحجاج جبر بن حبيب عن رجل، وكره أن يعاقبه إن دلَّ عليه، فقال: تركته والله
جسداً يُجْرِكُ رأسه يُصَبُّ في حلقه الماء، والله لئن حَمِلَ على سريره ليكوئن عليه
عورة؛ قال: فتركه.

حدثني القاسم بن الحسن عن خالد بن خَدَّاش عن حماد عن مُجَالِدِ عن عُمَيْرِ
ابن رُوذِي قال: خَطَبْنَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: لئن لم يدخل الجنة إلا من قتل
عُثْمَانَ لا أدخلها ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عُثْمَانَ لا أدخلها؛ فقبيل له:

(١) لقن كفرح: فهم . (٢) كذا في الأصل . وورد الخبر في مجمع الأمثال للبدائي
(ج ١ ص ٣٢ طبعة بولاق): «... فأقبل عمرو حتى قام بين يدي الملك فقال له: أخبرني، هل حدثت
خصباً أو ذمت جدباً؟ فقال عمرو: لم أذم هزلاً، ولم أحد بقللاً؛ الأرض مشكلة، لا خصبها يعرف،
ولا جدبها بوصف، رائدها واقف، ومنكرها عارف، وآمنها خائف؛ قال الملك: أول لك» . وورد
هذا الخبر في الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٥ طبع مدينة ليدن) كما ورد في مجمع الأمثال وفيه «لم أذم جدباً»
بدل «لم أذم هزلاً» . (٣) فزال الدابة فزاً وفراراً: كشف عن أسنانها ليعرف ما سنها .
والفارح من ذى الحافر: الذى طلع نابه وهو بمنزلة البازل من الإبل، والمراد هنا أنه اختبر محنكا .
(٤) كذا في الأصل . ولم نعثر على هذا الاسم . (٥) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٠):
«لا دخلتها أبدا» .

ما صُنِعَتْ! فَزَقَّتْ النَّاسَ! نَخَطَبُهُمْ فَقَالَ: إِنَّكُمْ قَدْ أَكْثَرْتُمْ فِي قَتْلِ عَثْمَانَ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ؛ قَالَ: فَخَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ حَمَادٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ لَهَا وَجْهَانُ. أَيْ وَسَيَقْتَلَنِي مَعَهُ.

سَأَلَ زِيَادُ رَجُلًا بِالْبَصْرَةِ: أَيْنَ مَنزَلُكَ؟ فَقَالَ: وَأَسِطُ، قَالَ: مَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟^(١)
 قَالَ: تِسْعَةٌ. فَلَمَّا قَامَ، قِيلَ لَزِيَادٍ: كَذَبْتَ فِي كُلِّ مَا سَأَلْتَهُ، مَا لَهُ إِلَّا ابْنٌ وَاحِدٌ، وَإِنَّ مَنزَلَهُ بِالْبَصْرَةِ. فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ، قَالَ: ذَكَرْتَ أَنَّ لَكَ تِسْعَةَ مِنَ الْوَلَدِ، وَأَنَّ مَنزَلَكَ بِوَأَسِطُ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: خُبِّرْتُ بِغَيْرِ ذَلِكَ؛ قَالَ: صَدَقْتُ وَصَدَقُوكَ، دَفَنْتُ تِسْعَةَ بَنِينَ فَهَمُّ لِي، وَلِيَ الْيَوْمَ ابْنٌ وَاحِدٌ وَلَسْتُ أَدْرِي أَيْكُونُ لِي أُمٌّ لَا؛ وَأَمَّا مَنزَلِي فَأَلَى جَانِبِ الْجَبَانِ بَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا وَأَهْلِ الْآخِرَةِ، فَأَيُّ مَنزَلٍ أَوْسَطُ مِنْهُ!^(٢)
 قَالَ: صَدَقْتَ. ١٠

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ عَيْسَى بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ الْمُخْتَارُ لِحَنْدَةَ: يَا سُرْطَةُ اللَّهِ، لِيَخْرُجَنَّ إِلَى قَرِيبٍ عَلَى الْكَعْبَةِ الْحَرَامِ دَابَّةٌ^(٤) لَهُ سِتُّ قَوَائِمٍ وَهُوَ رَأْسٌ بِلَا عُنُقٍ، ثُمَّ آتَيْتُ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ فَقَالَ: أَعْنَى الْبَعْسُوبِ.

كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِذَا لَمْ يُعْجِبْهُ الرَّجُلُ قَالَ: مَا هُوَ بِأَعْجَبِ النَّاسِ إِلَى.

بَلَغَنِي عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَيَّانَ عَنِ الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَّالَةَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ يَسَّارٍ، قَالَ: كَانَ أَبِي إِذَا غَضِبَ عَلَى الْبَيْهَمَةِ، قَالَ: أَكَلْتُ سَمًّا قَاضِيًا. ١٥

(١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٠): «كَمْ لَكَ مِنَ الْوَلَدِ».

(٢) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٠): «... لِي تِسْعَةٌ مِنَ الْوَلَدِ قَدِمَتْ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ فَهَمُّ لِي وَبَقِيَ مَعِي وَاحِدٌ، فَلَا أَدْرِي أَلِي يَكُونُ أُمٌّ عَلَيَّ».

(٣) الْجَبَانُ وَالْجَابَانَةُ بِالتَّشْدِيدِ: الْمَقْبَرَةُ. (٤) تَقَعُ الدَّابَّةُ عَلَى الْمَذْكُورِ وَالْمَوْثُ؛ فَيُقَالُ هَذَا دَابَّةٌ وَهَذِهِ دَابَّةٌ. ٢٠

حدثني زيد بن أنحزم^(١) قال حدثنا أبو قتيبة قال حدثنا أبو المنهال البكر^(٢) قال :
كان الحسن إذا أخذ من لحيته شيء ، قال : لا يكن بك سوء .

وقيل للحسن : أتى رجلٌ صاحباً له في منزله وكان يصلي ، فقال : أدخل ؟ فقال
في صلاته : (أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ) ؛ فقال : لا بأس .

كان محمد بن علي إذا رأى مُبْتَلَىً أَعْضَى الأَسْتَعَاذَةَ . وكان لا يسمع من داره
ياسائل بورك فيك ، ولا ياسائل خذ هذا ؛ ويقول : سَمُّوهم بالحسن الجميل عباد
الله ، فتقولون : يا عبد الله بورك فيك .

قيل لعل بن أبي طالب عليه السلام : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوة^(٣)
مستجابة . قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم (يعني للشمس) .
كان رشم^(٤) عمر بن مهران الذي يرشم به على طعامه : اللهم أحفظه ممن يحطفه .

خرج رجل من بني أسد بإبل له يسقيها ، ومعه ابنة له جميلة عاقلة ، حتى دفع
إلى ماء لبني فزارة ، فسألهم أن يأذنوا له في سقي إبله ؛ فقالوا : على ألا تجأجئ بها ،
قال : فإذا لا تشربُ شربَ خير ؛ قالوا : إن رَضِيتَ وإلا فانصرف ؛ فقالت له
الجارية : اشْرُطْ لهم ما طلبوا وأنا أكفيك ؛ فأخذ الدلو ، وجعلت الجارية ترتجز
وتقول : ١٥

(١) هو بمعجمين كما في تهذيب التهذيب ، وفي الأصل «أنحزم» بالخاء المهملة وهو تحريف .
(٢) البكر أوى بفتح الباء وسكون الكاف بعدها الراء المهملة منسوب إلى أبي بكر الثقفي وهو من
الصعابة الذين نزلوا البصرة رضي الله عنهم كما في كتاب الأنساب للسماعاني .
(٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مسيرة ساعة لدعوة مستجابة» .
(٤) الرشم : ختم الحنطة بالروشم ، والروشم لوح منقوش تختم به البيادر .
(٥) جأجأ بالإبل : دعاها لورود الماء لتشرب بقوله : جى . جى .

جارية شَبَّتْ شَبَابَ الْعُسْلُجِ * ذَاتُ وَشَاحِينَ ذَاتُ دُمْلُجٍ^(١)
وذاتُ نَغِيرٍ أَشْنِبٍ مُفْلَجٍ * وذاتُ خَلْقٍ مُسْتَبِّبٍ مُدْمَجٍ^(٢)

في أبيات كثيرة، فشربت الإبل حتى رويت من غير أن جاجا بها .

وتبايع أعرابيان على أن يشرب أحدهما لبنا حازرا ولا يتنحج ، فلما شربه

[و]تَقَطَّعَ فِي حَلْقِهِ ؛ قال : كَبَشُ أَمْلَحٍ ؛ فقال صاحبه : فَعَلَّمَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ! فقال :

مَنْ فَعَلَهَا فَلَا أَفْلَحَ . وكان ما تبايعا عليه كبشا .

قال الأصمعي : قلت لأعرابي معه شَاءٌ : لمن هذه الشاء ؟ فقال : هي لله عندي .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن عمارة بن زاذان قال حدثنا

أبو الصهباء قال : قال المجاج لسعيد بن جبير : اخترأي قتلة شئت ؛ فقال له :

بل اختر أنت لنفسك ، فإن القصاص أمامك .

ولي هرة الحرس مكان جعفر بن يحيى ، فقال له جعفر : ما أنتقلت عنى نعمة

صارت إليك .

أمر المجاج ابن القرية أن يأتي هند بنت أسماء فيطلقها بكلمتين ، ويمتعتها

بعشرة آلاف درهم ؛ فأتاها فقال لها : إن المجاج يقول لك : كنت فينت ، وهذه

عشرة آلاف متعة لك ؛ فقالت : قل له : كما فاحمدا ، وبتنا فاندمتنا ؛ وهذه

العشرة الآلاف لك بشارتك إياي بطلاقي .

(١) العسلج : الفصن الناعم . والدملج : ما يشد على العضد من الحلى .

(٢) الثغراشنب : ما فيه رقة وصفاء . ومستبب : مستقيم . ومدمج : مكثر غير مسترخ .

(٣) اللبن الحازر : الحامض .

(٤) زيادة يقتضها الكلام .

(٥) ورد هذا الخبر في المحاسن والأضداد للمحافظ (ص ٢٤٠) بتبسيط عما هنا .

سئل سُفيان بن عيينة عن قول طاووس في ذكاة السمك أو الجراد؛ فقال آبنه عنه : ذكَّأته صيده .

اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة ، فقام رجل من عُذرة يقال له يزيد بن المقنع ، وأخترط من سيفه شبرا ، ثم قال : أمير المؤمنين هذا ، وأشار الى معاوية ، فإن يهلك فهذا ، وأشار الى يزيد ، فمن أبى فهذا ، وأشار الى سيفه . فقال معاوية : أنت سيد الخطباء .

قال رجل من أهل الحجاز لابن شبرمة : من عندنا خرج العلم ، قال ابن شبرمة : ثم لم يعد إليكم .

قال المدائني قال معاوية لابن عباس^(٢) : أتم يا بني هاشم تُصابون في أبصاركم ؛ فقال ابن عباس : وأتم يا بني أمية تُصابون في بصائرهم . وقال له معاوية : ما أئين الشبق في رجالكم ! فقال : هو في نساءكم أئين .

أبو اليقظان قال : قال ابن ظبيان التيمي لزُرعة بن صمرة : لقد طلبتكَ يوم الأهواز ولو ظفرتُ بك لقطعت منك طابقاً سُخناً ؛ قال : أفلا أدلك على طابق هو أسخن وأحوج إلى القطع ؟ قال : بلى ! قال : بظُرَّين إسكتي أمك .

أبو اليقظان قال : بعث الحجاج إلى الفضيل بن بزوان العدواني ، وكان خيراً من أهل الكوفة ، فقال : إني أريد أن أولئك ، قال : أو يعضيني الأمير ؟ فأبى وكتب عهدته ، فأخذه وخرج من عنده فرمى بالعهد وهرب ، فأخذ وأبى به الحجاج ، فقال : يا عدو الله ؛ فقال : لستُ لله ولا للأمير بعدو ؛ قال : ألم أكرمك ! قال : بل أردت أن تُهينني ؛ قال : ألم أستعملك ! قال : بل أردت أن تستعبدني ؛ قال :

(١) أى استله من غمده بمقدار شبر . (٢) في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٣٣) «عقيل» مكان «ابن عباس» .

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) الآية؛ قال : ما استوجبتُ واحدةً منهم ؛ قال : كل ذلك قد استوجبت بخلافك . وأمر رجلا من أهل الشام أن يضرب عنقه . سليمان بن أبي شيخ قال حدثني حجر بن عبد الجبار عن عبد الملك بن عمير قال :
 (۱) كان في مجلس زياد، الذي يجلس فيه للناس بالكوفة، في أربع زوايا كتاب بقلم جليل : "الوالى شديد في غير عنف، لين في غير ضعف؛ الأعتية لإبائها، والأرزاق لأوقاتها؛ البعوث لأتجرها؛ المحسن يجزى بإحسانه، والمسيء يؤخذ على يديه"
 كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها .

قال سليمان وحدثنا أبو سفيان الحميري قال : أبلي أبو جهم بن كنانة يوم الراوية، فقال له الحجاج : من أنت ؟ قال : أنا أبو جهم بن كنانة، قال له الحجاج : قد زدناك في أسمك ألفا ولما فانت أبو جهم، وزدنا في عطائك ألفا .

العباس بن بكار عن عبید الله بن عمر الغسانی عن الشعبي قال : قال معاوية لشداد بن أوس : يا شداد، أنا أفضل أم علي؟ وأينا أحب إليك؟ فقال : عليُّ أقدمُ هجرةً، وأكثرُ مع رسول الله إلى الخير سابقاً، وأشجعُ منك قلباً، وأسلمُ منك نفساً؛ وأما الحب فقد مضى علي، فانت اليوم عند الناس أرجى منه .

قال الأحنف لمعاوية في كلام : أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلايته، فلا تلقمه الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة .

(۱) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ۳ ص ۴) هكذا : « كان في مجلس زياد مكتوب : الشدة في غير عنف ، واللين في غير ضعف ؛ المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء يعاقب بإساءته ؛ الأعتيات في أيامها ؛ لا احتجاب عن طارق ليل ، ولا صاحب ثغر » . (۲) تجير البعوث : جمعهم في الثغور وحبسهم عن العود إلى أهلهم . ومنه حديث الهرمزان : إن كسرى جهر بعوث فارس . وروى الربيع أن الشافعي أنشده :

وجرتنا تجير كسرى جنوده * ومنيتنا حتى نسينا الأمانيا

خطب المجاج فشكا سوء طاعة أهل العراق؛ فقال جامع المحاربي: أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك، على أنهم ما شئتوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فدع ما يباعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية فيمن دونك تُعْطَى مِنْ فَوْقِكَ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعيدك؛ فقال المجاج: والله ما أراي أرد بنى اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف؛ فقال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الحيار؛ قال المجاج: الحيار يومئذ لله؛ قال: أجل! ولكك لا تدري لمن يجعله الله؛ فقال: يا هناه، إنك من محارب! فقال جامع:

وللمحرب سميئا وكنا محاربا * إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمر

فقال المجاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك؛ فقال له يا حجاج: إن صدقناك أغضبناك، وإن كذبتناك أغضبنا الله، فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله.

قال الأصمعي أخبرنا شيخ من قضاة، قال: ضلنا مرة الطريق فاسترشدنا عجوزا؛ فقالت: استبطن الوادي وكن سيلا حتى تلغ.

ابن الكلبي قال: كتب معاوية إلى قيس بن سعد: أما بعد، فإنما أنت يهودي ابن يهودي، إن ظفرك أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك، وإن ظفرك أبغضهما إليك قتلك ونكل بك، وقد كان أبوك وترقوسه ورمى غرضه، فأكثر الحز وأخطأ

(١) في الأصل «لنفسك» وقد أثبتنا ما في اليان والتبيين (ج ٢ ص ٦٨) لمنع التكرار مع قوله «لذات نفسك» - (٢) هن: كلمة يكتن بها عن اسم الإنسان، فاذا ناديت مذكرا بغير التصريح باسمه قلت: يا هن أقبل. وقد تزد الألف والهاء فيقال للرجل: يا هناه أقبل، بضم الهاء على تقدير أنها آخر الاسم، وبكسرهما لاجتماع الساكنين. (انظر اللسان مادة هنا). (٣) وردت هذه الحكاية بكتاب الكامل للبرد ص ٢٩٨ طبع مدينة ليبسج وكتب عليها بأسفل الصحيفة ما نصه «هذه حكاية غير صحيحة».

(٤) في الكامل: «إلى قيس بن سعد وهو والي مصر لعلي بن أبي طالب».

المفصل، نخذله قومُه، وأدركه يومُه؛ ثم مات طريداً بجوران؛ والسلام. فكتب إليه قيس بن سعد: أما بعد، فإنما أنت وثن ابن وثن^(١)، دخلت في الإسلام كرها وخرجت منه طوعاً، لم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك، وقد كان أبي وترقوسه ورمى غرضه، وشغب^(٢) عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشق غباره، ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه، وأعداء الدين الذي خرجت إليه؛ والسلام.

قال يحيى بن سعيد الأموي: سمعت الأعمش يقول لخالد بن صفوان: شعرت أن منزلك لا يعرف إلا بي حتى يقال عند منزل الأعمش؛ فقال خالد: صدقت، مثل حمام عنترة، ويقال وردان وبيطار (حيان).

قال الربيع لشريك بين يدي المهدي: بلغني أنك خنت أمير المؤمنين؛ فقال شريك: لو فعلنا ذلك لأتاك نصيبك.

قال رجل من العرب: أريت البارحة في منامي كأنني دخلت الجنة فرأيت جميع ما فيها من القصور، فقلت: لمن هذه؟ فقيل: للعرب؛ فقال رجل عنده من الموالى: أصعدت الغرف؟ قال: لا؛ قال: فتلك لنا.

وكتب قتيبة بن مسلم إلى عبيد الله بن زياد بن ظبيان: أما بعد، فإن عشمشم^(٣) أعشى الشجر. فكتب إليه ابن ظبيان: من ذلك الشجر كان يربط^(٤) أبيك. يعني مسلم بن عمرو، وكان مغنياً ليزيد بن معاوية.

(١) كذا بالأصل والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٤٣ طبع مطبعة الفنون الأدبية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ) والكامل للبرد (ص ٢٩٨) ولعلها: وثني ابن وثني، نسبة إلى الوثني وهو الصنم. (٢) شغب عليه (بالتشديد): هيج عليه الشر. (٣) كذا بالأصل، ولم نوفق إلى تحقيقه. أو فهم التعريض منه. (٤) البربط بكعقر: العود من آلات الموسيقى، وقيل هو معزب «بربط» بكسر الراء، كما هو مضبوط في الأصل هنا، ومعنى يربط بالفارسية: صدر الإرز، أطلق على العود لشبهه به.

قال بجر بن الأحنف لجارية أبيه زبراء : يا فاعلة ؛ فقالت : لو كنت كما تقول
أتيت أباك بمثلك .

وقال رجل لابنه : يا بن الفاعلة ؛ فقال : والله لئن كنت صدقت ما فعلت
حتى وجدتك فحل سوء .

أنت ابنة الخس عكاظ ، فأتاها رجل يمتحن عقلها ويمتحن جوابها ، فقال لها :
إني أريد أن أسألك ؛ قالت : هات . قال : كاد ؛ فقالت : المتعل يكون راجيا .
قال : كاد ؛ قالت : الفقير يكون كفرا . قال : كاد ؛ قالت : العروس تكون مليكا .
قال : كاد ؛ قالت : النعامة تكون طائرا . قال : كاد ؛ قالت : السرار يكون سحرا .
ثم قالت للرجل : أسألك ؟ قال : هاتي ، قالت : عجبت ؛ قال : للسابخ لا ينبت
كلؤها ولا يجف ثراها . قالت : عجبت ؛ قال : للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم
كبيرها . قالت : عجبت ؛ قال : لشفرك لا يدرك قعره ولا يملأ حفره .

المدائني قال : كان عرام^(١) بن شتير عند عمر بن هبيرة ، فألقى إليه ابن هبيرة خاتمه
وفضه أخضر ، فعقد عرام في الخاتم سيرا . أراد عمر قول الشاعر :

لقد زرقت عينك يا بن مكعبير * كما كل ضبي من اللؤم أزرق

وأراد عرام :

لاتأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصلك وأكتبها بأسيار

قال جرير للأخطل : أزقت نومك ، واستهضمت قومك ؛ قال الأخطل :

قد أزقت نومي ، ولو نمت كان خيرا لك .

(١) كذا في الطبري (طبع أوروبا ص ١٢٠٣ - ١٢٠٤ من القسم الثاني) . وفي الأصل :

”عذام“ بالذال المعجمة . (٢) كذا في اللسان مادة ”زرق“ والأغاني (ج ١٩ ص ٤٩ طبع

بولاق) وفيه ينسب الشعر الى سويد بن أبي كاهل . وفي الأصل : « كما ظل ظبي ... » وهو تحريف .

أراد معاوية أن يخطب بصقين فقال له عمرو بن العاص : دعني أتكلم ، فإن أتيتُ على ما تريد وإلا كنت من وراء ذلك ، فأذن له ، فتكلم بكلمات ، قال : قدموا ^(١) المُستَلِثمة وأخروا الحُسْر ، كونوا مقصّ الشارب ، أعيرونا أيديكم ساعة ، قد بلغ الحق مَفْصِلَه ، إنما هو ظالم أو مظلوم .

- ٥ حديثي ابن أبي سعد عن محمد بن الحسن التيمي عن عبد الله بن أحمد بن الوضاح ، قال : دخل أعرابي على عبد الملك بن مروان ^(٢) ، فقال له : يا أعرابي صف الخمر فقال :
شمولٌ إذا شجبت وفي الكأس مِرَّةٌ * لها في عظام الشارين ديبٌ
ترك القذى من دونها وهي دونه * لوجه أخيبا في الإناء قُطوبٌ
فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد آتتهك عندي حسنُ صفتك لها ، قال : يا أمير المؤمنين
١٠ وآتتهك عندي معرفتك بحسن صفتي لها .

مقطعات ألفاظ تقع في الكتاب والكلام

- لو أخطأت سبيل إرشادك ، لما أخطأت سبيل حسن النية فيما بيني وبينك .
لو خطر ذلك بيالي من فعلك ، ما عرضتُ سر الإخاء للهتك بيني وبينك .
قد أحسنت في كذا قديما . وفعلك كذا إحدى الحُسنيين بل أطفهما موقعا .
١٥ أنت رجلٌ لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك . فقَدَم ^(٣) على نفسك من قَدَمك على نفسه . الله يعلم أنك ما خطرت بيالي في وقتٍ من الأوقات إلا مثل الذكركم لي محاسن تزيدني صبايةً إليك وضنا بك واعتباطا بإخائك . لعل الأيام

(١) المستلثمة : الطائفة التي عليها الأُم وهي الدروع .

(٢) الذي في الأغاني (ج ٦ ص ١٢٧ طبع بولاق) : «دخل ابن الأفرع على الوليد بن يزيد...» .

٢٠ «وورد فيه الشطر الأول من البيت الأزل هكذا : «كيت اذا شجت وفي الكأس وردة» .

(٣) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤١) . وفي الأصل : «اتهم على نفسك ...» .

أَنْ تُسَهِّلَ لِأَخِيكَ السَّبِيلَ إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ نَفْسُكَ مِنْ بَرَكَ وَمُعَاوَضَتِكَ بِبَعْضِ
مَا سَلَفَ لَكَ .

ما هذا الغبَّ العجيب الذي إلى جانبه فِطْنَةٌ لَطِيفَةٌ . حَكْمُ الْفَلَتَاتِ خِلَافُ
حَكْمِ الْإِصْرَارِ .

مَنْ أَخْطَأَ فِي ظَاهِرِ دُنْيَاهُ وَفِيهَا يُؤْخَذُ بِالْعَيْنِ ، كَانَ حَرِيًّا أَنْ يُحْطَى فِي بَاطِنِ
دِينِهِ وَفِيهَا يُؤْخَذُ بِالْعَقْلِ .

وَمَنْ أَوَّلَ مَا أَحَبَّ أَنْ أُورِكَ بِهِ وَأَقْضَى فِيهِ وَاجِبَ حَقِّكَ ، تَنْبِيهُكَ عَلَى عَظِيمِ
مَا لَكَ عِنْدَكَ ، وَحَثُّكَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ مِمَّا يَزِيدُكَ .

مَنْ كَانَ بِمِثْلِ مَوْضِعِكَ بِجَمِيعِ لَهُ حَمْدُ إِخْوَانِهِ وَرِضَا مُعَامِلِيهِ وَالِاسْتِقْصَاءُ مَعَ
ذَلِكَ لِمَنْ اسْتَكْفَاهُ ، فَقَدْ عَظُمَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِ ، وَلَا أَعْلَمُ بِمَا أَسْمَعُ فِيكَ إِلَّا أَنَّكَ كَذَلِكَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

مَا أَغْنَى الْفَقِيرَ عَنِ الْحَمْدِ ، وَأَحْوَجَهُ إِلَى مَا يَجِدُ بِهِ طَعْمَ الْحَمْدِ !
قَدْ حَسَدَكَ مِنْ لَا يَنَامُ دُونَ الشِّفَاءِ ، وَطَلَبَكَ مِنْ لَا يُقْصِرُ دُونَ الظَّفَرِ ، [فَأَشَدُّ
حَيَازِيمِكَ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ] .

أَنْتِ تَتَجَنَّى عَلَى مَالِكَ لِتُتْلَفَهُ بِأَسْبَابِ الْعِلَلِ ، كَمَا يَدْفَعُ عَنْ مَالِهِ الْبَخِيلُ بِوَجْهِهِ
الِاعْتِلَالِ . أَنْتِ طَالِبُ مَنِّمْ ، وَأَنَا دَافِعُ مَنِّمْ ، فَإِنْ كُنْتَ شَاكِرًا لِمَا مَضَى ، فَاعْذِرِي
فِي مَا بَقِيَ . مَكْرُكٌ حَاضِرٌ ، وَوَفَاؤُكَ مُتَأَخِّرٌ . أَنَا رَاضٍ بِعَفْوِكَ ، بِأَذَلِّ لِمَجْهُودِي .

نَوَائِبُ الْأَيَّامِ رَمَتْ بِهِ نَاحِيَتِكَ ؛ وَإِذَا رَأَيْتَهُ أَنْبَاكَ ظَاهِرُهُ عَنْ بَاطِنِهِ وَدَعَاكَ إِلَى
مَحَبَّتِهِ قَبُولُهُ ، وَهُوَ فِي الْأَدَبِ بِمِثْلِ الْمُسْتَفْنَى عَنِ النَّسَبِ .

(١) فِي الْأَصْلِ "وَمُعَارَضَتِكَ" . (٢) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ . وَفِي الْأَصْلِ : "وَفِيهَا تَوْحِيدٌ..."
(٣) فِي الْأَصْلِ : "السَّفَا" . (٤) زِيَادَةٌ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ . (٥) فِي الْأَصْلِ : "السَّبَبُ" .

قد آن أن تدع ما تسمع لما تعلم وإلا يكون غيرك فيما يبلغك أوثق من نفسك
فيما تعرفه .

هذا فلان قد أتاك على رقة من حاله وبعيد من شقته، فنشدتك الله أن تقدم
شيئا على تصديق ظنه وسد خلته وبلى ما يئست هذه النكبة من أديمه، فإنه غدي
نعمة وخدين مروءة .

أنا أسأل الله أن ينجز لي ما لم تزل الفراسة تعدنيه فيك . الحرية نسب .
فهمت ما اعتذرت به في تأثرك، وعضضت به مني طرفا طامحا إليك ونفسا تواقفة
الى قربك .

وصل كتابك فكان موقعه موقع الروح من البدن . فإن أمير المؤمنين يجب
ألا يدع سبيلا من سبل البروان عفا ودثر إلا أناره وأوضح محجته ، ولا خلّة من
خلال الخير لا أول لها إلا أهتبل الفرصة في إنشائها، واختيار مكرمة ابتدائها، لتجيب
له مساهمة الفارط في أجره، ويكون أسوة الغابر في ثوابه .

لولا وجوب تقديم العذر لصاحب السلطان، في الدهول عن مواصلة من
يجب عليه مواصلته، بما يستولى عليه من الشغل بعمله، إذا لكثرة العتب .

إنك لكل حسن أبليته، ومعروف أسديته، وجميل أتيتته، وبلاء كان لك
ربيتته، أهل في الدين والحسب القديم .

لك - أعزك الله - عندي أياد تشفع لي الى محبتك، ومعروف يوجب
عليك الرب والإتمام .

(١) اهتبل الفرصة : اغتنمها . (٢) الفارط : السابق . (٣) الرب : الزيادة .

وفي العقد الفريد «الود والإتمام» .

أفعال الأمير مختارة كالأماني، متصلةً عندنا كالأيام، ونحن نختار الشكر لكريم فعله، ونواصل الدعاء والذكر مواصلةً برّه .

أبدأ بذكر يدك التي أجارتني على صرف الزمان، ووقتي نواب الأيام، وثمرت لي بقية النعمة، وصانت وجهي عن استعباد من الرجال، وبسطت لي الأمل في بلوغ ما ناله بك من رفعت خسيته ونوهت بذكره، وأعانتي على اتباع مذهب الماضين من سلفي في الوفاء لكم، وحماية النعمة عليهم بكم عن أيدي غيركم، حتى خلصت لهم منكم فعزوا، ولم يشغلوا شكرهم بغيركم حين شكروا، ولم يحنوا صنيعه لسواكم بما اعتدوا، ولم تشعبهم الدنيا عنكم إذ اضطروا .

إن الله أحلك^(١) منا أهل البيت محلاً نراك به عوضاً من الغائب، وخلفاً من الهالك، ونجدك مخصوصاً بضرائنا إذ كنت ولي سرائنا، وكنا لك كالجوارح نألم لكل ما ألم منها .

نحن نعوذ بالله من سخطك، ونستجير به من غضبك، ونسألك النظر فيما كتبنا به صادقين، كما سمعت قصص الكاذبين، فإننا على سلامة مما رققه .

كتبي - أعزك الله - تأتيك، في الوقت بعد الوقت، على حسب الدواعي، وإن كان حَقُّك يُلزمي ألا تُعبِّك، لولا ما أتذكر من زيادتها في شُغلك .

أنت الحامل لكل إخوانه، الناهض بأعباء أهل مودته، الصابر على ما ناب من حقوقهم .

كنت أميس - أكرمك الله - عيلاً، وركبت اليوم على ظلع^(٢) ظاهر ورقة شديدة، فلما أنصرفت أمرت بإغلاق الباب للتودع، ووافق ذلك من سوء نيتك وإرصادك صديقك بما يستدعي عتبك عليه وعتبه عليك ما وافق .

(١) في الأصل: «أهلك...» . (٢) أي رفعوه اليك من الأخبار الكاذبة .

(٣) في الأصل: «ضلع» .

لا أزال - أبقاك الله - أسأل الكتاب^(١) اليك في الحاجة ، فأتوقف أحيانا توقف^(٢)
المبني عليك من المؤونة ، وأكتب أحيانا كتاب الراجع منك الى الثقة والمعتمد منك على
المقّة ؛ لا أعدمنا الله دوام عزك ، ولا سب الدنيا بهجتها بك ، ولا أخلانا من الصنع^(٣)
[الله] على يدك وفي كنفك ، فإننا لا نعرف إلا نعمتك ، ولا نجد للحياة طعما وندي إلا
في ظلك .

إن كان هذا مما ترضاه لي ، فليست ألتمس أكثر منه ، وقوفا بنفسى عند الحظ
الذي رضىته لي .

أنا والله أراك في رتبة المنعم إجلالا ، وبجمل الشقيق من القلب محبة وإخلاصا .
أما شكرى فقصور على سالف أياديك ، وبه قصور عنه فكيف يتسع
لما جددته ! .

الله عندك نعم جسام تتفاضك الشكر . وقال الله شر نفسك ، فإنها أقرب
أعدائك إليك .

ولم أزل وجلا من حادثة كذا عليك ، إذ كان ما ينالك - لا أنالك الله سوءا -
متصلا بي ومدخلا الضرر على في ركني منك أعتمد عليه ، وكنت لك أستدري به .
وصل الى كتاب منك ، فما رأيت كتابا أسهل فنونا ، ولا أملس متونا ، ولا أكثر
عيونا ، ولا أحسن مقاطع ومطالع ، ولا أشد على كل مفصل حرا منه ؛ أنجزت فيه
عدة الرأي وبشرى الفراسة ، وعاد الظن بك يقينا ، والأمل فيك مبلوغا .

لا غيبك الله عن مواطن العز والصنع ، وأشهدك إياها بعلويدك ، وهبوب
ريحك ، وأستفادة جميع أهلها بزمام طاعتك .

٢٠ (١) كذا وردت هذه الجملة من هذا الفصل في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٨) وفي الأصل :
« لا أزال قد مثلت الكتاب ... الخ » وهو غير مستقيم . (٢) في العقد الفريد : « الخفف
هناك ... » . (٣) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد .

قد رميت غرض الحق بسهم الباطل وحالات عقال الشر .^(١)

كنتُ سالماً إن سألته من عتبك .^(٢)

أنا أتوسل إليك بحسن ظني بك، وأسألك بحق صبري على ظلمك لما أسعفت
بما سألتك .

ليس ينبغي لك أن تستبطئ فهمي وقد أسأت إلهامي .

من أبعده من البرء من مريض لا يؤتى في دائه إلا من جهة دوائه، ولا في علته
إلا من قبل حيمته ! .

لست في حالٍ يقيم عليها حرأ أو يرضى بها كريم، وليس يرضى بهذا الأمر إلا من
لا ينبغي لك أن ترضى به .^(٣)

قد شئتُ في ذراك وهربت في ظلك ، فإما رددت علي شبابي وأعدت إلي
قوتي ، وإما دفعت إلي ما ينوب عن الشباب ويجبر الضعف ، ولا بد من أحدهما ،
فأختر لنفسك وأخرج إلينا من هذا الدين ، فقد أمسكا عن التقاضى ما أمكن ،
وصبرنا على المواعيد ما صلح ، ودعنا من الحوالة فإن الصنعة لا تتم بالحوالة ؛ وإن
جاز أن تقيم لنا زعيماً بالنعمة ، جاز أن تقيم لك زعيماً بالشكر ؛ وإن جاز أن تؤتمك
ويحقق آمالنا غيرك ، جاز أن نشكر غير المنعم ونأمل غير المصطنع . ١٥

ما أستعظم أن تسبق إلي حسني بل أستعظم أن تسبق إلي وتغلب عليه .

لئن كنت جاوزت بي قدرى عندك لما بلغت بك أملى فيك .^(٤)

لا يقبضك عن الأئس بي تقصيرك في البر .

(١) كذا وردت هذه الجملة في الأصل . وظاهر أن فيها تبديلاً ونقصاً . ولعل صوابها : قد رميت

غرض الباطل بسهم الحق ، وحلت عقال الشريد الخير . (٢) في الأصل : « كنت ... » . ٢٠

(٣) في الأصل : « ولا يرضى بها ... » وهو غير مستقيم . (٤) في الأصل « إن كنت ... » .

بلغتني عنتك فنالني من ألمها ، وغالني مما مسك فيها حسبُ حَقِّك وما يُحْصِي
من كل حالٍ تصرفتُ بك .

أعتذر إليك من تأخر كُتْبِي عنك بترامي النُقْلة وتقاذفِ العُرْبَة وعدمِ الطمأنينة ،
فإني منذ فارقتك كما قال القائل :

وكنْتُ قَدَاةَ الأَرْضِ والأَرْضِ عَيْنُهَا * تُلْجَلِجُ شَخْصِي جَانِبًا بَعْدَ جَانِبٍ
إِنِّي - أَعْرَكَ اللهُ - عَلَى تَشْوَقِكَ مَتْرِيدًا ، فَمَا أَحَاشِي بِكَ أَحْدًا ، وَلَا أَقْفُ
لَكَ عَلَى حَسَنَةٍ يَوْمًا إِلَّا أَنْسَتْنِيهَا لَكَ فَضْلَةً غَدَةً .

الحمد لله الذي جعل الأمير معقودَ النَبَةِ بطاعته ، مطوى القلب على مُناصحته ،
مشحودَ السيفِ على عدوه ، ثم وهب له الظفرَ ، ودوخ له البلادَ ، وشرّد به العدو ،
وخصه بِشَرَفِ الفُتُوحِ العِظَامِ شرقًا وغربًا ، وبرًا وبحرا .

إلى الله أشكو شدة الوحشة لغيبتك ، وفُرطَ الجَزَعِ من فِرَاقِكَ ، وظلمة الأيامِ
بعْدَكَ ، وأقول كما قال حبيب بن أوس :

بَيْنَ البَيْنِ فَقَدَهَا ، قَلَّمَا تَعْرِيفُ فَقَدًا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبًا

ورد كتابك ، فياله واردًا بالرِّيِّ على ذِي ظَمًا ! ما أنقعه للغليل ، وأعدّل شهادته
لك بكرم العقد ، وصدق الود ، وحسن المغيب ، ورعاية حق التحرّم ، وبعْدِ الشيمَة
من شيم أهل الزمان إلا من عصم الله ، وقليلٌ ما هم ، والله أبواك لقد أوجداك .

قد أجل الله خَطَرَكَ عن الاعتذار ، وأغناك في القول عن الاعتلال ، وأوجب علينا
أن نقتنع بما فعلت ، ونرضى بما أتيت وصلّت أو قطعت ، إذ وثقنا بحسن نيتك ونقاء
طويتك ، وألزمنا أن نأخذ أنفسنا لك بما لا نُحْمَلُك مثله ، ولا نلتمس منك مقابلةً به .

(۱) في الأصل : إنك .

ما أحركتني عنك إلا ما أنا عليه من إيثار التخفيف بقطع الكتب، إلا عند
حق يقع فأقضيه، أو نعمة تحدث فأهني بها، والقصد للزيادة في البر بالزيارة
في الغيب، وأستدءاء دوام الوداد بانتهاز فرص الوصل .
وكتبت إلى محمد بن عبد الله بن طاهر :

أما شكري للأمير علي سالف معروفة فقد غار وأنجد . وأما آبتها إلى الله
في جزائه عني بالحسنى فإخلاص النية عند مظان القبول . وأما أمل فاحياه على
بعد العهد بلاؤه عندي، إذ كان ما تقدم منه شافعا في المزيد، وفسحة وعده إياي
عند مفارقتي له، إذ كان مؤذنا بالإيجاز . وأما زللي في التأخر عما أوجب الله عليّ له،
فقرون بالعقوبة فيما حرمته من عز رياسته، ونباهة صحبته، وعلو الدرجة به، وإن
كنت سائر أيام أنقطاعي عنه مُعتلقا بسبب لا خيار معه . مكاتبتك - أعزك الله -
وأنا مجاورك ببلد دون السعي اليك مجلّا لقدرك مما أكبر . لا عليك بكلامي هذا فلان،
وله عليّ حقان : حق عم المسلمين فلزمني بلزومه لهم، وحق خصني بالحرمة والعشرة .
فرايتك في كذا إن سهل السبيل إلى ذلك ورحب، وإن يعق عائق فلست على جميل
رأي عندي بمتهم .

للتفضل أن يخص بفضله من يشاء؛ ولله الحمد ثم له فيما أعطى، ولا حجة عليه
فيما منع .

مُستعفي السلطان أحد ثلاثة : رجل آثر الله وما عنده، وأسأل الله توفيقه؛
ورجل تجز عن عمله نخاف بعجزه عواقب تقصيره، وأستعين الله؛ ورجل سمّت به
نفسه عن قليل هو فيه إلى كثير أمله . وأعوذ بالله من أن أدّس نعمة الله بك عليّ

(١) في الأصل : « تعجزه ... »

وعلى سلفي قبلي بالتصدي لمن لا يشبه دهره يومك ، ولا أكثر جهده في المعروف
أقل عفوك .

- كن كيف شئت ، فإني واحدٌ أمرى خالصةً سريري ، أرى ببقائك بقاء
سروري ، وبتمام النعمة عليك تمامها عندي ، فإنه ليس من نعمة يُجددها الله
لأمير المؤمنين في نفسه خاصةً إلا أتصلت برعيته عامة ، وشملت المسلمين كافة ، وعظم
بلاءُ الله عندهم فيها ، ووجب [عليهم] ^(١) شكره عليها ، لأن الله جعل بنعمته تمام
نعمتهم ، وبسلامته هدوئهم وأستقامتهم ، وبتيديده صلاح أمورهم وأمنهم ، وبذبه
عن دينهم حفظ حريمهم ، وبجياطته حَقْن دمائهم وأمن سبلهم ، وبرعيته آساقهم
وآنتظامهم ؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيداً بالنصر، مُعزاً بالتمكين، موصول
الطلب بالظفر، ومدة البقاء بالنعيم المقيم .

۱۰

فهمتُ كتابك ولم تعد في وعدك ووعدك سبيل الراغب في رب عارفه ، المحامي
على سالف بلائه ، المؤثر لأستتمام صنيعته . وإني لأرجو أن أكون على غاية ما عليه
ذونية حسنة في شكر مصطنعه ، وعناية بأداء ما يلزمه لولي نعمته ، ومراقبة لرئيسه
في سر أمره وعلايته ، وإثارة للقليل من جميل رأيه على كثير المنافع مع سخطه .
وليس مذهبي فيما أشرحه من العذر وأطيل بذكره الكتب ، مذهب من يؤه
بالاحتجاج ويحتال في الاعتذار، ومن تطمعه نفسه في سلامة النعمة مع فساد النية ،
وفي محود العاقبة مع شره النفس ، وفي زيادة الحال مع التفريط في العمل . ولو
كنت ممن سؤلت له نفسه ذلك سائر دهره ، لقد وجب إلى أن يضطرني إلى

۱۵

(١) زيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٢) . (٢) في الأصل : « وبذبه عن دينهم

وحفظ ... » بزيادة الوار ، وقد وردت هذه العبارة في العقد الفريد بحذفها . (٣) في الأصل :

« وغنايه ... » . (٤) في الأصل : « ولقد وجب ... » ولا معنى ! كرنا مع اعتبار هذه

الجملة جواباً للو ، كما هو ظاهر النياق ، على أن في جعل « لقد » جواباً لـ « لو » نظراً .

الزوع عنه تأديبك وتقويمك . وإني لمجتهدٌ أن [يكون^(١)] أثرُ فعلِي هو المخبرُ عني دون قولي، وأن يكون ما أمُتَّ به اليك ظاهرَ كفايتي دون ذِمَّامِي .

لولا ما أنا بسبيله من العمل، وما في الإخلال به من تعريضه للانتشار ودخول الخلل، وعلمي بأن طاعةَ السلطان مقرونةٌ بطاعة الأمير، وأنه لا فرقَ عنده بين الجاني على السلطان وعليه، لكنَّ الجوابَ راجلاً معظماً لأمره، مُكبراً لسخطه؛ وإن كان الله قد جعل عند الأمير من إيثار الحق والعمل به، وتقديم الروية قبل الإيقاع، والاستثناء^(٢) بمن وَصَحَ ذنبه وظهر جُرمه دون من وقعت الشبهةُ في أمره، ما أمتني بادرةَ غَضَبه ونازلَ سَطوته .

لم أكن أحسبني أحلَّ عندك محلَّ من جهل حظه، وعدم تمييزه، وغبي عما عليه وعماله؛ إذ توهمت على أتى أبيع خطيراً من رضاك، ونقيساً من رأيك، وشرفاً باقياً على الأيام بطاعتك، وعُدَّةً للنواب أستظهر بها من نصرتك، بالثمن البخس الحقيق من كذا، أو أن أستبدل بما أنا ذو فاقة إليه من عزِّ كنفك ومنيع ذراك، ما قد وهب الله الغني عنه بمجده .

كان ورودك وشغوصك في وقتين أنطويا عني، وكان مُقامك في حالِ شغلي منك ومني، ولذلك فقدتني في القاضين لحقك والمثابرين على لقائك .

ورد كتابك مضمناً من برك وتطوُّلك ما حسن شكرى، وأثقل ظهري، وأرتج عن مضاهاتك بمثله قولي؛ فذكرت به — تحيَّرت دون تأمله، وضعفتُ عن تحمله، وعجزتُ عن الشكر عليه عند تحمله — قولَ القائل^(٣) :

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) الاستثناء : الانتظار . (٣) هو أبو نواس .
وقد ورد في ديوانه (المطبوع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٨٩٨ م ص ٧١) : "جلتني" بدلا من "أوليتني" و "لا تسدين" بدلا من "لا تحدن" .

أنت امرؤ أوليتني نِعْمًا * أوهت قُوى شكري فقد ضعُفا
لا تُحَدِّثَنِي إلى عارفة * حتى أقوم بشكر ما سَلَفَا

ألفاظ تقع في كتب الأمان

- هذا كتاب من فلان لفلان : إني أمتك على دمك ومالك وموآليك وأتباعك ،
• لك ولهم ذمّة الله الموقّية بها ، وعهدُه المسكونُ إليه ، ثم ذمّةُ الأنبياء الذين أرسلهم برسالته
وأكرمهم بوحية ، ثم ذمّمُ النجباء من خلائفه : بحقن دمك ومن دخل اسمه معك
في هذا الكتاب ، وسلامة مالك وأموالهم وكذا وكذا ؛ فأقبلوا معروضه ، وآسكنوا
إلى أمانه ، وتعلقوا بجبل ذمته ، فإنه ليس بعد ما وُكِّد من ذلك متوثق لداخل في أمان
إلا وقد اعتلقتم بأوثق عُراه ، وبلحائم إلى أحرز كهوفه ، والسلام .

وفي كتاب آخر :

- هذا كتاب من فلان : إن أمير المؤمنين ، لما جعل الله عليه نيته في إقالة العاثر
وأستصلاح الفاسد ، رأى أن يتلافك بعفوه ، ويتغمد زلاتك برُحمه ، ويبسط لك
الأمان على ما خرجت إليه من الخلاف والمعصية : على دمك وشعرك وبشرك
وأهلك وولدك ومالك وعقارك ؛ فإن أنت أتيت وسمعت وأطعت ، فأنت آمن بأمان
• ١٥ الله على ما أمتك عليه أمير المؤمنين ، ولك بذلك ذمّةُ الله وذمّةُ رسوله ، إلا
ما كان من حق قائم بعينه لمسلم أو معاهد ، والله بذلك راع وكفيل ، وكفى
بالله وكيلا .

(١) في الأصل « ورأى ... » بزيادة الواو . ولعله سهو من الناسخ .

وفي كتاب آخر :

إن فلانا أستوهب أمير المؤمنين ذنبك ، وسأله أن يقبل توبتك وإنابتك ،
ويؤمّنك على دمك وشعرك وبشرک وأهلك وولدك ومالك وعقاراتك ، على أن
تسمع وتطيع وتُشايح ، وتُوالى أولياءه ، وتُعادي أعداءه ؛ فأجابه أمير المؤمنين الى
ذلك ، لرأيه في العفو والصفح وما يحتسب في ذلك من الثواب والأجر ، فأنت آمن
بأمان الله على كذا لا تؤخذ بشيء مما سلف من أحداثك ، ولا تتبع فيه بمكروه ما أقتت
على الوفاء ولم تُحدث حدثًا تفسخ به أمانك وتجعل به سبيلًا على نفسك ، والله لك
بذلك راع كفيل ؛ وكفى به شهيدا .

ألفاظ تقع في كتب العهود

أمره بتقوى الله فيما أسند إليه وجعله بسبيله ، وأن يؤثر الله وطاعته أخذًا ومُعطيا ،
وأعلمه أن الله سائله عما عمل به وجازيه عليه ، وأنه خارج من دنياه خروجه من
بطن أمه إمامًا مغبوطًا محمودًا ، وإمامًا مذمومًا مسلوبًا . فليعتبر بمن كان قبله من الولاة
الذين ولّوا مثل ما ولي ، أين صار بهم مرُّ الليل والنهار ، وما أنقلبوا به من أعمالهم
الى قبورهم ! ويتروّد لنفسه الزاد النافع الباقي (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) .

وفي فصل آخر :

وقد وّلاك أمير المؤمنين ما وّلاك من أمور رعيته ، وأشركك فيما أشرك فيه من
أمانته ، ثقة بك ، رجاءً لتابعتك وإيثارك الحق وأهله ، ورفضك الباطل وأهله ؛
وعهد إليك في ذلك بما إن أخذت به أعانك الله وستدك ، وإن خالفته خذلك
وعاقبك .

فصل — قد أغنى الله بكرمك عن ذريعة اليك ؛ وما تُنازعني نفسي إلى
استعانة عليك إلا أبي ذلك حسنُ الظن بالله فيك ، وتأميلُ نُجح الرغبة إليك دون
الشفعاء عندك .

(١) فصل — مثلك تقرب إلى الله بالتواضع لنعمته ، والإفاضة لمستغيبه ، والعائدة
على راجيه بفضله .

فصل — تبا لمن يأتي رأيك ! وقبحا لعزوب عقلك ، وأفن تديريك ! ما أبعد
مذهبك في الخطأ ، وأسوأ أثرك على السلطان ، وأقصرَ باعك عن النهوض ! جزالة
تعتقدك ، ومهانة تُضريك ، وزهو يعلوك ، ونحوة يُسمخ لها عرينك . لقد أنصرف
رأى أمير المؤمنين عنك ، ودعوت له عتبك ، وكشفت له عن قناع سترك ، واجتررت
إليك سخطته وعطفت نحوك موجدته ، وكنت على نصيبك منه والضن بمنزلتك عنده
أولى تقدما وأقرب رُشدا . والله الغني الحميد .

أصحاب السلطان ثلاثة : رجلٌ يجعل الدنيا نُصبَ عينه ، ينصب فيها للخاصة
مكايدَه ، ويرفع عن مصلحة العامة همته ، يذهله عن التقوى الهوى ، وتُنسيه أيام القدرة
العثرة ، حتى تنصير مدته وتنفضي دولته ، لم يرتن بدنياه سُكرا ولا قدم بها إلى معاده
ذُخرا . ورجلٌ لا يُحفل^(٥) مع صلاح الخاصة مادخل من الخلل في أمور العامة ، ولا مع
وفور حظه ما أدخل^(٦) النقص في حظ رعيته . ورجلٌ حاول في ولايته إرضاء من ولي
له وعليه ، وأعانتَه النية وخذلتَه الكفاية . وقد جمع الله لك الثقة والرضا من فوقك ،

(١) العائدة : اسم من عاده بمعرفة إذا أقبل . (٢) كذا في الأصل وفيها ضعف لعدم

انساقها في السياق مع ما بعدها . (٣) الأفن : بالتحريك : ضعف الرأي والتدبير .

(٤) كذا في الأصل . (٥) في الأصل «لا يجمل...» وهو تحريف . وحفله وبه : بالاه .

(٦) في الأصل : «مع وفور خطر...» .

والأنقياد والمحبة من دونك، وأعاد الى الناس بك عهد السلف الماضي وعمرك
آثارهم، حتى كأنهم بك أحياء لم تحترمهم منية، وجميع لم تنصدح بينهم فرقة، فليهنئك
ان من تقدمك من أهل الفضل في السيرة غير متقدم لك، ومن معك مقصر عنك،
ومن دونك مقتف لأترك. فلا زالت الأيام لك، ولا زالت النعم عنك، ولا أنتقلت
عري الأمور وأزقتها عن يدك.

فصل — أبا طبع الزمان أن يسمح لنا بك، كما أبا ذلك في مثلك، فلم
يزل حتى أعترض بمكروهه دونك، وكم من نعمة ذهلت عنها النفس حين أدبرت
بخيرك، فإن تعلق القلب بك على قدرك في مواهب الله وقديرها عندك.

فصل — ولم تأت في جميع ما عدت من أياديك شيئا، وإن كان متناها
إلى الغاية، مختاراً كالأمنية، متجاوزاً للاستحقاق، إلا وأنت فوقه والمأمول
للزيادة فيه.

وفي كتاب — إن كان ما خبرني به فلان عن هزل فقد أحوجنا هزلك
إلى الحد، ووقفنا موقف المعتذرين من غير ذنب، وإن كان عن حقيقة فقد ظهر
لنا من ظلمك وتحريفك ما دل على زهدك منا في مثل الذي رغبنا منك فيه.

فصل في كتاب العيد — كتابي إلى الأمير يوم كذا بعد خروجي فيه
ومن قبلي من المسلمين إلى المصلي وقضائنا ما أوجب الله علينا من صلاة العيد،
ونحن بنجر حال أجمع عليها فريق من المسلمين في عيد من أعيادهم وتجمع من
بجامعهم، وكان نخرجنا إلى المصلي أفضل مخرج، ومنصرفنا عنه أفضل منصرف،

(١) في الأصل: « وأزمتك ... » . (٢) في الأصل « ولم يات » .

بما وهب الله من سكون العاقمة وهدوئها وألفتها، وأحتشاد الحند والشاكرية بأحسن
الزّيّ والهيئة، وأظهر السلاح والعدة . فالحمد لله على كذا، وهنأ الله الأمير كذا .

فصل - القلب قرينٌ ولهُ حليفٌ حَيَّةٌ ، أنظرُ بعينٍ كليلَةٍ وأحضرُ بقلبٍ
غائبٍ : إلى ورود كتابك بما تعترمه . فأما النوم فلو مثل لعيني لتفرتُ إلفاً للسهاد .

فصل في كتاب بيعة - فبايعوا لأمر المؤمنين ولقلائٍ بعده على أسم الله
وبركته وصنع الله وحسن قضاائه لدينه وعباده ، بيعةً منبسطةً لها أكفكم ، منسرحةً
بها صدوركم ، سليمةً فيها أهواؤكم ، شاكرين لله على ما وفق له أمير المؤمنين .

عدد معاويةُ على الأحنف ذنوباً ؛ فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين ! لم تردُّ
الأموارَ على أعقابها ! أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا ، وإن
السيوف التي قاتلناك بها لعلّ عواتقنا ؛ ولئن مددت [لساناً] ^(٤) بشبر من غدري ، لتمدّت إليك
باعاً من خترٍ ، ولئن شئت لتستصيفين كدرَ قلوبنا بصفو حلمك ؛ قال معاوية :
فإني أفعل .

تقدم رجل إلى سوار ، وكان سوار له مَبغضاً ، فقال سوار في بعض ما يكلمه به :
يا ابن اللّخناء ! فقال : ذلك خصمي ؛ فقال له الخصم : أعديني عليه ، فقال له الرجل :
خذ له بحقه وخذ لي بحقي ؛ ففهم ، وسأله أن يغفر له ما قرط منه إليه ، ففعل .

الأوزاعي قال : دخل حُرَيْم بن فاتك على معاوية ، فنظر إلى ساقيه فقال :
أى ساقين ، لو كانتا على جاريةٍ عاتقٍ ^(٧) ! فقال له حُرَيْم : في مثل عجيزتك
يا أمير المؤمنين .

(١) الشاكرية : المستخدمون . (٢) في الأصل «بعين جليلة...» . (٣) في الأصل
« يعترم ... » . (٤) زيادة من لسان العرب (مادة ختر) . (٥) الختر (بالفتح) :
الخدبة والقدر . (٦) أعديني عليه : انصرفني عليه وقوفى . (٧) العاتق : الجارية أول
إدراكها ؛ وقيل هي التي لم تزوج .

الخطب

- تَبِعْتُ خُطْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْتُ أَوَائِلَ أَكْثَرِهَا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ». ووجدت في بعضها: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعته». ووجدت في خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه:
- «أيها الناس إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم؛ إن المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانعٌ به، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه؛ فليأخذ العبد لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت؛ والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت مستعقبٌ ولا بعد الدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار». ووجدت كل خطبة مفتاحها الحمد إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير. وتكبير الإمام قبل أن ينزل عن المنبر أربع عشرة تكبيرة.

خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

- ١٥ حدثني أبو سهل قال حدثني الطنّافسي عن محمد بن فضيل قال حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الله القرشي عن عبد الله بن عكيم^(١) قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه فقال:

(١) في الأصل «عبد الله بن عظيم» بالظاء المعجمة بدل الكاف وبالبحث في كتب التراجم ورواة الحديث لم نجد «عبد الله بن عظيم» فلعل ما في الأصل تحريف عما أثبتنا: قال في التهذيب: «عبد الله بن عكيم الجهني أبو محمد معبد الكوفي» قال: قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأرض جهينة. وروى عن أبي بكر وعمر وحذيفة بن اليمان وعائشة... الخ وفي الخلاصة: «عبد الله ابن عكيم بضم أوله وفتح الكاف... الخ». وإذا كان عبد الله بن عكيم ممن روى عن أبي بكر رضي الله عنه تريح لدينا أن ما في الأصل محرف عنه.

أما بعد ، فإنني أوصيكم بتقوى الله وحده وأن تُثنوا عليه بما هو أهله ، وتخلطوا
الرغبة بالرهبة ، والإلحاف بالمسئلة ؛ فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : (إِنَّهُمْ
كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) . ثم أعلموا أن الله قد آرتهم بحقه
أنفسكم ، وأخذ على ذلك موثيقكم ، وأشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي . هذا
كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ولا يُطفأ نوره ، فصدّقوه وانتصحوه وأستضيئوا منه
ليوم الظلمة . ثم أعلموا أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب علمه عنكم ، فإن
أستطعتم ألا ينقض إلا وأتم في عملٍ لله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله .
فسابقوا في مهل ؛ فإن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم ، فأنها كم أن تكونوا
أمثالهم ، والوَحَا الْوَحَا ، والنجاء النجاء ! فإن من ورائكم طالبٌ حثيثاً مره ، سريعا
[سيره]^(۱) .

وفي غير هذه الرواية : أين من تعرفون من إخوانكم ! قد أنتهت عنهم الأعمال ،
ووردوا على ما قدموا وحلوا عليهم بالشقوة والسعادة . أين الجبارون الذين بنوا
المدائن وحصنوها بالحوائط ! قد صاروا تحت الصخر والآكام .

خطبة لأبي بكر أيضا رضي الله عنه

رواها إبراهيم بن محمد من ولد أبي زيد القاري^(۳) .

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

(۱) الكلمة من العقد الفريد (ج ۲ ص ۱۶۰) . وقد وردت في هذه الخطبة باختلاف في بعض
الكلمات عما هنا . (۲) كذا في الأصل . وهي غير مستقيمة المعنى وذلك من تحريف النسخ .
وصواب العبارة نقلها عن تاريخ ابن جرير الطبري (نسخ أول ص ۱۸۴۷ طبع ليدن) : « أين من
تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد أنتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة
فيما بعد الموت » . (۳) كذا في البيان والتبيين (ج ۲ ص ۲۱) وهو ما تؤيده كتب التراجم
كأنساب السعافى وأسد الغاية : وفي الأصل : « من ولد زيد القاري » .

- إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة المملوك . فرجع الناس رؤوسهم ؛ فقال : ما لكم يا معشر الناس ! إنكم لَطَعَانُونَ عَجَلُونَ ، إن المَلِكَ إذا مَلَكَ زَهَدَهُ اللهُ فَمَا فِي يَدِهِ ، وَرَغَبَهُ فَمَا فِي يَدَيْ غَيْرِهِ ، وَأَنْتَقَصَهُ شَطْرَ أَجَلِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِشْفَاقَ ، فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، وَيَتَسَخَطُ الْكَثِيرَ ، وَيَسَامُ الرِّخَاءَ ، وَتَتَقَطَّعُ عَنْهُ لَذَّةُ الْبِهَاءِ ، لَا يَسْتَعْمِلُ الْعِبْرَةَ وَلَا يَسْكُنُ إِلَى الثَّقَةِ ، فَهُوَ كَالدَّرْهِمِ الْقَسِيِّ وَالسَّرَابِ الْخَادِعِ ، جَذَلُ الظَّاهِرِ ، حَزِينُ الْبَاطِنِ ، فَإِذَا وَجِبَتْ نَفْسُهُ وَنَضِبَ عَمْرُهُ وَضَخَّ ظِلُّهُ ، حَاسَبَهُ اللهُ فَأَشَدَّ حِسَابَهُ وَأَقْلَّ عَفْوَهُ . أَلَا إِنَّ الْفُقَرَاءَ هُمُ الْمَرْحُومُونَ ، وَخَيْرُ الْمَمْلُوكِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ، وَحَكَّمَ بِكَلِمَاتِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ عَلَى خِلَافَةِ نَبْوَةٍ ، وَمَمْفُوقِ مَحَبَّةٍ ، وَسَتْرُونَ بَعْدَى مُلْكِ عَضُوضٍ ، وَأُمَّةٌ شَعَاعًا ، وَدَمًا مُفَاحًا . فَإِنْ كَانَتْ لِلْبَاطِلِ تَزْوَةٌ ، وَلِأَهْلِ الْحَقِّ جَوْلَةٌ ، يَعْفُو لَهَا الْأَثْرَ ، وَتَمُوتُ السُّنَنُ ، فَالزُّمُوا الْمَسَاجِدَ ، وَاسْتَشِيرُوا الْقُرْآنَ ، وَالزُّمُوا الْجَمَاعَةَ . وَلِيَكُنِ الْإِبْرَامُ بَعْدَ التَّشَاوُرِ ، وَالصَّفَقَةُ بَعْدَ طُولِ التَّنَاطُرِ ، أَى بِلَادِكُمْ خَرَسَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَقْصَاهَا كَمَا فَتَحَ أَدْنَاهَا .

خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة

- أراد عمر الكلام ، فقال له [أبو بكر] : على رِسْلِكَ . نحن المهاجرون أوّلُ الناس إسلامًا ، وأوسطهم دارًا ، وأكرمهم أحسابًا ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثرُ الناس ولادةً في العرب ، وأمسهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ،

- (١) كذا في الأصل . وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٩) : «البقاء» . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) : «الباءة» . (٢) القسي من الدراهم : الزائف . (٣) وجبت نفسه ، ونضب عمره ، وضخا ظله : كل منها تناية عن الموت . (٤) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) . وفي الأصل «... ألا إن الفقراء هم المرحومون إلا من آمن...» . (٥) ملك عضوض : فيه استبداد وعسف . (٦) شعاعا : متفرقة . (٧) الدم المفاح : المراق . (٨) كذا بالأصل والبيان والتبيين ، ولم نوفق إلى تصويبها أو تفسير صحيح لها .

وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَاتَمَّ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَائُنَا فِي النَّيِّ ، وَأَنْصَارُنَا عَلَى
 الْعَدُوِّ ، أَوْيْتُمْ وَوَأَسَيْتُمْ^(۱) ، بِنِجْمِ اللَّهِ خَيْرًا ، نَحْنُ الْأَمْرَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، لَا تَدِينُ
 الْعَرَبُ إِلَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَنْتُمْ مُحَقَّقُونَ إِلَّا تَنْفَسُوا عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
 مَا سَأَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ .

خطبة لأبي بكر رضي الله عنه

الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال : لما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، صعد
 المنبر فنزل مِرْقَاةً من مقعد النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
 إني وليتُ أمركم ولست بخيركم ، ولكنه نزل القرآن وسن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . أعلموا أيها الناس أن أكيس الكيس التقي ، وأن أحمق الحمق الفجور ،
 وأن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ له بحقه ، وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ
 منه الحق ، إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فاعينوني ، وإن زُغتُ
 فقوموني . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال : ولما ولي عمر صعد المنبر وقال :
 ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر ، ثم نزل عن مجلسه مِرْقَاةً ،
 فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إقرءوا القرآن تُعرفوا به ، وأعملوا به تكونوا من أهله .
 إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله . ألا وإني أنزلتُ نفسي من مال

(۱) كذا في العقد الفريد (ج ۲ ص ۱۵۸) : وفي الأصل : « وأسلمتم » .

(۲) كذا في إيجاز القرآن للباقلاني (ص ۶۵ طبع مصر سنة ۱۳۱۵) : وفي الأصل : « أما » .

الله بـ: ^(١) «إِنَّ أَسْتَغْنَيْتُ عَقَفْتُ وَإِنْ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ تَقَرَّمُ
الْبَهْمَةَ الْأَعْرَابِيَّةَ : الْقَضْمَ لَا الْحَضْمَ .

خطبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه

قال : ولما ولي عثمان صعيد المنبر فقال :

- رحمهما الله ، لو جلسا هذا المجلس ما كان بذلك من بأس ، بفلس على ذروة المنبر فرماه الناس بأبصارهم ، فقال : إن أول مركب صعب ، وإن مع اليوم أياماً ، وما كنا خطباء ، وإن نعش لكم تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله تعالى .

خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

خطب فقال :

- ١٠ أما بعد ، فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت فأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم وغدا السباق . ^(٢) ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فمن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله فقد خسر عمله . ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة . ألا وإنني لم أركب لينة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها . ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل ، ومن لم يستقيم به الهدى جاره به الضلال .
- ١٥ ألا وإنكم قد أمرتمم بالظعن ، ودللتهم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم أتباع الهوى وطول الأمل .

(١) تقزم الصبي والبهيم : أكل أكلا ضعيفا ، وذلك أول ما يأكل . والقضم : الأكل باطراف الأسنان . والحضم : الأكل بأقصى الأضراس . يريد بهذا بيان الأكل بالمعروف وأنه الأكل الخفيف الذي تدفع إليه حاجة الحياة .

خطبة عليّ عليه السلام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه
 أيها الناس، كتاب الله وسنة نبيكم . لا يدعى مدع إلا على نفسه . سُفِّلَ مَنْ
 الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ . سَاعِ نَجْمًا ، وَطَالِبٌ يَرْجُو ، وَمَقَصَّرٌ فِي النَّارِ : ثَلَاثَةٌ ؛ وَاثْنَانِ :
 مَلِكٌ طَارَ بِجَنَاحَيْهِ ، وَنَبِيٌّ أَخَذَ اللَّهُ بِيَدَيْهِ ، لَا سَادِسَ . هَلَكَ مَنْ أَقْتَحَمَ ، وَرَدِيَ مَنْ
 هَوَى . الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَالْوَسْطَى الْجَادَّةُ : مَنَهِجٌ عَلَيْهِ بَاقِي الْكُتُبِ وَأَنَارُ النَّبُوَّةِ .
 إِنْ اللَّهُ آدَبَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِأَدْبِينَ : السُّوْطِ وَالسِّيفِ ؛ فَلَا هَوَادَةَ فِيهِمَا عِنْدَ الْإِمَامِ .
 فَاسْتَتَرُوا بَبُيُوتِكُمْ ، وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ؛ وَالتَّوْبَةُ مِنْ وِرَائِكُمْ . مَنْ أَبَدَى صَفْحَتَهُ
 لِلْحَقِّ هَلَكَ . قَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مِثْلُكُمْ عَلِيٌّ فِيهَا مَبِيلَةٌ لَمْ تَكُونُوا عِنْدِي مَحْمُودِينَ وَلَا مُصِيبِينَ .
 وَاللَّهِ أَنْ لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ . عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ . أَنْظَرُوا ، فَإِنْ أَنْزَلْتُمْ فَأَنْكِرُوا ،
 وَإِنْ عَرَفْتُمْ فَأَرُؤُوا . حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ . وَاللَّهِ لئن أَمَرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا
 فَعَلَ ؛ وَلئن أَمَرَ الْحَقُّ لَرُبَّ وَلَعْلٍ . مَا أَدْبَرْتُ شَيْءًا فَأَقْبِلَ .^(٢)

خطبة أيضا لعليّ رضي الله عنه^(٣)

خطب عليّ حين قُتِلَ عامه بالأنبار فقال في خطبته :

يَا عَجَبًا مِنْ جِدِّ هَوْلَاءَ فِي بَاطِلِهِمْ وَفَشْلِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ! نَقُبْنَا لَكُمْ وَتَرَحَّا حِينَ صِرْتُمْ
 غَرَضًا يُرْمَى ، يُقَارُّ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ ، وَتُقْرُونَ وَلَا تَغْرُونَ ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضُونَ .^{١٥}

(١) أمر (بالبناء للجهول والضعيف) : ساط . والذي في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٢)
 ونهج البلاغة (ج ١ ص ٢٤ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) : «... ولئن قل الحق...» وعلى ما ورد
 فيها يكون معنى «أمر الباطل» : كثر و«أمر» وزان فرح . (٢) في العقد الفريد :
 «ولقلها أدبر...» . (٣) وردت هذه الخطبة في البيان والنبين (ج ٢ ص ٢٦) ونهج البلاغة
 (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٤) باختلاف في بعض
 الكلمات وزيادات عما هنا .^{٢٠}

الله بـ: إله وآلى اليتيم : إن أستغنيت عفتُ وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروفِ تَقَرَّمُ^(١)
البهمة الأعرابية : القضم لا الخضم .

خطبة لعثمان بن عفان رضى الله عنه

قال : ولما ولي عثمان صعيد المنبر فقال :

- ٥ . رحمهما الله ، لو جلسا هذا المجلس ما كان بذلك من بأس ، بفلس على ذروة المنبر فرماه الناس بأبصارهم ، فقال : إن أول مركبٍ صعبٌ ، وإن مع اليوم أياماً ، وما تكنا خطباءً ، وإن نعش لكم تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله تعالى .

خطبة لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه

خطب فقال :

- ١٠ . أما بعدُ ، فإن الدنيا قد أدبرت واذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت فأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم وغدا السباق . ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فمن قصر في أيام أملة قبل حضور أجله فقد خسر عمله . ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة . ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها . ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل ، ومن لم يستقيم به الهدى جار به الضلال .
- ١٥ . ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ، ودلّتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم أتباع الهوى وطول الأمل .

(١) تقزم الصبي والبهيم : أكل أكلا ضعيفا ، وذلك أول ما يأكل . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس . يريد بهذا بيان الأكل بالمعروف وأنه الأكل الخفيف الذى تدفع اليه حاجة الحياة .

خطبة عليّ عليه السلام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه
 أيها الناس، كتاب الله وسنة نبيكم . لا يدعى مدع إلا على نفسه . سُئِلَ مَنْ
 الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ . سَاحِجٌ نَجَا ، وَطَالِبٌ يَرْجُو ، وَمَقْصَرٌ فِي النَّارِ : ثَلَاثَةٌ ، وَاثْنَانُ :
 مَلِكٌ طَارَ بِجَنَاحَيْهِ ، وَنَبِيٌّ أَخَذَ اللَّهُ بِيَدَيْهِ ، لَا سَادِسَ . هَلَكَ مَنْ آقَتَحَمَّ ، وَرَدِيَ مَنْ
 هَوَى . الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَالْوَسْطَى الْجَادَّةُ : مَنَّهُجٌ عَلَيْهِ بَاقِي الْكُتُبِ وَأَنَارُ النَّبُوَّةِ .
 إِنْ اللَّهُ أَدَبَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِأَدْبَيْنِ : السُّوْطِ وَالسِّيفِ ، فَلَا هَوَادَةَ فِيهِمَا عِنْدَ الْإِمَامِ .
 فَاسْتَرَوْا بَيْوتَكُمْ ، وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَالتَّوْبَةَ مِنْ وِرَائِكُمْ . مَنْ أَدْبَى صَفْحَتَهُ
 لِلْحَقِّ هَلَكَ . قَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مِلْتَمٌ عَلَيَّ فِيهَا مَبْلَةٌ لَمْ تَكُونُوا عِنْدِي مَحْمُودِينَ وَلَا مُصِيبِينَ .
 وَاللَّهِ أَنْ لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ . عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ . أَنْظَرُوا ، فَإِنْ أَنْزَلْتُمْ فَأَنْكِرُوا ،
 وَإِنْ عَرَقْتُمْ فَأَرُورُوا . حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ . وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا
 فَعَلَ ، وَلَئِنْ أَمَرَ الْحَقُّ لَرُبَّ وَلَعْلٍ ، مَا أَدْبَرْتُ شَيْءًا فَأَقْبَلَ .^(٢)

خطبة أيضا لعليّ رضي الله عنه^(٣)

خطب عليّ حين قُتِلَ عاملهُ بالأنبار فقال في خطبته :

يَا عَجَبًا مِنْ جِدِّ هَؤُلَاءِ فِي بَاطِلِهِمْ وَفَسَلِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ! فُقِبْنَا لَكُمْ وَتَرَحَّا حِينَ صِرْتُمْ
 غَرَضًا يُرْمَى ، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ ، وَأُغْزُونَ وَلَا تَغْزُونَ ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضُونَ .^{١٥}

(١) أمر (بالبناء للجهول والتضعيف) : ساط . والذي في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٢)
 ونهج البلاغة (ج ١ ص ٢٤ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) : «... وان قل الحق ...» وعلى ما ورد
 فيها يكون معنى «أمر الباطل» : كثرة «أمر» وزان فرح . (٢) في العقد الفريد :
 «ولقلها أدبر...» . (٣) وردت هذه الخطبة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٦) ونهج البلاغة
 (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٤) باختلاف في بعض
 الكلمات وزبادات عما هنا .^{٢٠}

إن أمرتكم بالمسير إليهم في الحرّ قلم : حَمَارَةُ الْقَيْظِ ، ^(١) أَمِهْلُنَا [حتى] ^(٢) يَنْسَلِخَ الْحَرُّ ،
 وإن أمرتكم بالمسير إليهم في الشتاء قلم : أَمِهْلُنَا [حتى] ^(٣) يَنْسَلِخَ الشِّتَاءُ هَذَا أَوْ أَنْ قُرِّبَ
 كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ ، فَأَتَمَّ وَاللَّهِ مِنَ السِّيفِ أَفْرًا ، يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالِ !
 أحلام الاطفال وعقول ربّاتِ الحِجَالِ ، أَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْحِدْلَانِ ، حَتَّى
 قَالَتْ قَرِيشٌ : ابْنُ أَبِي طَالِبٍ شُجَاعٌ [ولكن] لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ . اللَّهُ أَبُوهُمْ ! هَلْ
 مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَطْوَلُ تَجْرِبَةً ^(٤) مِنِّي ! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ
 فَهَآنَا الْآنَ قَدْ نَيْفْتُ عَلَى السِّتِينَ ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ .

خطبة لمعاوية رحمه الله

بلغني عن شعيب بن صفوان قال : خطب معاوية فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ ، وَزَمَنٍ شَدِيدٍ ، يُعَدُّ فِيهِ الْحَسِينُ
 مُسِيئًا ، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُنُوءًا ، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا نَتَخَوَّفُ
 قَارِعَةً حَتَّى نَحُلَّ بِهَا . فَالنَّاسُ أَرْبَعَةٌ أَصْنَافٌ : مَنْ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْفَسَادِ
 فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ وَكَلَالُ حَدِّهِ وَنَضِيضُ وَفْرِهِ ، وَمِنْهُمْ الْمُصَلِّتُ لِسَيْفِهِ
 وَالْمُجَلِّبُ بِجَيْلِهِ وَرَجُلِهِ وَالْمُعَلِّنُ بِشَرِّهِ ، قَدْ أَشْرَطَ ^(٥) نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ ^(٦) دِينَهُ لِحَطَايِمِ بَنِيهِ
 يَنْتَهِرُهُ

١٥ (١) حَمَارَةُ الْقَيْظِ : شِدَّتُهُ . (٢) زِيَادَةٌ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ وَالْبَيَانِ وَالْتَبْيِينِ . (٣) الْفَرْبِضُ
 الْقَافُ : الْبَرْدُ الشَّدِيدُ . (٤) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ وَالْبَيَانِ وَالْتَبْيِينِ ، بِزِيَادَةِ كَلِمَةِ «هَا» بَعْدَ كَلِمَةِ
 «أَطْوَلُ» فِي الْبَيَانِ وَالْتَبْيِينِ . وَفِي الْأَصْلِ : « هَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّ مِرَاسًا وَلَا أَطْوَلُ تَجْرِبَةً مِنِّي » .
 (٥) فِي الْأَصْلِ : « رَضِيضٌ » وَمَا أُثْبِتْنَا عَنْ الْبَيَانِ وَالْتَبْيِينِ وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ . وَنَضِيضٌ ،
 وَفْرُهُ : قَلَّةُ مَالِهِ . (٦) فِي الْأَصْلِ : « بَسِيفُهُ » بِالْبَاءِ . (٧) أَشْرَطَ نَفْسَهُ لِكَذَا : أَعْتَدَهَا وَقَدَّمَهَا .
 (٨) «أَوْبَقَ دِينَهُ» : أَهْلَكَ .

أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ أَوْ مِئْبَرٍ يَفْرَعُهُ^(٢)، وَلِبَسِ الْمَتَجَرَّانِ تَرَاهُمَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا وَمِمَّا عِنْدَ اللَّهِ
عَوَضًا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ [وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا]^(٤)
قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ تَوْبِهِ، وَزَحَرَفَ نَفْسَهُ لِلْأَمَانَةِ،^(٥)
وَأَتَّخَذَ سِتْرًا لِلَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنِ طَلْبِ الْمَلِكِ ضُؤُولَةً
فِي نَفْسِهِ وَأَنْقَطَعَ مِنْ سَبَبِهِ، فَقَصَّرَ بِهِ الْحَالَ عَنِ أَمَلِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِنَاعَةِ وَتَزِينِ
بِلِبَاسِ الزُّهَادِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاجِحٍ وَلَا مَغْدَى . وَبَقِيَ رَجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ
ذِكْرَ الْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ فِهِمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ، وَخَائِفٍ مُنْقِمٍ^(٧)،
وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ، وَدَائِعٍ مُخْلِصٍ، وَمُوجِعٍ نَكْلَانَ، قَدْ أَحْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ، وَشَمَلَتْهُمُ
الذَّلَّةُ، [فِهِمْ] فِي بَحْرِ أَجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ، قَدْ وَعُظُّوا حَتَّى
مَلُّوا، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا . فَلَتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ
الْقَرْظِ وَقُرَاضَةِ الْجَلْمِ، وَأَتَعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ،
وَأَرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً، فَإِنَّمَا قَدْ رَفَضْتُ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ .

خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب فقال : إن معاوية كان حبلاً من حبال الله ، مده ماشاء أن يمده ، ثم
قطعه حين شاء أن يقطعه ، وكان دون من قبله وهو خير ممن بعده ، [ولا أزيه عند^(١٠)

(١) المقنب بكسر الميم : الجماعة من الخيل . (٢) يفرعه : يعلوه . وفي الأصل : « يترعه »

وهو تحريف . (٣) كذا في البيان والتبيين . وفي الأصل : « وليس المتجران تراها ... الخ »

وهو تحريف . (٤) الزيادة عن العقد الفريد والبيان والتبيين وإيجاز القرآن .

(٥) طامن من شخصه : خفض . (٦) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) وفي الأصل :

« على حاله ... » . (٧) الناد : النافر الذاهب على وجهه . (٨) منقمع : مستخيف .

(٩) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين والعقد الفريد وإيجاز القرآن للباقلاني . (١٠) الزيادة

عن العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٣) .

- إن أمرتكم بالمسير إليهم في الحرّ قلم : حَمَارَةُ الْقَيْظِ ، ^(١) أَمِهْلُنَا [حتى] يَنْسَلِخَ الْحَرُّ ،
 وإن أمرتكم بالمسير إليهم في الشتاء قلم : أَمِهْلُنَا [حتى] يَنْسَلِخَ الشِّتَاءُ هَذَا أَوْ أَنْ قُرْبُ ^(٢) ،
 كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ ، فَاتَمَّ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَفْرَ ، يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالِ !
 أَحْلَامُ الْإِطْفَالِ وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْمَجَالِ ، أَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيانِ وَالْحِدْلَانِ ، حَتَّى
 قَالَتْ قَرِيشٌ : ابن أبي طالب شُجَاعٌ [ولكن] لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ . اللَّهُ أَبُوهُمْ ! هل
 مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَطْوَلُ تَجْرِبَةً ^(٣) مِنِّي ! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين
 فهنا الآن قد نيفت على الستين ، ولكن لا رَأَى لِمَنْ لَا يُطَاعُ .

خطبة لمعاوية رحمه الله

بلغني عن شعيب بن صفوان قال : خطب معاوية فقال :

- ١٠ أيها الناس ، إنا قد أصبحنا في دهر عنود ، وزمن شديد ، يعد فيه المحسن
 مُسِينًا ، ويزداد الظالم فيه عتوًا ، لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسأل عما جهلنا ، ولا نتخوف
 قارعة حتى نحل بنا . فالناس أربعة أصناف : من لا يمنع من الفساد
 في الأرض إلا مهانة نفسه وكلال حده ونضيض وفره ، ومنهم المصلت لسيفه ^(٤)
 والمجلب بخيله ورجله والمعلن بشره ، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لخطايم ينتمزه ^(٥)
^(٦)

- ١٥ (١) حمارة القَيْظِ : شدته . (٢) زيادة عن العقد الفريد والبيان والتبيين . (٣) الفز بضم
 القاف : البرد الشديد . (٤) كذا في العقد الفريد والبيان والتبيين ، بزيادة كلمة « لها » بعد كلمة
 « أطول » في البيان والتبيين . وفي الأصل : « هل منهم أحد لها أشد مراسا ولا أطول تجربة مني » .
 (٥) في الأصل : « رضيض » وما أثبتناه عن البيان والتبيين والعقد الفريد وإعجاز القرآن . ونضيض ،
 وفره : قلة ماله . (٦) في الأصل : « بسيفه » بالباء . (٧) أشرط نفسه لكذا : أعدّها وقتلها .
 (٨) « أوبق دينه » : أهلكه .

(١) أو مقنّب يقوده أو منبر يفرعه، ولبئس المتجران تراهما لنفسك ثمناً ومما عند الله
 عوضاً . ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة [ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا] (٤)
 قد طامن من شخصه وقارب من خطوه، وشمر من ثوبه، وزحرف نفسه للأمانة،
 وآخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية . ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة
 في نفسه وأتقطع من سببه، فقصر به الحال عن أملة، فتحلّى باسم القناعة وتزين
 بلباس الزهاد، وليس من ذلك في مراح ولا مغدى . وبقى رجال غض أبصارهم
 ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد نآد، وخائف منقمع،
 وساكت مكعوم، وداع مخلص، وموجع تكلان، قد أحلتهم التقيّة، وشملتهم
 الدلّة، [فهم] في بحر أجاج، أفواههم ضامرة، وقلوبهم قريحة، قد وعظوا حتى
 ملؤا، وقهروا حتى ذلّوا، وقتلوا حتى قتلوا . فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة
 القرظ وقراضة الجلم، وآتعضوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعض بكم من بعدكم،
 وأرفضوها ذميمة، فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم .

خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب فقال : إن معاوية كان حبلاً من حبال الله ، مده ماشاء أن يمده، ثم
 قطعه حين شاء أن يقطعه ؛ وكان دون من قبله وهو خير ممن بعده، [ولا أزكبه عند

- (١) المقنّب بكسر الميم : الجماعة من الخيل . (٢) يفرعه : يعلوه . وفي الأصل : « يترعه »
 وهو تحريف . (٣) كذا في البيان والتبيين . وفي الأصل : « وليس المتجران تراها ... الخ »
 وهو تحريف . (٤) الزيادة عن العقد الفريد والبيان والتبيين وإعجاز القرآن .
 (٥) طامن من شخصه : خفض . (٦) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) وفي الأصل :
 « على حاله ... » . (٧) النآد : النافر الذاهب على وجهه . (٨) منقمع : مستخيف .
 (٩) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين والعقد الفريد وإعجاز القرآن للباقلاني . (١٠) الزيادة
 عن العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٣) .

ربه وقد صار إليه [فإن يعف عنه فبرحمته ، وإن يعاقبه فبذنبه . وقد وليت الأمر بعده ، ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم . وعلى رسلكم ! إذا كره الله أمرا غيره .

خطبة لعُتْبَةَ بن أبي سُفْيَانَ

- ٥ أبو حاتم عن العُتْبِيِّ قال : احتبست كُتُبَ معاويةَ حتى أَرَجَفُ^(٢) أهلُ مصر بموته ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعد عتبة المنبر والكتابُ في يده فقال :
- يا أهل مصر! قد طالت معاتبنا إياكم بأطراف الرماح وطبأت السيوف حتى صرنا شجى في لهواتكم ما تُسيفنا حلوقكم ، وأقذاء في أعينكم ما تطرف عليها جفونكم . فحين أشدت عرى الحق عليكم عقداً ، وأسترخت عقد الباطل منكم حلاً ، أرجفتم بالخليفة وأردتم توهين السلطان ، وخضتم الحق إلى الباطل ، وأقدم عهدكم به حديثاً ! فارجعوا أنفسكم إذ خيرتم دينكم ، فهذا كتاب أمير المؤمنين بالخبر السار عنه والعهد القريب منه . وأعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم ؛ فأصلحوا لنا ما ظهر ، نكلكم إلى الله فيما بطن ؛ وأظهروا خيراً وإن أسررتم شراً ؛ فإنكم حاصدون ما أتم زارعون . وعلى الله تتوكل ، وبه نستعين .

١٥ خطبة لعُتْبَةَ أيضاً

- وبهذا الإسناد أن عتبة خطب أهل مصر حين هاجوا فقال :
- يا أهل مصر ، خفف على ألسنتكم مدح الحق ولا تفعلونه ، وذم الباطل وأتم تأتونهُ ، كالبحار يجمل أسفاراً أثقله حملها ولم ينفعه علمها . وإني والله لا أداوى

(١) في العقد الفريد : « ولا آسى على طلب علم » . (٢) أرجف : خاض في الأخبار التي

أدواءكم بالسيف ما آكتفيت بالسُّوط، ولا أبلغ السوط ما كفتني الدرّة، ولا أبطئ
 عن الأولى إن لم تصلحوا عن الأخرى ^(١) * ناجزا بناجر، ومن حذر كمن بشر * ^(٢)
 فدعوا قال ويقول من قبل أن يقال فعل ويفعل؛ فإن هذا اليوم الذي ليس فيه
 عقاب، ولا بعده عتاب .

خطبة لعبد الله بن الزبير

خطب عبد الله بن الزبير حين قُتِلَ أخوه مُصعب فقال :

الحمد لله الذي يعزّ من يشاء ويبدل من يشاء . إنه لن يذلّ من كان الحقّ معه
 وإن كان فردًا ، ولن يعزّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام . أنانا
 خبر من قبل العراق أجزعنا وأفرحنا : قتل مُصعب رحمه الله . فأما الذي أحرّتنا من
 ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة به ثم يرعوى بعدها ذو الرأي
 الى جميل الصبر وكريم العزاء . وأما الذي أفرحنا من ذلك فعلمنا أن قتله شهادة، وأن
 ذلك لنا وله الحيرة . ألا إن أهل العراق أهل الشقاق والنفاق باعوه بأقلّ ثمن كانوا
 يأخذونه به . إنا والله ما نموت حبيجًا ولا نموت الا قتلا، قمصًا بالرماح تحت ظلال
 السيوف، ليس كما تموت بنو مروان؛ والله إن قُتل رجلٌ منهم في جاهليّة ولا إسلام .

(١) كذا في الأصل، ولعلها : «على الأخرى» .

(٢) هذه الجملة التي بين النجمتين وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) في أثناء خطبة أخرى

لعنبة . وفي العقد : «والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها

لكم ناجزا بناجر، ومن حذر كمن بشر...» .

(٣) في العقد الفريد : «قبله» .

(٤) الحبيج : أن يأكل البعير لحاء العرغ فيرم بطنه سمنا وربما قتله ذلك . قال في اللسان بعد أن ذكر

كلام ابن الزبير : «يعرض بنو مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالنخمة...»

وقصه (من باب قطع) : قتله مكانه .

ربه وقد صار إليه [فإن يعف عنه فبرحمته ، وإن يعاقبه فبذنبه . وقد وليت الأمر بعده ، ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم . وعلى رسلكم ! إذا كره الله أمرا غيره .

خطبة لعُتْبَةَ بن أبي سُفْيَانَ

٥ أبو حاتم عن العُتْبِيِّ قال : احتبست كُتُبَ معاويةَ حتى أَرَجَفْتُ أهلَ مصر بموته ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعد عتبة المنبر والكتابُ في يده فقال :

يا أهلَ مصر! قد طالت معاتبنا إياكم بأطراف الرماح وطبأت السيوف حتى صرنا شجى في لهواتكم ما تُسيفنا حلوقكم ، وأقذاء في أعينكم ما تطرف عليها جفونكم .
 حين اشتدت عرى الحق عليكم عقداً ، وأسترخت عُقدُ الباطل منكم حلاً ، أرجفتم بالخليفة وأردتم توهين السلطان ، وخضتم الحق إلى الباطل ، وأقدم عهدكم به حديثاً !
 ١٠ فارجعوا أنفسكم إذ خسرتم دينكم ، فهذا كتابُ أمير المؤمنين بالخبر السار عنه والعهد القريب منه . وأعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم ؛ فأصلحوا لنا ما ظهر ، نكلكم إلى الله فيما بطن ، وأظهروا خيراً وإن أسررتم شراً ؛ فإنكم حاصدون ما أتم زارعون . وعلى الله توكل ، وبه نستعين .

خطبة لعُتْبَةَ أيضاً

١٥ وبهذا الإسناد أن عتبة خطب أهلَ مصر حين هاجوا فقال :

يا أهلَ مصر ، خفف على ألسنتكم مدحُ الحق ولا تفعلونه ، وذمُّ الباطل وأتم تأتونهُ ، كالجمار يحمل أسفارا أثقله حملها ولم ينفعه علمها . وإني والله لا أداوي

(١) في العقد الفريد : «ولا آسى على طلب علم» . (٢) أرجف : خاض في الأخبار التي

حدث اضطراباً وفتنة .

أدواءكم بالسيف ما أكتفيت بالسوط، ولا أبلغ السوط ما كفتني الدرّة، ولا أبطئ
 عن الأولى إن لم تصلحوا عن الأخرى ^(١) * ناجزا بناجز، ومن حذر كمن بشر ^(٢) *
 فدعوا قال ويقول من قبل أن يقال فعل ويفعل؛ فإن هذا اليوم الذي ليس فيه
 عقاب، ولا بعده عتاب .

خطبة لعبد الله بن الزبير

خطب عبد الله بن الزبير حين قُتل أخوه مُصعب فقال :

الحمد لله الذي يُعزّ من يشاء ويُدّل من يشاء . إنه لن يذلّ من كان الحقّ معه
 وإن كان فردًا ، ولن يعزّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام . أتانا
 خبرٌ من قبل العراق أجزعنا وأفرحنا : قتل مُصعب رحمه الله . فأما الذي أحرّتنا من
 ذلك فإن لفراق الحميم لذةً يبيدها حيمه عند المصيبة به ثم يرعوى بعدها ذو الرأي
 إلى جميل الصبر وكريم العزاء . وأما الذي أفرحنا من ذلك فعلمنا أن قتله شهادة، وأن
 ذلك لنا وله الحيرة . ألا إن أهل العراق أهل الشقاق والنفاق باعوه بأقلّ ثمن كانوا
 يأخذونه به . إنا والله ما نموت حجبًا ولا نموت ^(٤) الاقتلا، قَمَصًا بالرماح تحت ظلال
 السيوف، ليس كما تموت بنو مروان؛ والله إن قُتل رجلٌ منهم في جاهليةٍ ولا إسلام.

(١) كذا في الأصل، ولعلها : «على الأخرى» .

(٢) هذه الجملة التي بين النجمتين وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) في أثناء خطبة أخرى
 لعنبة . وفي العقد : «والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها

لكم ناجزا بناجز، ومن حذر كمن بشر...» .

(٣) في العقد الفريد : «قبله» .

(٤) الحجج : أن يأكل البعير لحاء العرغ فيرم بطنه سمنا وربما قتله ذلك . قال في اللسان بعد أن ذكر
 كلام ابن الزبير : «يعرض بنو مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة...»
 ورفعه (من باب قطع) : قتله مكانه .

ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى [الذي لا يبید ذكره ولا يذل سلطانه] فإن تُقبل على لا أخذها أخذ البطر الأشر، وإن تُدبر عنى لا أبك عليها بكاء الخرف المهتر^(١). ثم نزل .

خطبة زياد البتراء^(٢)

- حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن أبي بكر بن أبي عاصم ببعضها، وحدثني أبي عن الهيثم بن عدي، قال : لما قدم زياد أميراً على البصرة فنظر إلى أبياتها، قال : رب فريج بإمارتي لن تنفعه ، [و] كاره لها لن تضره ، فدخل وعليه قباء أبيض ورداء صغير، فصعد المنبر، فخطب الناس خطبة بتراء : لم يصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أول من خطبها، ثم قال :
- أما بعد، فقد قال معاوية ما قد علمتم، وشهدت الشهود بما قد سمعتم، وإنما كنت أمراً حفظ الله منه ما ضيع الناس، ووصل ما قطعوا^(٤). ألا وإنا قد ولينا وولينا والولون، وسنا وساسنا السائسون، وإنا وجدنا هذا الأمر لا يصلحه إلا شدة في غير عنف، وابن في غير ضعف. وأيم الله ما من كذبة أكبر شاهداً من كذبة إمام على منبر؛ فإذا سمعتموها مني فأغتمزوها في، وأعلموا أن عندي أمثالها، وإذا رأيتوني أمر

- ١٥ (١) الزيادة من العقد الفريد : (ج ٢ ص ١٨٣) . (٢) الخرف : الذي فسد عقله من الكبر . والمهتر : من ذهب عقله من كبر أو مرض أرزن . وفي العقد الفريد : «بكاء الخرق المهين» . (٣) وردت هذه الخطبة في النوادر لأبي علي القالي (ص ١٨٥ — ١٨٦ طبع دار الكتب المصرية) كما هنا ولا تختلف إلا في كلمات يسيرة . ووردت في الكامل لابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٤ طبع لندن سنة ١٨٦٨ م) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٣) بزادات كثيرة عما هنا ويتقدم وتأخير في بعض الجمل والكلمات . (٤) لم ترد هذه القطعة في الخطبة البتراء في مصدر آخر من المصادر التي بين أيدينا إلا في النوادر لأبي علي القالي . وقد وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٤) في خطبة أخرى لزياد .

فيكم بالأمر فأنفذوه على أذلاله^(١) . وآيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل
 أمرئ منكم أن يكون من صرعى . وآيم الله لآخذن البرىء بالسقيم، والمطيع
 بالعاصي، والمقبل بالمدبر، حتى تستقيم لي قناتكم، وحتى يقول القائل : «أنج سعد^(٢)
 فقد قُتل سعيد» . فقام إليه عبد الله بن الأهم التيمي^(٣)، فقال : أيها الأمير، أشهد
 أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب؛ فقال له : كذبت، ذلك نبي الله داود . ثم
 قام إليه الأحنف، فقال : إنما المرء يُجده، والسيف بجده، والجواد بشده؛
 وقد بلغك جدك أيها الأمير ما ترى؛ وإنما الحمد بعد البلاء، والثناء بعد العطاء،
 وأنا لا نُثنِي حتى نبتلى . ثم قام إليه مرداس بن أدية، فقال : قد سمعنا مقاتلك
 أيها الأمير، وإن خليل الله إبراهيم عليه السلام آدى عن الله غير الذي آديته، قال
 الله تعالى : (الآتِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى)^(٤) ؛ وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء

- (١) على أذلاله : على طرفه ووجوهه . واحده ذل بكسر الهمزة، وهو ما مهد من الطريق وذل .
 (٢) قال في اللسان مادة «سعد» بعد أن ذكر هذا المثل : «هذا مثل سائر؛ وأصله : أنه كان لضبة
 ابن أذابان : سعد وسعيد فخرجا يطلبان إبلاهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد؛ فكان ضبة إذا رأى سوادا
 تحت الليل قال : سعد أم سعيد ! هذا أصل المثل؛ فأخذ ذلك اللفظ منه وصار ما يتشاهم به، وهو يضرب
 مثلا في العناية بذي الرحم، ويضرب في الاستخبار عن الأمرين : الخير والشر أيهما وقع . وقال الجوهري
 في هذا المكان : وفي المثل ، أسعد أم سعيد إذا سئل عن الشيء أهو مما يحب أو يكره .»
 (٣) كذا في ابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٦ طبع ليدن والبيان والعقد الفريد .
 وفي الأصل : «نعيم بن الأهم» وقد آثرنا ما في المصادر الأولى لأن الوقوف في مثل هذا الموقف
 يقتضى شجاعة وجرأة، وفي عبد الله بن الأهم منهما حظ موفور . أما نعيم بن عمرو بن الأهم، وعبد الله
 هذا عمه، فكان كما يقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٤٠٢) : «فيه تأنيث ...» . وفي النوادر
 لأبي علي القالي : «صفوان بن الأهم» وصفوان هذا ابن عبد الله بن الأهم . (٤) وردت هذه
 الجملة في ابن الأثير والعقد الفريد والبيان والبيان والنوادر لأبي علي القالي باختلاف عما هنا ونصها
 في ابن الأثير : «فقام إليه أبو بلال مرداس بن أدية، وهو من الخوارج، وقال : أنبأنا الله بغير ما قلت،
 قال الله تعالى : (وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) الخ ...» .

ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى [الذي لا يبید ذكره ولا يبدل سلطانه] فإن تقبل على لا أخذها أخذ البطر الأشر، وإن تدبر عنى لا أبك عليها بكاء الخرف المهتر^(٢). ثم نزل .

خطبة زياد البتراء^(٣)

- حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن أبي بكر بن أبي عاصم ببعضها، وحدثني أبي عن الهيثم بن عدي، قال : لما قدم زياد أميراً على البصرة فنظر إلى أبياتها، قال : رب فرج بامارتى لن تنفعه ، [و] كاره لها لن تضره ؛ فدخل وعليه قباء أبيض ورداء صغير، فصعد المنبر، فخطب الناس خطبة بتراء : لم يصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أول من خطبها، ثم قال :
- أما بعد، فقد قال معاوية ما قد علمتم ، وشهدت الشهود بما قد سمعتم ، وإنما كنت أمراً حفظ الله منه ما ضيع الناس ، ووصل ما قطعوا^(٤) . ألا وإنا قد ولينا وولينا والوالون ، وسنا وساسنا السائسون ، وإنا وجدنا هذا الأمر لا يصلحه إلا شدة في غير عنف ، وإين في غير ضعف . وأيم الله ما من كذبة أكبر شاهداً من كذبة إمام على منبر ؛ فإذا سمعتموها متني فأغتمزوها في ، وأعلموا أن عندي أمثالها ، وإذا رأيتوني أمر

- ١٥ (١) الزيادة من العقد الفريد : (ج ٢ ص ١٨٣) . (٢) الخرف : الذي فسد عقله من الكبر . والمهتر : من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن . وفي العقد الفريد : «بكاء الخرق المهين» . (٣) وردت هذه الخطبة في النوادر لأبي علي القالي (ص ١٨٥ — ١٨٦ طبع دار الكتب المصرية) كما هنا ولا تختلف إلا في كلمات يسيرة . ووردت في الكامل لابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٤ طبع ليدن سنة ١٨٦٨م) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٣) بزيادات كثيرة عما هنا ويتقدم وتأخير في بعض الجمل والكلمات . (٤) لم ترد هذه القطعة في الخطبة البتراء في مصدر آخر من المصادر التي بين أيدينا إلا في النوادر لأبي علي القالي . وقد وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٤) في خطبة أخرى لزياد .

فيكم بالأمر فأنفذوه على أذلاله^(١) . وآيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل
 أمرى منكم أن يكون من صرعى . وآيم الله لآخذت البرىء بالسقيم، والمطيع
 بالعاصى، والمقبل بالمدير، حتى تستقيم لي قناتكم، وحتى يقول القائل : «أنج سعد^(٢)
 فقد قتل سعيد» . فقام إليه عبد الله بن الأهم^(٣) التيمي، فقال : أيها الأمير، أشهد
 أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب؛ فقال له : كذبت، ذاك نبي الله داود . ثم
 قام إليه الأحنف، فقال : إنما المرء يجتده، والسيف يجتده، والجواد يشده؛
 وقد بلغك جدك أيها الأمير ما ترى؛ وإنما الحمد بعد البلاء، والثناء بعد العطاء،
 وأنا لا نثنى حتى نبتلى . ثم قام إليه مرداس بن أدية، فقال : قد سمعنا مقاتلك
 أيها الأمير، وإن خليل الله إبراهيم عليه السلام أدى عن الله غير الذي أدبته، قال
 الله تعالى : (الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) * ؛ وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء

(١) على أذلاله : على طرفه ووجوهه . واحده ذل بكسر الذال، وهو ما مهد من الطريق وذل .
 (٢) قال في اللسان مادة «سعد» بعد أن ذكر هذا المثل : «هذا مثل سائر؛ وأصله : أنه كان لضبة
 ابن آذ ابنان : سعد وسعيد فخرجا يطلبان إلهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد؛ فكان ضبة إذا رأى سوادا
 تحت الليل قال : سعد أم سعيد ! هذا أصل المثل؛ فأخذ ذلك اللفظ منه وصار ما يتشاءم به، وهو يضرب
 مثلا في العناية بذي الرحم، ويضرب في الاستخبار عن الأمرين : الخير والشر أيهما وقع . وقال الجوهري
 في هذا المكان : وفي المثل ، أسعد أم سعيد إذا سئل عن الشيء . أهو مما يجب أن يكره » .
 (٣) كذا في ابن الأثير (ج ٣ ص ٢٧٦ طبع ليدن والبيات والتبيين والعقد الفريد .
 وفي الأصل : «نعيم بن الأهم» وقد آثرنا ما في المصادر الأولى لأن الوقوف في مثل هذا الموقف
 يقتضى شجاعة وجرأة، وفي عبد الله بن الأهم منها حظ موفور . أما نعيم بن عمرو بن الأهم، وعبد الله
 هذا عمه، فكان كما يقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٤٠٢) : «فيه تأييد ...» . وفي النوادر
 لأبي علي القالي : «صفوان بن الأهم» وصفوان هذا ابن عبد الله بن الأهم . (٤) وردت هذه
 الجملة في ابن الأثير والعقد الفريد والبيات والتبيين والنوادر لأبي علي القالي باختلاف عما هنا ونصها
 في ابن الأثير : «فقام إليه أبو بلال مرداس بن أدية، وهو من الخوارج، وقال : أنبأنا الله بغير ما قلت،
 قال الله تعالى : (ولإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) الخ ...» .

بالسقيم ، والمطيع بالعاصي ، والمقبل بالمدير؛ فقال له : أسكت ، فوالله ما أجد
إلى ما أريد سبيلاً ، إلا أن أخوض إليه الباطل خوفاً . ثم نزل .

وقال في خطبة له أخرى^(١) :

حَرَامٌ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أَسْوَأَ بِهَا بِالأَرْضِ هَدْمًا وَإِحْرَاقًا . إِيَّايَ وَدَجَّ
الليل ، فَإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدْجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَإِيَّايَ وَدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ
أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحَدْتُمْ أَحْدَانًا ، وَأَحَدْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عَقُوبَةً ؛
فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقَهُ ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقَهُ ، وَمَنْ نَقَبَ بَيْنَنَا نَقَبْتُ عَنْ قَلْبِهِ ،
وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنَتْهُ فِيهِ حَيًّا ، فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ أَكُفِّ عَنْكُمْ . وَقَدْ كَانَتْ
بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ مِنْكُمْ أَشْيَاءٌ قَدْ جَعَلْتُمَا دَبْرًا أَدْنَى وَتَحْتِ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا
فَلْيَزِدْ ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ . إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ السُّلَّ مِنْ بَغْضِي
لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ
أُنَظِرْهُ ؛ فَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَتَنَفَّوْا أَمْرَكُمْ .

خطبة للحجاج حين دخل البصرة^(٢)

دخل وهو متقلد سيفًا متنكب قوسًا عربية ، فعلا المنبر فقال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضجع العمامة تعرفوني

(١) هذه الخطبة وردت في المصادر المتقدمة ، ما عدا النوادر لأبي عليّ القالي ، في ثنايا خطبه

البراء . (٢) وردت هذه الخطبة في كثير من كتب الأدب والتاريخ كالكمال للبرد (ص ٢١٥

طبع ليبسج) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١٦٤) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٧) والكمال لابن الأثير

(ج ٤ ص ٣٠٤ طبعه لندن) مع بعض الاختلاف : زيادة أو نقص أو تغير في بعض الكلمات .

١٠ - إن أمير المؤمنين نكَبُ عِيدَانَهُ بين يديه ، فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مكسراً ، فوجهني إليكم . ^(١) أَلَا فَوَاللَّهِ لَأَعْصِبَنَّكُمْ عَضَبَ السَّامَةِ ، ^(٢) وَلَا لِحُونَكُمْ لِحْوَالِ الْعُودِ ، وَلَا ضِرْبَكُمْ ضَرْبَ غِرَائِبِ الْإِبِلِ ، ^(٣) حَتَّى تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ ، وَحَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ : «أُنْجِ سَعْدٌ فَقَدْ قُتِلَ سَعِيدٌ» . ^(٤) أَلَا وَإِيَّايَ وَهَذِهِ الشُّقْفَاءُ وَالزَّرَافَاتِ ، ^(٥) فَإِنِّي لَا أُوتَى بِأَحَدٍ مِنَ الْجَالِسِينَ فِي زَرَافَةٍ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ . هكذا حدثني أحمد بن سعيد عن أبي عبيد في كتاب غريب الحديث . وقال لي غيره : هو إِيَّايَ وَهَذِهِ الشُّقْفَاءُ وَالزَّرَافَاتِ . وقد فسرتُ الحديثَ في كتابي المؤلفِ في غريب الحديث .

خطبة للمججاج أيضا

أَرْجَفَ النَّاسُ بِمَوْتِ الْمَجَّاجِ ، فَخَطَبَ فَقَالَ :

١٠ إن طائفةً من أهل العراق ، أهل الشقاق والنفاق ، نَزَعَ الشيطانُ بينهم ، فقالوا : مات المججاج ومات المججاج ! فمه ! وهل يرجو المججاج الخيراً إلا بعد الموت ! والله ما يسرني ألا أموتَ وأن لي الدنيا وما فيها ! وما رأيت الله رَضِيَ بالتخليد إلا لأهونَ خَلَقَهُ عَلَيْهِ إبليس . ولقد دعا الله العبدُ الصالحُ فقال : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) ، فأعطاه ذلك إلا البقاء . فما عسى أن يكون أيها الرجل !

١٥ (١) نكَب عِيدَانَهُ : طرحها . (٢) عصبه : قطعه . والسلمة : واحدة السلم ، وهو شجر من العضاء يتخذ منه القرظ الذي يدبغ به ، وهو شجر السنط . ولحا العود : قشره . (٣) كانت الإبل الغريبة إذا وردت مع إبل قوم ضربت وطردت . ضربه المججاج مثلاً في التهديد والإنذار . (٤) تقدم شرحه في خطبة زياد . (٥) في اللسان مادة «سقف» : «وأما قول المججاج : (إيأي وهذه الشققاء) فلا يعرف ما هو؛ وحكى ابن الأثير عن الزنجشري قال : قيل وهو تصحيف ، قال : والصواب شققاء جمع شقق لأنهم كانوا يجتمعون إلى السلطان فيشفعون في أصحاب الجرائم فنهاهم عن ذلك لأن كل واحد منهم يشفع للآخر كما نهاهم عن الاجتماع في قوله : إيأي وهذه الزرافات» . ومن هذا يعلم ما يرمى إليه المؤلف بالتعقيب بالرواية الثانية من التنبيه على الوجه الصحيح .

بالسقيم ، والمطيع بالعاصي ، والمقبل بالمدبر؛ فقال له : أسكت ، فوالله ما أجد
إلى ما أريد سبيلاً ، إلا أن أخوض إليه الباطل خوفاً . ثم نزل .

وقال في خطبة له أخرى^(١) :

حَرَامٌ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أَسْوَأَ بِهَا بِالأَرْضِ هَدْمًا وَإِحْرَاقًا . إِيَّايَ وَدَجَّ
الليل ، فَإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدْبِجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَإِيَّايَ وَدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ
أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحَدْتُمْ أَحْدَانًا ، وَأَحَدْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عَقُوبَةٌ ؛
فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْتَهُ ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْتَهُ ، وَمَنْ نَقَبَ بَيْنَنَا نَقَبْتُ عَنْ قَلْبِهِ ،
وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنْتُهُ فِيهِ حَيًّا ؛ فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ أَكُفِّ عَنْكُمْ . وَقَدْ كَانَتْ
بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ مِنْكُمْ أَشْيَاءٌ قَدْ جَعَلْتُمَا دَبْرًا ذَنْبِي وَتَحْتِ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا
فَلْيَزِدْ ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ . إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ السُّلَّ مِنْ بُغْضِي
لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا وَلَمْ أَهْنِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ
أُنَظِرْهُ ؛ فَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَتَنَفَّوْا أَمْرَكُمْ .

خطبة للحجاج حين دخل البصرة^(٢)

دخل وهو متقلد سيفًا متنكب قوسا عربية ، فعلا المنبر فقال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضجع العمامة تعرفوني

(١) هذه الخطبة وردت في المصادر المتقدمة ، ما عدا النوادر لأبي عليّ القالي ، في ثنايا خطبته

البراء . (٢) وردت هذه الخطبة في كثير من كتب الأدب والتاريخ كالكمال للبرد (ص ٢١٥

طبع ليبسج) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١٦٤) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٧) والكمال لابن الأثير

(ج ٤ ص ٣٠٤ طبعه لندن) مع بعض الاختلاف : بزيادة أو نقص أو تغيير في بعض الكلمات .

١٠ - إن أمير المؤمنين نكب^(١) عيدانه بين يديه ، فوجدني أمرها عوداً وأصلها مكسراً ، فوجهني إليكم . ألا فوالله لأعصبنكم^(٢) عصب السلّمة ، ولألحونكم لحو العود ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل^(٣) ، حتى تستقيم لي قناتكم ، وحتى يقول القائل : «أُنحُ سعدٌ فقد قُتل سعيد»^(٤) . ألا وإيأى وهذه الشفّاء والزرافات^(٥) ، فإنّي لا أوتى بأحدٍ من الجالسين في زرافةٍ إلا ضربتُ عنقه . هكذا حدّثني أحمد بن سعيد عن أبي عبيد في كتاب غريب الحديث . وقال لي غيره : هو إيأى وهذه الشفّاء والزرافات . وقد فسرتُ الحديث في كتابي المؤلف في غريب الحديث .

خطبة للحجاج أيضا

أرجف الناس بموت الحجاج ، فخطب فقال :

١٠ إن طائفة من أهل العراق ، أهل الشقاق والنفاق ، نزع الشيطان بينهم ، فقالوا : مات الحجاج ومات الحجاج ! فمة ! وهل يرجو الحجاج الخيراً إلا بعد الموت ! والله ما يسرنى ألا أموت وأن لي الدنيا وما فيها ! وما رأيت الله رضى بالتخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس . ولقد دعا الله العبدُ الصالحُ فقال : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) ، فأعطاه ذلك إلا البقاء . فما عسى أن يكون أيها الرجل !

١٥ (١) نكب عيدانه : طرحها . (٢) عصبه : قطعه . والسلّة : واحدة السلم ، وهو شجر من العضاء يتخذ منه القرظ الذي يدبغ به ، وهو شجر السنط . ولحا العود : قشره . (٣) كانت الإبل الغريبة إذا وردت مع إبل قوم ضربت وطردت . ضربه الحجاج مثلاً في التهديد والإنذار . (٤) تقدم شرحه في خطبة زياد . (٥) في اللسان مادة «سقف» : «وأما قول الحجاج : (إيأى وهذه الشفّاء) فلا يعرف ما هو ؛ وحكى ابن الأثير عن الزمخشري قال : قيل وهو تسحيف ، قال : والصواب شفّاء جمع شفيع لأنهم كانوا يجتمعون إلى السلطان فيشفعون في أصحاب الجرائم فنهاهم عن ذلك لأن كل واحد منهم يشفع للآخر كما نهاهم عن الاجتماع في قوله : إيأى وهذه الزرافات» . ومن هذا يعلم ما يرمى إليه المؤلف بالتعقيب بالرواية الثانية من التنبه على الوجه الصحيح .

وكلكم ذلك الرجل ! . كَأَنِّي وَاللَّهِ بِكُلِّ حَيٍّ مِنْكُمْ مَيِّتًا ، وَبِكُلِّ رَطْبٍ يَابِسًا ، وَتُقِيلُ فِي ثِيَابٍ أَكْفَانَهُ إِلَى ثَلَاثِ أَذْرُعٍ طُولًا فِي ذِرَاعِ عَرْضًا ، وَأَكَلَتْ الْأَرْضُ لَحْمَهُ وَمَقَصَّتْ صَدِيدَهُ ، وَانصَرَفَ الْحَبِيبُ مِنْ وَلَدِهِ يَقْسِمُ الْخَبِيثَ مِنْ مَالِهِ ؛ إِنْ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ يَعْلَمُونَ مَا أَقُولُ ، ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج

خطب فقال : أيها الناس إني أريد الحج ، وقد استخلفت عليكم ابني هذا ، وأوصيته بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه [وسلم] في الأنصار ؛ إن رسول الله أوصى أن يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَأَنْ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؛ وَإِنِّي أَمْرُهُ الْآلَا يُقْبَلُ مِنْ مُحْسِنِكُمْ وَلَا يُتَجَاوَزُ عَنْ مُسِيئِكُمْ . الْآلَا وَإِنَّمْ سَتَقُولُونَ بَعْدِي مَقَالَةٌ لَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ إِظْهَارِهَا إِلَّا مَخَافَتِي ، سَتَقُولُونَ بَعْدِي : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الصَّحَابَةَ ! الْآلَا وَإِنِّي مُعَجِّلٌ لَكُمْ الْجَوَابَ : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة للحجاج أيضا

خطب فقال في خطبته : سَوَّطِي سَيْفِي ، فَنَجَادُهُ فِي عُنُقِي ، وَقَائِمُهُ فِي يَدِي ، وَذُبَابُهُ قِلَادَةٌ لِمَنْ اغْتَرَبَنِي ! فَقَالَ الْحَسَنُ : بُوَسًّا لِهَذَا ! مَا أَغْرَهُ بِاللَّهِ ! .
 وحلف رجل بالطلاق أن المجاج في النار، ثم أتى امرأته فمَنَعَتْهُ نَفْسَهَا ؛ فَأَتَى ابْنَ سَيْرِينَ يَسْتَفْتِيهِ ؛ فَقَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، اِمِضْ فَكُنْ مَعَ أَهْلِكَ ، فَإِنَّ الْمَجَّاجَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي النَّازِلِ يَضْرُكُ أَنْ تَزْنِيَ .

(١) نجاد السيف : حمله . وقائمه مقبضه . وذبابه : طرفه الذي يضرب به .

(٢) في الاصل : حلف رجل ...

خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ^(١).

حدثني أبو سهل عن إسحاق بن سليمان عن شبيب بن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص، قال :

كان آخر خطبة خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم لم تُخلقوا عبثاً ، وإن تُتركوا سُدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، نخاب وخيسر من خرج من رحمة الله وحريم جنة عرضها السموات والأرض . ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر اليوم وخاف ، وباع ناقداً ^(٢) بباقي ، وقليلًا بكثير ، وخوفًا بأمان ! ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وستكون من بعدكم للباقيين كذلك ، حتى تُردَّ ^(٣) إلى خير الوارثين ! ثم إنكم في كل يوم تُسيعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نَجَبَهُ ، حتى تُغيبوه في صدع من الأرض في بطن صدع غير مؤسد ولا ممهد ، قد فارق الأحباب وياشر التراب وواجه الحساب ، فهو مرتين ^(٤) بعمله ، غنى عما ترك فقير إلى ما قدم . فاتقوا الله قبل انقضاء مَواقِيتِه ونزول الموت بكم ! أما إنى أقول هذا وما أعلم أن عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي ، فاستغفر الله وأتوبُ إليه . ثم رفع طرف رِدائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله .

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلاله ثم قال : كنت كذلك ما شئت أن تكون ، لا يعلم كيف أنت إلا أنت ، ثم ارتأيت أن تخلق الخلق ، فإذا جئت به من عجائب صنعمك ،

(١) وردت هذه الخطبة في البيان والنبين (ج ٢ ص ٦٠) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٥) بزيادة عما هنا - (٢) في الأصل : «وباع ناقداً...» بالقاف وهو تحريف . (٣) في الأصل : «وسكون... حتى يرد...»

وكلكم ذلك الرجل ! . كَأَنِّي وَانْتِ بَكْلٌ حَىَّ مِنْكُمْ مَيْتًا ، وَبِكَلٍ رَطِيْبٍ يَابِسًا ، وَنُقِلَ فِي ثِيَابٍ أَكْفَانُهُ إِلَى ثَلَاثِ أَذْرُعٍ طُوْلًا فِي ذِرَاعِ عَرْضَا ، وَأَكَلَتِ الْأَرْضُ لَحْمَهُ وَمَصَّتْ صَدِيدَهُ ، وَانصَرَفَ الْحَبِيْبُ مِنْ وَلَدِهِ بِقِسْمِ الْحَبِيْثِ مِنْ مَالِهِ ؛ إِنْ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ يَعْلَمُونَ مَا أَقُولُ ، ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة أخرى للمجاج حين أراد الحج

خطب فقال : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ ، وَقَدْ اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْكُمْ ابْنِي هَذَا ، وَأَوْصِيْتُهُ بِمُخْلَافٍ مَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَسَلَّمَ] فِي الْأَنْصَارِ ؛ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ أَوْصَى أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنٍ ، وَأَنْ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؛ وَإِنِّي أَمَرْتُهُ إِلَّا يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنٍ وَلَا يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ . إِلَّا وَإِنَّمَا سَتَقُولُونَ بَعْدِي مَقَالَةً لَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ إِظْهَارِهَا إِلَّا مَخَافَتِي ، سَتَقُولُونَ بَعْدِي : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الصَّحَابَةَ ! إِلَّا وَإِنِّي مُعَجِّلٌ لَكُمْ الْجَوَابَ : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة للمجاج أيضا

خطب فقال في خطبته : سَوَّطِي سَيْفِي ، فَنِجَادُهُ فِي عُنُقِي ، وَقَائِمُهُ فِي يَدِي ، وَذُبَابُهُ قِلَادَةٌ لِمَنْ اغْتَرَبَنِي ! فَقَالَ الْحَسَنُ : بُوْسًا لِهَذَا ! مَا أَغْرَبَهُ بِاللَّهِ ! .
(٢)
وَحَلَفَ رَجُلٌ بِالطَّلَاقِ أَنْ الْمَجَاجَ فِي النَّارِ ، ثُمَّ أَتَى امْرَأَتَهُ فَمَنَعَتْهُ نَفْسَهَا ؛ فَأَتَى ابْنَ سَيْرِينَ يَسْتَفْتِيهِ ؛ فَقَالَ : يَا بَنَ أُنْحَى ، إِمِضْ فَكُنْ مَعَ أَهْلِكَ ، فَإِنَّ الْمَجَاجَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي النَّارِ لَمْ يَضُرْكُ أَنْ تَزْنَى .

(١) نجاد السيف : حائله . وقائمه مقبضه . وذبابه : طرفه الذي يضرب به .

(٢) في الاصل : حلف رجل ...

خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ^(١).

حدثني أبو سهل عن إسحاق بن سليمان عن شعيب بن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص، قال :

كان آخر خطبة خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم لم تُخلقوا عبثاً ، وإن تُتركوا سُدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، نخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحريم جنة عرضها السموات والأرض . ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر اليوم وخاف ، وباع نافداً بباق ^(٢) ، وقليلًا بكثير ، وخوفًا بأمان ! ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وستكون من بعدكم للباقيين كذلك ، حتى تُردَّ ^(٣) إلى خير الوارثين ! ثم إنكم في كل يوم تُشيعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبّه ، حتى تُغيبوه في صدع من الأرض في بطن صدع غير مؤسد ولا ممهد ، قد فارق الأحباب وياشر التراب وواجه الحساب ، فهو مرتين ^(٤) بعمله ، غنى عما ترك فقير إلى ما قدم . فاتقوا الله قبل انقضاء مواقبته وتزول الموت بكم ! أما إنى أقول هذا وما أعلم أن عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي ، فأستغفر الله وأتوب إليه . ثم رفع طرف رداءه على وجهه فبكى وأبكى من حوله .

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلاله ثم قال : كنت كذلك ما شئت أن تكون ، لا يعلم كيف أنت إلا أنت ، ثم ارتأيت أن تخلق الخلق ، فإذا جئت به من عجائب صنعك ،

(١) وردت هذه الخطبة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٠) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٥)

بزيادة عما هنا . (٢) في الأصل : «وباع نافداً...» بالقاف وهو تحريف . (٣) في الأصل :

« وسبكون ... حتى يرد ... »

والكبير والصغير من خلقك ، والظاهر والباطن من ذرك : من صنوف أفواجه
وأفراده وأزواجه ، كيف أدبجت قوائم الذرة والبعوضة إلى ما هو أعظم من ذلك من
الأشباح التي امتزجت بالأرواح ! .

وخطب يوما فسقطت جرادة على ثوبه فقال : سبحان من الجراد
من خلقه ، أدبج قوائمها ، وطوقها جناحها ، ووثنى جلدها ، وسلطها على ما هو
أعظم منها .

خطبة للحجاج

خطب فقال : أيها الناس ، احفظوا فروجكم ، وخذوا الأنفس بضميرها ، فإنها
أسوك^(١) شيء إذا أعطيت ، وأعصى شيء إذا سئلت . وإني رأيت الصبر عن محارم
الله أيسر من الصبر على عذاب الله .

خطبة سليمان بن عبد الملك

خطب فقال : إن الدار دار غرور ومنزل باطل ، تضحك باكيا وتبكي
ضاحكا ، وتخيف آمنا وتؤمن خائفا ، وتفقر مثرى وتثرى مقترى ، مبالغة غرارة لعبابة
بأهلها ! عباد الله ! اتخذوا كتاب الله إماما ، وارترضوا به حكما ، واجعلوه لكم قائدا ،
فإنه ناسخ لما كان قبله ولم ينسخه كتاب بعده . اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو
كبد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس ، ظلام الليل إذا عسعس .

(١) أسوك : أضعف ، من ساك الرجل إذا مشى مشيا ضعيفا .

(٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٤) ، وفي الأصل : « دبار الليل ... » . وتنفس

الصبح : تليج وأسفر . وعسعس الليل : أظلم .

خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا
 حرصاً على الدنيا ولا رغبةً في الملك ، وما بي إطرأً نفسي ، وإني لظُلومٌ لها إن
 لم يرحمني الله ، ولكن خرجت غضباً لله وبينه ، داعياً إلى الله وإلى سنة نبيه ، لما
 هُدمت معالم الهدى ، وأطفئ نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد ، المستحل لكل
 حرمة ، والراكب لكل بدعة ، الكافر بيوم الحساب ، وإنه لأبْنُ عمِّي في النسب
 وكفيتني في الحسب ؛ فلما رأيت ذلك استخرتُ الله في أمره وسألته ألا يَكَلِّني إلى
 نفسي ، ودعوتُ إلى ذلك مَنْ أجابني من أهل ولايتي ، حتى أراح الله منه العباد ،
 وطهر منه البلاد ، بحوله وقوته لا بحولي وقوتي .

أيها الناس ، إن لكم على- ألا أضع حجراً على حجر ، ولا لبنةً على لبنة ، ولا أكرى^(١)
 نهراً ، ولا أكثر مالاً ، ولا أعطيته زوجاً ولا ولداً ، ولا أنقله من بلد إلى بلد حتى
 أسد نتر ذلك البلد وخصاصة أهله ، فإن فضل فضل نقلته إلى البلد الذي يليه .
 ولا أجرمكم في بؤوثكم فافتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أغلق بابي دونكم فإكل قوئكم^(٢)
 ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجلبهم به عن بلادهم وأقطع به نسلهم .
 ولكم على- إدرار العطاء في كل سنة والرزق في كل شهر ، حتى يستوى بكم الحال فيكون^(٣)
 أفضلكم كأدناكم . فإن أنا وفيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة^(٤)
 والمكافئة ، وإن لم أف لكم [فلكم] أن تخلعوني * إلا أن تستيبوني ، فإن أنا تبت^(٥)

(١) كرى النهر : حفرة . (٢) تجير المساكن : حبسهم في بلاد العدو أو الثغور . دون أن يرجعوا

إلى أهلهم . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) : «ولا أجرمكم في ثغوركم» . (٣) المكافئة :

المعازنة . (٤) التكلة منقولة من البيان والتبيين . (٥) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠)

وفي الأصل تستيبوني ، إن تبت

والكبير والصغير من خلقك ، والظاهر والباطن من ذّرك : من صنوف أفواجه
وأفراده وأزواجه ، كيف أدبجت قوائم الدّرة والبعوضة إلى ما هو أعظم من ذلك من
الأشباح التي امتزجت بالأرواح ! .

وخطب يوما فسقطت جرادة على ثوبه فقال : سبحان من الجراد
من خلقه ، أدبج قوائمها ، وطوقها جناحها ، ووشى جلدها ، وسلطها على ما هو
أعظم منها .

خطبة للحجاج

خطب فقال : أيها الناس ، احفظوا فروجكم ، وخذوا الأنفس بضميرها ، فإنها
أسوك^(١) شيء إذا أعطيت ، وأعصى شيء إذا سئلت . وإني رأيت الصبر عن محارم
الله أيسر من الصبر على عذاب الله .

خطبة سليمان بن عبد الملك

خطب فقال : إن الدار دار غرور ومتزل باطل ، تضحك بايما وتبكي
ضاحكا ، وتخيف آمنا وتؤمن خائفا ، وتفقّر مثرىا وتثري مقترا ، مبالغة غرارة لعبابة
بأهلها ! عباد الله ! اتخذوا كتاب الله إماما ، وارتضوا به حكما ، واجعلوه لكم قائدا ،
فإنه ناسخ لما كان قبله ولم ينسخه كتاب بعده . اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو
كيد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس ، ظلام الليل إذا عسعس^(٢) .

(١) أسوك : أضعف ، من ساك الرجل إذا مشى مشيا ضعيفا .

(٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٤) ، وفي الأصل : « دبار الليل ... » . وتنفس

الصبح : تليج وأسفر . وعسعس الليل : أظلم .

خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا
 حرصاً على الدنيا ولا رغبةً في الملك ، وما بي إطرأ نفسي ، وإني لظلوم لها إن
 لم يرحمني الله ، ولكن خرجت غضباً لله وبينه ، داعياً إلى الله وإلى سنة نبيه ، لما
 هُدمت معالم الهدى ، وأطفئ نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد ، المستحل لكل
 حرمة ، والراكب لكل بدعة ، الكافر بيوم الحساب ، وإنه لأبن عمي في النسب
 وكفيبي في الحسب ؛ فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره وسألته ألا يكلني إلى
 نفسي ، ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهل ولايتي ، حتى أراح الله منه العباد ،
 وطهر منه البلاد ، بحوله وقوته لا بحولي وقوتي .

أيها الناس ، إن لكم على - ألا أضع حجراً على حجر ، ولا لبنة على لبنة ، ولا أكرى
 نهراً ، ولا أكثر مالا ، ولا أعطيته زوجاً ولا ولداً ، ولا أنقله من بلد إلى بلد حتى
 أسد نتر ذلك البلد وخصاصة أهله ، فإن فضل فضل نقلته إلى البلد الذي يليه .
 ولا أجركم في بؤنكم فافتنكم وأقن أهليكم ، ولا أغلق بابي دونكم فياكل قلوبكم
 ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجلبهم به عن بلادهم وأقطع به نسلهم .
 ولكم على إدرار العطاء في كل سنة والرزق في كل شهر ، حتى يستوى بكم الحال فيكون
 أفضلكم كأدناكم . فإن أنا وفيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة
 والمكافئة ، وإن لم أف لكم [فلكم] أن تخلعوني * إلا أن تستيبوني ، فإن أنا تبت

(١) كرى النهر : حفره . (٢) نجر العساكر : حبسهم في بلاد المدثر أو الثغور . دون أن يرجعوا

إلى أهلهم . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) : « ولا أجركم في نفورك » . (٣) المكافئة :

المعارة . (٤) النكلة : مقولة من البيان والتبيين . (٥) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠)

وفي الأصل تستيبوني ، إن تبت ...

قبلتم مني ، وإن عرقتكم أحدا [يقوم مقامى ممن] ^(١) يعرف بالصّلاح يُعطيكم من نفسه مثل الذى أعطيتكم فأردتم أن تُبايعوه ، فأنا أول من بايعه ودخل في طاعته .
أيها الناس ، إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وأقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

- فلما بُويع مروانُ نبشَه وصَلَبه . وكانوا يقرعون في الكتب : يا مبدّر الكنوز ويا سجاداً بالأشجار، كانت ولايتك لهم رحمةً وعليهم حجة ، أخذوك فصَلَبوك .

خطبة أبي حمزة الخارجي ^(٢)

- خطب أبو حمزة الخارجي بمكة فذكر رسول الله صلى الله عليه [وسلم] ، ثم أبا بكر وعمر رضی الله عنهما بما هم أهلُه ، ثم قال : وولى عثمانُ فسارست سنين بسيرة صاحبيه وكان دونهما ، ثم سار في الست الأواخر بما أحبط [به] ^(٣) الأوائل ، ثم مضى لسبيله .
- ثم ولى معاوية لعين رسول الله وابن لعينه ، اتخذ عباد الله خوفاً ، وهال الله دُولا ، ودينه دغلاً ، ثم مضى لسبيله ، فألعنوه لعنه الله . ثم ولى يزيد بن معاوية ، يزيد الخمر ، ويزيد القُرود ، ويزيد الفهود ، الفاسق في بطنه والمأبون في فرجه . ثم اقتصم خليفة خليفة . فلما انتهى الى عمر بن عبد العزيز أعرض عن ذكره . ثم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال :
- يا كل الحرام ، ولبس الحلة بألف دينار ، قد ضربت فيها الأبخار ، وهتكت الأستار ، حبابه عن يمينه وسلامه عن يساره تغنيانه ، حتى إذا أخذ الشراب فيه كل ما أخذ قد ثوبه ثم التفت الى أحدهما فقال : ألا أظير ! نعم ! طر الى النار . ثم ذكر أصحابه

(١) الزيادة منقولة من البيان والتبيين . (٢) وردت هذه الخطبة كاملة في البيان والتبيين

(٣) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين . (ج ٢ ص ٦١) .

فقال : شبابُ واللهِ مُكتهلون في شبَابهم ، غَضِيضَةٌ عن الشرِّ أعينُهُم ، ثَقِيلَةٌ عن الباطل أرجاءُهُم ، أنضاءُ عِبَادَةٍ ، وأَطْلَاحٌ سَهْرٌ ، ^(١) ينظُرُ اللهُ اليهم في جوف الليل مُنْحَنِيةً أصْلَابُهُم على أجزاء القرآن ، قد أكلت الأرض رُكَبَهُم وأيديهم وجِبَاهَهُم ، واستقلُّوا ذلك في جنب الله ، حتى إذا رأوا السَّهَامَ قد فُوقَتْ ، والرماحَ قد أُشْرِعَتْ ، والسيوفَ قد انتُضِيَتْ ، وأرعدت الكتيبةُ بصواعق الموت ، مضى الشابُّ منهم قُدُماً ، حتى اختلفت رجلاه على عُنُقِ فرسه ، وتخصَّبت محاسنُ وجهه بالدماء ، فأسرعت إليه سباعُ الأرض وانحطَّت إليه بطيرُ السماء ، فكم من عينٍ في منقار طائرٍ طالما ^(٢) بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله ! وكم من كفٍّ زأبَتْ مِعْصَمَها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله ! ثم قال : أَوْه أَوْه وبكى ثم نزل .

خطبة لقطري الخارجي ^(٤)

ذَكَرَ فِيهَا الَّذِينَ قَالُوا مِنْ أَشَدِّ مَنَاقِبَةٍ ، فَقَالَ : حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يَدْعُونَ رُجْبَانَا ، وَأَنْزَلُوا فَلَا يَدْعُونَ ضَيْفَانَا ، وَجَعَلُوا لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَجْنَانَا ، وَمِنَ التَّرَابِ أَكْفَانَا ، وَمِنَ الرِّفَاتِ جِيرَانَا ، فَهَمَّ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ، إِنْ

(١) أنضاء : جمع نضو ، وهو الخفيف اللحم من التعب . وأطلاح : جمع طلح (بكر الطاء) وهو المهزول . (٢) في الأصل « طارما » وهو تحريف . والتصويب من البيان والتبيين والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٧) . (٣) أَوْه : كلمة معناها التحزن . وفيها لغات وهي : آؤه (بالماء وسكون الهاء) وآؤه بضم الهاء وآوره (بالماء وواو زين) وآوه (بكر الهاء) خفيفة وآوه (بفتح الهاء وسكون الواو فيها) وآه (بالماء وكسر الهاء) . (انظر اللسان مادة آوه) . (٤) وردت هذه الخطبة كاملة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٣) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) . (٥) في البيان والتبيين والعقد الفريد « وجعل لهم ... أجنان » ولعل روايتهما أكثر استقامة . (٦) أجنان : جمع جنن ، والجنن (بالتحريك) : القبر .

قبلتم مني ، وإن عرفتم أحدا [يقوم مقامى ممن] يُعرف بالصَّلاح يُعطيكُم من نفسه مثل الذى أعطيتكم فأردتم أن تُبايعوه، فأنا أولُ مَنْ بايعه ودَخَلَ فى طاعته .

أياها الناس، إنه لا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصية الخالق . وأقول قولى هذا وأستغفر الله العظيمَ لى ولكم .

- ٥ فلما بُوع مروانُ نَبَشَه وصَلَبَه . وكانوا يقرءون فى الكتب : يا مبدّر الكنوز ويا سجاداً بالأشجار، كانت ولايتك لهم رحمةً وعليهم حجة، أخذوك فصلبوك .

خطبة أبى حمزة الخارجى^(٢)

- خطب أبو حمزة الخارجى بمكة فذكر رسولَ الله صلى الله عليه [وسلم]، ثم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بما هم أهلُه، ثم قال : وولىَ عثمانُ فسارست سنين بسيرة صاحبه وكان دونهما، ثم سار فى الست الأواخر بما أحبط [به] الأوائل، ثم مضى لسبيله .
- ١٠ وولى على فلم يبلغ من الحق قصداً ولم يرفع [له] منارا، ثم مضى لسبيله . ثم ولى معاوية لعين رسول الله وابن لعينه، اتخذ عباد الله خوفاً، ومال الله دولا، ودينه دغلا، ثم مضى لسبيله، فآلعتوه لعنه الله . ثم ولى يزيد بن معاوية، يزيد الخجور، ويزيد القُرود، ويزيد الفهود، الفاسق فى بطنه والمأبون فى فرجه . ثم اقتصم خليفة خليفة . فلما انتهى الى عمر بن عبد العزيز أعرض عن ذكره . ثم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال :
- ١٥ يأكل الحرام، ويلبس الحلة بألف دينار، قد ضربت فيها الأبخار، وهتكت الأستار، حباة عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه، حتى إذا أخذ الشراب فيه كل ما أخذ قد نوبه ثم التفت الى إحداهما فقال : ألا أطير! نعم! طر الى النار . ثم ذكر أصحابه

(١) الزيادة منقولة من البيان والتبيين . (٢) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين

فقال : شبابُ اللهِ مُكْتَهَلُونَ فِي شَبَابِهِمْ ، غَضِيضَةٌ عَنِ الشَّرِّ أَعْيُنُهُمْ ، ثَقِيلَةٌ عَنِ الْبَاطِلِ أَرْجَاؤُهُمْ ، أَنْضَاءُ عِبَادَةٍ ، وَأَطْلَاحُ سَهْرٍ ، ^(١) يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مُنْحَنِئَةً أَصْلَابُهُمْ عَلَى أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ ، قَدْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ رُكَبَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَجِبَاهَهُمْ ، وَاسْتَقَلُّوا ذَلِكَ فِي جَنْبِ اللهِ ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا السَّهَامَ قَدْ فُوقَتْ ، وَالرَّمَاحَ قَدْ أُشْرِعَتْ ، وَالسِّيُوفَ قَدْ انْتَضَيْتْ ، وَأَرَعَدَتِ الْكُتَيْبَةُ بِصَوَاعِقِ الْمَوْتِ ، مَضَى الشَّابُّ مِنْهُمْ قُدُماً ، حَتَّى اخْتَلَفَتْ رِجْلَاهُ عَلَى عُنُقِ فَرَسِهِ ، وَتَحَضَّبَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ بِالْدمَاءِ ، فَاسْرَعَتْ إِلَيْهِ سِبَاعُ الْأَرْضِ وَانْحَطَّتْ إِلَيْهِ طَيْرُ السَّمَاءِ ، فَكَمْ مِنْ عَيْنٍ فِي مِتْقَارِ طَائِرٍ طَالَمَا بَكَى صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَوْفِ اللهِ ! وَكَمْ مِنْ كَفٍّ زَايَلَتْ مَعْصَمَهَا طَالَمَا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بِالسُّجُودِ لِلَّهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَوْهَ أَوْهَ وَبَكَى ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة لقطري الخارجي^(٤)

ذَكَرَ فِيهَا الَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَنَاقِبَةً ، فَقَالَ : حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعُونَ رُكْبَانًا ، وَأُنزِلُوا فَلَا يُدْعُونَ ضَيْفَانًا ، وَجَعَلُوا لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَجْنَانًا ، وَمِنَ التَّرَابِ أَكْفَانًا ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانًا ، فَهَمَّ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ، إِنْ

(١) أنضاء : جمع نضو ، وهو الخفيف اللحم من العنب . وأطلاح : جمع طلح (بكسر الطاء) وهو المهزول . (٢) في الأصل « طارما » وهو تحريف . والتصويب من البيان والتبيين والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٧) . (٣) أوه : كلمة معناها التحزن . وفيها لغات وهي : آوه (بالمد وسكون الهاء) وآؤه بضم الهاء وآوره (بالمد وواو ين) وآوه (بكسر الهاء) خفيفة وآوه (بفتح الهاء وسكون الواو فيها) وآه (بالمد وكسر الهاء) . (انظر اللسان مادة أوه) . (٤) وردت هذه الخطبة كاملة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٣) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) . (٥) في البيان والتبيين والعقد الفريد « وجعل لهم ... أجنان » ولعل روايتهما أكثر استقامة . (٦) أجنان : جمع جنن ، والجنن (بالتحريك) : القبر .

أَخْصَبُوا لِمَ يَفْرَحُوا، أَوْ أَخْطَوْا لِمَ يَقْنَطُوا؛ جَمِيعٌ أَوْحَادٌ، وَجِيْرَةٌ أَبْعَادٌ، لَا يُزُورُونَ وَلَا يُزَارُونَ . فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ، وَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ .

وفي خطبة ليوسف بن عمر :

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ! فَمَنْ مِنْ مُؤْمِلٍ أَمَلًا لَا يَبْلُغُهُ، وَجَامِعٍ مَالًا لَا يَأْكُلُهُ، وَمَانِعٍ مَاسُوفٍ يَتْرُكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمَنْ حَقَّ مَنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَامًا وَوَرَّثَهُ عَدُوًّا، إِحْتَمَلَ إِصْرَهُ وَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ آسَفًا لَاهِفًا، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

وفي خطبة للحجاج :

قال مالك بن دينار: سمعته على المنبر يقول: ^(٢) امرأ زور عمله امرأ حاسب نفسه، امرأ فكر فيما يقرؤه في صحيفته ويراه في ميزانه، امرأ كان عند هواه زاجرا، وعند ^(٣) همته آمرا، أخذ بعنان قلبه كما يأخذ ^(٤) بنظام جملة، فإن قاده الى طاعة الله تبعه، وإن قاده الى معصية الله كفه .

خطبة للمنصور

خطب المنصور بمكة فقال : أيها الناس، إنما أنا سلطانُ الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتأييده وتأييده وتبصيره، وخازنُهُ على فيئِهِ أَعْمَلُ فِيهِ بِمَشِيئَتِهِ، وَأُقْسِمُ بِإِرَادَتِهِ، وَأُعْطِيهِ بِإِذْنِهِ، قَدْ جَعَلَنِي عَلَيْهِ قُفْلًا إِذَا شَاءَ أَنْ يَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ وَقَسَمُ أَرْزَاقَكُمْ فَتَحَنِي، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُقْفِلَنِي عَلَيْهَا أَقْفِلَنِي . فَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ وَأَسْأَلُوهُ

(١) الإصر : الثقل . (٢) في العقد « أمرؤ... » بالرفع . وزور عمله : حسنه .

(٣) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٦) وفي الأصل « عند قلبه... » . (٤) كذا في العقد الفريد

وفي الأصل : « بنان عمله ... » . (٥) كذا في العقد الفريد، وفي الأصل : « بشيته ... » .

في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه، اذ يقول :
 (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أن يوفقي
 للصواب والرشاد، ويُلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم، ويفتحني لإعطائكم وقسم
 أرزاقكم بالعدل عليكم .

خطبة لداود بن علي

خطب فقال : أحرز لسان رأسه، اتعظ أمرؤ بغيره، اعتبر عاقل قبل أن يُعتبر
 به، فأمسك الفضل من قوله وقدم الفضل من عمله . ثم أخذ بقائم سيفه فقال :
 إن بكم داءً هذا دواؤه، وأنا زعيمٌ لكم بشفائه، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع .

خطبة لداود بن علي أيضا

لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر قام بوجه كورقة المصحف فاستحيا
 فلم يتكلم، فنهض داود بن علي حتى صعد المنبر، فقال المنصور : فقلت في شيخنا
 وكبيرنا ويدعو إلى نفسه فلا يختاف عليه آثان، فانتضيت سيفي وغطيت ثوبي
 وقلت : إن فعل ناجزته، فلما رقي عتبا استقبل الناس بوجهه دون أبي العباس، ثم
 قال : أيها الناس، إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله، ولا أثرُ الفعال عليكم
 أجدى من تشقيق المقال، وحسبكم بكتاب الله ممثلا فيكم، وابن عم رسول الله
 خليفة عليكم . والله قسما برا لا أريد إلا الله به ما تام ههذا المقام أحد بعد رسول
 الله أحق به من علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا، فليظن ظأنكم وليهمس
 هامسكم . قال أبو جعفر : ثم نزل وشمت سيفي .

(١) تشقيق الكلام : إنجازه أحسن مخرج . (٢) شام سيفه : أغمدته، ويستعمل بمعنى

خطبة لأعرابي^(١)

أما بعد، فإن الدنيا دارُ بلاءٍ والآخرة دارُ بقاءٍ، فخذوا أيها الناس لمقرنكم من ممركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، ففي الدنيا أحييتم ولغيرها خلقتكم. أقول قولي هذا، والمستغفرُ الله، والمدعوُ له الخليفةُ ثم الأميرُ جعفر بن سليمان .

خطبة المأمون يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه، ومستوجبه على خلقه، أحمدُه وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده، والعمل لما عنده، والتنجز لوعده، والخوف لوعيده؛ فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه، وعمل له وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله وبادروا أعمالكم بأعمالكم، وأبتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم، وترحلوا فقد جد بكم، واستعدوا للموت فقد أظلمكم، وكونوا قوماً صريح بهم فأنتهبوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا؛ فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى؛ وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به . وإن غاية تقصص اللحظة وتهديمها الساعة الواحدة بلحيرة يقصر المدة^(٢)، وإن غائباً يحذوه الحديدان الليل والنهار الحري بمرعة الأوبة، وإن قادماً يحل بالفوز أو بالشقوة مستحق لأفضل العدة، فاتق عبد ربه، ونصع نفسه، وقدم توبته، وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكل به : يزین له المعصية ليركبها ، ويمنيه التوبة لیسوفها ، حتى تهجم

(١) وردت هذه الخطبة في الأمانى لأبي عليّ القالي (ج ١ ص ٢٥٤ طبع دار الكتب المصرية)

زيادة عما في الأصل هنا . (٢) لذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) . وفي الأصل : «جدير» .

عليه منيته أغفل ما يكون عنها . فيالها حسرة على ذي غفلة : أن يكون عمره عليه
 حجة ، أو تؤدّيه أيامه إلى شقوة ! نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطره نعمة ،
 ولا تُقصر به عن طاعته غفلة ، ولا تُحلّ به بعد الموت فزعة^(١) ، إنه سميع الدعاء ، وبيده
 الخير ، وإنه فعّال لما يريد .

وفي خطبة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأول :

إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشریفه ، وعظم حرمة ، ووفق
 له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خليله ، وفدى فيه من الذبح نبيه ، وجعله خاتم
 الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدّم الأيام المعدودات من النفر؛ يوم حرام من أيام
 عظام في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن
 بتعظيمه ، قال الله جل وعزّ : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) الآيات ؛ فتقربوا إلى الله
 في هذا اليوم بذبائحكم ، وعظّموا شعائر الله واجعلوها من طيب أموالكم وبصحة
 التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ
 التَّقْوَى مِنْكُمْ) ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد
 ذكر الجنة والنار : عَظُمَ قَدْرُ الدَّارَيْنِ وَارْتَفَعَ جِزَاءُ الْعَمَلِينَ وَطَالَتْ مَدَّةُ الْفَرِيقَيْنِ
 اللَّهُ اللَّهُ ! فوالله إنه الجِدُّ لا اللَّعِبُ ، وإنه الحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت
 والبعث والميزان والحساب والقصاص والصراط ثم العقاب والثواب ، فمن نجا
 يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب . الخير كله في الجنة ، والشركه
 في النار .

(١) كذا بالعقد الفريد ، وفي الأصل « سرعة » .

(٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) والمراد بالعلمين عمل الخير وعمل الشر . وفي الأصل :

«العلمين» .

وفي خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول :

إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ وَسُنَّةٌ وَابْتِهَالٌ وَرَغْبَةٌ ، يَوْمٌ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَافْتَتَحَ بِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، بِفَعْلِهِ خَاتَمَةَ الشَّهْرِ وَأَوَّلَ أَيَّامِ شَهْرِ الْحَجِّ ، وَجَعَلَهُ مُعَقِّبًا لِمَفْرُوضِ صِيَامِكُمْ وَمُتَنَفِّلًا قِيَامِكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ؛ فَاطْلُبُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمْ وَاسْتَغْفِرُوهُ لِتَفْرِيطِكُمْ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : لَا كَبِيرَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ . ثُمَّ التَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَذِكْرُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى . ثُمَّ قَالَ : فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا الْأَمْرَ الَّذِي اعْتَدَلَ فِيهِ يَقِينُكُمْ ، وَلَمْ يَحْتَضِرِ الشُّكَّ^(١) فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ ، وَهُوَ الْمَوْتُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا تُسْتَقَالُ بَعْدَهُ عَثْرَةٌ ، وَلَا تُحْظَرُ قَبْلَهُ تَوْبَةٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ إِلَّا دُونَهُ وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقَهُ . وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ وَعِزِّهِ وَكُرْبِهِ ، وَلَا يُعِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلْمَتِهِ وَضِيقِهِ وَوَحْشَتِهِ وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَائِكَتِهِ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ . فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ ، وَفَانْتَهَ اسْتِقَالَتُهُ ، وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يَجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَدَّلَ مِنَ الْفِيئَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ . فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ! وَكُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا إِذْ مَنَعَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَتَّى الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْمَهْلُ الْمَبْسُوطَ لَكُمْ . وَاحذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ لَوْضَعِ مَوَازِينِكُمْ ، وَنَشْرِ صُحُفِكُمْ الْحَافِظَةَ لِأَعْمَالِكُمْ . فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَنْتَقِلُ بِهِ ، وَمَا يَمِيلُ فِي صَحِيفَتِهِ^(٢) الْحَافِظَةَ لِمَا عَلَيْهِ وَهُوَ ؛ فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمَفْرُطُونَ عِنْدَهَا إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : (وَوَضَعَ الْكِتَابُ فِتْرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ) الْآيَةُ . وَقَالَ : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) . وَلَسْتُ أَنَا كَمِ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمَ مِمَّا نَهَيْتُمْ

٢٠ (١) احتضر : مثل حضر . (٢) العزب بالتحريك : ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة واضطراب . (٣) في العقد الفريد : «الأجل» . (٤) يميل : يميل .

الدنيا عن نفسها ، فإنه كل ما لها ينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو الى غيرها . وأعظم مما رأته أعينكم من عجائبها ذمُّ كتاب الله لها ونهى الله عنها ، فإنه يقول : (فَلَا تَغْرِبُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وقال : (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) الآية . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبيخبار الله عنها ، واعلموا أن قومًا من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها ، وجانبوا خدائنها ، وآثروا طاعة الله فيها ، فأدركوا الجنة بما تركوا منها .

كلام من أرتج عليه

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا عيسى بن عمر قال : خطب أمير مرسية فاقطع نخجل ، فبعث الى قوم من القبائل عابوا ذلك ولقَّهم^(١) ، وفيهم يربوعي جلد ، فقال : اخطبوا ، فقام واحد فتر في الخطبة ، حتى اذا بلغ "أما بعد" قال : أما بعد أما بعد ، ولم يدري ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أريد أن أجمع اليوم فمنعتني . وخطب آخر ، فلما بلغ "أما بعد" بقى ونظر فإذا إنسان ينظر اليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه وتلمحني ببصرك أيضاً ! . قال وقال أحدهم : رأيت القراقير من السفن تجرى بيني وبين الناس . قال : وصعد اليربوعي فخطب فقال : أما بعد فوالله ما أدري ما أقول ولا فيم أقتموني ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل في الزيت ؛ فقال : الزيت مبارك ، فكلوا منه وآدِهِنُوا . قال : فهو قول الشطار اليوم اذا قيل : لم فعلت ذا ، فقل في شأن الزيت وفي حال الزيت .

ولما أتى يزيد بن أبي سفيان الشام واليا لابي بكر رضى الله عنه ، خطب فأرتج عليه ، فعاد الى الحمد لله فأرتج عليه ، فعاد الى الحمد لله ثم أرتج عليه ، فقال : يا أهل

(١) لفهم : جمعهم . (٢) في الأصل : «أحدهما» . (٣) القراقير : السفن العظيمة ، واحدها قرقور . (٤) الشطار : جمع شاطر ، وهو من أعيا أهله خبثا ، والمراد بالسطار هنا : أهل الدعارة والفنك وأصحاب النوادر والتكيت والمضحكات .

الشَّامُ عسى الله أن يجعل من بعد عُسرٍ يُسرًا، ومن بعد عيِّ بيانا، وأتم إلى إمامٍ عادلٍ^(١)
أحوجُ منكم إلى إمامٍ قائلٍ . ثم نزل . فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صعيد ثابتٌ قُطْنَةٌ منبراً بسجستانٍ فحمد الله ثم أرتج عليه ، فنزل وهو يقول :

فإلا أكنُ فيكم خطيباً فإني * بسيفي إذا جدَّ الوغى لخطيبُ

فقيل له : لو قلتها على المنبر كنت أخطب الناس .

وأرتج على عبد الله بن عامر بالبصرة يوم أضحى ، فمكث ساعة ثم قال : والله
لا أجمع عليكم عيًّا ولؤمًا، من أخذ شاةً من السوق فهي له وثمنها علي .

وأرتج على خالد بن عبد الله القسري فقال : إن هذا الكلام يجيء أحياناً ويعزبُ
أحياناً، وربما طُلب فآبى، وكو برفعسا، فالتأني لمحيه، أيسرُ من التعاطي لأبيه، وقد
يختلط من الجريء جنانه، وينقطع من الذرب لسانه، فلا يُطره ذلك ولا يكسره،
وسأعود إن شاء الله .

وأرتج على معن بن زائدة فضرب المنبر برجله ثم قال : "قتي حروبٍ لا قتي منابر" .

وكان عبد ربه اليشكري عاملاً لعيسى بن موسى على المدائن ، فصعد المنبر فحمد الله
وأرتج عليه فسكت ، ثم قال : والله إني لأكون في بيتي فتجىء على لساني ألف كلمة ،
فاذا قمتُ على أعوادكم هذه جاء الشيطان فمحاها من صدري ، ولقد كنت وما في الأيام
يومٌ أحبُّ إلي من يوم الجمعة ، فصرتُ وما في الأيام يومٌ أبغضُ إلي من يوم الجمعة ،
وما ذلك إلا لخطبتكم هذه .

(١) في المصادر التي بين أيدينا : « إلى أمير فاعل ... » . (٢) قطنة لقب ثابت هذا لقب به

لأن عيه أصيبت بسرقة ، فكان يحشوها بالقطن . وصحت إضافة ثابت إلى قطنة لأن الأسماء تصح

إضافتها إلى ألقابها . (٣) عسا : اشتد وصعب .

صَعِدَ رَوْحُ بِنِ حَاتِمِ الْمَنْبَرِ، فَلَمَّا رَأَى جَمَعَ النَّاسِ بِحِصْرٍ، فَقَالَ : تَنَكَّسُوا رِءُوسَكُمْ
وَعُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَرَكِبٍ صَعَبٌ، وَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَ قُفْلَ تَيْسَرٍ .
وَدُعِيَ رَجُلٌ لِيُخَطَبَ فِي نِكَاحِ فَحِصْرٍ، فَقَالَ : لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَتْ أَمْرَأَةٌ حَضْرَتْ : أَلْهَذَا دَعْوَانَا ! أَمَاتَكَ اللَّهُ ! .
قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : نِعِمَّ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ لَوْلَا فَعْقَعَةُ الْبَرِيدِ وَالتَّشْرِفُ لِلْخُطْبِ .
قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ : عَجَّلْ عَلَيْكَ الشَّيْبُ، فَقَالَ : كَيْفَ لَا يُعَجِّلُ عَلَيَّ وَأَنَا أَعْرِضُ
عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ .
وَوَلِيَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يُعْرَفُ بِالذَّنْدَانِ بِجَرَايِمَةِ، فَلَمَّا صَعِدَ الْمَنْبَرَ أُرْتِجَ عَلَيْهِ،
فَقَالَ : حَيَّا اللَّهُ هَذِهِ الْوَجُوهَ وَجَعَلَنِي فِدَاءَهَا، إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ طَائِفِي بِاللَّيْلِ الْآلِ يَرَى
أَحَدًا إِلَّا أَتَانِي بِهِ وَإِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ . ثُمَّ نَزَلَ .

المنابر

قال بعض المفسرين في قول الله جل وعز ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ إنه المنبر . وقال :
الشاعر :

لَنَا الْمَسَاجِدُ نَبْنِيهَا وَنَعْمُرُهَا * وَفِي الْمَنَابِرِ قَعْدَاتٌ لَنَا ذُلُّ
فَلَا تَقِيلُ عَلَيْهَا حِينَ نَزَكِبَهَا * وَلَا لَهْفٌ لَنَا مِنْ مَعْشِرٍ بَدَلُ

وقال الكُمَيْتُ يَذْكَرُ بِنِي أُمِيَّةَ :

مُصِيبٌ عَلَى الْأَعْوَادِ يَوْمَ رُكُوبِهِ * لَمَّا قَالَ فِيهَا، مُخْطِئٌ حِينَ يَنْزِلُ
يُسَبِّهُهَا الْأَشْبَاهَ وَهِيَ نَصِيْبُهُ * لَهُ مَشْرَبٌ مِنْهَا حَرَامٌ وَمَا كَلُّ

(١) كذا في الأصل والعقد الفريد ، وقواعد اللغة تفتضى أن يكون : « ولو كنت أنا إياه » .

(٢) الضمير للدنيا .

وقال بعض المحدثين

فأمنبر دئسته باسيت "أفكلي" * بزك ولو طهرته باين "طاهر"
ومر الأقيشر بمطر بن ناجية اليربوعى حين غلب على الكوفة في أيام الضحاك
ابن قيس الشارى ومطر يخطب، فقال :

أبني تميم ما لمنبر ملككم * لا يستمر قعوده يتمر^(١)
إن المنابر أنكرت أشباهكم * فادعوا خزيمة يستقر المنبر^(٢)
خلعوا أمير المؤمنين وبيعوا * مطراً لعمرك بيعة لا تظهر
وأستخلفوا مطراً فكان كقائل * بدل لعمرك من أمية أعور

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان فسقط القضيبي من يده، فتفاعل له
عدوه بالشر وأغتم صديقه، فعرف ذلك قتيبة فقال : ليس الأمر على ما ظن العدو
وخاف الصديق، ولكنه كما قال الشاعر :

فألفت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر

وقال واثلة بن خليفة السدوسي يهجو عبد الملك بن المهلب :

لقد صبرت للذل أعواد منبر * تقوم عليها في يدك قضيبي
بكي المنبر الغربي إذ قمت فوقه * وكادت مسامير الحديد تذوب

تم كتاب العلم وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله،
ويتلوه في الكتاب السادس كتاب الزهد .

والحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

(١) يتمر : يحرك .

(٢) في الشعر والشعراء للزلف (ص ٣٥٣) «أنكرت أسنابكم» .

صورة ما كتبه الناسخ بخطه في آخر النسخة الفتوغرافية

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري،

وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

قال بعضهم : بُني الإسلامُ على خمسة : التواضع عند الدولة، والعفو عند

القدرة، والسخاء مع القيلة، والعطية من غير مينة، والنصيحة للعامة .

وقال بعض الشعراء في الصبر :

وَإِذَا ابْتَلَيْتَ بِمِحْنَةٍ فَالْبَسْ لَهَا * ثَوْبَ السُّكُوتِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَسْلَمُ

لَا تَشْكُوتْ إِلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا * تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ

وَيُرَوَّى لِلشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

نَعِيبُ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا * وَمَا لَزَمَانِنَا عَيْبُ سَوَانَا

وَقَدْ نَهَجُوا الزَّمَانَ بِغَيْرِ جُرْمٍ * وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بِنَا هَجَانَا

فَدُنْيَانَا التَّصَنُّعُ وَالتَّرَائِي * وَنَحْنُ بِهِ نُتَخَادَعُ مِنْ يَرَانَا

وَلَيْسَ الذُّئْبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذئِبٍ * وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عِيَانَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الزهد

[ما] أوحى الله جلّ وعزّ الى أنبيائه عليهم السلام

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا خلف بن تميم عن أبي عصمة الشامي عن ابن
أخت وهب بن منبه عن وهب قال : أوحى الله الى نبي من أنبياء بني إسرائيل
يقال له "أرمياء" حين ظهرت فيهم المعاصي : أن قم بين ظهرائي قومك فأخبرهم
أن لهم قلوبا ولا يفقهون ، وأعيننا ولا يبصرون ، وآذاننا ولا يسمعون ، وأنّي تذكّرتُ
صلاح آبائهم ، فعطفتني ذلك على أبنائهم ، سلهم كيف وجدوا غيب طاعتي ، وهل
سعد أحدٌ من عصائي بمعصيتي ، وهل شقي أحدٌ ممن أطاعني بطاعتي ! إن الدوابّ
تذكرُ أوطانها فتزجّع إليها ، وإن هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمتُ عليه
آبائهم ، واتمسوا الكرامة من غير وجهها . أما أحبارهم فأنكروا حقّي ، وأما قزاقهم

(١) لم نعر على هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا . وإما الموجود بها عصمة بن راشد
الأملاوي (بضم الهمزة واللام وسكون الميم بينهما) شامي مجهول يروي عن بعض التابعين كحبيب ابن عبيد ،
ويوجد بها أيضا أبو عصمة وهو نوح بن مريم الجامع أحد رواة المغازي ومن يذكر بوضع الحديث ، ولكنه
مروزي وليس بشامي (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني في اسم عصمة واسم نوح بن أبي مريم) .

فعبدوا غيري ؛ وأما نساكهم فلم ينتفعوا بما علموا من حكمتي ؛ وأما ولاتهم فكذبوا
على- وكذبوا رسلي ، خزنوا المكر في قلوبهم ، وعزّذوا الكذبَ ألسنتهم ؛ وإني
أقسم بجلالي وعزتي لأهيجنّ عليهم جنودا لا يفقهون ألسنتهم ، ولا يعرفون
وجوههم ، ولا يرحمون بكاءهم ؛ ولأبتعنن فيهم مليكا جبارا قاسيا ، له عساكر
كقطع السحاب ، ومواكب كأمثال العجاج ، كان خفقان راياته طيران النسر ،
وكان حمل فرسانه كالعقبان ، يعيدون العمران خرابا ، ويتركون القرى وحشة .
فيا ويل إيلياء وسكاتها ! كيف أذلّهم للقتل ، وأسلط عليهم السباء ، وأعيد بعد الحب
الأعراس صراخ الهام ، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب ، وبعد شرفات القصور
مساكن السباع ، وبعد ضوء السرج رهب العجاج . ولأبدلن رجالهم بتلاوة الكتاب
آنتهار الأرباب ، وبالعزيز الذل ، وبالنعمة العبودية . ولأبدلن نساءهم بالطيب
التراب ، وبالمشي على الزرابي الخبب ؛^(٢) ولأجعلن أجسادهم زبلا للأرض ،
وعظامهم ضاحية للشمس . وفي رواية أخرى : ولأدوسنهم بالوان العذاب ،
حتى لو كان الكائن خاتما في يميني أوصلت الحرب إليه ؛ ثم لأمرن السماء
فلتكونن طبقا من حديد ، والأرض فلتكونن سبيكة من نحاس ، فإن أمطرت
السماء وأنبتت الأرض شيئا في خلال ذلك فبرحتي للبهائم ، ثم أحبسه في زمن الزرع
وأرسله في زمن الحصاد ، فإن زرعوا خلال ذلك شيئا سلطت عليه الآفة ، فإن
خلص منه شيء نزعته منه البركة ، فإن دعوني لم أجبهم ، وإن سألوا لم أعطيهم ،
وإن بكوا لم أرحمهم ، وإن نصرعوا صرفت وجهي عنهم .

(٢) الزرابي : البسط والخبب (وزان عنب) :

(١) إيلياء : مدينة بيت المقدس .

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب: أن الله عز وجل أوحى إلى موسى بن منسى^(١) بن يوسف أن قل لقومك: إني بريء ممن سحر أو سحر له، أو تكهن أو تكهن له، أو تطير أو تطير له، من آمن بي صادقاً فليتوكل علي صادقاً، فكفى بي مثيباً؛ ومن عدل عني ووثق بغيري فإني خير شريك أرد عليه ما توصل به إلى، وأكله إلى من توكل عليه؛ ومن وكنه إلى غيري فليستعد للفتنة والبلاء.

وحدثني بهذا الإسناد قال: أوحى الله إلى داود عليه السلام في الزبور: يا عبدي الشكور! إني قد وهبت لك الزبور، وأتبعته بنصح مني من أعين السطور، ومن الوحي المحفوظ المحجوب من وراء الستور، فاعبدني به في الأيام والليالي والشهور؛ وأحسبني من كل قلبك، وحببني إلى خلقي، وأبغض من عبادي كل منافق جهول.

قال: يارب، كيف أحبيك إلى خلقك؟ قال: تذكركم آلائي.

وبهذا الإسناد قال: أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة، وكانت مُحففة أمثالا وعبرة وتسبيحا وتجييدا وتهليلاً، فكان فيها: أيها الملك المسلط المغرور المبتلى، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولتبنى المدائن والحصون، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها ولو كانت من كافر.

وبهذا الإسناد أن الله تعالى قال لشعيا: قم في قومك أوج على لسانك؛ فلما قام شعيا أنطق الله لسانه بالوحي، فقال: يا أسماء استمعي، يا أرض أنصتي، فأنصتت الأرض واستمعت السماء؛ فقال: إن الله يقول لكم: إني استقبلت بني إسرائيل

(١) في الأصل: «ميشا» وهو تحريف والتصويب عن التوراة (سفر التكوين ٥١: ٤١)

طبع بيروت. (٢) كذا في قصص الأنبياء لأبي اسحاق الثعلبي طبع المطبعة البية سنة ١٣٠١ هـ

وفي الأصول «عدل بي». (٣) كذا في الأصول، وفي قصص الأنبياء «فأنا أغنى الشركاء.

عن الشركة، أكله إلى من وثق به دوني. ومن وكنه... الخ».

بالكرامة وهم كالغنم الضائعة لا راعي لها، فأويت شاذتها، وجمعت ضالتها، وجبرت كسيراها، وداويت مريضها، وأسمنت مهزولها، فبطرت فتناطحت، فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يُجبر اليه آخر كسيرة. إن الحمار مما يتذكر آريه الذي شبع عليه فراجعه، وإن الثور مما يتذكر مرجه الذي بين فيه فينتابه، وإن البعير مما يتذكر وطنه الذي تُتبع فيه فينزح اليه، وإن هؤلاء القوم لا يدكرون أني جاءهم الخير وهم أهل الألباب وأهل العقول، ليسوا بإبل ولا بقير ولا حمير. وإني ضارب لهم مثلا فاسمعوه : قل لهم : كيف ترون في أرض كانت زمانا من زمانها خربة مواتا لا تحث فيها، وكان لها رب قوي حليم، فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوي وأن يقال له ضيع وهو عليم، فأحاط عليها سياجا وشيد فيها قصرا وأنبت فيها نورا وصنف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب والبوان الثمار، وولى ذلك ذارأي وهمة حفيظا قويا أميناً، فلما جاء إبان إثمارها أثرت تحروبا، ما كنتم قائلين له ومشيرين عليه؟ قالوا : كنا نقول : بثست الأرض أرضك، ونشير عليه أن يقطع سياجها، ويهدم قصرها، ويدفن نهرها، ويحرق غرسها حتى تعود خربة مواتا لا عمران فيها، قال الله تعالى : قل لهم، إن السياج ذمتي، وإن القصر شريعتي، وإن النهر كتابي، وإن القيم نبي، وإن الفرس مثل لهم، والخزوب أعمالهم الحبيثة، وإني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم، يتقربون إلى بذبح الغنم والبقر وليس ينالني اللحم ولا آكله، ويدعون أن يتقربوا إلى التقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها ويشيدون لي البيوت ويزوقون لي المساجد، وأنى حاجة بي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها، وإلى تزويق المساجد ولست أدخلها، إنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح، ويتجسسون أنفسهم وعقولهم

(١) الآرى : محبس الدواب وحبل تشد به في محبسها .

- وقلوبهم ويخربونها، يقولون: لو كان يقدرُ على أن يجمعَ ألفتنا لجمعها، ولو كان يقدر على أن يفقهَ قلوبنا لفقها . فاعمدُ الى عودين يابسين فاكتب فيهما كتابا ثم ائت ناديهما أجمع ما يكونون، فقل للعودين : إن الله يأمركما أن تعودا عودا واحدا، فقال لهما ذلك ، فاختلطا فصارا عودا واحدا ، وصار الكتاب في طرفي العود كتابا واحدا : يامعشر القبائل ، إن الله يقول لكم : إني قدرت على أن أفقه العيدان اليابسة وعلى أن أوّلف بينما، فكيف لا أقدرُ على أن أجمع ألفتكم إن شئت ! أم كيف لا أقدرُ على أن أوّلف قلوبكم ! يقولون : صمنا فلم يرفع صيامنا وصاينا فلم تنور صلاتنا وزكينا فلم تزك زكائنا ، ودعونا بمثل حنين الحمام ، وبكينا بمثل عواء الذئاب ، في كل ذلك لا يُسمع منا ولا يُستجاب لنا ، قال الله تبارك وتعالى : سلهم لم ذلك وما الذي منعى أن أجيبهم ؟ ألسنتُ أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المهيئين وأرحم الراحمين ! الآن خرائني فبيّت ! كيف ويداي مبسوطتان بالخير أنفي كيف أشاء ! أم لأن ذات يدي قلت ! كيف ومفاتيح الخير بيدي لا يفتحها ولا يغلّقها غيري ! أم لأن رحمتي ضاقت ! كيف ورحمتي وسعت كل شيء ، وإنما يتراحم بفضلها المتراحمون ! أم لأن البخل يعتريني ! كيف وأنا النّفّاح بالخيرات أجودُ من أعطى وأكرمُ من سُئل ! ولكن كيف أرفعُ صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقنون عليه بطعمة الحرام ! كيف أنورُ صلاتهم وقلوبهم صاغيةً الى من يُحدّثني ويتك محارمي ! أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قولٌ بالسنتهم والعملُ من ذلك بعيد ! أم كيف تزكو صدقاتهم وهي من أموال غيرهم ! وإنما أجرى عليها المفصوبين . وإن من علامة رضاي رضا المساكين .

(١) كذا في قصص الأنبياء وفي الأصل «قلوبهم» وهو تحريف . (٢) في قصص الأنبياء . (ص ٢٥٢) : «فلم تنور قلوبنا...» .

قال وهب : وفيما ناجى الله به موسى عليه السلام : لا تُعجبك زينة ولا ما مُتَّعَ به ، ولا تُمَدِّدْ الى ذلك أعينك فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين . ولو شئت أن أُزِينَكَا بزينة يعلم فرعون حين ينظر اليها أن مقدرته تَعِجْزُ عما أُوتيتما فَعَلْتُ ، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما ، وكذلك أفعل بأوليائي ، إني لأذودهم عن نعيمها ورخاؤها كما يذود الراعي الشفيقُ غنمه عن مراعي الهلكة ، وإني لأحميهم عيشها وسلوتها ^(١) كما يُجَنِّبُ الراعي الشفيقُ إبله مبارك العر ، وما ذاك لهوأنهم على ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا لم يكلمه الطمع ^(٢) ولم يُطَبِّعه الهوى ^(٣) . واعلم أنه لن يترين العباد بزينة أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا ، إنما هي زينة الأبرار عندي ، وأنقى ما تزين به العباد في عيني عليهم منها ، لباس يُعرفون به من السكينة والخشوع ، سِيَاهِم النحول والسجود ، أولئك أوليائي حقا . فاذا لقيتهم فاخفِضْ لهم جناحك ، وذلل لهم قلبك ولسانك .

واعلم أنه من أهان لي ولياً أو أخافه ، فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرضني لنفسه ودعاني اليها ، وأنا أسرع شيء الى نُصرة أوليائي ، أفيظن الذي يحاربني فيهم أنه يقوم لي ! أم يظن الذي يعاديني فيهم أنه يُعِجْزني ! أم يظن الذي يبادرني اليهم أنه يسبقني أو يفوتني ! كيف وأنا النائر لهم في الدنيا والآخرة ، لا أكل نصرتهم الى غيري !

وفي التوراة : أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام بطور سيناء : يا موسى ابن عمران صاحب جبل لبنان ، أنت عبدى وأنا إلهك الديان ، لا تستذل

(١) السلوة : رخاء العيش . (٢) العر : جمع أعر وهو الجمل الأجر .

(٣) في الاصل : « لما يكلمه الطمع » . (٤) يطبعه : يجسه .

الفقير ، ولا تَغِيْطُ الغنى بشيء يسير ؛ وكن عند ذكرى خاشعا ، وعند تلاوة وحيي طائعا ؛ أسمعني لذادة التوراة بصوت حزين .

- وفيا أوحى الله الى عيسى عليه السلام : أنزلني من نفسك كهملك ، واجعلني
 ذُحْرَكَ في معادك ، وتقرَّبْ اليّ بالنوافل أدنك ، وتوكلْ عليّ أكفك ، ولا تولِّ
 ٥ غيري فأخذلك ؛ اصبرْ على البلاء ، وارضْ بالقضاء ، وكن كسرتي فيك ، فإن
 مسرتي أن أطاع ، وأخي ذكرى بلسانك ، وليكن وُدِّي في قلبك ؛ تيقظْ لي
 في ساعات الغفلة ، وكن راهبا لي وراغبا اليّ . أمت قلبك بالخشية ؛ راجع الليل
 لتحرى مسرتي ، وانظما لي نهارك لليوم الذي عندي ؛ نافس في الخيرات جهدك .
 قم في الخليفة بعدلى ، واحكم فيهم بنصيحتي ، فقد أنزلت عليك شفاء وساوس
 ١٠ ما في الصدور من مرض الشيطان ، وجلاء الأبصار من غشاء الكلال ؛ ولا تكن
 حِلْسًا كأنك مقبورٌ وأنت حيّ لتنفّس . اِحْلُ عَيْنِكَ بِمَلْمُولِ الحزن إذا ضحك^(٢)
 البطالون . ايبك على نفسك أيام الحياة بكاء من قد ودع الأهل وقلى الدنيا ، وترك
 اللذات لأهلها ، وارتفعت رغبته فيما عند إلهه . طوبى لك إن نالك ما وعدت
 الصابرين ! ترج من الدنيا يوما فيوما ، وارضْ بالبلغة ، وليكفك منها الحشِنُ .
 ١٥ تذوق مذاقة ما قد خلا أين طعمه ! وما لم يأت أين لذته ! لو رأيت عينك ما أعددت
 لأوليائي لذاب قلبك وزهقت نفسك شوقا اليه .

وفيا قال للحواريين : بحق أقول لكم : إن شجر الأرض بمطر السماء تعيش
 وتزكو ، وكذلك القلوب بنور الحكمة تبصر وتهتدي ؛ بحق أقول لكم : إنه من ليس
 عليه دينٌ أرواح وأقل هما من عليه دين وإن حسن قضاؤه ، وكذلك من لم يعمل

٢٠ (١) الحلس : الذى يلزم بيته فلا يبرحه . (٢) الملمول : المرود . (٣) فى الأصل

الخطيئة أرواح وأقل هما من عمل بها وإن حسنت توبته . إن الدابة تزداد على
كثرة الرياضة خيرا ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوة . إن الجسد
إذا صلح كفاه القليل من الطعام ، وإن القلب إذا صح كفاه القليل من الحكمة .
كم من سراج قد أطفأته الرياح ، وكم من عابد قد أفسده العُجب . يا بني إسرائيل ،
استمعوا قولي ، فإن مثل من يستمع قولي ثم يعمل به مثل رجلٍ حكيماً أسس
بنيانه على الصفا ، فمطرت السماء وسالت الأودية وضربت الرياح فثبت بنيانه^(١)
ولم يجر ، ومثل الذي يستمع قولي ثم لا يعدل به مثل رجلٍ سفيف أسس بنيانه
على الرمل ، فمطرت السماء وسالت الأودية وهاجت الرياح فضربته فسقط بنيانه .
يا بني إسرائيل ، ما يُغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ! وما يُغني
عن العالم كثرة العلم وهو لا يعمل به ! . بحق أقول لكم : إن قائل الحكمة وسامعها
شريكان ، وأولاهما بها من حققها بعمله . بحق أقول لكم : لو وجدتم سراجا
يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضاءتم بنوره ولم يمنعكم منه ثنُّ قطرانه ، فكذلك
ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها عنده .

بلغني عن محمد بن فضيل عن عمران بن سليم قال : بلغني أن عيسى بن مريم
قال لأصحابه : إن كنتم إخواني وأصحابي فوطنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من
الناس ؛ إنكم لا تُدركون ما تطلبون إلا بترك ما تشتهون ، ولا تتالون ما تحبون
إلا بالصبر على ما تكرهون . إياكم والنظرة ، فإنها تزرع في القلب الشهوة . طوبى
لمن كان بصره في قلبه ولم يكن قلبه في بصره ! .

(١) الصفا : جمع صفاة وهي الصحرة الصلبة .

قال : وبلغني أن عيسى خرج على أصحابه وعليه جبة من صوف وكساء^(١)
وتبان حافيا مجزوز الرأس والشاربين با كما شعثا مصفر اللون من الجوع يابس
الشفتين من العطش ، طويل شعر الصدر والذراعين والساقين ؛ فقال : السلام عليكم
يا بني إسرائيل ، أنا الذي أنزلت الدنيا منزلها ، ولا تعجب ولا تفخر ، أتدرون أين بيتي ؟
قالوا : أين بيتك يا روح الله ؟ قال : بيتي المساجد ، وطيبى الماء ، وإدامى
الجوع ، وداجى رجلي ، وسراجى بالليل القمر ، وصلاتى في الشئاء مشارق الشمس ،
وطعامى ما تيسر ، وفاكهتى ورئحانى بقول الأرض ، ولباسى الصوف ، وشعارى
الخوف ، وجلبائى الزمنى والمساكين ، أصبح ولبس لى شئ ، وأمسى ولبس لى
شئ ، وأنا طيب النفس غنى مكثر ، فمن أغنى وأربح منى ! .

وقرأت فى بعض الكتب : عبدى ! ما يزال ملك كريم قد صعد إلى منك
بعمل قبيح ، أتقرب اليك بالنعم ، ونمقت إلى بالمعاصى ؛ خيرى اليك نازل ، وشرك
إلى صاعد .

وفى التوراة : لعلك يا إسرائيل اذا أنت خرجت من البرية فدخلت الأرض
المقدسة ، أرض بنى آباءك إبراهيم وإسحاق ، فإنها تفيض برا وشعيرا ولبنا وعسلا ،
فورثت بيوتا بناها غيرك وعصرت كروما غرسها غيرك ، فأكلت وشربت وتنعمت
بشحم لباب القمح ، ضربت بيدك الى صدرك ورحمت كما ترحم الدابة برجليها ،
وقلت : بشتتى وبقوتى وبأسى ورثت هذه الأرض وغلبت أهلها ، ونسيت
نعمتى عليك ! فأقذف الرعب فى صدرك اذا أنت لقيت عدوك ، واذا هبت الريح

(١) الثبان : مراريل صغير يكون لللاحين والمصارين .

(٢) الصلاة : الوقود أو نذر العنيفة . وفى الأصغر «صالح» ثناء .

فتقعق لها ورق الشجر انهزمت ، فأقل رجالك ، وأرمل نساءك ، وأيتم أبناءك ،
وأجعل السماء عليك نحاساً والأرض حديداً ، فلا السماء تمطر ولا الأرض تثبت ،
وأقل لك البركة حتى تجتمع نِسوة عشرٍ يخزنن في تنورٍ واحدٍ .

بلغني عن عبد الرحمن المحاربي عن جعفر بن برقان قال : بلغني عن وهب بن
منبه قال : أجد في الكتاب أن قوما يتدينون لغير العباداة ، ويختلون الدنيا بعمل
الآخرة ، يلبسون مسوك الضان على قلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل
وأنفسهم أتمر من الصبر ، أبي يغترون ! أم إياي يخادعون ! أقسمت لأبعثن عليهم
فتنة يعود الحليم فيها حيران .

وقرأت في الإنجيل : « لا تجعلوا كنوزكم في الأرض حيث يفسدها السوس
والدود وحيث ينقب السراق ، ولكن آجعلوا كنوزكم في السماء فإنه حيث تكون
كنوزكم تكون قلوبكم . إن العين هي سراج الجسد فإذا كانت عينك صحيحة فإن
جسدك كله مضيء ، وإنه لا يستطيع أحد أن يعمل لربين اثنين إلا أن يحب أحدهما
ويغض الآخر ، ويوقر أحدهما ويهين الآخر ، فكذلك لا تستطيعون أن تعملوا لله
وللسال . ولا يهتمكم ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون ، أليست النفس أفضل
من الطعام ، والجسد أفضل من اللباس !! أنظروا إلى طير السماء فإنهم لا يزرعون
ولا يحصدون ولا يجمعون في الأهراء ، وأبوكم الذي في السماء هو الذي يرزقهم ، أفلمستم

(١) في الأصل : «ولا السماء» والسياق يقتضي العطف بالفاء لأنه مفرع على ما قبله .
(٢) أي يظنون الدنيا بعمل الآخرة : ومثله ما جاء في الحديث . « من أشرط الساعة أن تعطل السيوف
من الجهاد وأن تختل الدنيا بالدين » أي تطلب الدنيا بعمل الآخرة ، من خثله إذا خدعه (أنظر اللسان
مادة خثل) . (٣) المسوك : جمع مسك (بالفتح) وهو الجلد . (٤) الأهرام : جمع
هرى (بالصم) وهو بيت كبير يجمع فيه الطعام .

أفضل منهن!! وأيكم الذي اذا جهد قدر أن يزيد في طوله ذراعا واحدا! فلم تهتدون
 باللباس! اعتبروا بسوس البرية فإنه لا يعمل ولا يغزل، أنا أقول: إن سليمان بوقاره
 لم يستطع أن يلبس كواحدة منه؛ فإذا كان الله يأبس عشب الأرض الذي ينبت
 اليوم ويلقى في النار غدا، أفلستم يا قليلي الإيمان أفضل منه! ولا تهتموا فتقولوا: ماذا
 ناكل وماذا نشرب وماذا نلبس، فإنه إنما يهتم لذلك ابن الدنيا؛ وإن أباكم الذي
 في السماء يعلم أن ذلك ينبغي لكم؛ فابدءوا فالتمسوا ملكوت الله وصدقيته، فإنكم سوف
 تكفون. ولا يهتمكم ما في غد، فإن غدا مكثف بهم، وحسب اليوم شره. وكما
 تدنسون تدانون، وبالمكالم الذي تكلمون يكلمكم. وكيف تبصر القذاة في عين
 أخيك ولا تبصر السارية في عينك! لا تعطوا الكلاب القدس، ولا تأقوا لؤلؤكم
 للخنازير. سلوا تعطوا، وابتغوا تجدوا، واستفتحوا يفتح لكم، وانظروا الذي تحبون
 أن يأتي الناس اليكم فاتوا اليهم مثله. أدخلوا الباب الضيق، فإن الباب والطريق
 الى الهلكة غير يضان، والذين يسلكونها كثير. وما أضيق الباب والطريق للذين
 يبلغان الى الحياة! والذين يسلكونها قليل».

وقال له رجل: أتبعك حيث ذهبت؛ فقال له عيسى: للثعالب حجرة، ولطير
 السماء مكان، وليس لابن الإنسان مكان يسند فيه رأسه.
 وقال له رجل من الحواريين: أتأذن لي أن أدفن أبي؟ فقال له: دع الموتى
 يدفنون موتاهم وأتبعني. وقال للحواريين: لا تتزودوا شيئا، فإن العائل محقوق أن

(١) في الأصل: «اذا جهد فقدر». الفاء في جواب اذا، ولا معنى لذكر الفاء في هذا الموضع.
 (٢) الوقار: العظمة. وفي الأصل: «بوقاره» بالفاء، ولا معنى له هنا الا أن يكون محرفا عن
 (وفوره) جمع وفر «بالفتح» وهو الفنى. (٣) في الاصل: «تبت» «وتلقى... منهن».
 (٤) لعل اسم الاشارة يرجع الى عدم الاهتمام المأخوذ من قوله «ولا تهتموا»، ليستقيم الكلام.
 (٥) الصدقية: درجة أعلى من الولاية وأدنى من النبوة.

يُطْعَم قُوْتَهُ ، وَإِنِّي أُرْسَلُكُمْ كَالْحِرَفَانِ بَيْنَ الذَّنَابِ ، فَكُونُوا حُلَمَاءَ كَالْحَيَاتِ
وَبُلْهًا كَالْحَمَامِ . وَإِذَا دَخَلْتُمُ الْبَيْتَ فَسَلِّمُوا عَلَى الْبَيْتِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْبَيْتَ أَهْلًا
لِسَلَامِكُمْ فَلْيُصِيبْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِسَلَامِكُمْ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ . وَمَنْ لَمْ يُؤْوِكُمْ
وَيَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ ، فَإِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ قَرْيَتِهِ فَانْفُضُوا الْغُبَارَ عَنْ أَرْجُلِكُمْ .

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : كان فيما ناجى به
عُزَيْرُ رَبِّهِ : اللَّهُمَّ فَإِنَّ لَكَ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ خَلْقَةً خَيْرَةً اخْتَرْتَهَا ، وَإِنَّكَ اخْتَرْتَ مِنْ
النباتِ الْحَبْلَةَ ، وَمِنَ الْمَوَاشِي الضَّائِنَةَ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الْحَمَامَةَ ، وَمِنَ الْبَيْوتِ بَيْتَ إِبِلْيَاءَ ،
وَمِنَ إِبِلْيَاءِ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ ، وَمِنَ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ آدَمَ ، وَمِنَ وِلْدِ آدَمَ نُوحًا ، وَمِنَ وِلْدِ
نُوحٍ إِبْرَاهِيمَ ، وَمِنَ وِلْدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ، وَمِنَ وِلْدِ إِسْحَاقَ إِسْرَائِيلَ ؛
اللَّهُمَّ فَأَصْبَحْتَ خَيْرَتِكَ قَدِ تَمَّتْ وَنَفَذْتَ فِي كُلِّ مَا اخْتَرْتَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ وِلْدِ
خَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّهُمْ أَصْبَحُوا أَعْبَادًا لِأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ وَخَوَلَا لِأَعْدَائِكَ ، فَمَا لَذِي
سَلَّطَ عَلَيْنَا ذَلِكَ ؟ أَمْ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا ؟ فَالْحَاطِطُونَ وَلَدُونَا ، أَوْ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِنَا ؟
فَمِنْ ضَعْفِ خُلُقِنَا ؛ قَالَ : بَغَاءَ نِي الْمَلِكُ فَكَلَّمَنِي ، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ سَمِعْتُ صَوْتًا هَالِيًا
فَنظَرْتُ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ حَاسِرَةٌ عَنْ رَأْسِهَا ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا ، شَاقَّةٌ جَيْبَهَا ، تَلْطِمُ وَجْهَهَا ،
وَتَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا ، وَتَحْتُوُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا ، فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهَا وَتَرَكْتُ مَا كُنْتُ
فِيهِ ، فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِالْكِ أَيْتَاهَا الْمَرْأَةُ وَمَا الَّذِي دَهَكَ ؟ أَخْبَرَنِي خَبْرِكَ ، فَقَدْ أَصَابَتْ
الْمَصَائِبُ غَيْرَكَ ؛ قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَإِنَّ رَبِّي هُوَ الَّذِي أَبْكَانِي ،

(١) كذا في الأصل . وفي حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ٢٢٦) : « روى أحمد في الزهد
عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه السلام كان يقول لأصحابه : إن استطعتم أن تكونوا بلها في الله تعالى
مثل الحمام فافعلوا » . وفي إنجيل متى من الكتاب المقدس (طبع بيروت سنة ١٨٨٢ م مجلد ثالث
ص ١٧ ص ١٢) : « فكونوا حكام كالحيات وودعاء كالحمام » . (٢) الحبله بالضم : الكرم
أو أصل من أصوله ، وثمر السلم أو ثمر العشاء . (٣) في الأصل : « بنا ايلياء » .

ومصيبتى أعظم مما ترى ؛ فقلتُ : فإن فى الله عزاءً من كل مصيبة ، وخلقاً من كل هالك ، وعضواً من كل فائتٍ ، فإياه فاستعيني ، والى نظره لك فانظري ؛ قالت : انى كنتُ امرأةً كثيراً مالى ، عظيماً شرفى ، وكنت عاقراً لا ولد لى ، وكنتُ عند بعلٍ له نِسوةٌ معى وكلهن وُلد له غيرى ، فلن به لحبِّ الولد فصرف وجهه عني ، فخرنتُ وحرز أهل وصدق ، فلما رأيتُ هوانى عليه وسقوط منزلتى عنده ، رَغبتُ الى ربي ودَعَوْتُهُ فأجابني ، واستوهبتهُ غلاماً فوهبته لى ، فقرتُ به عيني ، وفرح أهلى ، وعطف الله به زوجى ، وقطع عني ألسنة ضرائرى ، فربيتُ غلاماً لم تحمِل أنثى مثله حسناً وجمالاً ونصرةً وتاماً ، فلما بلغ أشده وكل به سرورى خطبتُ عليه عظيمة قومية ، وبذلتُ دونه مالى ، وخرجتُ من خُلعتى^(١) ، وجمعتُ رجال قومية ، فخرج يمشى بينهم حتى دخل بيته ، فلما قعد على سريريه ، خرَّ منه فاندقت عنقه فمات ابني وضلَّ عملى وبطل نصيبى وتلف مالى ، فخرجتُ الى هذه البرية أبكيه فيها لا أريد أن أرى أثراً من آثاره ولا أحداً من أصحابه ، ولن أبرح أبكيه حتى ألحق به . قال عُزَيْرٌ : أذكرى ربك وراجعيه ، فقد أصابت المصائب غيرك أما رأيت هلاك إيلياء وهى سيده المدائن وأم القرى ؟ أو ما رأيت مصيبة أهلها وهم الرجال ؟ قالت : إى رحك الله ! إن هذا ليس لى بعزاء وليست لى بشيء منه أسوء ، إنما تبكى مدينة خربت ، ولو تُعمَّر عادت كما كانت ، وإنما تبغى قوماً وعدهم الله الكرة على عدوهم ، وأنا أبكى على أمرٍ قد فات ، وعلى مصيبة لا أستقيها^(٢) ؛ قال عُزَيْرٌ : فإنه خالق لما صار اليه ، وكل شيء خالق للدنيا فلا بد أن سيفنى ،

(١) الخلعة (بالكسر والضم) : المال وخيار ما يجتمع على الانسان .

(٢) لا أستقيها أى لا أطلب منها إقالة ، لأن الطلب فيها غير مجد ؛ ومنه قول الشماخ :

* ومرتبة لا يستقال بها الردى *

أى لا يرجى فيها إقالة الردى لأنه لا بد من الهلاك .

أما رأيت مدينتنا أصبحت خاويةً على عروشها بعد عمارتها، وأوحشت بعد أنسها
 وأناشها! أو ما رأيت مسجدنا كيف غير حسنه، وهدم حصنه، وأطفئ نوره!
 أو ما رأيت عز أهلها كيف ذل، وشرفهم كيف تحل، ومجدهم كيف سقط،
 ونفخهم كيف بطل! أو ما رأيت كتاب الله كيف أحرق، ووحى الله كيف رفع،
 وتابوت^(١) السكينة كيف سبي! أو ما رأيت نساء الملوك وبناتهم في بطون الأسواق
 حاسرات عن السوق والوجوه والأشعار! أو ما رأيت الأشياخ الذين على وجوههم
 النور والسكينة مقرنين في الجبال والقطار! أو ما رأيت الأحرار والرهبان مصفدين
 في الإسار، أو ما رأيت أبناء موسى وهارون تضرب عليهم السهام ويقسمهم
 الأشرار، وولدان الملوك خدماً للكفار^(٢)، أو ما رأيت قتلانا لم يوار أحدا منهم قبر،
 ولم يعهد أحد منهم إلى ولد، فالحكاء مبهوتون، والعلماء يموجون، والحلماء
 متحIRON، وأهل الرأي ملقون بأيديهم مستسلمون. قال: فبينما أنا أكلها غشي
 وجهها نور مثل شعاع الشمس حال بيني وبين النظر إليها، فخمرت من شدته
 وجهي ورددت يدي على بصري، ثم كشفت وجهي فإذا أنا لا أحسها ولا أرى
 مكانها، وإذا مدينة قد رفعت لي حصينة بسورها وأبوابها، فلما نظرت إلى ذلك
 تحرت صعباً، بخافني الملك فأخذ بضبعي ونعشني وقال لي: ما أضعفك يا عزير!
 وقد زعمت أن بك من القوة ما تخاطب به ربك وتدلي بالعدر عن الخاطئين من

(١) ورد في دائرة المعارف للبستاني عند الكلام على التابوت ما ملخصه: وتابوت العهد أو الشهادة
 هو صندوق من الخشب مصفح من الداخل وذهب من الخارج، وكان موضعه في قدس الأقداس وكان
 اليهود يعتبرون ذلك مقدساً وكانوا يحملونه بالاحتفال أمامهم وهم مسافرون إلى أرض الميعاد... والظاهر
 أنه فقد عند هدم بختصر الهيكل في القدس بإتلافه إياه أو نقله إلى بابل، ومن أراد الوقوف على
 تفاصيل وصف هذا التابوت فليراجع ذلك في التوراة. (٢) في الأصل: «خدم الكفار».
 (٣) نعشه: رفعه وأقامه.

- بني إسرائيل ؛ قال له عُزَيْرٌ : مثل الذي رأيتُ وعانيتُ أضعفني وأذهب روعي ؛ قال الملك : فإن المرأة التي كلمتك هي المدينة التي تبكي عليها ، صورها الله لك في صورة أنثى فكلمتك ، فافقه عنها : أما قولها : إنها عمّرتُ زمانا من دهرها عاقرا لا ولد لها ، فكذلك كانت إيلياءُ صعيدا من الأرض خرابا لا عُمرانَ فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة .^(١)
- وأما قولها : إن الله وهبَ لها غلاما عند اليأس ، فذلك حين أقبل الله عليها بالعمران فابتعث الله منها أنبياءه وأنزل كتابه . وأما قولها : إنه هلك ولدها حين كل فيه سرورها ، فذلك حين غير أهلها نعم الله وبدأوها ولم يزدادوا بالنعم عليهم إلا جُرأة على الله وفسادا ، فغير الله ما بهم وسلط عليهم عدوهم حتى أفناهم ، وقد شفّعك الله في قومك وكتابك ومدينتك ، وسيعيدها الله عامرة كما رأيت : عليها حيطانها وأبوابها ، وفيها مساجدُها وأنهارها وأشجارها .

- وحدثني بهذا الإسناد قال : لما أمر الله إبراهيم أن يذبح إسحاقَ عليهما السلام ويجعله قربانا ، أسر ذلك الى خليلٍ له يقال له : العازر ؛ فقال له الصديق : إن الله لا يتلى بمثل هذا مثلك ، ولكنه يريد أن يُجربك ويختبرك ، وقد علمت أنه لم يبتلك بهذا لِفِتْنِكَ ولا لِيُضِلَّكَ ولا لِيُعْتِكَ ولا لِيُنْقِصَ به بصيرتك وإيمانك ويقينك ، ولا يروعنك هذا ولا تُسوءن بالله ظنك ، وإنما رفع الله اسمك في البلاء على جميع أهل البلاء ، حتى كنت أعظمهم في نفسك وولدك ، ليرفعك بقدر ذلك عليهم في المنازل والدرجات والفضائل ؛ فليس لأهل الصبر في فضيلة الصبر إلا فضلُ صبرك ، وليس لأهل الثواب في فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك ، وليس لأهل البلاء في جسيم شرف البلاء إلا فضلُ شرفك . وليس هذا من وجوه البلاء الذي يتلى الله به أوليائه ، لأن الله أكرم في نفسه وأعدل في حكمه وأعدل في عباده^(٢)

(١) في الأصل : « وإنما » . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : « وأرحم بعباده ... » .

من أن يجعل ذبح الولد الطيب بيد الوالد النبي المصطفى ؛ وأنا أعوذ بالله من أن يكون هذا مني حتماً على الله أو رداً لأمره أو سُخْطاً لحكمه على عباده ، ولكن هذا الرجاء فيه والظن به . فإن عزم ربك على ذلك فكن عبداً أحسن علمه بك ؛ فإنني أعلم أنه لم يُعرضك لهذا البلاء العظيم إلا لحسن علمه بك وبصدقك وبصبرك ، ليجعلك للناس إماماً ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وحدثني بهذا الإسناد أن يوسف عليه السلام لما لبث في السجن سبع سنين أرسل الله عز وجل إليه جبريل عليه السلام بالبشارة بخروجه ، فقال له : أتعرفني أيها الصديق ؟ قال له يوسف : أرى صورة طاهرة وروحاً طيباً لا يشبه أرواح الخاطئين ؛ قال جبريل : أنا الروح الأمين ، رسول رب العالمين ؛ قال يوسف : فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقربين ؟ قال جبريل : أو لم تعلم أيها الصديق أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين ، وأن البقعة التي يحملون بها هي أطهر الأرضين ، وأنه قد طهر بك السجن وما حوله بأبن الطاهرين ؛ قال يوسف : كيف تشبهني بال صالحين ، وتسميني بأسماء الصديقين ، وتعدني مع آبائي المخلصين ، وأنا أسيرين هؤلاء المجرمين ! قال جبريل : لم يكلم قلبك الجزع ، ولم يغير خلقك البلاء ، ولم يتعاطمك السجن ، ولم تطأ فراش سيّدك ، ولم يُنسك بلاء الدنيا بلاء الآخرة ، ولم تُنسك نفسك أباك ولا أبوك ربك ؛ وهذا الزمان الذي يفك الله به عنوك ، ويُعتيق به رقك ، ويُبين للناس فيه حكمتك ، ويُصدق رؤياك ويُنصفك ممن ظلمك ، ويجمع اليك أحبتك ، ويهب لك ملك مصر : يملكك ملوكها ، ويُعبد لك جبابرتها ، ويُذل لك أعزتها ، ويُصفر لك عظامها ، ويُخدمك سوقها ،

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : « فكن عند أحسن علمه بك ... » (٢) العنو : الأسر والذل ، يقال : عنا في القوم عتوا وعنا . صار فيهم أسيراً . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٨) : « عنك » .

وَيُخَوِّلُكَ خَوَلَهَا ، وَيَرْحَمُ بِكَ مَسَاكِينَهَا ، وَيُلْقِي لَكَ الْمَوَدَّةَ وَالْهَيْبَةَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَيَجْعَلُ لَكَ الْيَدَ الْعَلِيَا عَلَيْهِمُ وَالْأَثَرَ الصَّالِحَ فِيهِمْ ، وَيُرِي قَرَعُونَ حَلْمًا يَفْرَعُ مِنْهُ وَيَأْخُذُهُ لَهُ كَرْبٌ شَدِيدٌ حَتَّى يُسْمِرَهُ وَيُذْهَبَ نَوْمُهُ ، وَيُعْمَى عَلَيْهِ تَفْسِيرُهُ وَعَلَى السَّحْرَةِ وَالْكَهْنَةِ وَيَعْلَمُكَ تَأْوِيلَهُ .

- ٥ وفي بعض الكتب : أوحى الله تعالى الى بعض الأنبياء : إذا أردت أن تسكن معي غدا في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيدا فريدا . هموما حزينا ، كالطائر الوجداني يظل بأرض الفلاة ويرد ماء العيون ويأكل من أطراف الشجر ، فإذا جنَّ عاياه الليل أوى وحده استباحشا من الطير واستناسا بربه جل وعز .
- لما قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَجَدَ الْحَجَّاجُ فِيهَا تَرْكُ صُنْدُوقِ عَايِهِ أَقْفَالِ حَدِيدٍ ، فَتَعَجَّبَ مِنْهُ وَقَالَ : إِنْ فِي هَذَا شَيْئًا ، فَفَتَحَهُ فَإِذَا صُنْدُوقٌ آخَرٌ عَلَيْهِ قُفْلٌ فَفَتَحَهُ فَإِذَا سَفَطٌ فِيهِ دُرَجٌ ، فَفَتَحَهُ فَإِذَا صَحِيفَةٌ فِيهَا : إِذَا كَانَ الْحَدِيثُ حَلْفًا ، وَالْمِعَادُ خُلْفًا ، وَالْمِقْنَبُ ^(١) أَلْفًا ، وَكَانَ الْوَلَدُ غِيظًا ، وَالشِّتَاءُ قِيظًا ، وَغَاضُ الْكِرَامِ غِيضًا ، وَقَاضُ اللَّسَامِ فِيضًا ، فَأَعْتَزَ ^(٢) عَفْرًا ، فِي جَبَلٍ وَعَمْرًا ، خَيْرٌ مِنْ مُلْكِ بَنِي النَّضْرِ . حَدَّثَنِي بِذَلِكَ كَعْبُ الْجَبْرِ .

الدعاء

- ١٥ حَدَّثَنِي أَبُو مَسْعُودٍ الدَّارِمِيُّ ^(٣) قَالَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ^(٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ «رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةٌ : وَاحِدَةٌ لِي ، وَوَاحِدَةٌ لَكَ
- (١) المِقْنَبُ كَنْزٌ : جَمَاعَةُ الْحَيْلِ وَالْفَرَسَانِ . (٢) الْعَفْرُ : جَمْعُ أَعْفَرٍ وَعَفْرَاءٍ . وَالْفَعْرَةُ : غَبْرَةٌ فِي بِيَاضٍ . (٣) هَكَذَا وَرَدَ بِالْأَصْلِ . وَلَمْ نَعْرِ عَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ لِمَنْ يَكْنَى بَابِي مَسْعُودٌ لِأَنَّ فِي كِتَابِ الْأَنْسَابِ وَلَا فِي كِتَابِ التَّرَاجِمِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا . (٤) فِي الْأَصْلِ : «جَدِيرٌ» بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ . وَلَمْ نَعْرِ عَلَى اسْمِ «جَدِيرٍ» بَيْنَ أَسْمَاءِ الرِّوَاةِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي عِنْدَنَا . وَقَدْ وَرَدَ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ أَنَّ مِنْ بَيْنِ مَنْ اسْمُهُ «جَرِيرٌ» بِالرَّاءِ : «جَرِيرُ بْنُ حَازِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شِجَاعِ الْأَزْدِيِّ ثُمَّ الْعَتَكِيِّ وَقَبِيلُ الْجَهْمُضِيِّ» . وَجَرِيرٌ هَذَا مِنْ رِوَاةٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَلِذَا تَرَجَّحَ لَدِينَا أَنَّ مَا جَاءَ بِالْأَصْلِ مُحَرَّفٌ سِوَاهُ مَا أَثْبَتْنَاهُ .

يا بن آدم، وواحدةً بيني وبينك، فأما التي لي فتخلص لي لا تُشرك بي شيئاً، وأما التي لك فأحوج ما تكون إلى عملك أوفيكه، وأما التي بيني وبينك فنك الدعاء وعلى الإجابة“ .

حدثني عبدة بن عبد الله قال أخبرنا زيد بن الحُبَاب قال حدثنا معاوية قال حدثني أزهر بن سعيد عن عاصم بن حميد قال : سألت عائشة رضي الله عنها، ما كان يفتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم به صلاته في قيام الليل؟ قالت : كان يكبر عشرًا ويحمد عشرًا ويسبح عشرًا ويهلل عشرًا ويستغفر الله عشرًا، ثم يقول : ” اللهم اغفر لي وأهدني وآرزقني وعافني“ ، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا الخُفَّاف عن أبي الورداء عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال : ”أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والأمر والليل والنهار وما يسكن فيهما الله رب العالمين وحده لا شريك له . اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً . اللهم إني أسألك خير الدنيا وخير الآخرة يا أرحم الراحمين“ .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا حسين بن علي الجعفي عن إسرائيل عن الحسين أنه كان إذا استسقى قال : ” اللهم اسقنا سقياً واسعةً وادعةً عامةً نافعةً غير

(١) في نهاية الأرب للنويري (ج ٥ ص ٣٠٠ طبع دارالكتب المصرية) : « وما سكن فيهما من شيء لله وحده لا شريك له... الخ » . وفي كتاب الأذكار للنويري : « وما سكن فيهما لله تعالى... الخ » .
(٢) قال ابن خلكان في ترجمة إسحاق بن راهويه : « وراهويه بفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة وبعدها باء مشناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة... وقيل فيه أيضاً : راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء » .
(٣) ورد هذا الأثر في كتاب الأذكار للسيوطي (نسخة خطية محفوظة بدارالكتب المصرية تحت رقم ٧ مجاميع) في صلاة الاستسقاء، بصيغة تخالف ما هنا في بعض الكلمات وبالزيادة والنقص .

ضارة تعم بها حاضرنا وبادينا وتزيد بها في رزقنا وشكرنا . اللهم اجعله رزق إيمان وعطاء إيمان إن عطاءك لم يكن محظورا . اللهم أنزل علينا في أرضنا سكنها ، وأنبت فيها زيتها ومرعاها .

روى الكلبي عن أبي صالح أن العباس قال يوم استسقى عمر رضي الله عنه :
 " اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولا يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة ، فاسقنا الغيث " ، فأرخت السماء شأيب مثل الجبال بديمة مطيقة .

وروى سفيان بن عيينة عن أبي عبد الملك قال : سمعت عمر بن عبد العزيز عشية عرفة بعرفة وهو يقول : " اللهم زد في إحسان محسنهم ، وراجع بمسيئتهم إلى التوبة ، وحط من ورائهم بالرحمة " .

حدثنا حسين بن حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا بهؤلاء الدعوات :
 " اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به

(١) كذا في الأصل ولسان العرب مادة «سكن» . وفي منتخب كثر العمال المطبوع بها مش مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٦٥ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هـ : « اللهم أنزل في أرضنا بركتها وزيتها وسكنها وارزقنا وأنت خير الرازقين » . وسكنها بفتح السين والكاف : غياث أهلها الذي تسكن أنفسهم إليه .

(٢) في الأصل : « من بينك » والسياق يقتضي ما أثبتناه . (٣) شأيب جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والديمة : مطريدوم في سكون بلا رعد ولا برق . (٤) كذا ورد في الأصل . وفي تهذيب التهذيب أن من روى عن عبد الله بن المبارك الحسين بن الحسن . وأعل ما في الأصل محذوف عنه . (٥) في الأصل : « زحر » بالخاء المعجمة . وما أثبتناه هو ما في تهذيب التهذيب .

الى رحمتك ، ومن اليقين ما تهونُ به علينا مصيباتُ الدنيا ، ومَتَّعنا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا ،
واجعل ذلك الوارثَ منا ، وأنصرنا على من ظلمنا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا
ولا تجعل الدنيا أكبر همًّا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا “ .

بلغنى عن يونس عن الأوزاعي عن حسان بن عطية^(١) قال : كان شداد بن أوس
في سفرٍ ، فنزلنا منزلاً فقال لعلامة : اثنتا بالسفرة نعبث بها^(٢) ، فأنكرت منه ، فقال :
ما تكلمت بكلمة مذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمتها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها
عني ، واحفظوا عني ما أقول لكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
”إذا كثر الناس الذهب والفضة فاكثروا هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات
في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك
قلبا سليما ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ،
وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب“ .

بلغنى عن الوليد بن مسلم قال حدثنا أبو سلمة الدوسي^(٤) عن سالم بن عبد الله
قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”اللهم ارزقني عينين هطالتين
تبيكان بذروف الدموع وتشفيانني من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس
جمرا“ .

(١) هكذا ضبطه في تقريب التهذيب بضم العين ورفع الطاء . (٢) كذا في مسند الامام أحمد
(ج ٤٤ ص ١٢٣) وفي الأصل : ”فعبث بها“ . والأئبداه هو المواقف لقول الزمخشري في أساس البلاغة
مادة ”عبث“ » تعال بالسفرة نعبث بها« . (٣) في منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١١٦) : » يا شداد
بن أوس اذا رأيت الناس يكثرون ... الخ « وفي بقية الحديث بعض زيادات عما هنا ، ولعلها رواية
أخرى . (٤) هكذا ورد في الأصل ، ولم نوفق الى تحقيق هذه النسبة لأبي سلمة في الكتب التي
بين أيدينا . (٥) في منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١٠٦) هـ « ... تشفيان القلب بذروف
الدموع من خشيتك ... الخ ... » .

حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثنا عمر بن عمران قال حدثني الحارث بن عنبه عن العلاء بن كثير عن أبي الأسقع : أنه كان يحفظ من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : "يا موضع كل شكوى ويا شاهد كل نجوى بكل سبيل أنت مقيم ترى ولا تُرى وأنت بالمنظر الأعلى".

- (١)
- حدثنا عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : كان دعاء عيسى الذي يدعو به للمرضى والزمنى والعميان والمجانين وغيرهم : "اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك ، وأنت جبار من في السماء وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك ، وأنت حاكم من في السماء وحاكم من في الأرض لا حاكم فيهما غيرك ، وأنت ملك من في السماء وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك ؛ قدرتك في الأرض كقوتك في السماء ، وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء ؛ أسألك باسمك الكريم ووجهك المنير ومليك القديم ، إنك على كل شيء قدير". قال وهب : هذا يُقرأ للفرع على المجنون ويكتب له ويُغسل ويُسقى ، فيبرأ بإذن الله أي ذلك شاء فعل .

- وحدثني أيضا بهذا الإسناد قال : كان من دعاء المسيح حين أخذه اليهود ليصلبوه بزعمهم فرفعه الله إليه : "اللهم أنت القريب في علوك ، المتعالى في دنوك ، الرفيع على كل شيء من خلقك ؛ أنت الذي نفذ بصرك في خلقك ، وحسرت الأبصار دون النظر اليك وعشيت دونك ، وشمخ بك العلو في النور ؛ أنت الذي جليت الظلم

- (١) ورد في الأصل "عبد الرحمن بن عبد المنعم" وورد في عدة أسانيد أخرى في الأصل نفسه "عبد الرحمن عن عبد المنعم" كما أثبتناه هنا وعبد الرحمن الذي بروى عنه المؤلف كثيرا هو عبد الرحمن بن عبد الله ابن أمي الأصمى ولعل المراد من عبد المنعم عبد المنعم بن ادريس بن مناف بن ابنة وهب ابن منبه .

بنورك فتباركت اللهم خالق الخلق بقدرتك ، مقدر الأمور بحكمتك ، مبتدع الخلق
 بعظمتك ، القاضى فى كل شىء بعلمك ؛ أنت الذى خلقت سبعا فى الهواء بكلماتك ،
 مستويات الطباق مذعنات لطاعتك ، سماهين العلو بسطانتك ، فأجبن وهن دخان من
 خوفك ، فأتين طائعات بأمرك ، فهين ملائكتك يسبحون قدسك بتقديسك ،
 وجعلت فهين نورا يجلو الظلام ، وضياء أضوا من شمس النهار ، وجعلت فهين
 مصابيح يهتدى بها فى ظلمات البحر والبر ورجوما للشياطين ، فتباركت اللهم فى مفظور
 سمواتك ، وفيما دحوت من أرضك ، دحوتها على الماء ، فأذلت لها الماء المتظاهر
 فذل اطاعتك وأذعن لأمرك ، وخضع لقوتك أمواج البحار ، ففجرت فيها بعد البحار
 الأنهار ، وبعد الأنهار العيون الغزار والينابيع ، ثم أخرجت منها الأشجار بالثمار ، ثم
 جعلت على ظهرها الجبال أوتادا فأطاعتك أطوادها ، فتباركت اللهم فى صنعك ، فمن
 يبلغ صفة قدرتك ومن يُنعت نعتك . تنزل الغيث وتُنشئ السحاب ، وتفك الرقاب
 وتَقضى الحق وأنت خير الفاصلين . لا إله إلا أنت سبحانك أمرت أن يستغفرك كل
 خاطئ . لا إله إلا أنت إنما يخشاك من عبادك العلماء الأيكاس . أشهد أنك
 لست بإله استحدثناه ، ولا ربَّ يبيد ذكره ، ولا كان لك شركاء يقضون معك
 فندعوهم وندعك ، ولا أعانك أحدٌ على خَلْقِكَ فنشك فيك . أشهد أنك أحدٌ صمدٌ لم
 تلد ولم يكن لك كفواً أحدٌ ، ولم تُتخذ صاحبةً ولا ولداً . اجعل لى من أمرى فرجاً
 ومخرجاً ، قال وهب : وهذا الدعاء عُوذةٌ للشقيقة وغيرها من قولك : "أشهد أنك
 لست بإله استحدثناه ، الى آخره .

(١) «المتظاهر» بالفاء المعجمة من تظاهر بمعنى تساند وتعاون يراد بذلك الماء الكثير المجتمع يدفع

بعضه بعضاً لقوته وهو ما يقتضيه السياق . وفى الأصل «المتظاهر» بالطاء المهملة .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن عباس قال: "الإخلاص هكذا، وبسط يده اليمنى وأشار بإصبعه من يده اليسرى، والدعاء هكذا، وأشار براحتيه إلى السماء، والابتهاال هكذا، ورفع يديه فوق رأسه ظهورهما إلى وجهه".

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال: كان داود إذا دعا في جوف الليل قال: "اللهم نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم اغفر لي ذنبي العظيم إنك عظيم وإنما يغفر العظيم العظيم، إليك رفعت رأسي عامر السماء نظرت العبيد إلى أربابها . اللهم تساقطت القرى وأبطل ذكراها وأنت دائب الدهر معد كرسى القضاء".

قال: وكان من تحميده: "الحمد لله عدد قطر المطر، وورق الشجر، وتسبيح الملائكة، وعدد ما في البر والبحر، والحمد لله عدد أنفاس الخلق ولفظهم وطرفهم وظلالهم، وعدد ما عن أيمنهم وشمالهم، وعدد ما قهره ملكه، ووسعه حفظه، وأحاطت به قدرته، وأحصاه علمه. والحمد لله عدد ما تجرى به الرياح، وتحمله السحاب، وعدد ما يختلف به الليل والنهار، وتسير به الشمس والقمر والنجوم. والحمد لله عدد كل شيء أدركه بصره، ونفذ فيه علمه، وبلغ فيه لطفه. والحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئا حين يدعوني. والحمد لله الذي أسأله فيعطيني، وإن كنت بخيلا حين يستقرضني^(٢). والحمد لله الذي أستعفيه فيعافيني، وإن كنت متعرضا لما يهلكني. والحمد لله الذي حلم في الذنوب عن عقوبتي حتى كأني لا ذنبي لي، ولو يؤاخذني لم يظلمني سيدي. والحمد لله الذي أرجوه أيام حياتي،

(١) كذا ورد في الأصل . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٥) : « ... وبسط يده اليسرى وأشار

٢٠ بإصبعه من يده اليمنى ... الخ » . وفي نهاية الأرب للنويري (ج ٥ ص ٢٨٤) تختلف الرواية عما هنا في أكثر الألفاظ . (٢) في الأصل : « حتى » وهو تحريف .

وهو ذُنْحَرِي فِي آخِرَتِي ، وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لَأَنْقَطَعَ رَجَائِي . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تُمَسِّي
أَبْوَابَ الْمُلُوكِ مَغْلُقَةً دُونِي ، وَبَابَهُ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مَا شِئْتُ مِنْ حَاجَاتِي بِغَيْرِ شَفِيعٍ
فَيَقْضِيهَا لِي . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْلَوَ بِهِ فِي كُلِّ حَاجَاتِي ، وَأَضْعُ عِنْدَهُ سِرِّي فِي أَيِّ
سَاعَةٍ شِئْتُ مِنْ سَاعَاتِي . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَتَّحِبُّ إِلَيَّ وَهُوَ عَنِّي غَنِيٌّ ، فَرَبِّي أَحْمَدُ
شَيْءٍ عِنْدِي وَأَحَقُّهُ بِحَمْدِي“ .

وَكَانَ مِنْ دَعَاءِ يُوسُفَ : ” يَا عُدَّتِي عِنْدَ كَرْبَتِي ، وَيَا صَاحِبِي فِي وَحْدَتِي ،
وَيَا غِيَاثِي عِنْدَ شِدَّتِي ، وَمَفْرَعِي عِنْدَ فَاقَتِي ، وَرَجَائِي إِذَا انْقَطَعَتْ حِيلَتِي ، يَا إِلَهِي
وَالِهُ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، اجْعَلْ لِي فَرْجًا وَمَخْرَجًا وَأَقْضِ حَاجَتِي“ .

وَكَانَ بَكَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقُولُ : ” اللَّهُمَّ لَا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِكَ ، وَلَا تَمَكِّرْ بِي فِي حِيلَتِكَ ،
وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِتَقْصِيرِي عَنْ رِضَاكَ ، عَظِيمَ خَطِيئَتِي فَاغْفِرْ ، وَيَسِيرَ عَمَلِي فَتَقَبَّلْ ،
كَمَا شِئْتَ تَكُونُ مَشِيئَتِكَ ، وَإِذَا عَزَمْتَ يَمْضِي عَزْمُكَ ، فَلَا الَّذِي أَحْسَنَ اسْتَغْنَى
عَنكَ وَعَنْ عَوْنِكَ ، وَلَا الَّذِي أَسَاءَ اسْتَبَدَّ بِشَيْءٍ يَخْرُجُ بِهِ مِنْ قُدْرَتِكَ ، فَكَيْفَ لِي
بِالنَّجَاةِ وَلَا تَوْجِدُ إِلَّا مِنْ قَبْلِكَ ! إِلَهُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَوَلِيُّ الْأَنْبِيَاءِ ، وَبَدِيعُ مَرْتَبَةِ
الْكَرَامَةِ ، جَدِيدٌ لَا يَبْلَى ، حَفِيفٌ لَا يَنْسَى ، دَائِمٌ لَا يَبِيدُ ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، يَقْظَانُ
لَا يَنَامُ ، بِكَ عَرَفْتُكَ ، وَبِكَ أَهْتَدَيْتُ إِلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أُدْرِ مَا أَنْتَ ، فَتَبَارَكْتَ
وَتَعَالَيْتَ“ .

قَالَ الْأَزْدِيُّ حَدَّثْتُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : ” لَا تَقْطَعُوا الشَّهَادَةَ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَإِنَّهُ مِنْ يَقْطَعِ الشَّهَادَةَ عَلَيْهِمْ فَأَنَا مِنْهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَرَهُ » وَمَا أُسْتَبْنَاهُ هُوَ الْأَنْسَبُ بِالْمَقَامِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَسِيرٌ » .

بريء إن الله كتمنا ما يصنع بأهل القبلة^(١) . وقال : « من علم آية من كتاب الله أو كلمة من سنة في دين الله حثا الله له من الثواب حثوا » .

قال وقال الأوزاعي : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم إني أسألك التوفيق لمحائبك من الأعمال وحسن الظن بك وصدق التوكل عليك » .

٥ محمد بن بشر العبدي^(٢) قال حدثنا بعض أشياخنا قال : اعتمر علي عليه السلام فرأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول : يا من لا يشغلُه سمعٌ عن سمع ، ولا تُغليطُه المسائل^(٣) ، ولا يُبرمه إلحاحُ الملحِين^(٤) ؛ أذقني بردَ عفوك وحلاوة مغفرتك ؛ فقال علي : والذي نفسي بيده ، لو قلتها وعليك ملءُ السموات والأرضين ذنوبا لغُفِرَ لك .

١٠ دعا أعرابي عند الملتزم^(٥) فقال : اللهم إن لك علي حقوقا فتصدق بها علي ، وللناس قبلي تبعات فتحملها عني ، وقد أوجبت لكل ضيف قري ، وأنا ضيفك فاجعل قراي الليلة الجنة .

وقال آخر : اللهم إليك خرجت ، وما عندك طلبت ، فلا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي . اللهم وإن كنت لم ترحم نصبي وتعي فلا تحرمني أجر المصاب علي مصيبته .

١٥

(١) حثاله : أعطاه . (٢) كذا في الأصل والخلاصة وتهذيب التهذيب . وجاء في تقريب التهذيب : « محمد بن بشر العبدي » . (٣) لا تغلظه : لا توقعه في الغلط ، وهو من قولهم : أغلظه إذا أوقعه في الغلط . (٤) لا يبرمه : لا يمله ولا يضجره . (٥) الملتزم هكذا ضبطه صاحب المصباح في مادة «لزم» فقال «والتزمته : اعتنقته فهو ملتزم ومنه يقال لما بين باب الكعبة والحجر الأسود الملتزم لأن الناس يعتنقونه أي يضمونه إلى صدورهم» .

٢٠

وقرأتُ في كتابٍ لشيخٍ لنا : اللهم إنه من تهباً أو تعباً ، وأعدت وأستعدت لوفادة مخلوق رجاء رفيده وطلب نبيه ، فإن تهيى وتعبى وإعدادى واستعدادى لك رجاء ريفدك وطلب نائلك الذى لا خطر له ولا مثل . اللهم إني لم آتتك بعملٍ صالح قدمته ، ولا شفاعتة مخلوق رجوته ، أتيتك مُقراً بالظلم والإساءة على نفسي ، أتيتك بآتي لا حجة لي ، أرجو عظيم عقوبك الذى عدت به على الخطائين ، ثم لم يمنعك عكوفهم على عظيم الجرم أن جدت لهم بالمغفرة . فيامن رحمته واسعة ، وفضله عظيم اغفر الذنب العظيم .

ابن عائشة قال : قال الفضل بن عيسى الرقاشي : اللهم لا تدخلنا النار بعد إذ أسكنت قلوبنا توحيدهك ، وإني لأرجو ألا تفعل ، ولئن فعلت لتجمعن بيننا وبين قوم عاديناهم فيك .

بلغني عن ابن عيينة عن أبي حازم قال : لأننا من أن أمنع الدعاء أخوف مني من أن أمنع الإجابة .

أنشدنا محمد بن عمر بعض الشعراء في وصف دعوة :

وسارية لم تسير في الأرض تبغى * محلاً ولم يقطع بها اليد قاطع
سرت حيث لم تسير الركاب ولم تنخ * لوزد ولم يقصر لها القييد مانع
تحل وراء الليل والليل ساقطاً * بأرواقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء ودونها * إذا قرع الأبواب منهن قارع

(١) الخطر بالتحريك : النظر والمثل .

(٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : « تظل ... »

(٣) في العقد الفريد : « ... لوفدها ... الخ » .

(١) إذا أوفدت لم يردد الله وفدها * على أهلها والله راءٍ وسامعٌ
وإني لأرجو الله حتى كأنى (٢) * أرى بجميل الظن ما الله صانعٌ

وقال آخر :

وإني لأدعو الله والأمر ضيقٌ * على فما ينفك أن يتفرجاً
ورب فتى سدت عليه وجوهه * أصاب له في دعوة الله مخرجاً

ونحوه :

إذا تضايق أمرٌ فانتظر فرجاً * فأضيق الأمر أدناه من الفرج

أخذ لرجلٍ من العرب مالٌ فكتب إلى أخيه : يا هذا ، إن الرجل ينام على
الثكل ، ولا ينام على الحرب ، فإما رددته ، وإما عرضتُ اسمك على الله تعالى كل
يومٍ وليلةٍ خمس مراتٍ .

قال عبد الرحمن بن زياد : اشتكى أبي فكتب إلى بكر بن عبد الله يسأله أن
يدعوه ، فكتب إليه بكر : يحق لمن عمل ذنبا لا عُذر له فيه ، وتوقع موتا لا بد له
منه ، أن يكون وجلاً مشفقاً ، سادعوك ، ولساً . أرجو أن يستجاب لي بقوةٍ
في عملي ، ولا براءةٍ من ذنبي ، والسلام .

١٥ خلف بن تميم عن عبد الجبار بن كليب قال : قال لنا إبراهيم بن أدهم حين
عرض لنا السبع : قولوا : اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام ، واجعلنا في كنفك الذي
لا يرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، لا نهلك وأنت رجاؤنا ، قال خلف : فما زلت أقولها
مذ سمعتها ، فما عرض لي قط لئس ولا غيره .

(١) في العقد الفريد : * إذا سألت لم يردد الله سؤالها * (٢) في العقد الفريد (ج ١

٢٠ ص ٣٩٨) : « ... كأنما ... » . (٣) الحرب بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله كله ويترك
بلا شيء . (٤) هكذا ورد في لأصل ولم نوفق إلى تحقيق هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا .

قال أعرابي : من أقام بأرضنا فليكثر من الاستغفار ، فإن مع الاستغفار
الْقَطَارُ^(١) .

بلغني عن موسى بن مسعود النهدي^(٢) عن سفيان الثوري عن قدامة بن حنيفة
الضبي عن خالد بن منجاب عن زياد بن حدير الأسدي أن العلاء بن الحضرمي
عبر إلى أهل دارين البحر بهذه الكلمات : يا حلِيمُ يا حَكِيمُ يا عَلِيَّ يا عَظِيمُ .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن هشام الدستوائي^(٥) عن
حماد عن إبراهيم عن عبد الله في الرجل إذا أراد الحاجة صلى ركعتين ثم قال : اللهم^(٦)
إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرُ بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدرُ
ولا أقدرُ ، وتملك ولا أملك ، وتعلم ولا أعلم ، إن كان هذا الأمر الذي أريده
— وتُسَمِيهِ — خيراً لي في ديني وخيراً لي في معيشتي وخيراً لي فيما أبتغي فيه الخيرة
فيسره لي وبارك لي فيه ، وإن كان شراً لي في ديني وشراً لي في معيشتي وشراً لي
فيما أبتغي فيه الخيرة فاصرفه عني ويسر لي الخيرة حيث كان ثم رَضَّنِي [به]^(٧) .

(١) القطار بالضم : السحاب العظيم القطر .

(٢) في الأصل : « المهدي » بالميم وهو تحريف من النسخ صوابه ما أئتمناه كما في تهذيب

التهذيب والخلاصة وتقريب التهذيب . (٣) في الأصل : « جدير » بالجيم وهو خطأ والتصويب

عن شرح القاموس وتهذيب التهذيب والخلاصة . (٤) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها

المسك من الهند . (انظر باقوت) . (٥) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سبر البكري

البصري الدستوائي بفتح الدال وسكون السين وفتح التاء نسبة إلى دنوا بالقصر وفتح : كورة من كور

الأدواز كما في تهذيب التهذيب والخلاصة ومعجم باقوت . وقد ضبطه صاحب القاموس بضم التاء

وقال في النسبة إليها : دستواني ودستواني . (٦) ورد هذا الدناء في نهاية الأرب (ج ٥

ص ٣٢٦) باختلاف في بعض الكلمات وزيادات عما هنا . (٧) الزيادة عن نهاية الأرب .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوِيَّ عليه بدني بعافيتك ، ونالته يدي بفضل نعمتك ، وانبسطتُ إليه بسعة رزقك ، واحتجبتُ فيه عن الناس بسترك ، واتكلتُ فيه على أناتك وحلمك ، وعولتُ فيه على كريم عفوك .

الأوزاعي قال : من قال : « اللهم إني أستغفرك لما تبتُ اليك منه ثم عدتُ

- فيه ، وأستغفرك لما وعدتُك من نفسي وأخلفتُك ، وأستغفرك لما أردتُ به وجهك فخالطه ما ليس لك ، وأستغفرك للنعم التي أنعمتَ بها علي فتقويتُ بها على معصيتك ، وأستغفرك لكل ذنبٍ أذنبته أو معصية ارتكبتها » غفر الله له ولو كانت ذنوبه عددَ ورق الشجر ، ورميل عاج ، وقطر السماء .^(١)

وكان مطرف يقول : اللهم إني أعوذُ بك من شرِّ السلطان ، ومن شرِّ ما تجرى

- به أفلامهم ، وأعوذُ بك أن أقولَ قولاً حقاً فيه رضاك ألتمسُ به أحداً سواك ، وأعوذُ بك أن أتزينَ للناس بشيءٍ يَشِينُنِي ، وأعوذُ بك أن أكونَ عبرةً لأحدٍ من خلقك ، وأعوذُ بك أن يكونَ أحدٌ من خلقك أسعدَ بما علمتني مني ، وأعوذُ بك أن أستغيثَ بمعصيةٍ لك من ضُرِّ يصيبني .

الأزدى عن عبد الواحد بن زيد قال : شهدتُ مالك بن دينار يوماً وقيل له :

- يا أبا يحيى ادعُ الله أن يسقينا ، قال : تستبطنون المطرَ ! قالوا : نعم ، قال : إني والله أستبطنُ الحجارة .

قال أبو كعب : سمعتُ عطاء السلمي يقول : اللهم ارحم عُربتي في الدنيا ،

ومصرعي عند الموت ، ووحدتي في القبور ، ومقامي بين يديك .

(١) عاج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل مترام ومتداخل بعضه في بعض .

- (٢) كذا في الأصل . ولم نعثُر على اسم عبد الواحد بن زيد في المراجع الخاصة التي تحت أيدينا بأخبار الرواة والتراجم . ولعله « عبد الواحد بن زيد » لوروده كثيراً في المصادر المتقدمة .

حدّثني محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدّثنا
 زهير عن زبيد الياصبي^(١) عن مرة عن عبد الله قال : إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم
 كما قسم بينكم أرزاقكم ، إن الله يُؤتي المالَ من يحبّ ومن لا يحبّ ، ولا يؤتي
 الإيمانَ إلا من يحبّ . فمن ضنّ بالمال أن يُنفقه ، وهاب العدو أن يُجاهده ، والليل
 أن يكابده فليكثر من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

ومن جامع الدعاء : اللهم أغنني بالعلم ، وزيني بالحلم ، وجملني بالعافية ، وأكرمني
 بالتقوى .

وكان من دعاء أبي الحبيب : اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ، ولا الى الناس
 فنضيع ، اللهم اجعل خيراً عملي ما قارب أجلي .

ومن دعاء عمرو بن عبّيد ، اللهم أغنني بالافتقار اليك ، ولا تُغنني بالاستغناء عنك .

ابن عائشة عن سلام بن أبي مطيع قال : سمعت ابن عون يقول : كانوا
 يستحبون من الدعاء : اللهم عبدك وابن عبدك وابن أمّتك لعبيدك وإمائك ،
 أنا الذليل ولا أنتصر ، وأنا الظالم ولا أعتذر ، عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي وإلا
 تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ، فما أتتها ابن عون حتى أجهش بالبكاء .^(٢)

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اجعلني لك شكّاراً ، لك ذكّاراً ، لك
 رهّاباً ، لك مطيعاً ، اليك مُحبّياً ، لك أوّاهاً مُنيباً ، ربّ تقبل توبتي وأغسل حوبتي
 وأجب دعوتي وثبّت حجّتي وأهد قلبي وسدّد لساني » .

(١) في الأصل : « النامي » بالنون وهو تحريف وصوابه « الياصبي » نسبة الى يام : بطن من همدان ،
 كما تقدّم في صفحة ١٧٩ من الحاشية رقم ٢ من هذا المجلد . (٢) أجهش بالبكاء : هم به وتهيا له .

المناجاة

- (١) حدثني عبد الله بن هارون عن سليم بن منصور عن أبيه قال : كنت بالكوفة فخرجت في بعض الليل لحاجة وأنا أظن أني قد أصبحت فإذا علي ليل فملت إلى بعض أبوابها أنتظر الصبح فسمعت من وراء الباب كلام رجل وهو يقول :
- فوعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بنكالك جاهل ، ولا بعقوبتك ولا بنظرك مستخف ، ولكن سولت لي نفسي ، وأعاني على ذلك شقوتي ، وغرني سترك المرخي علي ، فعصيتك بجهل وخالفتك بجهل ، فالآن من عذابك من يستنقذني وبجبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني ، فواسواتاه من الوقوف بين يديك غدا ! إذا قيل للمخفين : جوزوا ، وللثقلين : حطوا ، أفعم الثقلين أحط أم مع المخفين أجوز ! ويل ! كلما كثرت سني كثرت ذنوبي ، وويل ! كلما طال عمري كثرت معاصي فمن كم أتوب ! وفي كم أعود ! أما آن لي أن أستحي من رب !

- بلغني عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة قال : كان داود النبي عليه السلام يقول في مناجاته : سبحانك إلهي ! إذا ذكرت خطييتي ضاقت علي الأرض برحبها ، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلي روعي ، سبحانك إلهي ! أتيت أطباء عبادك ليداووا لي خطييتي فكلهم عليك يدئي .

- حدثني بعض أشياخنا قال : كان داود الطائي يقول : همك عطل علي الهموم ، وحالف بيني وبين السهاد ، وشدة الشفق من لقائك أوبق علي الشهوات ،

- (١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٤) : « وكان آخر يدعو بعرفات : يا رب لم أعصك إذ عصيتك ... الخ » مع اختلاف في بعض الكلمات ونقص عما هنا .
- (٢) أربن : حبس . (٣) كذا في الأصل ولعلها " غني " ليستقيم المعنى .

ومنعني اللذات ، فانا في طلبك أيها الكريم مطلوب^(١) . وقال : تعبّد ضيغماً قائماً حتى أقعد ، وقاعدا حتى استلق ، ومُستلقياً حتى أُخِم ، فلما جَهد رفع بصره الى السماء وقال : سبحانك ، عجباً للخليفة كيف أرادت بك بدلاً ! وسبحانك ، عجباً للخليفة كيف استنارت قلوبها بذكر غيرك ! وعجباً للخليفة كيف أنست بسواك .

عُتبه أبو الوليد قال : كانت امرأة من التابعين تقول :

سبحانك ، ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله ، سبحانك ما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه .

أبو الحسن قال : كان عروة بن الزبير يقول في مناجاته بعد أن قُطعت رجله [ومات ابنه^(٢)] : كانوا أربعة ، يعني بنيه ، فأخذت واحدا وأبقيت ثلاثة ، وكن أربعة يعني يديه ورجليه ، فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثا ، ليمنك^(٣) لئن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت .

وفي حديث بني إسرائيل أن يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام : دُلني على أعبد أهل الأرض فدله على رجلٍ قد قطع الجذام يديه ورجليه ، وذهب ببصره ، فسمعه يقول : متعتني ما شئت ، وسلبتني حين شئت ، وأبقيت لي فيك الأمل يا بارئ يا وُصول .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهم اقطع حوائجي من الدنيا بالشوق الى لقائك ، واجعل قرة عيني في عبادتك ، وارزقني غم خوف الوعيد ، وشوق رجاء الموعود ، اللهم إنك تعلم ما يصلحني في دنياي وآخرتي فكن بي حفيماً .

(١) في الأصل : « مطلوباً » وقواعد اللغة تقتضي ما أثبتناه . (٢) التكلة عن العقد

الفريد (ج ١ ص ٣٩٥) . (٣) ليمنك : بمعنى قولهم : يمين الله .

(٤) الحفي : اللطيف البار المبالغ في الإكرام .

باب البكاء

حدثني أبو مسعود الدارمي^(١) قال حدثني جدي عن أنس بن مالك قال : جاء
فتى من الأنصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) [وقال] : إن أمي تكثر البكاء
وأخاف على بصرها أن يذهب ؛ فلو أتيتها فوعظتها ! فذهب معه فدخل فقال لها
في ذلك ؛ فقالت : يا رسول الله ، أرأيت إن ذهب بصرى في الدنيا ثم صرتُ الى
الجنة ، أيبذلني الله خيرا منه ؟ قال : « نعم » قالت : فإن ذهب بصرى في الدنيا
ثم صرت الى النار ؛ أفيعيد الله بصرى ؟ فقال النبي عليه السلام للفتى : « إن أمك
صدِّيقةٌ » :

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي عن
ثابت بن سعيد قال : ثلاث أعين لا تمسها النار ؛ عين حرسَتْ في سبيل الله ؛ وعين
سهرت في كتاب الله ؛ وعين بكت في سواد الليل من خشية الله .

أبو حاتم عن العتيبي قال حدثنا أبو ابراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضل
فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء ، وأنشد :

فلئن بكيناه يَحِقُّ لنا * ولئن تركنا ذاك للكبير^(٤)
فلمثله جرت العيون دماً * ولمثله جمدت فلم تجر

(١) لم نثر على هذه النسبة في الكتب التي بين أيدينا فيمن كنيته أبو مسعود (انظر الحاشية رقم ٢
ص ٢٧٧ من هذا المجلد فيما تقدم) . (٢) زيادة بقتضيا السياق .
(٣) ورد في الأصل : « أليه » وهو تحريف لأن الأوزاعي ممن روى عنه (أبو إسحاق الفزاري)
ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي إسحاق الفزاري أيضا فتعين حينئذ أن
(أبا إسحاق) هو المقصود في هذه الرواية . راجع تهذيب التهذيب (ج ١٠ ص ٢١٥ وج ٦ ص ٢٣٨)
وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣١ من هذا المجلد . (٤) يوجد في الأصل كلمة « للصبر »
فوق كلمة « للكبير » ولعلها رواية نسخة أخرى .

بلغني عن أبي الحارث الليث بن سعد عن أبيه عن ابن لهيعة عن أبي قبيل
 عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو
 ابن ثماني حجج ، فنظر الى عباد بيت المقدس قد لبسوا مدارع الشعر ، وبرانس
 الصوف ، ونظر الى متهميهم أو قال مجتهديهم قد خرقوا التراقي ، وسلكوا فيها
 السلاسل ، وشدوها الى حنايا بيت المقدس ، فهاله ذلك ، فرجع الى أبويه فمز
 بصبيان يلعبون فقالوا : يا يحيى هلم فلنلعب قال : إني لم أخلق للعب ، فذلك قول
 الله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ فاتى أبويه فسألها أن يدرعاه الشعر ففعلا ،
 ثم رجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارا ويصيح فيه ليلا ، حتى أتته له
 خمس عشرة سنة ، وأتاه الخوف فساح ولزم أطراف الأرض وغيران الشعب ،
 وخرج أبواه في طلبه فوجداه حين نزلا من جبال التيه على بحيرة الأردن وقد قعد
 على سفير البحيرة وأنقع قدميه في الماء ، وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول : وعزتك
 لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك ! فسأله أبواه أن يأكل قُرصا
 كان معهما من شعير ، ويشرب من الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبر ، قال
 الله عز وجل : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ وردد أبواه الى بيت المقدس ،

(١) في الأصل : « ... عن الحارث بن الليث ابن سعد » وهو تحريف ، اذ هو الليث بن سعد
 ويكنى بأبي الحارث . وما يؤيد ما ذهبنا اليه أن ابن لهيعة ومن بعده روى عنهم الليث بن سعد ولذا
 ترجح لدينا أن ما ورد في الأصل خطأ صوابه ما أثبتناه . راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٧٣ و ج ٨
 ص ٤٥٩) وطبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ثان ص ٢٠٤ طبع « ليدن » سنة ١٣٣٨ هـ) . وورد
 في الأصل : « أبي لهيعة » وهو تحريف والتصويب عن المصادر المتقدمة . (٢) في قصص
 الانبياء (ص ٢٨٨) : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كان من زهد يحيى أنه أتى
 بيت المقدس ... الخ » . ووردت فيه هذه القصة باختلاف في بعض الالفاظ وزيادات عما هنا .
 (٣) في قصص الانبياء : « ... وشدوا بها الى سواري المسجد » . (٤) نيران : جمع
 نارة وهو ما ينحت في الجبل كالمغارة يأوى اليه الوحوش فاذا اتسع قيل له : كهف .

فكان اذا قام في صلاته بكى ، ويبكى زكريا لبكائه حتى يُغمى عليه ، فلم يزل كذلك حتى خرقت دموعه لجم خديه ، وبدت أضرأسه ، فقالت له أمه : يا يحيى ، لو أذنت لي لآتخذتُ لك ليداً إيوارى أضرأسك عن الناظرين ؛ قال : أنتِ وذاك ، فعمدتُ الى قِطعتي لُبودٍ فالصقتُهما على خديه ، فكان اذا بكى استنقعت دموعه في القطعتين فتقومُ اليه أمه فتعصرُهما بيديها ، فكان اذا نظر الى دموعه تجرى على ذراعى أمه قال : اللهم هذه دموعى وهذه أمى وأنا عبدك وأنت أرحمُ الراحمين .

بلغنى عن أبي معاوية عن أبي إسحاق الخميسى^(١) قال كان يزيد الرقاشى يقول :
ويحك يا يزيد ! مَنْ يصومُ عنك ! مَنْ يصلّى عنك ! ومن ذا يترضى لك ربك من بعدك ! ثم يقول : يا معشر من الموت موعده ، والقبر بيته ألا تبكون ! قال :
فكان يبكى حتى تسقط أشفاره^(٢) عينيه .

بلغنى عن محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيب عن الحسن قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَةٍ دِمٍ فِي سَبِيلِهِ وَقَطْرَةٍ دَمِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَتِهِ ، وَمَا مِنْ جَرَّةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَرَّةٍ مَصْبِيَةٍ مُوجِعَةٍ رَدَّهَا بِصَبْرٍ وَحَسَنٍ عَزَاؤُهُ ، وَجَرَّةٍ غَيْظٍ كَظَمَ عَلَيْهَا »
مُعْتَمِر بن سليمان عن رجلٍ قال : كان في وجنتي ابن عباس خطان من أثر الدموع .

(١) في هامش تهذيب التهذيب ما نصه : « والخميسى بفتح المعجمة وكسر السين المهملة كذا في الخلاصة والتقريب » وفي هامش الخلاصة « أن السمعاني صاحب الأنساب ضبطه بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الباء التختانية ثم مهملة مكسورة وهكذا في لب الباب » . (٢) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) وهو ما يقتضيه نص اللغة ، فنى تاج العروس : « الشفر بالضم ويفتح : أصل منبت الشعر في الجفن ويجمع على أشفار ، قال سيبويه : ولا يكسر على غير ذلك » . وفي الأصل : « شفار » .

حدثني محمد بن داود عن سعيد بن نصير قال حدثنا سيار عن جعفر قال :
كنت إذا أحسست من قلبي بقسوة أتيت محمد بن واسع فنظرت إليه نظرة ؛ قال :
وكنت إذا رأيت وجهه حسبتُه وجه نكلي .

وكان يقال : أخوك من وعظك برؤيته قبل أن يعظك بكلامه .

تكلّم الحسن يوماً حتى أبكى من حوله فقال : عجيج كعجيج النساء ولا عزم ،
وخذعة نخدعة إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً يبكون .

أبو عاصم قال : فقد مالك بن دينار مصحفه في مجلسه ؛ فنظر إليهم كلهم
يبكون ؛ فقال : كلّم يبكي ! فمن سرق المصحف ؟ .

قال عبد العزيز بن مرزوق : الكمد أبقى للحنن ؛ وكانت له شعيرات في مُقدم
صُدغه فإذا رُق نتفها أو مدّها الى فوق فتقاصّ دمعُه .

قيل لغالب بن عبيد الله : إنا نخاف على عينك العمى من طول البكاء ؛ فقال :
هو لها شهادة ؛ قال بعض الشعراء :

سأبكيك حتى تُنفد العين ماءها * ويشفي مني الدمع ما أتوجع

وقال بعض الكتاب في مثله :

إبك فمن أنفع مافي البكا * أنه للأحزان تسهيل

وهو إذا أنت تأملتَه * حزن على الخدين محلول

قيل لعفيرة العابدة : ألا تسامين من طول البكاء ؟ فبكت ثم قالت : كيف
يسأم ذوداء من شيء يرجو أن يكون له فيه من دائه شفاء ! .

(١) كذا في الأصل ، ولعله محرف عن « داود » . (٢) العجيج : الصياح ورفع الصوت .

(٣) كذا في الأصل وفي طبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ثان ص ١٨١) . وفي العقد الفريد (ج ١

ص ٣٨٤) والبيان والتبيين (ج ٣ ص ٨١) : « غالب بن عبد الله » .

قال ابن أبي الحواري: رأيت أبا سليمان الداراني يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟
فقال: إنما أبكي لذلك الغم الذي ليس فيه فرح، وذلك الأمد الذي ليس له انقطاع.
قال بعضهم: أتيت الشام، فمررت بدير حرملّة، وبه راهب كأن عينيه عدلاً
مزاجاً، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: يا مسلم، أبكي على ما فرطت فيه من عمرى،
وعلى يوم مضى من أجلي لم يتبين^(١) فيه عملي. قال: ثم مررت بعد ذلك فسألت
عنه، فقالوا: أسلم وغزاً فقتل في بلاد الروم.

أشعث قال: دخلت على يزيد الرقاشي فقال لي: يا أشعث، تعال حتى
نبتكي على الماء البارد في يوم الظم، ثم قال: والخفاه! سبقني العابدون وقطع بي،
وكان قد صام ثلاثين أو أربعين سنة.

زيد الحميري^(٢) قال: قلت لثوبان الراهب: أخبرني عن لبس النصارى هذا
السواد، ما المعنى فيه؟ قال: هو أشبه بلباس أهل المصائب، قال فقلت: وكلّم
معشر الرهبان قد أصيب بمصيبة؟ فقال: يرحمك الله! وأى مصيبة أعظم
من مصائب الذنوب على أهلها! قال زيد: فلا أذكر قوله ذلك إلا أبكاني.

ابن أبي الحواري قال: دخلت على أبي سليمان وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟
قال: يا أحمد، إنه إذا جنّ الليل وهدأت العيون وأبس كلُّ خليلٍ بخليله، فرش
أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم يُسمع لها وقعٌ على أقدامهم،
وقد أشرف الجليل عليهم فقال: بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الي، فما هذا
البكاء الذي أراه منكم! هل أخبركم أحد أن حبيبا يعدبُ أحبائه! أم كيف أبيتُ

(١) في العقد الفريد: «لم يحسن فيه عملي» . (٢) هكذا في الأصل، وفي العقد الفريد

«أبو زيد الحميري» . (٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٦٨): «وقال أبو زيد» .

قوما، وعند البيات أجدهم وقوفا يمتلقونني! فبي حلفتُ أن أكشف لهم يوم القيامة
عن وجهي ينظرون اليّ .

قالت خنساء : كنتُ أبكي لصخري من القتل ، فأنا أبكي له اليوم من النار .

قال عمر بن ذرّ لأبيه : يا أبتِ ، مالك إذا تكلمت أبكيت الناس ، وإذا تكلم
غيرك لم يُبكهم؟ فقال : يا بني ، ليست النائحة الشكي مثل النائحة المستأجرة .

وفي بعض ما أوحى الله الي نبيّ من أنبيائه : هب لي من قلبك الخشوع ، ومن
بدنك الخضوع ، ومن عينك الدموع ، وادعني ، فإني قريب .

وكان عمر يقول : استغزروا العيون بالتذكّر .

التهجد

حدثنا حسين بن حسن المرّوزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرني
معمّر والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي زمعة بن كعب الأسلمي
قال : كنتُ أبيتُ عند حُجرة النبي صلى الله عليه وسلم فكنتُ أسمع ، إذا قام من
الليل ، "سبحانَ الله ربّ العالمين" الهويّ من الليل ثم يقول : "سبحانَ الله وبحمده"
الهويّ .

حدثنا حسين قال حدثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة^(٣) قال : سمعتُ
المغيرة بن شعبة يقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورت قدماه ،

(١) في الأصل : «يحيى بن أبي كنين» وهو تحريف . والتصويب من تهذيب التهذيب والخلاصة
وتفريب التهذيب . (٢) الهويّ بالفتح : الحين الطويل من الزمان ، وقيل هو مختص بالليل
(لسان العرب) . (٣) في الأصل : «زياد عن علاقة» بالفاء وهو خطأ صوابه «زياد بن علاقة»
كما وضعناه . (راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٣٨٠ وج ٤ ص ١١٧ وج ١٠ ص ٢٦٢ وطبقات
ابن سعد (ج ٦ ص ٢٢١) .

فقيل: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبدا شكورا».

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل .

بلغني عن رباح عن معتمر عن رجلٍ قد سماه قال: قال يزيد الرقاشي: إذا أنا نمتُ ثم استيقظتُ ثم نمتُ فلا نامت عيناى، وعلى الماء البارد السلام، يعنى بالنهار .

وروى جرير عن عطاء بن السائب قال: قال عبيدة بن هلال الثقفي: لا يشهد على ليل بنوم ولا شمس بإفطار، فبلغ ذلك عمر فأقسم عليه ليفطرن العيدين .

وروى حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن جده عمير بن حبيب قال: كان يقول لأهله: يادلاه، الدُّبَّةُ الدُّبَّةُ، إنه من يسبق إلى الماء يظما، ياهلا، الدُّبَّةُ الدُّبَّةُ، إنه من يسبق إلى الظل يضحى .

قال أبو سليمان الداراني: أهل الليل في ليهم ألد من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببتُ البقاء .

نخرج عيسى عليه السلام على الحواريين، وعليهم العباء^(٢) وعلى وجوههم النور، فقال: يا أبناء الآخرة، ما تنعم المتنعمون إلا بفضل نعيمكم .

(١) هكذا في الأصل، ولم نوفق إلى تحقيق هذه النسبة لمن يسمى «عبيدة بن هلال» ولم نثر عاينه
لا في كتب تراجم الرواة ولا في كتب الأنساب وغيرها من الكتب التي بين أيدينا، وفي البيان والتبيين
(ج ٣ ص ٨٠): «... عن عبدة الثقفي...» . (٢) العباء بالفتح: كساء من صوف مفتوح
من قدام يلبس فوق الثياب .

وقيل للحسن : ما بأل المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال : إنهم خلوا
بالرحمن فالبسهم نورا من نوره .^(۱)

حُصَيْن بن عبد الرحمن عن إبراهيم قال : كان رجلاً يقال له همام يقول :^(۲)
اللهم آسفني من النوم باليسير، وأرزقني سهرا في طاعتك . وكان يُصبح وجهه^(۳)
مَرَجَلَةً ، فيقول بعضهم لبعض : إن جُمَّة همام تخبركم أنه لم يتوسدها الليلة .

قال عبد الله بن داود : كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشه . وكان
بعضهم يُحيي الليل ، فإذا نظر إلى الفجر قال : «عند الصباح يحمد القوم السرى» .^(۴)

حدثنا حسين بن حسن قال : أخذ الفضيل بن عياض بيدي ثم قال : يا حسين ،
يقول الله : كَذَبَ من ادعى محبتي وإذا أجنَّه الليلُ نام عني ، أليس كل حبيب يُحبُّ
خلوة حبيبه ! هاأنذا مُطَّلِعٌ على أحبائي ، إذا أجنَّهم الليلُ جعلتُ أبصارهم في قلوبهم ،
ومثلتُ نفسي بين أعينهم ، فحاطبوني على المشاهدة وكلموني على الحضور .

الوليد بن مسلم قال حدثني عبد الرحمن بن يزيد قال : كُتِّبَ نعازي عطاء الخراساني^(۵)
فكان يُحيي الليلَ صلاةً ، فإذا مضى من الليل ثلثه أو أكثر نادانا ونحن في فسطاطنا :
يا عبد الرحمن بن يزيد ، ويا يزيد بن يزيد ، ويا هشام بن الغاز ، قوموا فتوضؤوا^(۶)

(۱) في العقد الفريد (ج ۱ ص ۳۸۴) : «فأسفر نورهم من نوره» . (۲) سما همام
بالفتح والتشديد وهمام بالضم والتخفيف . وإنما نستطع ضبطه هنا لأنه ورد مجردا . (۳) الجمة بالضم :
مجمع شعر الرأس . ومرجلة : مسرحة . (۴) هذا مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة .
(۵) هكذا في الأصل ، والمعنى معه غير مستقيم . ويظهر من سياق الكلام أن كلمة «نعازي»
الواردة في الأصل محرقة عن كلمة «نقاري» من قراءه مقاراة إذا دارسه أي شاركه في الدرس ؛ وبها
يلتئم نظم الكلام ويستقيم المعنى . (۶) كذا بالأصل وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب .
وفي الخلاصة : «الغازي» بياء بعد الزاي المعجمة .

وَصَلُّوا، فَإِنَّ قِيَامَ هَذَا اللَّيْلِ وَصِيَامَ هَذَا النَّهَارِ أَيْسَرُ مِنْ شَرْبِ الصَّدِيدِ وَمِنْ مَقْطَعَاتِ الْحَدِيدِ؛ فَالْوَحَا الْوَحَا ثُمَّ النَّجَاءَ النَّجَاءَ؛ وَيُقْبَلُ عَلَى صَلَاتِهِ .

مالك بن مِفْعُول^(١) عن رجل من جَعْفِيٍّ^(٢) عن السدي عن أبي أراكة قال : صَلَّى عَلَى الْغَدَاةِ ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى أَرْتَفَعَتِ الشَّمْسُ كَأَنَّ عَلَيْهِ كَابَةً، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ ، لَقَدْ رَأَيْتُ أَثْرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشْبِهُهُمْ ، وَاللَّهِ إِنْ كَانُوا لَيُصْبِحُونَ شُعْنًا غُبْرًا صُفْرًا ، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ مِثْلَ رُكْبِ الْمِعْزَى ، قَدْ بَاتُوا يَتَلَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ ، يَرَاوِحُونَ بَيْنَ أَقْدَامِهِمْ وَجِبَاهِهِمْ ؛ إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ مَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ فِي يَوْمِ رِيحٍ ، وَأَنْهَمَتِ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تُبَلَّ ثِيَابَهُمْ ، وَكَأَنَّهُمْ ، وَاللَّهِ ، بَاتُوا غَافِلِينَ . يَرِيدُ أَنَّهُمْ يَسْتَقَلُّونَ ذَلِكَ .

١٠ المحاربي عن الإفريقي قال حدثنا أبو علقمة عن أبي هريرة قال : إن أهل السماء ليرَوْنَ بيوتَ أهلِ الذِّكْرِ تُضِيءُ لَهُمْ كَمَا تُضِيءُ الْكَوَاكِبُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ .

يَعْلَى بن عبيد عن محمد بن عون عن إبراهيم بن عيسى عن عبد الله بن عيسى قال : كُونُوا يَنْبِيعَ الْعِلْمِ ، مَفَاتِيحَ الْهُدَى ، أَحْلَاسَ الْبُيُوتِ ، جُدَدَ الْقُلُوبِ ، خُلُقَانَ الثِّيَابِ ، سُرُجَ اللَّيْلِ ، تُعْرَفُوا فِي أَهْلِ السَّمَاءِ ، وَتُخْفَوُا فِي أَهْلِ الْأَرْضِ .

١٥ حدثني محمد بن داود قال حدثنا أبو الربيع الزهراني قال حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن إبراهيم : فِي الرَّجُلِ يَرَى الضُّوْءَ [بِاللَّيْلِ] ؛ قَالَ : هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لَوْ كَانَ هَذَا فَضْلًا لَأُوتِرَ بِهِ أَهْلُ بَدْرٍ .

(١) كذا في تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال والقاموس وشرحه ، وفي الأصل :

« معول » بالعين المهملة ، وهو محريف . (٢) جعفي : قبيلة من مذحج . (٣) الأحلاس

٢٠ جمع جلس (بكسر الحاء وسكون اللام) وهو من يلازم البيت ولا يبرحه ؛ ومنه الحديث الشريف :

« كُونُوا أَحْلَاسَ بَيْوتِكُمْ » أي الزمواها . (٤) في الأصل : « تعرفون ... وتخفون ... » وقواند

اللفظة تقتضي ما أثبتناه ؛ لوفوعهما جوابا للأمر . (٥) التكلمة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) .

الموت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب قال : نظرت الى عمر بن عبد العزيز فأدمتُ النظرَ اليه ؛ قال : ما تنتظرُ يا محمد ؟ قلت : أنظر الى ما أبيض من شعرك ، ونحل من جسمك ، وتغير من لونك ؛ فقال : أما والله لو رأيتني في القبر بعد ثلاثة ؛ وقد سألتُ حدقتاي على وجنتي ، وسال منخرأي صديدا ودودا ، لكنتُ أشدَّ نكرةً^(١) .

وقال الأصمعي : دخلتُ بعضَ الجباين^(٢) ، فإذا أنا بجاريةٍ ما أحسبها أتت عليها عشرُ سنين ، وهي تقول :

عَدِمْتُ الحَيَاةَ وَلَا نَلَمُهَا * إِذَا كُنْتُ فِي القَبْرِ قَدْ أَلْحَدُوكَا
وَكَيْفَ أَذُوقُ لَذِيذَ الكَرَى * وَأَنْتَ بِمِنَاكٍ قَدْ وَسَّدُوكَا

قال الأزدي : بلغني أن داود الطائي مرَّ بامرأةٍ تبكي عند قبرٍ وهي تقول :

يَا أَخَاهُ ! لَيْتَ شَعْرِي :
بِأَيِّ خَدَيْكَ تَبْدَى البِلَى * وَأَيُّ عَيْنِكَ إِذَا سَالَا
فَصَيِقَ مَكَانَهُ ثُمَّ تَعَبَّدَ .

حدثني محمد بن مرزوق قال حدثنا محمد بن نصر المعلم قال حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار أنه قال :

أَتَيْتُ القُبُورَ فَنَادَيْتُهُمْ مِنْ أَيْنَ المَعْظَمِ والمُحْتَقَرِ
وَأَيْنَ المُدِيدِ بِسُلْطَانِهِ * وَأَيْنَ المَزَكِيِّ إِذَا مَا أَفْتَحَرَ

(١) النكرة (بفتح النون والكاف) : اسم من الانتكار .

(٢) الجباين جمع جبانة ،

٢٠ وهي المقبرة .

قال : فنوديتُ من بينها ولا أرى أحدا :

تفانوا جميعاً فما نُخبرُ * وماتوا جميعاً وماتَ الخبيرُ
تروحُ وتغدو بناتُ الثرى * وتُمحى^(١) محاسنُ تلك الصورِ
فيا سائلِ عن أناسٍ مضوا * أما لك فيما ترى مُعتبرُ

قال : فرجعت وأنا أبكى .

بلغني أنه قرئ على قبرٍ بالشام :

باتوا على قُللِ الأجيالِ تحرسهم^(٢) * غلبُ الرجالِ فلم تنفعهم القُللُ^(٣)
واستزلوا بعد عزٍّ من معاقلهم * فأسكنوا حُفرةً يابئس ما نزلوا
ناداهم صارخٌ من بعد ما دُفِنوا * أين الأسرَةُ والبيجانُ والحُللُ
أين الوجوهُ التي كانت مُججبةً^(٤) * من دونها تُضربُ الأستارُ والكَللُ^(٥)
فافصحَ القبرُ عنهم حين مساءلم * تلك الوجوهُ عليها الدودُ تقتتلُ^(٦)
قد طال ما أكلوا دهرًا وما نعيموا^(٧) * فأصبحوا بعد طول الأكل قدأكلوا

وقال آخر :

ربُّ قومٍ عبَروا من عيشهم * في نعيمٍ وسرورٍ وغَدَقِ

سكتَ الدهرُ زمانا عنهم * ثم أبكاهم دما حين نطقِ

(١) في الإحياء للغزالي : « فتمحو... » . (٢) القلل : جمع قلة ، وهي أعلى الجبل .

(٣) في تاريخ أبي الفدا (ج ٢ ص ٤٧ طبع الآستانة) : « فما اغنهم » . (٤) في تاريخ

أبي الفدا : « منعمة » . (٥) الكلل : جمع كلة (بكسر الكاف) وهي السرة الرقيق المعروف

في زماننا هذا بالناموسية . (٦) في تاريخ أبي الفدا : « يقتتل » وفي اسم الجنس ، كالدود

هنا ؛ يجوز الامران . (٧) في تاريخ أبي الفدا : « شربوا » .

نزل النعمان ومعه عدي بن زيد في ظل شجرة عظيمة ليلهوا، فقال له عدي بن زيد : أتدرى ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : لا، قال تقول :

رَبِّ شَرِبْ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا * يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالمَاءِ الزَّلَالِ
ثُمَّ أَصْحَوْا لَعَبِ الدَّهْرِ بِهِمْ * وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

وقال ابراهيم بن المهدي :

بِالله رَبِّكَ كَمْ بَيْتٍ مَرَرْتَ بِهِ * قَدْ كَانَ يُعَمَّرُ بِاللذَّاتِ وَالطَّرِيبِ
طَارَتْ عُقَابُ المَنَايَا فِي سَقَائِفِهِ * فَصَارَ مِنْ بَعْدِهَا لِلوَيْلِ وَالْحَرْبِ

أنشدنا أبو عبد الرحمن صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل بن أحمد

العروضي :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَقَصْرُكَ المَوْتُ ^(٣) * لَا مَرْحَلٌ عَنْهُ وَلَا قَوْتُ
بَيْنَا غِنَى بَيْتٍ وَبِهَجْتُهُ * زَالَ الغِنَى وَتَقَوَّضَ البَيْتُ

حدثني يزداد بن أسد عن الطنافسي قال حدثنا أبو محمد قال : كان مالك بن

دينار يخرج إلى القبور كل خميس على حمار قوطراني ويقول :

أَلَا حَى القَبُورِ وَمِنْ بَيْتِهِ * وَجُوهٌ فِي القَبُورِ أَحْبَبُهُ
فَلَوْ أَنَّ القَبُورَ سَمِعْنَ صَوْتِي * إِذَا لَأَجِبْنِي مِنْ وَجْدِهِنَّ
وَلَكِنِ القَبُورَ صَمَّتْنَ عَنِّي * فَأَبْتُ بِحِسْرَةٍ مِنْ عِنْدِهِنَّ

(١) في الكامل للرد (طبع أورور باصفحة ٢٨٣) : «رب ركب... حولنا * يمزجون...» وفي البيت

الثاني «عصف» بدل «لعب» . (٢) في الأصل : «عقار المنايا» . (٣) قصرك :

فصاراك وعانيتك . (٤) كذا بالأصل ، ولم نجد في مصدر آخر مسمى بهذا اللفظ وإنما سموا

يزداد (بالدال) ويزدان (بالنون) . (٥) كذا بالأصل ولم نوفق إلى هذه النسبة .

ثم يبكي وبكى .

قال معاوية بن أبي سفيان لعبيد بن شربة الجرهمي : أخبرتني بأعجب شيء رأيتُه في الجاهلية ؛ فقال : إني نزلتُ بحَيٍّ من قُضاة نخرجوا بجزارة رجلٍ من عُدرة يقال له حُرَيْثٌ وخرجتُ معهم ، حتى إذا وأرَّوه في حفرة انتبذتُ جانباً عن القوم

وعيناي تَدْرِفانُ ثم تمثَّلتُ بأبياتٍ شعريِّ كنتُ أرويهما قبل ذلك بزمانٍ طويلٍ :

تجرى أمورٌ ولا تَدْرِي : أوائلُها * خيرٌ لنفسك أم ما فيه تأخيرٌ
فاستقدِرِ اللهَ خيراً وارضينَّ به * فبينما العسرُ إذ دارت مياسيرُ
وبينما المرءُ في الأحياءِ مغتبطاً * إذ صار في الرمسِ تغفوه الأعاصيرُ
يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحَيِّ مسرورُ

قال : والى جانبي رجلٌ يسمع ما أقول ، فقال لي يا عبدَ الله ، هل لك علمٌ بقائلِ هذه الأبياتِ ؟ قلتُ : لا والله ؛ إلا أتى أرويهما منذُ زمانٍ ؛ فقال : والذي تمخِّفُ به إن قائلها لصاحبنا الذي دفنناه آنفاً ، وهذا الذي ترى ذو قرابته أسر الناس بموته ، وإنك لغريبٌ وتبكي عليه كما وصفتُ ؛ فعجبتُ لما ذكره في شعره وما صار إليه من أمره وقوله ، كأنه ينظر إلى مكاني من جنازته ، فقلتُ : «إن البلاء موكلٌ بالقول» ؛ فذهبتُ مثلاً .

قال أعرابيٌّ : خيرٌ من الحياة ما إذا فقدته أبغضتَ لفقده الحياة ، وشرٌّ من الموت ما إذا نزل بك أحببتَ لتزوله الموت .

(١) في درة الفواص للحريري (ص ٣٣ طبعة الجواثب) : "وما تدرى أعاجلها * أدنى لشدك"

وفي الأصل هنا : ولا يدرى أوائلها * خيراً الخ ... وهو تحريف .

وقال أبو زبيد :

يَمْلِكُ المرءُ بالرجاءِ وَيُضْحِي * غَرَضًا لِلنَّوْنِ نَصَبَ العودِ
كُلُّ يَوْمٍ ترميه منها برشقي^(١) * فمصيب^(٢) أو صاف غير بعيد

وقال أبو العتاهية :

وعظمتك أجداتٌ صُمْتُ * ونعتك أزمنةٌ خُفْتُ
وتكلمتُ عن أوجهٍ * تبلى وعن صور شنت^(٣)
وأرتك قبرك في القبو * رِ وأنت حيٌّ لم تمت

وقال أعرابي : أبعدَ سفرًا أوَّلُ منقلبةٍ منه الموتُ . وقيل لأعرابي : مات
فلانٌ أصحَّ ما كان ؛ فقال : أو صحيحٌ من الموتِ في عنقه ! وقال بعض المحدثين :
اسمع فقد أسمعك الصوتُ * إن لم تبادر فهو الفوتُ
بل كلُّ اذاشئت وعيش ناعما * آخرُ هذا كله الموتُ

وكان صالح المري يقول في قصصه :

مؤمِّلُ دنيا لتبقى له * فمات المؤمِّلُ قبل الأملِ
وبات يُروى أصولَ الفسيل^(٥) * فعاش الفسيلُ ومات الرجلُ

وقال مسلم بن الوليد :

كم رأينا من أناس هلكوا * وبكى أحبَّهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لمن بعدهم * وودهم لو قد هوا ما تركوا

(١) الرشق : الشوط من الرمي . (٢) صاف السهم عن الهدف : عدل عنه ولم يصبه .

(٣) كذا في ديوان أبي العتاهية طبع بيروت . وفي الأصل والمسعودي : « وعن صور سبت » .

(٤) المنقلة (بالفتح) : المرحلة من مراحل السفر . (٥) الفسيل : صفار النخل .

كم رأينا من ملوك سُوقَةٍ * ورأينا سُوقَةً قد ملكوا
 قلبَ الدهرِ عليهم وركا * فاستداروا حيث دار الفلكُ
 حدثني أبي عن أبي العتاهية أنه قرئ له بيتان على جدارٍ من جُدُرِ كنيسة
 القسطنطينية :

٥ ما اختلف الليلُ والنهارُ ولا * دارت نجومُ السماءِ في الفلكِ
 إلا بنقلِ السلطانِ عن ملكِ * كان يحبُّ الدنيا الى ملكِ
 وقال آخر:

١٠ ما أنزل الموتَ حقَّ منزله * من عدَّ يوماً لم يأت من أجله
 والصدقُ والصبرُ يبلغان بمن * كانا قرينيه منتهى أمله
 عليك صدق اللسان مجتهدا * فإن جُلَّ الهلاك في زلله
 وقال الطرمّاح :

١٥ فيارب لا تجعلُ وفاتي إن أت * على شرجعٍ يُعلى ^(١) ركنِ المطارفِ
 ولكن أجزئومي شهيداً وعُصبةً ^(٢) * يصابون في فجعٍ من الأرض خائفِ
 عصابُ من شتى يؤلفُ بينهم * هدى الله نزالون عند المواقفِ ^(٣)
 إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى * وصاروا الى موعودها في المصاحفِ
 فأقتلُ قعصاً ثم يُرمى بأعظمي ^(٤) * كضفتِ الخلالا بين الرياح العواصفِ ^(٥)
 ويصبح لحي بطنَ طير مقيلة * دوين السماء في نسور عوائفِ ^(٦)

(١) الشرجع: التعش. (٢) رسمت هذه الجملة في الأصل هكذا: «ولكن أنريومي». وقد وردت
 هذه الأبيات في الأغاني في ترجمة الطرمّاح باختلاف كثير في الكلمات عما هنا. (٣) في الأغاني
 (ج ١٠ ص ١٦٠ طبع بولاق): «الى ميعادها في المصاحف». (٤) قعصه قعصا: قتله مكانه.
 (٥) الضفت: قبضة حديش مختلطة الرطب باليابس. (٦) العوائف من الطير: التي تستدير
 على الشيء. حائمة حوله تريد الوقوع.

وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ قَالَ : اتَّخَذَ نُوحٌ بَيْتًا مِنْ خُصٍّ ، فَقِيلَ لَهُ لَوْ بَنَيْتَ بَيْتًا ؟
فَقَالَ : هَذَا لِمَنْ يَمُوتُ كَثِيرًا .

بَلغنى عن إسماعيل بن عيَّاش عن سُرحبيل بن مسلم أن أبا الدرداء كان إذا
رأى جنازة قال : اِغْدَى فإنا رائحون ، أو قال : رُوحى فإنا غادون . وهذا مثل قول لبيد :
وإنا وإخواننا لنا قد نتابعوا * لكالمغتدى والرائح المتهجري^(١)

بَلغنى عن وكيع عن شريك عن منصور عن هلال بن إساف قال : ما من
مولود يولد إلا وفي سرتة من تربة الأرض التي يموت فيها . قال الأصمعي : أول
شعر قيل في ذم الدنيا قول ابن خَدَّاق :^(٢)

هل للفتى من بنات الدهر من راقى * أم هل له من حِمام الموت من واقى
قد رجَّلوني وما رجَّلتُ من شَعْبِ * وألبسونى ثيابا غير أخلاقِ^(٣)
وطبَّبوني وقالوا أَيْمًا رجِّلِ * وأدرجونى كأنى طى مخراقِ
هونَ عليك ولا تُولعَ بإشفاقِ * فإنما ما لنا للوارث الباقي

محمد بن فضيل عن عبيد الله بن عمير قال : جاء رجل الى النبي عليه السلام
فقال : يا نبي الله ، ما لي لا أحبُّ الموت ؟ فقال له : «هل لك مال» ؟ قال : نعم ، قال :
«قدمه بين يديك» ، قال : لا أطيق ذلك ، قال : فقال النبي عليه السلام : «إن المرء
مع ماله إن قدمه أحبُّ أن يلحقَ به وإن أخره أحبُّ أن يتخلفَ معه» .

المحاربي عن عبد الملك بن عمير قال : قيل للربيع بن خيثم في مرضه : ألا
ندعو لك طبيبًا ؟ قال : أنظروني ، ثم فكر فقال : (وعادًا ومُؤدَّ وأصحابَ الرِّسِّ وقُرُونًا

(١) كذا في ديوان لبيد ، وفي الأصل «المتجبر» بالباء وهو تحريف . (٢) كذا في كتاب

الأوائل لأبي هلال العسكري والقاموس وشرحه مادة «خلق» وفي الأصل «حلاق» وهو تحريف .

(٣) مخراق : ثوب أو منديل يلف ويضرب به .

بين ذلك كثيراً) قد كانت فيهم أطباء، فما أرى المداوي بقي ولا المداوي؛ هلك
الناعت والمنعوت له، لا تدعوا لي طبيبا .

إسحاق بن سليمان عن أبي أحمد قال : كان عمر بن عبد العزيز ليس له ^(١) هجيري
إلا أن يقول :

٥ نَسْرُ بِمَا بَيْتِي وَتَفْرَحُ بِالْمَنَى * كَمَا اغْتَرَّ بِاللذَاتِ فِي النُّومِ حَالُمُ
نَهَارِكَ يَا مَغْرُورٌ سَهُوٌ وَغَفْلَةٌ * وَلَيْسُ لَكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمُ
وَسَعِيكَ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غَيْبُهُ * كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبِهَائِمُ

كم من مستقبل يوم ليس بمستكمله ، ومنتظر غدا ليس من أجله ؛ لو رأيتم
الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

١٠ لا يلبث القرآن أن يتفرقوا * ليل يكثر عليهم ونهار

يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن ورد عن سالم بن بشير
ابن سحج عن أبي هريرة : أنه بكى في مرضه فقال : أما إني لا أبكي على دنياكم
ولكنني أبكي على بعد سفرى وقلة زادى ، وأنى أسيت في صعود مهبطه على جنة
أونار، ولا أدري على أيهما يؤخذ بي ! .

١٥ أبو جناب قال : لما احتضر معاذ قال لجاريته : ويحك ! هل أصبحنا ؟
قالت : لا ؛ ثم تركها ساعة ثم قال لها : انظري ! فقالت : نعم ؛ فقال : أعوذ بالله
من صباح إلى النار ! ثم قال : مرحبا بالموت ، مرحبا بزائر جاء على فاقة ، لا أفلح
من ندم ! اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لكريمي الأنهار ولا لغرس
الأشجار ، ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل ولظما المواجه في الحر
الشديد ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر .

٢٠

(١) الهجيري : الداب والعادة .

أبو اليقظان قال : لما احتضر عمرو بن العاص جعل يده في موضع الغل من عنقه ثم قال : اللهم إنك أمرتنا ففرطنا، ونهيتنا فركبنا ، اللهم إنه لا يسعنا إلا رحمتك ، فلم يزل ذلك هجيراً حتى قبض .

٥ قيل لأزاد مررد بن الهريذ حين احتضر : ما حالك ؟ فقال : ما حال من يريد سفراً بعيداً بلا زاد، وينزل حفرة من الأرض موحشة بلا مؤنس ، ويقدم على ملك جبار قد قدم إليه العذر بلا حجة !

١٠ حدثني عبدة الصفار قال حدثني العلاء بن الفضل قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه عن جده عن جد أبيه قال : سمعت أمية بن أبي الصلت عند وفاته وأغمى عليه طويلاً ثم أفاق، ورفع رأسه إلى سقف البيت وقال : ليكما ليكما، هاذا لديكما ، لا عشيرتي تمجيني ، ولا مالي يفديني ، ثم أغمى عليه طويلاً ثم أفاق فقال :

كل عيش وإن تناول دهرًا * صائر مرة إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدالي * في رهوس الجبال أرعى الوعولا
ثم فاضت نفسه .

١٥ الحكم بن عثمان قال : قال المنصور عند موته : اللهم إن كنت تعلم أني قد ارتكبت الأمور العظام جرأة مني عليك ، فإنك تعلم أني قد أطعتك في أحب الأشياء اليك شهادة أن لا إله إلا أنت ، منّا منك لا منّا عليك . وكان سبب إحرامه من الخضر أنه كان يوماً نائماً ، فأتاه آت في منامه فقال :

(١) كذا بالأصل ، وأصل الكلمة في اللغة الفارسية "آزاد" بالبدال المهملة فلعل ما في الأصل

كأني بهذا القصر قد بادَ أهله * وعُرِّيَ منه أهله ومنازلُه
وصار عميدُ القوم من بعدِ نعمة * إلى جدِّ تَبْنَى عليه جنادُه
فلم يبق إلا رسمُه وحديثُه * تَبْكِي^(١) عليه مَعُولَاتٍ حلائلُه

فاستيقظ مرعوباً ثم نام فأناه الآتي فقال :

أبا جعفرٍ حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمرُ الله لا بد واقِعُ
فهل كاهنٌ أعددتَه أو منجَّم * أبا جعفرٍ عنك المنية دافعُ

فقال : يا ربيع ائتني بطهورى ، فقام واغتسل وصلى ولبى وتجهز للحج ، فلما
صار في الثلث الأول اشتدت علته ، فجعل يقول : يا ربيع ألقني في حرم الله ،
فات بيثر ميمون .^(٢)

١٠ حدثني محمد بن داود عن سعيد بن نصير عن العباس بن طالب قال : قال
الربيع بن بزّة : كنت بالشام فسمعت رجلاً وهو في الموت يقال له : قل لا إله إلا الله ،
فقال : اشرب واسقني . ورأيت رجلاً بالأهواز قيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال :
ده يا زده وده دوازده . وقيل لرجل بالبصرة : قل لا إله إلا الله ، فقال :
يارب قائلة يوماً وقد لَغِبْتُ * كيف الطريقُ إلى حَمَامٍ منجَابٍ^(٤)

١٥ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معمر عن أبيه قال : لقن مَيْتَكَ ، فإذا
قالها فدعه يتكلم بغيرها من أمر الدنيا ولا تُضجِرْه .

(١) تبكى (بالشديد) : مثل تبكى بالتخفيف . (٢) بثر ميمون : بمكة منسوبة إلى ميمون

ابن خالد بن عامر بن الحضرمي . (٣) هذه كلمات فارسية معنى الأولى منها عشرة أحد عشر
ومعنى الثانية عشرة اثنا عشر . وهي كلمات أجراها على لسانه هذيان الاحتضار . (٤) حمام

منجاب (بكسر الميم) : ينسب إلى منجاب بن راشد الضبي .

قال مالك بن ضيفم : لما احتضر أبي قلنا له : ألا تُوصي ؟ قال : بلى ،
أوصيكم بما أوصى به إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ : ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ
فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ وأوصيكم بصلة الرحم وحسن الجوار وفعل ما استطعتم
من المعروف ، وادفنونى مع المساكين .

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه ^(١) : كيف تجيّدك ؟ قال : فى الموت ؛ قال :
لأن تكون فى ميزانى أحبّ الىّ من أن أكون فى ميزانك ، قال : وأنا والله لأن
يكون ما تُحبّ أحبّ الىّ من أن يكون ما أُحبّ .

احتضر سيبويه النحوى فوضع رأسه فى حجر أخيه فقطرت قطرة من دموع
أخيه على خده ، فأفاق من غشيته وقال :

أخيين كما فترق الدهر بيننا * الى الأمد الاقصى ومن يأمن الدهرا !

أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال : قيل لهريم بن حبان :
أوص ؛ فقال : قد صدقتنى نفسى فى الحياة ، مالى شىء أوصى فيه ، ولكن أوصيكم
بنحواتيم سورة النحل .

قال الشاعر :

ما ارتد طرف امرئ بلحظته * إلا وشىء يموت من جسده

وقال آخر :

المرء يشقى بما يسعى لوارثه * والقبر وارث ما يسعى له الرجل

حدثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن أبي حبان
اليمى عن أبيه قال : أوصى الربيع بن خيثم وأشهد على نفسه وكفى بالله شهيدا

٢٠ (١) يوجد بهامش النسخة الفتوغرافية ما نصه : « هو عبد الملك رحمه الله » .

وجازياً لعباده الصالحين ومُثيباً : إني رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمدٍ رسولا ، وأوصي نفسي ومن أطاعني أن يعبد الله في العابدين ويمجده في الحامدين وينصح جماعة المسلمين ؛ وأوصي أهله : ألا تُشعروا بي أحداً وسألوني الى ربي سَلاً .

- ٥ حدثني محمد بن أحمد بن يونس قال سمعتُ عمر بن جرير المهاجري يقول : لما مات ذر بن عمر بن ذر قال لأصحابه : الآن يضيع الشيخ (لأنه كان به باراً)؛ فسمعها الشيخُ فقال : أتى أضيعُ واللهُ حتى لا يموت ! فلما وراه الترابُ وقف على قبره وقال : رحمك الله يا ذر ! ما علينا بعدك من خصاصةٍ وما بنا الى أحدٍ مع الله حاجةٌ ، وما يسرني أتى كنت المقدمَ قبلك ، ولولا هولُ المطلعِ لتمنيتُ أن أكون مكانك ، لقد شغلني الحزنُ لك عن الحزنِ عليك ، فياليت شعري ما ذا قلت وما قيل لك ! ثم رفع رأسه الى السماء فقال : اللهم إني قد وهبتُ حقِّي فيما بيني وبينه له ، فهبْ حَقَّك فيما بينك وبينه له . ثم قال عند انصرافه : مضينا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك .

- ١٥ حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا شريح بن النعمان عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الواحد بن أبي عون عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « توفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو نزل بألبالٍ الراسيات ما نزل بأبي لهاضها ، إشرابُ النفاقِ بالمدينة وارتدت العرْبُ ، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وغناها^(١) في الإسلام » . وكانت مع هذا تقول : « من رأى عمر بن الخطاب عرف أنه خُلِقَ غَنَاءً للإسلام ، كان والله أحوزياً نسيج^(٢)»

٢٠ (١) في الأصل : «وغناها» . (٢) الأحوزي : الحسن السباق للا موروفيه بعض النصار .

وحده، قد أعدّ للامور أقرانها» . وقالت عند قبره : « رحِمك الله يا أبتِ ! لقد قمتَ بالدين حين وهي شعبة^(١) وتفانم صدعهُ ورجفت جوانبه ؛ إقبضت مما أصغوا إليه ، وشمرت^(٢) فيما ونوا فيه واستخففت^(٣) من دنياك ما استوطنوا^(٤) وصفرت منها ما عظّموا ورعيت دينك فيما أغفلوا ، أطالوا عنان الأمن واقتعدت مطي الحذر، ولم تهضم دينك ولم تشين غدك ففاز عند المساهمة قدحك وخف مما استوزروا ظهرك » . وقالت أيضا عند قبره : « نصر الله وجهك يا أبتِ ! فلقد كنتَ للدنيا مذلا ببادبارك عنها ، وللآخرة معزا بإقبالك عليها ؛ ولئن كان أجل الرزايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأكبر المصائب فقدك إن كآب الله ليعد بجييل العزاء عند أحسن العوض^(٥) منك ، فأنا أتجز من الله موعوده فيك بالصبر عليك ، وأستعوضه منك بالاستغفار لك ؛ عليك سلام الله ورحمته ، توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك » .

قال الحسين بن عليّ عند قبر أخيه الحسن : « رحِمك الله أبا محمد ! إن كنتَ لتباصر الحق مظانّه ، وتؤثر الله عند تداحض الباطل في مواطن التقيّة بحسن الروية ، وتستشفّ جليل معازم الدنيا بعين لها حاقرة ، وتفيض عليها يدا طاهرة الأطراف نقيّة الأسرّة ، وتردّع^(٦) بادرة غريب أعدائك بأيسر المؤونة عليك ؛ ولا غرو وأنت ابن

(١) وهي شعبة : تمزق وتفرق جمعه . (٢) أصغوا اليه : مالوا اليه . (٣) شمر : جدّ .

وفي الاصل : « سموت » وهو تحريف ، اذا ما بعده بعين ما أثبتناه . (٤) كذا بالاصل .

(٥) الذي في نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٦٧ طبع دارالكتب المصرية) : « ان كتاب الله ليعد بحسن

الصبر فيك وحسن العوض منك » . (٦) تداحض الباطل : من الدحض وهو الزلق والزلل ،

ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة التي بين أيدينا ، فلعلها « عند مداحض الباطل » جمع « مدحضة »

كزلة وزنا ومعنى . (٧) الأسرّة : جمع سرار (بالكسر) وهي المخطوط التي تبدو في ظاهر اليد

والجبهة .

سلالة النبوة ورضيعُ لبان الحكمة؛ فإلى رَوْحِ وَرِيحَانِ وَجَنَّةِ نَعِيمٍ؛ أَعْظَمَ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ الأَجْرَ عَلَيْهِ، وَوَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ السَّلْوةَ وَحُسْنَ الأَسَى^(١) عَنْهُ .

حدثني عبد الرحمن بن الحسين السعدي عن محمد بن مصعب : أن ابن السماك قال يوم مات داود الطائي في كلام له : إن داود رحمه الله نظر بقلبه الى ما بين يديه من آخرته ، فأعشى بصر القلب بصر العين ، فكان كأنه لا ينظر الى ما اليه تنظرون ، وكأنكم لا تنظرون الى ما اليه ينظر ، فأنتم منه تعجبون وهو منكم يعجب ، فلما رأيتم راغبين مذهولين مغرورين قد أذهلت الدنيا عقولكم وأماتت بجهها قلوبكم استوحش منكم ، فكنت إذا نظرتُ اليه نظرت [الى] حتى وسط أموات . يا داود ما أعجب شأنك بين أهل زمانك ! أهنت نفسك وإنما تريد إكرامها ، وأتعبتها وإنما تريد راحتها ، أخشنت المطعم وإنما تريد طيبه وأخشنت الملبس وإنما تريد لينه ، ثم أمت نفسك قبل أن تموت ، وقبرتها قبل أن تُقبر ، وعدتتها ولما تُعذب^(٢) ، وأغنيتها عن الدنيا لكيلا تُذكر ، ورغبت نفسك عن الدنيا فلم ترها لك قدراً الى الآخرة ، فما أظنك إلا وقد ظفرت بما طالبت ؛ كان سيماك في شرك ولم يكن سيماك في علانيتك ، تفقّهت في دينك وتركت الناس يُغنون ، وسمعت الحديث وتركتمهم يُحدّثون ، وخرست عن القول وتركتم ينطقون ، لا تحسد الأخيار ، ولا تعيب الأشرار ، ولا تقبل من السلطان عطية ، ولا من الإخوان هدية ؛ أنس ما تكون إذا كنت بالله خاليا ، وأوحش ما تكون أنس ما يكون الناس ؛ فمن سمع بذلك وصبر صبرك وعزم عزمك ! لا أحسبك الا وقد أتعبت العابدين بعدك ، سجت نفسك في بيتك فلا مُحَدِّثَ لك ولا جليس معك ولا فراش تحتك ولا ستر على بابك

(١) الأسي (بضم الادل ويكسر) : جمع أسوة (بالضم والكسر أيضا) وهي ما يتعزى به .
(٢) في الأصل «ولما أن تعذب» . بزيادة «أن» بعد «لما» وليس هذا من مواضع زيادتها .

وَلَا قَلَّةٌ يُبَرَّدُ فِيهَا مَأْوُوكٌ وَلَا صَحْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا غَدَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ ، مِطْهَرَتُكَ قُبُوكٌ
 وَقَصْعَتُكَ تَوْرُوكٌ . دَاوُدُ مَا كُنْتَ تَشْتَبِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدَهُ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ
 طَيِّبَهُ وَلَا مِنَ اللِّبَاسِ لَيِّنَهُ ، بَلِي ! وَإِكْنَ زَهْدَتَ فِيهِ لَمَّا بَيْنَ رِيكَ ؛ فَمَا أَصْفَرَ
 مَا بَدَلْتَ ، وَمَا أَحْقَرَ مَا تَرَكْتَ فِي جَنْبِ مَا أَمَلْتَ ، فَلَمَّا مِتَّ شَهَرَكَ رَبُّكَ بِمَوْتِكَ ،
 وَأَلْبَسَكَ رِذَاءَ عَمَلِكَ ، وَأَكْثَرْتَ تَبَعَكَ ، فَلَوْ رَأَيْتَ مِنْ حَضْرِكَ عَرَفْتَ أَنَّ رَبُّكَ
 قَدْ أَكْرَمَكَ وَشَرَّفَكَ ، فَلْتَتَكَلَّمِ الْيَوْمَ عَشِيرَتُكَ بِكُلِّ أَلْسِنَتِهَا ، فَقَدْ أَوْضَحَ رَبُّكَ فَضْلَهَا
 بِكَ ، وَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَدْعُ عَبْدًا إِلَى خَيْرٍ بِعَمَلِهِ إِلَّا حُسْنُ هَذَا النَّشْرِ مِنْ كَثْرَةِ هَذَا التَّبَعِ ،
 لَقَدْ كَانَ حَقِيقًا بِالْإِجْتِهَادِ وَالْجُهْدِ لِمَنْ لَا يُضَيِّعُ مُطِيعًا وَلَا يَنْسِي صَنِيعًا شَاكِرًا وَمُشِيئًا .
 وَقَفَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ عَلَى قَبْرِ ابْنِهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَرْجُوكَ لَهُ وَأَخَافُكَ عَلَيْهِ ،

فَحَقَّقْ رَجَائِي وَأَمِّنْ خَوْفِي .

مَاتَ ابْنُ لَأْنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ أَنَسٌ عِنْدَ قَبْرِهِ : اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَوَلَدُ عَبْدِكَ
 وَقَدْ رُدَّ إِلَيْكَ ، فَارَأْفَ بِهِ وَارْحَمْهُ ، وَجَافِ الْأَرْضَ عَنْ بَدَنِهِ ، وَافْتَحِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ
 لِرُوحِهِ وَتَقَبَّلْهُ بِقَبُولِ حَسَنِ . ثُمَّ رَجَعَ فَأَكَلَ وَشَرِبَ وَأَدْمَنَ وَأَصَابَ مِنْ أَهْلِهِ .
 وَقَالَ جَرِيرٌ فِي امْرَأَتِهِ :

لَا يَلْبَثُ الْقَرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا * لَيْلٌ يَكْكُرُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ

صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يُخَيَّرُوا * وَالطَّيِّبُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ

وَقَفَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ عَلَى قَبْرِ ابْنَتِهَا فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا كَانَ مَالِكٌ لِعَرِيْسِكَ ، وَلَا هُمُكَ

لِنَفْسِكَ ، وَمَا كُنْتَ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

رَحِيْبُ الذَّرَاعِ بِالتِّي لَا تَشِينُهُ * وَإِنْ كَانَتْ الْفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا ذَرْعَا

(۱) النور : إنا صغبر يتوضأ به .

حدثني محمد بن داود عن الصلت بن مسعود قال : كان سفيان بن عيينة يستحسن شعر عدى بن زيد :

أين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وتماد
بينما هم على الأسرة والأذن * ما طأفضت إلى التراب الحدود
ثم لم ينقض الحديث ولكن * بعد ذا الوعد كله والوعيد
وأطبأء بعدهم لحقوهم * ضل عنهم سعوطهم واللذود^(١)
وصحيح أضحى يعود مريضاً * وهو أدنى للوت ممن يعود

أخذه على بن الجهم فقال :

كم من عليل قد تحطاه الردى * فنجأ ومات طبيبه والعود

- ١٠ حدثني عبدة بن عبد الله قال أخبرنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش قال : أتيت أهلي فقيل لي : مات أخوك ، فوجدت أني مسجى عليه بثوب ، فانا عند رأسه أترحم عليه وأدعوه إذ كشف الثوب عن وجهه فقال : السلام عليكم ، فقلنا : وعليك السلام ، سبحان الله ! بعد الموت ! فقال : إني تلقيت بروح وريحان ورب غير غضبان ، وكساني ثيابا من سندس وإستبرق ، وإني وجدت الأمر أيسر مما تظنون
- ١٥ ولا تتكلموا ؛ إني استأذنت ربي أن أخبركم وأبشركم ، إحملوني إلى رسول الله ، فقد عهد إلى ألا أبرح حتى ألقاه ثم طفي^(٢) .

حدثني أبو سهل عن علي بن محمد عن إسحاق بن منصور عن عمارة بن زاذان عن ثابت أن مطرفا كان يسدو على دابته بين المقام فأغفى فاذا أهل القبور جلوس على

- ٢٠ (١) السعوط : الدواء الذي يؤخذ من الأنف ، واللذود (وزان صبور) : ما يؤخذ من الدواء بالمسطر ويصب في أحد شق الفم . (٢) همد وسكن . (٣) كذا بالأصل ولعلها يغدو .

(١) شَفَاهُ قُبُورَهُمْ يَقُولُونَ : هَذَا مُطَرَّفٌ يَرُوحُ إِلَى الْجُمُعَةِ ؛ قُلْتُ : هَلْ تَعْرِفُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، وَمَا تَقُولُ الطَّيْرُ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ ، يَقُولُونَ : سَلَامٌ ، يَوْمَ صَالِحٍ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ مَعَاوِيَةَ أَنْ تَجْرِيَ الْعَيْنُ الَّتِي حَفَرَهَا - قَالَ سُفْيَانُ : تُسَمَّى عَيْنَ أَبِي زِيَادٍ - نَادَوْا بِالْمَدِينَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ قَتِيلٌ فَلْيَأْتِ قَتِيلَهُ ؛ قَالَ جَابِرٌ : فَأَتَيْنَاهُمْ فَأَخْرَجْنَاهُمْ رَطَابًا يَتَنَوَّنُونَ ، وَأَصَابَتِ الْمِسْحَاةَ رَجُلٌ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَانْقَطَرَتْ دَمًا . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ : لَا يُنْكَرُ بَعْدَ هَذَا مُنْكَرٌ أَبَدًا .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عَمْرِوٍ قَالَ : أَهْلُ الْقُبُورِ يَتَوَكَّفُونَ^(٣) الْأَخْبَارَ فَإِذَا أَتَاهُمُ الْمِيتُ سَأَلُوهُ : مَا فَعَلَ فُلَانٌ ؟ فَيَقُولُ : أَلَمْ يَأْتِكُمْ ! فَيَقُولُونَ : إِنَّا لَنُؤْمِنُ بِهِ وَإِنَّا لِرَاجِعُونَ ، سَلِّكَ بِهِ غَيْرُ سَبِيلِنَا .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَبْدِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ السَّائِحُ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ صَبِيحٍ قَالَ : شَهِدْتُ ثَابِتًا الْبَنَانِيَّ يَوْمَ مَاتَ وَشَهِدَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، فَدَخَلْتُ قَبْرَهُ أَنَا وَحَمِيدُ الطَّوِيلُ وَأَبُو جَعْفَرِ حَسَنٌ مِمَّا بَلَى رَأْسَهُ فَلَمَّا ذَهَبَتْ أَسْوَى عَلَيْهِ اللَّيْنَةُ سَقَطَتْ مِنْ يَدِي فَلَمْ أَرَ فِي اللَّحْدِ أَحَدًا ، وَأَصْنَعِي إِلَى حَمِيدٍ أَنْ اخْتِطَفَ صَاحِبُنَا وَضَجَّ النَّاسُ فَسَوَّيْنَا عَلَى اللَّحْدِ وَحَثَوْنَا التَّرَابَ ؛ فَلَمْ يَكُنْ لِحَمِيدٍ هِمَّةٌ حَتَّى أَتَى سَلْيَانَ بْنَ عَلِيٍّ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : مَا يُنْكَرُ لَكَ قَدْرَةً ! إِلَّا أَنِّي أَنْكَرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا يُفْعَلُ هَذَا بِهِ ، فَهَلْ عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ سِوَاكَ ؟ قَالَ :

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَلَعَلَّ أَصْلَهُ « أَشْفَاءُ » جَمْعُ شَفَا أَي حَرَفٌ . (٢) انْقَطَرَتْ دَمًا : سَأَلَتْ

دَمًا ، يُقَالُ انْقَطَرَتْ قَدَمُ فُلَانٍ أَوْ أَصْبَعُهُ دَمًا أَي سَأَلَتْ وَفِي الْأَصْلِ « انْقَطَرَتْ » بِالْقَافِ وَلَمْ يَجِدْ

فِي كِتَابِ اللَّغَةِ الَّتِي بَأْيَدِنَا صِغَةَ انْفَعَلَ مِنْ قَطَرَ . (٣) يَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ : يَنْتَظِرُونَهَا وَيَسْأَلُونَ عَنْهَا .

نعم، الربيع بن صبيح وحسن؛ قال : عدلان مرَضِيَّان، فبعث أمناء جيرانه فنبشوا عنه فلم يجدوه في قبره .

وحدثني أيضا عن أعرابية كان يُقال لها أم غسان مكفوفة وكانت تعيش بمغزها وتقول : الحمد لله على ما قضى وارتضى، رضيتُ من الله ما رضى لي ، وأستعينُ الله على بيتِ ضيقِ الفناء قليلِ الكِواءِ^(١) وأستعين الله على ما يُطالع من نواحيه . وماتت جارة لها فقيل لها : ما فعلت جارتك ؟ فقالت :

تقسم جارأتها بيتها * وصارت الى بيتها الأتلد

وقالت يوما : إن تقبل الله مني صلاة لم يعدّني، فقيل لها : كيف ذلك؟ قالت : لأن الله عز وجل لا يثني في رحمته وحلمه، قال : وكنتُ سمعتُ حديثَ معاذ «من كُتِبَتْ له حسنةٌ دخل الجنة» ولم أدر ما تفسيره حتى سمعت أم غسان تقول هذا، فعرفت تأويله :

الكبر والمشيب

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن عبد الجليل بن عطية عن شهر ابن حوشب عن عمرو بن عَبَّسَةَ قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من شاب شبيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة ما لم يخضبها أو ينفها» .

أبو حاتم عن الأصمعي عن شيخ من بني فزارة قال : مررتُ بالبادية وإذا شيخٌ قاعدٌ على شفيرِ قبرٍ، وإذا في القبور رجالٌ كأنهم الرماحُ يدفنون رجلا والشيخُ يقول :

(١) الكواء : جمع كتوة وهي الخرق في الخائط .

أَحْثُوا عَلَى الدَّيْسَمِ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى * قَدَمَا أَبِي رَبُّكَ إِلَّا مَا تَرَى ^(۱)

فقلت له : مَنْ الميْتُ؟ فقال : ابْنِي ، فقلت له : مَنْ الذين يَدْفِنُونَهُ؟ قال :

بنوه .

حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : دَخَلَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ الْمَسْجِدَ يُهَادِي ^(۲) بَيْنَ اثْنَيْنِ
مِنَ الْكِبَرِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ يَتَّبِعُهُ عَلَى مَوَدَّتِهِ : بَلَغْتَ مَا أَرَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ !
قَالَ : هُوَ مَا تَرَى فَلَا بَلَّغْتَهُ . وَنَحْوَهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

* يَا عَائِبَ الشَّيْبِ لَا بَلَّغْتَهُ *

وَيُقَالُ فِي الزُّبُورِ : «مَنْ بَلَغَ السَّبْعِينَ اشْتَكَى مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ» . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ

النَّبِطِيِّ : لَا تَسْأَلْ نَفْسَكَ الْعَامَ مَا أَعْطَيْتَكَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي .

رَأَى ضَرَارُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيَّ لَهُ ثَلَاثَةٌ عَشْرَ ذَكَرًا قَدْ بَلَغُوا فَقَالَ : مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ

سَاءَتْهُ نَفْسُهُ .

قال ابن أبي فَنِينٍ :

مِنْ عَاشٍ أَخْلَقْتَ الْأَيَّامُ جِدَّتَهُ * وَخَانَهُ الثَّقَاتِ السَّمْعُ وَالْبَصْرُ

قَالَتْ عَهْدَتُكَ مَجْنُونًا فَقُلْتُ لَهَا * إِنَّ الشَّبَابَ جَنُونٌَ بِرُؤْيِ الْكِبَرِ

أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ : قِيلَ لِشَيْخٍ : مَا بَقِيَ مِنْكَ؟ قَالَ : يَسْبِقُنِي مَنْ بَيْنَ يَدَيَّ ،

وَيُدْرِكُنِي مَنْ خَلْفِي ، وَأَنْسَى الْحَدِيثَ ، وَأَذْكَرُ الْقَدِيمَ ، وَأَنْعَسُ فِي الْمَلَأِ ، وَأَسْهَرُ

فِي الْخَلَاءِ ، وَإِذَا قُمْتُ قُرْبَتِ الْأَرْضُ مِنِّي ، وَإِذَا قَعَدْتُ تَبَاعَدَتْ عَنِّي ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَالَتْ عَهْدَتُكَ مَجْنُونًا فَقُلْتُ لَهَا * إِنَّ الشَّبَابَ جَنُونٌَ بِرُؤْيِ الْكِبَرِ

(۱) كَذَا بِالْأَصْلِ وَجَاءَ هَذَا الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ مَادَّةَ « دَسَمَ » هَكَذَا

أَخْشَى عَلَى دَيْسَمٍ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى * أَبِي قِضَاءِ اللَّهِ إِلَّا مَا تَرَى

(۲) بِالْبَاءِ لِلْمَعُولِ أَيْ يَمْشِي بَيْنَهُمَا مَعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا لضعفه .

قال عبد الملك بن مروان للعریان بن الهيثم : كيف تجدك ؟ قال : أجدني
قد أبيض مني ما كنت أحبُّ ابن يسود واسود مني ما كنت أحبُّ أن يبيض
واشتد مني ما أحبُّ أن يلين ولان مني ما أحبُّ أن يشتد وقال :

سَلْنِي أَنْبِيئَكَ بِآيَاتِ الْكِبَرِ * نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسَعَالُ السَّحَرِ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرَ * وَقِلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ
وسرعة الطرفِ وتحميجُ النظرِ ^(۱) * وتركُ الحسنةِ في قُبُلِ الطَّهْرِ
* والناسِ يَبْلُونَ كما تَبَلَى الشَّجَرُ *

وقال حميد بن ثور :

أرى بصري قد رابني بعد صحة * وحسبك داءً أن تصح وتسلما

وقال الكبيث :

لا تغبط المرء أن يُقال له * أمسى فلانٌ ليسه حكماً
إن سره طولٌ عمره فلقد * أضغى على الوجه طولٌ ماسماً

وقال البر بن تولى :

يؤدُّ الفتي طولَ السلامة والغنى * فكيف تُرى طولَ السلامة يفعلُ

(۱) التحميج : تصغير العين لتمكينها من النظر، ويقال على إدامة النظر مع فتح العينين، وهكذا ذكره
الأزهري والجوهري وغيرهما بالخاء المهملة قبل الميم والجيم المعجمة بعدها، وفي الأصل : «تحميج»
بتقديم الجيم وتأخير الخاء، وهو موافق لما رواه ابن الأثير في حديث عمر بن عبد العزيز «فطلق يجمع إلى
الشاهد النظر» ثم قال : هكذا ورد في كتاب أبي موسى وكانه والله أعلم سهو. وقال الزنجشري : هي لنة
في التحميج (انظر اللسان مادتي حمج وجمج).

وقال آخر :

كانت قناتي لا تلتين لغامز * فالانها الإصباح والإمساء
ودعوتُ ربِّي بالسلامة جاهدا * ليُصِحِّني^(١) فإذا السَّلامَةُ داءُ

وقال أبو العتاهية :

* أسرع في نقص امري تمامه *

وقال عبد الحميد الكاتب :

ترحل ما ليس بالقافل^(٢) * وأعقب ما ليس بالآئل
فلهني من الخلف النازل * ولهني على السلف الراحل
أبكي على ذا وأبكي لذا * بكاء الموهمة الثاكل
تُبكي من ابن لها قاطع * وتبكي على ابن لها واصل
تقضت غوايات سُكر الصبا * وردَّ التقي عند الباطل

محمد بن سلام الجُمحي عن عبد القاهر بن السرى قال : كتب الحجاج الى قتيبة
ابن مسلم : إني نظرتُ في سنك فوجدتُك لِدَتِي^(٣) وقد بلغت الخمسين وإن أمراً
سار الى منهل خمسين عاماً لقريب منه . فسمع به الحجاج بن يوسف التيمي فقال :

إذا كانت السبعون سنك لم يكن * لدائك إلا أن تموت طبيب
وإن أمراً قد سار سبعين حجة * الى منهل من ورده لقريب
إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب
إذا ما أنقضى القرن الذي أنت منهم * وخلقت في قرن فانت غريب

(١) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٢٥ وبالأصل : « لينجني » . (٢) في الأصل « رحل » .

ولا يستقيم معه الوزن . (٣) لدة الرجل : تربه .

وقال لبيد :

أليس ورأى إن تراخت منيتي * لزومُ العصا تُحني عليها الأصابعُ
أخبر أخبارَ القرونِ التي مضت * أدبُ كافي كلما قمتُ راصعُ

وقال آخر في مثله :

حنتي حانياتُ الدهرِ حتى ^(۱) * كافي خاتِلٌ يدنو لصيد ^(۲)

وقيل لرجل من الحكماء : مالك تُدمنُ إمساكَ العصا ولستَ بكبيرٍ ولا مريضٍ؟

فقال : لأذكرَ أني مسافرٌ، قال الشاعر :

حملتُ العصا لا الضعفُ أوجبَ حملها * على ولا أني تحنيتُ من كبرٍ
ولكنني أزمْتُ نفسي حملها * لأعلمها أن المقيمَ على سفرٍ

۱۰ ومرَّ شيخٌ من العربِ بفلامٍ فقال له الغلامُ : أحصدتَ يا عمّاه فقال : يا بني

وُتَّصَدون .

قال الحسنُ في موعظةٍ له : يا معشرَ الشيوخِ، الزرعُ إذا بلغ ما يُصنعُ به؟ قالوا :

يُحصد . يا معشرَ الشبابِ كم من زرعٍ لم يبلغْ أدركته آفةٌ، قال الشاعر :

الدهرُ أبلاني وما أبلتُه * والدهرُ غيرني وما يتغيرُ

۱۵ والدهرُ قيدي بنحيطِ مبرمٍ * فمشيتُ فيه وكلَّ يومٍ يقصرُ

(۱) كذا في اللسان مادة «ختل» وفي الأصل «نائبات» . (۲) كذا في اللسان مادة

ختل وفي الأصل «حابل» . (۳) أحصدت : آن لك أن تحصد . (۴) كذا بالأصل :

وهذه الجملة غير منتظمة مع ما قبلها فلعل بعض الكلمات سقطت بينها وبين الجملة التي قبلها وبين المزاد

«ثم قال» الخ .

وقال عُمارة بن عَقِيل :

وأدرکتُ مِلءَ الأَرْضِ ناساً فأصبحوا * كأهل الديار قَوْضوا فتحملوا
وما نحن إلا رُفْقَةٌ قد ترحلت * وأخرى تُقَضِّي حاجها وترحل

ذكر أعرابي الشيب فقال : والله لقد كنتُ أنكر الشعرَةَ البيضاء فقد صرتُ

أنكر السوداء، فيأخيراً بَدَلٍ وياشراً مبدول . وقال بعض الشعراء :

شاب رأسي وما رأيتُ مشيباً إلا من فضلِ شيبِ الفؤادِ
وكذاك القلوب في كلِّ بؤس * ونعيمِ طلائعِ الأجسادِ
طال إنكارى البياضِ فإن عُمُيرتُ شيئاً أنكرتُ لونَ السوادِ

رأى إياس بن قتادة شعرة بيضاء في لحيته ، فقال : أرى الموتَ يطلبني وأراني

لا أفوته ، أعوذ بك يارب من فجاءاتِ الأمور ، يا بنى سعد قد وهبتُ لكم شبابي

فهبوا لي شيبتي ، ولزم بيتي .

قال قيس بن عاصم : الشيب خطام المنية .

قال آخر : الشيبُ بريدُ الحمام .

قال آخر : الشيبُ توءم الموت .

قال آخر : الشيب تاريخ الموت .

قال آخر : الشيب أول مراحل الموت .

قال آخر : الشيب تمهيد الحمام .

قال آخر : الشيب عنوان الكبر .

(١) كذا في الأصل : وهذا يوافق قول أبي عبيدة : هذا باب المبدول من الحروف ، ونحو هذه

كما في اللسان مادة «بذل» دليل على أن بدل متعده ، وفي العقد الفريد : «مبدل» .

قال عبيد بن الأبرص : * والشَّيبُ شَيْنٌ لمن يشيب * ، ويقال : شَيْبُ
الشَّعْرِ مَوْتُ الشَّعْرِ ، ومَوْتُ الشَّعْرِ عِلَّةُ مَوْتِ البَشَرِ . قال الشاعر :
وكان الشباب الفصُّ لي فيه لذة * فوقرني عنه المشيبُ وأدبا
فبقياً ورعياً للشباب الذي مضى * وأهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحباً

وقال أعرابي - ويقال هي لأبي دُلف - :

في كل يوم من الأيام نابئة * كأنما نبئت فيه على بصرى
لئن قرضتِك بالمقراض عن بصرى * لما قرضتِك عن همى ولا فكرى

وقال أعرابي :

أرى الشيبَ مذجاوزتُ خمسين دائباً * يدب ديبَ الصبح في غسق الظلم
هو السُّمُّ إلا أنه غيرُ مؤلم * ولم أر مثلاً للشيب سُمًّا بلا ألم

وقال آخر :

قصر الحوادثُ خطوه فتداني * وحنين صدر قناته لتحاني
صحب الزمان على اختلاف فنونه * فأراه منه شدة وليانا
ما بال شيخ قد أخذ لحمه * أنضى ثلاث عمائم ألوانا
مرداءً داخيةً ومحق مفوف^(٢) * وأجد أخرى بعد ذلك هجاناً^(٣)
هم المماتُ وراء ذلك كله * وكأنما يعنى بذلك سواناً

وقال آخر يذكر الشباب :

لما مضى ظاعناً عنا فودعنا * وكان كالميت لم يحرك له عقباً
عدنا الى حالة لا نستطيع لها * وصل الفواني وعاب الشيب من لعبا

(١) أنضى : أبلى وأخلق . (٢) السحق : الثوب البالي ، والمفوف من البرود ما فيه خطوط

بيض . (٣) الهجان : الخالص البياض :

وقال محمود الوراق :

بَكَيْتُ لِقُرْبِ الْأَجْلِ * وَبُعِدِ فَوَاتِ الْأَمْلِ
وَوَافِدِ شَيْبِ طَرَا * بَعُقِبَ شَبَابِ رَحَلِ
شَبَابٌ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ * وَشَيْبٌ كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ
طَوَاكَ^(١) بِشَيْرِ الْبَقَا * وَجَاءَ بِشَيْرِ الْأَجَلِ
طَوَى صَاحِبٌ صَاحِبًا * كَذَاكَ انْتِقَالَ الدُّوَلِ

وقال أبو الأسود يذم الشباب :

غدا منك أسبابُ الشبابِ فأسرعا * وكان بكارِ بانِ يوماً فودعاً
فقلت له فأذهبْ ذمياً فليتني * قتلتك علماً قبل أن تُتصدعاً
جنيتَ على الذنبِ ثم خذلتني * عليه فبئس الخلتانِ هما معاً
وكنتم سراباً ما ضحاً^(٢) إذ تركتني * رهينةً ما أجني من الشرِّ أجمعاً

وقال آخر :

استنكرتُ شيبِي فقلتُ لها * ليس المشيبُ بناقصِ عمري
وتنفستُ بي همّةً وصلت * أملِي بكلِّ ربيعةِ الذكرِ

روى عبد الله بن حفص الطاحي عن زكريا بن يحيى بن نافع الأزدي عن أبيه
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اخضبوا بالسواد، فإنه أنس للنساء وهيبة
للعدو. قال عمر بن المبارك الخزاعي .

مَنْ لِأُذُنِي بِمَلَامٍ * وَإِكْفِي بِمُدَامِ^(٣)
دَقَّ عَظْمُ الْجَهْلِ مِنِّي * وَأَنْثَى شُنَّ عَرَامِي

٢٠ (١) طواك : جاوزك . (٢) ما ضحاً : ما بدا وظهر . (٣) كذا في الأصل ، ومن
المحتمل أن يكون : "وانثى من عرام" والعرام : الشدة والقوة .

وتمشى الفذ من شيد * جى الى الشيب التوام^(١)
نظمتك الدر الى الدر * في سلك النظام

وقال أبو العتاهية :

نعى لك ظل الشباب المشيب * ونادتك باسم سواك الخطوب
فكن مستعدا لداعى المنون * فكل الذى هو آت قريب
وقبلك داوى المريض الطيب * فعاش المريض ومات الطيب
يخاف على نفسه من يتوب * فكيف ترى حال من لا يتوب

محمد بن سلام قال : سمعت يونس بن حبيب يقول : لا يامن من قطع
في خمسة دراهم خير عضو منك أن يكون عقابه هكذا غدا .

الدنيا

حدثني أبو مسعود الدارمي قال حدثني جدي نحراش عن أنس بن مالك قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبحت الدنيا همه وسدمه نزع الله^(٢)
الغنى من قلبه ، وصير الفقر بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن
أصبحت الآخرة همه وسدمه نزع الله الفقر من قلبه وصير الغنى بين عينيه وأنته
الدنيا وهي راغمة » .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا أبو الربيع عن حماد عن علي بن زيد عن
الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان : « ما طعامك » قال :
اللحم واللبن ، قال : « ثم بصير الى ما ذا » قال : ثم بصير الى ما قد علمت ، قال :

(١) التوام : جمع توام ، وأصله المولود مع غيره في بطن ، وبسمازلزوجات كما وقع في هذا البيت .

(٢) السدم : الهمجة والروع بالش .

« فَإِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَا يُخْرَجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا » قَالَ : وَكَانَ بَشِيرُ بْنُ كَعْبٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ إِذَا فَرَّخَ مِنْ حَدِيثِهِ : انْطَلِقُوا حَتَّى أُرِيَكُمْ الدُّنْيَا ، فَيَجِيءُ فَيَقْفُ بِهِمْ عَلَى السُّوقِ ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ مَرْبَلَةٌ ، فَيَقُولُ : انظُرُوا إِلَى عَسَلِهِمْ وَسَمْنِهِمْ وَإِلَى دَجَاجِهِمْ وَبَطْنِهِمْ صَارَ إِلَى مَا تَرَوْنَ .

حدثني هارون بن موسى قال حدثنا محمد بن سعيد القزويني عن عمرو بن أبي قيس (۱) عن هارون بن عنترة عن عمرو بن مرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فقال : « إذا دخل النور القلب وانفسح شرح لذلك الصدر » قالوا : يا نبي الله هل لذلك آية يعرف بها؟ قال : « نعم الإجابة إلى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للوت قبل نزول الموت » .

بلغني عن العتيبي عن حبيب العدوي عن وهب بن منبه قال : رأينا ورقة يهفوها الريح فارتسلنا بعض الفتيان فاتانا بها فإذا فيها : الدنيا دار لا يسلم منها إلا فيها ، ما أخذ أهلها منها لها خرجوا منه ثم حوسبوا به ، وما أخذ منها أهلها لغيرها خرجوا منه ثم أقاموا فيه ، وكان قوما من أهل الدنيا ليسوا من أهلها ، هم فيها كمن ليس فيها ، عملوا بما يبصرون وبأدروا ما يبذرون ، تثقل أجسادهم بين ظهرائي أهل الدنيا ، وتتقلب قلوبهم بين ظهرائي أهل الآخرة ، يرون الناس يعظمون وفاة أجسامهم وهم أشد تعظيما لموت قلوب أحيائهم . فسألت عن الكلام فلم أجد من يعرفه .

وقال المسيب عليه السلام : الدنيا قنطرة فأعبروها ولا تعمرونها .

(۱) كذا في تهذيب التهذيب في ترجمة محمد بن سعيد . وفي الأجل « عمر » .

وفي بعض الكتب : أن الله تعالى أوحى إلى الدنيا « مَنْ خَدَمَنِي فَأَخْدَمِيهِ ،
وَمَنْ خَدَمَكَ فَاسْتَخْدَمِيهِ » .

قال بعض العابدين يذُكر الدنيا :

لقد غرَّت الدنيا رجالاً فأصبحوا * بمنزلة ما بعسدها متحول
فساخطُ أمرٍ لا يُبدلُ غيره * وراضٍ بأمرٍ غيره سَيُبدلُ
وإلغُ أمرٍ كان يأملُ دونه * ومختلجٌ من دون ما كان يأملُ

وقال آخر يذُكر الدنيا :

حَتُوفُهَا رَصْدٌ وَعَيْشُهَا رِنَقٌ ^(١) * وَكَرْهًا نَكْدٌ وَمُلْكُهَا دَوْلٌ ^(٢)

وقال آخر :

نُزَاعٌ لَذِكْرِ الْمَوْتِ سَاعَةً ذَكَرَهُ * وَتَعَرَّضَ الدُّنْيَا فَنَلَهُو وَنَلَعُ
وَنَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا خُلِقْنَا لغيرِهَا * وَمَا كُنْتُ مِنْهُ فَهَوْ شَيْءٌ مَحْبَبٌ ^(٣)

وقال يحيى بن خالد : دخلنا في الدنيا دُخولاً أخرجنا منها .

ذمَّ رجلٌ الدنيا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال صلى عليه السلام :
الدنيا دارٌ صديق لمن صدقها ، ودارٌ نجاة لمن فهم عنها ، ودارٌ غنى لمن تزود منها ، مهبطٌ
وحي الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجدُ أنبيائه ، ومتجرٌ أوليائه ، ريجوا منها الرحمة
واحتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمها وقد آذنتُ بينها ونادتُ بفراقها وشبهتُ بسرورها
السرورَ وببلائها البلاءَ ترغيباً وترهيباً ، فأيها الذامُّ الدنيا المعلنُّ نفسه ، متى خدعتك
الدنيا أم متى استذمت اليك ! ^(٤) أبمصارع آباءك في البلى ! أم بمضاجع أمهاتك في الثرى !

(١) رصد : مرصدة مترفة . (٢) رنق : كدر . (٣) يريد أن الناس أبناء الدنيا

هم منها ، ولهذا كانت محبوبة لهم (٤) استذمت اليك : فعلت ما آذمها على فعله .

كم مرّضت بيديك، وعَلَّمت بكفّيك، تطلبُ له الشفاء، وتستوصفُ له الأطباء،
غداة لا يُفنى عنه دواؤك، ولا ينفعك بكاؤك .

كان إبراهيم بن أدهم العجليّ يقول :

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا * فَلَا دِينَائِي بَقِيَ وَلَا مَا نُرَقِّعُ^(١)

قال أبو حازم : وما الدنيا ! أما ما مضى فُحِلْمٌ وأما ما بقي فَأَمَانِي .

قال سفيان :

أوحى الله تعالى الى نبيّ من الأنبياء « اتَّخِذِ الدُّنْيَا ظَنًّا وَالْآخِرَةَ أُمَّا » .

قال الشعبيّ : ما أعلمُ لنا وللدنيا مثلاً إلا ما قال كثيرٌ .

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لِأَمْلُومَةٍ * لَدُنِّيَا وَلَا مَقَابِيءُ^(٢) إِنْ تَقَلَّتِ

قال بكر بن عبد الله : المستغنى عن الدنيا بالدنيا كالمطفيّ النار بالتبن .

قال ابن مسعود : الدنيا كلّها غمومٌ، فما كان فيها من سرورٍ فهو ربح .

قال محمد بن الحنفية : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا .

وقال بعضُ الحكماء : مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ ضَرَّتَانِ إِنْ أَرْضَى

إحداهما أسخط الأخرى .

قال سفيان : ترك لكم الملوكُ الحكمةَ فآثرُكوا لهم الدنيا .

وقال آخر : إِنْ الدُّنْيَا قَدْ اسْتَوَدَّقَتْ وَأَنْعَطَ النَّاسُ^(٣) .

(١) كذا ورد في الإحياء للغزالي (ج ٣ ص ١٥٥) طبع مصر وهو المعروف في رواية هذا البيت

وفي الأصل : « تمزق » في الموضعين ، وهو تحريف .

(٢) تقلت : تبعضت، وفيه النغات من الخطاب الى الغيبة . (٣) يقال : ودلت الفرس تدق

ودقا واستودقت اذا طلت الفعل .

قال وهيب بن الورد : مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَلَيْتَهَا لِلذَّلِّ .

قيل لمحمد بن واسع : إِنَّكَ لَتَرْضَى بِالدُّونِ ، فَقَالَ : إِنَّمَا رَضِيَ بِالدُّونِ مَنْ رَضِيَ

بِالدُّنْيَا .

قيل لعلی بن الحسین : مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَرًا ؟ فَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرِ الدُّنْيَا خَطَرًا

لِنَفْسِهِ .

كَانَ يُقَالُ : لِأَنَّ تَطَلَّبَ الدُّنْيَا بِأَقْبَحِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا أَحْسَنُ مِنْ أَنْ تُطَلَّبَ

بِأَحْسَنِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الْآخِرَةُ .

قَالَتِ امْرَأَةٌ لِبُعْلِهَا رِرَاتِهِ مَهْمُومًا : مِمَّ هُمُّكَ ؟ أِبَالدُّنْيَا فَقَدْ فَرَّغَ اللَّهُ مِنْهَا

أَمْ بِالْآخِرَةِ فَزَادَكَ اللَّهُ هُمًّا ! .

الثوري قال : قَالَ الْمَسِيحُ : حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَالْمَالُ فِيهَا دَاءٌ

كَثِيرٌ ، قِيلَ : مَا دَاءُوه ؟ قَالَ : لَا يَسْلَمُ [صَاحِبُهُ] مِنَ الْفَخْرِ وَالْكَبْرِ ، قِيلَ : وَإِنْ

سَلِمَ ؟ قَالَ : يَسْغَلُهُ إِصْلَاحُهُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ .

بلغني عن محمد بن فضيل قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سَالِمِ بْنِ

أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : يَا أَهْلَ حِمَاصَ ، مَا لِي أَرَاكُمْ تَجْمَعُونَ كَثِيرًا ، وَتَبْنُونَ

شَدِيدًا ، وَتَأْمَلُونَ بَعِيدًا ! إِنْ مَنْ قَبْلَكُمْ جَمَعُوا كَثِيرًا وَبَنَوْا شَدِيدًا وَأَمَلُوا بَعِيدًا فَصَارَ

جَمْعُهُمْ بُورًا وَصَارَتْ مَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا وَأَمَلُهُمْ غُرُورًا . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : يَا أَهْلَ

دِمَشْقَ ، مَا لَكُمْ تَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ ، وَتَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ !

أَلَا إِنْ عَادَا وَثَمُودَ كَانُوا قَدْ مَلَأُوا مَا بَيْنَ بَصْرَى وَعَدَنَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَنَعْمًا ، فَمَنْ

يَشْتَرِي مِنِّي مَا تَرَكَوا بِدَرَاهِمِينَ !

(۱) لزيادة عطفها السابق :

بلغنى عن داود بن المحبر عن عبد الواحد بن الخطاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الروم نريدُ البصرة، حتى اذا كنا بين الرصافة وحمص سمعنا صائحا يصيحُ من بين تلك الرمالِ — سمعته الآذانُ ولم تره العيونُ — يقول : يا مستورا يا محفوظا! اعقل في ستر من أنت! فإن كنت لا تعقل [من أنت] ^(۱) في ستره فاتق الدنيا فإنها حمتي الله؛ فإن كنت لا تعقل كيف تتقيها فصيرها شوكا ثم انظر أين تضع قدميك منها! .

قال المأمون : لو سُئِلت الدنيا عن نفسها ما أحسدت أن تصف نفسها صفة أبي نواس في هذا البيت :

إذا اختبر الدنيا لبيبٌ تكشفتُ * له عن عدو في ثياب صديق
قال المسيح عليه السلام : أنا الذي كفات الدنيا على وجهها، فليست لي زوجة تموت ولا بيت يحرب .

قال أبو العتاهية :

يامن ترفعُ للدنيا وزيتها * ليس الترفع رفع الطين بالطين
إذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك في زى مسكين

وقال آخروذكر الدنيا :

إذا تمَّ أمر دنا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم

وقال آخر :

لا تبتك للدنيا ولا أهلها * وابك ليوم تسكن الحافرة ^(۲)
وابك اذا صبح باهل الثرى * فاجتمعوا في ساحة الساهرة ^(۳)
وبلك يا دنيا لقد قصرت * آمال من يسكنك الآخرة

(۱) زيادة يتطلبها السياق . (۲) أى الأرض التى تحفر فيها قبورهم ؛ فساها الحافرة والمراد المحفورة . (۳) الساهرة : الأرض وقيل : وجهها ؛ قال تعالى : (فاذا هم بالساهرة) . وقيل : هى الأرض التى لم توطأ وقيل : هى أرض يجدها الله يوم النبأ . (انظر اللسان مادة سهر) .

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

- ١١) قام فقال : إنه لما سئل علينا ما توعدنا على غيرنا من الوصول اليك ، قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي عند انقطاع عذر الكتمان ، ولا سيما حين اتسمت بمبسم التواضع ووعدت الله وحملته كتابه إيثار الحق على ما سواه ، بجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص لئتم مؤدينا على موعود الأداء وقابلنا على موعود القبول ، أو يزيدنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية ، ويحلينا حلية الكذابين ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل ، وأشد منه عذابا من أقبل إليه العلم وأدبر عنه ، ومن أهدى الله إليه علما فلم يعمل به فقد رغب عن هدية الله وقصر بها ، فاقبل ما أهدى الله اليك من السنن قبول تحقيق وعمل لا قبول سمعة ورياء ، فإنه لا يعدمك من إعلام ما تجهل أو مواطأة على ما تعلم أو تذكري من غفلة ، فقد وطن الله عز وجل نبيه عليه السلام على نزولها تعزية عما فات وتمحيصنا من التمادي ودلالة على المخرج ، فقال : (وإما يترغنا من الشيطان ترغ فاستعد بالله) ، فأطلع الله على قلبك بما ينوره من إيثار الحق ومناجاة الأهواء .
- ١٥) ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلا إذ سمع قائلا يقول : اللهم إني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، نخرج المنصور

(١) انظر بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ ما قاله صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي .

بجلس ناحية من المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه، فصلى الرجل ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة، فقال المنصور: ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البغى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فوالله لقد حشوت مسامعى ما أرمضنى^(١)؛ قال: يا أمير المؤمنين إن أمنتنى على نفسى أنباتك بالأموار من أصولها، وإلا آحتجزت منك وأقتصرت على نفسى فيها لى شاغل^(٢)، فقال: أنت [آمن] على نفسك [فقل]؛ فقال: إن الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغى والفساد لأنت؛ قال: ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى قبضتى والحلو والحامض عندى! قال: وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك! إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الحص والاجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنك فيها عنهم، وبعثت عمالك فى جباية الأموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع، وأمرت ألا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء نفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ألا يجربوا عنك، تجبى الأموال وتجمعها ولا تقسمها قالوا: هذا قد خان الله فما بالتنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسه! فآتمروا ألا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا قصبوه عندك ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره،

(١) أرمضنى : أوجعنى وآلمنى . (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٦٤
 (٣) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٢٦٤ وفى الأصل « وأمرتهم » . (٤) قصبوه : عابوه
 وشتوه وبالعقد الفريد « خونوه » .

فلما انتشر ذلك عنك وعنهم، أعظمهم الناس وهابوهم، فكان أول من صانعهم عمالك
 بالهدايا والأموال ليَقْوُوا بها على ظلم رعيّتك، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من
 رعيّتك لينالوا به ظلم من دونهم، فامتلاّت بلادُ الله بالطمع بغيا وفسادا، وصار هؤلاء
 القوم شركاءك في سلطانتك وأنت غافل فإن جاء مُتظلم حيل بينه وبين دخول
 مدينتك، فإن أراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك،
 وأوقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك [خبره]^(١)
 سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته اليك، فإن المتظلم منه له بهم حُرمة، فأجابهم
 خوفا منهم؛ فلا يزال المظلوم يختاف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه
 ويعتل عليه، فاذا أُجهد وأُخرج وظهّرت، صرّخ بين يديك، فضرب ضرباً مبرحاً،
 ليكون نكالا لغيره، وأنت تنظر فلا تنكر، فما بقاء الإسلام على هذا! وقد كنتُ
 يا أمير المؤمنين [أسافر]^(٢) إلى الصين فقدمتها مرّة وقد أُصيب ملكها بسمعه، فبكي
 يوما بكاء شديدا فحشه جلساؤه على الصبر فقال: أما إني لست أبكي للبلية النازلة
 بي، ولكنني أبكي لمظلوم بالباب يصرخ ولا أسمع صوته ثم قال: أما إذ ذهب سمعي
 فإن بصرى لم يذهب نادوا في الناس ألا يلبس ثوبا أحمر إلا متظلم، ثم كان يركب
 الفيل طرفي نهاره، وينظر هل يرى مظلوما. فهذا يا أمير المؤمنين مُشرك بالله غلبت
 رأفته بالمشركين شخ نفسه وأنت مؤمن بالله ثم من أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتك
 بالمسلمين على شخ نفسك! فإن كنت إنما تجمع المال لولدك، فقد أراك الله عبدا
 في الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مأل، وما من مال إلا ودونه يد
 شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه، ولست

(١) الزيادة عن المقدم الفريد ج ١ ص ٣٦٥ (٢) الزيادة عن المقدم الفريد ج ١ ص ٣٦٥
 (٣) كذا في المقدم الفريد «غنه» وفي الأصول «غده» وهو تحريف.

بالذى تُعطى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء، وإن قلت إنما أجمع المال لتشديد
السلطان فقد أراك الله عبراً في بنى أمية: ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة
وأعدوا من الرجال والسلاح والكرّاع حتى أراد الله بكم ما أراد، وإن قلت إنما أجمع
المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا
منزلة لا تُدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين، هل تُعاقب من عصاك
بأشد من القتل قال المنصور: لا، قال: فكيف تصنع بالملك الذى خولك مُلك
الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل! ولكن بالخلود فى العذاب الأليم، قد رأى
ما قد عُقد عليه قلبك وعمَلته جوارحك ونظر اليه بصرُك واجترحتَه يداك ومشت اليه
رجالك، هل يغنى عنك ما شحمتَ عليه من مُلك الدنيا إذا انزعته من يدك ودعاك
الى الحساب، فبكى المنصور وقال: يا ليتنى لم أخلق! ويحك! فكيف أحتال لنفسي
قال: يا أمير المؤمنين إن للناس أعلاماً يفرعون اليهم فى دينهم ويرضون بهم فاجعلهم بطانتك
يرشدوك، وشاورهم فى أمرك يُسدّدوك، قال: قد بعثت اليهم فهربوا منى، قال:
خافوا أن تحملهم على طريقتك ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصُر المظلوم واقمع
الظالم وخذ الفىء والصدقات مما حلّ وطاب واقسمه بالحق والعدل على أهله وأنا
الضامن عنهم أن يأتوك ويُسدّدوك على صلاح الأمة، وجاء المؤذنون فسلموا عليه
فضلى وعاد الى مجلسه وطُلب الرجل فلم يوجد.

مقام آخر والمنصور يخطب

خطب المنصورُ فحمد الله ومضى فى كلامه، فلما انتهى الى أشهد أن لا إله إلا
الله وثب رجل من أقصى المسجد فقال اذكرك من تذكر، فقال المنصور: سمعنا من
فهم عن الله وذكره وأعوذ بالله أن أكون جبّاراً عصبياً وأن تأخذنى العزة بالإثم

لقد ضَلَلْتُ أذا وما أنا من المهتدين ، وأنت والله أيها القائل ما أردت بها الله ولكن حاولت أن يقال : قام فقال لهُوَيْبَ فَصَبْرَهُ وَأَهْوَى بِقَائِلِهَا لَوْ هَمَمْتُ ، فَاهْتَبَلَهَا وَيْلَكَ (١) إِذْ عَفَوْتُ ، وَإِيَّاكُمْ مَعَشَرَ النَّاسِ وَأَخْتَهَا ، فَإِنَّ الْمَوْعِظَةَ عَلَيْنَا تَزَلَتْ وَمَنْ عِنْدَنَا انْبَثَتْ فَرُدُّوا الْأَمْرَ إِلَى أَهْلِهِ يُصَدِّرُوهُ كَمَا أوردوه ؛ ثم رجع الى خطبته فقال : وأشهد أن هذا عبده ورسوله .

مقام عمرو بن عبَّيد بين يدي المنصور

قال للمنصور : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك ببعضها ، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده ؛ فوجم أبو جعفر من قوله ؛ فقال له الربيع : يا عمرو غممت أمير المؤمنين ؛ فقال عمرو : إن هذا صحبك عشرين سنة لم يرك عليه أن ينصحك يوماً واحداً وما تمل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه ؛ قال أبو جعفر : فما أصنع ! قد قلت لك : خاتمي في يدك فتعال وأصحابك فاكفني ؛ قال عمرو : ادعنا بعدك تسخ أنفسنا بعونك ؛ ببابك ألف مظلمة اردد منها شيئاً نعلم أنك صادق .

مقام أعرابي بين يدي سليمان

قام فقال : إني مكرمك يا أمير المؤمنين بكلام فيه بعض الغلظة فأحتمله إن كرهته ، فإن وراءه ما تحبه إن قبلته ؛ قال : هات يا أعرابي ؛ قال : إني سأطلق لساني بما تحريست عنه الألسن من عظمتك تأدية لحق الله وحق إمامتك ، إنه قد

(١) فاهتبلها أي اغتنمها ، والاهتبال : الاغتنام وانهاز الفرصة . (٢) في الأصل

«أغممت» ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا «أغم» متعدياً وإنما يقال : «غمه الأمر» من

غيرهز .

اكتنفتك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فهم حرب للآخرة سلم للدينا، فلا تأمنهم على ما أئتمك الله عليه، فإنهم لن يألوا الأمانة تضييعا والأمة عسفا وخسفا، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره. قال سليمان: أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك، وهو أقطع سيفيك؛ فقال: أجل، لك لا عليك.

مقام أعرابي بين يدي هشام

قال: أتت على الناس سنون، أما الأولى فَلَحَتِ اللحم^(٢)، وأما الثانية فأكلت الشحم، وأما الثالثة فهاضت العظم^(٣)، وعندكم فضول أموال، فإن كانت لله فاقسموها بين عباده، وإن كانت لهم فقيم تحظر عنهم! وإن كانت لكم فتصدقوا عليهم بها فإن الله يجزي المتصدقين؛ فأمر هشام بمال فقسم بين الناس وأمر للأعرابي بمال؛ فقال: أكل المسلمون له مثل هذا؟ قالوا: لا ولا يقوم بذلك بيت مال المسلمين؛ قال: فلا حاجة لي فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين.

مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

ذكره عبد الله بن المبارك عن رجل من أهل الشام قال: دخلت عليه فقال: ما الذي بظأ بك عني؟ قلت: يا أمير المؤمنين وما الذي تريد مني؟ فقال: الاقتباس منك؛ قلت: انظر ما تقول، فإن مكحولا حدثني عن عطية بن بشير أن رسول الله

(١) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٣٣٨ وفي الأصل «لقد».

(٢) من لحوت الشجرة إذا أخذت لحاءها وهو قشرها.

(٣) هاض العظم يبيضه هيضا فانهاض: كسره بعد الجور فهو مهيض.

- صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ بَلَغَهُ عَنِ اللَّهِ نَصِيحَةٌ فِي دِينِهِ فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ سَيَقَتْ إِلَيْهِ ، فَإِنْ قَبِلَهَا مِنْ اللَّهِ بِشُكْرِهِ وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لِيَزِدَّ إِثْمًا وَلِيَزِدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبًا ، وَإِنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ فَرَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَإِنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ ، وَمَنْ كَرِهَهُ فَقَدْ كَرِهَ اللَّهَ ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ " ، فَلَا تَجْهَلَنَّ ؛ قَالَ : وَكَيْفَ أَجْهَلُ ؟ قَالَ : تَسْمَعُ وَلَا تَعْمَلُ بِمَا تَسْمَعُ . قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : فَسَلَّ عَلَيَّ الرَّبِيعُ السَّيْفَ .
- وقال : تقول لأمر المؤمنين هذا ! فاتمره المنصور وقال : أمسك . ثم كلمه الأوزاعي ، وكان في كلامه أن قال : إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذي أصبحت به ، والله سائلك عن صغيرها وكبيرها وقتيلها وتغيرها ، ولقد حدثني عمرو بن رؤيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من رابع بيت غاشا لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة " ، فحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظرا ، ولما استطاع من عوراتهم سائرا ، وبالقسط فيما بينهم قائما ، لا يتخوف محسبهم منه رهقا ولا مسيئهم عدوانا ؛ فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويردع عنه المنافقين ؛ فاتاه جبريل فقال : " يا محمد ما هذه الجريدة بيدك ! اذفها لا تملأ قلوبهم رعبا " . فكيف من سفك دماءهم وشقق أبنسارهم وأنهب أموالهم ! يا أمير المؤمنين ، إن المغفور له ماتقدم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بنجدش خدشه أعرابيا لم يتعمده ، فهبط جبريل فقال : يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون أمتك " . واعلم أن كل ما في يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة ولا ثمرة من ثمارها ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقاب قوس أحدكم من الجنة أوقدة خير له من الدنيا بأسرها " . إن الدنيا تنقطع ويزول نعيمها ، ولو بقي الملك لمن قبلك لم يضل اليك . يا أمير المؤمنين ، ولو أن ثوبا من

(١) قاب القوس : ما بين مقبضها وسيئها . والقدة (بالضم) : ريش السهم .

(١) ثياب أهل النار عُلِّقَ بين السماء والأرض لآذاهم فكيف من يتقَمَّصُه! ولو أن ذُنُوباً
من صديد أهل النار صُبَّ على ماء الأرض لآجنته فكيف بمن يتجزَّعه، ولو أن
حَلْقَةً من سلاسل جهنم وُضِعَتْ على جبل لذاب، فكيف من سَلَكَ فيها ويردُّ^(٣)
فضلها على عاتقه! وقد قال عمر بن الخطاب: «لا يُقوم أمر الناس إلا حَصِيفُ
العقدة، بعيد الغزاة، لا يَطَّلِعُ الناسُ منه على عورة، ولا يُحْنِقُ في الحق على جرة،^(٤)
ولا تأخذه في الله لومة لائم».

وأعلم أن السلطان أربعة: أمير يظَلِّفُ نفسه وعمَّاله، فذلك له أجرُ المجاهد
في سبيل الله وصلاته سبعون ألف صلاة ويدُّ الله بالرحمة على رأسه تُرفرفُ؛ وأمير
رتع ورتع عمَّاله، فذلك يحْمِلُ أنقاله وأثقالاً مع أنقاله؛ وأمير يظَلِّفُ نفسه ويرتَعُ
عمَّاله، فذلك الذي باع آخرته بدينار غيره؛ وأمير يرتع ويظَلِّفُ عمَّاله، فذلك شرُّ
الأيكاس.

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد آبتليتَ بأمرٍ عظيمٍ عُرضَ على السموات والأرض
والجبال فأبين أن يحملنه وأشفقن منه^(٦)؛ وقد جاء عن جدِّك في تفسير قول الله عز
وجل: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾: أن الصغيرة التَّبَسُّمُ،
والكبيرة الضحك، وقال: فما ظنكم بالكلام وما عملته الأيدي! فأعيدك بالله أن
يُحْمِلَ اليك أن قرابتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تنفع مع المخالفة لأمره؛ فقد

(١) الذنوب: الدلو التي دون الملء، تذكر وتؤثت. (٢) آجنته: جعله أجناً أي متغير الطعم
واللون ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة متعدية منه، فأثبتناه بالهمزة على القول بأن تعدية الفعل بها
قياسية. (٣) في الاصل: «فيه». (٤) لا يحق في الحق على جرة: لا ينطوي على حقد
ودغل. وأصل الإحناق: لحوق البطن بالصاب والتصاقه به. والجرة (بالكسر): ما يخرج البير من جوفه
ويمضغه. فكفى عمر رضى الله عنه بعدم الإحناق على الجرة عن عدم إضمار الحقد والفيظ. (٥) يظلف
نفسه: يكفها. (٦) في الأصل «أن يحملنها» ومرجع الضمير هاهنا مذكور.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ياصفية عمّة محمد ويافاطمة بنت محمد استوهبا
أنفسكما من الله إني لا أغنى عنكما من الله شيئا" . وكان جدك الأكبر سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم إماراً؛ فقال : "أى عمّ نفسٌ تُحِبُّها خيرٌ لك من إماراة
لا تُحِبُّها" ، نظراً لعمه وشفقة عليه أن يلى فيجور عن منته جناح بعوضة ،
فلا يستطيع له نفعاً ولا عنه دفعا . هذه نصيحتي إن قبلتمها فلنفسك عملت ، وإن
رددتها فنفسك بخست ، والله الموفق للخير والمعين عليه ؛ قال بلى ! تقبلها ونشكر عليها ،
وبالله نستعين .

مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام

قال خالد : وفدتُ عليه فوجدته قد بدأ يشربُ الدَّهْنَ ، وذلك في عامٍ باكرٍ
وسمَّيه وتابعَ وليَّه وأخذت الأرضُ زُحُوفَها ، فهي كالزُّرابي المشوثة والقباطي^(١)
المنشورة ، وثرأها كالكاפור لو وُضعتْ به بضعة^(٢) لم تُترَبْ ، وقد ضُربتْ له سُرادقاتُ
حبرٍ^(٣) بعث بها إليه يوسفُ بن عمر من اليمن لتلاً كالعقيان ، فأرسل إلى فدخلت
عليه ، ولم أزل واقفاً ، ثم نظر إلى كالمستنطق لي ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين ، أتمَّ الله
عليك نعمه ودفع عنك نقمه ؛ هذا مقامُ زينِ الله به ذكرى وأطاب به نشرى ،
اذ أرانى وجه أمير المؤمنين ، ولا أرى لمقامى هذا شيئاً هو أفضل من أن أنبئه
أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ليحمد الله على ما أعطاه ، ولا شيء أحضر من حديث

(١) الوسمى : مطر الربيع الاوّل سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات . والولى (وزان فح) :
المطر بعد الوسمى . (٢) الزرابي : البسط الملوّنة . والقباطي (بضم أزله وتشديد آخره أو بفتح
الأوّل مع تخفيف الآخر) : جمع قبليّة (بضم القاف) وهي ثياب تكان بيض رفاق تعمل في مصر .
(٣) البضعة (بالفتح وتكسر) : القطعة من اللحم . (٤) حبر (وزان غنّب) : جمع حبرة (كغنية)
وهي المخيط من البرود ، يقال : برد حبرة على الاضافة والوصفية .

سلف لملك من ملوك العجم إن أذن لي فيه حدثته به؛ قال : هات؛ قلت : كان رجل من ملوك الأعاجم جُمِعَ له فَنَاءُ السِّنِّ وَصِحَّةُ الطَّبَاعِ وَسَعَةُ الْمُلْكِ وَكَثْرَةُ الْمَالِ، وذلك بِالْحَوْرَتِيقِ، فأشرف يوماً فنظر ما حوله فقال لمن حضره: هل علمتم أحداً أوتى مثل الذي أوتيت؟ فقال رجل من بقايا حملة الحجّة : إن أذنت لي تكلمت؛ فقال: قل، فقال : أرأيت ما جُمِعَ لك، أشتى هُوكَ لم يزل ولا يزول، أم هو شيء كان لمن قبلك زال عنه وصار إليك وكذلك يزولُ عنك؟ قال: لا! بل شيء كان لمن قبلي فزال عنه وصار إلى وكذلك يزول عني؛ قال : فسُررت بشيء تذهب لذته وتبقى تَبِعَتُهُ، تكون فيه قليلاً وتُرْتَهِنُ به طويلاً؛ فبكى وقال: أين المهربُ؟ قال: إلى أحد أمرين: إما أن تُقِيمَ في مُلْكِكَ فتعمل فيه بطاعة ربك، وإما أن تُلقِيَ عليك أُمْسَاحاً^(١) ثم تلحق بجبل تعبد فيه ربك حتى يأتى عليك أجلك؛ قال : فإلى إذا أنا فعلت ذلك؟ قال : حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحة لا تسقم وملك جديد لا يبلى؛ فأتى جبلاً فكان فيه حتى مات . وأنشده قول عدى بن زيد :

وتفكر رب الحورتيق إذ أصح * سج يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يمد * ملك والبحر معرضاً والسدير^(٢)
فارعوى قلبه فقال وما غيب * طة حتى إلى الممات بصير

فبكى هشام وقام ودخل؛ فقال لي حاجبه : لقد كسبت نفسك شراً، دعاك أمير المؤمنين لتحدثه وتلبيبه وقد عرفت علته فما زدت على أن نعت إليه نفسه . فأقمت أياً ما أتوقع الشر، ثم أتاني حاجبه فقال : قد أمر لك بجائزة وأنت لك في الانصراف .

(١) الأمساح : جمع مسح (بالكسر) وهو الكساء من شعر كثوب الرهبان (٢) معرضاً : من

أعرض الشيء إذا ظهر وبرز .

مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز
 قال : إنما الدنيا سُوقٌ من الأسواق ، فمنها خرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم ،
 وكم من قومٍ قد غرهم مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا
 من الدنيا مُرَمِلِينَ لم يأخذوا لِمَا أَحَبُّوا من الآخرة عُدَّةً ولا لِمَا كَرِهُوا جُنَّةً ،
 واقسم ما جمعوا من لم يحمدهم وصاروا الى من لا يعذرهم . فانظر الذي تُحِبُّ أن
 يكون معك اذا قَدِمْتَ ، فَقَدِّمه بين يديك حتى تخرج اليه ؛ وانظر الذي تَكْرَهُ أن
 يكون معك اذا قَدِمْتَ ، فابتغ به البدلَ حيث يجوز البدلُ ؛ ولا تذهبنَّ الى سِلْعَةٍ
 قد بارت على غيرك ترجو جوازها عنك . يا أمير المؤمنين ، افتح الأبواب ، وسهِّل
 الحجاب ، وانصُر المظلوم .

١٠ مقام الحسن عند عمر بن هبيرة

كتب ابن هبيرة الى الحسن وابن سيرين والشعبي فقدم بهم عليه ، فقال
 لهم : إن أمير المؤمنين يكتب إلي في الأمر ، إن فعلته خفتُ على ديني ، وإن لم أفعله
 خفتُ على نفسي ؛ فقال له ابن سيرين والشعبي قولا رققاً فيه ، وقال له الحسن :
 يابن هبيرة ، إن الله يمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله . يابن هبيرة ، خِفْ
 الله في يزيد ولا تخفْ يزيد في الله . يابن هبيرة ، إنه يُوشِكُ أن يبعث الله اليك ملكاً
 فيُنزِّلَكَ عن سريرك الى سَعَةِ قصرِكَ ، ثم يخرجك عن سَعَةِ قصرِكَ الى ضيقِ قبرِكَ ،
 ثم لا يُنجِيكَ إلا عملُكَ . يابن هبيرة إنه لا طاعة لخلق في معصية الخالق ، فأسر له
 بأربعة آلاف درهم وأمر لابن سيرين والشعبي بالفين ، فقالا : أَقْلنا فرقق لنا .

باب من المواعظ

كلام للحسن

قال في كلام له : أمتكم آخر الأمم وأتم آخر أمتكم ، وقد أُسْرِعَ بِخياركم فإذا
تنتظرون ! المعاينة ؟ فكان قد . هيات هيات ! ذهبت الدنيا بحال بما لها ،
وبقيت الأعمال أطواقا في أعناق بني آدم ؛ فيا لها موعظة لو وانفتحت من القلوب
حياة ! إنه والله لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبي بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم ؛
أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ؛ وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آحرکم .
من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا رائحا لم يضع لينة على لينة ولا قصبة
على قصبة ، رُفِعَ لَهُ عِلْمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْهِ ؛ فالوحا الوحا ، والنجاء النجاء . علام تعرجون ؟
أُسْرِعَ بِخياركم وأتم كل يوم تزدلون . لقد صحبت أقباما كانت صحبتهم قرّة العين
وجلاء الصدر ، وكانوا من حسناتهم أن تُردّ عليهم أشفق منكم من سيئاتكم أن
تُعدّوا عليها ، وكانوا فيما أحلّ الله لهم من الدنيا أزهّد منكم فيما حرم الله عليكم .
إني أسمع حسيسا ، ولا أرى أنيسا ؛ ذهب الناس ، وبقيت في النّسّاس ؛ لو تكاشفتم
ما تدافتم ؛ تهاديتم الأطباق ولم تهادوا النصائح . يابن آدم ، إن دين الله ليس بالتعلّي
ولا بالتمنى ، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأهمال .

كلام لبعض الزهاد

لا تفترن بطول السلامة مع تضييع الشكر ، ولا تُعْمِلنُ نعمة الله في معصيته ؛
فإن أفضل ما يجيب لمهديها ألا يجعلها ذريعة إلى مخالفته . واستدع شارد النعم

(١) كذا بالأصل . (٢) تزدلون : تصيرون أذالا ، والأرذال : جمع رذل وهو الدون

- بالتوبة ، واستدِمَ الرَاهِنَ مِنْهَا بِكْرَمِ الْحَوَارِ ، واستفتحَ بابَ المَزِيدِ بِحُسْنِ التَّوَكُّلِ .
 أو ما عَلِمْتَ أَنَّ المَسْتَشْعَرَ لَدُنَّ الخَطِيئَةِ المَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْ كُفِّ الطَّاعَةِ نَعْلُفُ الشَّاءِ ،
 زِمْرُ المَرْوَةِ ، قَصِيُّ المَجْلِسِ ، لَا يُسَاوِرُ وَهُوَ ذُو بَزْلَاءِ ، وَلَا يُصَدِّرُ وَهُوَ جَمِيلُ الرُّوَاءِ ،
 غَامِضُ الشَّخْصِ ضَيْلُ الصَّوْتِ تَزْرُ الكَلَامِ يَتَوَقَّعُ الإِسْكَاتَ عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ ، وَهُوَ
 يَرَى فَضْلَ مَزِيَّتِهِ وَصَرِيحَ لُبِّهِ وَحَسَنَ تَفْضِيلِهِ ، وَلَكِنْ قَطَعَهُ سُوءُ مَا جَنَى عَلَى
 نَفْسِهِ ، وَلَوْ لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ عِيُونَ الخَلِيقَةِ لَهَجَسَتْ العُقُولُ بِإِدْهَانِهِ . وَكَيْفَ يَمْتَنِعُ مِنْ
 سُقُوطِ القَدْرِ وَظَنِّ المَثْفَرَسِ مِنْ عُرَى مِنْ حِلْيَةِ التَّقْوَى وَسُلْبِ طِبَائِعِ المَهْدَى !
 وَلَوْ لَمْ يَتَفَشَّ ثَوْبَ سَرِيرَتِهِ وَقَبِيحَ مَا أَجْنُ مِنْ مَخَالَفَةِ رَبِّهِ لَقَطَعَهُ العِلْمُ بِقَبِيحِ مَا قَارَفَ
 عَنِ ائْتِدَارِ ذَوِي الطَّهَارَةِ فِي الكَلَامِ وَإِدْلَالَ أَهْلِ البِرَاءَةِ فِي النَّدَى .

كلام لغيلان

- إِنَّ التَّرَاجَعَ فِي المَوَاعِظِ يُوشِكُ أَنْ يُذِيبَ يَوْمَهَا وَيَأْتِي يَوْمُ الصَّاحَةِ ، كُلُّ الخَلْقِ
 يَوْمَئِذٍ مُصْبِحٌ يَسْمَعُ مَا يُقَالُ لَهُ وَيُقْضَى عَلَيْهِ ، وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ
 إِلا هَمْسًا . فَاصْمُتِ اليَوْمِ عَمَّا يُصْعِمُكَ يَوْمَئِذٍ ، وَتَعَلَّمِ ذَلِكَ حَتَّى تَعْلَمَهُ ، وَابْتِغِهِ حَتَّى
 تَجِدَهُ ، وَبَادِرْ قَبْلَ أَنْ تَفْجَأَكَ دَعْوَةُ المَوْتِ ، فَإِنَّهَا عَذِيفَةٌ إِلا بِمَنْ رَحِمَ اللهُ ، فَيُفْجِعُكَ
 فِي دَارٍ تَسْمَعُ فِيهَا الأَصْوَاتَ بِالحَسْرَةِ وَالوَيْلِ وَالتَّوْبِ ، ثُمَّ لَا يُقَالُونَ وَلَا يُسْتَعْتَبُونَ .
 إِنِّي رَأَيْتُ قُلُوبَ العِبَادِ فِي الدُّنْيَا تَخْشَعُ لِأَيْسَرِ مِنْ هَذَا وَتَقْسُو عِنْدَ هَذَا ، فَانظُرْ إِلَى
 نَفْسِكَ أَعْبُدُ اللهُ أَنْتَ أَمْ عَدُوهُ ، فَيَارِبَّ مُتَعَبِّدْتَهُ بِلِسَانِهِ ، مُعَادٍ لَهُ بِفِعْلِهِ ذَلُولٌ فِي الإِنْسِياقِ
 إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ فِي أُمْنِيَّةِ أَضْغَاثِ أَحْلَامٍ يَغْبُرُهَا بِالأَهْوَى وَالظَّنُونِ . فَاعْرِفْ نَفْسَكَ

(١) كذا في الأصل ، وفي البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٢ «كف العصمة» . (٢) نطف الشاء :

قليله . وزمر المروة : قلبها . (٣) البزلاء : الرأى الجيد . (٤) أى باللبن له والمصانعة .

(٥) كذا في البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٠ ، وفي الأصل «المتفريين» .

وَسَلَّ عَنْهَا الْكَتَابَ الْمُنِيرَ، سُؤَالَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ ، وَعِلْمَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ ،
فَإِنَّ الرَّبَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يَعِذِرُ بِالْتَعْذِيرِ وَالتَّغْيِيرِ ، وَلَكِنْ يَعِذِرُ بِالْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ . اِكْتَسَ
نَصِيحَتِي ، فَإِنَّهَا كُسُوةٌ تَقْوِي وَدَلِيلٌ عَلَى مَفَاتِحِ الْخَيْرِ ، وَلَا تَكُنْ كَعُلَمَاءِ زَمَنِ الْمَرْجِ
إِنْ وَعِظُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَإِنْ وَعَظُوا عَنُقُومًا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

كتاب رجل الى بعض الزهاد

كتب اليه : إِنْ لِي نَفْسٌ تُحِبُّ الدَّعَى ، وَقَلْبًا يَأْلَفُ اللَّذَاتِ ، وَهَمَّةٌ تَسْتَقِيلُ
الطَّاعَةَ ، وَقَدْ وَهَمْتُ نَفْسِي الْآفَاتِ ، وَحَدَّرْتُ قَلْبِي الْمَوْتَ ، وَزَجَرْتُ هَمَّتِي عَنِ
التَّقْصِيرِ ، فَلَمْ أَرْضَ مَا رَجَعَ إِلَى مَنْهَنِي ، فَأَهْدِلِي — رَحِمَكَ اللَّهُ — مَا أَسْتَعِينُ بِهِ
عَلَى مَا شَكَّوْتُ إِلَيْكَ ، فَقَدْ خَفْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ الْإِسْتِعْدَادِ .

فكتب اليه : كَثُرَ تَعَجُّبِي مِنْ قَلْبٍ يَأْلَفُ الذَّنْبَ ، وَنَفْسٍ تَطْمَئِنُّ إِلَى
الْبَقَاءِ ، وَالسَّاعَاتُ تَنْقَلِبُ وَالْأَيَّامُ تَطْوِي أَعْمَارَنَا ، فَكَيْفَ يَأْلَفُ قَلْبٌ مَا لَا ثَبَاتَ لَهُ ،
وَكَيْفَ تَنَامُ عَيْنٌ لَا تَدْرِي لَعَلَّهَا لَا تَطْرِفُ بَعْدَ رَقَدَتِهَا إِلَّا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ! وَالسَّلَامُ .

وكتب رجل من العباد الى صديق له :

إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الْيَقِينِ مُتَّفِقِينَ ، وَفِي الْعَمَلِ مُتَفَاوِتِينَ ، وَرَأَيْتُ الْحِجَّةَ
وَاجِبَةً ، فَلَمْ أَرِ فِي يَقِينٍ قَصَرَ بِصَاحِبِهِ عَنِ عَمَلِ حِجَّةٍ ، وَلَا فِي عَمَلٍ كَانَ بغيرِ يَقِينٍ
مَنْفَعَةً ، وَرَأَيْتُ مِنْ تَقْصِيرِ أَنْفُسِنَا فِي السَّعْيِ لِمَرْجُو مَا وَعَدَتْ وَالْمُحَرِّبِ مِنَ خُوفِ
مَا حُدِّرَتْ ، حَتَّى أَسَامَهَا ذَلِكَ إِلَى أَنْ ضَعُفَتْ مِنْهَا النِّيَّةُ وَقَلَّ التَّحْفُظُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا
السُّقُطُ وَالْإِغْفَالُ وَاشْتَعَلَتْ مِنْهَا الشَّهْوَةُ ، وَدَعَاهَا ذَلِكَ إِلَى التَّمَرُّغِ فِي فِضَائِحِ

(١) السقط : انطباع من القول والعمل .

- اللذات، وهي تعلم أن عاقبتها الندم، وثمرتها العقوبة، ومصيرها إلى النار إن لم يعف الله - عجيبتُ لعملِ امرئٍ كيف لا يشبهُ يقينه ، ولعلمِ موقنٍ كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ، حتى لا تكون الرغبةُ منه إلا إليه والرغبةُ منه إلا له . وزادني عجباً أتى رأيت طالب الدنيا أجد من طالب الآخرة ، وخائفها أتعب من خائف الآخرة، وهو يعلم يقينا أنه ربُّ مطلوبٍ في الدنيا قد صار حين نيل حثفاً لطالبه، وأنه ربُّ مخوفٍ فيها قد لحق كرهاً بالهارب منه فصار حثفاً له ، وأن المطلوب إليه من أهلها ضعيفٌ عن نفسه محتاجٌ إلى ربه مملوكٌ عليه ماله مخزونةٌ عنه قدرته . واعلم أن جماع ما يسعى له الطالبُ ويهربُ منه الهاربُ أمران : أحدهما أجله ، والآخر رزقه ، وكلاهما بعينه شاهدٌ على أنه لا يملكه إلا الذي خلقه . فلم أدْرِ حين صار هذا اليقينُ في موضع الإيمان يقينا لا شك فيه ، كيف صار في موضع العمل شبيهاً بالشك الذي لا يقين فيه ! وكيف ، حين اختلف في أمر الآخرة ، لم يُختلف في أمر الدنيا ، فيكون خائفُ الآخرة لربه تخائف الدنيا لسلطانه صبراً له على تجشم المكروه ، وتجزعاً منه لغصص الغيظ ، واحتمالاً منه لفادح النصب ، وعملاً له بالسخره ، وتحفظاً من أن يُضمِر له على غش أو يهيمَّ له بخلاف ؛ ولو فعل ذلك ما علمه منه حتى يظهر له بقولٍ أو فعلٍ ؛ ولو علمه ما قدر له على قطع أجل لم يقن ورزق لم ينفذ ؛ فإن ابتلي بالسخط من سلطانه فكيف حزنه ووحشته ، وإن أنس منه رضا عنه فكيف سروره واختياله ! فإن قارف ذنباً إليه فكيف تضعضعه واستخذاؤه ، فإن ندبه لأمر فكيف خفته ونشاطه ! وإن نهاه عنه فكيف حذرته واتعاطه ! وهو يعلم أن خالقه ورازقه يعلمُ سره وجهره ، ويراه في متقلبه ومشواه ، ويعاينه في فضائحه وهورته ، فلم يزره هنا حياءً منه ولا تقيّةً له ، قد أسره فلم ياتمر ، وزجره فلم يزدجر ،

(١) اصطلاحه : محضه .

وَحَدَّرَهُ فَلَمْ يَحْدَرْ، وَوَعَدَهُ فَلَمْ يَرْغَبْ، وَأَعْطَاهُ فَلَمْ يَشْكُرْ، وَسَتَرَهُ فَلَمْ يَزِدْ بِالْإِسْتِرَالِ تَعَرُّضًا
لِلْفَضَائِحِ، وَكَفَاهُ فَلَمْ يَقْنَعْ بِالْكَفَايَةِ، وَضَمَّنَ لَهُ فِي رِزْقِهِ مَا هُوَ فِي طَلْبِهِ مُشِيحٌ^(١)، وَيَقْظُهُ
مِنْ أَجَلِهِ لِمَا هُوَ عَنْهُ لَاهٍ، وَتَزَعَهُ مِنَ الْعَمَلِ لِمَا هُوَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ مَشْغُولٌ، فَسَبْحَانَ
مَنْ وَسِعَ ذَلِكَ حِلْمَهُ وَتَفَعَّلَهُ مِنْ عِبَادِهِ عَفْوُهُ؛ وَلَوْ شَاءَ مَا فَعَلُوهُ؛ وَلَا يُسْأَلُ
عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ .

فأجابه : إني رأيت الله تبارك وتعالى جعلَ اليقينَ بأعظمِ المواضعِ في أمرِ
الدنيا والدينِ، فهو غايةُ علمِ العالمِ وبصيرِ البصيرِ ونهيمِ السامعِ، ليس كسائرِ الأشياءِ التي
تدخلها الشبهاتُ ويجرحها الإغفالُ ويشوبها الوهنُ؛ وذلك أن الله تعالى جعل
مَغْرِسَهُ الْقَلْبَ؛ وَأَغْصَانَهُ الْعَمَلَ، وَثَمَرَتَهُ الثَّوَابَ . وَإِنَّمَا جَعَلَ الْقَلْبَ لِلْيَقِينِ
مَغْرِسًا، لِأَنَّهُ جَعَلَ الْخَمْسَ الْجَوَالِبَ لِعِلْمِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا إِلَى الْقَلْبِ : السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْمَجْسَّةَ وَالْمَذَاقَةَ وَالِاسْتِرْوَاحَ . فَإِذَا صَارَتِ الْأَشْيَاءُ إِلَيْهِ مَيِّزًا بَيْنَهَا الْعَقْلُ، ثُمَّ صَارَتْ
بِاجْتِمَاعِهَا إِلَى الْيَقِينِ، فَكَانَ هُوَ الْمَثْبُتَ لَهَا وَالْمَوْجَّهَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ جِهَتِهَا . وَلَوْلَا
مَعْرِفَةُ الْقَلْبِ بِالْعَقْلِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ، لَمْ يَفْرُقْ سَمْعٌ بَيْنَ صَوْتَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وَلَا بَصَرٌ
بَيْنَ صَوْرَتَيْنِ مُتَقَارِبَتَيْنِ، وَلَا مَجْسَّةٌ بَيْنَ شَيْئَيْنِ غَيْرِ مُتَشَابِهَيْنِ . وَلِلْيَقِينِ بَعْدَ ذَلِكَ
مَنْزَلَةٌ يُعْرَفُ بِهَا حَالُ الضَّارِّ وَالنَّافِعِ فِي الْعَاقِبَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى . فَلَمَّا صَارَ الْيَقِينُ
فِي التَّشْبِيهِ كَالشَّجَرَةِ النَّابِتَةِ فِي الْقَلْبِ، أَغْصَانُهَا الْعَمَلُ وَثَمَرَتُهَا الثَّوَابُ، أَخْبَرَ ذَلِكَ أَنَّهُ
قَدْ تَكُونُ الشَّجَرَةُ نَابِتَةً الْأَصْلَ بِلَا أَغْصَانٍ كَمَا قَدْ يَكُونُ الْيَقِينُ نَابِتًا بِلَا عَمَلٍ؛ وَأَنَّهُ
كَمَا لَا تَكُونُ الْأَغْصَانُ نَابِتَةً بِلَا أَصْلٍ، فَكَذَلِكَ لَا يَكُونُ الْعَمَلُ نَافِعًا إِلَّا بِيَقِينٍ؛
وَكَأَنَّهُ لَا تُخْلَفُ الثَّمَرَةُ فِي الطَّيِّبِ وَالكَثْرَةُ إِذَا كَانَ الْأَصْلُ نَابِتًا وَالْأَغْصَانُ مُتَفَتِّةً،

(١) المشيح : الجاذب في الأمر .

- فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحسن عمله . وقد تعرض للأعمال عوارض من العِلل : منهن الأمل المشبّب ، والنفس الأتارة بالسوء ، والهوى المزين للباطل ، والشيطان الجارى من ابن آدم مجرى الدم ، يضررن بالعمل والثواب ، ولا يبلغ ضررهن اليقين ، فيكون ذلك كبعض ما يعرض للشجرة من عوارض الآفات فتدوى أغصانها وتثرورقها وتمنع ثمرتها والأصل ثابت ، فإذا تجلت الآفة عادت الى حال صلاحها . فإذا يعجبك من عمل امرئ لا يشبه يقينه وأن يقينه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ؟ فإنما العجب من خلاف ذلك ! ولعمري لو أشبهه عمل امرئ يقينه فكان في خوفه ورجائه كالمعائن لما يعاينه بقلبه من الوقوف بين يدي الله والنظر الى ما وعد وأوعد ، لكان ما يعتلج على قلبه من خطرات الخوف شاغلا له عن الرجاء ، حتى يأتى على نفسه أول لحظة ينظر بها الى النار خوفا لها أو الى الجنة أسفا عليها اذا حرّمها ، وإذا لكان الموقن بالبعث بقلبه كالمعائن له يوم القيامة . وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقل فضلا عن أن يعمل ! وأما قولك : « كيف لم يكن خائف الآخرة لربه تدف الدنيا لسلطانه » ، فإن الله عز وجل خلق الإنسان ضعيفا وجعله عجولا ، فهو لضعفه موكل بخوف الأقرب فالأقرب مما يكره ، وهو بعجلته موكل بحب الأعتل فالأعتل مما يشتهى ، وزاده حرصا على الخالص من المكروه وطلباً للمحبوب حاجته الى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذى لولا ما طبع عليه القلب من حبه وسهل على المخلوقين من طلبه ، لما انتفع بالدنيا متفعا ولا عاش فيها عاش . ومع ذلك إن مكاره الدنيا ومحائبها عند ابن آدم على وجهين ، أما المكروه فيقول فيه : عسى أن أكون ابتليت به لذنب سلف منى ، وأما المحبوب فيقول فيه : عسى أن أكون رزقته بحسنة كانت منى فهو ثواب

(١) فى الأمل " بضررن " .

مُجَلَّ، وهو مع هذا يعلم أن حلوم المخلوقين الى الضيق، وأن قلوب أكثر مسألطهم الى القسوة، وأن العيب عنهم مستور، فليس يلتمس متمسهم إلا علم الظاهر ولا يضع إلا به، ولا يلتفت من أمرئ الى صلاح سريره دون صلاح علانيته. ومن طباع الإنسان اللؤم، فليس يرضى اذا خيف إلا بأن يُنذَل، ولا اذا رُجِيَ إلا بأن يُتعب، ولا اذا غَضِبَ إلا بأن يُخضع له، ولا اذا أمر إلا بأن يُنفذ أمره، ولا ينتفع المتشفع بإحسانه عنده اذا أساء ولا المطيع بكثرة طاعته في المعصية الواحدة اذا عصى، ولا يرى الثواب لازما له ولا العقاب محجورا عليه، فإن عاقب لم يستبق، وإن غَضِبَ لم يتثبت، وإن أساء لم يعتذر، وإن أذنب اليه مذنب لم يغفر، واللطيف الخبير يعلم السريرة فيغفر بها العلانية، ويمحو بالحسنة عشرة من السيئات، ويصفح بتوبة الساعة عن ذنوب مائة عام، إن دُعِيَ أجاب، وإن استغفر غفر، وإن أطيع شكر، وإن عصى عفا، ومن وراء عبده بعد هذا كله ثلاث : رحمته التي وسعت كل شيء، وشهادة الحق التي لا يزكو إلا بها عمل، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كله مثبت لليقين باسط للأمل مثبت عن العمل إلا من شاء الله وقليل ما هم . فلا تحمل نطف عملك على صحة يقينك فتوهن إيمانك، ولا ترخص لنفسك في مقارفة الذنوب، فيكون يقينك خصما لك وحجة عليك، وكذب أملك وجاهد شهوتك، فانهما داء المخوفان على دينك المعتونان على هلكك. وأسأل الله الغنيمة لنا ولك.

موعظة مستعملة

وكيع عن مسعر عن زيد العمي^(٤) عن عون بن عبد الله قال : كان أهل الخير يكتب بعضهم الى بعض بهؤلاء الكلمات : من مَلَّ لآخرته كفاه الله أمر دنياه،
 (١) كذا بالأصل . (٢) بالأصل «المتنع» . (٣) المعتونان : المتعاونان .
 (٤) سمي زيدا هذا العمي لأنه كان كلما سئل عن شيء قال «حتى أسأل عمي» وقيل : هو مندوب الى بنى العم بطن من تميم (انظر تهذيب التهذيب في اسم زيد بن الحواري) .

ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس . ومن أصلح سريره أصلح الله له علانيته .

موعظة لعمر بن عتبة

العتبي عن أبيه عن أبي خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال :

- كان أبونا لا يرفع الموعظة عن أسماعنا، فأراد مرةً سفرًا فقال : يَا بَنِي تَأَلَّفُوا
النعم بحسن مجاورتها، والتمسوا المزيد فيها بالشكر عليها، واعلموا أن النفوس أقبلُ
شيءٍ لما أُعطيَتْ وأعطى شيءٍ لما سُئِلَتْ، فاحملوها على مطيةٍ لا تُبْطِئُ إذا رَكِبْتِ،
ولا تُسْبِقُ وإن تَقَدَّمْتِ، عليها نجا من هرب من النار، وأدرك من سبق إلى الجنة؛
فقال الأساغرُ : يَا أَبَانَا مَا هَذِهِ الْمَطِيَّةُ؟ قال : التوبة .

صفات الزهاد

١٠

حدثني عبد الرحمن العبدى عن يحيى بن سعد السعدى قال :

- سأل الحواريون عيسى عليه السلام فقالوا : يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ قال :
هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، وإلى آجل الدنيا حين
نظر الناس إلى عاجلها، فأماتوا منها ما خَشُوا أن يُمَيِّتَهُمْ وتركوا منها ما علموا أن سِترَهُمْ،
فصار استكثارهم منها استقلالاً، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً، فما عارضهم من نائلها
رفضوه وما عارضهم من رفيعها بغير الحق وضعوه، فهم أعداء ما سالم الناس وسلم
ما عادوا، خلقت الدنيا عندهم فليس بعمرونها، وماتت في قلوبهم فليس يُحِبُّونَهَا،
يهدونها ويدنون بها آخرتهم، ويبيعونها ويشترون بها ما يبقى لهم؛ ونظروا إلى أهلها

(١) خلقت (فتح اللام وضمتها) : بليت . (٢) كذا بالأصل غير مستند لضمير الجماعة .

٢٠

ووجهه أن اسم ليس ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها .

صَرَخِي قَدْ خَلَّتْ مِنْهُمُ الْمَثَلَاتُ فَأَحْيُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ وَأَمَاتُوا ذِكْرَ الْحَيَاةِ ، بِهِمْ نَطَقَ
الْكِتَابُ وَبِهِ نَطَقُوا ، وَبِهِمْ عَلِمَ الْكِتَابُ وَبِهِ عَمِلُوا ، لَا يَرُونَ نَائِلًا مَعَ مَا نَالُوا ،
وَلَا أَمْنًا دُونَ مَا يَرْجُونَ ، وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَحْذَرُونَ .

• حَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَسْلُومٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمُسَيَّبِيِّ :

• ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرض ، فاذا فيهم شاب ذابل
ناحل ، فقال له عمر : يا قتي ما الذي بلغ بك ما أرى ؟ قال : يا أمير المؤمنين أمراض
وأسقام ، فقال عمر : لتصدقني ، قال : يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها
مرة فصغر في عيني زهرتها وحلاوتها ، واستوى عندي حجرها وزهبتها ، وكأني أنظر
الى عرش ربي بارزا ، والى الناس يساقون الى الجنة والى النار ، فأظمات لذلك
نهارى وأسهرت له ليل ، وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وجنب عقابه .
بلغني عن إسحاق بن سليمان عن أخيه عن الفياض عن زبيد اليامي عن معاذ
ابن جبل :

• أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله يحب الأخفاء الأتقياء الأبرياء
الذين اذا غابوا لم يُفْتَقَدُوا واذا حَضَرُوا لم يُعْرَفُوا ، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون
من كل غبراء مظلمة" .

• وعن وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دهم قال :

• قال علي عليه السلام : تعلموا العلم تعرفوا به وأعملوا به تكونوا من أهله ، فإنه
يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه الحق تسعة أعشرا^(٢)هم لا ينجو فيه إلا كل نومة ، يعني

(١) نسبة الى يام بطن من همدان ، انظر تهذيب التهذيب في اسم زبيد بن الحارث ، وفي الأصل

(٢) جمع عشير كالعشر بجزء من عشرة .

الميت الذكر، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالعجل المذاييع البدر^(٢) . وقال^(٣) .
 على عليه السلام أيضا: إن الدنيا قد ارتحلت مديرة وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة،
 ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا .
 ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا .
 ألا من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن الحرّات،
 ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات . ألا إن لله عبادا كمن رأى أهل الجنة
 في الجنة مخلّدين وأهل النار في النار معذّبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة،
 وأنفسهم عفيفة، وحواسنهم خفيفة، صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة، أما بالليل
 فصافوا أقدامهم، تجرى دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى الله: ربنا ربنا
 يطلبون فكّاك رقابهم، وأما بالنهار فخلما، علماء برّة أتقياء كأنهم القداح ينظر إليهم
 الناظر فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرض، ويقول: خولطوا، ولقد خالط
 القوم أمر عظيم .

حدثنا إسحاق المعروف بابن راهويه أن عون بن عبد الله بن عتبة كان يقول:
 يا بني كن ممن نأى به عمن نأى عنه يقين ونزاهة، ودنوه^(٤) ممن دنا منه لين ورحمة،
 ليس نأيه تكبرا ولا عظمة، ولادنوه^(٥) ينجذع ولا خلاية، يقتدى بمن قبله، وهو
 إمام من بعده، لا يعجل فيمن رابه ويعفو إذا تين له، ينقص في الذي له
 ويزيد في الذي عليه، لا يعزب حلمه ولا يحضر جهله، الخير منه مأمول والشر

(١) في الأصل: « الميت الدا » وما أثبتناه يدل عليه قول أبي عبيدة في تفسير النومة من هذا
 الأثر: الخامل الذكر الغامض في الناس (اللسان مادة نوم) . (٢) جمع مذاييع وهو الذي لا يكتم
 السر . (٣) جمع بذور وهو من يذر السر أي يفشي بين الناس . (٤) كذا بالأصل
 والسياق يقتضى أن يكون « ودنا به من » . (٥) رابه: شككه وأوجب عنده الريبة .

منه مأمونٌ ، إن رُجِيَ خاف ما يقولونَ واستغفروا لما لا يعلمون ، إن عصته نفسه
 فيما كرهت لم يطعمها فيما أحبت ، بصمتٌ ليسمَ ويخلو ليغمَ وينطق ليفهمَ ويخالطُ
 ليعلم . ولا تكن يا بُني ممن يُعجبُ باليقين من نفسه فيما ذهبَ وينسى اليقين فيما
 رجا وطلبَ ، يقول فيما ذهب : لو قُدر شيءٌ كان ، ويقول فيما بقي : ابتغِ أيها
 الإنسانُ ؛ تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقنُ ، طال عليه الأملُ ففترَ ،
 وطال عليه الأمدُ فاغترَبَ ، وأعذرَ إليه فيما عَمَّرَ وليس فيما عَمَّرَ بعذرٍ ، عَمَّرَ فيما يتذكر فيه
 من تذكُر ، فهو من الذنب والنعمة موقرٌ ، إن أُعطي لم يشكر ، وإن مُنِع لم يعذر ،
 يُحبُّ الصالحينَ ولا يعمل عملهم ويُبغضُ المسيئين وهو أحدهم ، يرجو الأجرَ
 في البغض على ظنه ولا يخشى اليقين من نفسه ، يخشى الخلق في ربه ولا يخشى
 الربَّ في خلقه ، يعود بالله ممن هو فوقه ، ولا يريد أن يُعيدَ الله منه من هو تحته ،
 يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأيسر من عمله ، يُبصر العورة من غيره
 ويُغفلها من نفسه ، إن صلى اعترض ، وإن ركع رُبض ، وإن سجد نقر ، وإن جلس
 شعر ، وإن سأل ألحف ، وإن سُئِلَ سَوَّفَ ، وإن حَدَّثَ أَخْلَفَ ، وإن وُعِظَ كَلَحَ ،
 وإن مُدِحَ فَرِحَ ، يَحْسُدُ أن يُفْضَلَ ، ويَهْدُ أن يُفْضَلَ ، إن أُفِضَ في الخير برِمَ
 وَضَعَفَ واستسلم وقال : الصمتُ حُكْمٌ ، وهذا ما ليس لي به عِلْمٌ ؛ وإن أُفِضَ
 في الشر قال : يحسبُ بي عِيٌّ ، فتكلم يجمع بين الأراوى والنعام وبين الخال والعم
 ولاءم ما لا يتلاءم ؛ يتعلم للرياء ، ويتفقه للرياء ، ويبادر ما يفنى ، ويؤاكل ما يبقى .

(١) أى أعذر الله إليه ، يقال : أعذر الله إلى من بلغ السنين من العمر ، أى لم يبق فيه موصفا للاعتذار

حيث أمهله طول هذه المقدة . (٢) بنابت له عذر ، يقال : ما أعذر فلان أى لم يثبت له عذر .

(٣) اعترض : تكلف ، يقال : اعترض فلان الشيء أى تكلفه . (٤) الإخلاف في المستقبل

كالكذب في الماضي ، وهو أن يقول شيئا ولا يفعله . (٥) كَلَحَ : كشر في عبوس .

(٦) سَمَّ وضجر . (٧) حَكَمَ : حكمة . (٨) جمع أروية تقع على الذكر والأنثى من الوعول .

حدّثني محمد بن داود عن أبي شريح الخوارزمي قال : سمعت أبا التريبع الأعرج

عمرو بن سليمان يقول :

- قال الحسن بن عليّ : ألا أخبركم عن صديق كان لي من أعظم الناس في عيني ،
وكان رأس ما عظم به في عيني صغّر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه
فلا يتشهى ما لا يحل ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد
يُدا إلا على ثقة لمنفعة ، كان لا يتشكى ولا يتبرّم ، كان أكثر دهره صامتاً ، فإذا
قال بدّ الفائلين ، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الحدّ فهو الليث عادياً ، كان إذا
جامع العلماء على أن يسمع أحرص منه على أن يقول ، كان إذا غلب على الكلام
لم يُغلب على السكوت ، كان لا يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول ، كان إذا عرض
له أمران لا يدرى أيهما أقرب إلى الحق نظر أقربهما من هواه فخالفه ، كان لا يلوم
أحدًا على ما قد يقع العذر في مثله . زادني غيره : كان لا يقول حتى يرى قاضياً عدلاً
وشهوداً عدولاً .^(١)

- وفي كلام علي رضي الله عنه لكيّل حين ذكر حجج الله في الأرض فقال : همّ
بهم العلم على حقائق الأمور ، فباشروا رُوح اليقين ، واستلنوا ما استوعر المترفون ،
وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحلّ
الاعلى ، هاه شوقاً إلى رؤيتهم .^(٢)

قال رجل ليونس بن عبيد : تعلم أحدًا يعمل بعمل الحسن ؟ قال : والله
ما أعرف أحدًا يقول بقوله فكيف يعمل بعمله ! قيل : فصفه لنا ، قال : كان

- (١) في الادب الكبير ص ١٣٠ طبع مصر سنة ١٣٣٠ : « كان لا يدخل في دعوى ، ولا يشترك
في شراء ، ولا يدل بحجة ، حتى يرى قاضياً الخ » . (٢) في نهج البلاغة ص ١٠٨ ج ٢ طبع
بيروت سنة ١٨٨٥ « أم » وكلتا الكلمتين معناها التوجع .

إذا أقبل فكأنه أقبل من دَفْنِ حَمِيمِهِ ، وإذا جلس فكأنه أسيرٌ أُمِرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ،
وإذا ذُكِرَتِ النَّارُ فكأنها لم تُخْلَقْ إِلَّا لَهُ .

حدَّثنا حسين بن حسن المرّوزي قال حدَّثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
معمر عن الأعمش عن شقيق بن سامة قال : ما مَثَلُ قُتْرَاءِ هَذَا الزَّمانِ إِلَّا كَمَثَلِ غَمِّ
ضَوَائِنَ ذَاتِ صُوفٍ عَجَافٍ أَكَلْتُ مِنَ الحَمَضِ ^(١) وَشَرِبْتُ مِنَ المَاءِ حَتَّى انْتَفَخَتْ
خَوَاصِرُهَا ، فَتَرْتُ بِرِجْلِ فَأَعْجَبْتُهُ ، فَقَامَ إِلَيْهَا فَعَبَّطَ ^(٢) مِنْهَا شَاةً فَإِذَا هِيَ لَا تَنْقِي ^(٣) ، ثُمَّ عَبَّطَ
أُخْرَى فَإِذَا هِيَ كَذَلِكَ ، فَقَالَ : أَفَّ لَكَ ، سائر اليوم .

حدَّثنا حسين قال حدَّثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار
عن الحسن قال : إِذَا شَتَّتَ لَقَيْتَهُ ^(٤) أبيضَ بَضًّا ^(٥) حديدَ النظرِ مَيَّتَ القلبِ والعملِ ، أنتَ
أبصرُ به من نفسه ؛ تَرَى أبدانًا وَلَا قلوبَ ، وتسمع الصوتَ وَلَا أنسَ ، أخصبُ
السنةِ وأجدبُ قلوبَ .

حدَّثني أبو سهل عن علي بن محمد عن وكيع قال :

قال سُفيان : الزهدُ في الدنيا قِصْرُ الأملِ ، ليس بأكلِ الغليظِ وَلَا لُبْسِ الغليظِ .
قال : وقال يوسف بن أسباط : لو أن رجلاً في ترك الدنيا مثلُ أبي ذرٍّ وأبي الدرداءِ
وسامانَ ، ما قلنا له : إنك زاهدٌ ، لأنَّ الزهدَ لا يكونُ إِلَّا على تركِ الحلالِ المحضِ ، والحلالُ
المحضُ لا نعرفه اليومَ ، وإِنَّمَا الدنيا حلالٌ وحرامٌ وشُّبُهَاتٌ ؛ فَالحلالُ حسابٌ ، والحرامُ

(١) الحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

(٢) عبط الشاة : ذبحها صحيحة من غير علة بها . (٣) لا تنقى : ليس لها نقي لضعفها وهزالها .

والنقى : المنقى . (٤) كذا في الأصل ، ولم يتقدم ما يصلح أن يكون مرجعاً للضمير في قوله « لقبته » .

وفي النهاية لابن الأثير ولسان العرب في مادة « بض » : وفي حديث الحسن « تلقى أحدهم أبيض بضا » .

(٥) من البضاضة وهي رقة اللون وصفائه .

عذابٌ، والشبهات عتابٌ، فأزِلِ الدنيا منزلةً الميِّتة حُذِّ منها ما يُقيِّمك، فإن كان ذلك حلالاً كنت زاهداً فيها، وإن كان حراماً لم تكن أخذت منها إلا ما يُقيِّمك كما يأخذ المضطر من الميتة، وإن كان عتابٌ كان العتابُ يسيراً. ومثله قولُ بعضهم : ليس الزهد بترك كلِّ الدنيا، ولكن الزهدُ التهاونُ بها وأخذُ البلاغِ منها. قال الله تعالى ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾، فأخبر أنهم زهدوا فيه وقد أخذوا له ثمناً .

قال أبو سليمان الداراني : الرضا عن الله والرحمةُ للخلق درجةُ المرسلين ، وما تعرف الملائكةُ المقربون حدَّ الرضا . وقال : أرجو أن أكون قد نلتُ من الرضا طرفاً، لو أنه تبارك وتعالى أدخلني النار كنتُ بذلك راضياً . قال : وليس الحمد له أن تحمده بلسانك وقلبك مقتصرٌ على المصيبة، ولكن هو أن تحمده بلسانك وقلبك مسلماً راضٍ .

وقال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان : بلغني في قول الله تعالى : ﴿أَلَا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَابِ سَلِيمٍ﴾ أنه الذي يلقي ربه وليس فيه أحدٌ غيره ؛ فبكي وقال : ما سمعتُ مذ ثلاثين سنة أحسن من هذا . وقال : كلُّ قلب فيه شركٌ فهو ساقط . قال : وما في الأرض أحدٌ أجده له محبةً ولكن رحمة . وقال : ينبغي للخوف أن يكون أغلبَ على الرجاء ، فإذا غلب الرجاءُ على الخوف فسَدَ القلبُ . وقال الفضيل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله .

الحسين بن علي عن عبد الملك بن أبحر : أن رجلاً يكنى أبا سعيد كان يقول : والله ما رأيتُ قُبْرَاءَ زمانٍ قطُّ أغلظَ رقاباً ولا أدقَّ ثياباً ولا آكلَ لُحْخ العيش منكم . أبو أسامة عن حماد بن زيد عن اسحاق بن سويد قال :

قال مطرف: أنظروا قوما إذا ذُكروا ذُكروا بالقراءة فلا تكونوا منهم، وقوماً إذا ذُكروا ذُكروا بالفُجور فلا تكونوا منهم، كونوا بين هؤلاء وبين هؤلاء .
أوصى ابن مُحيريز رجلاً فقال : إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف وتَسأل ولا تُسأل وتمشي ولا يمشي اليك، فافعل .

قال أيوب : ما أحبَّ الله عبداً الا أحبَّ ألا يُشعر به .

إسحاق بن سليمان عن جرير بن عثمان قال : جاء شريح بن عبيد الى أبي عائذ الأزدي فقال : يا أبا عبد الله ، لو أحييت سنة قد تركها الناس : إرخاء طرف العمامة من الجانب الأيسر! قال : يا بن أخي، ما كان أحسنها! تركها الناس فتركهاها ، ما أحبَّ أن أعرف في خير ولا شر .

كلام من كلام الزهاد

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا عبد الله

ابن عبد العزيز قال :

قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل : يا فلانُ ، هل أنت على حال أنت فيها مستعد للموت ؟ قال : لا ، قال : فهل أنت مجمع على التحول الى حال ترضى بها ؟ قال : ما شخَّصت نفسي لذلك ، قال : فهل بعد الموت دار فيها مستعيب ؟ قال : لا ، قال : فهل تأمن الموت أن يأتيك ؟ قال : لا ، قال فهل رضى بمثل هذا الحال عاقل ! .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثني غير واحد عن معاوية

ابن قرة قال :

٢٠ (١) مجمع : عازم . (٢) المستعيب : الطلب الى المنيء أن يرجع عن إساءته .

قال أبو البرداء : أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاثٌ : أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه، وضاحكٌ ملء فيه ولا يدري أراض الله عنه أم ساخطٌ عليه. وأبكاني فراق الأُحبة : محبٌ وحزبه، وهولُ المطلع، والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السرائر، ثم لا أدري إلى الجنة أو إلى النار .

كان عبد الله بن ثعلبة الحنفي يقول : تضحكُ ولعل أ كفانك قد خرجت من القصار . قال : وقال الفضيل : أصلُ الزهد الرضا عن الله ، وقال : ألا تراه كيف يزويها عنه ويمرمرها عليه بالعرى مرةً وبالجوع مرةً وبالحاجة مرةً ، كما تصنع الوالدةُ الشفيقةُ بولدها : تسقيه مرةً صبراً ومرةً حُضضاً ، وإنما تريد بذلك ما هو خير له .

وقال السري : ليس من أعلام الحب أن تُحب ما يُبغضه حبيبك . أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء : أما زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة لنفسك، وأما انقطاعك إلى فتعززك بي، ولكن هل عادت لي عدواً أو واليت لي ولياً .

قال مالك بن دينار : بلغنا أن حبراً من أحبار بني إسرائيل كان يغشاه الرجال والنساء، فغمز بعضُ بنيه النساء، فراهم فقال : مهلاً يا بني مهلاً ! قال : فسقط عن سريره فانقطع نُحاعه وأسقطت امرأته وقُتل بنوه في الجيوش . وقيل له : ما يكون من جنسك حبراً أبداً ، ما كان غضبك لي إلا أن قلت يا بني مهلاً يا بني مهلاً .

(١) القصار : المحزول للثياب ، سمي بذلك لأنه يدقها بالقصرة التي هي قطعة من الخشب .

(٢) يمرمرها : يجيزها ويعتقها . (٣) عصارة شجر مر . (٤) الحضض

(بضم أوله مع ضم ثانيه أو فتحه) : دواء يعقد من أبوال الإبل ، ويقال على صمغ من نحو الصنوبر والمز

له مرة كالقلقل . (٥) النخاع : الخبط الأبيض في جوف الفقار ينحدر من الدماغ وتنشعب منه

شعب في الجسم .

ضمرة بن ربيعة قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: إرض بالله صاحباً ودع الناس جانباً.

كان يشرب الحارث يقول: أربعة رفعهم الله بغير كبير عمل في الظاهر
للايطيب المطعم: إبراهيم بن أدهم وسالم الخواص ووهيب المكي ويوسف
ابن أسباط.

وحدثني أبو حاتم أو غيره عن العتيبي قال: سمعت ابن عيينة يقول: أربع ليس عليك
في واحدة منهن حساب: سد الجوع، وبرد العطشة، وستر العورة، والأستكنان؛
ثم تلا: (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظأ فيها ولا تضحى).

بلغني عن يعلى عن سفيان: قال علي عليه السلام لرجل: كيف أتم؟ قال:
نرجو ونخاف؛ قال: من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه،
ما أدري ما خوف رجل عرّضت له شهوة فلم يدعها لما يخاف! وما أدري
ما رجاء رجل نزل به بلاء فلم يصبر عليه لما يرجو.

بلغني عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن مكحول قال: إن كان الفضل
في الجماعة فإن السلامة في العزلة. وبلغ الفضيل هذا فقال: سمعته كلاماً أحسن منه!
قال ابن المبارك: ركبت مع محمد بن النضر الحارثي السفينة فقلت: بأى
شيء أستخرج منه الكلام؟ فقلت: ما تقول في الصوم في السفر؟ فقال: إنما هي
المبادرة؛ بقاءني والله بفتوى غير فتوى إبراهيم والشعبي.

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال: قيل لأبي حازم: ما مالك؟
فقال: الثقة بما في يد الله واليأس مما في أيدي الناس. وقال أبو حازم: إنه
ليس شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلكم، فأثر نفسك أيها المرء بالنصيحة على

ولذلك، واعلم أنك إنما تخلف مالك في يد أحد رجلين: عامل فيه بمغصية الله فتشقى بما جمعت له، وعامل فيه بطاعة الله فتسعد بما شقيت له؛ فأرج لمن قدمت منهم رحمة الله، وثق لمن خلفت منهم برزق الله.

وقال أبو حازم: إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يكفيك ففي أدناها ما يكفيك، وإن كنت لا ترضى منها بما يكفيك فليس فيها شيء يُغنيك.

ونظر أبو حازم إلى الفاكهة في السوق فقال: موعذك الجنة، ومر بالجزارين فقال له رجل منهم: يا أبا حازم، هذا سمين فاشتر منه؛ قال: ليس عندي ثمنه؛ قال أنا أنظرك؛ ففكر ساعة ثم قال: أنا أنظر نفسي.

قال سفيان: حلف أبو حازم بلسانه: إني لأرضى أن يتقى أحدكم على دينه كما يتقى على نعله.

حدثني محمد بن زياد الزبدي قال حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن سعيد ابن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس».

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو ربيعة فهد بن عون عن حماد بن سلمة عن يعقوب قال: سمعت الحسن يقول: ابن آدم، إنما أنت عدد، فإذا مضى يوم فقد مضى بعضك.

وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي عن الحسن بن ذكوان رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أوصاني ربي بتسع خصال وإني موصيكم بها:

(١) كذا بالأصل. ولم نجد فيما بين أيدينا من المصادر أن «يتق» يتعدى بحرف «على» فلعله بحرف

عن «يتق» والإبقاء على الشيء: الإبقاء والمحافظة عليه.

بالإخلاص في السر والعلانية، والعذل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى،
وأن أعفَ عن ظلمي، وأصل من قطعني وأعطى من حرمني، وأن يكون صمتي
تفكراً، ومنطقي ذكراً، ونظري عبراً» .

مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن حميد قال : كان ابن عمر يقول : البرُّ
شيء هين : وجه طليق وكلام لين .

جعفر بن سليمان قال : سمعت مالكا يقول : اتقوا السحارة، فإنها تسحر
قلوب العلماء . قال : وسمعتَه يقول : وددتُ أن رزقي في حصاة أمصها حتى
أموت، ولقد آخلفتُ إلى الخلاء حتى استحيتُ من ربي .

بشر بن مصلح عن أبي سعيد المصيصي عن أسد بن موسى قال : في الجوع
ثلاثٌ خلال : حياة القلب، ومدلة النفس، ويورث العقل الدقيق السماوى .

سالم بن سالم البلسخي عن السري بن يحيى قال : كان الحسن إذا عاد مريضاً
لم ينتفع به يوماً وليلة، وإذا شيع جنازة لم ينتفع به أهله وولده وإخوانه ثلاثاً .

خلف بن تميم قال : قال رجل لإبراهيم بن أدهم : يا أبا إسحاق، أحب أن تقبل
مني هذه الجبة كسوة؟ قال إبراهيم : إن كنت غنياً قبلتها منك، وإن كنت فقيراً
لم أقبلها؛ قال : فإني غني؛ قال : كم عندك؟ قال : ألفان؛ قال : فيسرك أن
تكون أربعة آلاف؟ قال : نعم؛ قال : أنت فقير، لا أقبلها .

قال عبيد الله بن عمر : دخلت أنا ويحيى بن سليمان على الفضيل نعوذ به؛ فقال :
زوجهك وخولك وصرف وجوه الناس إليك وأنت تشغلك عنه من أنت وما أنت !
ثم شق شفقةً، وأضحجه رجل كان عنده وغطى عليه ثوباً وهو لا يعقل، ونزلنا .

بكار بن عبد الله عن إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال :

قال أبو حازم : السرُّ أملك بالعلانية من العلانية بالسرِّ، والفعلُ أملك بالقول من القول بالفعل ، فاذا كنتَ في زمانٍ يرضى فيه من الفعل بالقول ومن العمل بالعلم ، فأنت في شرِّ زمانٍ وشرِّ أناسٍ .

- ابن أبي الحواري قال : ذكرت لأبي سليمان أمرأتى والشغلَ بها ، فقال :
- ٥ إن علم الله من قلبك أنك تريد الفراغَ له فزغك ، وإن كنتَ إنما تريد الراحةَ منها لتستبدلَ بها ، فهذه حماقة . قال : ورأيتُه حين أراد الإحرام فلم يلبَّ حتى سرنا ملياً وأخذه كالغشي وجعل رأسه عند ركبته بفعل تجملَه يخفِّ ومجلى يثقلُ حتى سرنا هويًا ، ثم أفاق فقال : يا أحمد ، بلغني أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى مرُّ ظلمةَ بني إسرائيل أن يُقلُّوا من ذكرى ، فإني أذكرُ من ذكرني منهم بلعنة حتى يسكت » . ويحك يا أحمد بلغني أنه من حجَّ من غيرِ حِلِّه ثم لبي ، قال له تبارك وتعالى : لا لبيك ولا سعديك حتى تردَّ ما في يديك ، فما يؤمننا أن يقال لنا ذلك . قال وقال أبو سليمان : يجيئك وأنت في شيء من الخير فيشير لك إلى شيء من الخير دونه ليربح عليك شعيرةً ، يعني إبليس .
- ١٠

- قال المسيح لأصحابه : بحق أقول لكم ، إن من طلب الفردوسَ نخبزُ الشعير له والنومُ في المزابل مع الكلاب كثير .
- ١٥

مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبي هند عن مكحول قال :

كنا أجنةً في بطون أمهاتنا فسقط من سقط وكنا فيعن بقي ، ثم كنا مراضع^(٣) فهلك منا

(١) وردت هذه الكلمة مرسومة في الأصل هكذا : « وانما كنت » . ومن المحتمل أن يكون

صوابها « إما كنت » : على أنها « إن » الشرطية مدغمه في « ما » الزائدة ، فكتبها الناسخ « إنما »

(٢) هويًا : ساعة من الليل . (٣) جمع مراضع (فتح الضاد) أي رضيع .

٢٠

من هلك وبقي من بقي، وكنا أيفاعاً، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شباناً، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شيوخاً لا أبالك فما تنتظر وما نريد! وهل بقيت حالةً تنتقل إليها .

قال وقال مكحول : الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يفتم، فيأتيه الله برزقه من قبل سُرته ، وغذاؤه في بطن أمه من دم حبضها، فمن ثم لا تمحض الحامل، فإذا سقط استهل استهلاله إنكاراً لمكانه، وقطعت سُرته وحول الله رزقه الى ثدى أمه ثم حوله الى الشيء يُصنع له ويتناوله بكفه، حتى إذا اشتد وعقل قال : أين لي بالرزق! يا ويحك! أنت في بطن أمك وفي حجرها تُرزق حتى إذا عقلت وشببت قلت : هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق! ثم قرأ (يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) .

عبد الملك بن عبد العزيز قال : كان محمد بن النضر الحارثي إذا لم يكن في صلاة استقبال القبلة، فقعدها اليه بعد العصر فقال : بلغني أنه من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ألف مرة في دبر صلاة العصر، رُفِعَ له عملٌ نبيّ، ثم قال : قد أكثر الكلام .

وقال سعيد بن عمر الكندي دخل رجلٌ على داود وهو يأكل خبزاً يابساً قد بله في الماء بملح جريش، فقال له : كيف تشتهي هذا! قال : أدعه حتى أشتهي . ونحو هذا قول هشام بن عبد الملك لسالم : «أدمك؟» قال : الزيت، قال : أما تأججه؟ قال : إذا أجمته تركته حتى أشتهي . قال : وكان ماء داود في دَنِّ مَقِيرٍ في الصيف

(١) في الأصل : «مله» . (٢) جريش : لم يطيب . (٣) الأدم (بالضم) : ما يؤكل به الخبز أي شيء . كان . (٤) تأججه : نكرهه وتمله . (٥) مقير : مطلى بالفار وهو شيء أسود تطلق به السفن ، وقيل هو الزفت .

والشتاء، فقال له بعض أصحابه : لو بردت الماء! فقال داود : اذا أصبت في مثل هذا اليوم ماءً بارداً فمتي تُحب الموت ! .

سعيد بن عمرو عن رجل قال : قال محمد بن واسع : لو كان للذنوب ريحٌ ما جلس إلى منكم اثنان . وقال محمد بن واسع : لا يطيبُ المالُ إلا من أربع : سهم في فئ المسلمين ، أو عطية عن ظهريدٍ ، أو إرثٍ بكتاب الله ، أو تجارة من حلال ؛ ولا يُقتل مسلم إلا بهذه الخصال : كفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل فيقتل ، أو حارب الله ورسوله وقطع الطريق .

قال سليمان بن المغيرة سمعت ثابتاً يقول : والله لحمل الكارات أهون من العبادة . قال : ولا يُسمى الرجلُ عبداً وإن كانت فيه خصلةٌ من كل خيرٍ حتى يكون فيه الصومُ والصلاةُ ، فإنهما من لحمه ودمه .

أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حيّان قال : كان عيسى بن عتبة يسجد حتى إن العصافير ليقعن على ظهره وينزلن ، ما يحسبته إلا جرمَ حائط .

حدثني محمد بن داود عن عبد الصمد بن يزيد قال : شكأ أهل مكة إلى الفضيل القحط ، فقال : أمدبراً غير الله تريدون ! . قال : وسمعته يقول : استخبروا الله ولا تخيروا عليه ، فكم من عبد تخير لنفسه أمراً كان هلاكه فيه ! أما رأيتموه سأل ربه طرسوس فأعطيتها فأسير فصار نصرانياً .

وحدثني أيضاً عن سعيد بن نصير قال قال وكيع : أبو يونس ، ومن أبو يونس ! بكي حتى عمي ، وطاف حتى أقعد ، وصلى حتى حدب .

(١) طرسوس بلد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وكان الزناد والصالحون يقصدونه لأنه من نفور المسلمين ، استولى عليه ملك الروم سنة ٣٥٤ وتنصر وقتل بعض المسلمين وقصد بعضهم بلاد الإسلام ، وأقام نفريسير على الجزية (انظر معجم البلدان في اسم طرسوس) .

حدثني محمد بن عبيد قال محمد بن عبد الله الأنصاري عن بهز بن حكيم قال :
صلى بنا زرارَةُ بن أوفى الغداة ، فقرأ الإمامُ (فَإِذَا تُقَرَفِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ
عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) ، نَحَزَ مَغْشِيًا عَلَيْهِ ، حَمَلْنَاهُ مَيْتًا .

ابن أبي الحواري قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : الصلاةُ تُبَلِّغُكَ
نصفَ الطريق ، والصومُ يبلِّغُكَ بابَ الملك ، والصدقةُ تُدْخِلُكَ عَلَيْهِ .

ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوبَ فقال : رحمه الله — ثلاثا — لقد قَدِمَ المَدِينَةَ مَرَّةً
وَأَنَا بِهَا ، فَقُلْتُ : لَأَقْعُدَنَّ لَهُ ، لَعَلِّي أَتَعَلَّقُ عَلَيْهِ بِسُقْطَةٍ ، فَقَامَ مِنَ القَبْرِ مَقَامًا مَا ذَكَرْتُهُ
قَطًّا إِلَّا أَقْشَعَتْ جِلْدِي .

روى ابنُ عيَاشٍ عن سعيد بن أبي عمرو بن عروة قال : حجَّ الحجاجُ فنزلَ بعضَ المِيَاهِ
ودعا بالغداء ، فقال لحاجبه : انظر من يتغذى معي وأساله عن بعض الأمر ؛
فنظر الحاجبُ فإذا هو بأعرابيٍّ بين شِئْمَلَيْنِ من شَعْرَانِئِمٍ ، فضربه برجله وقال :
أَتَتِ الأَمِيرَ فَاتَاهُ ؛ فقال له الحجاجُ : اغسِلْ يَدَكَ وَتَغَدَّ مَعِي ؛ قال : إنه دعاني من
هو خيرٌ منك فأجبتُه ؛ [فقال له الحجاجُ : من الذي دعاك ؟] . قال : اللهُ تعالى دعاني
إلى الصومِ فصُمتُ ؛ قال : في هذا اليومِ الحَازِ ! قال : نعم صُمتُ ليومٍ أحرَمَ منه ؛
قال : فأفطرُ وتصومُ غدا ؛ قال : إن ضمنتُ لي البقاءَ إلى غد ؛ قال : ليس ذلك
إلى ؛ قال : فكيف تسألني عاجلا بأجل لا تقدرُ عليه ! قال : إنه طعامٌ طيبٌ ؛
قال : إنك لم تُطِيبْهُ وَلَا الخَبَازَ ، وَلَكِنْ طِيبْتَهُ العَافِيَةُ .

ونحو هذا حدث الأصبغي عن شبيب بن شيبه قال : كنا في طريق مكة بجاء
أعرابيٍّ في يومٍ صائفٍ شديدٍ الحرِّ ومعه جاريةٌ سوداءٌ وصحيفةٌ ، فقال : أفبكم

(١) زيادة بقنضها السياق .

كاتب؟ قلنا: نعم؛ وحضر غداؤنا فقلنا: لو دخلت وأصبحت من الطعام! قال:
إني صائم؛ قلنا: في الحز وشدة وجفاء البادية! فقال: إن الدنيا كانت ولم أكن
فيها، وستكون ولا أكون فيها، ولا أحب أن أغيب أيامي، ثم نبذ إلينا الصحيفة،
وقال: أكتب ولا تزيدن علي ما أقول حرفا: هذا ما اعتق عبد الله بن عقيل
الكلابي، اعتق جارية له سوداء يقال لها لؤلؤة، ابتغاء وجه الله تعالى وجواز العقبة،
وإنه لا سبيل له عليها إلا سبيل الولاء، المنة لله عليها وعليه واحدة. قال الأصمعي:
فخذت بها الرشيد، فأمر أن يعتق عنه ألف نسمة أو مائة نسمة، ويكتب لهم
هذا الكتاب.

قال خالد بن صفوان: بيت أتمنى ليلتي كلها، فكبست البحر الأخضر بالذهب
الأحمر، فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان وكوزان وطمران!
رأى رجل رجلا من ولد معاوية يعمل على بعير له، فقال: هذا بعد ما كنتم
فيه من الدنيا! فقال: رحمك الله، ما فقدنا إلا الفضول.

سمعت بعض العباد يقول: علامة التوبة الخروج من الجهل، والتدم على
الذنب، والتجافي عن الشهوة، واعتقاد مقت نفسك المسولة^(١)، وإخراج المظلمة،
وإصلاح الكسرة، وترك الكذب، وقطع الغيبة، والانتها عن خدن السوء.

لقي زاهدا زاهدا فقال له: يا أحمى، إني لأحبك في الله؛ قال الآخر:
لو علمت مني ما أعلم من نفسي لأبغضتني في الله؛ قال له الأول: لو علمت منك
ما تعلم من نفسك، لكان لي فيما أعلم من نفسي شغل عن بفضك.

(١) في الأصل: «المسولة».

كان الثوري مستخفياً بالبصرة، فورد عليه كتاب من أهله، وفيه : " قد بلغ بنا الجهد الى أن نأخذ النوى فنرضه ثم نخلطه مع التبن فناكله "، فحزك ذلك من قلبه، ورعى بالكتاب الى أخ له ؛ فقرأه فدمعت عينه، ثم قال : يا أبا عبد الله، لو أنك حدثت الناس اتسعت واتسع هؤلاء ! فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال : إسمع حديثاً أحدثك به ثم لا أكلمك بعده سنة : روى ثور في الجنة تجدد، فقيل : ما هذا النور؟ فقيل : حوراء ضحكت في وجه زوجها فبدت شياها ؛ فقرأ لي أن أغرر بترك وأصير الى ما تقول !

أراد قوم سفرًا فجادوا عن الطريق وانتهوا الى راهبٍ منفردٍ في ناحية، فنادوه فأشرف عليهم، فقالوا : إنا قد ضللنا فكيف الطريق؟ قال لهم : ها هنا، وأوما الى السماء، فعلموا الذي أراد، فقالوا : إنا سائلوك، أفجيبنا أنت؟ قال : سلوا ولا تكثروا، فان النهار لن يرجع والعمر لن يعود والطالب حثيث في طلبه ذو اجتهاد؛ قالوا : ما الخلق عليه غدا عند مليكم؟ فقال : على نياتهم؛ فقالوا : فالأم الموءل؟ قال : الى المقدم؛ قالوا : أوصنا؛ قال : تزودوا على قدر سفركم، فان خير الزاد ما بلغ المحل؛ ثم أرشدهم الى المحجة وانقمع^(١).

وقال آخر : قلت لراهب : عطني عظة نافعة؛ فقال : جميع المواعظ منتظمة في حرف واحد؛ قلت : ما هو؟ قال : تُجمع على طاعته، فاذا أنت قد حوت المواعظ والأذكار .

الأصمعي : قيل لأعرابي معه ماشية : لمن هذه الماشية؟ قال : لله عندي .

كان ابن السماك يقول في كلامه : لقد أمهلكم حتى كأنه أهلكم، أما تستحيون

من الله من طول ما لا تستحيون !

(١) انقمع المرء : جلس وحده .

قال بكر بن عبد الله : اجتهدوا في العمل ، فإن قصر بكم ضعف فكفوا

عن المعاصي .

كان مالك بن دينار يقول في قصصه : ما أشد فطام الكبير ! وينشد :

وتروض عرسك بعد ما هيرمت * ومن العناء رياضة الهرم

كان أعرابي يسرق الإبل يُسمى يزيد ، ثم تاب وقال :

ألا قل لرعيان المخائض أهملوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد

وإن امرأً ينجو من النار بعد ما * تزود من أعمالها لسعيد

وقال نصيح الأسيدي :

كفى نطقاً بالمرء يا أم صالح * ركوب المعاصي عامداً واحتقارها

كان خالد بن معدان يقول :

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً * ندمت على التفريط في زمن البذر

قال منصور بن عمار : ما أرى إساءة تكبر عن عفو الله فلا تأيس ، وربما

أخذ الله على الصغير فلا تأمن .

وروى وكيع عن إبراهيم بن اسماعيل عن عتبة بن سميان عن مسيكة عن

عائشة رضي الله عنها أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحفة فيها خبز شعير

وقطعة من الكرش ، فقالت : يا رسول الله ، ذبحنا اليوم شاةً فما أمسكنا منها إلا هذا ،

قال : « بل كلها أمسكتم إلا هذا » .

(١) في اللسان (مادة بعر) : « رعيان الأباعر » .

(٢) النطف (بالتحريك) : العيب .

- استقبل عامر بن عبد قيس رجلاً في يوم حلبة ، فقال : من سبق يا شيخ ؟
 فقال : المقربون . وأتى به عثمان وأقعد في دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً يطأ
 في عباءة ، فأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابي أين ربك ؟ قال : بالمرصاد .
- قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : ما بالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمّرتُم
 الدنيا وأحربتم الآخرة ، فأنتم تكهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب .
- قال الحسن : نعم الله أكثر من أن تُشكر إلا ما أعانَ عليه ، وذُنوبُ ابن آدم
 أكثر من أن يُسَلَمَ منها إلا ما عفا الله عنه .
- وقال الحسن : تنفق دينك في شهوتك سرفاً ، وتمنع في حق الله درهما ، ستعلم
 بالضعف .
- خرج المسيح من بيت مُوسى ، فقيل له : ياروح الله ، ما تصنع عند هذه ؟
 فقال : إنما يأتي الطبيبُ إلى المريضِ . ومرّ بقوم شتموه فقال خيراً ، ومرّ بآخرين
 شتموه فقال خيراً ، فقال رجل من الحواريين : كلما زادوك شراً زدت خيراً ، كأنك
 تُغريهم بنفسك ! فقال : كل إنسان يُعطي مما عنده .
- أخبر أبو حازم سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للذنين ؛ فقال سليمان : فإين
 رحمةُ الله ؟ قال : قريبٌ من المحسنين .
- قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب : عِظني ؛ فقال : لا أرضى نفسي لك ،
 إني لأصلي بين الغني والفقير ، فأميل على الفقير وأوسع للغني .
- نظرت امرأة إلى أخرى وحوّلها عشرةً من ولدها كأنهم الصقور ، فقالت :
 لقد ولدتُ أمتكم حزناً طويلاً .
- (١) كذا بالأصل . وفي البيان والتبيين (ج ٣ ص ٧٤ طبعة القاهرة ١٣٣٢ هـ) : «أعرابيا
 أشقى في بيت» .

أُحْتَضِرْتَنِي كَانَ فِيهِ زَهُوٌ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا أَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا يَبْكِيَاكَ ؟
قَالَا : الْخَوْفُ عَلَيْكَ لِإِسْرَافِكَ عَلَى نَفْسِكَ ؛ فَقَالَ : لَا تَبْكِيَا ، فَوَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنْ الَّذِي
يَبْدُ اللَّهُ مِنَ الرَّحْمَةِ بِأَيْدِيَاكَ .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذي
لم يأت على يومك الذي أنت فيه ، فإن يك من أجلك يأت فيه رزقك ، وأعلم أنك
لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك . قال النابغة
في نحوه :

ولست بحابس لغد طعاماً * حذار غداً لكل غد طعاماً

تذاكر حذيفة وسلمان أمر الدنيا ، فقال سلمان : ومن أعجب ما تذاكرنا
صعود غنيات الغامدي سرير كسرى ، وكان أعرابي من غامد يري شويهاً له ،
فإذا كان الليل صيرها إلى عرصه إيوان كسرى ، وفي العرصه سرير رخام كان يجلس
عليه كسرى ، فتصعد غنيات الغامدي إلى ذلك السرير .

دخل أبو حازم المسجد فوسوس إليه الشيطان : إنك قد أحدثت بعد وضوئك ،
فقال : وقد بلغ هذا من نصحك ! .

قال الزبير : يكفيننا من خضمكم القضم ، ومن نصمكم العنق . قال رجل لأم الدرداء :
إني لأجد في قلبي داءً لا أجد له دواءً ، أجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً ، قالت :
إطلع في القبور وأشهد الموتى .

(١) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والعنق (بالتحريك) :

سير مسطر فسيح واسع الإبل . والنص : استقصاء ما عند الدابة من السير . يريد أن يقول : يكفيننا
منكم القليل بدل الكثير .

قيل للربيع بن خَيْم : لو أرحت نفسك ! قال : راحتها أريد .

قال رجل من الصالحين : لو أنزل الله كتاباً أنه معذبٌ رجلاً واحداً خلقتُ أن أكونه ، أو أنه راحمٌ رجلاً واحداً لرجوتُ أن أكونه ، أو أنه مُعذِّبٌ لا محالة ما ازددتُ إلا اجتهاداً لئلا أرجعَ على نفسي بلائمة .

٥ أثنى قومٌ على عوف بن أبي جميلة ، فقال لهم : دَعُونَا مِنَ الشَّاءِ ، وَأَمِدُونَا بالدعاء .

قيل لبعض العباد : مَنْ شَرُّ النَّاسِ؟ قال : مَنْ لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مَسِيئًا .

قال المسور بن مخرمة : لقد وارت الأرضُ أقواماً لو رأوني معكم لاستحييتُ منهم .

١٠ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : عَجِبْتُ لِمَنْ يَهْلِكُ وَالنَّجَاةُ مَعَهُ ؛ قِيلَ : وَمَا هِيَ ؟ قال : الاستغفار .

كان فتىٌ يجالسُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ وَلَا يَسْكُتُ ، وَكَانَ سُفْيَانُ يَجِبُ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِيَسْمَعَ كَلَامَهُ ، فَمَرَّ بِهِ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ : يَا فَتَى ، إِنْ كَانَ قَبْلَنَا مَرُّوا عَلَى خَيْلٍ وَبَقِينَا عَلَى حِمِيرٍ دِيرَةٍ ، فَقَالَ الْفَتَى : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِنْ كُنَّا عَلَى الطَّرِيقِ فَمَا أَسْرَعَ لِحُقُوقِنَا بِالْقَوْمِ ! .

١٥ قال الحسن : إِنْ خَفَقَ النَّعَالُ خَلْفَ الرَّجَالِ قَلَّ مَا تَلَبَّثَ الْحَقُّقُ . وَذَكَرَ عِنْدَهُ الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الصُّوْفَ ، فَقَالَ : مَا لَهُمْ تَفَاقَدُوا ! — ثَلَاثًا — أَكُنُوا الْكِبَرُ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَظْهَرُوا التَّوَاضُّعَ فِي لِبَاسِهِمْ ، وَاللَّهُ لِأَحَدِهِمْ أَشَدَّ مُعْجَبًا بِكِسَانِهِ مِنْ صَاحِبِ الْمِطْرَفِ بِطَرَفِهِ . وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَوَجَدَ عِنْدَهُ رِيحَ قَدْرِ طَيِّبَةٍ ، فَقَالَ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، إِنْ قَدَرَكِ لَطِيْبَةٌ ؛ قَالَ : نَعَمْ لَا رَغِيْفِي مَالِكُ وَصَحْنَاهُ فَرَقَدُ .

٢٠ (١) تفاقدوا : دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضاً . (٢) كذا بالأصل والمعنى غير واضح .

طَلِبَ أَبُو قَلَابَةَ لِلْقَضَاءِ فَاجْتَقَ بِالشَّامِ هَرَبًا، فَأَقَامَ حِينًا ثُمَّ قَدِمَ البَصْرَةَ؛ قَالَ
أَيُّوبُ فَقُلْتُ لَهُ : لَوْ أَنَّكَ وَايَمْتَ القَضَاءَ وَعَدَّاتَ بَيْنَ النَّاسِ رَجَوْتُ لَكَ فِي ذَلِكَ
أَجْرًا؛ قَالَ لِي : يَا أَيُّوبُ، إِذَا وَقَعَ السَّابِحُ فِي البَحْرِ فَكَمْ عَسَى أَنْ يَسْبَحَ !^(١)

قَالَتْ امْرَأَةٌ أَبِي حَازِمٍ يَوْمًا لَهُ : يَا أَبَا حَازِمٍ، هَذَا الشِّتَاءُ قَدْ هَجَمَ وَلَا يَبْدُ لَنَا مِمَّا
يُصَلِحُنَا فِيهِ، فَذَكَرَتِ الثِّيَابَ وَالطَّعَامَ وَالْحَطَبَ؛ فَقَالَ : مِنْ هَذَا كُلِّهِ بَدٌّ، وَلَكِنْ
خُذِي مَا لَا يَبْدُ مِنْهُ : المَوْتَ ثُمَّ البَعْثَ ثُمَّ الوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ الجَنَّةَ أَوْ النَّارَ .

قال أبو العتاهية :

أَطِيعِ اللَّهَ يَجْهَدِكَ * عَامِدًا أَوْ دُونَ جَهْدِكَ
أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَط * لَبِ مِنْ طَاعَةِ عِبْدِكَ

وقال أيضا :

أَرَى أَنَا سَاءَ بِأَدْنَى الدِّينِ قَدِ قَنَعُوا * وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي العَيْشِ بِالدُّونِ
فَاسْتَفِنِ بِالدِّينِ عَنِ دُنْيَا المَلُوكِ كَمَا اس * تَغْنِي المَلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

وقال محمد بن حازم :

مَا الفَقْرُ عَارٌ وَلَا الغِنَى شَرَفٌ * وَلَا سَخَاءٌ فِي طَاعَةِ سَرَفٌ
مَا لَكَ إِلَّا شَيْءٌ تُقَدِّمُهُ * وَكُلُّ شَيْءٍ أُخْرَتَهُ تَلْفٌ
تَرُكُّكَ مَالًا لَوَارِثٍ يَتُّهُ * نَدَاهُ وَتَصَلَّى بِحِزِّهِ أَسْفٌ

وقال أبو العتاهية :

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ العِزُّ وَالكَرَمُ * وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالنَّدَمُ
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٌّ نَقِيبَةً * إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَّمَ

(١) في الأصل « كم » من غير فاء .

قال علي بن الحسين : الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين .
 قيل لابن سيرين : ما أشد الورع ! قال : ما أيسره ! اذا شككت في شيء فدعه .
 قال رجل لحذيفة : أخشى أن أكون منافقا ؛ فقال : لو كنت منافقا لم تخش .
 وقال محمود الوراق :

يا ناظراً يرو بعيني راقداً * ومُشاهداً للأمر غير مشاهد
 تصل الذنوب إلى الذنوب وترجي * درك الجنان بها وفوز العابد
 ونسيت أن الله أخرج آدمًا * منها إلى الدنيا بذنب واحد
 وقال وضاح اليمن :

مالك وضاح دائم الغزل * ألت تخشى تقارب الأجل
 يا موت ما إن تزال معترضاً * لآمل دون منتهى الأمل^(١)
 تنال كفاك كلُّ مُسهلة * وحوت بحرٍ ومعقل الوعل
 صلّ لدى العرش واتخذ قدماً * تُنجيك بعد العثار والزَّل

قيل ليوسف عليه السلام : مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ قال :
 أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .

وقال أمية بن أبي الصلت :

هما طريقان فائز دخل الـ * بجنة حفت به حدائقها
 وفرقة في الجحيم مع فرق الشيطان يشقى بها مرافقها
 تعرف هذا القلوب حقا اذا * همت بخير فاعوانقها
 وصدها للشقاء عن طلب الـ * جنة دنيا والله ما حقها

(١) لم يوجد في الأصل من هذا الشطر الا كلمة « الأمل » وقد أثبتناه عن الأغانى في ترجمة

وضاح اليمن .

عبدُ دعا نفسه فعاتبها * يعلم أن البصير راقبها
 اقترب الوعد والقلوبُ الى الله ووحب الحياة سائقها
 ما رغبة النفس في البقاء وأن * تحيا قليلاً والموت لاحقها
 أمامها قائدٌ إليه ويح * لدوها حيثما إليه سائقها
 قد أيقنت أنها تصير كما * كان يراها بالأمس خالقها
 وأن ما جمعت وأعجبها * من عيشةٍ مرةٍ مفارقها
 من لم يمت عبطةً يمت هرماً * للموت كأسٌ والمرء ذائقها

قال بعض الزهاد : إن صفاء الزهد في الدنيا وكآله ألا تأخذ من الدنيا شيئاً ولا
 تتركه إلا لله ، فإذا كنت كذلك كان أخذك تركاً ومعاملتك لله فيها رجحاً ، وإن صفاء
 الرغبة في الدنيا وكآلهما ألا تأخذ منها شيئاً ولا تتركه إلا لها ، فإذا كنت كذلك كان
 تركك أخذاً وفوت ما فات عليك منها حسرةً .

حبس بعض الملوك رجلاً ثم غفل عنه الى أن مضى عليه زمان ، فقال للوكل
 به : قل له : إن كل يوم يمضي من نعيمك يمضي من بؤسى ، والأمر قريب ،
 والحكم الله عز وجل . والسلام .

(١) يقال : مات عبطة إذا مات شاباً صحيحاً .

جاء في آخر النسخة الفتوغرافية ما نصه :

تم كتاب الزهد، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله،
ويتلوه في الكتاب السابع كتاب الإخوان . والحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاماً
على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى ابراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري،
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

يوجد في النسخة الفتوغرافية عقب هذا الكتاب (كتاب الزهد) بعض قطع
شعرية ونثرية في نحو ست صفحات منقول جلها عن العقد ، وليست من تأليف
ابن قتيبة .

